نجم المهتدي ورجم المعتدي

تأليف

الإمام الفقيه القاضي المتكلّم المقرئ المحدّث الأديب
فخر الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عثمان بن عمر ابن المعلّم
القرشيّ المصريّ الشافعيّ
(٦٦٠ - ٧٢٥هـ)

يُطبع أوّل مرّة
وعلى نسختين خطّيتين إحداهما فريدة بخطّ المؤلف

حققه وعلّق عليه
بلال محمّد حاتم السّقا

الجزء الأوّل

دار التقوى
دمشق الشام

نجم المهتدي
ورجم المعتدي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب : نجم المهتدي ورجم المعتدي

المؤلف : محمد بن محمد بن عثمان بن عمر ابن المعلم

الطبعة الأولى : ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

الرقم الدولي : 978-9933-610-24-1

9789933610241

دار التقوى

للطباعة والنشر والتوزيع

سورية - دمشق - حلبوني

هاتف : ٢٢١٥٤٦٤ ١١ ٩٦٣+ / ص . ب : ٣٠٧٢١

جوال : ٩٣٣٢٠٦٠٠٧ ٩٦٣+ / ٩٤١٩٤٤٣٨٧ ٩٦٣+

daraltaqwa.pu@gmail.com

بين يدي الكتاب

لك الحمدُ مولانا حمداً يوافي نعمَكَ ويكافئ مَزيدك ، حبِّبِ اللهمَّ إلينا الإيمان وزيِّنْهُ في قلوبنا ، وكرِّهْ إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

زِد حبيبَكَ ومصطفاك سيدَنا محمداً من زكيَّات صلواتك وتسليماتك ، وعُمَّ بها بفضلك آلَهُ الصفوة الكرام ، وأصحابه نجومَ سماء الإسلام ، وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

وبعد :

فلعلَّ كثيرين سَيَرون في نشر كتابنا « نجم المهتدي » تأييداً لحقيقةٍ تاريخية اجتمعت عليها كلمةُ أهل العلم ، وكشفاً لمغالطاتٍ هي اليومَ في فُشوٍّ عارم من قِبَلِ وسائل الإعلام التي لم يعدْ لها حدودٌ أو ضوابطُ رادعة ، وأنَّ تركَهُ مَنْسيّاً في بطون دور الكتب العتيقة التي أهلكتها العفونةُ والأَرَضة . . تقصيرٌ مهينٌ من قِبَل المؤتمنين علىٰ نشر كنوز العلم ؛ إذ نشرُهُ من الفروض التي لا تقبل تأخيراً .

بينما سنرىٰ آخرين يعتبون علينا في نشرِهِ في وقتِ الأمةُ فيه تعيشُ قلاقلَ تجعلها تفكِّرُ في استثمارِ ما يجمع ، لا ما يفرِّق ، وأن بعثَهُ من رُقاده الذي ناف علىٰ سبع مئة عامٍ سيزيدُ خصومةَ فريقينِ لطالما استهلكَ جهودَهما الاشتغالُ ببعضهما ، ولن يكون وراءَ بعثه إلا تعميقٌ لنزاع عقديٍّ قديم دارَ بين الأصوليين والظاهريين .

وسيحلو لبعضِ المطَّاطيِّين الذين يدَّعون الوسطية والاعتدال ؛ فيرونَ أنَّ الحرب سِجال ؛ كتابٌ بكتابٍ والبادئ أظلم ، ولا يفُلُّ الحديدَ إلا الحديد ، وكلٌّ له فكرُهُ وطريقتُهُ في البحث ، فلا عتبَ علىٰ أحد .

كما أنَّ فِئاماً هم اليومَ وُرَّاثٌ لمنهج يهدمُهُ معولُ هـٰذا الكتاب. . سيعدُّون نشرَ مثلِهِ جريمةً نكراء ، تحوكُها أيدي المكر والافتراء ، يُظلم فيها سلفُهم ، ويُساء بها لجماعتهم ، ولولا أن دائرةَ النشر والطباعة في فضفضةٍ لم تعد تُستوعب. . لتقرَّبوا إلى الله تعالىٰ بحرقه وإتلافه ! !

وينسىٰ هـٰؤلاء أو يتناسَوْن سيلَ المؤلفات والرسائل العلمية الجارفَ في دراسة فكر ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ ، والذي ملؤوا به أروقة البحث ؛ حتىٰ إنهم ليرَوْن حقائقَ العلم ويحكمون عليها وجوداً وعدماً بما ذهب إليه الشيخ ! ! فأصبحت أمتُنا أضحوكةً في نظر غيرها ، وليست بعيدةً عنَّا مقالةُ كروية الأرض أو أنها ليست بكروية ، كما وجدوها في كتب ابن تيمية ! !

وإنَّنا وإن شاركنا ذلك الكثيرَ الأوَّل فيما بُصِّرَ به . . نزيدُ إلىٰ ما ذهبوا إليه : أن كلمة العلم لا يمكنُ أن تُطمس ، وأن الفِرىٰ أنفاسُها قصيرة ، وأكثرُ من حدَّثناك عنهم هم ممَّن تتقاذفهم الأوهام ، وتحكم عليهم الرغائبُ والرهائب ؛ إذ كلُّنا يعلم أنَّهُ لم يعدْ للكتاب ذاك الدورُ القياديِ المحوريِ في تغيير مسارِ الأمة أو التحكُّم بدفَّتها ، بل هو من أُخريات اهتماماتِ أكثرِ من يُرجىٰ خيرُهُ ، فضلاً عن العامَّة التي تجمعها صيحةُ ناعق وتُفرِّقها أخرىٰ ، فلا داعيَ لزَعَقاتٍ فارغة تُلبِّسُ علىٰ سيلِ البشرية الجاري مع مغناطيس الإعلام الجذَّاب ؛ بأنَّ كتاباً يهدمُ اليومَ أو يبني .

بل حسبُنا أنَّنا ننشرُ كتاباً ـ حسَبَ ما أحطنا به علماً ـ قد حامَتْ حولَهُ أقلامٌ جادَّةٌ لبعثه مُنتصِبَ القامة بعد طويل رُقاد ، فباءَتْ بالفشل ؛ وذاك لعِزَّة مخطوطاته ، ووعورة عباراته ، فلا يكادُ يجرؤُ علىٰ نشرِهِ إلا مَنْ له بالعلم طولُ باع ، وسَعةُ اطِّلاع ، وناهيك برقومِهِ التي كانت قراءتُها تصلُ بالناظر فيها إلى احتمالاتِ كرمي الكِعاب ، متساويةِ التوقُّعات ، متباينة المعاني والنتائج ، يحارُ في ترجيحها صاحبُها وراقمُها لو عاد لها بعد طول فراق ، فكيف بنا وبضاعتُنا

مُزجاة ، وقد قرضَتِ القرونُ من العلم حتىٰ لم تُبقِ إلا فتاتاً نتقوَّتُ اليومَ منه ؟!

أما بشأن ما هدفَ له مؤلِّفُهُ الإمام ابن المُعلِّم القرشي : فما نخالُ أن مثلَ هٰذا يخفىٰ علىٰ مطالع متابع ، وليس في نشر ما حوى الكتاب ؛ من علم وتأريخ ، وترجماتٍ ووثائقَ ، وأدبٍ وبلاغة ، وجدلٍ نزيهٍ وبرهان.. عيبٌ يُتَّقىٰ ، بل فيه أَثارةُ علمٍ تُنتقىٰ .

وقبل سنينَ ليست ببعيدة قال القاضي الفقيهُ الأديب علامتُنا يوسف النبهاني : (التحكُّك بالبدعة يَزيدها اشتهاراً ، وذكرُها ولو للردِّ عليها يَزيدها انتشاراً)[1] .

وهو إلىٰ ذلك لمَّا رأىٰ أن بدعةَ التجسيم قد فشت ، والتهوُّك في أخطر مسائل الاعتقاد قد عمَّ وطمَّ ؛ كالحديث عن الحدِّ والحرف ، وتجويز الصفات في حق القديم ، وإدخال بعض الأبحاث الفقهية ـ كالتوسل والاستغاثة ـ في عُباب هٰذا الباب.. بادر رحمه الله تعالىٰ لتدوين كُتُبٍ تبحث في هٰذه المسائل ، وتبيِّنُ للسائل ما تعوَّص عليه من مسائل .

فلا عجبَ أن يدوِّنَ عصريُّ ابن تيمية رحمهما الله تعالىٰ كتاباً يشاركُ فيه أقلامَ أعلام أهل السنة في هدمِ بدعِ الاعتقاد التي أحيا رميمَها بفتاواه النَّزِقة ، والتي حاد فيها عن مستقيم نهج أهلِ السنة ، ولحق بها بالأهوازي وابن الهيصم وابن كرام ، ورام سوقَ الأمة تحت لوائه .

أمَّا عن مضمونِ ما في الكتاب ؛ من علمٍ وهداية ، وروايةٍ ودراية.. فلنتركِ الحديث عنه لمحقِّقه الفذِّ الذي خاضَ غمرته ، وعانىٰ عبارته ، وطاولَ بجهده يجمعُ بين مؤتلفين كالمفترقين ، وتارةً عند خلافٍ وطولِ فصلٍ وانقطاعٍ وزَبْرٍ يساوي بين الصدفين .

---

(١) انظر « شواهد الحق » (ص ٢٠٦) .

ولن يعرفَ فضلَ ما بُذلَ في سبكِهِ واستخراجه من مطويات ما نَسِيَ الزمن . . إلا مَنْ عاد إلىٰ مخطوطته الفردة الأصيلة[١] ، فصعِد حَزْنَها ونزلَ أوديتَها ، ثم راوح بين ما سيعرض له عند مطالعتها ، ثم نظر في مطبوعتنا هٰذه التي سترفع عنه بعون الله وفضله بلبلةَ باله ، في إدباره وإقباله .

ومع طالعةِ العمل الذي قُطفت ثماره في الكتاب التعريفي بأهل السنة والجماعة ومنهجهم ؛ « تبيين كذب المفتري » ، والوقوفِ علىٰ عبارة العلامة الكوثري المشيرة والمشيدة بـ « نجم المهتدي » . . انعقدت النيَّة لـ « دار التقوىٰ » لإخراجِهِ نصّاً متيناً ناصعاً كسلفه ، وجمْعِ ما بين شقيقينِ فرَّقت بينهما قلَّةُ الإنصاف وضعفُ الهمَّة ، بل هي أقدارُ الله الغالبة ، التي خبأت الكتابَ لهٰذه الأيام ، وقد جعل الله لكلِّ شيء قدراً .

وحافظُ الدنيا ابن عساكر في « التبيين » كان قد هدم بدعَ السالمية التي حاول الأهوازيُّ نفخَ الروح في جَدَثها ، وها هو ذا الإمام ابن المعلِّم قد ثمَّرَ عمله ، وتابع مسيرته المحمودة مع ظهور من حاول من المُتسنِّنة الخلطَ بين عقائد أهل السنة بعقائد الكرامية والسالمية .

ونحن اليوم نُلبِّي نداء فخر العلماء والمحققين العلامة محمد زاهد الكوثري في إصدار هٰذا الكتاب الذي نحسب أن الأيام لو تطاولت به لأبرزه غير ضنينٍ به ، وزركشه كعادته بتعليقاته الأثرية والعلمية النفيسة ، وعسىٰ أن تقرَّ عينه وأعين أهل السنة بإشراقته .

والله من وراء القصد ، من قبل ومن بعد

الناشر

---

(١) إذ مخطوطته الثانية ـ كما نبَّهَ عليه المحقق ـ ما هي إلا صورة رام فيها ناسخها محاكاة رقوم النسخة الأم والنقل عنها .

ترجمة
الإمام المحدث المتكلم الأديب
فخر الدين أبي عبد الله ابن المعلم
القرشي المغربي المصري الدمشقي الشافعي
رحمه الله تعالى (١)

اسمه ومولده

هو الإمام الفقيه القاضي العادل المُتكلِّم المُقرئ المُحدِّث الأديب : فخر الدين أبو عبد الله محمد بن محيي الدين محمد بن الفقيه العالم المُقرئ عماد الدين أبي عمرو عثمان بن الإمام الفقيه المقرئ الصالح الناسك جمال الدين أبي حفص عمر بن عبد الخالق بن حسن بن عبد الرحمـٰن ، ابنُ المُعلِّم القرشي ، المغربيُّ الأصل ، المصري المولد والدار ، الدمشقي الوفاة ، الشافعي المذهب ، الأشعري العقيدة .

ولد الإمام ابن المُعلِّم : في الرابع والعشرين من شوَّال سنة ستين وست مئة من الهجرة ، وذهب تقي الدين المقريزي : إلىٰ أنه ولد سنة اثنتين وستين وست مئة (٢) .

---

(١) مصادر ترجمته : « معجم الشيوخ » للحافظ الذهبي (٢/ ٢٧٤) ، « أعيان العصر وأعوان النصر » (٥/ ١٨٣ـ١٨٤) ، « المقفى الكبير » (٧/ ٤١) ، « الدرر الكامنة » (٥/ ٤٦٣ـ٤٦٤) ، وترجمته في هـٰذه المصادر ما تجاوزت الصفحة ، والمرجع الأساس في ترجمته : كتابُنا هـٰذا من مواضع متفرقة .

(٢) انظر « المقفى الكبير » (٧/ ٤١) .

وأمّا تلقيبه بـ (ابن المُعلِّم) : فجاء من جدِّ أبيه جمال الدين أبي حفص عمر ؛ إذ كان مُؤدِّباً يُعلِّم أولاد الأكابر والرؤساء بمكتبه بمصر بالفندق المقابل لدرب ابن القسطلاني المجاور لحمَّام ابن سليم بزقاق القناديل ، ثم اشتهر جميع أولاده بهـٰذا اللقب(١)

نبذة عن أسرته

تُعتبر أسرة إمامنا المُترجَم : من الأُسر العريقة المشهورة بالعلم والصلاح وقراءة القرآن ، وقد انتقلت هـٰذه الأسرة من المغرب فسكنت واستقرَّت في مصر قبل سنة (٥٧٥هـ) .

فجدُّ أبيه جمال الدين (ت٦٣٣هـ) : كان فقيهاً مُقرئاً صالحاً ناسكاً ، قرأ القرآن بالروايات السبع : على إمام عصره في القراءات أبي القاسم بن فِيرُّه الشاطبي ، وتفقَّه : على الإمام أبي البركات ابن ثعلب والإمام أبي المنصور ظافر بن الحسين الأَزْدي وأقرانهما ، وعلَّق : عن التقي المُقترَح تعاليقَ ، وكان يدري النحو درايةً جيدة ، ووقف المُؤلِّف علىٰ مسائلَ في النحو والأصول علَّقها بخطه ، انتقلت إليه إرثاً عن أخي جدِّه عبدِ العظيم .

وكان له خطٌّ جيِّد صحيح ، وطريقة في الكتابة تُعرف به ، وكتب الكثير في أنواع العلوم .

ولم يزل مواظباً على الاشتغال بالعلوم ، مستغرقَ الأوقات في التلاوة والتعليق والكتابة . . إلىٰ حين وفاته .

وهو المُعلِّم الذي اشتَهر به أولاده كما ذكرت سابقاً ، وهو من جملة أئمة الأشاعرة الذين ترجم لهم المؤلف في كتابنا هـٰذا(٢)

---

(١) انظر (١/٥٩٩ـ٦٠٠) .

(٢) انظر (١/٥٩٩ـ٦٠٠) .

وجدُّه عماد الدين (ت٦٥٥هـ) : كان فقيهاً مقرئاً ؛ تفقَّه : على الإمام الفقيه الصالح الخطيب أبي الطاهر المحلي وعلىٰ أقرانه ، وقرأ القرآن : علىٰ والده جمال الدين ، وقرأ بالسبع جمعاً وإفراداً : على المقرئ جمال الدين أبي الفضل زيادة بن عمران بن زيادة أحد المُتصدِّرين بمصر ، وأجازه بالقراءة والإقراء .

وكان عماد الدين دفترخوانَ الإمامِ أبي الطاهر المحلي[1] ؛ إذ كان ملازماً له ؛ يقرأ بين يديه دروسه ، ويطالع له ، ويقرأ له القرآن وهو يسمع .

وحكىٰ محيي الدين والد المؤلف : أن جدَّه جمال الدين كان يكتب للصغار « عقيدة المهدي » ، وكانوا يحفظونها مع القرآن ، فلمَّا كبروا ألزمهم والده عماد الدين عثمان حفظَ « عقيدة الغزالي » ، وكان يُلقِّنهم : (قل : أنا شافعيُّ المذهب ، أشعريُّ الاعتقاد) ، قال محيي الدين : (ولم أكن أعلم ما معنىٰ « أشعري الاعتقاد » حتىٰ كبرت وسألت عنه)[2] .

وهو من أئمَّة الأشاعرة الذين ترجم لهم ابن المُعلِّم في كتابنا هـٰذا[3] .

وأما والد المؤلف محيي الدين : فكان رفيق علم الدين القِمَّني على الشيخ كمال الدين المقرئ ، ولم يذكر له المؤلف ترجمة مُستقلَّة ، ولـٰكنَّه نقل عنه حكاياتٍ نادرةً[4] ، ونستنتج من هـٰذا النقل : أنه كان من أهل العلم والصلاح والفضل .

وأسرة والدته أسرة علمية فاضلة ، ومن شيوخها : القطب العارف أبو زكريا يحيى بن يَلِيمان بن هادي السبتي (ت٦٥٥هـ) ، كان هـٰذا العارف جامعاً بين

---

(١) الدفترخوان : هو الذي يقرأ الدفاتر بين أيدي الملوك والعلماء والأكابر . انظر « نفح الطيب » (٢/ ٣٠٠) .

(٢) انظر (٢/ ٥٠) .

(٣) انظر (٢/ ٤٩ـ ٥١) .

(٤) ومن جملة هـٰذا النقل: ما ذكرته قبل قليل أثناء ترجمة جد المؤلف، وانظر (١/ ٦٠٢، ٢/ ٥٠).

العلم والعمل ، ذا كرامات كثيرة ، وكانت له الكلمة المسموعة عند الملوك والأمراء ، كان حَسَنَ التربية لأصحابه المقيمين بزاويته ، وكان لا يُقصد في شيء من مصالح العباد إلا فَعلَهُ ، وقد ترجم له المؤلف في كتابنا هٰذا وذكر له قصة قيِّمة عجيبة[١]

سيرته العلمية ، وبعض صفاته

نشأ ابن المعلِّم في عصرٍ ضمَّ في جنباته كبار الأئمة الفحول ، المُبرِّزين والمُتضلِّعين من المعقول والمنقول ، وقد عبَّ ونهل من كثير منهم مختلفَ علوم الرواية والدراية ، ونقل عنهم كنوزاً ودُرراً في كتابنا هٰذا ، وكان شيخه علمُ الدين القِمَّني الضرير يوصي والده بأن يُشغله في طلب العلم ، ولعله أوصاه بذلك ؛ لما لمح عليه من مخايل النجابة والنفع للمسلمين ؛ إذ كان علم الدين القِمَّني من أذكياء الأضرَّاء ، وأورد له المؤلف أثناء ترجمته قصصاً عجيبة عزيزة في ذكائه وفطانته ، وحِدَّة ذهنه وسرعة حفظه[٢]

وقرأ بدايةَ اشتغاله : ختمة علىٰ أبي الطاهر المَليجي ، ثم تلا بالسبع : على السراج عمر بن زعازع صاحب ابن الرمَّاح .

وبعد أخذه العلمَ عن كبار علماء عصره : تولَّىٰ قضاء الخليل وأذرعات ، ثم أعاد بالبادرائية إلىٰ حين وفاته .

وكان رحمه الله تعالىٰ فاضلاً جواداً ، كثير التلاوة والصلاة ، صلبَ الاعتقاد ، محارباً لأهل البدع ومُنفِّراً عنهم ، مُحِبّاً للتصوف ، منافحاً عنه ، ملازماً رجالَه الكبار ، وأولياءه الأخيار .

وترجمه الأديب الإمام الأصولي المؤرِّخ الصلاح الصفدي ، والحافظ

---

(١) انظر (٢/ ٤٤ـ ٤٦) .

(٢) انظر (٢/ ٢٠١ـ ٢٠٥) .

الكبير ابن حجر العسقلاني ، والمُؤرِّخ تقي الدين المقريزي . . **ترجمةً موجزة فيها إشادةٌ بفضله وعلمه** .

بينما ترجمه الحافظ الذهبي ترجمةً **فيها بعضُ غمز وحطٍّ من قدره** ؛ إذ قال : (وكان كثيرَ التلاوة والصلاة **علىٰ تيك الهَنات** ، وقد ولي قضاء بلد الخليل ثم أذرعات **فلم يحمد**)[1] ، وليته ذكر لنا بعض هـٰذه الهَنات ، ومع ذكره لها فقد قال الإمام القاضي الفقيه الأصولي تاج الدين ابن السبكي : (**والذي أفتي به** : أنه لا يجوز الاعتماد علىٰ كلام شيخنا الذهبي **في ذمِّ أشعري ، ولا شكرِ حنبلي**)[2]

شيوخه

ذكرت سابقاً أنه تلقَّىٰ عن كبار علماء القرن السابع الهجري مختلفَ علوم الرواية والدراية ، ولم تذكر المصادر ـ علىٰ قلَّتها ـ سوىٰ ستة شيوخ ، بينما وقفت في كتابنا هـٰذا **علىٰ أكثر من خمسة وثلاثين شيخاً صرَّح المؤلف بالأخذ والرواية عنهم** ، وقد أفرد كثيراً من هـٰؤلاء الشيوخ بالترجمة ، ونقل عنهم نصوصاً نفيسة عزيزة نادرة ، وقد عقد الباب العاشر في ذكر كثير منهم .

وإليك ذكرَ كثير منهم مُرتَّبين علىٰ حروف المعجم :

ـ الإمام الفقيه المقرئ الأصولي النحوي الأديب : **علم الدين أحمد بن إبراهيم بن حسن الأموي القِمَّني القاهري الشافعي** (ت٦٨٦هـ) ، وقد ذكر له المؤلف في الكتاب وخصوصاً في أثناء ترجمته قصصاً عزيزاتٍ تدل علىٰ ذكائه وحِدَّة ذهنه[3]

---

(١) معجم الشيوخ (٢/ ٢٧٤) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٢/ ٢٥)

(٣) انظر (٢/ ٢٠٢ـ٢٠٥) .

ـ الإمـام العـابـد المقـرئ المُتكلِّـم المُتفنِّـن : جـلال الـديـن أحمـد بـن عبد الرحمٰن الدِّشْنائي الشافعي (ت٦٧٧هـ) ، ترجمه المؤلف في كتابنا هٰذا ، ومن جملة ما أورد له : قصيدةٌ بديعة في الرد علىٰ من لامه على انقطاعه عن الجماعة وانعزاله عنهم ، ومنها : (من مخلع البسيط)

يـا لائمـي كُـفَّ عـنْ مـلامـي ... علـى انعـزالـي عـنِ الأنـامِ
إنَّ نـذيـري الـذي نهـانـي ... يَخبُـرُ حـالـي علـى التمـامِ
فصـرفُ وقتـي لفـرضٍ عينـي ... أوجـبُ مِـنْ سـائـرِ الأنـامِ
فكـلُّ نفـسٍ لمَّـا تُهـذَّبْ ... ومـا اطمـأنَّـتْ علىٰ مقـامِ
فهجـرُهـا لـلأنـامِ شُغـلاً ... بشـأنِهـا ليـسَ بـالحـرامِ

ـ الإمام الفقيه الأصولي : أبو العباس ناصر الدين أحمد بن منصور ابن المُنيِّر الإسكندراني المالكي (ت٦٨٣هـ)، سمع عليه المؤلف : كتابه « المقتفىٰ في شرف المصطفىٰ » ، وترجمه ترجمة حافلة أورد فيها أشياء نادرة[١]

ـ الإمام المقرئ المسند : فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي المَليجي المصري (ت٦٨١هـ) ، قرأ عليه المؤلف ختمة في القرآن الكريم .

ـ الإمام الزاهد المُربِّي : صفي الدين الحسين بن علي بن ظافر الأَزْدي المالكي (ت٦٨٢هـ) ، ذكره المؤلف في مواضعَ متفرقة ، وترجمه ترجمةً حافلة أورد فيها أشياء عزيزة[٢]

ـ الإمـام الخطيـب الأديـب : عـز الـديـن أبـو محمـد عبـد البـاقـي بـن عبد الرحمٰن بن خليل الجابري الأنصاري الشافعي (ت٦٧٧هـ) ، ترجمه

(١) انظر (٢/ ١٨٣ـ ١٨٩) .
(٢) انظر (٢/ ١٥٢ـ ١٦٠) .

المؤلف ترجمة نفيسة ، وصدَّر الترجمة بقوله : (شيخنا الخطيب الذي أخرست بلاغتُـهُ سحبانَ ، وألبستِ المنبرَ جلالةً بانت عنه إذ بان ، قد أحرز بخلاله الجميلة مناقبَ تلك المكارم لا قَعْبان)[1] .

ـ الإمام الوزير القاضي الفقيه : تقي الدين أبو القاسم عبد الرحمٰن بن قاضي القضاة عبد الوهاب العَلامي الشافعي (ت ٦٩٥هـ) ، ترجمه المؤلف ترجمة حافلة ، ومدحه بقصيدة بديعة سأذكر بعضَها أثناء الحديث عن أدبه[2] .

ـ الإمام المسند المُقرئ : محيي الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن عبد المنعم بن خلف اللخمي الدَّميري الشافعي (ت ٦٩٥هـ) ، ذكره المؤلف في مواضعَ متفرقة .

ـ الإمام المناظر المُتفنِّن الشريف : عماد الدين عبد الرحيم بن هاشم العبَّاسي الهاشمي الحمصي المصري الشافعي (ت ٦٨٠هـ) ، ترجمه المؤلف ونقل عنه في مواضعَ متفرقة ، وكان من جملة ما قاله في ترجمته : (وكان يلقي الدرس أحسنَ إلقاءٍ من صدره ، لم ترَ عيني بعده من يحفظ الدرس فيلقيه مثلَه)[3] .

ـ الإمام المسند المُحدِّث : شهاب الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى ابن خطيب المزة الموصلي الدمشقي (ت ٦٨٧هـ) ، سمع عليه المؤلف : « مسند الإمام أحمد ابن حنبل »[4] .

ـ الإمام الفقيه الصوفي المُربِّي الأديب : أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدَّميري الدِّيريني الرفاعي الشافعي (ت ٦٩٤هـ) ، صاحب المُؤلَّف الماتع « طهارة القلوب » وغيره ، وقد ترجمه المؤلف ، وقال في خاتمة

---

(١) انظر (٢/ ١٤٠) .
(٢) انظر (١/ ٢٢) .
(٣) انظر (٢/ ١٤٨) .
(٤) انظر (٢/ ٤٠٧ـ٤٠٨) .

ترجمته : (أجاز لي هٰذا الشيخُ أن أروي عنه جميعَ ما تجوز له روايته ، وجميعَ ما تجوز روايته عنه من كلامه المنظوم والمنثور ، **وشافهني بذلك** ، وكتب خطه ، ونقلت ما نقلته من نسخة بخطه رحمه الله)[(١)]

ـ الإمام الفقيه الأصولي المناظر المُتفنِّن : **علم الدين أبو محمد عبد الكريم بن علي بن عمر الأنصاري الأوسي العراقي الشافعي (ت ٧٠٤هـ)**، ترجمه المؤلف ترجمة قيِّمة أورد له فيها قصيدة نادرة[(٢)]

ـ الإمام الجليل مسند الديار المصرية : **نجيب الدين أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحرَّاني الحنبلي (ت ٦٧٢هـ)** ، روىٰ عنه كبار الأئمة ، **ومن جملتهم إمامنا المترجم ابن المعلم رحمه الله تعالىٰ** .

ـ الإمام المُحدِّث المسند المُعمَّر : **أبو عيسىٰ عبد الله بن عبد الواحد بن علاق الأنصاري الرزَّاز المصري (ت ٦٧٢هـ)** ، **روىٰ عنه المؤلف** مجلس البطاقة، ورواه عنه الحافظ الذهبي كما نصَّ علىٰ ذلك في « معجم الشيوخ »[(٣)] .

ـ الإمام الفقيه الأصولي المُفسِّر المُتكلِّم الصوفي المُربِّي : **أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي المَرْجاني القرشي التونسي المالكي (ت ٦٩٩هـ)** ، نقل عنه المؤلف في مقدمة كتابه أثناء رده على ابن تيمية ، وترجمه ترجمة نفيسة أورد فيها قِطَعاً عزيزة[(٤)]

ـ الإمام قاضي القضاة الفقيه الأصولي المُتفنِّن : **وجيه الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أقضى القضاة سديد الدين الحسين المُهلَّبي البَهْنسي الشافعي (ت ٦٨٥هـ)** ، **روىٰ عنه المؤلف** قصصاً نادرة قيِّمة ونفيسة أثناء ترجمة التقي

(١) انظر (٢/ ٢٣٢) .
(٢) انظر (٢/ ٢٧٨ـ ٢٨١)
(٣) معجم الشيوخ (٢/ ٢٧٤) ، وانظر « الدرر الكامنة » (٥/ ٤٦٣) .
(٤) انظر (٢/ ٢٤٣ـ ٢٥٢) .

المُقترح والبهاء ابن الجميزي وغيرهما[1] ، وترجمه ترجمة حافلة ، **وكان من جملة ما قال فيها** : (ولقد رأيتُه في المحافل العظيمة أوائلَ جلوس المدرسين حين يجتمع أهل الحل والعقد ، وجهابذةُ النظر والنقد . . لا يُشق غُباره ، ولا يُلحق مضماره ، ولا يُتوقَّع عِثاره)[2] .

ـ الإمام الشيخ : **نور الدين علي بن أبي الوحش بن أحمد العيني** ، وهو من الشيوخ الذين روىٰ عنهم عقيدة العز بن عبد السلام المُسمَّاة بـ « الملحة في اعتقاد أهل الحق »[3] .

ـ الإمام أقضى القضاة المُحدِّث المسند : **عماد الدين أبو الحسن علي بن صالح ابن أبي عمامة القرشي المصري (ت ٦٧٧هـ)** ، ترجمه المؤلف ، **وذكر في الترجمة أنه سمع عليه** : « مسند الإمام الشافعي »[4] .

ـ الإمام الأديب شاعر مصر في عصره : **سراج الدين أبو حفص عمر بن محمد بن حسن الورَّاق (ت ٦٩٥هـ)** ، **روىٰ عنه المؤلِّف** أشعاراً كثيرة عزيزة في كتابنا هـٰذا ، **وأجازه الورَّاق في بعضها** .

ـ الإمام الفقيه المفتي الزاهد الورع : **علم الدين أبو الحسن محمد بن الحسين بن عتيق ابن رشيق الرَّبَعي المالكي (ت ٦٨٠هـ)** ، صرَّح المؤلف بالتلمذة عليه ، وترجمه في كتابنا هـٰذا[5] .

ـ الإمام الفقيه المُتكلِّم المفتي : **أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار القيرواني المصري** ، كان هـٰذا الإمام من الذين **قاموا على ابن تيمية وكسروا شوكته** ،

---

(١) انظر (١/ ٥٥٤ ، ٢/ ٢٦) .
(٢) انظر (٢/ ١٩٦) .
(٣) انظر (٢/ ٦٦) .
(٤) انظر (٢/ ١٣٨ـ ١٣٩) .
(٥) انظر (٢/ ١٤٤ـ ١٤٥ ، ١٧١) .

قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ : (وقد حضرت إليه في جماعة من طلبة العلم الشريف الشافعية والمالكية نُهنِّئه بما يسَّر الله علىٰ يديه من الفتح في كسر شوكة ابن تيمية وأصحابه ، وكان أمراً عظيماً أنهضه الله فيه وأعانه عليه ، فدعونا له ، فكان جوابه : هـٰذا أمر ليس لي فيه شيء ، وإنما حسناته في صحائف سيدي أبي عبد الله ابن النعمان ، وما تكلَّمت إلا بلسانه ، ولا نهضت إلا بحاله)[(١)]

ـ الإمام الفقيه الفاضل : شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الإمام الكبير عبد العزيز بن عبد السلام السُّلَمي الدمشقي الشافعي (ت ٦٨١هـ) ، روىٰ عنه المؤلف : كتابه اللطيف « إيضاح الكلام فيما جرىٰ للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام » ، وهو عبارة عن شرح الفتنة التي تعرض لها سلطان العلماء[(٢)]

ـ الإمام المجتهد المُجدِّد المُتفنِّن في العلوم : تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي ابن دقيق العيد القشيري القُوصي المصري الشافعي (ت ٧٠٢هـ) ، ترجمه المؤلف ترجمة حافلة نفيسة[(٣)] ، ورثاه بعد وفاته بقصيدة طويلة أجاد فيها ، وسأذكر دُرراً منها أثناءَ الحديث عن أدبه .

ـ الإمام اللغوي النحوي : رضي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي (ت٦٨٤هـ) ، كان إمامَ عصره في اللغة ، أخذ عنه إمامنا ابن المُعلِّم ، وروىٰ عنه في كتابنا هـٰذا[(٤)]

ـ الإمام القاضي الفقيه الأصولي المُتكلِّم المُتفنِّن الشريف : شرف الدين محمد بن عمران بن موسى الكركي الفاسي الحسني المالكي ثم الشافعي

---

(١) انظر (٢/ ١٦٧) .

(٢) انظر (٢/ ٥٠٠) .

(٣) انظر (٢/ ٢٥٣ـ ٢٧٢) .

(٤) انظر (١/ ٤٩٠ ، ٢/ ٣٢) .

(ت ٦٨٦هـ) ، نقل عنه المؤلف في مواطنَ عديدةٍ نصوصاً نادرة[(١)] ، وترجمه ترجمة حافلة ، وذكر أنه كان يأخذ عليه كل يوم ثلاثة دروس من أصول الفقه والدين عندما كان يتردَّد الإمام شرف الدين إلىٰ مصر في أشهر البطالة[(٢)] .

ـ الإمام الكبير الفقيه المُتكلِّم المجاهد الصوفي المُربِّي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان الهِنْتاتي التِّلِمْساني المصري المالكي (ت ٦٨٣هـ) ، روىٰ عنه المؤلف في مواضعَ متفرقة[(٣)] ، وأورد له ترجمة مطولة نفيسة ذكر فيها أشعاراً عزيزة ، ومنها قصيدة طنانة للإمام البوصيري صاحب « البردة » ، وسأورد بعضاً منها أثناء الحديث عن مضمون الكتاب[(٤)] .

ـ الإمام المقرئ النحوي المُتكلِّم : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي بكر الجزري الشافعي (ت ٧١١هـ)[(٥)] .

ـ الإمام الشاعر الأديب : جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم ابن يحيى الجزَّار المصري (ت ٦٧٩هـ) ، أجاز المؤلف في كتابنا ببعض أشعاره[(٦)] .

ومن شيوخه أيضاً : أبو حفص عمر الضرير صاحب ابن الرمَّاح ، وعبد الهادي القيسي[(٧)] ، وغيرهما رحمهم الله تعالى .

---

(١) انظر على سبيل المثال (١/ ٢٩٢ـ ٢٩٣) .
(٢) انظر (٢/ ٢١٠) .
(٣) انظر على سبيل المثال (٢/ ٤٢٢ـ ٤٢٤) .
(٤) انظر (١/ ٣٢) .
(٥) انظر (٢/ ٣٠٠ـ ٣٠١) .
(٦) انظر (٢/ ٨٠، ٨٩) .
(٧) انظر « معجم الشيوخ » (٢/ ٢٧٤) .

ابن المعلّم الأديب

كان إمامنا ابن **المُعلِّم** شاعراً فصيحاً ، وناثراً بليغاً ، **ألفاظه** العذب الزُّلال ، **ومعانيه** السحر الحلال .

ولعلَّ حفظَهُ لـ « مقامات الإمام الحريري » ، **وملازمتَهُ** لكبار شعراء عصره ـ ومنهم السراج الورَّاق ـ **والروايةَ عنهم** كثيراً من أشعارهم ، **واطِّلاعَهُ** علىٰ كثير من دواوين الشعراء البلغاء ؛ كالمتنبي وأبي تمام وأبي فراس الحمداني وغيرهم ، كما سيظهر للقارئ من خلال كتابنا هـٰذا . **كان من أسباب تفنُّنه في الكلام نثراً ونظماً ، وملكه لزمامه ، وجولانه في ميدانه .**

ولا نبالغ إذا قلنا : إننا في كتابنا هـٰذا نُقدِّم للقارئ أديباً مجيداً فصيحاً ، وشَذَراتٍ من سبكه بليغةً عزيزة .

فمن جواهر هـٰذا الكتاب : ما قاله في بداية ترجمة الإمام ابن دقيق العيد : (الشيخ العالم الذي توحَّد في العلوم فهو لِعَينِ الزمانِ إنسانُها ، وتفرَّد في المكارم فعنه تُسند أحاديثُها صِحاحُها وحسانها ، طالما وصل المنقطع وأسند الغريب ، وتسلسلَ موردُ فضله وحلا فما الضَّرَب له بضريب ، وأحيا قديمَ مآثر السلف بفضله الحديث ، ونشرَ العلوم لما علم من تأويل الأحاديث ، ورُفعت راية الرواية فتلقَّاها باليمين ورفعَها ، وجمعَ أشتات الفضائل حتىٰ سمع المقالة فأدَّاها كما سمعها)[(١)]

ومنها : ما قاله مخاطباً ابنَ تيمية أثناء ترجمة أقضى القضاة النجم ابن الرفعة : (ولئن كنتَ غائباً فالنجمُ طالع قد أضاء ، ووافقَتْ فُتياه فيك القضاء ، وماذا يعوقُهُ عنك ويمنعُهُ منك وهو عالم المَذْهب ، وشافعيُّ هـٰذا

---

(١) انظر (٢٥٣/٢) .

العصر المُذهَب ؟! قد ارتضع بلبان « الأم » ، من لدن فطامه عن الأم ، وأقبل على الإملاء والتصنيف ، إذ صِين به « الإملاء » من التحريف ، والإفادةِ والتأليف ، حين جذب القلوب بأحسن التأليف)[١]

ومنها : ما قاله أثناء ردِّه على ابن تيمية : (**أيها الشابُّ السابُّ ، المُتعصِّب المتعضِّب** ، السابقُ بمُنكَر القول ، السائقُ إلىٰ مسألته العول ؛ لقد تجرَّأت على العظيم بكلام لا يُقال ، وتبرَّأتَ من النهج فعِثارُك لا يُقال ، وأَثَرت علىٰ نفسك عِثْير الندم ، وعَثَرت بلسانك وعثرةُ الفم تُنسي عثرةَ القدم ، أَطْرِقْ كرا أَطْرِقْ كرا ، ما إخالك إلا في سِنَةِ الكرىٰ .

كنتَ فيما كتبتَهُ نائمَ العيـ ـنِ فهلْ كنتَ نائمَ الأقلامِ

لقد جرَّتْكَ جرأتُكَ إلىٰ مَزَلَّةِ دَحْض ، وخلا لكَ جوُّكَ وإذا ما خلا الجبانُ بأرض)[٢]

ومنها : ما قاله مخاطباً ابن تيمية أيضاً ، وفيه إشارة إلى المجلس السلطاني الذي عُقد من أجل محاكمته : (أَمَا علمتَ أن الديار المصرية لا تَنفُق فيها شقاشِقُك ، ولا يُطلَقُ فيها للصيد باشَقُك ؟! وليس لأحدٍ خلافَ خطيبِ أهل الحق بها خطبة ، وكلُّ خاطبِ عقيلةٍ عقيدة تدعه يُقرَع أنفُه علىٰ تلك الخطبة . . . ولقد كان الأمل أن تُقتل قتلَ الحراذين ، أو تموتَ كما مات أَرْبَدُ في سوق البراذين ، لٰكنَّ رجاءَ استقامتِك ، سببٌ لحياتك بين أظهرنا وإقامتِك ، أو لينتدبَ مِنْ أتباعك من يشهد عليك بالمنكر ، شهادةَ الأعضاء علىٰ مَنْ أنكر ؛ فمن الرأي السديد ، ألا يُقطعَ الحديدُ إلا بالحديد ، فبمحاذاة القمر كسوفُ شمسه ، ولكل شيء آفةٌ من جنسه)[٣]

---

(١) انظر (٢/ ٢٩٧) .
(٢) انظر (١/ ٥٩ـ ٦٠) .
(٣) انظر (١/ ١٣٥ـ١٣٦) .

والكتاب في كثير من مقاطعه يسير علىٰ هـٰذا المنوال ، وخصوصاً في مقدمته المُسهبة التي جاءت ردّاً على ابن تيمية ، وفيما ألزم به نفسه في بدايةِ كل ترجمة من تراجم الباب العاشر ؛ قال رحمه الله تعالىٰ : (هـٰذا بابٌ أذكر فيه إن شاء الله مَنْ أدركتُهُ من علماء عصرنا ، وشاهدته من صلحاء مِصْرنا وغير مصرنا . . . وأذكرُ في أول كلِّ ترجمةٍ ما يحضُرُني من سجعٍ يروق ؛ قضاءً لما لهم عليَّ من الحقوق)[1]

ومن شعره الذي أورده في كتابنا هـٰذا : قصيدة طويلة أجاد فيها في رثاء الإمام المُجدِّد ابن دقيق العيد ، ومن جملة أبياتها : (من الكامل)

أَسَفي وهل يُجدي طويلُ تأسُّفي ... أو يـدفـعُ الأقـدارَ فَـرْطُ تلهُّفـي
هوتِ النجومُ وكُوِّرتْ شمسُ الضُّحىٰ ... فـالآنَ نحـنُ بجُنـحِ ليـلٍ مُسـدِفِ
واغبـرَّتِ الـدنيـا وزُلـزلَ أهلُهـا ... وبدا لهم عنوانُ هولِ الموقفِ[2]

وله في الإمام القاضي الوزير تقي الدين عبد الرحمـٰن العَلامي . . قصائدُ عديدة ، ذكر في كتابنا هـٰذا سبعة وعشرين بيتاً من قصيدة واحدة ، ومنها : (من الكامل)

قصـدَتْ حِمـاكَ نجـائـبُ الآمـالِ ... لتـؤولَ مِـنْ نُعمـاكَ خيـرَ مـآلِ
ما زلتُ أُنضيها وأمنحُها المُنىٰ ... وأحُثُّهـا بـالشـدِّ والتَّـرحـالِ
حَمِدَتْ سُراها حينَ أدَّاها إلىٰ ... خضِلِ الرِّياضِ وسابغِ الأظلالِ
قالَتْ وقد رأتِ الوزيرَ وجودَهُ ... حَسْبـي بلغـتُ نهـايـةَ الآمـالِ[3]

---

(١) انظر (٢/ ١١٩) .
(٢) انظر (٢/ ٢٧٠ـ ٢٧٢) .
(٣) انظر (٢/ ٢٣٦ـ ٢٣٨) .

مؤلفاته

ذكر الصلاح الصفدي والشهاب ابن حجر العسقلاني أن لمؤلفنا ابن المعلم مصنفاتٍ ، ولم يُسمِّيا مصنفاً واحداً ، ومن خلال تتبُّع كتابنا هٰذا ، والبحث فيما وقفت عليه من كتب التراجم والمصادر والمراجع المتخصصة في هٰذا المجال . . وجدت مُصنَّفاً واحداً قطعيَّ النسبة إليه ؛ وهو كتابنا هٰذا : « نجم المهتدي ورجم المعتدي » ، ولا يُشك في نسبته إليه ، ومن يطالع كتابنا هٰذا وخصوصاً تراجمَ بعض أعلام أسرته . . يتيقَّن أن الكتاب صحيحُ النسبة إليه .

ويفهم من خلال بعض المواضع من هٰذا الكتاب : أن للمؤلف أشعاراً كثيرة[1] ، والله تعالىٰ أعلم .

وفاته

أعاد الإمام ابن المُعلِّم بالمدرسة البادرائية[2] في دمشق إلىٰ حين وفاته بها في يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وسبع مئة من الهجرة .

رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار

---

(١) انظر (٢/ ٢٣٨) .

(٢) انظر الحديث عن هٰذه المدرسة وبانيها في (٢/ ٤٧) .

كلمةٌ عن كتاب
« نجم المهتدي ورجم المعتدي »

إنَّ كتابنا هـٰذا يُعتبر ـ ولله الحمد ـ نصراً لفكر ومنهج أهل السنة والجماعة ، وخصوصاً في زماننا هـٰذا الذي ماجت فيه الفتن ، وانتشرت البلايا والمحن ، واشرأبَّت أعناقُ ذوي الابتداع والنفاق ، بعدما زرعوا في عالمنا الإسلامي بذور التفرُّق والشقاق .

وبدعةُ التشبيه والتجسيم من البدع الخطيرة التي أحدثت القلاقلَ والفتنَ والاضطراباتِ في المجتمع الإسلامي[(١)] ، فلم تظهر بين قوم ، ولم ينهض أهل الحل والعقد لإخمادها وردع أهلها وزجرهم عن ذلك . . إلا آذنت بوبالهم ، وكانت سبباً لشؤم مآلهم ، وكذلك ما فشت في قُطر من أقطار الأرض إلا دمَّرته وكانت سبباً في خرابه ، ولا كانت بين قوم إلا غشيتهم الذلة وسُلِّط عليهم الأعداء ؛ فالجسد الصحيح لِمَا حلَّ به من الخلط يألَم ، وبُسكَّانها تشقى البقاع وتنعم ؛ وذلك لأنها تُضاهي قول اليهود ، فيشاركونهم في الذل والإهانة والصَّغار[(٢)]

وإنما أُتي هـٰؤلاء المُجسِّمة : من قِبَل جهلهم بكتاب الله ، وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولسان العرب ، وسخافة العقل ، وبلادة الذهن[(٣)]

---

(١) انظر (٢/ ٤٩٠ـ ٥١٨) ففيها نماذجُ عديدة من ذلك .

(٢) انظر (٢/ ٥٢٠) وما بعدها .

(٣) انظر (٢/ ٥٠٥) .

قال القاضي ابن العربي في « العواصم من القواصم » : (وممَّن كاده - أي : الإسلامَ - : الظاهريةُ ؛ وهم طائفتان ؛ إحداهما : المُتَّبِعون للظاهر في العقائد ، والثانية : المُتَّبِعون للظاهر في الأصول ، وكلا الطائفتين في الأصل خبيثة ، وما تفرَّع عنهما خبيث مثلهما) ، ثم قال : (ولو كانت لهم أفهام ، ورُزقوا معرفة بدين الإسلام . . لكان لهم من أنفسهم وازعٌ ؛ لظهور التهافت على مقالاتهم ، وعمومِ البطلان لكلماتهم)[1] .

والإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى كان من كبار الأئمة المنافحين عن عقيدة أهل السنة والجماعة والذابِّين عنها بالنقل والعقل ؛ فهو إمام الدين ، وسراجُ ذوي اليقين ، ومحيي السنة ، وقامع البدعة ، وناصرُ الحقِّ ، وناصح الخلق ، وهو الذي ذبَّ عن الدين بأوضح حُجَج ، وسلك في قمع المبتدعة وسائر أنواع المعتزلة أبينَ نَهَج ، واستنفد عُمُره في النُّصح يفحص عن الحق ، وأورث المسلمين بعد وفاته كتبَهُ الشاهدة بالصدق .

فالإمام الأشعري يُعتبر رمزاً من رموز أهل السنة والجماعة ورؤوسِهم الكبار ، ومن يطعُن فيه فإنما يطعُن في مذهب أهل السنة المُتمثِّل بمذاهب الصحابة والتابعين وغيرهم ، فالإمام أبو الحسن لم يُحدِث في دين الله حَدَثاً ، ولم يأتِ فيه ببدعة ، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ، ومَنْ بعدهم من الأئمَّة في أصول الدين ، فنصرها بزيادة شرح وتبيين ، مؤكِّداً أنَّ ما قالوه وجاء به الشرعُ في الأصول صحيحٌ في العقول ، خلافَ ما يزعمه أهلُ الأهواء ، فكان في بيانه تقويةُ ما لم يستدلَّ عليه أهل السنة والجماعة ، ونصرةُ مَنْ مضى من الأئمَّة ؛ كأبي حنيفة والشافعي وغيرهما رحمهم الله تعالى .

---

(١) العواصم من القواصم (ص٢٠٨ ، ٢١١) ، وراجع هـٰذه القاصمة ففيها كلام نفيس مُشبَع لما نحن بصدده ها هنا .

هـٰذا ؛ ومن جملة الفتن العديدة التي ابتُليت بها أمتنا الإسلامية من قِبَل المُجسِّمة. . فتنةُ وبدعةُ ابن تيمية الحرَّاني ، بل لعلَّ فتنته كانت أخطرَها وأشدَّها فتكاً ؛ إذ تطايرَ شررها إلىٰ زماننا هـٰذا ، وعاثت فساداً في كل قُطر وناحية .

وكتابُنا هـٰذا من جملة الكتب العديدة المؤلَّفة في الرد علىٰ بعض ابتداعاته في أصول الدين ؛ وخصوصاً في « فتواه المصرية » التي تكلَّم فيها علىٰ صفة كلام الله ، وصفة الاستواء ، والتأويل في ظواهر النصوص المتشابهة .

وقد جاء ردُّ مؤلف الكتاب مُختصَراً موجَزاً ، وهو عبارة عن نُتَف مقتضبة تردُّ ما جاء في « فتواه » المذكورة ؛ قال المؤلف رحمه الله مخاطباً ابن تيمية : (هـٰذه نبذةٌ أظهرتُ فيها فضائح كلامك ، ولُمعةٌ بيَّنتُ فيها سوءَ فهمك وإفهامك ، وصنعةُ الزَّغَل تنفضح بسبك المثقال من بَهْرجها ، وغِشُّ البضاعة يظهر باليسير من أُنموذجها ، ولم أتركِ استيعاب التتبُّع إبقاءً عليك ، ولـٰكن إبقاءً لغيري ليتسرَّع إليك ، ولو كانت لك مروءةٌ لانزجرتَ ببعض ما وقع واكتفيت ، ولـٰكن ما لجرحٍ إيلام بمَيْت)[١]

وكان مؤلفنا الإمام ابن المُعلِّم لا يرى ابن تيمية أهلاً للردِّ عليه ، بل لم يظهر عنده بمظهر العالم ؛ قال رحمه الله تعالىٰ : (ولمَّا وردت عليَّ فُتياه الفاتنة ، التي أبان فيها عن مُجاهرة ومُباينة ، وعُرض عليَّ ما روَّجَه ، وأظهر نقدُ التأمُّل بهرجَه. . تروَّيت في تنخيله بالمجاوبة أياماً ، وتردَّدت في تأهيله للمخاطبة إقداماً وإحجاماً ، ثم رأيتُ أن الردَّ عليه من فروض الأعيان ، وأن التخاذل في هـٰذا الأمر من أمارات الخِذلان ، وأن السكوت عنه ممَّا يجرُّهُ إلى الزيادة من الجُرْأة ، وما العُذْر والمُقابَلُ في صورة الرجل ومِرَّة المرأة ؟! وربما تخيَّل

---

(١) انظر (١/١٣٣) .

الاحتقارَ عجزاً ، من لا يفهم إشارة ولا رمزاً)[1] .

وكان الهدفُ من هـٰذا التأليف بالإضافة إلى الرد على الفتوى المذكورة : تأليفَ قلوب بعض التائبين من أتباع ابن تيمية ، وتعريفَهم الحقَّ والصوابَ اللذين عليهما العلماءُ الراسخون ، والأئمة العارفون ؛ قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ : (ولمَّا رأيتُهم حلُّوا ما عقدتَهُ من عقيدتك المنقوضةِ الأمراس ، وحَلُّوا حرم أهل السنة الذي هو أمنٌ ومَثابةٌ للناس ، ورأيتُ شغفهم بشرفهم بالرضا ، وكَلَفَهم بأَسَفهم علىٰ ما ضاع من زمنهم ومضىٰ ، ورغبتَهم في التعرُّف والاستفادة ، وتشوُّفَهم إلى الضيافة التي هي أدنىٰ حقوق الوفادة . . حداني جميلُ قصدهم علىٰ إسعافهم ، وحَمَلَني حسنُ نيتهم علىٰ إجابتهم وإتحافهم ، فألَّفت هـٰذا الكتاب لإيلافهم)[2] .

وبعد ردِّ المؤلف على ابن تيمية ، وإتيانه علىٰ « فتواه » ، وتزييف أنموذج منها . . بوَّب الكتاب أبواباً عديدة ، أتىٰ فيها بأبحاث مفيدة ، وتحقيقات سديدة ، وتراجمَ مجيدة :

فتكلَّم في الباب الأول : علىٰ ما يُؤيِّد التأويل من جهة النقل ، وقدَّم لذلك مقدمةً قال فيها : (نحن نسرُد عليكم آياتٍ من الكتاب العزيز ، وأخباراً وردت عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن أنتم حملتموها علىٰ ظاهرها جرياً علىٰ قاعدتكم الواهية ، واتِّباعاً لفئتكم الغاوية . . فقد أَبَقْتُم من مولاكم أشدَّ إباق ، واستوجبتم ضرب الأعناق ، وإن جنحتم إلىٰ تأويل مشكلها ، وجمحتم عن حملها على الظاهر من مَحْملها . . فنقول : أيُّ دليلٍ

---

(١) انظر (١ / ٥٨) ، وللإمام الكبير المجتهد تقي الدين السبكي مثلُ هـٰذا الصنيع أثناءَ ردِّه علىٰ بعض ما ذهب إليه ابن تيمية . راجع « فتاوى السبكي » (٢ / ٢١٠) .

(٢) انظر (١ / ١٤٠) .

دلَّكم عليه ؟ وأيُّ هادٍ أرشدكم إليه ؟)[١]

وتكلَّم في الباب الثاني : علىٰ ما يُؤيِّد التأويل من جهة العقل ، ولم يستقصِ جميع الأدلة ، بل أشار إلىٰ لُمعة منها .

وتكلَّم فيه أيضاً : علىٰ بعض المبتدعة المنكرين الخوضَ في علم الكلام ، مُستدلِّين بظواهرَ وردت عن بعض أئمَّة السلف ، وقدَّم لذلك مقدمةً قال فيها : (إنَّ قوماً ممن ينتمي إلىٰ علم من المُتأخِّرين . . أنكروا الخوض في علم الكلام والاستدلالات العقلية ؛ اعتقاداً منهم أن ذلك خارجاً عن الكتاب والسنة ؛ حتىٰ إنهم صنَّفوا في ذلك مصنَّفات لا حاجة إلىٰ تَعدادها ولا إلىٰ ذكر مُصنِّفيها ، جامدين علىٰ ظاهرِ ما نُقل عن أوائل العلماء)[٢]

وتكلَّم في الباب الثالث والرابع والخامس : علىٰ مَنْ قال بالتأويل من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وقدَّم لذلك مقدمة ذكر فيها : أن القرآن نزل علىٰ قومٍ هم أفصحُ الفصحاء ، وأوسعُهم ذهاباً في التعبير عن الإرادات ، وتمكُّناً من طَرَفَي الإسهاب والإيجاز ، وأنواعِ الحقيقة والمجاز ، وتحليةِ عقود الكلام ، من النثر والنظام ، بأنواع جواهر التشبيهات ، وشذور الاستعارات ، وضروب يواقيت المبالغة والإشارات ، وغير ذلك من البديع والبيان الذي هو سحر الأفهام ، وأصحُّهم فهماً لما يسمعونه من الكلام ، وأكثرُهم إصابةً لأغراض المُتكلِّمين ، وسبقاً إلىٰ إدراك المراد في العبارات الغامضة والمعاني الدقيقة .

فكلُّ خفيٍّ علينا جليٌّ عندهم ؛ لأنها عنهم نشأت ، ومنهم تُلقِّيت ، وبألسنتهم ظهرت ، ومن أفواههم تُلقِّفت ؛ فالمعاني بألفاظها ينطقون ،

---

(١) انظر (١/ ١٤٧)

(٢) انظر (١/ ١٨١) ، وما علَّقته علىٰ نصب قوله : (خارجاً)

ويريدونها بعبارتهم إذ يُطلِقون ، وكما يريدونها بقولهم يفهمونها من غيرهم إذا قالها ، **ويحملونها على المعنى الذي أراده من غير تعليم ولا تفهيم** ، ولا سؤال عنها ولا جواب(١)

ثم أورد نماذجَ عديدةً من أشعار العرب الفصحاء ، التي هي من جنس ما نزل به القرآن ، مما يدرك معاصرو التنزيل من الصحابة ، وقريبو العهد بهم من التابعين وتابعيهم . . أنَّ الظاهر منها مستحيل غيرُ مراد ، وأنه مؤول .

ومن جملة هـٰذه النماذج : قول القائل : (من مجزوء الكامل)

كشفَتْ لهم عن ساقِها وبدا مِنَ الشرِّ الصُّراحُ

ومراده : شدةُ الأمر والإقدام في المحاربة والتشميرُ فيها ، **لا العضوُ المخصوص** ؛ لأن المحاربة معنىً من المعاني ، **فيستحيل وصفها بوصف الأجسام** ، وإنما كنىٰ عن الاهتمام بأمر الحرب والقوةِ فيها ، كما أنَّ المُسرِع في الأمر المهتمَّ به يُشمِّر ويكشفُ عن ساقه ؛ ليكون ذلك عوناً له على الأمر العظيم الذي أقدمَ عليه ، **فهـٰذا مقرَّر عندهم** .

فإذا سمع هـٰذا القائل قوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم : ٤٢] . . **فَهِمَ** المعنىٰ من غير أن يُعرَّف به ولا يسألَ عنه ؛ لأنه يعلم أنَّ ظاهر هـٰذا الكلام مستحيلٌ على الله تعالىٰ ، فهو يجنح إلىٰ تأويله ، ولا يسبق فهمه إلا إليه(٢) .

وذكر في الباب السادس : نبذةً موجزة عمَّن خاض في المعارف وذَكَرَ منها ما وافق مُعتقَدَ أهل الحق من علماء الكلام ، وقسمهم إلىٰ قسمين ؛ قسم هذَّبوا معارفهم بالعلوم وأخذوها عن المشايخ ، وقسم لاحت لهم أنوار الهداية ، وقادهم دليل العناية ، فظهرت ينابيع الحكمة من قلبهم علىٰ لسانهم ، وحُفظوا

---

(١) انظر (١/ ٢١١ـ٢١٢) .
(٢) انظر (١/ ٢١٢ـ٢١٣) .

في ذلك من الوقوع فيما يُنتقد عليهم ، ويَتطرَّقُ به الخللُ إليهم .

وتكلَّم في الباب السابع : علىٰ فضل إمام أهل السنة والجماعة ؛ الإمام المُجدِّد أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالىٰ ، وهٰذا الباب مُلخَّص مما أورده الحافظ الكبير الحُجَّة أبو القاسم ثقة الدين ابن عساكر في كتابه النفيس القيِّم « تبيين كذب المفتري فيما نَسَب إلى الإمام الأشعري » ، مع ضمِّ المؤلف لنصوصٍ وأشعارٍ خلا منها .

وعقد في هٰذا الباب فصولاً تكلَّم فيها : علىٰ طريقته في زهده وعبادته ، وفي خوضه مع أهل البدع ، وأورد فيها ثناءاتِ أساطين العلماء ونضالَهم عنه موثَّقاً كثيرٌ من ذلك بخطوطهم الشريفة ، وأقلامهم المنيفة .

وتكلَّم في فصل منها : علىٰ بعض مُصنَّفاته النفيسة التي لاقتِ القبولَ وعدمَ الانتقاد ؛ لما أُجمع له من صحة المذهب والاعتقاد ، وختم هٰذا الفصل بقوله : (وعلى الحقيقة : فجميعُ المصنفات بعده في الأصول علىٰ طريقة أهل السنة . . منسوبةٌ إليه ؛ لأنها بمذهبه تنطق ، وعنه تُناضل ولهُ تُحقِّق ، ومن بحره تغترف ، وله بالسبق إلى الهداية تعترف . . .)(١)

وذكر في الباب الثامن : أساطينَ أئمة الأشاعرة أتباعَ الإمام أبي الحسن الأشعري رحمهم الله تعالىٰ ، وقسَّمهم علىٰ خمس طبقات ، وهٰذا الباب أيضاً مُنتزَع ومُستلٌّ من كتاب الإمام الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالىٰ ، مع زيادات نفيسة ليست موجودة فيه ، بل لا إخالُها موجودةً في المصادر والمراجع .

وذكر في الباب التاسع : جماعةً أخرىٰ من أئمة الأشاعرة ممَّن لم يذكرهم الحافظ ابن عساكر في « تبيينه » ، وممن جاؤوا بعده إلىٰ حدود سنة (٦٦٤هـ) .

ومن هٰؤلاء الأئمة : الإمام المُتكلِّم الفقيه إسماعيل بن عبد الملك الطوسي

---

(١) انظر (١/ ٣٤٩) .

الحاكمي ، والإمام الحافظ المُؤرِّخ الأديب أبو الحسن عبد الغافر الفارسي ، والإمام الفقيه الأصولي المُتكلِّم أبو عبد الله المازَري ، والإمام المُتكلِّم أبو الفتح الشَّهْرَسْتاني صاحب « الملل والنحل » ، والإمام الفقيه الأصولي سديد الدين السَّلَماسي ، والإمام الفقيه القاضي المفتي أبو سعد ابن أبي عَصْرون ، والإمام الفقيه الصوفي نجم الدين الخُبُوشاني ، والإمام العارف المُربِّي الصوفي أبو مدين التِّلِمْساني ، والإمام قاضي القضاة صدر الدين الماراني ، والإمام الكبير الحُجَّة رأس المُتكلِّمين المُجدِّد فخر الدين الرازي ، والإمام الفقيه الأصولي المُتكلِّم سيف الدين الآمدي ، والإمام المُقرئ المُؤرِّخ شهاب الدين عبد الرحمـٰن أبو شامة ، والإمام الفقيه الأصولي المُتكلِّم سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، والإمام الحافظ الفقيه المفتي المؤرِّخ زكي الدين عبد العظيم المنذري ، وغيرهم الكثير رحمهم الله تعالىٰ ورضي عنهم ، وقد ذكر في هـٰذا الباب حوالي (١٣٦) ترجمة ، وضمَّ تراجمَ نادرةً ليست موجودة إلا في كتابنا هـٰذا ، بل حوت التراجم المعروفة نصوصاً عزيزة ، وأشعاراً نادرة؛ مثل قصيدة الإمام أبي شامة في الرد علىٰ نجم الدين بن حمدان الحنبلي .

وذكر في الباب العاشر : كبار أئمة الأشاعرة ممن أدركهم من علماء عصره ، وشاهدهم من صلحاء مِصْره ، وقال رحمه الله تعالىٰ : (هـٰذا ؛ ولم أَسْتنجِدْ إخواننا من المغرب الأقصىٰ ، ولم أَسْترفِدْ جيرانَهم من المشرق الذين هم لمساويهم أجمعُ وأحصىٰ ، ولم أستدعِ علماء الحجاز واليَمَن ، الذين يشرون نفوسهم ابتغاءَ مرضاة الله بغير عَرَض من الدنيا ولا ثَمَن ، ولم أَسْتنهِضْ بقيَّة علماء هـٰذا العصر ، ولم أستوعب مَنْ مضىٰ مِنْ أحبار هـٰذا المِصْر ، الذي لا تظهر فيه بدعةٌ إلا نُكِّست رايتُها ، وكان إلى الخمول مآلها وغايتُها)[1] .

(١) انظر (٢/٣٠٦) .

وهـٰذا الباب من الأبواب النفيسة في الكتاب ، وله قيمة أدبية وتاريخية كبيرة ؛ إذ ضمَّ في جنباته تراجمَ لكبارِ علماءِ عصره ، حَوَتْ في طيَّاتها نصوصاً قيمةً عزيزة المنال ، وأشعاراً بليغةً صعبةَ النوال .

ومن جملة أشعاره النادرة : قصيدة طنَّانة أوردها المؤلف للإمام الشاعر البارع شرف الدين البوصيري في مدح الإمام الكبير العارف المُربِّي شمس الدين أبي عبد الله ابن النعمان التِّلِمْساني المصري ، وعدد أبياتها (٤٥) بيتاً ، ومن هـٰذه الأبيات[١] : (من البسيط)

الحمـدُ للهِ فـي سـرٍّ وفـي عَلَـنِ ... حمداً يقومُ بحقِّ الفضلِ والمِنَنِ
وجـلَّ مَـنْ شُكـرُهُ أثمـانُ نعمتِـهِ ... ويـا لَهـا نِعَمـاً جـاءَتْ بـلا ثمـنِ
أعيا الخلائقَ أن يُحصوا لها عدداً ... سِيَّـانِ ذو لَكَـنٍ فيهـا وذو لَسَـنِ
فافطَنْ لألطافِ ربِّ العالَمينَ فما ... تكـادُ ألطـافُهُ تخفـىٰ علـىٰ فَطِـنِ
وأزهدُ الناسِ في الدنيا امرؤٌ عزفَتْ ... عن لَيِّنِ نفسُهُ فيها وعن خَشِنِ
محمـدٌ وإلـى النعمـانِ نِسْبتُـهُ ... نعمَ الإمامانِ مِنْ أصلٍ ومِنْ فَنَنِ
أخبارُهُ في الورىٰ طابتْ ومَخْبرُهُ ... ففضلُهُ مِلْءُ عينِ الدهرِ والأُذُنِ

وعقد الباب الحادي عشر : للكلام علىٰ ما أورده المشبِّهة من أحاديثَ لفَّقوها ، وزياداتٍ علىٰ ما في الصحيح زعموا أنهم من الرواة تلقَّفوها ؛ قال رحمه الله تعالىٰ : ([اعلم أرشدنا الله] وإياك : أن بعض المبتدعة أوردوا أحاديث مُلفَّقة ، برواياتٍ غيرِ مُتقَنة ولا مُحقَّقة ، مُروِّجين لبهرجها على الأغبياء لا على النُّقاد ، مُخرِّجين لها وهي معلولة المتن والإسناد ، تقشعرُّ الجلود من سماعها ، ويُتحقَّق وضعُها من فساد أوضاعها ، والعبدُ بعون الله

(١) انظرها كاملة في (٢/ ١٧٢ـ ١٧٤) .

ومشيئته يُبيِّن بَهْرجها ، ويفضح بها من خرَّجها)[1] ، وبعضُ هـٰذه الأحاديث ضمَّنها ابن تيمية في « فتواه » التي أشرنا إليها سابقاً [2] .

وعقد الباب الثاني عشر : للإجابة عن المسائل الأربع التي أفتىٰ بها ابن تيمية علىٰ خلاف معتقد أهل السنة والجماعة ، والتي سُجن بسببها ، وأفاض فيها المؤلف بالاستدلال على الكلام النفسي ، والحديث عن صفة الاستواء ، وختم الباب بجُمَلٍ وعبائرَ وردت عن العلماء والمشايخ تشهد بقواعد عقائدهم .

وأورد في الباب الثالث عشر علىٰ سبيل الإيماء والإشارة : تأويلاتٍ لظواهر الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التي ليس في أسانيدها ومتونها علةٌ أو قدح ، ولم يستوعب أقوال العلماء في هـٰذه التأويلات ، بل ذكر ما فيه مقنع لكل فاهم لبيب ، ونموذجاً يندرج في جنسه كلُّ ظاهر غريب .

وقدَّم للباب كلاماً نفيساً حول الإجابة عن الحكمة في العدول عن الباطن السالم من التأويل إلى الظاهر المؤوَّل .

وخصَّص الباب الرابع عشر : في الكلام علىٰ ما يُؤدِّي إليه مذهب المجسمة ـ وعلىٰ رأسهم ابن تيمية ـ في المسائل الأربع التي أفتوا بها .

وذكر في الباب الخامس عشر : فتوىٰ منقولةً من خطوط كبار الأئمة في حكمِ من لعن الأشاعرة أو كفَّرهم ، وحكمِ من يقول : إن الله مُتكلِّم بحرف وصوت ، وحكمِ من يقول : إن أصوات الآدميين في القراءة وغيرها قديمة ، وحكمِ من يقول : إن إيمان العباد بالله ورسوله قديم أزلي ، وحكمِ من يقول : إن الله صورة لا كالصُّوَر ، وحكمِ من يقول : إن صوت القارئ هو صوت الله

---

(١) انظر (٢/٣٠٩) .

(٢) انظر (٢/٣١٩) .

على الحقيقة ، وحكمِ مَنْ نسب بعضَ هٰذه المقالات إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه .

ويمتاز هٰذا الباب : بإيراده فتوىٰ نادرةً مُفصَّلة للإمام أبي الطاهر الحاكمي رفيقِ وقرين الإمام الغزالي رحمهما الله تعالىٰ تجاوزت العشرين صفحة ؛ في الإجابة على المسائل السابقة ، وقال رحمه الله تعالىٰ بعد إيرادها تامَّة : (ولم أُطِلْ بذكر فتياه على التمام والكمال إلا لأُظهِرَ كلامه ؛ فإنِّي لم أقف له علىٰ تصنيف غير هٰذا ، وسألت من جماعة عنه ، فلم أسمع من رأىٰ له تصنيفاً غير هٰذا ، وهو جليل القدر)[١]

وختم هٰذا الباب بقوله : ([فهٰؤلاء] رحمكم الله فتاوىٰ أهل الأمصار ، وأقوالُ أهل الأعصار ، سلفاً وخلفاً ، وماضياً وآنفاً ، طبقةً بعد طبقة ، مُبيِّنةٌ لحكم الله فيكم مُحققةٌ ، نقلَها غابرٌ عن غابر ، وآثرٌ عن داثر ، شاهدةً بما سمعتم ، فلا نبالي بئستُم بها أو نعمتُم ، ولعمرُ الله ؛ إنَّ تظافُرَ أرباب المذاهب على اختلافها ، واجتماعَ أقوال الأئمة وائتلافَها ، واتِّفاقَ خلفها مع أسلافها . . ينوب عن الإجماع ، ويدفع عوادي المماراة والنزاع ، وإنَّ الأمة لا تُجمِع على الخَطَا ، وإنها في ذلك أصدقُ من القَطَا)[٢]

وحذَّر في الباب السادس عشر ـ وهو آخر الأبواب وخاتمة الكتاب ـ : من فئتهم المُضِلَّة ، وبدعتهم المُذلَّة ، وأنكر فيه علىٰ سالك سنتهم ، ومقتفي طريقتهم ، وذكر ستة فصول قيمة في ذلك ، وأورد في الفصل الرابع منها : نماذجَ من مكايدهم وفتنهم علىٰ ما هو منصوصٌ ومُوثَّق في كتب التواريخ وغيرها ؛ ومنها : مكيدتهم وفتنتهم زمنَ الإمام أبي القاسم القشيري ،

---

(١) انظر (٢/ ٤٦١)

(٢) انظر (٢/ ٤٧٧) .

ومكيدتهم وفتنتهم زمنَ ولده الإمام أبي نصر القشيري ، ومكيدتهم وفتنتهم زمنَ الإمام فخر الدين الرازي ، ومكيدتهم وفتنتهم زمنَ الإمام سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام ، وهي من الفتن الشديدة علىٰ أهل السنة والجماعة ، وأفاض المؤلف في ذكرها وتفصيل أحداثها .

وذكر في الفصل الخامس : نماذجَ من شؤم المُشبِّهة على العباد والبلاد التي حلُّوا بها وهاجروا إليها ، وفي هـٰذا الفصل ذكرىٰ لأولي الألباب ، وعبرة لذوي الأبصار .

وذكر في الفصل السادس : ما عامل به ولاةُ الأمور في سالف الدهور المُجسِّمةَ والمُشبِّهة ، وصولاً إلى ابن تيمية ومن لَفَّ لفَّهُ ، ونقل المرسوم السلطاني الصادر في حقه وحقِّ أتباعه .

وفي الورقتين الأخيرتين من الكتاب نصُّ توبة ابن تيمية منقولةً عن خطه ، واعترافُهُ برجوعه عن « فتواه » السابقة ، وذُيِّلت هـٰذه التوبة برسوم شهادات كبار الأئمَّة علىٰ توبته واعترافه ؛ ومنهم : الإمام أقضى القضاة نجم الدين ابن الرفعة ، وقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة ، والقاضي شمس الدين ابن عدلان الكناني ، وغيرهم رحمهم الله تعالىٰ ورضي عنهم .

وفي الخلاصة : فالكتابُ جاء ردّاً على ابن تيمية في « فتواه » المتعلقة بكلام الله ، ومسألتي الاستواء والتأويل للنصوص المتشابهة ، وضمَّ في طيَّاته وثناياه : نصوصاً نفيسةً، وقصائدَ نادرةً، وقصصاً عجيبةً، وحكايا غريبةً ، ومباحثَ مفيدةً ، وتحقيقاتٍ سديدةً ، كما ضمَّ : تراجم لكثيرين من أساطين أئمَّة الأشاعرة أهل السنة والجماعة ، الذين كان لهم دورٌ كبير في رُقيِّ المجتمع وتزكيته ، ونشرِ العلم، ومحاربةِ البدع وأهلها ، والحدِّ من انتشار وبائها في جسد العالم الإسلامي .

* * *

منهج العمل في تحقيق الكتاب

تمَّ بحمد الله تعالى اعتماد نسختين خطيتين في إخراج الكتاب وتحقيقه لم يتوفَّر لي غيرهما ، بعد البحث في كتب الببليوغرافيا المكتبية العامَّة والخاصَّة ، وسؤالِ بعض الإخوة ذوي الاختصاص بتوفير المخطوطات النفيسة القيِّمة ، والنادرةِ الصعبةِ المنال .

ثم مشيتُ بعد ذلك علىٰ خُطاً علمية دقيقة وثابتة في كافَّة مراحل تحقيق الكتاب ، وخصوصاً أنه لم يرَ النور قبل ذلك ، ولم يبرز إلىٰ عالم الطباعة ، **بل كان حبيسَ قرونٍ متطاولةٍ نافت على السبعة** ، إلىٰ أن هيَّأ الله لي **بثَّ الحياة فيه وبعثَهُ من سُباته** بعد تلك الحقبة التاريخية المديدة .

وأهمُّ المراحل والخطوات التي اتَّبعتُها في تحقيقه . . تجلَّت في الآتي :

- **نسخُ الكتاب ، ثم مقابلتُهُ على المخطوطتين (أ) و(ب) مقابلةً متأنِّية .**

- **حلُّ فروق النسختين بعد التحقق منها** ؛ من خلال الرجوع إلى النسختين مرةً ثانية وتقليبِ النظر فيهما ، **وإثباتُ الفروق والمغايرات التي تُضفي معنىً جديداً** ، وغالبُ هـٰذه الفروق من النسخة (ب) ، **وحاولت الابتعاد قدر الإمكان عن منهج التلفيق** ؛ وذلك لتوفُّر النسخةِ الأم التي كتبت بخط المؤلف .

- **تخريجُ الآيات القرآنية** ؛ بذكر اسم السورة ورقم الآية في صلب الكتاب ضمن معقوفين ، **وحصرُها بين قوسين مزهرين** ، ورسمها برسم المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم ، وقد تكون الرواية بعضَ الأحيان عن غيره

فأثبتُّها كما أراده المؤلف ، وهي قليلة جدّاً .

ـ **تخريجُ الأحاديث والآثار المصرَّحِ بها** ، أو المشار إليها أحياناً ؛ بالعزو إلىٰ أمَّات المصادر والمراجع المعتمدة في ذلك .

ـ **توثيقُ نقولات العلماء والأئمَّة** وقصصهم وأخبارهم ؛ بالتحقُّق من نسبتها إليهم ، ثم مقابلتِها علىٰ أماكن وجودها في كتب المصادر والمراجع أو المصادر التي نصَّ المؤلف على الأخذ منها ، ثم تخريجها في الحاشية مع إثبات بعض الفروق المفيدة والمهمة إن وجدت ، وكثيرٌ من هـٰذه النقولات والأخبار لم أتمكَّن من تخريجها ؛ **لكونها مما انفرد المؤلف بإيرادها ، وهـٰذا من جملة ما يمتاز به كتابنا هـٰذا** .

ـ **تخريجُ الأمثال والأشعار التي صرَّح بها المؤلف أو أشار إليها واستطعنا الوقوف عليها** ؛ بالعزو إلى المصادر والمراجع الأدبية أو الدواوين الشعرية ، **وهـٰذه الخطوة من المراحل المهمة في تحقيق الكتاب** ؛ إذ تمَّ الوقوفُ علىٰ كثير من العبارات ، والتحقُّق منها ، وإزالةُ الشك واللَّبْس في رسمها وفهمها .

ـ **زيادةُ بعض الكلمات والعبائر المهمة والضرورية التي تتناسب مع السياق** ، وجعلها ضمن [] ، ولا أصرِّح بمصدر الزيادة غالباً ، وخصوصاً إذا تم توثيقُ وتخريجُ السياق الواردة فيه .

ـ **تصحيحُ الأخطاء الإملائية والنحوية أو التحريفات والتصحيفات** ، وجعلُ المُصحَّح ضمن معقوفين غالباً ، مع الإشارة بعضَ الأحيان إلىٰ هـٰذا التصرف في الحاشية ، وإذا كانت الكلمة محتملة وجهاً نحوياً ولو بعيداً . فإني أبقيها كما هي في الغالب مع الإشارة إلىٰ وجهها النحوي في الحاشية .

ـ **تتميمُ البياضات والفراغات الموجودة في النسختين الخطيتين ، وجعلها بين معقوفين** [] ، أو الإشارة إلىٰ مضمونها في الحاشية إن تهيَّأ وتيسَّر لي ،

مع توثيق ذلك غالباً من المصادر والمراجع ، وأما إذا لم أستطع الوصول إليه فإنني أجعله بين معقوفين هـٰكذا : [. . .] .

ـ عنونةُ جميع الفصول والتنبيهات الواردة في الكتاب ، وجعلُها ضمن معقوفين [] ، وإضافةُ عناوينَ جديدةٍ شاملة لمقاطع الكتاب الرئيسة والفرعية ، ويشمل ذلك إضافةُ عناوينَ لبداية ترجمة بعض الأعلام مما لم يذكره المؤلف ، وأغلبُ ذلك واقع في الباب الثالث والرابع والخامس والسادس والعاشر .

ـ نسبةُ الأبيات الشعرية إلىٰ بحورها ، مع ضبطها بالشكل ضبطاً تامّاً ، وقد تعنَّيت كثيراً في ضبط الأشعار التي انفرد بها المؤلف ولم أستطع الوقوف علىٰ مصادرها ؛ كأبيات سراج الدين الوراق مثلاً ؛ وخصوصاً تلك التي ذُكرت في هامش النسخة (أ) ، ويوجد سقط في بعض الأبيات لم أهتدِ إليه ، فتركته بين معقوفين هـٰكذا : [. . .] .

ـ شكلُ الكتاب شكلاً إعرابيّاً كاملاً ، وشكلاً صرفيّاً لبعض الأبنية الموهمة ، ومن المعلوم والمألوف : أن الأسجاع مبنية علىٰ سكون الأعجاز ، ومع ذلك : فإنَّني خرجت عن هـٰذا المألوف فضبطت أواخر جميع الكلمات ؛ إفادةً للقارئ ، واستئناساً بوضع علامات الترقيم التي تفصل بين جُمَل السجع .

ـ تليينُ الكتاب من خلال ترقيمه ترقيماً دقيقاً محكماً ، ويدخل في ذلك تقسيمُهُ إلىٰ فقراتٍ ومقاطعَ تُعِينُ القارئ على الإلمام بأفكار الموضوع وعدمِ تشتُّت ذهنه عند تناوله والبحث فيه .

ـ شرحُ الكلمات الغامضة والعبارات الموهمة ، وقد رجعتُ في ذلك إلىٰ بعض المعاجم اللغوية والشروح الحديثية وغيرها ، ولا أنصُّ علىٰ نقلي منها في الغالب .

ـ إثراءُ الكتاب ببعض التعليقات العلمية المهمة ؛ وهي عبارة عن تأييد لما ساقه المؤلف ، أو استكمالٍ لفكرة لم يذكرها ، أو تنبيهٍ علىٰ ما ورد في بعض المصادر والمراجع ، أو تنبيه علىٰ وهم وقع فيه المؤلف ، أو ترجمة موجزة لبعض الأعلام ، ورجعت في بعض هـٰذه التعليقات إلىٰ ما سَطَره الإمام العلامة محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالىٰ في تعليقاته على « السيف الصقيل » وغيره أثناءَ ردِّه على المبتدعة والمجسِّمة .

ـ إفراد بحث بدايةَ الكِتاب للتعريف بمضمونه ، وذكرت فيه أهمَّ ما حام حولَه ، وأبرزَ ما ضمَّنْته أبوابه .

ـ إحالةُ جميع ما صرَّح المؤلف بتقدُّمه أو تأخُّره ؛ وذلك من خلال عزوه إلىٰ مكانه المحدَّد أو المناسب .

ـ تزيينُ الكتاب باللون الأحمر العريض للعناوين الرئيسة والفرعية ، والكلمات والعبائر المهمَّة ، والألفاظ المشروحة في الهامش .

ـ ترجمة مؤلف الكتاب ، وحاولت فيها إزالة الغموض عن المؤلف قدر الإمكان ، والاعتمادُ الرئيس في هـٰذه الترجمة علىٰ كتابنا هـٰذا من مواضعَ متفرقةٍ منه .

ـ تذييلُ الكتاب ببعض الفهارس العلمية المفيدة للقارئ والباحث علىٰ حدٍّ سواء ؛ وهي فهرسٌ للآيات القرآنية ، وفهرسٌ لأطراف الأحاديث النبوية ، وفهرسٌ للأعلام المترجمين في الكتاب ، وفهرسٌ للأشعار وأوائل القصائد ، وفهرسٌ لأسماء الكتب التي ذكرها المؤلف ، وفهرسٌ لأهم مصادر ومراجع التحقيق ، وفهرسٌ عام لمحتوى الكتاب .

هـٰذا ؛ ولم أتطرَّق في مقدمات الكتاب إلى ذكر عصر المؤلف ، وأبرزِ من ردَّ على المُجسِّمة عموماً وابن تيمية خصوصاً ؛ لشهرة هـٰذين الموضوعين

واستفاضتهما ، وألمحت إلى ذلك تعليقاً في بعض المواضع من الكتاب .

وتأسِّياً بقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لم يشكرِ الناسَ لم يشكرِ اللهَ » . . فإنَّني أتقدَّم بالشكر الجزيل لصاحب دار التقوىٰ الأخ الفاضل لؤي الأحمر علىٰ جهوده الكبيرة في إخراج هـٰذا السِّفْر القيِّم النفيس ، كما أتقدَّم بالشكر لكل من ساهم في خدمته ولم يبخل بإبداء النصائح وإبراز الفوائد .

والمرجوُّ من القارئ النبيل والباحثِ الأصيل إذا عَثَر علىٰ خطأ أو زلل كبا به اليَراع . . أن يعفوَ ويصفح فإنَّ ذلك من شِيَم الطِّباع ؛ فإنَّني جَهَدتُ في إبراز الكتاب كما أراده مؤلفه ، وخصوصاً أنه يطبع أولَ مرة بعد قرون عديدة علىٰ تأليفه ، بل لعله لولا إحالةُ إمامنا الكوثريِّ عليه في بعض تعليقاته . . لما علمنا عنه خَبَراً ، أو وجدنا له أَثَراً ، ولكان في عِداد النسيان ، ومن جملة الكتب العديدة التي طواها المَلَوان .

وختاماً : فاللهَ أسأل أن يُجيرَنا من البدع المُوبقات ، ويَعصِمَنا من الفِتَن المُهلكات ، ويرزقَنا الإخلاص في الأقوال والأعمال والحركات والسكنات ، ويُثيبَنا من فضله جزيلَ الأجر وواسعَ الجنَّات ؛ بمنِّه وجوده وكرمه .

وصلّى الله على سيّدنا محمّد النبيّ المختار
وعلى آله وأصحابه المصطفين الأخيار

حُرِّر في :
(٩/ ١/ ١٤٤١هـ)
(١٠/ ٩/ ٢٠١٩م)

وكتبه
بلال محمّد حاتم السّقا

وصف النسختين الخطيتين

بعد البحث الحثيث في فهارس المكتبات العامة والخاصة ، وسؤال ومراجعة أهل الاختصاص بتوفير المخطوطات النادرة والنفيسة . . **لم يتوفَّر لديَّ سوىٰ نسختين خطيتين** ؛ إحداهما مكتوبة بخط المؤلف الإمام ابن المُعلِّم ، وأخرىٰ منسوخة عنها . **وإليك وصفَ هاتين النسختين** :

النسخة الأولىٰ

وهي نسخة **المكتبة الوطنية** (باريس ـ فرنسا) ، ذات الرقم (٦٣٨) ، وتتألف من (٣٢٨) ورقة ، ومسطرتها في غالب أوراقها : (٢٣) سطراً ، وعدد كلمات السطر الواحد : ما بين (٨ ـ ١٠) كلمات تقريباً .

وهـٰذه النسخة كتبت بخط المؤلف كما صُرِّح بذلك في طرتها ، وكما يظهر من خلال بعض الهوامش ، **ونصَّ المؤلف** علىٰ أن هـٰذه النسخة **تمَّ تبييضها عن نسخة مسوَّدة** كان قد ذكر فيها أسانيده للأحاديث والأخبار وكلام الصحابة والتابعين والعلماء ؛ قال رحمه الله تعالىٰ : (كنتُ أردتُ أن أذكر في كل حديث وخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي كل كلام للصحابة والتابعين والعلماء الآتي ذكرُهم في هـٰذا الكتاب . . الأسانيدَ المُوصِلةَ ذلك إليَّ ، فمنعني بعض الفضلاء وقال : لا تفعل ؛ فإنه يُفضي إلى التطويل ، **فحذفت الأسانيد بعد أن كنت أثبتُّها في المسودة** ، ولم أذكر شيئاً من ذلك إلا ولي به سند متصل إلىٰ قائله ، **فليُعلم ذلك**)[1]

---

(١) انظر (١/ ٧٩) تعليقاً .

والذي ظهر لي أثناء العمل بالكتاب : أن هـٰذه الإبرازة التي بأيدينا لم يُتَحْ للمؤلف أيضاً تبييضها تبييضاً تامّاً ؛ إذ نجد بعض الفراغات المُتفرِّقة في الكتاب ، وهي متفاوتة الحجم والمقدار ، ولعل المؤلف لم يتسنَّ له استكمالها ؛ إمَّا لعدم الظَّفَر بها ، وإمَّا لعدم تيسُّر الرجوع إليها ؛ فعلىٰ سبيل المثال قال مُهمِّشاً علىٰ أحد البياضات والفراغات : (كان الحكم مذكوراً في الأصل فكُشط ، ولم أعلم ما هو حتىٰ أكتبه ، فليُكشف من نسخة أخرىٰ وليُلحق به)[١] ، وقد تعاملت مع هـٰذا بما ذكرته في منهج العمل في الكتاب .

وعلىٰ هامش هـٰذه النسخة : كثير من اللحوقات المصححة ، وقد تمَّ إدراجها في مكانها المناسب ، وبعضُ كلمات وعبائر هـٰذه الهوامش لم تظهر لي ظهوراً تاماً بسبب رداءة التصوير ، وقد تمَّ بفضل الله تعالى استدراك الكثير منها ؛ من خلال الرجوع إلى المصادر والمراجع .

ويوجد في ثنايا هـٰذه النسخة قصاصات ورقية بخط المؤلف ، وهي بحدود (٢٨) قصاصة ، وغالبُها عبارة عن تراجمَ مستدركةٍ علىٰ أصل الكتاب ، وقد نصَّ المؤلف في كثير من هـٰذه القصاصات علىٰ مكان المستدرَك من الأصل .

وخط هـٰذه النسخة نسخي علىٰ معتاد ذلك العصر ، وتمَّت كتابة عناوين الكتاب وبعض العبائر المهمة باللون الأحمر ، كما تمَّ ضبط بعض الكلمات ضبطاً دقيقاً ، ولعله من صنيع المؤلف ، وقد استفدت منه كثيراً أثناء تحقيق الكتاب ، وجاء كثير من الكلمات خالياً من النقط والإعجام ، ممَّا أدىٰ إلى استشكال وخفاء بعض الكلمات ، وتوارد احتمالين أو أكثر علىٰ بعضها الآخر ، وقد أشرت إلىٰ بعض هـٰذه الكلمات في الحاشية .

ومما يجدر التنبيه عليه : أنه حصل انقطاع في بعض المواضع القليلة في

---

(١) انظر (٢/ ٤٤٢) تعليقاً .

خاتمة اللوحة (أ) وبداية اللوحة (ب) ، مما يدل علىٰ سقوط بعض الأوراق من الكتاب ، ويُرجِّح وجودَ هـٰذا السقط إحالةُ المؤلف علىٰ بعض التراجم التي لم نعثر عليها فيه .

وجاء قبل طرة الكتاب : (كتاب « نجم المهتدي ورجم المعتدي » بخط مؤلفه رحمة الله عليه ؛ وهو الشيخ الإمام العالم العلامة ، وحيد دهره ، وفريد عصره؛ محمد بن محمد بن عمر بن عبد الخالق ، المعروف بـ« ابن المُعلِّم »، تغمَّده الله برحمته ، آمين ، آمين) ، وعليها تملُّك باسم أحمد المؤذن .

وأما طرة الكتاب : فهي مشابهة لما جاء قبلها ، وعليها تملُّك باسم الإمام المحدِّث المسند نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي المصري الشافعي[(١)] .

ورمزت لهـٰذه النسخة بـ (أ) ، أو (الأصل) بعض الأحيان .

ولا بدَّ من التنبيه : علىٰ أنه أثناء العمل بتحقيق الكتاب وصلتنا مصوَّرةُ دار الكتب المصرية ذات الرقم (١٣١٧) عن النسخة الفرنسية (أ) ، وقد صُوِّرت فيها كل صفحة علىٰ حدة ، مما أدَّىٰ إلىٰ ظهور بعض الهوامش المطموسة في النسخة (أ) ، والحمد لله علىٰ ذلك .

النسخة الثانية

وهي نسخة دار الكتب المصرية (القاهرة ـ مصر) ، ذات الرقم (١٩٤٣٥) ، قسم (علم الكلام) ، وهـٰذه النسخة منقولة من منسوخة محفوظةٍ في دار الكتب المصرية برقم (١٣١٧) ، مصورةٍ عن النسخة الفرنسية ، وهي النسخة (أ) السابقة .

---

(١) وكان هـٰذا الإمام من كبار أئمَّة عصره ، وانتهت إليه الرئاسة في علم الحديث والتفسير والتصوف ، توفي سنة (٩٨٣هـ) تقريباً . انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ٤٧) .

وتتألف هـٰذه النسخة من جزأين ، عدد صفحات الجزء الأول : (٦٠٨) ، والثاني : (٢٧٨) ، وهـٰذه التجزئة غير موجودة في النسخة (أ) ، وإنما هي من صنيع الناسخ .

وهـٰذه النسخة قريبة العهد من زماننا ؛ **إذ كان الفراغ من نسخها** في يوم الأربعاء (١٤) أكتوبر سنة (١٩٣٦م) ، الموافق لـ (٢٨) رجب سنة (١٣٥٥هـ) ، **وناسخها** : هو عبد الوهاب محمد زرنبة أحد النسَّاخين بدار الكتب .

وعندما وصلتني هـٰذه النسخة ، ونظرت فيها نظرةً عَجْلىٰ . . سُررت كثيراً ؛ إذ اعتقدت أنها ستكون مُعينةً ومساعدة في الكشف عن بعض الطموسات والعبائر الخفية والغامضة الواقعة في النسخة الفرنسية (أ) ، **ولـٰكن أثناء تقليبها والنظر في بعض المواضع ومنها الخاتمة** . . تبيَّن لي أنها منقولة عن النسخة السابقة المحفوظة في دار الكتب المصرية ، **ولا إشكال في ذلك لو أنَّ ناسخها قد تروَّىٰ في نسخها ، وتأنَّىٰ في ضبطها** ، لـٰكنِّي وجدت كثيراً من الكلمات والعبائر قد قرأها قراءةً سريعةً غيرَ متأنِّية ، **فوقع بسبب ذلك في التحريف والتصحيف** .

ومثال ذلك : أنه حرَّف قوله في الأصل : (الذين صفَّت آباؤهم بصفين) إلى (الذين صنت آباؤهم بصنين) ، وقولَه : (وما هو إلا بيذق فرزنته) إلىٰ (وما هو إلا بندق فوزنته) ، وقولَه : (أرض ممالكه) إلى (الأرض بما لله) ، ومع ذلك يُشكر علىٰ هـٰذا العمل ، ويُعْفىٰ عمَّا وقع فيه من الخطأ والزلل ؛ وذلك لصعوبة قراءة النسخة (أ) ، وكونها مكتوبةً علىٰ معتاد عصر المؤلف عموماً ، وعلىٰ ما جرىٰ واصْطَلَح عليه في بعض الحروف خصوصاً .

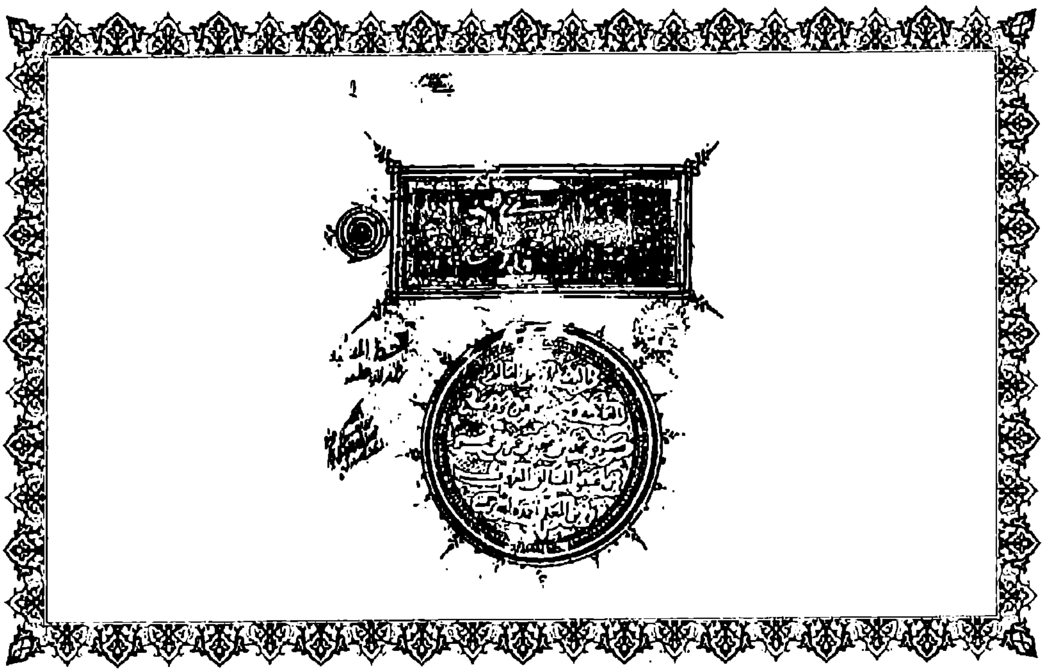
ورمزت لها بـ (ب) .

* * *

صور من النسختين الخطيتين



نموذج ورقة العنوان من النسخة (أ)



نموذج ورقة العنوان من النسخة (أ)



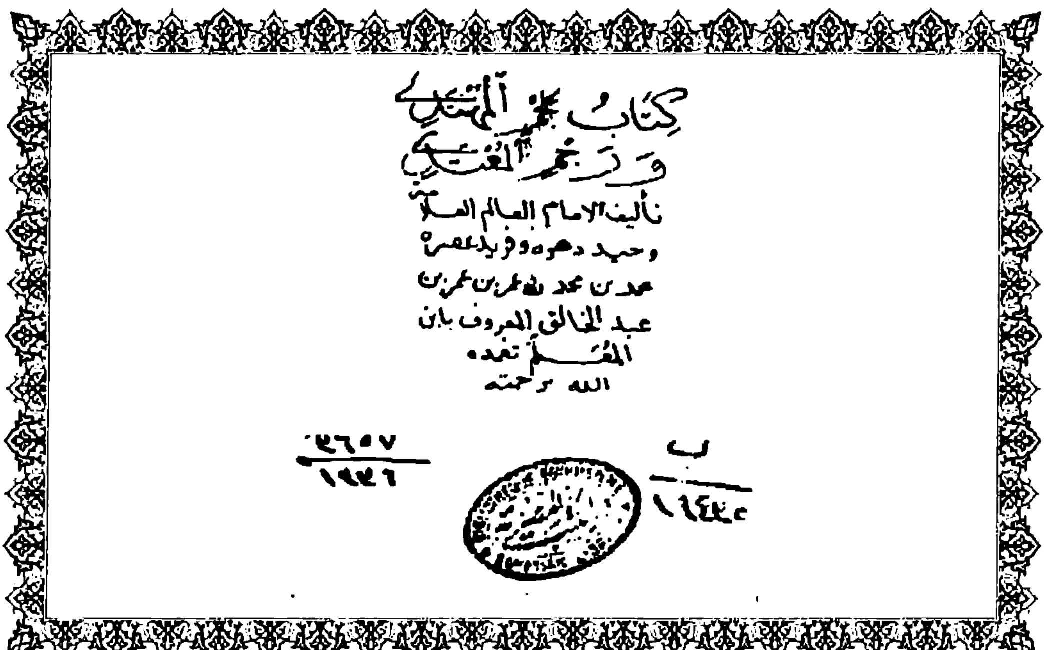
راموز الورقة الأولى من النسخة (أ)



راموز الورقة التي ذكر فيها نصّ توبة ابن تيمية من النسخة (أ)



راموز الورقة الأخيرة من النسخة (أ)، وفيها تتمة توبة ابن تيمية مع شهادات الأئمة عليها



كتاب تجريد المهتدي
وتجريد المقتدي
تأليف الإمام العالم العلامة
وحيد دهره وفريد عصره
محمد بن محمد بن عمر بن عمر بن
عبد الخالق المعروف بابن
المقدم تغمده
الله برحمته

راموز ورقة العنوان من النسخة (ب)



راموز الورقة الأولى من النسخة (ب)



راموز الورقة الأخيرة من النسخة (ب)

نجم المهتدي ورجم المعتدي

تأليف

الإمام الفقيه القاضي المتكلّم المقرئ المحدّث الأديب

فخر الدين أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن عثمان بن عمر ابن المعلّم

القُرشيّ المصريّ الشّافعيّ

(٦٦٠ - ٧٢٥هـ)

يُطبع أول مرّة

وعلى نسختين خطّيّتين إحداهما فريدة بخط المؤلف

حققه وعلّق عليه

بلال محمّد حاتم السّقا

الجزء الأول

دار التقوى

دمشق الشام

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أعن بمنك

خطبة الكتاب

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه المستغفر من ذنبه محمد بن محمد ابن المعلم :

الحمدُ للهِ السابقِ قِدمُ ذاتِهِ وصفاتِ ذاتِهِ ، المُتناسِقِ نِعَمُ هِباتِهِ وصِلاتِهِ ، الحيِّ بحياةٍ قديمةٍ أزليَّتُها وأبديَّتُها عُلِمَتا وما جُحِدَتا ، الواحدِ في مُلكِهِ لو كانَ فيهِما آلهةٌ إلا اللهُ لَفسدَتا ، العالمِ بجميعِ المعلوماتِ جُزْئيَّاتِها وكُلِّيَّاتِها ، القادرِ فلا يُعجِزُ قدرتَهُ شيءٌ مِنْ مَقْدوراتِها ، المريدِ لما يُوجِدُهُ ويُعدِمُهُ مِنَ الجواهرِ والأعراضِ ، وأفعالِ العبادِ مِنَ الطاعةِ والمعاصي والإقبالِ والإعراضِ ، الباقي فلا أَمَدَ لبقائِهِ ولا انقطاعَ ، السميعِ لا بأداةِ الإحساسِ ولا بجارحةِ السماعِ ، البصيرِ لا بحَدَقَةٍ وطَرْفٍ ، المُتكلِّمِ لا بصوتٍ وحَرْفٍ .

يدُ كرمِهِ مَبْسوطةٌ بنعمتِهِ لا يَغِيضُها شيءٌ سَحَّاءُ مِنْ فَيْضِ رِفْدِهِ[1] ، وعينُ اعتنائِهِ نجَّتْ موسىٰ مِنْ غمِّ القتلِ وردَّتْهُ إلىٰ أمِّهِ كي تَقَرَّ عينُها بردِّهِ ، وأعانَتْ

(١) لا يَغِيضُها : لا ينقصها ؛ يقال : غاض الماءُ وأغاضه الله ؛ إذا نقص ، والسَّحُّ : الانصباب الدائم ، وتحتمل في (أ) : (سحّاً) ، وكلاهما جائز هنا ، إلا أن الأول مصدر ، والثاني صفة علىٰ وزن (فعلاء) ، والرِّفْد : العطاء والصِّلة ، وفي كلامه إشارة إلىٰ قوله صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيما أخرجه البخاري (٧٤١١) ، ومسلم (٩٩٣) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ـ : « يدُ اللهِ مَلأىٰ لا يَغِيضُها نفقةٌ ، سحَّاءُ الليلَ والنهارَ » ، وانظر « عمدة القاري » (٢٥/ ١٠٦) ، و« شرح صحيح مسلم » للنووي (٧/ ٨٠) .

نوحاً علىٰ عملِ السفينةِ بهدايتِهِ ورُشْدِهِ ، **فتَعْساً للمُشبِّهةِ الضُّلالِ ومَنْ يُضْلِلِ اللهُ فما لهُ مِنْ وليٍّ مِنْ بعدِهِ** .

استوىٰ على العرشِ لا بتحيُّزٍ كمَقَالِ الضالِّ[1] ، تنزَّهَ عنِ استقرارِ المُتحيِّزِ وحالِ الحالِّ ، جلَّ عن مُماسَّةِ الأَحْيازِ وإحاطةِ الأقطارِ ، وتعالىٰ عنِ الحدِّ والشكلِ والمِقْدارِ ، لا تُدرِكُهُ الأبصارُ وهوَ يُدرِكُ الأبصارَ ، وهوَ اللطيفُ الخبيرُ .

فسبحانَ مَنْ حَجَبَ الخَلْقَ عن معرفةِ كُنْهِ ذاتِهِ ، وهداهُم إلىٰ وَحْدانيَّتِهِ بدلائلِ مصنوعاتِهِ !! فعرفُوا ما مَنَّ عليهِم بمعرفتِهِ مِنْ ذاتِهِ وصفتِهِ ، واعترفُوا بالعَجْزِ عن حقِّهِ وحقيقتِهِ ؛ فكلُّ ما صوَّرَهُ الفهمُ ، أو قدَّرَهُ الوهْمُ ، أو خَطَرَ **بخاطرٍ مِنْ ذلكَ . . فاللهُ بخلافِهِ** .

أحمدُهُ على العِصْمةِ مِنْ وُرودِ شِرَعِ البدعِ[2] ، وأشكرُهُ علىٰ مُفارقَةِ مَنْ فرَّقَ دينَهُ مِنَ الشِّيَعِ .

وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ شهادةَ مَنِ اعترفَ لهُ بما يستحقُّهُ مِنْ خصائصِ الكمالِ ، وصَرَفَ مُعتقَدُهُ ونُطْقُهُ عنهُ نقائصَ الشبيهِ والمثالِ[3]

وأشهدُ أنَّ مُحمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ أعلمُ الخَلْقِ بالحقِّ وأشدُّهُم لهُ خَشْيةً ومنهُ حياءً ، الذي ارتقىٰ أَعْلىٰ درجاتِ التنزيهِ كما ارتقى السَّبْعَ سماءً سماءً ، وأُعْطِيَ

---

(١) في (ب) : (كما قال) بدل (كمقال) ، و(أل) في (الضال) جنسية ، وهو المناسب لسياق المقدمة ، وفيه إشارة إلىٰ من أُلِّف هـٰذا الكتاب بسببه ، وفي جملة الدعاوي التي ادُّعيت على ابن تيمية : أنه كان يقول بالاستواء حقيقةً ، علىٰ ما هو المشهور في كتب التاريخ ، وسيعقد المؤلف بحثاً طويلاً في الكلام علىٰ آية الاستواء في (٢/ ٣٧٤ـ ٣٨٠) ، وانظر « مرآة الجنان » (٤/ ١٨٠) .

(٢) الشِّرَع في الأصل : جمع شِرْعة ؛ وهو منهل الماء الذي يُستقىٰ منه .

(٣) في (ب) : (التشبيه) بدل (الشبيه) .

لواءَ الحمدِ وهوَ معَ ذلكَ يقولُ : « لاَ أُحْصِي ثَـنَاءً »[1] ، وآلَتْ آلاؤُهُ الشريفةُ ألا تَقْرَبَ الدنيا ممَّا فاءَ وفاءً .

صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ الذينَ كشفُوا بضيائِهِم ليلَ الزَّيْغِ حينَ سَجَا[2] ، وقالَ فيهِم : « أَصْحَابِي كَٱلنُّجُومِ »[3] وهم كذلكَ منهُم معالِمُ للهدىٰ ومصابحُ تَجْلو الدُّجَىٰ[4] ، ما اهتدىٰ إلىٰ وَحْدانيَّتِهِ حِجْرٌ وحِجاً[5] .

وبعدُ :

فلمَّا كانَتْ عنايةُ الشرعِ بدَفْعِ المفاسدِ أهمَّ ، وتقديمُهُ علىٰ جَلْبِ المصالحِ أكملَ وأتمَّ ، وكانَ إنكارُ المُنكَرِ مِنْ أداءِ الفروضِ ، والقيامِ بالواجبِ المفروضِ ، وأهمُّ ذلكَ تطهيرُ الأرضِ مِنَ البِدَعِ وعُدَاتِها[6] ، وقطعُ ألسنةِ مَدْعوِّها ودُعاتِها[7] .

وأيُّ بدعةٍ أعظمُ ممَّنِ اجترأَ على الخالقِ ، وأقدمَ علىٰ تشبيهِهِ ببعضِ الخلائقِ ؟! ومَنْ أضلُّ ممَّنِ اتَّبعَ هواهُ بغيرِ هُدىً ؟! ولا أحدَ أَخْسرُ ممَّنْ نحتَ

---

(1) أخرجه مسلم (٤٨٦) ، ومالك في « الموطأ » (١/ ٢١٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(2) سجا : دام وسكن .

(3) أخرجه عبد بن حميد كما في « المنتخب » (٧٨٣) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (١٣٤٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « البدر المنير » (٩/ ٥٨٤ـ٥٨٨) ، و« التلخيص الحبير » (٤/ ٣٥٠ـ٣٥١) .

(4) تجلو الدُّجىٰ : تـكشف الظلمات ، وفي الكلام تضمين من شعر ابن الرومي ؛ وهو قوله : (من الكامل)

منهـا معـالِـمُ للهُـدىٰ ومصـابـحٌ   تَجْلـو الـدُّجـىٰ والأُخْـرَيـاتُ رُجُـومُ

انظر « ديوانه » (٦/ ٢٣٤٥) .

(5) الحِجْر : العقل ، وعطف (حجاً) عليه عَطْفَ ترادفٍ .

(6) في (ب) : (ومحدثاتها) ، والعُداة : جمع عادٍ ؛ كقاضٍ وقُضاة .

(7) في (أ) : (وذُعاتها) .

بمِعْوَلِ مِقْولِهِ إلـٰهاً جَسَداً[1] ، ودعا إليهِ مُناظِراً بل مُخاطِراً للمنيَّةِ مُستعِدّاً ، تكادُ السماواتُ يتفطَّرْنَ منهُ وتنشَقُّ الأرضُ وتَخِرُّ الجبالُ هَدّاً[2] .

ولمَّـا كـانَ هـٰذا العصـرُ المُـذْهَـبُ[3] ، والمِصْـرُ الـذي ليـسَ لأهلِـهِ إلا مذهبَ أهلِ الحقِّ مذْهَبٌ[4] ، المُغْدِقةُ بُحورُ علمائِهِ للواردِ الصَّادي[5] ، المُشرِقةُ بُدُورُ فقهائِهِ في أتلالِ المَحافلِ والنادي ، المُورِقةُ أَفْنانُ دَوْحتِهِمُ المُطِلَّةِ[6] ، القاهرةُ سَطْوتُهُم فئةَ البِدَعِ المُضلَّةِ . . هَجَمَ علىٰ حَرَمِهِم هاجِمٌ[7] ، ونَجَمَ في مَمَرِّ سيلِهِم ناجمٌ[8] ، قابلَ ضياءَ نهارِهِم بقِطْعٍ مُظْلِمٍ[9] ، وكِسْفٍ مُعْتِمٍ[10] ، وما هوَ إلا مارٌّ قادَهُ عِثارُهُ إلىٰ خَسْفِهِ[11] ، وغُبارٌ أثارَهُ

---

(١) في (ب) : (أضر) بدل (أخسر) .

(٢) وسيأتي ذكر بعض هـٰؤلاء المشبهة الذين وصفوا الله بأوصاف نزلوا بها عن طبقة العوام ، ونسبوا له عظائم فُوِّقتْ عليهم بسببها صائبات السهام . انظر (١/ ١١٦ ، ١٣١ ، ٢/ ٤٢١) .

(٣) المُذْهَب : المموَّه بالذهب ، والجملة معطوفة على الشرط صدرَ الفقرة السابقة .

(٤) كتب فوق كلمة (الحق) في (أ) : (السُّنة) ، وفي (ب) : (أهل الحق للسنة) ، وفي الكلام تضمين من شعر الكميت ؛ وهو قوله : (من الطويل)

ومـا لـيَ إلا آلَ أحمـدَ شيعـةٌ وما ليَ إلا مذهبَ الحقِّ مذهبُ

انظر « ديوانه » (ص٥١٧) ، وفيه : (مَشْعَب) بدل (مذهب) ، وهما بمعنىً .

(٥) **المُغْدقة** : يقال : أغدق المطر إغداقاً ؛ إذا كثُر قَطْره ، **والصادي** : العطشان .

(٦) **الدَّوْحة** : الشجرة العظيمة ، **والأَفْنان** : جمع فَنَن ؛ وهو الغصن .

(٧) المراد به : ابن تيمية المعقود هـٰذا الكتاب في إبطال مقالاته ونُصْرة مذهب أهل السنة والجماعة .

(٨) **نَجَمَ** : ظهر وطلع ، وفي (ب) : (سبيلهم) بدل (سيلهم) ، والمثبت أبلغُ معنىً .

(٩) **القِطْع** : ظلمة آخر الليل ، أو السواد منه . انظر « تاج العروس » (٢٢/ ٣٤) ، مادة : (ق ط ع) .

(١٠) **الكِسْف** : القطعة من الشيء .

(١١) **العِثار** : الزَّلل ، وجاءت الخاء في (أ) في قوله : (خَسْفه) دون إعجام ؛ بمعنى : الغيظ والعداوة .

باحثٌ بظِلْفِهِ[1] ، وجَسَدٌ بعثَهُ الحسدُ إلىٰ حَتْفِهِ ، وفي تَعَبٍ مَنْ يحسُدُ الشمسَ نورَها ويَجْهَدُ أنْ يلفَّهُ بلفِّهِ[2] .

فاقتضىٰ تحقيرُ شانِهِ ، وتصغيرُ مكانتِهِ ومكانِهِ . . ألا يَنْـتَدِبَ للرَّدِّ عليهِ إلا خُذْريُّ جُذُرِهِم[3] ، ولا يُشرِقَ لَهَواتِهِ إلا قطرةٌ مِنْ بحرِهِم[4] ، يُجَرِّعُهُ ما يتجرَّعُهُ ولا يَكادُ ، ويُوسِعُهُ مِنَ الجدالِ ما يُرْبي على الجِلَادِ ، فإنْ رجعَ وإلا فالسيفُ أصدقُ أنباءً[5] ، وبهِ يصلُ إلى اليقينِ مشاهدةً لا إنباءً ، وهم أعزَّهُمُ اللهُ وشرَّفَهُم ، وجمعَهُم على الحقِّ وألَّفَهُم . . أتمُّ نَظَراً ، وأعظمُ خَطَراً .

* * *

(١) الظِّلْف في الأصل : ظُفُر كل ما اجترَّ ، واستخدمه المؤلف هنا لهـٰذا الهاجم الناجم علىٰ سبيل الاستعارة ، وأصل الكلام مَثَلٌ يُضرب للرجل يسعىٰ إلىٰ ما فيه هلاكه وفناؤه . انظر « جمهرة الأمثال » (١/ ٣٦٣) .

(٢) أي : يجتهد ويبالغ في طمس وإخفاء نور الحق الذي هو كالشمس ظهوراً وسطوعاً . . بتمويهاته وتدليساته الناشئة عن حسده وغيظه ، وفي الكلام تضمين من شعر المتنبي ؛ وهو قوله : (من الطويل)

وفي تَعَبٍ مَنْ يحسُدُ الشمسَ نورَها ... ويَجْهَـدُ أن يـأتِـيْ لهـا بضَـريـبِ

انظر « ديوانه » (١/ ٥٦) .

(٣) أي : أصغر القوم وأقلهم ، والمراد المؤلف نفسه ، وهو خارج مخرج التواضع ، وفي الكلام إشارة إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٢١٥٣/ ٣٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٤) يقال : رجل مِشْراق : إذا كان من عادته أن يُغِصَّ عدوَّه بريقه .

(٥) وهـٰذا إشارة إلىٰ بعض بيت أبي تمام الشهير ؛ وهو قوله : (من البسيط)

السيـفُ أصـدقُ أنبـاءً مـن الكتـب ... في حَدِّه الحَدُّ بين الجِدِّ واللعبِ

انظر « ديوانه » (١/ ٤٠) .

الدّاعي إلى تأليف الكتاب

ولمَّا وردَتْ عليَّ فُتْياهُ الفاتنةُ[1] ، التي أَبانَ فيها عن مُجاهَرةٍ ومُبايَنةٍ ، وعُرِضَ عليَّ ما روَّجَهُ ، وأظهرَ نقدُ التأمُّلِ بهرجَهُ[2] . . تروَّيْتُ في تنخيلِهِ بالمُجاوَبةِ أيّاماً ، وتردَّدتُ في تأهيلِهِ للمُخاطبةِ إقداماً وإحجاماً .

ثمَّ رأيتُ أنَّ الردَّ عليهِ مِنْ فروضِ الأعيانِ ، وأنَّ التخاذُلَ في هٰذا الأمرِ مِنْ أَماراتِ الخِذْلانِ ، وأنَّ السكوتَ عنهُ ممَّا يجُرُّهُ إلى الزيادةِ مِنَ الجُرْأةِ ، وما العذرُ والمُقابَلُ في صورةِ الرجلِ ومِرَّةِ المرأةِ[3] ؟! وربَّما تَخيَّلَ الاحتقارَ عَجْزاً[4] ، مَنْ لا يفهمُ إشارةً ولا رَمْزاً .

فاستخرتُ اللهَ تعالىٰ وابتدأتُ بتعنيفِهِ علىٰ ما صدَرَ منهُ[5] ، ثمَّ بتزييفِ ما نُقِلَ في فُتياهُ عنهُ ، مُتتبِّعاً لكلامِهِ فَصْلاً فَصْلاً ، مُجتثّاً أصولَهُ أَصْلاً أَصْلاً ، مُبيِّناً مقاصدَهُ الذميمةَ تلويحاً وتصريحاً ، مُظهِراً ما زَعَمَ أنَّهُ نَصَحَ بهِ وليسَ نَصيحاً .

ثمَّ عَرَضْتُ عليهِ الإعراضَ عنِ الغَوايةِ ، مُبيِّناً لهُ طريقَ الهِدايةِ ، راجياً رجوعَهُ إليها ، مُعتمِداً علىٰ معونةِ اللهِ التي فازَ مَنِ اعتمدَ عليها ؛ فقلتُ :

---

(١) سيأتي مقتطفات منها في كلام المؤلف مع تخريجها إن شاء الله تعالىٰ ، وما أعقب هٰذه الفتيا من أمور وأحداث . انظر (١/ ٧٧) وما بعدها ، و(٢/ ٥٢٦ـ ٥٤٢) .

(٢) البَهْرج : الباطل والرديء من الشيء .

(٣) المِرَّة : قوة الخلق وشدته .

(٤) أي : احتقارَ الخصم عن مجاوبته وتأهيله للخطاب .

(٥) في (ب) : (بتضعيفه) بدل (بتعنيفه) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

أيُّها الشابُّ السابُّ(١) المُتعصِّبُ المُتعضِّبُ السابقُ بمُنكَرِ القولِ(٢) ، السائقُ إلىٰ مَسْألتِهِ العَوْلَ(٣) ؛ لقد تجرَّأتَ على العظيمِ بكلامٍ لا يُقالُ ، وتبرَّأتَ مِنَ النَّهْجِ القويمِ فعِثارُكَ لا يُقالُ ، وأَثَرْتَ علىٰ نفسِكَ عِثْيَرَ الندمِ ، وعَثَرْتَ بلسانِكَ وعَثْرةُ الفمِ تُنسي عَثْرةَ القدمِ(٤) ، أَطْرِقْ كَرَا أَطْرِقْ كَرَا(٥) ،

---

(١) ويحتمل أن (الشابَّ) اسم فاعل من (شبَّ) إذا أوقد وأشعل، وسبُّ ابن تيمية للأئمة مشهور عنه ؛ كسبه للإمام حجة الإسلام الغزالي، بل تعدَّىٰ ذلك إلى الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم. انظر على سبيل المثال « الدرر الكامنة » (١/ ١٧٩ـ ١٨١) .

(٢) في (ب) : (المتعظِّب) بدل (المتعضب) ، والمُتعضِّب : الشتَّام والسبَّاب ، والمُتعظِّب : المقيم على الشيء المُصبِّر نفسه لأجله .

(٣) مَسْألته ؛ أي : مقالته في فتياه الفاتنة التي سيأتي بعض نصوصها ، والعَوْل : الميل إلى الجور والظلم ، والعَوْل شرعاً : زيادة السهام على الفريضة ، فتعول المسألة إلىٰ سهام الورثة ، فيدخل النقص عليهم بقدر حِصَصهم .

(٤) في الكلام تضمين من شعر أبي تمام ؛ وهو قوله : (من البسيط)

يـا زلَّـةً مـا وُقِيتُـم شرَّ مَصْـرعِهـا ... وزلَّـةُ الـرأيِ تنسـي زلَّـةَ القـدم

وفي المثل : (عَثْرة القَدَم أسلمُ من عَثْرة اللسان) انظر « مجمع الأمثال » (٢/ ٣٣) ، و« ديوان أبي تمام » (٣/ ١٩٤) .

(٥) الكَرَا : ترخيم كروان علىٰ خلاف القياس ؛ وهو طائر يشبه البط لا ينام الليل ، سُمِّي بضده من الكرىٰ ، وفي كلامه إشارة إلىٰ مثل شهير ؛ وهو : (من مجزوء الرجز)

أَطْـرِقْ كَـرَا أَطْـرِقْ كَـرَا ... إنَّ النَّعـامَ فـي القُـرىٰ

وهو مثل يضرب للمعجب بنفسه ، ولمن يُخدع بكلام يُلطَّف له ويراد به الغائلة. انظر « حياة الحيوان الكبرىٰ » (٢/ ٣٢٦) ، و« تاج العروس » (٣٩/ ٣٩٧) ، مادة : (ك ر و) .

مَا إخالُكَ إلا في سِنَةِ الكَرَىٰ[1]

كُنْتَ فِيمَا كَتَبْتَهُ نَائِمَ ٱلْعَيْـ ـنِ فَهَلْ كُنْتَ نَائِمَ ٱلأَقْلاَمِ[2]

لقد جرَّتْكَ جُرْأتُكَ إلىٰ مَزَلَّةِ دَحْضٍ[3] ، وخلا لكَ جوُّكَ[4] وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ[5]

كلا ، واللهِ ؛ إنَّ وراءَكَ لأَطْواداً شامخةَ الذُّرا[6] ، سما بها إلى النجمِ فرعٌ رسا[7] أصلُهُ تحتَ الثَّرىٰ[8] ، وبحاراً طامِيَةَ الأَسْيافِ[9] ، وأنصاراً ظامية الأَسْيافِ[10] ، لا يُرويها إلا دَمُ الثَّغْرِ والكُلَىٰ[11] ، ولا يَغْذُوها إلا شيءٌ مِنَ

---

(١) السِّنَة : النعاس ، والكَرَىٰ بمعناه .

(٢) البيت للمتنبي في « ديوانه » (٣/ ٣٧٧) ، وهو من الخفيف .

(٣) المَزَلَّة والدَّحْضُ : هما بمعنىً واحد ؛ وهو الموضع الذي تَزِل فيه الأقدام ولا تستقر ، وجاء في صفة الصراط ـ كما في « صحيح البخاري » (٧٤٣٩) ـ أنه مَدْحَضةٌ مَزَلَّةٌ . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٢/ ٣١٠) ، مادة : (ز ل ل) ، و« شرح النووي علىٰ مسلم » (٣/ ٢٩) ، و« فتح الباري » (١٣/ ٤٢٩) .

(٤) **أشار بذلك** : إلىٰ قول طَرَفة أو كليب التغلبي : (من الرجز)

يـا لـكِ مـن قُبَّـرَةٍ بمَعْمَـرِ خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصْفِري

وضربه المؤلف هنا مثلاً للسابِّ المتعصِّب الذي تمكَّن من حاجته لغياب الرقيب عنه في أول الأمر .

(٥) **أشار بذلك** : إلىٰ قول المتنبي : (من الخفيف)

وإذا مـا خـلا الجبـانُ بـأرضٍ طَلَـبَ الطَّعْـنَ وحـدَهُ والنِّـزالا

انظر « ديوانه » (٣/ ١٤٣) .

(٦) **الأطواد في الأصل** : الجبال العظيمة ، **وشامخة الذُّرا** : شاهقة الارتفاع والعلو .

(٧) **رسا** : ثبت .

(٨) **الثَّرىٰ** : التراب .

(٩) **الأسياف هنا** : جمع سِيف ؛ وهو الساحل ، **ولعل المراد** : البحار الغزيرة الأمواج ، والله تعالىٰ أعلم .

(١٠) زاد في هامش (أ) بعد (ظامية) : (الأسنة) .

(١١) الثَّغر : ما تقدَّم من الأسنان ، **والكُلَىٰ** : جمع كُلْية .

الهامِ والطُّلَىٰ[١] ؛ كلٌّ منهُم يستحقِرُكَ عن أنْ تكونَ للمُناجَزةِ قَريناً[٢] ، ويستحقرُكَ عن أنْ تكونَ عندَ المبارزةِ طَعِيناً .

فإنْ كنتَ طمِعْتَ في مُناظَرتِهم ؛ فكم عاشٍ بعينَيْهِ لما لا ينالُهُ[٣] ، وماشٍ برجلَيْهِ لحَتْفٍ يغتالُهُ !! ولـٰكنْ إذا عشَّ الذبابُ[٤] . . فليسَ إلا الطَّرْدُ أوِ المَقْلُ[٥] ، دلَّ عليهما العقلُ والنقلُ ، وللنارِ مَرَاشُ الفَراشِ ، وبالبتَّارِ يُحصَدُ ما بَسَقَ علىٰ غيرِ النَّسَقِ وطاشَ[٦] ، إنْ كنتَ ريحاً . . فقد صادفتَ إعصاراً[٧] ، ارْبَعْ علىٰ ظَلْعِكَ[٨] ، وقَصِّرْ مِنْ طمعِكَ ، فما تعرَّفْتَ إلا بهـٰذا النُّكْرِ[٩] ، وما سُدْتَ إلا والزمانُ بهِ سُكْرٌ[١٠] .

---

(١) الهام : جمع هامة ؛ وهو الرأس ، والطُّلىٰ : جمع طُلْية ؛ وهو العنق .

(٢) المُناجَزة : المبارزة والمقاتلة .

(٣) العَاشِي : ضعيف النظر الذي لا يبصر ليلاً ، وفي كلامه تضمين من شعر أبي حاتم ؛ وهو قوله : (من الطويل)

وعـاشٍ بعَيْنَيْـهِ لِمَـا لا ينـالُـهُ كسـاعٍ بـرجلَيْـهِ لإدراكِ طـائـرِ

انظر « أمالي القالي » (١/ ٢٥٣) .

(٤) عشَّ الذباب : نزل مُكْرِهاً .

(٥) في (ب) : (أو القتل) ، والمَقْل : غَمْسُ الشيء في الماء أو غيره ثم طَرْحُه ، وفي الحديث الذي رواه أبو داود (٣٨٤٤) وغيره : « إذا وقعَ الذبابُ في إناءِ أحدِكم . . فامْقُلُوهُ » .

(٦) بَسَق : طال وارتفع ، وطاش : انحرف وعَدَل ؛ يقال : طاش السهم عن الهدف ؛ إذا عَدَلَ .

(٧) أشار به : إلىٰ مَثَل شهير يُضرَب للمُدِلِّ بنفسه ـ أي : الواثق بها ـ إذا لقي من هو أقوىٰ منه وأدهى . انظر « جمهرة الأمثال » (١/ ٣١) ، و« مجمع الأمثال » (١/ ٣٠) .

(٨) ارْبَعْ : كُفَّ وانتهِ ، والظَّلع : الميل ؛ أي : إنك ضعيف أيها السابُّ ؛ فانتهِ عمَّا لا تطيقه ، وارفُقْ بنفسك وكُفَّها عمَّا تحاوله . انظر « زهر الأكم » (٣/ ٤٥) ، و« تاج العروس » (٢١/ ٢٥ ، ٤٧٠) ، مادة : (ر ب ع ، ظ ل ع) .

(٩) أي : ما صرتَ معروفاً إلا بهـٰذا المَقال المُنكَر الذي أودعْتَه فتواك .

(١٠) أشار به : إلىٰ بيت ابن قاضي ميلة ؛ وهو : (من الطويل) =

وَإِنَّ بِقَـوْمٍ سَـوَّدُوكَ لَحَـاجَـةً إِلَىٰ سَيِّدٍ لَوْ يَظْفَـرُونَ بِسَيِّـدِ[1]

ولعلَّ رَهْطَكَ لا يُرضِيهِمُ انتصارُكَ المبذولُ ؛ فإنَّ المُستنصِرَ بكَ مَخْذولٌ ، لم يَنبعِثْ مِنْ ثمودَ إلا أَشْقاها ، ومثلُكَ مَنْ فَدَىٰ فئتَهُ الضالَّةَ بنفسِهِ ووَقَاها ، لقد أَلْحقتَ بهِم عارَ الحياةِ والمماتِ ، ومَلأتَهُم أَوْضاراً لا يُطهِّرُها مدُّ النيلِ والفراتِ[2] ، وهِجْتَ عليهِم حَرْباً طَحُوناً[3] ، وصَيْلماً زَبُوناً[4] ، لا يُطفِئُ نارَها ، ولا يُخمِدُ غُبارَها . . إلا دمُ مَنْ أَثَرَها وأثارَها[5]

لا تحسَبِ المجدَ تمراً أنتَ آكلُهُ[6] ، ولا نهراً أنتَ ناهلُهُ ، لكنَّ مثلَكَ مَنْ بَذَلَ نفسَهُ في هَواهُ ، حينَ استخفَّهُ الشيطانُ واستهواهُ ، فخُذْ مِنْ جِذْعٍ

= ترفَّقْ يراجعْ فيك دهرُكَ عقلَهُ فما سُدْتَ إلا والزمانُ به سُكْرُ

انظر « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » (٨/ ٥٣٠) .

(١) البيت للأحوص الأنصاري في « ديوانه » (ص٧٨) ، وينسب لأبي نُخَيلة الحِمَّاني كما في « خزانة الأدب » (١/ ١٦٥) ، وهو من الطويل .

(٢) الأَوْضار : جمع وَضَر ؛ وهي الخبائث أو الأوساخ .

(٣) الحربُ الطَّحُون : التي تطحَنُ كلَّ شيء يدخل فيها .

(٤) في (ب) : (وصَلْتاً) بدل (وصَيْلماً) ، والمراد بالصَّيْلم الزَّبُون في كلامه : الحرب التي تقطع الناس وتستأصلهم .

(٥) أي : إلا دم من أنبأ وأخبر بها ثم هيَّجها وأشعلها مريداً للفتنة ، وقال تلميذه الحافظ الذهبي في « رسالته » التي نصح بها ابن تيمية ـ وهي ملحقة بآخر كتاب « زغل العلم » (ص٣٦) ، وهي رسالة ألَّفها ناصحاً لابن تيمية بعد أن رأىٰ منه المنكرات والفظائع ـ : (يا خيبةَ من اتَّبعك ؛ فإنه مُعرَّض للزندقة والانحلال ، لا سيَّما إذا كان قليل العلم والدين ، باطوليّاً شهوانيّاً ، لكنه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه ، وفي الباطن عدوٌّ لك بحاله وقلبه ، فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل ، أو عاميٌّ كذَّاب بليد الذهن ، أو غريب واجم قوي المكر ، أو ناشف صالح عديم الفهم ؟! فإن لم تُصدِّقني ففتِّشهم وزنهم بالعدل) .

(٦) أشار به : إلىٰ بيت شهير ؛ وهو قول رجل من بني أسد : (من البسيط)

لا تحسَبِ المجدَ تمراً أنتَ آكلُهُ لن تبلُغَ المجدَ حتىٰ تلعَقَ الصَّبِرا

انظر « حماسة أبي تمام » (٤/ ٨٢) ، و« أمالي القالي » (١/ ١١٣) .

ما أعطاكَ[١] ، واسْتَهْدِفْ بنَحْرِكَ لسهمِ مُصيبٍ ما أخطاكَ[٢] ، ولو تُرِكَ القَطا لنامَ[٣] ، ولم يُقلِقِ الأَنامَ ، ولٰكنْ هِجتَ ولَجِجتَ[٤] ، وهجمتَ على الأُسْدِ آجَامَها[٥] ، وبدأتَ ببَدْأَةِ ضيَّعَتِ الأُخوَّةَ وذِمامَها[٦] ، وسَبَقْتَ إلى الطَّعْنِ ، ورشَقْتَ بأسهُمِ اللَّعنِ[٧] ، ولعَمْري !! لقد أَذْكرتَ الطَّعنَ ناسياً ، وحاولتَ أن

---

(١) أشار به : إلىٰ مثل شهير ، وقصته : أنَّ جِذْع بن عمرو كانت قبيلتُهُ غسانُ تُؤدِّي الإتاوة كل سنة إلىٰ ملك سَليح ـ وهي قبيلة باليمن ـ وكان يلي ذلك سَبْطةُ بنُ المنذر السَّلِيحي ، فجاء سَبْطة إلىٰ جذع يسأله الدينارين ، فدخل جذع إلىٰ منزله ثم خرج مشتملاً علىٰ سيفه ، فضرب به سبطة حتىٰ برد ، ثم قال : (خذ من جِذْع ما أعطاك) ، وامتنعت غسان من هٰذه الإتاوة . انظر « مجمع الأمثال » (١/ ٢٣١) ، و« جمهرة الأمثال » (١/ ٤٢١) .

(٢) استَهْدِفْ بنَحْرك ؛ أي : انْصِبْه هَدَفاً وغَرَضاً ؛ يقال : من صنَّفَ . . فقد استَهْدَفَ ؛ أي : انتصب كالغرض يُرمىٰ بالأقاويل .

(٣) أشار به : إلىٰ مَثَلٍ يُضرب للرجل يؤمر بترك ما لا يصل إلىٰ تركه مما هو مُؤذٍ له ، وأول من قالـه : حَذَامِ بنت الريان كما نقله الميداني عن المفضل ، والقطا : ضرب من الطيور . انظر « مجمع الأمثال » (٢/ ١٧٤ـ١٧٥) ، و« جمهرة الأمثال » (٢/ ١٩٤ـ١٩٦) .

(٤) يقال : لجَّ في الأمر : إذا تمادىٰ فيه ، وأبى الانصراف عنه .

(٥) الآجام : جمع أَجَمة ؛ وهو الشجر الكثير الملتفُّ ، والمراد هنا : بيت الأسد ، ونصبُها علىٰ حذف حرف الجر ، وهو سماعي عند الجمهور قياسي عند بعضهم . انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (٢/ ١٥٠ـ١٥١) ، و« شرح الرضي على الكافية » (٤/ ١٣٧ـ١٣٩) .

(٦) الذِّمام : الحُرْمة ، وفي (ب) : (ببداءة) ، وتحتملها في (أ) ، وهي مصدر كالبَدْأة .

(٧) رشَقْتَ : رميت ، وقال الحافظ الذهبي في « رسالته » الملحقة بآخر كتاب « زغل العلم » (ص ٣٥ـ٣٧) : ناصحاً ابن تيمية (إلىٰ كم تمدح نفسك وشقاشقك وعبارتك ، وتذم العلماء وتتَّبع عورات الناس مع علمك بنهي الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تذكروا موتاكم إلا بخيرٍ ؛ فإنهم قد أفضَوا إلىٰ ما قدَّموا » ؟! بلىٰ أعرف أنك تقول لي لتنصر نفسك : إنما الوقيعة في هٰؤلاء الذين ما شمُّوا رائحة الإسلام ، ولا عرفوا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو جهاد . . . يا مسلمُ ؛ أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك ، إلىٰ كم تصادقها وتعادي الأخيار ؟! إلىٰ كم تصدقها وتزدري بالأبرار ؟! إلىٰ كم تُعظِّمها وتُصغِّر العُبَّاد ؟! إلىٰ متىٰ تخاللها وتمقت الزهاد ؟! إلىٰ متىٰ تمدح كلامك بكيفية لا تمدح بها واللهِ أحاديثَ الصحيحين ؟!) .

تُزَحْزِحَ برأسِكَ راسياً[١] ؛ كناطحٍ صخرةً يوماً ليَفلِقَها[٢] ، وجانحٍ إلىٰ أَجَمةِ الأُسْدِ ليُفرِقَها[٣]

يَا طَالِبَ ٱلْغَابَاتِ غَيْرَ مُرَاقِبٍ   اِحْـذَرْ فَهُـنَّ مَخَـاوِفُ ٱلآسَـادِ[٤]

اللهَ اللهَ في نفسِكَ !! تَدارَكْ في يومِكَ ما مضىٰ مِنْ أَمْسِكَ ، وتأدَّبْ معَ اللهِ أحسنَ الأَدَبِ ، وادْأَبْ في إصلاحِ ما مضىٰ حقَّ الدَّأَبِ ؛ فهوَ الذي يقبلُ التوبةَ ، ويُقِيلُ مَنْ أحسنَ الأَوْبةَ[٥]

وإنْ نَفَرَ عن ذلكَ جامحُكَ ، وطَمَحَ إلى الزيادةِ ممَّا أنتَ فيهِ طامحُكَ[٦] . . فكأنِّي بكَ قد صُلِبتَ علىٰ جِذْعٍ ، أو صَلِيتَ مِنَ النارِ بلَذْعٍ .

فداكَ قومُكَ ، وعداكَ إنْ تُبتَ يومُكَ ، عَدِّ عنِ الثَّمْدِ إلى العِدِّ[٧] ، ودَعْ

---

(١) الراسي : الجبل الثابت أصلُه في الأرض .

(٢) أشار به : إلىٰ قول الأعشىٰ في «ديوانه» (ص٦١) من معلقته الشهيرة؛ وهو: (من البسيط)

كنـاطـحٍ صخـرةً يـومـاً ليَفْلِقَهـا   فلم يَضِرْها وأَوْهَىٰ قَرْنَهُ الوَعِلُ

وما مَثَل هـٰذا السابِّ أيضاً إلا كمثل العقرب في قول الشاعر : (من المتقارب)

رأيـتُ علـىٰ صخـرةٍ عقـربـاً   وقـدْ جعلَـتْ ضَـرْبَهـا دَيْـدنـا
فقلـتُ لهـا إنَّهـا صخـرةٌ   وطبعُـكِ مِـنْ طبعِهـا أَلْيَنـا
فقـالـتْ صـدقـتَ ولـٰكنَّنـي   أريـدُ أُعـرِّفُهـا مَـنْ أنـا

(٣) جانح : مائل ، وفي (ب) : (جائح) ، ولعل الصواب ما أثبت بدليل التعدية ، ويفرقها : يخيفها .

(٤) البحر من الكامل .

(٥) الأَوْبة : الرجوع عن الشيء ، والمراد هنا : الرجوع والتوبة عن الفتيا الفاتنة التي تتعلق بذات الباري سبحانه وتعالىٰ ، ويحتمل الكلام العموم ، وسيأتي أن ابن تيمية تاب من تلك الفتيا ، وسُجِّل عليه ذلك بخطه ، ولـٰكن ما لبث أن عاد إلىٰ فتياه ، ونكص علىٰ عقبيه ، شأن كثير من المبتدعة الذين يعلنون توبتهم ظاهراً ، ويضمرون باطناً العداوة وسوء الاعتقاد . انظر (٥٣٨/٢ـ٥٤٢) .

(٦) يقال : طَمَح بصرُهُ إلىٰ كذا ؛ إذا ارتفع وعلا واستشرف .

(٧) الثَّمْد : الماء القليل ، والعِدُّ : الماء الجاري .

بُنيّاتِ الطريقِ واسلُكْ جَدَدَ الجِدِّ[1] .

لقد أَرْعَفْتَ القلمَ فرَعَفَ دماً ، وزعمتَ أنَّكَ استَبْصَرْتَ وخيرٌ مِنْ ذلكَ البصرِ العَمَىٰ ، ووَهِمْتَ إذِ استَنْصَرْتَ على الضلالةِ ، بفئةِ الجهالةِ ، وهيهاتَ لا يُرْوي شرابُ السَّرابِ ظَمَا !![2] .

وَيْحَكَ !! أتُحكِّمُ علىٰ نفسِكَ سواكَ ، وتحكمُ علىٰ إلٰهِكَ بهواكَ ؟! لقد تسرَّعْتَ إلىٰ ما لم يَحُلْ بينَكَ وبينَهُ مِنَ الحِجَا حجابٌ ، وتدرَّعْتَ برُعُونتِكَ فوقَ قدرِكَ مِنَ الثيابِ ، حتَّىٰ كأنَّكَ آنَسْتَ ناراً مِنْ جانبِ الطُّورِ ، أو أنِسْتَ أنَّكَ مِنْ باطنِ السُّورِ .

يا هٰذا ؛ أَصْلِحْ مُعتَقَدَكَ ، واتَّقِ اللهَ الذي عَضَدَ عَضُدَكَ[3] ، حينَ أَمَّتْ رأسَكَ آمَّةُ التتارِ[4] ، وأيقنتَ بإحدى الخُطَّتينِ إمَّا دمٍ أو إسارٍ ، حينَ زاغَتِ

---

(١) بُنيّات الطريق : الطرق الصغار التي تتشعَّب من الجادَّة ، والجَدَد في الأصل : الأرض الصلبة ، والمراد : اتبع الحق واترك الباطل .

(٢) جاء في المرسوم الصادر بحقه ـ كما سيأتي تامّاً خاتمة الكتاب (٢/ ٥٣١) ـ : (وكان ابن التيمية في هٰذه المدة قد بسط لسان قلمه ، ومدَّ عنان كلمه ، وتحدث في مسائل الذات والصفات ، ونص في كلامه علىٰ أمور منكرات ، وتكلَّم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون ، وفاه بما تجنَّبه السلف الصالحون ، وأتىٰ في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام ، وانعقد علىٰ خلافه إجماع العلماء والحكام ، وشهر من فتاويه في البلاد ما استخفَّ به عقول العوام ، وخالف في ذلك فقهاء عصره ، وعلماء شامه ومصره ، وبعث برسائله إلىٰ كل مكان ، وسمَّىٰ فتاويه أسماء ما أنزل الله بها من سلطان) .

(٣) عَضَد : أعان ، والعَضُد : الساعد .

(٤) أَمَّتْ : قصدت ، والآمَّة : الشَّجَّة التي تبلغ جلدة الدماغ ، وكانت هٰذه الفتنة التتارية في حدود سنة (٦٩٩ـ٧٠٢هـ) ، ولا ننسىٰ أنَّ والد ابن تيمية سافر به وبإخوته من حران إلى الشام هرباً من جور التتار ، وكادوا يلحقون بهم لولا أن سلَّمهم الله منهم ، وكان ذلك في حدود سنة (٦٦٧هـ) انظر « البداية والنهاية » (١٣/ ٢٥٥ ، ١٤/ ٦ـ١٣ ، ٢٣) وما بعدها ، و« العقود الدرية » (ص١٨ـ ١٩) ، وسيذكر المؤلف الحكمة من تسليط الله تعالى التتارَ وأمثالَهم علىٰ بعض المدن والبلدان . انظر (٢/ ٥٢١) .

الأبصارُ ، وراغَتِ الأنصارُ[1] ، في يومٍ ذي كواكبَ مُظلِمٍ[2] ، وجيشٍ ذي مَواكبَ مُقدِمٍ ، ما تَذَرُ مِنْ شيءٍ أتتْ عليهِ ، ولا تُبْقي علىٰ مَحَلٍّ سعتْ إليهِ ، قد سالَتْ بها الأباطحُ[3] ، وساءَ بها صباحُ الصابحِ[4] ، ونِسْوتُكُم في الرَّوعِ بادٍ وجوهُها[5] ، تُسَامُ أنواعَ الذُّلِّ لمَّا بادَ وجيهُها[6] ، وقلتَ : سآوي إلىٰ جبلٍ يَعْصِمُني أُعْصَمُ ، وقاسِيُونُ بهِ أُسلِمُ فأَسلَمُ[7]

فأخمدَ اللهُ عنكَ لَهَبَ تلكَ النارِ ، وأثارَ عَزْمَةَ السلطانِ فأخذَ للدِّينِ المحمَّدِيِّ بالثارِ[8] ، وأعانَهُ علىٰ ذلكَ بالأمراءِ الذينَ أَحْيَوا ذِكْرَ المُهاجرينَ والأنصارِ ، فاستقرَّ الإسلامُ في نِصابِهِ ، وردَّ إلى الشامِ نَضْرةَ شبابِهِ[9] ، بعدَ أنْ

---

(١) راغَتْ : مالت وحادت .

(٢) أخذه من قول الحُصين بن الحُمَام المرِّي : (من الطويل)

فلمَّـا رأيـتُ الصبرَ قـد حِيلَ دونَـهُ … وإنْ كانَ يوماً ذا كواكبَ مُظلِما

أي : صبرنا وإن كان اليوم يوماً مظلماً ترىٰ فيه الكواكب ظهراً ؛ لانسداد عين الشمس بغبار الموت . انظر « شرح ديوان الحماسة » للمرزوقي (١/ ٢٨٣) .

(٣) الأباطح : جمع أَبْطَح ؛ وهو مسيل الماء العريضُ الواسع .

(٤) الصابح : الذي يسقي إبله صباحاً .

(٥) أشار به : إلىٰ بيت سَبْرة بن عمرو الفَقْعَسي ؛ وهو : (من الطويل)

ونسوتُكُم في الرَّوعِ بادٍ وجوهُها … يُخَلْـنَ إمـاءً والإمـاءُ حـرائـرُ

انظر « حماسة أبي تمام » (١/ ٢٣٣) .

(٦) بادَ : هلك ، وفي (ب) : (بار) بالراء ، وهو بمعنىٰ (باد) .

(٧) قاسيون : جبل مُطِلٌّ علىٰ مدينة دمشق ، وكان هـٰذا الجبل موئلاً وملجأ ومسكناً لبعض المبتدعة من مجسمة الحنابلة القائلين بالحرف والصوت وغيره من بدع الاعتقاد ، وسيأتي تنبيه المؤلف إلىٰ أنه يسمىٰ بـ (جبل الصالحية) نسبة إلىٰ بانيها الملك الصالح صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى . انظر (٢/ ٥٢٢) .

(٨) العَزْمة : الجِدُّ في الأمر والقوة ، والمراد بالسلطان : الناصر ابن قلاوون ، الذي كانت له اليدُ البيضاء في وقعة شقحب من الثبات والفتك وإيقاع النصر للمسلمين . انظر « البداية والنهاية » (١٤/ ٢٥) وما بعدها ، و« النجوم الزاهرة » (٨/ ١١٥) وما بعدها .

(٩) نَضْرة شبابه : حُسْنه ورَوْنقه .

عاذَ أهلُهُ مِنَ الرَّهَبِ بالهَرَبِ[1] ، وكادَ الخرابُ أنْ يكونَ لدمشقَ أعْدىٰ مِنَ الجَرَبِ[2] ، ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال : ٢٦] .

أحينَ نجَّاكَ مِنَ المَخاوِفِ ، وأنقذَكَ مِنَ المهاوي والمتالفِ ، وردَّ إليكَ أهلَكَ ومالَكَ ، وجمعَ شَمْلَكَ بوطنِكَ وحسَّن مآلَكَ ، وعمَرَ ديارَكَ بعدَ الخَرَبِ ، وردَّ إليكَ رُوحَكَ وما كادتْ مِنَ الحَرَبِ . . عدلتَ عن شُكرانِ الشَّكَرِ[3] ، إلىٰ عقيقةِ العَقوفِ[4] ودعوتَ لها مَنْ وافقَكَ الجَفَلىٰ مِنْ نَفرِ البقرِ[5] ، الذينَ صفَّتْ آباؤُهُم بصِفِّينَ[6] ، مُجاهِرينَ مُستخِفِينَ ، الذينَ دخلُوا في الدِّينِ كُرْهاً ، فأَصبحُوا في المسابقةِ إلى البِدَعِ فُرْهاً[7] ؛ إضلالاً للعبادِ ، وإعمالاً في العنادِ .

تارةً يقولُونَ : لا قَدَرَ ، وأُخرىٰ يُشبِّهُونَ الخالقَ ببعضِ الصُّوَرِ ، ومرَّةً

---

(١) الرَّهَب : الخوف .

(٢) أخذ هٰذا المعنىٰ من بيت أبي تمام في قصيدته الشهيرة في فتح عمورية ؛ وهو : (من البسيط)

لمَّا رأتْ أختَها بالأمس قد خَرِبَتْ … كان الخرابُ لها أعدىٰ من الجَرَبِ

انظر « ديوانه » (١/ ٥٢) .

(٣) الشَّكَر : امتلاء ضرع الدابة من اللبن .

(٤) العَقُوف : الضرع الذي يخالف سيلانُهُ عند الحلب .

(٥) الجَفَلىٰ في الأصل : الدعوة العامة للطعام من غير اختصاص ، وضدُّها النَّقَرىٰ ، قال طرَفة بن العبد : (من الرمل)

نحنُ في المَشْتاةِ ندعو الجَفَلىٰ … لا ترى الآدِبَ منَّا ينتقِرْ

(٦) يقصد بذلك : ما انبثق عن هٰذه الفترة التي من جملة أحداثها وقعة صفين ؛ من مذاهب البدع والضلال وعلىٰ رأسهم الخوارج . انظر مقدمة الإمام الكوثري على« تبيين كذب المفتري » (ص٩٤) وما بعدها .

(٧) فُرْهاً : نشيطين مسرعين .

يقولُونَ بخلقِ القرآنِ ، وآونةً يقولُونَ بحُلولِ صفاتِ الباريَّ في بعضِ الأبدانِ ، وهم بينَ سابٍّ للصحابةِ ، ومُشاحِنٍ للقرابةِ .

وما أظنُّكُم إلا بقايا تلكَ الشجرةِ المُجتثَّةِ ، قد شرِبتُم مِنْ تلكَ الذِّمامِ التي هيَ سِمامٌ مُنبثَّةٌ ، وفي قوةِ اللهِ تعالىٰ ما يَفُلُّ غِرارَكُم[١] ، ويُقِلُّ اغترارَكُم ، ويُصْحِيكُم مِنْ هٰذهِ السَّكْرةِ ، ويُعافِيكُم مِنْ هٰذهِ العِلَّةِ التي نُكِسْتُم بها كَرَّةً بعدَ كَرَّةٍ ، وإلا فهوَ وليُّ القِصاصِ ، وأينَ منهُ الفِرارُ ولاتَ حينَ مَناصٍ ؟![٢] .

وفي الدولةِ الناصريَّةِ ـ لا زالَ الحقُّ بها مُؤيَّداً ، والباطلُ مِنْ سَطْوتِها مُشرَّداً ـ ما يحصُدُ شوكتَكُم ، ويخضِدُ أَبَلَتَكُم[٣] ، ويَغُضُّ بعدَ الطُّموحِ طَرْفَكُم ، ويُخرِسُ بعدَ النُّطْقِ صوتَكُم وحَرْفَكُم ، وليَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ ينصرُهُ بقلبٍ صادقٍ ، ويقذِفُ بالحقِّ على الباطلِ فيدمغُهُ فإذا هوَ زاهقٌ .

[جهودُ الدولةِ الناصريَّةِ في كسرِ شوكةِ أهلِ البدعِ]

ولمَّا تنوَّعَ جهادُ الدولةِ الناصريَّةِ الصَّلاحيَّةِ ـ رحمَهُ اللهُ ـ في المُبتدِعةِ والكَفَرةِ ، وغسلَ وجهَ أرضِ ممالكِهِ مِنْ دَنَسِ نَجَسِها وطهَّرَهُ ، ونشرَ في الآفاقِ عَلَمَ السُّنَّةِ المُعلَمَ ، وأَنِسَ بعلمائِها رَبْعُها الذي هوَ خيرُ رَبْعٍ ومَعْلَمٍ[٤] . . أرادَ اللهُ أنْ يكونَ لهٰذهِ الدولةِ الناصريَّةِ حظٌّ في الجهادَينِ ، وأجرٌ جزيلٌ في

---

(١) يَفُل : يكسر ، والغِرار : حدُّ السيف ، ويطلق الغرار أيضاً : على الطريقة أو النوم القليل ، إلا أنَّ الأول أنسب ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) المَناص : التأخُّر والفرار ؛ والمعنىٰ : وليس الحينُ حينَ تأخر وفرار .

(٣) يخضِد : يقطع ، وأبَلَتكم : هتككم وآفتكم ، والإبْلة : العداوة ، وتحتمل في (أ) : (أيْكتكم) ، وهو بمعنى الشجرة الملتفَّة

(٤) وسيذكر المؤلف بعض كبار العلماء في زمن الدولة الصلاحية الذين كان لهم فضل كبير في محاربة البدع وأهلها، ومنهم الإمام الكبير الصوفي محمد الخُبُوشاني الذي كانت له اليد الطُّولىٰ في زوال الدولة الباطنية في مصر ، وكسرِ شوكة المشبهة فيها . انظر (١/ ٤٩٧ـ٤٩٨) .

قمعِ العِنادَينِ ؛ فكسرَ علىٰ يدِهِ التتارَ ، وفلَّ بهِ جيشَ عَزْمِ البِدَعِ المُثارَ ؛ وذلكَ للمُشاركةِ في الألقابِ ، والمماثلةِ في اتِّباعِ السُّنَّةِ والكتابِ ، وكيفَ لا وسيفُها بالحقِّ مشهورٌ ، وركنُها الشديدُ يأوي إليهِ المُحِقُّ المنصورُ ؟!

هُمَا كَنَفَا ٱلأَرْضِ ٱلَّذِي لَوْ تَزَعْزَعَا   تَزَعْزَعَ مَا بَيْنَ ٱلْجَنُوبِ إِلَى ٱلسُّدِّ[1]

أيَّدَ اللهُ منهُما العَزَماتِ ، ورفعَ عنِ الكافَّةِ بهِما الأَزَماتِ ، وجعلَهُما حَدَّينِ لسيفِ الحقِّ المشهورِ ، وعضُدَينِ للملكِ الناصرِ بنِ المنصورِ ، ويسَّرَ علىٰ أيديهِم رَدْعَ بِدْعتِكَ ، وردَّكَ عن طريقِكَ الحائدةِ وشِرْعتِكَ ، وقطعَ لسانَكَ عنِ النُّطْقِ بها ، والدعاءِ إلىٰ سخيفِ مذهبِها[2] .

* * *

---

(١) البيت للعُدَيل بن الفرخ العِجْلي ، وهو من الطويل ، وفي « شرح ديوان الحماسة » : (اللَّذَا) بدل (الذي) بحذف النون للضرورة ، وكَنَفَا الأرض : جانباها ، وقوله : (ما بين الجنوب إلى السُّد) أي : ما بين مَهَبِّ الجنوب إلىٰ سد يأجوج ، والسُّد بالفتح والضم بمعنىً ، وفُرِّق بينهما : بأن الفتح ما كان من صنع الإنسان ، والضمَّ ما كان مخلوقاً لله عزَّ وجل . انظر « شرح ديوان الحماسة » للمرزوقي (١/ ٥٢٤ـ٥٢٥) ، و« تاج العروس » (٨/ ١٨٠) ، مادة : (س د د) .

(٢) انظر (٢/ ٥٢٦) وما بعدها .

فصل

في الإشارة إلى المجلس الذي عُقد لابن تيمية وما كتبه المؤلف ناصحاً له

ولقد ساءَني ما بلغَني مِنْ إِحْجالِكَ في المَحفِلِ الذي رأيتَ[(١)] ، وإذلالِكَ وإنْ كانَ مُقابَلةً على بعضِ ما جنيتَ ، كما سُرِرْتُ برجوعِكَ وتوبتِكَ في الظاهرِ ، وإنْ كانَ مُنادي التقريعِ يُنادِيكَ : آلآنَ ؟! إنَّما هـٰذهِ توبةُ حاذرٍ[(٢)]

هيهاتَ أنْ نُخدَعَ بما يظهرُ مِنْ رجوعٍ ، أو نغترَّ بما نرىٰ منكَ مِنْ خضوعٍ !! إنَّ تحتَ الخضوعِ داءً دَوِيّاً[(٣)] ، وباطناً يُنادي بالحرفِ والصوتِ نداءً خَفِيّاً[(٤)] ، لـٰكنَّا لم نُكلَّفْ بالشَّقِّ عنِ القلوبِ ، ولا وُكِلَ إلينا علمُ الغيوبِ ، ولَيَفضحَنَّ طِباعَكَ التطبُّعُ ، ولَيَظهرَنَّ مِنْ خَلَلِ خِلالِكَ التصنُّعُ .

فلْيجتهدِ المولىٰ أنْ يُزيلَ مِنْ باطنِهِ ما يجدُهُ ممَّا لا يُجديهِ ، وألا يُخفيَ في

---

(١) إحجالك : تقييدك ، ويقصد بالمحفل : المجلس الذي عقد بمصر بدار النيابة بقلعة الجبل بحضور الأمير ركن الدين بيبرس وثلة من العلماء والقضاة . انظر « نهاية الأرب » (٣٢/ ١١٣) وما بعدها .

(٢) انظر نصَّ توبته في خاتمة الكتاب (٢/ ٥٤٠) ، وما سنذكره تعليقاً من كلام الإمام الكوثري في مصداقية هـٰذه التوبة ، كما أشار إليه المؤلف ها هنا ، وكما سيصرح به بعد قليل بقوله : (وليس كل حاكم بتوبتكما ـ أي : ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ الكاذبة يقتنع) ، وإن لم ينبه عليه هناك .

(٣) أخذه من قول سُدَيف في سليمان بن هشام مُخاطِباً أبا العباس السفَّاح : (من الخفيف)

لا يَغُرَّنْكَ ما ترىٰ من رجالٍ ... إنَّ بينَ الضلوعِ داءً دَوِيَّا

انظر « الشعر والشعراء » (٢/ ٧٤٩) ، و« العقد الفريد » (٥/ ٢٢٨) .

(٤) في (ب) : (وناظراً) بدل (وباطناً) .

نفسِهِ منهُ ما اللهُ مُبديهِ ؛ فمَنِ استسرَّ سريرةً ألبسَهُ اللهُ رداءَها فاعلَمْ[١] .

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ ٱمْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ   وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَىٰ عَلَى ٱلنَّاسِ تُعْلَمِ[٢]

[الإشارةُ إلى ابنِ القيم تلميذِ ابنِ تيميةَ في المعتقدِ]

ولقد كتبْنا لكَ في قَفَاءِ سَميِّكَ[٣] ، وتلميذِكَ في المُعتقَدِ وحَفيِّكَ[٤] . .

---

(١) أشار به : إلىٰ ما رواه ابن أبي الدنيا في « الإخلاص » عن سيدنا عثمان رضي الله عنه : (ما مِنْ عبدٍ يُسِرُّ سريرةً إلا ردَّاهُ اللهُ رداءَها علانيةً ؛ إنْ خيراً فخيرٌ ، وإنْ شرّاً فشرٌّ) انظر « كشف الخفاء » (٢/٢٢٦) .

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمىٰ من معلقته الشهيرة، وهو من الطويل. انظر « ديوانه » (ص١١١).

(٣) قوله : (قفاء) كذا في (أ ، ب) ، وهو جائز علىٰ لغة ، المراد هنا : شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بـ (ابن قيم الجوزية) ، وهو الذي هذَّب كتب ابن تيمية ونشر علمه ، وأُهين وعُذِّب بسببه ، وطِيف به علىٰ جمل مضروباً بالعصي ، وكان يُقصد للإفتاء بمسألة الطلاق التي أفتىٰ بها شيخه ابن تيمية ، حتىٰ جرت له بسببها أمور مع قاضي القضاة التقي السبكي وغيره ، وقال إمام الشافعية في عصره ابن حجر الهيتمي في « الفتاوى الحديثية » (ص١٤٤ـ١٤٥) : (وإياك أن تصغي إلىٰ ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وغيرهما ممن اتخذ إلـٰهه هواه وأضلَّه الله علىٰ علم ، وختم علىٰ سمعه وقلبه ، وجعل علىٰ بصره غشاوة. . .) .

وقال الإمام الكوثري في مقدمة « السيف الصقيل » (ص٧) : (وكان ابن زفيل الزرعي المعروف بـ « ابن القيم » يساير ابن تيمية في شواذِّه كلها حيّاً وميّتاً ، ويُقلِّده فيها تقليداً أعمىٰ في الحق والباطل ، وإن كان يتظاهر بمظهر الاستدلال ، لـٰكن لم يكن استدلاله المصطنع سوىٰ ترديد منه لتشغيب قدوته ، دائباً علىٰ إذاعة شواذِّ شيخه ، متوخِّياً في غالب مؤلفاته تلطيفَ لهجة أستاذه في تلك الشواذ ؛ لتنطلي وتنفقَ على الضعفاء ، وعملُهُ كلُّه التلبيس والمخادعة ، والنضالُ عن تلك الأهواء المخزية ، حتىٰ أفنىٰ عمره بالدندنة حول مفردات الشيخ الحرَّاني) .

ولابن القيم هـٰذا قصيدة نونية قال في حقها الإمام الكوثري في مقدمة « السيف الصقيل » (ص١٢) : (ونونية ابن القيم هـٰذه من أبشع كتبه ، وأبعدِها غوراً في الضلال ، وأشنعِها إغراءً للحشوية ضدَّ أهل السنة ، وأوقحها في الكذب على العلماء) .

وقول المؤلف : (سَميِّك) وابن تيمية اسمه أحمد : علىٰ ما هو المشهور من إطلاق محمد علىٰ أحمد والعكس .

(٤) الحَفي : البار المبالغ في الكرامة .

ما تقرؤُهُ بناظرِ الاعتبارِ ، ويُجدِّدُ جِدَّتَهُ ترادفُ الجديدينِ الليلِ والنهارِ ، فجعلَهُ اللهُ سلفاً ومَثَلاً ، ووَرَدَ حياضَ الإذلالِ نَهَلاً وعَلَلاً[(١)]

وإنَّ في ذلكَ لوِ ازدجرتَ لمُزدجَرٌ[(٢)] ، ولٰكنْ هانَ على الأَمْلَسِ ما لاقى الدَّبِرُ مِنَ الدَّبَرِ[(٣)] ، وما هوَ إلا بَيْذَقٌ فَرْزَنْتَهُ في لعبِكَ أُكِلَ وما أَكَلَ[(٤)] ، ودُمَسْتَقُ أسلمَ ابنَهُ للخَطِّيَّةِ ونحلَ[(٥)] ، وتمخرقَ بل هوَ أضعفُ ناصراً وأقلُّ ، فتسلَّ عمَّا حصلَ لكَ مِنَ البُؤْسِ والباسِ ، وتأسَّ فلولا الأَسىٰ ما عِشْتَ في الناسِ[(٦)] .

---

(١) النَّهَل : الشرب الأول ، والعَلَل : الشرب الثاني .

(٢) كذا في الأصل ، والقياس فيه : (لمزدجراً) كما هو في (ب) ، والمثبت له أكثر من توجيه في العربية .

(٣) الدَّبَر : قروح تكون في الدابة ، مفردها : دَبَرَة ، والأملس : الخالي منها ، وهو مثل يضرب في سوء اهتمام الرجل بصاحبه . انظر « مجمع الأمثال » (٢/ ٣٩٣) ، و« تاج العروس » (١١/ ٢٥٦) ، مادة : (د ب ر) .

(٤) أي : ما هو إلا جندي جعلته وزيراً ، والبَيْذَق ـ معرب (بياده) ـ : الجندي الذي يكون في الشطرنج ، وفَرْزنتَهُ : جعلتهُ وزيراً . انظر « تاج العروس » (٤/ ١٩ ، ٢٥/ ٣٧) ، مادة : (ف ر ز ن ، ب ذ ق) .

(٥) الدُّمَستق : ملك من ملوك الروم ، والخطِّيَّة : رماح منسوبة إلىٰ خَطٍّ هجر موضع باليمامة ، ويشير بذلك : إلىٰ حدث تاريخي ؛ وذلك عندما أُسر قسطنطين بن الدمستق في وقعة الأحيدب بين جيش المسلمين بقيادة سيف الدولة ، وجيش الروم بقيادة الدمستق ، وفي ذلك يقول المتنبي : (من الطويل)

أتُسلِمُ للخطِّيَّةِ ابنَكَ هارباً ... ويسكنُ في الدنيا إليكَ خَليلُ

وهٰذا استفهام إنكار وتوبيخ ؛ أي : أتخذل ابنك وتهرب ويثق بك أحد بعد ذلك من خِلانك ؟! أي : لا يثق بك أحد بعد هٰذا . انظر « شرح ديوان المتنبي » للواحدي (ص٥٢٠) ، و« الكامل في التاريخ » (٧/ ٢٠٩) .

(٦) أشار به : إلىٰ بيت الصحابي سيدنا حُريث بن زيد الخيل ؛ وهو قوله : (من الطويل)

ولولا الأسىٰ ما عشتُ في الناسِ ساعةً ... ولٰكنْ إذا ما شئتُ جاوبَني مثلي =

ولولا لُذْتُما بشجرةِ ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ [مريم : ٦٠] مِنْ صارمِ « مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ »(١) مُمتثِلاً لأمرِ ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ ﴾ [النور : ٢] . . لَدخلتُم في خبرِ ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [الأنعام : ٤٥] ، ونادىٰ عليكُم مُنادي الاعتبارِ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ [النازعات : ٢٦] ، لٰكنْ سبقَ لكُما حظٌّ في اصطناعِ ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ ﴾ [هود : ١٠٤] ، فاشكرا اللهَ علىٰ ما أنعمَ بهِ عليكُما مِنَ المَهَلِ ، ولا تعودا إلىٰ ما صدرَ منكُما ؛ فإنْ عادَتِ العقربُ عُدْنا لها(٢) ، مُضافاً إلىٰ ما أصابَها ونالَها ، وليسَ كلُّ حاكمٍ بتوبتِكُما الكاذبةِ يقتنِعُ ، وما كلُّ ظافرٍ بمُصطَنِعٍ .

[جوابُ المُؤلِّفِ عنِ اعتراضِ بعضِهِم علىٰ تقريعِ ابنِ تيميةَ في هٰذا الكتابِ]

وكأنِّي بمَنِ انطوىٰ باطنُهُ علىٰ سوءِ اعتقادٍ ، ولم يجسُرْ علىٰ إظهارِهِ في هٰذهِ البلادِ ، أو في بُغضٍ كامنٍ في النفسِ ، أو حسدٍ مِنْ أبناءِ الجنسِ ، أو غَباوةٍ غالبةٍ علىٰ لُبِّهِ ، أو مَرَضٍ في قلبِهِ . يُعظِمُ عليَّ تقريعَكَ بهٰذا الكلامِ ، وتوبيخَكَ بهٰذا المَلامِ ، ويُندِّدُ بهِ عليَّ مُظهِراً لِمَا كَمَنَ ، فاتحاً علىٰ نفسِهِ أبوابَ التُّهَمِ والرِّيَبِ والظِّنَنِ .

فالجوابُ وباللهِ التوفيقُ : أنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ في كتابِهِ العزيزِ : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

= انظر « حماسة أبي تمام » (٢/ ٣٢٥) .

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٢) ، وأبو داود (٤٣٥١) ، والترمذي (١٤٥٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخذه من قول الفضل بن عباس في عقربِ أحدِ تجار المدينة : (من السريع)

إن عـادَتِ العقـربُ عُـدْنـا لهـا   وكـانَـتِ النعـلُ لهـا حـاضـرة

انظر « مجمع الأمثال » (١/ ١٤٧) .

وأيُّ ظلمٍ أعظمُ مِنْ قولِكَ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ مُتكلِّمٌ بحرفٍ وصوتٍ) ؟!(١) ، فكيفَ وقد ضَمَمتَ إلىٰ ذلكَ إساءتَكَ علىٰ أئمَّةِ الهُدىٰ ، ورميَكَ لهُم بذكرِ الإلحادِ وما أشبهَ ذلكَ ، ونقلَكَ عنِ الإمامِ أحمدَ والإمامِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ إسماعيلَ رضيَ اللهُ عنهُما ضدَّ ما هوَ معلومٌ منهُما ومنقولٌ عنهُما ؟!(٢)

فأنتَ كنتَ لذلكَ سبباً ، ومَنْ يزرعِ الشوكَ لا يحصُدْ بهِ عِنَباً(٣) ، تجرَّأتَ على الخالقِ والمخلوقِ بهواكَ ، ذلكَ بما قدَّمَتْ يداكَ .

[سَلَفُ المؤلِّفِ في الردِّ علىٰ أهلِ البدعِ]

معَ أنَّني اتَّبعتُ في ذلكَ طريقةَ إمامِ الحرمينِ وغيرِهِ مِنْ قُدَماءِ المُتكلِّمينَ ، ونهَجْتُ في ذلكَ سَنَنَ الحافظِ ثقةِ الدِّينِ ابنِ عساكرَ حيثُ خاطبَ أبا عليٍّ الأهوازيَّ ـ قدوتَكَ في فنِّكَ ـ بكلامِهِ الذي خاطبَهُ بهِ في كتابِهِ المُسمَّىٰ « تبيينَ كذبِ المُفتري في ردِّهِ علىٰ أبي الحسنِ الأشعريِّ »(٤) ، ناسجاً علىٰ مِنوالِ ابنِ

---

(١) سيأتي تخريجه في (١/ ١٠٩، ١٢٤ـ ١٢٥) .

(٢) انظر ما سيأتي (١/ ١١٤ـ ١٢٢) .

(٣) أشار به : إلىٰ مثل شهير مُولَّد من قول صالح بن عبد القدوس : (من البسيط)

إذا وتـرتَ امـرأً فـاحـذرْ عـداوتَـهُ ... مَنْ يزرعِ الشوكَ لا يحصُدْ به عِنَبَا

وكان قد أخذه من قول أكثم بن صيفي : (إنك لا تجني من الشوك العنب) انظر « مجمع الأمثال » (٢/ ٧٧) ، و« جمهرة الأمثال » (١/ ١٠٥) .

(٤) وقد كان أبو علي الأهوازي قد نَسَب في كتابه « مثالب ابن أبي بشر » أكاذيبَ وتلفيقاتٍ إلىٰ إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري ؛ ومن ذلك : طعنه في نسبه ، وادِّعاؤه أنَّ الإمام أبا الحسن هو الذي أدخل علىٰ أهل السنة أقوال المعتزلة والزنادقة والملاحدة ، وأن الإمام أظهر التوبة ظاهراً وأضمر في باطنه خبيث الاعتقاد ، وإتيانُه بأخبار كاذبة ممجوجة تقشعر منها الجلود ، وتشمئز منها القلوب . . . إلىٰ غير ذلك من أمور ينفر الطبع السليم من سماعها وإيرادها . =

مَنِّ اللهِ وابنِ أبي الخِصالِ في ردِّهِما على ابنِ غَرْسِيَّةَ لمَّا فضَّلَ العجمَ على العربِ[1] .

سمعتُ الشيخَ الإمامَ السيِّدَ الشريفَ شرفَ الدينِ محمدَ بنَ عمرانَ المعروفَ بالكركيِّ رحمَهُ اللهُ يقولُ[2] : مرَّ الشِّبْلِيُّ رضيَ اللهُ عنهُ في زُقاقٍ مِنْ أَزِقَّةِ بغدادَ ومعَهُ أصحابُهُ ، فألقتِ امرأةٌ مِنْ عُلِّيَّةٍ مِنْ تلكَ العلاليِّ عليهِ رماداً ،

= وقد كان المفتري الأهوازي هـٰذا سالميَّ المعتقد مُشبِّهاً ؛ يثبت ظاهر الآياتِ والأحاديث في حق الله سبحانه وتعالىٰ ، وقد ألَّف كتاباً في نصرة مذهبه سمَّاه : « التبيان في شرح عقود أهل الإيمان » .

وقد قال الحافظ الذهبي في « ميزان الاعتدال » عن كتابه هـٰذا : (لو لم يجمعه لكان خيراً له ؛ فإنه أتىٰ فيه بموضوعاتٍ وفضائحَ) ، وقال الخطيب البغدادي في حق الأهوازي : (أبو علي الأهوازي : كذَّاب في القراءات والحديث جميعاً) انظر « ميزان الاعتدال » (١/ ٥١٣) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٧١٣) .

وابن تيمية جعل الأهوازي هـٰذا وطائفته من جملة أهل السنة ، قال في « مجموع الفتاوىٰ » (٦/ ٥٦) : (وأمَّا السالميَّة : فهم والحنبلية كالشيء الواحد ، إلا في مواضعَ مخصوصةٍ تجري مجرى اختلاف الحنابلة فيما بينهم) في حين عدَّ ابن أبي يعلى ابن الفراء ـ وهو من كبار أئمة الحنابلة ـ في « الاعتقاد » (ص ٤٥ ـ ٤٦) هـٰذه الفرقةَ من الفرق المبتدعة الضالَّة المذمومة ، ومن هنا ندرك السِّرَّ والفائدة في قول المؤلف : (قدوتك في فنِّك) .

وقد طبع « التبيين » طبعة جديدة منقحة مقابلة علىٰ أصول نفيسة لدىٰ دار التقوىٰ ؛ بمُسمَّىٰ : « تبيين كذب المفتري فيما نَسَبَ إلى الإمام الأشعري » ، والحمد لله علىٰ ذلك ، وأُلحق في ذيله كتاب المفتري الأهوازي « مثالب ابن أبي بشر » .

(١) انظر « رسالة ابن غرسية الشعوبية » وردَّ ابنِ مَنِّ الله عليه في « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » (٦/ ٧٠٥) وما بعدها ، وابنُ مَنِّ الله : هو محمد بن عبد المنعم بن منِّ الله القروي (ت ٤٩٣هـ) ، وابن أبي الخصال : هو محمد بن مسعود الغافقي ذو الوزارتين المليء بالعلم والمعارف (ت٥٤٠هـ) ، وابن غرسية : هو الشعوبي أبو عامر أحمد بن غرسية الكاتب ، سُبي صغيراً وأدَّبه مجاهد مولاه ، وانظر « الصلة » لابن بشكوال (١/ ٣٧١ ، ٥٥٧) ، و« المغرب في حلى المغرب » (٢/ ٤٠٦ـ٤٠٧) ، و« الإحاطة في أخبار غرناطة » (٢/ ٢٦٩) وما بعدها .

(٢) ستأتي ترجمة الكركي في (٢/ ٢٠٦ـ ٢١١) ، وسينقل عنه المؤلف نصوصاً قيمة في ثنايا الكتاب غير موجودة في غيره . انظر على سبيل المثال (١/ ١٩٢ـ١٩٣) .

فصادفَ الشيخَ أبا بكرٍ الشِّبْلِيَّ ، فأقبلَ أصحابُهُ على المرأةِ يسبُّونَها ويُعنِّفونَها ، فقالَ : دعُوها ، مَنِ استحقَّ النارَ وصُولِحَ على الرمادِ . . فقد أُنعِمَ عليهِ[1]

لنـا بـرمـزِ الحـواجـبْ كـلامْ تفسيـرُهُ مِنُّـهْ
وأُمُّ الأخـرسِ تفهـمْ كـلامَ الأخـرسْ جَيِّـدْ[2]

[إفتاءُ جماعةٍ مِنْ أئمَّةِ العصرِ على وجوبِ الردِّ على ابنِ تيميةَ في هـٰذا التأليفِ]

هـٰذا معَ أنَّني لم أُظهِرْ هـٰذهِ المُقدِّمةَ إلا بعدَ أنْ عرضتُها على جماعةٍ مِنْ علماءِ مِصْرِنا ، وأئمَّةٍ مِنَ المُفتينَ في عصرِنا ، فأفتَوْا بجوازِ ذلكَ بل بوجوبِهِ ، وكتبَ عليها مَنْ نتأمَّلُ خطَّهُ منهُم[3] ، ولم أقنَعْ في فُتيايَ بالنفسِ كما قنَعَ المُولِّي[4] ، بل قدَّمتُ الاستخارةَ ، وأردفتُها بالاستشارةِ ، وللتبرُّكِ بذلكَ أرجو ألا أخيبَ ، ولا أندمَ إذْ أُجيبُ .

* * *

---

(١) أورد القصة بنحوها الإمام القشيري في « رسالته » (ص٥٣٤) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٣٦) ، وفيهما أنَّ القصة وقعت لأبي عثمان الحيري رحمه الله تعالى ، **والغرض من إيرادها** : التنبيه إلى أن ابن تيمية كان يستحقُّ بسبب مقالاته النارَ والهلاك ، إلا أنَّ علماء عصره المعتبرين قبلوا توبته وصولح عليها .

(٢) هـٰذان البيتان من (الكان وكان) ، وهو من الفنون الشعرية المولَّدة ، وأوردهما ابن حجة الحموي ضمن قصيدة طويلة ، واللفظ فيها :

لنـا بغمـز الحـواجـبْ كـلامْ تَفْسيـرو مِنُّـو
وأمُّ الأخـرسْ تعـرفْ بَلُغـوة الخـرسـانْ

انظر « بلوغ الأمل في فن الزجل » (ص ١٣٩ ـ ١٤٠) .

(٣) في (ب) : (تتأمل) بدل (نتأمل) .

(٤) في (ب) : (باليقين) بدل (بالنفس) ، أي : أنه لم يقتنع بما تمليه عليه نفسه كما فعل ابن تيمية ، بل قدم الاستخارة ثم استشار بعض أئمة عصره ؛ حتى يكون عمله خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى .

شروع المؤلف في الرد على ابن تيمية

وهذا حينُ أبتدئُ مُتتبِّعاً كلامَكَ ، مُظهِراً ما فيهِ مِنَ الخللِ ، مُبيِّناً ما عَرَضَ لكَ فيهِ مِنَ الخَبَلِ ، ولم يمنعْني أنْ أذكرَ نصَّ فُتياكَ على التمامِ والكمالِ ثمَّ أتتبَّعَها بالنقضِ ، إلا أنَّهُ لا ينبغي أنْ يكثرَ مِنْ هَذَيانِكَ النسخُ ، فأخذتُ مواضعَ منها وأضربتُ عنِ الباقي .

واللهُ المسؤولُ أنْ يعصِمَني ممَّا وقعتَ فيهِ ، وأنْ يُرشِدَني لأحسنِ الطريقِ لمُقتفيهِ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ .

قولُكَ : (واتَّفقَ عليهِ سلفُ المؤمنينَ) مُستشهِداً بقولِهِ : ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء : ١١٥] ؛ بقولِكَ : (وذمَّ مَنِ اتَّبعَ غيرَ سبيلِهِم)(١) .

لا يخلو : إمَّا أنْ تكونَ أردتَ بـ(المؤمنينَ) :

طائفةَ أهلِ السنَّةِ منَّا الذينَ لم نُجرِ الظواهرَ على ما هيَ عليهِ مِنَ الإيهامِ ، بل منعْنا ذلكَ مُنزِّهينَ ، وانقسَمْنا إلى : مُؤوِّلٍ ، وساكتٍ معَ نفيِ الظاهرِ .

أو فِرْقَتَكَ التي حكمَتْ على الظواهرِ بما لا يُساعِدُ عليهِ نقلٌ ولا عقلٌ .

فإنْ كنتَ أردْتَنا بهِ فهوَ خلافُ ما يقتضيهِ اعتقادُكَ ، ويحكمُ بهِ عنادُكَ .

وإنْ كنتَ ـ وهوَ الظاهرُ مِنْ كلامِكَ تصريحاً وتلويحاً ـ أردتَ بالمؤمنينَ فئتَكَ وجماعتَكَ ومَنِ اعتقدَ مُعتقَدَكَ . . فمفهومُ إطلاقِكَ يقتضي أنَّ مَنْ عداهُم ليسُوا بمؤمنينَ ، وعليهِ دلَّ آخِرُ كلامِكَ حيثُ قلتَ : (مَنْ قالَ : « استوى »

---

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٢) .

بمعنى « استولىٰ » أو بمعنىً آخَرَ ينفي أنْ يكونَ اللهُ فوقَ سماواتِهِ . . فهوَ جَهْمِيٌّ ضالٌّ)[١]

بل غلبَ عليكَ البَذاءةُ والهوىٰ ، وسلكتَ في ذلكَ مَسْلَكَ مَنْ قد غوىٰ ؛ فقلتَ في جوابِ السؤالِ الرابعِ : (وأمَّا إنْ أرادَ بإجرائِهِ على الظاهرِ الذي هوَ الظاهرُ في عُرْفِ سلفِ الأمَّةِ بحيثُ لا يُحرِّفُ الكَلِمَ عن مواضعِهِ ، ولا يُلحِدُ في أسمائِهِ تعالىٰ ، ولا يُفسِّرُ القرآنَ بما يُخالِفُ تفسيرَ سلفِ الأمَّةِ . . .)[٢] ، فجعلتَ تفسيرَكَ الظواهرَ بمذهبِكَ تفسيرَ سلفِ الأمَّةِ ، وجعلتَ المُؤوِّلينَ لما يُوهِمُ مِنَ الظواهرِ مُلحِدةً .

ولعلَّكَ نسجتَ علىٰ مِنوالِ ابنِ قُدامةَ حيثُ قالَ في الفصلِ الذي قالَهُ في آخرِ « عقيدتِهِ » : (ومِنَ السُّنَّةِ هِجْرانُ أهلِ البِدَعِ)[٣] ، ثمَّ قالَ : (وكلُّ مُتَّسِمٍ بغيرِ الإسلامِ والسنَّةِ مُبتدِعٌ ؛ كالرافضةِ والخوارجِ والجَهْميَّةِ والقَدَريَّةِ والمُرجِئةِ والمعتزلةِ والكراميَّةِ والسَّالميَّةِ والكُلَّابيَّةِ والأشعريَّةِ ونُظَرائِهِم ، فهٰذهِ فِرَقُ الضلالةِ وطوائفُ البدعِ)[٤]

فعدَّ الأشعريةَ معَ مَنِ اتَّسمَ بغيرِ الإسلامِ ، فمَنْ عَذِيرُنا ، ممَّنْ مذهبُهُ

---

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٨) ، وانظر « درء تعارض العقل والنقل » (٧/ ٣٢٨) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٨) .

(٣) لمعة الاعتقاد (ص٤٠) .

(٤) لمعة الاعتقاد (ص٤١ـ٤٢) ، وليس فيه : (والأشعرية) ، والمثبت من النسخة التي اطَّلع عليها المؤلف ، وعلىٰ كلٍّ فلا يُستغرب عدُّ المجسمة قديماً وحديثاً الأشعريةَ وأئمتهم من فرق البدع والضلال ، كما نصَّ علىٰ ذلك ابن أبي يعلىٰ في « الاعتقاد » (ص٤٤) .
ولا بدَّ من التنبيه : أن الكُلابية نسبةٌ إلىٰ عبد الله بن سعيد بن كُلاب البصري المتكلم ، وهو من أئمة أهل السنة والذابِّين عنها ، وكان قد ناظر المعتزلة في مجلس المأمون وغيره فدمَّرهم وفضحهم . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٢٦١ ، ٦٩٨ـ٧٠٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١١/ ١٧٤ـ١٧٦) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/ ٢٩٩ـ٣٠٠) .

واعتقادُهُ تكفيرُنا ؟! ولَعمْري !! لقد عيَّرَ بُجيرٌ بُجَرَةَ ، نسيَ بُجيرٌ خَبَرَهُ[١] .

وسوفَ يأتي في أثناءِ الكلامِ ما يقرَعُكَ علىٰ قِراعِكَ ، وتطيرُ نفسُكَ شَعاعاً في مَحَلِّ نـزاعِـكَ[٢] ، حيـنَ يُكـالُ لـكَ بصـاعِـكَ ، ولنفسِـكَ لُـمْ ولا تلُـمِ المطايا[٣] ، فمَنْ أقرضَ ذلكَ القرضَ وُفِّيَ بهـٰذهِ العطايا .

رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إِذَا قَالَ لِأَخِيهِ ٱلْمُسْلِمِ : (يَا كَافِرُ) . . فقد بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَإِلا رَجَعَتْ عَلَى ٱلْقَائِلِ »[٤] .

قولُكَ : (مُنزَلٌ)[٥] : أتُراكَ علمتَ حقيقةَ الإنزالِ ، وكيفيَّةَ إطلاقِ هـٰذا

---

(١) أي : عيوبه ، وأشار به : إلىٰ مَثَل يقال لمن عاب إنساناً بعيب هو فيه ، والبُجَر : جمع بُجْرةٍ ؛ وهي نتوء السرة ، وبُجير وبُجَرةُ : اسما رجلين فيهما هـٰذا العيب . انظر « جمهرة الأمثال » (٢/ ٣٨) ، و« مجمع الأمثال » (٢/ ٨) .

(٢) أخذه من قول الشاعر قَطَري بن الفُجَاءة الخارجي المشهور ؛ وهو : (من الوافر)

أقـولُ لهـا وقـد طـارَتْ شَعـاعـاً مِـنَ الأبطـالِ ويحَـكِ لـن تُـراعـي

انظر « حماسة أبي تمام » (١/ ٩٦) .

(٣) أشار به : إلىٰ قول بعضهم : (من الوافر)

فنفسَـكَ لُـمْ ولا تلُـمِ المطـايـا ومُـتْ أَسَفـاً فقـد حـقَّ الحِـذارُ

انظر « الزهرة » (ص٣٠١) .

(٤) أخرجه البخاري (٦١٠٤) ، ومسلم (٦٠) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .
وفي هامش (أ ، ب) : (كنتُ أردت أن أذكرَ في كل حديثٍ وخبرٍ عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وفي كل كلام للصحابة والتابعين والعلماء الآتي ذكرُهم في هـٰذا الكتاب . . الأسانيدَ المُوصِلة ذلك إليَّ ، فمنعني بعض الفضلاء وقال : لا تفعل ؛ فإنه يُفضي إلى التطويل ، فحذفت الأسانيد بعد أنْ كنت أثبتها في المسودة ، ولم أذكر شيئاً من ذلك إلا ولي به سند متصل إلىٰ قائله ، فليُعلم ذلك) .

(٥) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٢) ، وانظر « العقيدة الواسطية » (ص٨٩) ، والنص في « الفتاوى الكبرىٰ » : (. . . وهو أنَّ القرآنَ الذي أنزله الله علىٰ عبده ورسوله كلامُ الله تعالىٰ ، وأنه مُنزَلٌ غير مخلوق) .

الاستعمالِ ، أم شرعتَ ـ وما شعرتَ ـ في خَبْطِ عشواءَ[1] ، يجُرُّ إليكَ غارةً شَعْواءَ ؟! فهلُمَّ نَزالِ لمُعتَرَكِ النِّزالِ ، وتكلَّمْ معي علىٰ معنى الإنزالِ ، واسلُكْ جَدَدَ الجِدِّ ، واستعملْ حُجَجاً أمضىٰ مِنْ سلاحِ البطلِ المُعِدِّ .

[مراتبُ إنزالِ القرآنِ]

للإنزالِ مراتبُ : وليسَ شيءٌ منها كما تزعمُ أنتَ وأصحابُكَ ، بل بما دلَّ عليهِ المعقولُ والمنقولُ :

المرتبةُ الأولىٰ : قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ـ١٩٤] ، وقالَ : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل : ١٠٢] ، فهٰذهِ مرتبةٌ أسندَ فيها الإنزالَ إلىٰ جبريلَ عليهِ السلامُ ؛ تارةً أطلقَ ، وتارةً جعلَ أنَّ المُنزَلَ عليهِ قلبُ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فإنزالُ جبريلَ عليهِ السلامُ لهُ وبهِ بمعنىٰ : أنَّ جبريلَ عليهِ السلامُ تلقَّاهُ مِنَ اللوحِ المحفوظِ .

والدليلُ علىٰ أنَّ القرآنَ في اللوحِ المحفوظِ . . مِنَ الكتابِ والسنَّةِ :

أمَّا الكتابُ : فقولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٧ـ٧٩] .

ومِنَ السنَّةِ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَكَتَبَ فِي ٱلذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ »[2] .

---

(١) خبط عَشْواء : هٰذا التركيب الإضافي يُضرَب مثلاً لمن أصحابه منه بين مُعافىً ومُبتلىً ، ولمن يصيب مرة ويخطئ أخرىٰ ، والعَشْواء : الناقة لا تبصر ليلاً فهي تطأ كل شيء ، قال زهير بن أبي سلمىٰ : (من الطويل)

رأيتُ المنايا خبطَ عشواءَ مَنْ تُصِبْ ... تُمِتْـهُ ومَـنْ تُخطِـئْ يُعمَّـرْ فيهـرمِ

انظر « ثمار القلوب » (١/ ٥٣٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩١) ضمن حديث طويل عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما .

فجبريلُ عليهِ السلامُ يتلقَّاهُ مِنَ اللوحِ المحفوظِ فيحفظُهُ ، ثمَّ ينزلُ مِنَ السماءِ إلى الأرضِ وهوَ حافظٌ لهُ ، وقد تقرَّرَ : أنَّ المعانيَ تابعةٌ للذواتِ كما أنَّ الأعراضَ تابعةٌ للجواهرِ في التحيُّزِ ، فإنْ كانَتِ الأعراضُ لا تحيُّزَ لها في الأصلِ فذاتُ جبريلَ تكيَّفَتْ بفهمِ القرآنِ وحفظِهِ ، ونزلَتْ مِنَ السماءِ إلى الأرضِ ، فبلَّغَتْهُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأُطلِقَ عليهِ أنَّهُ نزَّلَهُ جبريلُ ، ويُطلَقُ عليهِ (مُنْزَلٌ) بهٰذا الاعتبارِ في هٰذهِ المرتبةِ .

ويُؤيِّدُ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة : ٤٠] ، فكنَىٰ بقولِهِ : ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ عن حالةِ التبليغِ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، كما كنَىٰ عن نزولِ جبريلَ عليهِ السلامُ حافظاً لهُ وذاكراً لهُ : بأنَّهُ نزلَ بهِ ونزَّلَهُ .

المرتبةُ الثانيةُ : قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف :٢] ، وقالَ : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩][1] ، وقالَ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] ، وقالَ : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الرعد : ١] ، وقالَ : ﴿ طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه : ١-٢] ، وقالَ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف : ١] .

فهٰذهِ مرتبةٌ أسندَ فيها الإنزالَ إليهِ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ هوَ المُوجِدُ لفعلِ جبريلَ عليهِ السلامُ ، وإنزالُهُ ونزولُهُ بالوحيِ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . حقيقةٌ ، وهوَ الآمرُ لجبريلَ عليهِ السلامُ بذلكَ ، والمُوجِدُ لنزولِهِ حافظاً للقرآنِ ذاكراً لهُ إلىٰ أنْ يُبلِّغَهُ .

فمحا في هٰذهِ الصورةِ الواسطةَ وأسندَ الفعلَ إليهِ ؛ زيادةً في التشريفِ ، ومبالغةً في الإكرامِ ، وتقويةً للحُجَّةِ ، وإظهاراً لما تحقَّقَ بهِ سيِّدُنا رسولُ اللهِ

---

(١) في (أ ، ب) : (وأنزلنا) بدل (ونزلنا) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ قطعِ النظرِ عنِ الوسائطِ والتلقِّي منهُ .

وفي كلا المرتبتينِ : الذي انتهىٰ إليهِ إسنادُ الإنزالِ حقيقةً هوَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وهوَ مُنزَلٌ بهٰذا الاعتبارِ أيضاً ؛ كما تقولُ : (ألبسَ السلطانُ فلاناً خِلْعةً) وإنْ كانَ ما باشرَ الإلباسَ[1] ، وإنَّما أمرَ مَنْ ألبسَهُ ؛ فالأفعالُ تُسنَدُ إلى الآمرِ بها كما تُسنَدُ إلىٰ مُباشِرِها .

المرتبةُ الثالثةُ : قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ [البينة : ١-٣] ، وقالَ : ﴿ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [فاطر : ٢٥] .

فأسندَ في هٰذهِ المرتبةِ المجيءَ بالكُتُبِ إلى الرسلِ ، كما أسندَ في المرتبةِ الأولى النزولَ إلىٰ جبريلَ عليهِ السلامُ والإنزالَ ؛ تشريفاً للرسل ، وتنويهاً بقَدْرِهِم ، وإعلاءً لكلمتِهِم ، وحثّاً علىٰ تلقِّي ما جاؤُوا بهِ بالقَبولِ ، كما قالَ : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة : ٤٠] ، وهوَ في هٰذهِ المرتبةِ يُطلَقُ عليهِ أيضاً (مُنزَلٌ) .

المرتبةُ الرابعةُ : قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ ﴾ [الزمر : ٤١] .

فبيَّنَ في هٰذهِ الآيةِ شرفَهُ في الوَساطةِ ، وأنَّ السببَ في ذلكَ إنزالُهُ للناسِ ليهديَهُم ، فجمعَ بينَ المُنزَلِ عليهِ والمُنزَلِ لهُ في الإنزالِ ، وهوَ مُنزَلٌ عليهِ بالمعنى الذي ذكرْناهُ في المرتبةِ الأولىٰ ؛ لنزولِ جبريلَ بهِ ، مُنزَلٌ للناسِ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ مُبلِّغٌ إليهِم لأجلِ هدايتِهِم بهِ .

---

(١) في (ب) : (وإن غيره) بدل (وإن كان ما) ، وطمست في (أ) بسبب تفشي المِداد .

يدُلُّ علىٰ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم : ٩٧] .

المرتبةُ الخامسةُ : قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٣١] ، وقالَ : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] ، وقالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١٧٤] .

فحذفَ الوسائطَ هنا في الإنزالِ فيما بينَهُ وبينَ عبادِهِ ؛ مبالغةً في إقامةِ الحُجَّةِ عليهِم ؛ لأنَّهُ هوَ الذي يُثيبُ ويُعاقِبُ ، وأسندَ الإنزالَ إليهِ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ أمرَ جبريلَ فبلَّغَ كتبَهُ إلىٰ أنبيائِهِ ، فبلَّغَتْها الأنبياءُ إلينا ، وأفعالُهُم بأمرِهِ وبتقديرِهِ ، وهوَ المُوجِدُ لها ، وكلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ .

ويُطلَقُ عليهِ في هٰذهِ المراتبِ كلِّها (مُنزَلٌ) ، وليسَ بمعنىٰ أنَّ الصفةَ القديمةَ حلَّتْ بجبريلَ ، ثمَّ حلَّتْ بالرُّسُلِ ، ثمَّ حلَّتْ بالمُرسَلِ إليهِم ، بل بالمعاني التي قدَّمْناها .

فإنْ كنتَ عنيتَ بـ (المُنزَلِ) و(الإنزالِ) المراتبَ المذكورةَ بالمعاني المبيَّنةِ . . فحسنٌ ، وإنْ عنيتَ حلولَ الصفةِ وتنزُّلَها بمَنْ أُنزِلَتْ عليهِ . . فقد دلَّتِ الدلائلُ العقليَّةُ والسمعيَّةُ علىٰ بُطْلانِهِ علىٰ ما سيأتي ، واللهُ أعلمُ[١] .

* * *

(١) انظر (٢/ ٣٥٧) وما بعدها .

قولُكَ : (منهُ بدأَ وإليهِ يعودُ)[1] ، مُضمِّناً لهُ في كلامِكَ ، مُشيراً إلىٰ أنَّهُ وردَ خبراً[2] ، وقد سمعتُ الشيخَ الحافظَ تقيَّ الدينِ يقولُ[3] : (هـٰذا الحديثُ لا يخلو عن نَظَرٍ) ، يُشيرُ إلىٰ أنَّهُ موضوعٌ ، وقد قالَ أبو الفرجِ ابنُ الجوزيِّ في كتابِهِ « الموضوعاتِ » : (إنَّهُ موضوعٌ)[4] .

قلتُ : وبتقديرِ أنْ لا كلامَ فيهِ لا يخلو :

إمَّا أنْ تُجرُوهُ مُجرى الظواهرِ المُطلَقةِ التي لا تعلمونَ لها تأويلاً ولا تذكرونَهُ ، وتكِلُونَ علمَهُ إلى اللهِ تعالىٰ .

أو تحملونَهُ علىٰ مَحمَلٍ ما[5]

إنْ بقَّيتموهُ علىٰ ظاهرِهِ ، ووكلتُم علمَهُ إلى اللهِ تعالىٰ ، ولم تعلموا تأويلَهُ . . **فنقولُ لكُم** : كيفَ تستدلُّونَ علىٰ مرادِكُم بحديثٍ لا تعلمونَ مرادَ قائلِهِ بهِ ؟!

---

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦ / ٤٦٢) ، وانظر « العقيدة الواسطية » (ص٨٩) .

(٢) ولفظ الحديث عن سيدنا أنس رضي الله عنه : « كل ما في السماوات والأرض وما بينهما . . فهو مخلوق ، غيرَ الله والقرآن ؛ وذلك أنه كلامه ، منه بدأ وإليه يعود . . . » انظر « اللآلئ المصنوعة » (١ / ١١ـ١٢) ، و« تنزيه الشريعة المرفوعة » (١ / ١٣٤) ، وسيأتي الكلام عن هـٰذا الحديث في (٢ / ٣١٩) مفصلاً .

(٣) هو الإمام الحجة المجتهد القاضي أبو الفتح ابن دقيق العيد رحمه الله تعالىٰ ، وستأتي ترجمته والنقل عنه في أكثر من موضع من هـٰذا الكتاب . انظر (٢ / ٢٥٣ـ ٢٧٢) .

(٤) الموضوعات (١ / ١٥٢) .

(٥) قوله : (تحملونه) كذا في (أ ، ب) ، والقياس والأنسب : (تحملوه) .

وإنْ حملتُموهُ على مَحْمَلٍ فنقولُ : هٰذا خلافُ طريقتِكُم ؛ فإنَّ طريقتَكُم عدمُ الحملِ والتأويلِ ، فتأويلُ هٰذا دونَ غيرِهِ مِنَ الظواهرِ ترجيحٌ مِنْ غيرِ مُرجِّحٍ .

ونتنزَّلُ معَكُم فنقولُ : إذا حملتُموهُ فأكثرُكُم يرويهِ مهموزاً (بدأَ) ، ويُؤيِّدُهُ قولُهُ : (يعودُ) ، فيكونُ ذلكَ مِنَ البداءِ والعودِ ، وأنتُم تقولونَ : إنَّ التلاوةَ هيَ المتلوُّ ، وإنَّ المتلوَّ الصفةُ القديمةُ ، فتكونُ على هٰذا الصفةُ القديمةُ مُبتدَأةً ، وهٰذا خبطٌ وهَذَيانٌ ، ومعَ هٰذا فقد أقدمَ عليهِ ابنُ قدامةَ منكُم ؛ فإنَّه قالَ في « عقيدتِهِ » : (إنَّ مِنْ كلامِهِ القرآنَ ، وهوَ حروفٌ وكلماتٌ ، لهُ أوَّلٌ وآخرٌ)[1] .

وبعضُكم يقولُ : (بدا) مِنْ غيرِ همزٍ ؛ مِنْ (بدا يبدو) إذا ظهرَ .

فنقولُ : مِنْ مذهبِكُمُ السخيفِ : القولُ بالحرفِ والصوتِ ، وأنَّ كلامَ الباريْ لا ينفكُّ عنهُما ، وبأيِّ معنىً فسَّرتُموهُ : فإذا ظهرَ في الوجودِ صوتٌ لا كالأصواتِ ، أو مِنْ غيرِهِ والصفةُ حالَّةٌ فيهِ . فمُحالٌ أنْ يعودَ نفسُ ذلكَ الصوتِ الذي مضىٰ وانقضىٰ وكانَتْ لهُ بدايةٌ ونهايةٌ .

فإنْ قلتُم : إنَّ نفسَ ذلكَ الصوتِ يعودُ . فهٰذا أيضاً هَذَيانٌ ، هٰذا حيثُ أفلحتُم وأوَّلتُم .

قولُكَ : (الذي كتبَتْهُ الصحابةُ)[2] : لا فرقَ بينَ الذي كتبَتْهُ الصحابةُ مِنَ المصاحفِ وبينَ الذي كتبَهُ غيرُهُم في الاحترامِ ، وإجراءِ المعتقداتِ والأحكامِ ، فإنْ لم تعتقدِ الفرقَ فقولُكَ تسميعٌ للجهلةِ مِنْ طائفتِكَ وتشنيعٌ ، وإنِ اعتقدتَ الفرقَ فهوَ جهلٌ شنيعٌ .

---

(١) لمعة الاعتقاد (ص١٨) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٢) .

قولُكَ : (ومنهُ ما يكونُ معَ كلٍّ مِنَ المتنازِعَينِ نوعٌ مِنَ الحقِّ ، ويكونُ كلٌّ منهُما ينكرُ حقَّ صاحبِهِ)(١)

متىٰ أنكرَ حقَّ صاحبِهِ كانَ ذلكَ مِنْ نوعِ الخطأِ ، ولعلَّكَ بنيتَ الأمرَ في ذلكَ علىٰ ما جرتْ عادتُكُم بهِ مِنَ العنادِ في الحقِّ ، وإنكارِ ما أرشدَ إليهِ الدليلُ الواضحُ .

لا جرمَ أنَّكَ قلتَ : (وهٰذا مِنَ التفرُّقِ والاختلافِ المنهيِّ عنهُ)(٢) ، ولعلَّكَ لا يُرضيكَ إلا أنْ يوافقَكَ أهلُ السنَّةِ علىٰ ما ذهبتَ إليهِ مِنْ هَذَيانِكَ الذي هذيتَهُ ، ونقلِكَ الفاسدِ الذي افتريتَهُ .

ثمَّ استشهدتَ بقولِهِ : ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة : ١٧٦] ، وقولِهِ : ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران : ١٠٥] (٣) ، ولا شكَّ أنَّ الاختلافَ في أصولِ العقائدِ مذمومٌ، لٰكنَّ هٰذا القولَ نقولُ بموجَبِهِ ، ونقولُ لكَ : يجبُ عليكَ أنْ ترجعَ عن هٰذا الاعتقادِ الفاسدِ ، وتوافقَ أهلَ الحقِّ ولا تُفارِقَهُم .

قولُكَ : (الواجبُ على المسلمِ أنْ يلزمَ سنَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وسنَّةَ الخلفاءِ الراشدينَ)(٤)

لا نزاعَ في ذلكَ ، وسيأتي ما نُقِلَ عنِ الخلفاءِ الراشدينَ مِنْ تأويلِ الظواهرِ ، وحملِها علىٰ مَحْمَلٍ صحيحٍ لا يأباهُ النقلُ ، ويقتضيهِ العقلُ(٥)

---

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٢) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٢) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٢) .

(٤) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٥) كما في (الباب الثالث) ، فيمن قال بالتأويل من الصحابة والتابعين من سلف هٰذه الأمة . انظر (١/ ٢١١) وما بعدها .

أتُراكَ نقلتَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أو عنِ الخلفاءِ الراشدينَ . .
أنَّهُم قالُوا : إذا جاءَكُم ظواهرُ تُوهِمُ فاستمسكُوا بها ، ولا تحملُوها علىٰ تأويلٍ صحيحٍ ؛ حتىٰ يكونُ المؤوِّلُ لذلكَ مُخالِفاً للرسولِ أو للخلفاءِ الراشدينَ ؟!

بل أقولُ : المُنكِرُ لذلكَ مُبتدِعٌ ؛ فإنَّهُ أنكرَ ما لم يردْ عنِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نقلٌ بإنكارِهِ ، ولا عنِ الخلفاءِ الراشدينَ ، ولا عنِ الصحابةِ والتابعينَ .

قولُكَ : (إنْ أمكنَهُ أنْ يفصِلَ النِّزاعَ بالعلمِ ، وإلا استمسكَ بالجُمَلِ الثابتةِ بالنصِّ والإجماعِ)[1] .

قد أمكنَ وللهِ الحمدُ أنْ نفصِلَ النِّزاعَ بالعلمِ ؛ فإنَّ الدليلَ العقليَّ القاطعَ شاهدٌ مُصدِّقٌ ، وحاكمٌ مُحقِّقٌ ؛ فقد دلَّ العقلُ الدالُّ علىٰ معرفةِ الذاتِ والصفاتِ علىٰ تأويلِ ما وردَ مِنَ الظواهرِ ، فهوَ دليلٌ بعلمٍ يفصِلُ النِّزاعَ علماً لا ظنّاً ، وقطعاً لا اجتهاداً ، فيجبُ عليكُمُ المصيرُ إليهِ ، لٰكنَّ الخِذْلانَ صدَّكَ ، والشيطانَ تاهَ بكَ عنِ الطريقِ وردَّكَ .

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي ٱلأَفْهَامِ شَيْءٌ ... إِذَا ٱحْتَاجَ ٱلنَّهَارُ إِلَىٰ دَلِيلِ[2]

قولُكَ : (وإلا استمسكَ بالجُمَلِ الثابتةِ بالنصِّ والإجماعِ) .

النصُّ : يُطلَقُ ويُرادُ بهِ : ما لا يحتملُ التأويلَ .

ويُطلَقُ ويُرادُ بهِ : الظاهرُ ؛ كقولِكَ : هٰذا نصُّ الشافعيِّ ، ومقتضىٰ نصِّ « التنبيهِ » كذا ؛ أي : ظاهرُ كلامِهِ كذا .

ويُطلَقُ ويُرادُ بهِ : ما دلَّ علىٰ معنىً كيفَ كانَ ، وهوَ غالبُ استعمالِ الفقهاءِ .

---

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .
(٢) البيت للمتنبي في « ديوانه » (٣/ ٩٢) ، وهو من الوافر ، وهـٰذا البيت من أمثاله السائرة .

فإنْ كنتَ أردتَ بهِ المعنى الأولَ ـ وهوَ أنَّ النصَّ الذي لا يحتملُ تأويلاً ـ فهوَ باطلٌ لوجهينِ ؛ أحدُهُما : أنَّهُ مُصادَرةٌ علىٰ مَحَلِّ النزاعِ مِنْ غيرِ دليلٍ ، والثاني : أنَّكَ وبعضَ أصحابِكَ الذينَ لا يعتقدونَ الجسميَّةَ وافقتُم علىٰ أنَّ لهُ تأويلاً عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ لا تعلمونَهُ ولا تُقدِمُونَ عليهِ ، مُستدلِّينَ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] ، إلا أنْ تكونَ ممَّنْ يعتقدُ أنَّ الظواهرَ مُستعمَلةٌ فيما وُضِعَتْ لهُ ، محمولةٌ علىٰ ما استُعمِلَتْ فيهِ ؛ فحينَئذٍ يصدُقُ عليها علىٰ رأيِكَ أنَّها نصوصٌ لا تحتملُ التأويلاتِ ، وحينَئذٍ تسقطُ مُحاجَّتُكَ والكلامُ معَكَ ؛ لسخافةِ عقلِكَ .

وَمَـنْ يَـكُ ذَا فَـمٍ مُـرٍّ مَـرِيـضٍ يَجِـدْ مُـرّاً بِـهِ ٱلْمَـاءَ ٱلـزُّلَالَا[١]

وإنْ أردتَ بالنصِّ الظاهرَ فالظاهرُ ليسَ قطعيّاً ، وإذا لم يكنْ قطعيّاً وقد دلَّ الدليلُ العقليُّ علىٰ وجوبِ التأويلِ . . فوجبَ المصيرُ إليهِ ، وحينَئذٍ لا يتِمُّ لكَ مقصودُكَ .

وإنْ أردتَ بالنصِّ المعنى الثالثَ فذلكَ أيضاً أبعدُ لكَ .

وإذا بطلَ أنْ يكونَ مُرادُكَ المعنى الأولَ والثانيَ والثالثَ . . بطلَ تشنيعُكَ بالنصِّ والاستمساكِ بهِ .

قولُكَ : (والإجماعِ)[٢] ، سيأتي الكلامُ في الفصلِ الذي بعدَهُ على الإجماعِ وإبطالِ ما اعتقدتَهُ منهُ[٣] .

---

(١) البيت للمتنبي في « ديوانه » (٣/ ٢٢٨) ، وهو من الوافر ، وهـٰذا البيت من أمثاله السائرة .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٣) انظر (١/ ٩٠، ١٢٢ـ١٢٣) .

قولُكَ : (فإنَّ مواقعَ التفرُّقِ والاختلافِ تصدُرُ عنِ اتِّباعِ الظنِّ وما تهوى الأنفسُ)[١] .

لا يخلو : إمَّا أنَ يكونَ التفرُّقُ للدنيا ، أو للدِّينِ :

لا جائزَ أنْ يكونَ المرادُ التفرُّقَ للدنيا ؛ لأنَّ العلماءَ العارفينَ باللهِ اتفقوا على هجرِها وتركِها ، بل هيَ أقلُّ عندَهُم مِنْ أنْ يلحظونَها أو يختلفونَ عليها[٢] .

والاختلافُ للدينِ لا يخلو : إمَّا أن يكونَ في الفروعِ أو في الأصولِ ؛ فإنْ كانَ في فروعِ العباداتِ والمعاملاتِ . . فالاختلافُ فيها اتِّفاقٌ ، وكلٌّ منهُم مُحِقٌّ ، ولهُ أجرٌ أو أجرانِ ، واختلافُ العلماءِ رحمةٌ .

وأمَّا الاختلافُ في أصولِ العقائدِ . . فكلامُكَ يُشعِرُ بأنَّ اختلافَهُم فيها يصدُرُ عنِ اتباعِ الهوى ، وهٰذهِ فَرْطةٌ عظيمةٌ وسَقْطةٌ ، ووقوعٌ في العلماءِ وجرأةٌ عليهِم .

وقولُكَ : (تصدُرُ عنِ اتباعِ الظنِّ)[٣] أيضاً خطأٌ ؛ فإنَّ العقائدَ قطعيَّةٌ ، ولأجلِ هٰذا يكفرُ مَنْ ذهبَ إلى الجِسْميَّةِ ، وإلى إنكارِ الصفاتِ[٤] ، وغيرِ

---

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٣) .

(٢) كذا في نسختينا بإثبات النون في الفعلين مع تقدم الناصب ، وهو جائز على ما ذهب إليه بعض العرب من إهمال (أن) حملاً على أختها (ما) المصدرية ، وإن وقعت بعد ما لا يدل على يقين أو رجحان ، وحملوا عليه قول الشاعر : (من البسيط)

أنْ تقـرأانِ علـى أسمـاءَ وَيحَكمـا ... منِّـي السـلامَ وألا تُشْعِـرا أحـدا

وقوله تعالى : (لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمُّ الرَّضَاعَةَ) في قراءة من رفع (يتم) ، وهي قراءةٌ شاذة ، وهٰذا مذهب البصريين ، وأما الكوفيون فهي عندهم مخففة من الثقلية . انظر « شرح الأشموني على الألفية » (٣/ ٥٥٣ـ٥٥٤) .

(٣) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٣) .

(٤) لعل مراده : كفرُ من جسَّم صراحة ، وكفر من أنكر الصفاتِ المعلومةَ من الدين بالضرورة ؛ ككون الله عالماً أو قادراً ، والله تعالى أعلم ، وإلا فالمحقَّق أن المجسمة ومنكري =

ذلكَ ، وليسَتْ قواعدُ العقائدِ ظنيَّةً ؛ فلأجلِ هـٰذا يُستدَلُّ مِنْ كلامِكَ علىٰ جهلِكَ[1]

وقولُكَ : (والواجبُ حملُ العامَّةِ بالجُمَلِ الثابتةِ بالنصِّ والإجماعِ ، ومنعُهُم مِنَ الخوضِ في التفصيلِ الذي يُوقِعُ بينَهُمُ الفُرْقةَ والاختلافَ)[2]

قد مضى الكلامُ علىٰ قولِكَ : (النصِّ)[3]

وأمَّا الإجماعُ : فأيُّ إجماعٍ ينعقدُ بدونِ العلماءِ الذينَ نذكرُهُم مِنَ الصحابةِ والتابعينَ وعلماءِ كلِّ عصرٍ إلىٰ عصرِنا هـٰذا ؟! وهل دعواكَ الإجماعَ إلا محضُ مُكابَرةٍ وافتراءٍ ، ووقاحةٍ واجتراءٍ ، كما سبقَ كلامُكَ في النصِّ ؟!

فهـٰذانِ أمرانِ لم يَتِمَّا لكَ ، ومعَ ذلكَ فقد حملتَهُم أنتَ على الظاهرِ الذي يُنافي التنزيهَ ، ولم تمنعْهُم مِنَ الخوضِ ، وأفتيتَهُم بالجمودِ علىٰ ما يفهمونَهُ مِنَ الظواهرِ في اليدِ والعينِ ، والجَنْبِ والإصبَعِ ، والفوقيَّةِ والتحيُّزِ ، فأضللتَ كثيراً مِنَ الناسِ ؛ كلُّ ذلكَ لكي يتبعَكَ الطَّغامُ والجمُّ الغفيرُ[4] ؛ لتنالَ بذلكَ مقاصدَ دنيويةً ، وقد حصلَ لكَ ذلكَ ، فنسألُ اللهَ السلامةَ .

وأمَّا قولُكَ : (الفُرْقَـةَ) فأيُّ فُرْقةٍ أعظمُ ممَّا صنعتَ ؟! ظنَّ قومٌ كنَّا نُسلِّمُ عليهِم ، ونُحسِنُ بهِمُ الظنَّ ، ولا يظهرُ لنا مِنْ بواطنِهِم شيءٌ . . أنَّ بإظهارِكَ

= الصفات كالمعتزلة . . لا يكفرون بل يفسقون .

(١) وهـٰذه الجهالة نفسها غرسها الأصواتية في عقل الملك الأشرف ، فردَّ عليه سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، وبين فساد ما ذهب إليه ، وسيأتي ذكر الفتنة التي تعرض لها العز بن عبد السلام مع المشبهة الأصواتية في عصره مفصلةً مبينة ، وما آلت إليه من نصر أهل السنة وكسر شوكة المبتدعة . انظر (٢/ ٥٠٠ـ ٥١٩) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٣) انظر (١/ ٨٧ـ ٨٨) .

(٤) الطَّغام : أوغاد الناس وأراذلهم .

هـٰذهِ البدعةَ قد جاءَ أوانُهُم ، وأنَّ الزمانَ زمانُهُم ، فأطلعُوا رؤوسَ النفاقِ ، وأظهرُوا كوامنَ البواطنِ مِنَ الشِّقاقِ ، فقهرَتْهُم أيدي السُّنَّةِ ، وأَيْدُ تأييدِ اللهِ ذي المِنَّةِ[1] ، فأصبحُوا منبوذينَ منقطعينَ ، عنِ المودَّةِ محدودينَ[2] ؛ يُقالُ : فلانٌ وفلانٌ بهـٰذهِ الصفةِ فليُحْذَرْ ، ولْيُعامَلْ مِنَ الهُونِ بما هوَ بهِ أجدرُ ، ولله أمرٌ هوَ بالغُهُ .

وأيُّ فُرْقةٍ أعظمُ ممَّا صنعتَ ؟! أن ينفرَ الأبُ مِنِ ابنِهِ ، والأخُ مِنْ أخيهِ ؛ فإنَّ المُعتقَدَ لا يُداهَنُ فيهِ[3] .

وكانتِ الناسُ مستورينَ ، وبحسنِ الظنِّ بهِم غيرَ مسبورينَ ، ففضحتَ نفسَكَ وقومَكَ .

وكانَ حقُّكَ أنْ تصبرَ حتىٰ يخرجَ الدجَّالُ[4] ، وإلا فالوقتُ ولله الحمدُ علىٰ خيرٍ ، وأهلُ السنَّةِ أيَّدَهُمُ اللهُ علىٰ عدوِّهِم فأصبحُوا ظاهرينَ ؛ ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٧] .

---

(١) الأَيْدُ : القوَّة والشِّدَّة .

(٢) المحدود : المحروم والممنوع من الخير وغيره .

(٣) فلذلك ورد التحذير من مجالسة أهل البدع ، كما سيأتي الحديث عنه في (٢/ ٤٨١ـ ٤٨٦) ، ومما ورد مما لم يذكره المؤلف : ما أخرجه البيهقي في « الشعب » (٩٠٣٩) من كلام إبراهيم القصار قال : (أشدُّ البلاء : صحبة من يخالفك في اعتقادك ، أو تحتاجُ أن ترائي له في صحبتك ، وأولى الناس بالصحبة : من يوافقك في اعتقادك ، وتحتشمه في مجالستك معه ، ذاك الذي يمنعك عن أنواع المخالفات رؤيتُهُ وصحبتُهُ) .

(٤) فإن الأعور الدجال يدَّعي الألوهيَّة ، ويأتي بخوارق يفتتن الناس بها ، وهو مُصوَّر مُجسَّم يُرىٰ بالعين ، وذو أيد وأرجل وأعين ولهوات وأضراس ، فابن تيمية لو صبر ونشر عقائده الفاسدة في زمن خروج الدجال . . لوجد أتباعاً كثيرين ، وجمهوراً عديدين ، من الطَّغام والمفتونين ، وسيسرح ويمرح في افتتان الناس في ظل خمود أهل العلم الراسخين الذين يحاربون فكره ويُحذِّرون من رأيه .

قولُكَ : (مَنِ اعتقدَ أنَّ المِدادَ الذي في المصحفِ وأصواتَ العبادِ قديمةٌ أزليَّةٌ . فهوَ ضالٌّ مُخطِئٌ)[١]

صدقتَ في هٰذهِ المقالةِ ، وخلَصْتَ بها مِنْ رِبْقةِ الجهالةِ ، وهيَ كلمةُ حقٍّ ، صدرَتْ مِنْ باطنِ غيرِ مُحِقٍّ .

ولعمري !! لقد شهدتَ علىٰ نفسِكَ وعلىٰ قومِكَ ، وأفتيتَ فيهِم بحُكمِ اللهِ المؤذنِ بلومِكَ ؛ فإنَّ القائلَ بذلكَ فِرقةُ الضلالِ .

وقولُكَ : (لم يقلْ أحدٌ مِنْ علماءِ المسلمينَ ؛ لا مِنْ أصحابِ الإمامِ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ ولا مِنْ غيرِهِم : إنَّ ذلكَ قديمٌ)[٢]

أمَّا علماءُ المسلمينَ وأوائلُ أصحابِ الإمامِ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ وعنهُم . . فلم يقولُوا بذلكَ ، لٰكنِ المُتأخِّرونَ مِنْ أصحابِ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ قالُوا بهِ ودعَوا إليهِ ، وآخِرُهم أنتَ ، وسأُذكِّرُكَ بهِ حينَ تقولُ : (وليسَ الكلامُ اسماً لمجرَّدِ اللفظِ فقطْ ، ولا المعنىٰ فقطْ ، بل لمجموعِهِما) ، وتُشبِّهُ اللفظَ بالجسدِ ، والصفةَ بالروحِ الحالَّةِ في الجسدِ[٣]

وهٰذا أدلُّ دليلٍ علىٰ أنَّكَ تعتقدُ حلولَ الصفةِ باللفظِ ، فما رددتُ عليكَ بشيءٍ أوضحَ مِنْ كلامِكَ ، ولٰكنْ نريدُ أنْ نسترَ عورةً قُضِيَ بظهورِها ، ونُغطِّيَ سوءةً قد كُشِفَ فاضحُ مَسْتورِها .

وقد قالَ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ الكوداريُّ في « رسالتِهِ » في أثناءِ كلامِهِ : (ومِنَ الدليلِ علىٰ أنَّ ألفاظَنا بالقرآنِ أوِ القرآنَ بألفاظِنا غيرُ مخلوقٍ : قولُهُ تعالىٰ ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦]) .

---

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٧) ، وانظر ما سيأتي (١/ ١٢٤ـ ١٢٥) .

بل أردفَهُ بحكايةٍ حكاها عن أبي بكرٍ الآجُرِّيِّ ، فقالَ : خرجَ أبو بكرٍ الآجُرِّيُّ يوماً مِنَ الكعبةِ ، فلمَّا توسَّط الطريقَ عارضَهُ إبليسُ لعنَهُ اللهُ وهوَ ساعٍ ، فعرفَهُ الشيخُ ، فقالَ لهُ : يا جانُّ ؛ مَهْ ، ما لكَ هاربٌ ؟ فقالَ : هربتُ مِنْ جماعةِ المُتكلِّمينَ ؛ يقولُونَ : القرآنُ ليسَ كلامَ اللهِ ، قالَ : فقلتُ لهُ : فما تقولُ أنتَ فيهِ ؟ فقالَ : يا أبا بكرٍ ؛ ما أقولُ وقد قالَ : قالَ [. . .] سمعتُهُ[1] : ﴿ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾ [الحجر : ٣٤] ؟!

وحسبُكَ مَنْ يكونُ إمامُهُم وشيخُهُم في الاستدلالِ علىٰ مُعتقَدِهِم . . الشيخَ النجديَّ !![2] ، ما هٰذا إلا اعترافٌ بالاقترافِ ، وتوغُّلٌ في الزيغِ والانحرافِ .

ويدُلُّ أيضاً علىٰ أنَّكُم تدَّعُونَ أنَّ أصواتَ العبادِ قديمةٌ لِمَا يحُلُّ فيها مِنَ الكلامِ : قولُ أبي عاصمِ بنِ أصرمَ النَّسائيِّ المُلقَّبِ بـ (خُشَيشٍ)[3] عندَ قولِهِ

---

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وتستقيم العبارة إذا قلنا : (ما أقول وقد سمعته قال) .

(٢) أشار بهٰذا اللفظ : إلى الحادثة المشهورة في كتب السيرة ، عندما تلبَّس إبليس اللعين بصورة شيخ نجدي ، ودخل اجتماعَ قادة قريش المشؤومَ في دار الندوة ؛ للتشاور في كيفية قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر « سيرة ابن هشام » (١/ ٤٨١ـ٤٨٢) ، ولا يخفىٰ علىٰ كل ذي لُبٍّ حكمة تلبُّس الشيطان بشيخ من شيوخ نجد ، كما لا يخفىٰ علىٰ كل ذي عقل حكمة طلوع قرن الشيطان منها ، وكذلك حكمة خروج الفتن منها ، كما ورد في الحديث الصحيح ، ومن أخطر الفتن التي انبثقت من هٰذه البقعة : فتنة التجسيم والتشبيه والتكفير وغيرها التي اجتاحت العالم الإسلامي أجمع ، فحسبنا الله ونعم الوكيل ، وهو مقصودنا بالفرج القريب واللطف الجميل .

(٣) لعله قاله في كتاب « الاستقامة » ، قال الإمام الكوثري في تعليقاته على « السيف الصقيل » (ص١٢٥) : (وخشيش بن أصرم صاحب كتاب « الاستقامة » ، يعرف أهلُ الاستقامة مبلغَ انحرافه ، ومن جملة ما هذىٰ به قوله : « فإن زعمت الجهمية : فمن يخلفه إذا نزل ؟ قيل لهم : فمن خلفه في الأرض حين صعد ؟ » . . .) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « حَسِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِٱلْقُرْآنِ »[1] : (إنَّما الأصواتُ مِنَ القراءةِ ، ويُسمَعُ مِنَ القراءةِ كلامُ اللهِ على الحقيقةِ لا على المجازِ) .

ونقلَ أيضاً عن أبي طاهرٍ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الحنبليِّ[2] في ردِّهِ على الأشعريِّ ؛ فقالَ : (وعندَ الأشعريِّ القراءةُ تُقرَأُ لا القرآنُ ، وقد قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، فأُمِرَ أنْ يتلوَ القرآنَ الذي أُوحِيَ إليهِ ، فلو كانَ لا يُمكِنُ أحداً أنْ يتكلَّمَ بكلامِ اللهِ تعالىٰ . . لكانَ سبحانَهُ قد كلَّفَ خلقَهُ ورسولَهُ بما لا يتأتَّىٰ وقوعُهُ منهُ) .

فهـٰذا دليلٌ علىٰ أنَّهُ يعتقدُ حلولَ الصفةِ ـ التي هيَ الكلامُ القديمُ ـ بكلامِ القارئِ وصوتِهِ الحادثِ .

وموضعُ الاستشهادِ : قولُهُ : (لو كانَ لا يُمكِنُ أحداً أنْ يتكلَّمَ بكلامِ اللهِ تعالىٰ) لأنَّا اتَّفقْنا علىٰ أنَّ القراءةَ مُمكِنةٌ .

وموضعُ الخلافِ بينَنا وبينَكُم : إمكانُ حلولِ الصفةِ القديمةِ في الحادثِ ؛ فأنتُم تقولُونَ : إنَّهُ ممكنٌ واقعٌ ، ونحنُ نقولُ : لا يمكنُ .

ولم يكفِ هـٰذا القائلَ ـ أعني : أبا طاهرٍ الحنبليَّ ـ ما ذكرَ مِنْ هـٰذا الكلامِ حتىٰ نقلَ نقلاً فاسداً ؛ فقالَ : (قالَ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ : سألتُ أبي رحمَهُ اللهُ : ما تقولُ في رجلٍ قالَ : التلاوةُ مخلوقةٌ ، وألفاظُنا بالقرآنِ مخلوقةٌ ، والقرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ؟ فقالَ : هـٰذا كافرٌ ، وهـٰذا كلامُ الجهميَّةِ)[3]

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٦٨) ، والنسائي (٢/١٧٩) ، وابن حبان (٧٤٩) وغيرهم من حديث سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما ، وانظر ما سيأتي حول هـٰذا الحديث في (٢/٤٤٠) .

(٢) ويعرف بـ (القطان) ، وهو من كبار تلاميذ ابن حامد المشبه ، توفي سنة (٤٢٤هـ) انظر « الوافي بالوفيات » (٦/١٢٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٩/١٢٤) .

(٣) انظر « السنة » (١ـ٣ ، ١٨٧) .

وقد نقلتَهُ أنتَ أيضاً في كلامِكَ .

وأقسمُ باللهِ ؛ لقد تعمَّدَ الكذبَ على أبي عبدِ اللهِ ، والدليلُ عليهِ : أنَّ الإمامَ الحافظَ أبا بكرٍ أحمدَ بنَ الحسينِ البيهقيَّ . . نقلَ في كتابِ « الأسماءِ والصفاتِ » : أنَّ الإمامَ أحمدَ ابنَ حنبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنكرَ على أبي طالبٍ تلميذِهِ قولَهُ : (لفظي بالقرآنِ غيرُ مخلوقٍ) ، ونقلَ عنِ الإمامِ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ النقلَ الذي نقلَهُ أبو طاهرٍ مُقيَّداً لا مُطلقاً على ما سيأتي بيانُهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى[1] .

ولم يكفِ أبا طاهرٍ ذلكَ حتى قالَ : (وفي قطعِ صاحبِنا على تكفيرِ مَنْ قالَ : « لفظُهُ بالقرآنِ مخلوقٌ » . . أوضحُ دلالةٍ على أنَّهُ يعتقدُ ما يتلوهُ العبادُ أنَّهُ كلامُ اللهِ تعالى في الحقيقةِ) .

قلتُ : أنا إلى الآنَ لم أردَّ عليكَ مِنِ ابتداءِ الكلامِ وإلى هلمَّ . . إلا بما نقلَهُ أصحابُكُم .

فأمَّا ما نقلَهُ أصحابُنا عنكُم : فقد نقلَ القاضي أبو بكرِ بنُ الطيِّبِ[2] في كتابِهِ المُسمَّى بـ « النقضِ الكبيرِ » الذي احتوى على أربعينَ سِفْراً ، والكلامُ على القرآنِ والكلامِ منهُ في ثلاثِ مُجلَّداتٍ منهُ[3] ؛ ونقلَ عن جماعةٍ منكُمُ . . القولَ بقدمِ الحروفِ ، وتكلَّمَ عليكُم مِنْ ذلكَ بثلاثةِ أسطرٍ ؛ فقالَ : (مَنْ زعمَ أنَّ السينَ مِنْ « باسمِ » بعدَ الباءِ ، والميمَ بعدَ السينِ الواقعةِ بعدَ الباءِ لا أوَّلَ لهُ . . فقد خرجَ عنِ المعقولِ ، وجحدَ الضرورةَ ، وأنكرَ البديهةَ ؛ لأنَّ مَنِ اعترفَ

---

(١) الأسماء والصفات (ص٢٥٦ـ٢٥٧) ، ورواية التقييد هي : (من قال : « لفظي بالقرآن مخلوق » يريد به : القرآنَ . . فهو كافر) ، وانظر (١/ ١١٤) .

(٢) ستأتي ترجمته (١/ ٣٨٦ـ٣٨٧) .

(٣) كذا في نسختينا (ثلاث) ، والتذكير بناء على لفظ الجمع ، أو بناء على مفرده ؛ وهو : (مجلدة) .

بوقوعِ شيءٍ بعدَ شيءٍ . . فقدِ اعترفَ بأوَّليَّتِهِ ، فإذا ادَّعىٰ أنَّهُ لا أوَّلَ لما لهُ أولٌ فقد سقطَتْ مُحاجَّتُهُ ، وتبيَّنَ لحوقُهُ بالسَّفْسَطَةِ[1] ، وكيفَ يُرتجىٰ أنْ يرشدَ بالدليلِ مَنْ يتواقحُ في جحدِ الضرورةِ ؟!)[2]

وأمَّا إمامُ الحرمينِ رضيَ اللهُ عنهُ : فنقلَ عن جماعةٍ مِنْ علمائِكُمُ القولَ بقِدَمِ الحروفِ ، وقالَ في كتابِهِ المُلقَّبِ بـ « الشاملِ »[3] : (وقد جمعْنا على القائلينَ بقِدَمِ الحروفِ كتاباً ، ورأَيْنا تنزيهَ كتابِنا هـٰذا عنِ الكلامِ معَهُم والتشاغلِ بهِم) .

وقالَ في موضعٍ آخرَ مِنَ « الشاملِ » : (ولـٰكنْ ما أشارَ إليهِ القائلونَ بخلقِ الكلامِ مِنَ الحروفِ المُتقطِّعةِ ، والأصواتِ المُنتظِمةِ ، والرُّقومِ المُثبَتَةِ في الدفاترِ . . فنحنُ نوافقُهُم علىٰ أنَّ ما أشارُوا إليهِ مُحدَثٌ مخلوقٌ ، وإنَّما ينازعُهُم فيما قالُوهُ الجهلةُ المُقلِّدونَ ؛ فإنَّهُم صائرونَ إلىٰ قِدَمِ الحروفِ والأصواتِ ـ أعني : أصواتَ القراءةِ ـ وذاهبونَ إلى القولِ بقدمِ الرسومِ والأسطرِ المثبتةِ في الدفاترِ)[4]

وقد نقلَ الأستاذُ الإمامُ أبو منصورٍ عبدُ القاهرِ بنُ طاهرِ بنِ محمدٍ البغداديُّ التميميُّ[5] في « كتابِهِ في تفسيرِ أسماءِ اللهِ الحسنىٰ »حينَ تكلَّمَ في الكلامِ ،

---

(١) السَّفْسطة : كلمة يونانية معناها : الغلط والحكمة المموَّهة ، وهي عند المنطقيين : القياس المركب من المقدمات الكاذبة الشبيهة بالحق .

(٢) وهـٰذا النص نقله الإمام الجويني في كتابه « الشامل » ، كما في « الكامل في اختصار الشامل » (٢/ ٤٥٨) ، وانظر (٢/ ٣٥٦ـ٣٥٧) .

(٣) لعله قاله في القسم المفقود الذي لم يطبع ، والله تعالىٰ أعلم ، ولم أجد نصه الآتي في مختصره « الكامل » .

(٤) انظر « الكامل في اختصار الشامل » (٢/ ٤٥٩) .

(٥) ستأتي ترجمته (١/ ٤١٨ـ٤١٩) .

فقالَ : (وزعمَتِ النجَّاريَّةُ : أنَّ الكلامَ عَرَضٌ إذا قُرِئَ وجسمٌ إذا [كُتِبَ] ، وقالُوا : إنَّ كلامَ اللهِ إذا كُتِبَ بحِبْرٍ أو غيرِ ذلكَ ، أو نُقِرَ في حجرٍ أو خشبٍ . . [فإنَّ] الأجزاءَ الظاهرةَ مِنْ ذلكَ كلامُ اللهِ)[1] .

ونقلَ جمالُ الإسلامِ محمدُ بنُ عبدِ الكريمِ الشَّهْرَسْتانيُّ في « كتابِهِ » في مسألةِ الكلامِ ؛ فقالَ : (قالَتِ الحنابلةُ : قد تقرَّرَ الاتِّفاقُ علىٰ أنَّ ما بينَ الدَّفتينِ كلامُ اللهِ ، وأنَّ ما نقرؤُهُ ونسمعُهُ ونكتبُهُ عينُ كلامِ اللهِ ، فيجبُ أنْ تكونَ الكلماتُ والحروفُ هي بعينِها كلامَ اللهِ تعالىٰ ؛ لما تقرَّرَ الاتِّفاقُ علىٰ أنَّ كلامَ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ، فيجبُ أنْ تكونَ الكلماتُ أزليَّةً غيرَ مخلوقةٍ .

ولقد كانَ الأمرُ في أولِ الزمانِ علىٰ قولينِ ؛ أحدُهُما : القدمُ ، والثاني : الحدوثُ ، والقولانِ مقصورانِ على الكلماتِ المكتوباتِ والآياتِ المقروءةِ بالألسنِ ، فصارَ الآنَ لنا قولٌ ثالثٌ ؛ وهوَ : حدوثُ الحروفِ والكلماتِ ، وقِدَمُ الكلامِ والأمرِ الذي تدُلُّ عليهِ العباراتُ .

وقدحتُم قَدْحاً ليسَ منهُما ؛ وهوَ خلافُ القولينِ ، فكانَتِ السلفُ علىٰ إثباتِ القِدَمِ والأزليَّةِ لهٰذهِ الحروفِ والأصواتِ دونَ التعرُّضِ لصفةٍ أخرىٰ وراءَها ، وكانتِ المعتزلةُ علىٰ إثباتِ الحدوثِ والخِلْقةِ لهٰذهِ الحروفِ والأصواتِ دونَ التعرُّضِ لمعنىً وراءَها ، فأبدعَ الأشعريُّ قولاً ثالثاً ، وقضىٰ بحدوثِ الحروفِ ، وهوَ خرقُ الإجماعِ ، وحكمَ بأنَّ ما نقرؤُهُ كلامُ اللهِ مجازاً لا حقيقةً ، وهوَ عينُ الابتداعِ)[2] .

قلتُ : فيما نقلَهُ هٰؤلاءِ الأئمَّةُ عنكُم ما يكفي لوِ انفردَ في إظهارِ فضائحِكُم

---

(١) انظر « أصول الدين » (ص٣٣٤) .

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام (ص٣١٣) ، وقول الحنابلة ينتهي مع نهاية النقل ، ولا يوجد أصرح من هٰذا النقل في حق ابن تيمية وأتباعه .

وإشهارِ قبائحِكُمُ التي تتستَّرونَ منها عندَ العقلاءِ ، وتظهرونَها للجهلةِ المُقلِّدينَ مِنْ أصحابِكُم إذا خلوتُم إلىٰ شياطينِكُم ، فكيفَ وقدِ انضمَّ إليهِ ما نقلتُهُ عن أصحابِكُمُ الحنابلةِ ؟!

ولولا خشيةُ الإطالةِ في هٰذا المختصرِ لنقلتُ عن أصحابِكُم كلامَكُم ، وعن أئمَّتِنا ما نقلُوهُ عنكُم ؛ تقريعاً لكَ علىٰ إنكارِكَ ، وهتكاً لما تغطَّىٰ مِنْ أستارِكَ ، ولا يُنكَرُ منكَ ذلكَ ؛ فإنَّكُم بنيتُم أمرَكُم على المكابرةِ ، والحرصِ علىٰ نصرةِ الباطلِ والمثابرةِ ، ومَنْ كانَتْ لهُم هٰذهِ العقولُ ، فهُم معذورونَ إذا حرَّفُوا النقولَ ، وأنكرُوا المنقولَ .

وقولُكَ : (ومَنْ نقلَ ذلكَ عن أحدٍ مِنَ العلماءِ أصحابِ الإمامِ أحمدَ أو غيرِهِم . . فهوَ مُخطِئٌ في هٰذا النقلِ)[١] . . محضُ مكابرةٍ ، وقولُكَ : (أو مُتعمِّدُ الكذبِ)[٢] سوءُ أدبٍ في المحاورةِ ؛ لما قدَّمناهُ مِنَ النقلِ الصحيحِ والكلامِ الصريحِ عن جماعةٍ مِنْ مُتأخِّري الحنابلةِ ، وأخفَينا منهُم جماعةً أعرقُوا في روايةِ الحديثِ ونقلَ عنهُمُ الجمُّ الغفيرُ[٣] ؛ خيفةَ أنْ تسوءَ الظنونُ بهِم فيُترَكَ الأخذُ عنهُم[٤] ، فيكونَ ذلكَ ذريعةً لإهمالِ حديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

ومستندُنا في ذلكَ : قولُ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ : (أقبلُ شهادةَ أهلِ الأهواءِ إلا الخطَّابيَّةَ)[٥] ، فإذا قُبِلتْ منهُمُ الشهادةُ فالروايةُ بطريقِ الأَولىٰ .

---

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٣) في (ب) : (أغرقوا) بدل (أعرقوا) .

(٤) انظر « مقالات الكوثري » (ص٢٣٩ـ٢٥٠) ، وتعليقه على « السيف الصقيل » (ص١٢٢) وما بعدها ، و« مقدمته على الأسماء والصفات » (ص٣) .

(٥) مختصر المزني (ص٤١٩) ، وانظر « نهاية المطلب » (١٧/ ١٥٧) ، والخطَّابية : نسبة =

وقولُكَ : (إنَّ الإمامَ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ وأصحابَهُ بدَّعُوا مَنْ قالَ : « لفظي بالقرآنِ غيرُ مخلوقٍ » ، كما جهَّمُوا مَنْ قالَ : « لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ »)[1] .

هـٰذهِ القصةُ الشافعيَّةُ أُخبِرتَها مِنَ الحنابلةِ ؛ لأنَّ القصةَ اتَّفقَتْ معَ الإمامِ أبي عليٍّ الكَرابيسيِّ مِنْ أصحابِنا في قصةٍ طويلةٍ ذكرَها الإمامُ أبو بكرِ بنُ ثابتٍ الخطيبُ[2] .

وليسَ الإنكارُ في كلا الحالتينِ لأنَّ الإمامَ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ يعتقدُ اعتقادَكُم في اللفظِ ، حاشَ للهِ ، بل ذلكَ لأنَّهُ وأضرابَهُ مِنَ العلماءِ الأوائلِ كانُوا ينكرونَ الخوضَ في علمِ الكلامِ أصلاً ورأساً لمعنيينِ :

أحدُهُما : ما ذكرَ أحمدُ رضيَ اللهُ عنهُ حاكياً عن حالِهِ لمَّا دخلَ على الخليفةِ في زمنِ المحنةِ ، فقالَ لهُم أميرُ المؤمنينَ : ناظروهُ ، قالَ : فجعلُوا يتكلَّمونَ ؛ هـٰذا مِنْ هنا وهـٰذا مِنْ هنا ، فأردُّ علىٰ هـٰذا وعلىٰ هـٰذا ، فإذا

= إلىٰ أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الذي ادَّعى الألوهية وغيرها من المخازي ، وكان يأمر أتباعه بشهادة الزور علىٰ مخالفيهم ؛ فلذلك منع الإمام الشافعي قبول شهادتهم ، وقال الإمام ابن السبكي في « الطبقات » (٢/ ١٦) : (وقد تزايد الحال بالخطابية ، وهم المجسمة في زماننا هـٰذا ، فصاروا يرون الكذب علىٰ مخالفيهم في العقيدة ، لا سيَّما القائم عليهم بكل ما يسوءه في نفسه وماله ، وبلغني أن كبيرهم استفتي في شافعي : أيشهد عليه بالكذب ؟ فقال : ألست تعتقد أن دمه حلال ؟ قال : نعم ، قال : فما دون ذلك دون دمه ، فاشهد وادفع فساده عن المسلمين) .

ثم قال ابن السبكي (٢/ ١٧) : (فهـٰذه عقيدتهم ، ويرون أنهم المسلمون وأنهم أهل السنة ، ولو عُدُّوا عدداً لما بلغ علماؤهم ـ ولا عالمٌ فيهم على الحقيقة ـ مبلغاً يعتبر ، ويُكفِّرون غالب علماء الأمة ، ثم يعتزُون إلى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وهو منهم بريء) ، وانظر « الملل والنحل » (١/ ١٧٩ـ١٨٠) .

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ٦٣ـ٦٥) ، وانظر التعليق النفيس للإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٢/ ١١٨ـ ١١٩) علىٰ ما جرىٰ بين الإمام أحمد والإمام الكرابيسي رحمهما الله تعالىٰ .

جاؤُوا بشيءٍ مِنَ الكلامِ ممَّا ليسَ في كتابِ اللهِ ولا سنَّةِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . قلتُ : ما أدري ما هٰذا[1]

فهٰذا دليلٌ علىٰ [أنَّ] المرادَ بالكلامِ بدعةُ المعتزلةِ ، وهيَ التي كانَتْ ظاهرةً في ذلكَ الوقتِ ؛ لأنَّ غالبَ المُتكلِّمينَ في ذلكَ الوقتِ كانُوا معتزلةً قائلينَ بخلقِ القرآنِ والقدرِ .

والثاني : سدّاً للذريعةِ ؛ لئلا يُدوَّنَ كلامُ المُبتدِعةِ ، فيقفَ عليهِ مَنْ لا يعرفُ مذهبَ أهلِ الحقِّ ، فيعلَقَ بذهنِهِ شيءٌ مِنْ شُبَهِهِم ، فلا يقوىٰ علىٰ دَفْعِ ذلكَ بفهمِ أجوبةِ أهلِ الحقِّ ، فيُفضيَ إلى اعتقادِهِ البدعةَ ؛ ولهٰذا أنكرَ الإمامُ أحمدُ رضيَ اللهُ عنهُ على الحارثِ بنِ أسدٍ المحاسبيِّ لمَّا صنَّفَ « كتابَهُ » في الأسماءِ والصفاتِ ، وتكلَّمَ فيهِ علىٰ شُبَهِ المبتدعةِ ، وردَّها أحسنَ ردٍّ بأوضحِ كلامٍ ؛ فقالَ : (ألستَ تذكرُ مذاهبَهُم ؛ حتىٰ تردَّ عليها ؟!)[2]

وأمَّا قولُكَ : (جهِّمُوا مَنْ قالَ : « لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ »)[3] . . قد نقلَ البيهقيُّ رضيَ اللهُ عنهُ هٰذا النقلَ مُقيَّداً لا مُطلقاً علىٰ ما سيأتي إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[4]

قولُكَ : (وأقبحُ مِنْ ذلكَ : مَنْ يحكي عن بعضِ العلماءِ : أنَّ المِدادَ الذي

---

(١) انظر تفصيل هٰذه المحنة في « سيرة الإمام أحمد » لابنه صالح (ص٥٢) وما بعدها .

(٢) أورده الإمام الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٣٤٧) ، والحارث المحاسبي من قدماء المتكلمين الذين ردُّوا علىٰ أهل البدع عموماً وعلى المعتزلة خصوصاً قبل الإمام أبي الحسن الأشعري ، إلا أنه كان يردُّ عليهم تصنيفاً وتأليفاً ، ولا يداخلهم ولا يطأ لهم بساطاً ، كما نص علىٰ ذلك الإمام الحافظ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٦١) ، وللإمام ابن السبكي كلام نفيس فيما جرىٰ بين الإمام أحمد والحارث المحاسبي رحمهما الله تعالى . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/ ٢٧٨ـ٢٧٩) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٤) انظر (١/ ١١٤) .

في المصحفِ قديمٌ ، وجميعُ أصحابِ الإمامِ أحمدَ أنكرُوا ذلكَ)[1] .

صدقتَ ، هـٰذا القولُ لا يقولُهُ عالمٌ ولا عاقلٌ ، لـٰكنْ أقبحُ مِنْ حكايةِ قولِ القبيحِ اعتقادُهُ والقولُ بهِ[2] .

وقولُكَ : (وما علمتُ أنَّ عالماً يقولُ ذلكَ إلا ما يبلغُنا عن جماعةٍ مِنَ الأكرادِ)[3] .

هـٰذا مِنْ بابِ (تجاهلِ العارفِ)[4] ، وقد تقدَّمَ نقلُهُ عن جماعةٍ منكُم وافقُوا الأكرادَ[5] ، فيكونونَ قد دخلُوا في الحكمِ الذي حكمتَ بهِ على الأكرادِ ، ولقد بالغُوا حتىٰ في النقطِ والشكلِ الذي حدثَ بعدَ زمنِ الخلفاءِ الراشدينَ ـ ويُقالُ : إنَّ الحجَّاجَ اخترعَهُ ـ أنَّهُ مِنْ جملةِ الكلامِ القديمِ ؛ فيقولونَ : فلانٌ نَقْطيٌّ شَكْليٌّ ، فيُعظِّمونَ مَنْ كانَ بهـٰذهِ المثابةِ ، ومَنْ لم يعتقدْ ذلكَ عندَهُم فهوَ أشعريٌّ يُزْرونَ بهِ ويعيبونَ عليهِ .

ومِنْ أطرفِ الأشياءِ[6] : أنَّني كنتُ جالساً في السوقِ ، وإذا جنديٌّ وقفَ عليَّ ، فقالَ : يا سيِّدَنا ؛ جماعةٌ عندَنا في القاهرةِ يسيئونَ الاعتقادَ ، فقلتُ : ماذا يقولونَ ؟

فقالَ : يقولونَ : إنَّ النقطَ والشكلَ ليسَ كلامَ اللهِ ، قلتُ لهُ : يا مسكينُ ؛

---

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٤) .
(٢) في (ب) : (القول القبيح) بدل (قول القبيح) .
(٣) جواب الفتوى المصرية (١٢/ ٢٣٨) ضمن « مجموع الفتاوىٰ » ، « الفتاوى الكبرىٰ » (٦/ ٤٦٤) .
(٤) وهو نوع من أنواع البديع في علم البلاغة ؛ وهو أن يساق المعلوم مساق غيره لنكتةٍ . انظر « مختصر المعاني » (ص٢٠٧ـ٢٠٨) ، و« الكليات » (ص٥١٧) .
(٥) انظر (١/ ٩٢ـ٩٨) .
(٦) في (ب) : (ومن أظرف) بدل (ومن أطرف) .

الجماعةُ تطيرُ رؤوسُهُم على جعلِ الحرفِ المجرَّدِ الكلامَ القديمَ ، تضمُّ أنتَ إليهِ النقطَ والشكلَ ؟!

ونقلَ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ محمدٍ ابنُ حمدونَ قالَ : كانَ سيفُويَه القاصُّ يُشدِّدُ في خلقِ القرآنِ ، فانتهىٰ حالُهُ إلىٰ أنْ قيلَ لهُ : ما تقولُ في معاويةَ ؛ أمخلوقٌ هوَ ؟

قالَ : إذا كتبَ الوحيَ فليسَ بمخلوقٍ ، وإذا لم يكنْ يكتبُهُ فهوَ مخلوقٌ[1]

انظرْ كيفَ انتهى الحالُ إلى المحالِ ؟! نسألُ اللهَ العصمةَ مِنَ الزيغِ عنِ الطريقِ ، ومرافقةِ شرِّ الفريقِ .

قولُكَ : (وكذلكَ مَنْ زعمَ أنَّ القرآنَ محفوظٌ في الصدورِ كما أنَّ اللهَ تعالىٰ معلومٌ بالقلوبِ ، وأنَّهُ متلوٌّ بالألسنِ كما أنَّ اللهَ تعالىٰ مذكورٌ بالألسنِ ، وأنَّهُ مكتوبٌ في المصحفِ كما أنَّ اللهَ تعالىٰ مكتوبٌ في المصحفِ ، وجعلَ ثبوتَ القرآنِ في الصدورِ والألسنةِ والمصاحفِ مثلَ ثبوتِ ذاتِ اللهِ تعالىٰ في هـٰذهِ المواضعِ . . فهوَ أيضاً مُخطِئٌ)[2] .

ظاهرُ كلامِكَ يقتضي : الفرقَ في الحكمِ العقليِّ بينَ الذاتِ والصفاتِ ، وأنتَ فيما بعدُ تُشبِّهُ الذاتَ بالصفاتِ وتقيسُها عليها وتعطيها حكمَها حينَ قلتَ : (فإنَّ اللهَ ليسَ كمثلِهِ [شيءٌ] ؛ لا في ذاتِهِ ، ولا في صفاتِهِ ، ولا في أفعالِهِ)[3]

---

(١) نقل القصة ابن حمدون في « تذكرته » (٣/ ٢٧٨) عن بعض القُصَّاص ، وسيفُويَه : هو أبو محمد عبد الله الواسطي ، كان مغفلاً كثير النوادر ، وكان بعد المئتين . انظر « نزهة الألباب » (١/ ٣٨٣) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٤) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٧) .

والعجبُ : أنَّكَ حينَ شرعتَ في الفرقِ قلتَ عَقِيبَ قولِكَ : (مَنْ زعمَ. . .) إلىٰ قولِكَ : (مخطئٌ) : (فإنَّ الفرقَ بينَ ثبوتِ الأعيانِ في المصحفِ وبينَ ثبوتِ الكلامِ. . بيِّنٌ واضحٌ) ! ![1] .

ليسَ عندَكَ ما تقصدُ الفرقَ بينَهُ وبينَ غيرِهِ إلا ما قدَّمتَهُ مِنْ تخطئةِ الجامعِ بينَ الذاتِ وبينَ الصفاتِ في الحكمِ العقليِّ .

فقولُكَ : (بينَ ثبوتِ الأعيانِ) أنتَ في ذلكَ بينَ خُطَّتَي خسفٍ[2] :

إمَّا أنْ تكونَ أطلقتَ على الذاتِ المُنزَّهةِ لفظةَ (الأعيانِ) ، فهـٰذا تصريحٌ بالتجسيمِ ، معَ سوءِ أدبٍ .

وإمَّا أنْ تكونَ شبَّهتَ الفرقَ بينَ لفظةِ الجلالةِ في الصدورِ والمُتلفَّظِ بالألسنةِ والكتابةِ ، وبينَ الكلامِ بالفرقِ بينَ ثبوتِ الأعيانِ في المصحفِ وبينَ ثبوتِ الكلامِ ؛ فهـٰذا أيضاً سوءُ أدبٍ ، وتشبيهٌ فظيعٌ .

وقولُكَ : (فإنَّ الأعيانَ لها أربعُ مراتبَ : مرتبةٌ في الأعيانِ)[3] ، هـٰذا اللفظُ يحتاجُ إلىٰ تحريرٍ ؛ لأنَّكَ جعلتَ المَقْسِمَ قسيماً ؛ فكأنَّكَ قلتَ : الأعيانُ تنقسِمُ إلى الأعيانِ ، وهـٰذا خطأٌ في الكلامِ .

وبتقديرِ أنْ يُعلَمَ مُرادُكَ منهُ : فكذلكَ الكلامُ أيضاً لهُ أربعُ مراتبَ :

مرتبةٌ في النفسِ ؛ وهيَ التي تُسمَّىٰ كلامَ النفسِ .

---

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٤) .

(٢) الخُطَّة : الحالة ، والخسف : الذل والهوان ، وهو مأخوذ من قول العرب : (هما خُطَّتا خسف) ، قال الشاعر : (من الطويل)

هما خُطَّتا خسفٍ نجاؤُكَ منهما ... ركوبُك حوليّاً مِنَ الثَّلْجِ أشهبا

انظر « جمهرة الأمثال » (٢/ ١٥٢) ، و« خزانة الأدب » (٧/ ٥٣ـ٥٤) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٤) .

ومرتبةٌ في الذهنِ .

ومرتبةٌ في اللسانِ .

ومرتبةٌ في الأعيانِ ؛ وهوَ أنْ يكونَ مسموعاً إنْ كانَ منطوقاً بهِ ، أو مرئيّاً ومُتأمَّلاً إنْ كانَ مكتوباً [1] .

ويُبيِّنُ ذلكَ : أنَّ زيداً مثلاً إذا قالَ في نفسِهِ : (ربِّ ؛ اغفرْ ذنبي ، وأدخلْني الجنةَ) . فهذهِ مرتبةٌ مِنْ مراتبِ الكلامِ الأربعةِ ، المرتبةُ الأخرىٰ : دَلالتُهُ علىٰ ما في النفسِ بالتعبيرِ عنهُ وإسماعِهِ لغيرِهِ ، المرتبةُ الثالثةُ : ارتسامُ ذلكَ في الأذهانِ ، المرتبةُ الرابعةُ : رسمُها في الأعيانِ ، وكلٌّ منها يُطلَقُ عليهِ كلامٌ .

فالأولُ : حقيقةٌ عندَ الأشعريِّ ، والثاني : مُختلَفٌ فيهِ عندَهُ علىٰ قولينِ ، والثالثُ والرابعُ : مجازٌ .

فيقولُ عمرٌو مُعبِّراً عن كلامِ زيدٍ في نفسِهِ ـ وإنْ لم ينتقلْ معَهُ إلى المرتبةِ الثانيةِ ؛ وهيَ السماعُ والإسماعُ ـ : وقعَ لي أنَّكَ قلتَ في نفسِكَ أو تكلَّمتَ في نفسِكَ : (ربِّ ؛ اغفرْ لي ذنوبي ، وأدخلْني الجنةَ) .

ويقولُ زيدٌ ـ مُظهِراً لما في نفسِهِ ، مُعبِّراً عنهُ بلسانِهِ في المرتبةِ الثانيةِ ـ : (كلامي : ربِّ ؛ اغفرْ لي ذنوبي ، وأدخلْني الجنةَ) .

ويرتسمُ في الذهنِ كلامُ زيدٍ في المرتبةِ الثالثةِ حتىٰ نحكمَ عليهِ بالجودةِ والرداءةِ، وأنَّهُ في محلٍّ يجوزُ أو محلٍّ لا يجوزُ، أو بصفةٍ تمكنُ أو بصفةٍ تمتنعُ.

ويرسمُ عمرٌو في الكتابِ كلامَ زيدٍ : (ربِّ ؛ اغفرْ لي ذنوبي ، وأدخلْني الجنةَ) .

---

(١) انظر « معيار العلم » (ص٤٧ـ٤٨) ، و« المقصد الأسنىٰ » (ص٥٥ـ٥٧) .

فقد رأيتَ أنَّ الكلامَ أيضاً لهُ أربعُ مراتبَ ، وبيَّنتُهُ بمثالٍ يُقرِّبُ البعيدَ ، ويظهرُ حتىٰ للبليدِ .

قالَ أهلُ السنَّةِ رضيَ اللهُ عنهُم : إنَّ الكلامَ الذي أسمعَهُ اللهُ تعالىٰ لموسىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كلامُهُ القديمُ النَّفْسانيُّ مِنْ غيرِ حرفٍ ولا صوتٍ ، وذلكَ مُتصوَّرٌ ، وهوَ المرتبةُ الأُولىٰ مِنَ المراتبِ المُتقدِّمةِ ، فكما أنَّ اللهَ تعالىٰ سمعَ كلامَنا مِنْ غيرِ جارحةٍ . . فكذلكَ يجوزُ في العقلِ أنْ نسمعَ كلامَهُ مِنْ غيرِ صوتٍ .

وكما أنَّهُ يرانا مِنْ غيرِ حدقةٍ تُقلَّبُ ، ولا طرفٍ تنبعثُ منهُ أشعةٌ إلينا . . فكذلكَ يجوزُ في العقلِ أنْ نراهُ مِنْ غيرِ تقليبِ حدقةٍ ، ولا انبعاثِ أشعَّةٍ ، ولا تحيُّزٍ بجهةٍ يُرىٰ فيها ؛ كما أنَّهُ يرانا وهوَ مُنزَّهٌ عنِ الجهةِ .

وكما أنَّ السماعَ والرؤيةَ صفتانِ زائدتانِ على العلمِ . . فكذلكَ سماعُنا لكلامِهِ ورؤيتُنا لهُ أمرانِ زائدانِ على العلمِ[1] ، نسألُ اللهَ أنْ يُمتِّعَنا بذلكَ في دارِ كرامتِهِ ، ومحلِّ رضوانِهِ ورحمتِهِ .

وقولُكَ : (فبينَ الأعيانِ وبينَ المصحفِ مرتبتانِ ؛ وهيَ الخطُّ واللفظُ ، وأمَّا الكلامُ فليسَ بينَهُ وبينَ الصحيفةِ مرتبةٌ غيرُهُما ، بل نفسُ الكلامِ يُجعَلُ في الكتابِ)[2] .

ليسَ الأمرُ كذلكَ ، بل جعلُهُ في الكتابِ هوَ المرتبةُ الرابعةُ التي قدَّمناها ، وإطلاقُ الكلامِ عليها مِنْ بابِ إطلاقِ المدلولِ على الدليلِ .

قولُكَ : (وليسَ وجودُ الكلامِ مِنَ الكتابِ كوجودِ الصفةِ بالموصوفِ ـ مثلُ [وجودِ] العلمِ والحياةِ بمحلِّهِما ـ حتىٰ يُقالَ : إنَّ صفةَ اللهِ حلَّتْ بغيرِهِ أو

---

(١) انظر « الرسالة القدسية » للإمام الغزالي (١/ ٣٩٩ـ٤٠١) ضمن « إحيائه » .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٤) .

فارقَتْهُ ، ولا وجودُهُ [فيهِ] كالدليلِ المحضِ[١] ـ مثلُ وجودِ العالَمِ الدالِّ على الباريْ ـ حتىٰ يُقالَ : ليسَ فيهِ إلا ما هوَ علامةٌ علىٰ كلامِ اللهِ تعالىٰ ، بل هوَ قسمٌ آخَرُ)[٢] .

ليتَ شعري !! ما هـٰذا التردُّدُ ؟! وما هـٰذهِ الحَيْرةُ والتلدُّدُ ؟![٣]

ما أُراكَ إلا مُبهَتاً ، حينَ رأيتَ السَّيفَ السِّيفَ مُصلَتاً[٤] ، تريدُ أنْ تقولَ بحلولِ الصفةِ ، وحبُّ الحياةِ يمنعُكَ أنْ تُنطِقَ بها الشَّفَةَ ، فأينَ أنتَ وفضلُكَ إذا ساويتَ الهَمَجَ[٥] ، وقد قيلَ : لا خيرَ في الحبِّ إنْ أبقىٰ على المُهَجِ ؟![٦]

ومعَ هـٰذا كلِّهِ : فالمنقولُ عنِ الإمامِ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ القرآنَ مِنْ جنسِ العلمِ ، وأنَّهُما صِفتانِ للهِ عزَّ وجلَّ .

يدُلُّ علىٰ ذلكَ : ما نُقِلَ عنهُ رضيَ اللهُ عنهُ في رسالتِهِ إلى المتوكِّلِ التي نقفُ عليها ؛ فقالَ في أثناءِ الرسالةِ : (فالقرآنُ مِنْ علمِ اللهِ)[٧] ، فبالاتِّفاقِ منَّا ومنكُم أنَّ القرآنَ كلامَ اللهِ صفةٌ زائدةٌ على العلمِ ؛ أنتُم تقولونَ بوصفٍ ، ونحنُ نقولُ بوصفٍ ، فدلَّ علىٰ أنَّ المرادَ أنَّهُ صفةٌ مِنْ جنسِ العلمِ ، فتأمَّلْ ذلكَ .

---

(١) في (أ ، ب) : (فيها) بدل (فيه) .
(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٥) .
(٣) التلدُّد : الالتفات يميناً وشمالاً تحيراً
(٤) السَّيف المُصلَت : السيف المجرد من غمده ، والسِّيف : ساحل البحر أو شعر ذنب الفرس ، وُصف به السَّيف على التشبيه ، ويحتمل أن الكلمة مكررة ، والله تعالىٰ أعلم .
(٥) الهَمَج في الأصل : الذباب الصغير الواقع علىٰ وجوه الدواب ، الواحدة : هَمَجَة ، ويطلق علىٰ رَعاع الناس مجازاً .
(٦) أشار به : إلىٰ بيت سلطان العاشقين ابن الفارض : (من البسيط)
وخُذْ بقيَّةَ ما أبقيتَ مِنْ رَمَقٍ ... لا خيرَ في الحبِّ إنْ أبقىٰ على المُهَجِ
انظر « ديوانه » (ص١٤٥) .
(٧) انظر « سير أعلام النبلاء » (١١/ ٢٨١ـ٢٨٦) .

قولُكَ : (ومَنْ لم يُعطِ كلَّ مرتبةٍ بما تُستعمَلُ فيها أداةُ النظرِ [حقَّها][1] ؛ فيفرِّقَ بينَ وجودِ الجسمِ في الحيِّزِ ، ووجودِ العَرَضِ بالجسمِ ، ووجودِ الصورةِ بالمرآةِ ، ويُفرِّقَ بينَ رؤيةِ النفسِ بالعينِ يقظةً ، وبينَ رؤيتِهِ بالقلبِ يقظةً ومناماً ونحوَ ذلكَ . . .)[2] .

أسمعُ جَعْجَعَةً ولا أرىٰ طِحْناً !![3] ، وما أظنُّكَ إلا خشيتَ أنْ تُنسَبَ إلىٰ جهلٍ بعلمِ الكلامِ ، فأردتَ أنْ يُحلَّىٰ كلامُكَ بألفاظٍ منهُ مُبدَّدةِ النِّظامِ ، ولمَّا قُطِعَ منكَ جِيدُ الإجادةِ ، ألقيتَ علىٰ عجزِ العجزِ تلكَ القلادةَ[4] ، فأتتْ كما ترىٰ لا جمالَ ، ولا حُسْنَ مجالٍ ، فنسألُ اللهَ العافيةَ مِنْ شِرَّةِ اللَّسَنِ[5] ، وخلوِّ اللفظِ عنِ المعنى الحَسَنِ .

قولُكَ في جوابِ السائلِ عمَّا في المصحفِ ؛ أهوَ حادثٌ أم قديمٌ : (سؤالٌ مُجمَلٌ)[6] ، فَصِّلْ أنتَ بعلمِكَ !!

وقولُكَ : (فإنَّ لفظَ « القديم » ليسَ مأثوراً عنِ السلفِ)[7] ، أتميميّاً مرَّةً وقَيْسيّاً أخرىٰ ؟![8] ، أنتَ في الفصلِ الذي قبلَهُ تعطي النظرَ حقَّهَ ، وتقولُ :

---

(١) في (أ ، ب) : (وحقها) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٥) .

(٣) أشار به : إلىٰ مَثَل عربي شهير يضرب للجبان يُوعد ولا يُوقع ، وللبخيل يعدُ ولا ينجز . انظر « جمهرة الأمثال » (١/ ١٥٤) ، و« المستقصىٰ في أمثال العرب » (١/ ١٧٢) .

(٤) في (ب) : (نحور العجز) بدل (عجز العجز) .

(٥) الشِّرَّةُ : النشاط والحرص ، واللَّسَن : الفصاحة والبيان ، أو جودة اللسان وسلاطته ، والمراد : النشاط والحرص في فصاحة اللسان للاقتدار بها علىٰ إظهار الباطل في صورة الحق .

(٦) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٥) .

(٧) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٥) .

(٨) أشار به : إلىٰ مثل شهير يضرب لمن يتناقض في مقوله ؛ أي : أتتحوَّل تميميّاً مرَّة وقيسيّاً =

الجسمُ والعَرَضُ والحيِّزُ كلامَ مُناظِرٍ ، وتقولُ : وجودُ الصورةِ في المرآةِ ورؤيةُ النفسِ وغيرُها مِنْ أنواعِ المَناظِرِ ، وقبلَ ذلكَ تقولُ : (الأعيانُ لها أربعُ مراتبَ) ، وتُقسِّمُ ولا تقسيمَ ابنِ سينا والفارابيِّ ، وتردُّ إلىٰ معيارِ العلمِ كلَّ جامحٍ أبيٍّ !![1]

ما أسرعَ ما نسيَ الناسُ !![2] ، لا بأسَ عليكَ لا باسَ ، لعلَّكَ يُؤدِّيكَ نفورُكَ وجمودُكَ إلىٰ أنْ تمتنعَ مِنْ وصفِ الذاتِ بالقِدَمِ والأزلِ ، وتقولَ : ذلكَ أيضاً ليسَ مأثوراً عنِ السلفِ !! لقد أوقعَكَ جهلُكَ في مَهاوي التَّلَفِ .

وقولُكَ : (فإنَّ الكلامَ كلامُ مَنْ قالَهُ مُبتدِئاً ، لا كلامُ مَنْ بلَّغَهُ مُؤدِّياً)[3]

لا نزاعَ في إطلاقِ الكلامِ عليهِ ، لـٰكنْ بمعنىٰ إطلاقِ المدلولِ على الدليلِ ، لا بمعنىً تريدُهُ أنتَ وتُوطِّئ لهُ ، وإطلاقُنا علىٰ قائلِ قالَ : « ٱلْأَعْمَالُ بِٱلنِّيَّاتِ »[4] : هـٰذا كلامُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . مِنْ بابِ المجازِ ؛ فإنَّهُ بالاتِّفاقِ أنَّ كلامَ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حينَ نطقَ بهِ حرفاً بعدَ حرفٍ ، انقضى الأولُ بالثاني ، والثاني بالثالثِ ، والثالثُ بالرابعِ . . . إلىٰ

= أخرىٰ ، وتميم وقيس قبيلتان كبيرتان متنافرتان متناحرتان ، كان بينهما حروبٌ ومقاتلُ لا تنتهي ، ولا يخفىٰ على القارىء إبداع المؤلف في تطويع هـٰذا المَثَل وغيره لتأييدِ أو إيضاحِ أو تأكيدِ المعنى المراد .

(١) انظر ما سبق (١/ ١٠٣ـ١٠٦) .

(٢) أشار به : إلىٰ قول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ـ كما في « صحيح مسلم » (٩٧٣) ـ وقد أمرت أن يُمرَّ بجنازة سعد بن أبي وقاص في المسجد فتصلي عليه ، فأنكر الناس عليها ذلك ، فقالت : ما أسرعَ ما نسي الناس !! ما صلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ سهيل ابن البيضاء إلا في المسجد .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٥) .

(٤) أخرجه بهـٰذا اللفظ ابن حبان (٣٨٨) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانظر « البدر المنير » (١/ ٦٥٧ـ٦٥٨) ، وما سيأتي (٢/ ٣٦٧) .

أنِ انقضىٰ كلامُهُ اللفظيُّ الذي هوَ في المرتبةِ الثانيةِ مِنَ الكلامِ ، فارتسمَ في الأذهانِ ـ وهيَ المرتبةُ الثالثةُ ـ ثمَّ برزَ إلى الأعيانِ ، وهيَ المرتبةُ الرابعةُ التي يُؤدِّيها المُؤدِّي إلينا ويُطلِقُ عليها كلامَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالاعتبارِ الذي قدَّمناهُ ، واللهُ أعلمُ .

قولُكَ : (ويُقالُ أيضاً : القرآنُ الذي في المصحفِ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ، والقرآنُ الذي يقرؤُهُ المسلمونَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ)[١] .

لو كانَ هٰذا الكلامُ صادراً عن قلبٍ غيرِ مُعتقِدٍ كاعتقادِكَ . . لَكانَ مِنْ أحسنِ الكلامِ ، وفي غايةِ الحسنِ والتمامِ ، لٰكنَّ خللَ الزيفِ يظهرُ مِنْ خلالِهِ ، ونقصَ الحيفِ أثَّرَ في كمالِهِ ، وما هيَ إلا كلمةُ حقٍّ أردتَ بها باطلاً .

والدليلُ علىٰ ذلكَ : أنَّكَ قلتَ أوَّلاً : (وليسَ وجودُ الكلامِ مِنَ الكتابِ كوجودِ الصفةِ [بالموصوفِ] ـ مثلُ [وجودِ] العلمِ والحياةِ بمحلِّهما ـ حتىٰ يُقالَ : صفةُ اللهِ حلَّتْ بغيرِهِ أو فارقَتْهُ ، ولا وجودُهُ [فيهِ] كالدليلِ المحضِ حتىٰ يُقالَ : ليسَ فيهِ إلا ما هوَ علامةٌ علىٰ كلامِ اللهِ تعالىٰ ، بل هوَ قسمٌ آخرُ)[٢] .

وأنتَ بمجموعِ كلامَيْكَ تُقدِّمُ رجلاً وتُؤخِّرُ أخرىٰ ، ونفسُكَ مُقدِمَةٌ لٰكنَّ الخوفَ يمنعُكَ ، وحبَّ البقاءِ يردُّكَ عنِ التصريحِ ويردعُكَ .

والعجبُ : أنَّكَ ناقضتَ كلامَكَ في جوابِ المسألةِ الثانيةِ ؛ فقلتَ : (إنَّ اللهَ ـ تعالىٰ عمَّا تقولُ ـ مُتكلِّمٌ بحرفٍ وصوتٍ) ، وزعمتَ أنَّهُ صوتٌ لا كأصواتِ العبادِ !![٣] .

فجعلتَ الصوتَ تارةً يكونُ لهُ صفةً يتَّصفُ بها يكونُ بها مُتكلِّماً ؛ إذْ لم يزلْ

---

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٦) .
(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٥) ، وانظر (١/ ١٠٥ـ١٠٦) .
(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٧) .

بها مُتكلِّماً ، وتارةً تَحُلُّ صفتُهُ التي هيَ كلامُهُ بالمخلوقينَ ، فلا تبقىٰ حروفُهُم وأصواتُهُم وكتابتُهُم كالدليلِ المحضِ ، وعنيتَ أنَّ الصفةَ حلَّتْ بهِما ، وكنيتَ عنهُ بقولِكَ : (قسمٌ آخَرُ)[(١)]

وهٰذا خبطٌ ، لا يليقُ بمَنْ لهُ أدنىٰ مُسْكةٍ مِنْ عقلٍ وضبطٍ ، وآلَ بكَ الخبطُ إلىٰ أنْ قلتَ كلاماً صحيحاً لوِ اقتصرتَ عليهِ ، والعجبُ كيفَ اهتديتَ إليهِ ؟! وهوَ قولُكَ : (فإذا أشارَ إلىٰ صفةٍ مِنْ صفاتِ المخلوقِ ؛ لفظِهِ أو صوتِهِ أو فعلِهِ ، وقالَ : هٰذا غيرُ مخلوقٍ . . فقد ضلَّ وأخطأَ)[(٢)] ، لٰكنْ (ما قامَ خيرُكَ يا فلانُ بشرِّكَا)[(٣)]

قلتَ في خاتمةِ الكلامِ : (ويُقالُ أيضاً : القرآنُ الذي في المصحفِ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ، والقرآنُ الذي يقرؤُهُ المسلمونَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ)[(٤)]

أنتَ لو قلتَ مِنَ الأولِ : كلامُ اللهِ بحرفٍ وصوتٍ ، وما بينَ الدَّفتينِ نفسُ الكلامِ القديمِ . . نفرَتِ العقولُ منكَ ، ولم ترجِعْ إليكَ ؛ لا عالمُها ولا جاهلُها ، لٰكنْ درجتَ أمرَكَ في كلِّ مسألةٍ ، وختمتَ بمرادِكَ في الجوابِ تصريحاً لا تعريضاً :

فابتدأتَ الفُتيا بقولِكَ : (ما دلَّ عليهِ الكتابُ والسنَّةُ)[(٥)] ، ثمَّ سُقْتَ

---

(١) انظر « الفتاوى الكبرىٰ » (٦/ ٤٦٥) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٦) .

(٣) أشار به : إلىٰ بيت أبي علي تميم بن المعز ؛ وهو : (من الكامل)

مـا قـامَ خيـرُكَ يـا زمـانُ بشـرِّهِ   أولـىٰ بنـا مـا قـلَّ منكَ ومـا كفـىٰ

انظر « زهر الآداب » (٢/ ٤٨٣) .

(٤) انظر (١/ ١٠٩) .

(٥) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٢) .

الحديثَ : « ٱسْتَذْكِرُوا ٱلْقُرْآنَ »[١] ، وقلتَ : (ما بينَ لوحَيِ المصحفِ الذي كتبَتْهُ الصحابةُ)[٢] ، ثمَّ ادعيتَ أنَّ النصَّ معَكَ والإجماعَ[٣] ، ثمَّ عِبْتَ التفرُّقَ والاختلافَ[٤] ؛ تدريجاً للجَهولِ ، وسرقةً للعقولِ ، وتأتي لعقلِ العالمِ بما يوافقُهُ ؛ فتقولُ : (المِدادُ وأصواتُ العبادِ ليسَتْ قديمةً)[٥] ؛ حتىٰ لا يَنفِرَ منكَ ، ثمَّ تدُسُّ دسائسَ مِنِ اعتقادِكَ ؛ فالعالِمُ يتفطَّنُ لها ، والجاهلُ لا يتأمَّلُها[٦]

وفي الآخِرِ صرَّحتَ بما في فكرِكَ ، وصدَقَنا سِنُّ بَكْرِكَ[٧] ، ومزجتَ الخالصَ بالزيفِ ، واعتقدتَ أنَّ ذلكَ يروجُ ، فوقعتَ بالنُّقَّادِ وردُّوهُ عليكَ ؛

---

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٢) ، والحديث أخرجه البخاري (٥٠٣٢) ، ومسلم (٧٩٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٢) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٤) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٥) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٦) وقد تفطَّن لهـٰذه الدسائس بادئ ذي بدء الإمامُ المتكلم الأصولي القاضي شمس الدين ابن عدلان الشافعي عندما قرأ نصَّ الفتوىٰ بحضرته بعضُ الطلبة قاصداً إظهار فضيلة ابن تيمية وعلمه ، ولـٰكنَّ هذا الطالبَ لم يتفطَّن لما فيها من الدسائس والاعتقادات الفاسدة شأن كثير من صغار الطلبة الذين يغرهم سرد الكلام والتبحر فيه وجعجعته ، وهـٰذا دليل واضح لما ذكره المؤلف ابن المعلم رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « نهاية الأرب » (٣٢/ ١٠١) .

(٧) أشار به : إلىٰ مثل شهير يضرب للرجل يكذب في الأمر ، ويدل بعض أحواله على الصدق فيه ، وأصله : أنَّ رجلاً ساوم آخر ببعير ، وسأله عن سنه ، فزعم أنه بازل ، فبينما هما كذلك . . نفر ، فدعاه : هِدَعْ هِدَعْ ، فسَكَن ، وهي كلمة تُسكَّن بها صغار الإبل ، فقال المشتري :(صدقنا سنُّ بكرك) ، وقوله : (سنُّ) يقرأ بالرفع علىٰ إسناد الصدق للسنِّ توسعاً ، وبالنصب علىٰ معنىٰ (عرَّفني) والفاعل هو البائع ، وقيل غير ذلك . انظر « جمهرة الأمثال » (١/ ٥٧٥) ، و« المستقصىٰ في أمثال العرب » (٢/ ١٤٠) ، و« تاج العروس » (١٠/ ٢٤٥) ، مادة : (ب ك ر) .

وهوَ قولُكَ : (ويُقالُ أيضاً : القرآنُ الذي في المصحفِ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ)[١] ، هلا سكتَّ علىٰ ما كنتَ عليهِ ، وقلتَ : كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ، والمِدادُ والكتابةُ مخلوقةٌ .

وقلتَ أيضاً : (القرآنُ الذي يقرؤُهُ المسلمونَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ)[٢] ، فهلا ميَّزتَ وقلتَ : القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ، والأصواتُ والحروفُ مخلوقةٌ .

مَـا يَبْلُـغُ ٱلأَعْـدَاءُ مِـنْ جَـاهِـلٍ ... مَـا يَبْلُـغُ ٱلْجَـاهِـلُ مِـنْ نَفْسِـهِ
وَٱلنَّحْـسُ لاَ يَتْـرُكُ أَخْـلاَقَـهُ ... حَتَّـىٰ يُـوَارَىٰ فِـي ثَـرَىٰ رَمْسِـهِ
إِذَا ٱنْتَهَـىٰ عَـاوَدَهَـا مَـرَّةً ... كَذِي ٱلضَّنَىٰ عَادَ إِلَىٰ نَكْسِهِ[٣]

قولُكَ في جوابِ المسألةِ الثانيةِ : (وهوَ قولُهُ : إنَّ كلامَ اللهِ هل هوَ بحرفٍ وصوتٍ أم لا ؟ إطلاقُ المسألةِ نفياً وإثباتاً خطأٌ)[٤]

في هـٰذهِ المسألةِ بَرِحَ الخَفاءُ[٥] ، واتَّضحَ الجَفاءُ ، وهتكتَ الجِلْبابَ ، وسَفَرْتَ عن شَحْناءِ شَحْنائِكَ النِّقابَ ، وأطلقتَ الأَعِنَّةَ في مَهامِهِ الجهالةِ ،

---

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٦) .
(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٦) .
(٣) الأبيات لصالح بن عبد القدوس في « ديوانه » (ص١٤١ـ١٤٢) ، وهي من السريع ، وفيه : (والشيخ) بدل (والنحس) ، ورواية الشطر الأول من البيت الثالث : (إذا ارعوىٰ عاد إلىٰ جهله) ، والثَّرىٰ : التراب الندي ، والرَّمْس : القبر ، والضَّنىٰ : المرض الملازم الذي يشرف صاحبه على الموت .
(٤) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٦) .
(٥) بَرِحَ الخفاء : ظهر المستور والمكتوم، قال سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه : (من الوافر)
أَلاَ أَبْلِـغْ أبـا سفيـانَ عنِّـي ... مغلغلـةً فقـد بَـرِحَ الخَفَـاءُ
وأول من تكلم بهـٰذا التركيب : شِقٌّ الكاهن . انظر « المستقصىٰ في أمثال العرب » (٢/ ٨) .

فعثرَ كَوْدَنُ مَقالِكَ عَثْرةً غيرَ مُقالَةٍ[1] .

وانتهىٰ بكَ الخَبَلُ إلىٰ أنْ قلتَ : (قالَ قومٌ مِنْ مُتكلِّمي الصِّفاتيَّةِ : إنَّ كلامَ اللهِ الذي أنزلَهُ علىٰ أنبيائِهِ كالتوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ ، والذي لم يُنزِلْهُ ، والكلماتِ التي كوَّنَ بها الكائناتِ ، والكلماتِ المشتملةَ علىٰ أمرِهِ ونهيِهِ وخبرِهِ . . ليسَ إلا مُجرَّدَ معنىً ، وهوَ صفةٌ واحدةٌ قامَتْ باللهِ ؛ إنْ عُبِّرَ عنها بالعبريَّةِ كانَتِ التوراةَ ، أو بالعربيَّةِ كانَتِ القرآنَ ، وإنَّ حروفَ القرآنِ ليسَتْ كلامَهُ ؛ إذْ كلامُهُ لا يكونُ بحرفٍ وصوتٍ)[2] .

جعلتَ هٰذا كلَّهُ ونفيَ الحرفِ والصوتِ عن كلامِ اللهِ . . بدعةً .

يدُلُّ علىٰ ذلكَ : أنَّكَ قلتَ : (عارضَهُم آخرونَ مِنْ أهلِ السنَّةِ ، فقالُوا : بلِ القرآنُ هوَ الحروفُ والأصواتُ)[3] ، وهٰذا مِنْ بابِ حصرِ المبتدأِ في الخبرِ ؛ أي : لا قرآنَ إلا الحروفُ والأصواتُ ، وبتقديرِ أنْ لا حصرَ لو كانَ مُجرَّداً عنِ الكلامِ الأولِ ـ وهوَ إزراؤُكَ علىٰ مُتكلِّمي الصِّفاتيَّةِ ـ لأمكنَ تأويلُهُ لكَ ، لٰكنْ إذا جُمِعَ أولُ كلامِكَ معَ آخرِهِ ، وبَدْأتُهُ معَ عودِهِ . . تكشَّفَ عن هَذَيانٍ في صورةِ تحقيقٍ ، وعدوٍّ في ثيابِ صديقٍ[4]

ولم تَزَلْ تُؤسِّسُ علىٰ ذلكَ وتبني ، وتُقرِّبُ كلامَكَ مِنِ اعتقادِكَ الفاسدِ وتُدني ، حتىٰ صرَّحتَ بما أَجْننتَ[5] ، وأعلنتَ بما كنتَ أكننتَ ، ولم يكفِكَ

---

(١) الكَوْدن : من معانيه : الفرس الهجين ، والبغل ، والبرذون الرومي ، والبليد على التشبيه بالبرذون الموكف بالإكاف .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٦) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٦ـ٤٦٧) .

(٤) أشار به : إلىٰ بيت أبي نواس الشهير : (من الطويل)

إذا امتحنَ الدُّنيا لبيبٌ تكشَّفتْ ... له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ

انظر « ديوانه » (ص ١٩٢) .

(٥) أجننت : سترت وواريت .

ذلكَ حتىٰ نقلتَ ثلاثةَ نقولٍ فاسدةٍ[1] ، أنتَ فيها ساهٍ أو واهٍ .

أمّا الأولُ : فإنَّكَ نقلتَ عنِ الإمامِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ ـ وهوَ إمامُكَ ، والمصروفُ إليهِ في الأصولِ والفروعِ زِمامُكَ ـ : أنَّهُ يقولُ كمَقالتِكَ ، ورتَّبتَ الافتراءَ عليهِ وعلىٰ غيرِهِ مراتبَ ؛ فقلتَ آخرَها : (وإنَّ اللهَ تعالىٰ مُتكلِّمٌ بصوتٍ)[2] ، تعالى اللهُ عن ذلكَ .

وليسَ النقلُ عنِ الإمامِ أحمدَ كذلكَ ، وإنَّما جُمودُكَ أيُّها الناقلُ على الألفاظِ ، وعدمُ تدبُّرِكَ للمعاني التي نقلَتْها ثقاتُ الحُفَّاظِ ، وأخذُكَ بما يُوافِقُ هواكَ ، وإهمالُكَ ما قَيَّدَ ذاكَ . . حملَكَ علىٰ هـٰذا الإطلاقِ ، والكلامِ بآخرِهِ بالاتِّفاقِ .

رَوَيْنا بالسندِ الصحيحِ إلى الإمامِ الحافظِ سيفِ السنَّةِ قامعِ البدعةِ ؛ أبي بكرٍ أحمدَ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ ابنِ موسى البيهقيِّ قالَ : سمعتُ أبا عمرٍو الأديبَ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الإسماعيليَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدِ بنِ ناجيةَ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ أحمدَ ابنِ حنبلٍ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : (مَنْ قالَ : « لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ » يريدُ بهِ : القرآنَ . . فهوَ كافرٌ)[3]

فقولُهُ : (يريدُ بهِ : القرآنَ . . .) هـٰذا القيدُ أهملتَهُ ؛ لأنَّهُ يمنعُكَ مِنَ التخطِّي إلىٰ أئمَّةِ المسلمينَ .

فليتَ شعري !! بأيِّ شيءٍ تستنصرُ ؟! وما يمنعُكَ مِنْ أنْ تستبصرَ ؟! وهلا سألتَ إذْ لم تعلمْ ؛ فالذي قالَهُ الإمامُ أحمدُ رضيَ اللهُ عنهُ فيهِ إشارةٌ إلى الفَرْقِ

---

(١) في (ب) : (أقوال) بدل (نقول) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٦ـ٤٦٧) .

(٣) الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد (٥٤) ، الأسماء والصفات (ص٢٥٦ـ٢٥٧)

بينَ القراءةِ والمقروءِ ؛ فقولُهُ : (يريدُ بهِ : القرآنَ) إشارةٌ إلى المقروءِ[1] .

وقالَ البيهقيُّ رضيَ اللهُ عنهُ عَقِيبَ ذلكَ : (فإنَّما أنكرَ قولَ مَنْ تذرَّعَ بهـٰذا إلى القولِ بخلقِ القرآنِ ، وكانَ يستحبُّ تركَ الكلامِ لهـٰذا المعنى) انتهىٰ كلامُ البيهقيِّ رضيَ اللهُ عنهُ[2] .

فأنتَ بتقديرِ أنْ يكونَ معَكَ نقلٌ مُطلَقٌ . . فهوَ محمولٌ علىٰ هـٰذا التقييدِ لا محالةَ ، فكانَ حقُّك ألا تهجُمَ على النقلِ ، لـٰكنْ غلبَ عليكَ محنتُكَ ، فنسألُ اللهَ العافيةَ .

فإنْ قلتَ : نحنُ ـ معشرَ الحنابلةِ ـ نَقَلَةُ مذهبِ الإمامِ أحمدَ في الفروعِ ، وأنتُم وغيرُكُم ترجعونَ إلينا في نقلِ الفروعِ ، وكما نقلْنا مذهبَهُ في الفروعِ كابراً عن كابرٍ إلى الإمامِ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ . . فكذلكَ نقلْنا مذهبَهُ في الأصولِ ، فوجبَ أنْ ترجعُوا إلينا في نقلِنا المُعتقَدَ كما رجعتُم إلينا في الفروعِ .

فالجوابُ : أنَّ الأئمَّةَ رضيَ اللهُ عنهُم لم تُترَكْ مذاهبُهُم وأتباعُهُم ،

---

(١) قال الإمام الكوثري في تعليقه على « الأسماء والصفات » (ص٢٥٠) : (اعلم : أنَّ المتلوَّ في الحقيقة هو اللفظ ، والمكتوبَ هو أشكال الحروف ، والمحفوظَ هو الحروف المتخيلة ، والمسموعَ هو الصوت ، وأما التلاوة والكتابة والحفظ والسماع بالمعاني المصدرية . . فإنما هي نسب بين التالي والمتلو ، والكاتب والمكتوب ، والحافظ والمحفوظ ، والسامع والمسموع ؛ فطرفا كلٍّ من هـٰذه النسب مخلوقان ، وإنما القديم هو ما قام به سبحانه وتعالىٰ ، وإطلاقنا المتلوَّ والمحفوظ والمكتوب والمسموع ونحوَ ذلك علىٰ ما قام به سبحانه . . من قبيل وصف المدلول بصفة الدال) ، وسيأتي في كلام المؤلف أوجه الفرق بين القراءة والمقروء . انظر (٢/ ٣٦٤ـ ٣٦٥) .

(٢) الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد (ص١٥٩) ، وقال البيهقي عقيب هـٰذا الحديث في « الأسماء والصفات » (ص٢٥٧) : (قلت : هـٰذا تقييد حفظه عنه ابنه عبد الله ؛ وهو قوله : « يريد به : القرآن » ، فقد غفل عنه غيره ممَّن حكىٰ عنه في اللفظ خلافَ ما حكينا ؛ حتىٰ نسب إليه ما تبرَّأ منه فيما ذكرنا) .

ولا انفردَ بنقلِها أصحابُهُم وأشياعُهُم ، بل نقلَ الخصمُ مذهبَ خصمِهِ ، والمُخالِفُ مذهبَ مُخالفِهِ ، ونقلَ أدلَّتَهُ أيضاً ؛ فالمالكيَّةُ يَنصِبونَ الخلافَ معَ الشافعيَّةِ ، وينقلونَ عنهُم أدلَّتَهُم ويعترضونَ عليها ، فلوِ انفردتُم بنقلٍ لم [ينقلْهُ] عنِ الإمامِ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ مخالفٌ ولا موافقٌ[1] . . لم تُقرُّوا عليهِ .

فأمَّا العقائدُ : فلم يظهرْ لنا مِنَ الإمامِ أحمدَ ولا مِنْ أمثالِهِ مِنَ العلماءِ ممَّنْ هوَ في طبقتِهِ أو طبقةِ مشايخِهِ . . إلا التنزيهُ المحضُ ، ونفيُ ما يُوهِمُ مِنَ الظواهرِ ؛ إمَّا بتأويلٍ ، أو بغيرِ تأويلٍ معَ عدمِ اعتقادِ الظاهرِ ، حتىٰ أتى المُتأخِّرونَ ؛ كأبي يعلىٰ وأمثالِهِ[2] ، فاختلقُوا على الإمامِ أحمدَ ما لم يقُلْهُ ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [مريم : ٥٩] .

وأنتُم قَفَوتُموهُم على الأثَرِ ، وذلكَ وللهِ الحمدُ لا ينقصُ مِنْ كمالِهِ ،

---

(١) في (أ ، ب) : (لم ينقل) بدل (لم ينقله) .

(٢) هو القاضي محمد بن الحسين ابن الفراء الحنبلي ، توفي سنة (٤٥٨هـ) ، قال ابن الأثير في « الكامل » (٨/ ٢٠٩) بعد أن ساق نتفة من ترجمته : (وهو مصنف كتاب « الصفات » ، أتىٰ فيه بكلِّ عجيبةٍ ، وترتيبُ أبوابه يدل على التجسيم المحض ، تعالى الله عن ذلك) ، ثم أورد عبارة لابن التميمي الحنبلي تحاشيت عن ذكرها ها هنا ، وقد لطَّفها ابن الجوزي في « دفع شبه التشبيه » (ص٩) فقال : (لقد شان المذهب شيناً قبيحاً لا يغسل بماء البحر) ، وقال الإمام اليافعي في « مرهم العلل المعضلة » : (ومتأخرو الحنابلة غلَوْا في دينهم غلوّاً فاحشاً ، وتسفَّهوا سفهاً عظيماً ، وجسَّموا تجسيماً قبيحاً ، وشبَّهوا الله بخلقه تشبيهاً شنيعاً ، وجعلوا له من عباده أمثالاً كثيرة ؛ حتىٰ قال أبو بكر ابن العربي في « العواصم » : أخبرني من أثق به من مشيختي : أن القاضي أبا يعلى الحنبلي كان إذا ذكر الله سبحانه يقول فيما ورد من هـٰذه الظواهر في صفاته تعالىٰ : « ألزموني ما شئتم ؛ فإني ألتزمه ، إلا اللحية والعورة » ، قال بعض أئمة أهل الحق : « وهـٰذا كفر قبيح ، واستهزاء بالله تعالىٰ شنيع ، وقائله جاهل به تعالىٰ لا يقتدىٰ به ولا يلتفت إليه ، ولا متبع لإمامه الذي ينتسب إليه ويتستَّر به ، بل هو شريك للمشركين في عبادة الأصنام ؛ فإنه ما عبد الله ولا عرفه ، وإنما صوَّر صنماً في نفسه ، فتعالى الله عمَّا يقول الملحدون والجاحدون علوّاً كبيراً ») . انظر تعليقات الكوثري على « السيف الصقيل » (ص ١٣٠ـ ١٣١) .

ولا يشينُ وجهَ جمالِهِ ؛ فإنَّ انحرافَ الأتباعِ لا يُؤثِّرُ في المُتابَعِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ مِنْ أُمَّتِي . . . » إلىٰ أنْ قالَ : « فَأَقُولُ : أَصْحَابِي ، فَيُقَالُ : لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ : سُحْقاً سُحْقاً »[(١)]

روى الحافظُ ثقةُ الدينِ ابنُ عساكرَ بسندِهِ إلى ابنِ شاهينَ قالَ : (رجلانِ صالحانِ ابتُليا بأصحابِ سوءٍ : جعفرُ بنُ محمدٍ الصادقُ ، والإمامُ أحمدُ ابنُ حنبلٍ)[(٢)] .

وأمَّا نقلُكَ عنِ الإمامِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ إسماعيلَ البخاريِّ[(٣)] ، وأخذُكَ بظاهرِ كلامِهِ ؛ حيثُ روىٰ عن يحيى بنِ سعيدٍ القطَّانِ قولَهُ : (ما زلتُ أسمعُ أصحابَنا يقولونَ : أفعالُ العبادِ مخلوقةٌ)[(٤)] . . فخشيَ أنْ يتطرَّقَ مِنْ ذلكَ إلى القولِ بخلقِ القرآنِ ، فنبَّهَ عليهِ ، ولم يُرِدِ البخاريُّ رضيَ اللهُ عنهُ ما أردتَهُ وأردفتَ كلامَكَ بهِ .

والدليلُ علىٰ ما قلتُهُ : ما نقلَهُ أبو أحمدَ عبدُ اللهِ بنُ عَدِيٍّ الجُرْجانيُّ الحافظُ في « كتابِهِ » ، قالَ : ذكرَ لي جماعةٌ مِنَ المشايخِ أنَّ محمدَ بنَ إسماعيلَ رحمَهُ اللهُ لمَّا وردَ نَيْسابورَ واجتمعَ الناسُ وعُقِدَ لهُ مجلسٌ . . حسدَهُ بعضُ مَنْ

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٧٠٥٠) ، ومسلم (٢٢٩٠/٢٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وهو فيه أيضاً (٢٤٩) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) تبيين كذب المفتري (ص٣٢٧) ، فالأول ابتلي بالرافضة ، والثاني ابتُلي بالمُجسِّمة . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/ ١٧) .

(٣) وهٰذا هو النقل الثاني من جملة النقول الفاسدة التي أودعها ابن تيمية فتياه الفاتنة .

(٤) أجوبة أهل الرحبة (ص١٤٣) ضمن « المسائل والأجوبة » ، وانظر « خلق أفعال العباد » (ص٤٧) .

كانَ في ذلكَ الوقتِ مِنْ مشايخِ نَيْسابورَ لمَّا رأىٰ إقبالَ الناسِ إليهِ وسماعَهُم عليهِ[1] ، فقالَ لأصحابِ الحديثِ : إنَّ محمدَ بنَ إسماعيلَ يقولُ : اللفظُ بالقرآنِ مخلوقٌ ، فامتحِنُوهُ بهِ في المجلسِ .

فلمَّا حضرَ الناسُ مجلسَ البخاريِّ قامَ إليهِ رجلٌ ، فقالَ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ ما تقولُ في اللفظِ بالقرآنِ ؛ مخلوقٌ هوَ أو غيرُ مخلوقٍ ؟![2] ، فأعرضَ عنهُ البخاريُّ ولم يُجبْهُ .

فقالَ الرجلُ : يا أبا عبدِ اللهِ ، فأعادَ عليهِ القولَ ، فأعرضَ البخاريُّ ولم يُجبْهُ .

ثمَّ قالَ في الثالثةِ ، فالتفتَ إليهِ محمدُ بنُ إسماعيلَ فقالَ : (القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ، وأفعالُ العبادِ مخلوقةٌ ، والامتحانُ بدعةٌ) .

فشَغَبَ الرجلُ ، وشغبَ الناسُ على البخاريِّ ، وتفرَّقُوا عنهُ بعدُ[3]

فقد رأيتَ الإمامَ أبا عبدِ اللهِ لم يُطلِقْ كما أطلقتَ ، بل قالَ : (القرآنُ غيرُ مخلوقٍ) يعني بهِ : الكلامَ الذي هوَ صفةٌ ، وقولُهُ : (وأفعالُ العبادِ مخلوقةٌ) يريدُ بهِ : ما يبرزُ مِنَ اللَّهَواتِ مِنَ الحروفِ والأصواتِ .

وما أظنُّكَ بلغَتْكَ قصةُ الإمامِ أبي عبدِ اللهِ البخاريِّ معَ محمدِ بنِ يحيى الذُّهْليِّ ، وقد ذكرَها الإمامُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ في « تاريخِ بغدادَ » قالَ :

---

(١) وهـٰذا البعض : هو محمد بن يحيى الذُّهْلي كما سيأتي التصريح به بعد قليل في كلام المؤلف .

(٢) كذا في الأصل بـ (أو) ، والقياس : أن يكون بـ (أم) لأن الاستفهام هنا لطلب التعيين .

(٣) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٢/٤٥٣ـ٤٥٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/٢٢٨) ، والشَّغْب : تهييج الشر .

قالَ الحسنُ بنُ محمدِ بنِ جابرٍ : سمعتُ محمدَ بنَ يحيىٰ لمَّا وردَ محمدُ بنُ إسماعيلَ البخاريُّ نيسابورَ . قالَ : اذهبوا إلىٰ هـٰذا الرجلِ الصالحِ العالمِ فاسمعُوا منهُ .

قالَ : فذهبَ الناسُ إليهِ ، وأقبلُوا على السماعِ منهُ ، حتىٰ ظهرَ الخَلَلُ في مجلسِ محمدِ بنِ يحيىٰ ، فحسَدَهُ بعدَ ذلكَ وتكلَّمَ فيهِ[١] .

قلتُ : ومحمدُ بنُ يحيى الذُّهْليُّ هوَ المرادُ بقولِ أبي أحمدَ بنِ عديٍّ : (بعضُ الناسِ) في الحكايةِ الأولىٰ .

ونقلَ الحافظُ أبو عليٍّ الحسينُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ الغسَّانيُّ قالَ[٢] : حدَّثَنا أبو حاتِمٍ العبدويُّ[٣] قالَ : سمعتُ الحسنَ بنَ أحمدَ بنِ سنانٍ[٤] يقولُ : سمعتُ أبا حاتِمٍ الأعشىٰ[٥] يقولُ : (رأيتُ محمدَ بنَ إسماعيلَ البخاريَّ في جنازةِ أبي عثمانَ سعيدِ بنِ مروانَ ، ومحمدُ بنُ يحيىٰ يسألُهُ عنِ الأسامي

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٢٩) .

(٢) قاله نقلاً عن الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي ، ونبَّهت عليه حتىٰ لا يُتوهَّم الانقطاع ، ومثل ذلك يقال في الخبر الآتي بعده .

(٣) في (ب) : (أبو حاتم العبدوي) ، والمثبت موافق لما رسمت به في (أ) ، ولعلَّ الصواب في كنيته : (أبو حازم) بدل (أبو حاتم) ، وهو الإمام الحافظ عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه النيسابوري ، المتوفىٰ سنة (٤١٧هـ) ، وهو من شيوخ الحافظ البغدادي الناقلِ عنه هـٰذا الخبر ، وانظر « تقييد المهمل » (١/ ٣٦) ، و« تاريخ بغداد » (٢/ ٣٠ ، ١١/ ٢٧١) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٣٣٣ـ٣٣٤) ، وستأتي ترجمته في (١/ ٤٠٧) .

(٤) كذا في نسختينا ، ولعل الصواب : (شيبان) بدل (سنان) ، وهو الإمام المسند أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد ابن شيبان المَخْلَدي النيسابوري العدل . انظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٣٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٥٣٩) .

(٥) كذا في نسختينا ، ولعل الصواب : (أبا حامد الأعمشي) ، وهو الإمام الحافظ المصنف أحمد بن حمدون بن أحمد النيسابوري الأعمشي . انظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٣٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٥٥٣) .

والكُنىٰ وعِلَلِ الحديثِ ، ويمرُّ فيهِ محمدُ بنُ إسماعيلَ مثلَ السهمِ كأنَّهُ يقرأُ « قلْ هوَ اللهُ أحدٌ » ، فما أتىٰ علىٰ هـٰذا شهرٌ حتىٰ قالَ محمدُ بنُ يحيىٰ : أَلاَ مَنْ يختلفُ إلىٰ مجلسِهِ لا يختلفُ إلىٰ مجلسِنا ؛ فإنَّهُم كتبُوا إلينا مِنْ بغدادَ أنَّهُ تكلَّمَ في اللفظِ ، ونهيناهُ فلم ينتهِ ، ولا تقربوهُ ، ومَنْ يقربْهُ لا يقربْنا ، فأقامَ محمدُ بنُ إسماعيلَ ها هنا مدةً وخرجَ إلىٰ بُخارىٰ)[١]

وممَّا يُؤيِّدُ ما نقلتُهُ عنِ البخاريِّ رضيَ اللهُ عنهُ : ما نقلَهُ الجيَّانيُّ في كتابِ « تقييدِ المهملِ »[٢] ؛ فإنَّهُ قالَ : أخبرَنا أبو سعيدٍ محمدُ بنُ حسنويهِ بنِ إبراهيمَ الأَبِيوَرْديُّ قالَ : حدَّثَنا أبو سعيدٍ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ حمدونَ قالَ : سمعتُ أبا حامدٍ الشَّرْقيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ يحيىٰ يقولُ : (القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ مِنْ جميعِ جهاتِهِ وحيثُ يتصرَّفُ ؛ فمَنْ لزمَ استغنىٰ عنِ اللفظِ وعمَّا سواهُ مِنَ الكلامِ في القرآنِ .

ومَنْ زعمَ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ فقد كفرَ ، وخرجَ عنِ الإيمانِ ، وبانَتْ منهُ امرأتُهُ ، فيُستتابُ ؛ فإنْ تابَ ، وإلا ضُرِبَتْ عنقُهُ ، وجُعِلَ مالُهُ فيئاً بينَ المسلمينَ ، ولا يُدفَنُ في مقابرِ المسلمينَ .

ومَنْ وقفَ فقالَ : « لا أقولُ : مخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ ».. فقد ضاهى الكفرَ .

ومَنْ زعمَ : أنَّ لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ.. فهوَ مُبتدِعٌ لا يُجالَسُ ولا يُكلَّمُ .

ومَنْ ذهبَ بعدَ مجلسِنا هـٰذا إلىٰ محمدِ بنِ إسماعيلَ البخاريِّ.. فاتَّهِموهُ ؛ فإنَّهُ لا يحضرُ مجلسَهُ إلا مَنْ كانَ علىٰ مذهبِهِ)[٣]

---

(١) تقييد المهمل (١/ ٣٦) ، وانظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٣٠) .

(٢) والجيّاني : هو نفسه الحافظ أبو علي الغساني الراوي للخبر السابق .

(٣) تقييد المهمل (١/ ٣٦ـ٣٧) ، وانظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٣٠ـ٣١) .

فهـٰذا اللفظُ مِنْ محمدِ بنِ يحيىٰ معَ ما تقدَّمَ مِنْ جوابِ ملكِ الحفَّاظِ محمدِ ابنِ إسماعيلَ رضيَ اللهُ عنهُ للسائلِ . . يدُلانِ علىٰ مُبايَنةِ مُعتقَدِهِ لما نقلتَهُ عنهُ .

ووجهُ الاستدلالِ منهُ : أنَّ محمدَ بنَ يحيىٰ ذكرَ مُعتقَدَهُ إلىٰ أنْ فرغَ منهُ ، ثمَّ ندَّدَ علىٰ أبي عبدِ اللهِ لمخالفتِهِ لهُ ، فدلَّ علىٰ أنَّ مُعتقَدَ الإمامِ محمدِ بنِ إسماعيلَ يُخالفُ مُعتقَدَ الذُّهْليِّ قطعاً ؛ فالذي نقلتَهُ عنِ البخاريِّ هوَ قولُ الذُّهْليِّ ومذهبُهُ ومُعتقَدُهُ ، فأنتَ إذاً ذُهْليٌّ ذاهلٌ ، أو مُجترِئٌ علىٰ تحريفِ النقلِ مُتساهِلٌ[1] .

ويُؤيِّدُ ذلكَ : ما نقلَهُ أبو عليٍّ أيضاً قالَ[2] : حدَّثَنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ غالبٍ قالَ : حدَّثَنا أبو بكرٍ الإسماعيليُّ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ سيَّارٍ قالَ : حدَّثَني محمدُ بنُ خُشْنامَ ـ وسمعتُهُ يقولُ : سُئِلَ محمدُ بنُ إسماعيلَ بنيسابورَ عنِ اللفظِ ـ فقالَ : حدَّثَني [عُبيدُ] اللهِ بنُ سعيدٍ ـ يعني : أبا قدامةَ ـ عن يحيى بنِ سعيدٍ قالَ : (أعمالُ العبادِ كلُّها مخلوقةٌ) ، فمرقُوا عليهِ .

قالَ : فقالُوا لهُ بعدَ ذلكَ : ترجعُ عن هـٰذا القولِ حتىٰ نعودَ إليكَ ؟ قالَ : لا أفعلُ إلا أنْ تجيئوا بحُجَّةٍ فيما تقولونَ أقوىٰ مِنْ حُجَجي[3] ، وأعجبَني مِنْ محمدِ بنِ إسماعيلَ ثباتُهُ[4] .

---

(١) وحاول التاج السبكي تأويل كلام الذهلي ؛ فقال في « طبقاته الكبرىٰ » (٢/ ٢٢٩) : (وإنما أراد محمد بن يحيىٰ ـ والعلمُ عند الله ـ ما أراده أحمد ابن حنبل كما قدَّمناه في ترجمة الكرابيسي ؛ من النهي عن الخوض في هـٰذا ، ولم يرد مخالفة البخاري ، وإن خالفه وزعم أنَّ لفظه الخارج من بين شفتيه المحدثتين قديم . . فقد باء بأمر عظيم ، والظنُّ به خلاف ذلك) ، وللتاج السبكي كلام نفيس في تفصيل هـٰذه الحادثة والتعليق عليها . انظر « طبقاته الكبرىٰ » (٢/ ٢٢٨) وما بعدها .

(٢) أي : نقلاً عن الخطيب البغدادي في « تاريخه » كما سبق التنبيه عليه .

(٣) في « تقييد المهمل » : (من حجتي) .

(٤) تقييد المهمل (١/ ٣٤ـ٣٥) ، وانظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٢٩) .

وقالَ أبو عليٍّ أيضاً[١] : حدَّثَنا محمدُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ المقرئُ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ النيسابوريُّ الحافظُ قالَ : حدَّثَنا أبو بكرٍ محمدُ ابنُ [أبي] الهيثمِ المُطَّوِّعيُّ ببُخارىٰ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ يوسفَ الفِرَبْرِيُّ[٢] قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ إسماعيلَ البخاريَّ يقولُ : أمَّا أفعالُ العبادِ فمخلوقةٌ ؛ فقد حدَّثَنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ قالَ : حدَّثَنا مروانُ بنُ معاويةَ قالَ : حدَّثَنا أبو مالكٍ ، عن رِبْعِيِّ بنِ حِراشٍ ، عن حذيفةَ قالَ : قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ »[٣]

قلتُ : قد ثبتَ بهٰذا كلِّهِ : أنَّ النقلَ عنِ البخاريِّ خلافُ ما نقلتَهُ ، فتثبَّتْ في النقلِ ، تسترُ معايبَ أصحابِكَ مِنْ مُتأخِّري الحنابلةِ وتُسنِدُها إلى الأئمَّةِ المُتقدِّمينَ ؟! رمتْني بدائِها وانسلَّتْ !![٤]

وكذلكَ نقلُكَ إجماعَ سلفِ الأمَّةِ[٥] ، كما نقلتَهُ عنِ الإمامِ أحمدَ وعنِ البخاريِّ رضيَ اللهُ عنهُما[٦]

ليتَ شعري !! مِنْ أينَ لكَ هٰذا الإجماعُ ؟! وأنَّى اهتديتَ إلىٰ هٰذا الاطِّلاعِ ؟! أبمطالعةٍ أم إجازةٍ أم سماعٍ ؟! وفي أيِّ عصرٍ كانَ ذلكَ ؟! أفي زمنِ الصحابةِ ؟! فسيأتي ذكرُ مَنْ أوَّلَ الظواهرَ مِنْ أوَّلِ أوائلِهِم ، ثمَّ مِنْ بعدِهِم على

---

(١) أي : نقلاً عن الخطيب البغدادي .

(٢) وضبطه في « الأنساب » (١٠/ ١٧٠) بفتح الفاء .

(٣) تقييد المهمل (١/ ٣٥) ، وانظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٣٠) ، و« خلق أفعال العباد » (ص٢٥) .

(٤) أخذه من مثل مشهور يُضرب لمن يعيب غيره بعيب هو فيه . انظر « مجمع الأمثال » (١/ ١٠٢ ، ٢٨٦) .

(٥) وهٰذا هو النقل الثالث من جملة نقول ابن تيمية .

(٦) انظر « الفتاوى الكبرىٰ » (٦/ ٤٦٦) ، و« المسائل والأجوبة » (ص١٤٣) .

اختلافِ منازِلِهِم إلىٰ زمنِنا مِنْ علماءِ المشرقِ والمغربِ[1] ، وأيُّ إجماعٍ ينعقدُ بدونِ هـٰؤلاءِ ؟!

ولَعَمْري !! لو أنصفتَ لكانَ الأحقُّ بدعوى الإجماعِ أئمَّةَ السنَّةِ ؛ فإنَّ الأئمَّةَ كلُّهُم ـ مُتقدِّموهُم ومُتأخِّروهُم[2] ـ مُتَّفقونَ على التنزيهِ في سائرِ الظواهرِ المُوهِمةِ ، ونفيِ المعنى الذي يُوهِمُ التجسيمَ أوِ التحيُّزَ قولاً واحداً ، ومَنْ نقلَ عنهُم خلافَ ذلك فقد أخطأَ أو تعمَّدَ الكذبَ عِناداً ، فلم يبقَ مَنْ يقولُ بالظواهرِ إلا شِرْذِمةٌ قليلونَ ، لا يُعبأُ بخلافِهِم مِنْ مُتأخِّري الحنابلةِ ، ولا يُرجَعُ إلىٰ أقوالِهِم ، ولا يُعرَّجُ عليها . . إلا عندَكَ .

ولعلَّ مُستندَكَ ـ واللهُ أعلمُ ـ : ما ناصبتَ عليهِ في أوَّلِ كلامِكَ ووسطِهِ وآخرِهِ ، وادَّعيتَ كفرَ مَنْ قالَ بخلافِ ما قلتَ وسمَّيتَهُ مُلحِداً[3] ، فإذا كانَ ـ علىٰ مُعتقَدِكَ ـ مَنْ عداكَ وأصحابَكَ ومَنْ تابعَكَ علىٰ رأيِكَ كَفَرةً ، وأنتَ وأصحابُكَ وأتباعُكَ مِنَ الحنابلةِ ومَنْ قالَ بقولِكَ المؤمنونَ . . صحَّ حينَئذٍ لكَ دعوى الإجماعِ !!

مَــــا ٱلْعَقْــــلُ إلا زِينَــــةٌ   سُبْحَــانَ مَــنْ أَعْــرَاكَ مِنْــهُ
قُسِمَــتْ عَلَــى ٱلنَّــاسِ ٱلْعُقُــو   لُ وَكَـانَ يَـوْمـاً غِبْـتَ عَنْـهُ[4]

وقولُكَ مُفترِياً : (إنَّ اللهَ مُتكلِّمٌ بصوتٍ)[5] ، تعالى اللهُ عمَّا تقولُ علوّاً كبيراً .

---

(١) وجميع من سيأتي في (الباب الثالث) إلى (الباب العاشر) هم قائلون بالتأويل بالفعل أو بالقوة .
(٢) كذا في نسختينا بالرفع، وهو جائز صناعةً، ويجوز صناعةً أيضاً أن تضبط العبارة ـ وهو الظاهر ـ: (فإنَّ الأئمةَ كلَّهم مُتقدِّميهم ومُتأخِّريهم) ، إلا أن الرسم لا يساعد ، والله تعالىٰ أعلم .
(٣) انظر ما تقدم (١/ ٧٨، ١٣٢) .
(٤) البيتان للبهاء زهير في « ديوانه » (ص٢٧٥) ، وهما من مجزوء الكامل .
(٥) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٧) .

لا يخلو : إمَّا أنْ تُرِيدَ بهِ : كلامَهُ القائمَ بذاتِهِ القديمَ ، أو كلامَنا بما يُسمَّىٰ كلامَ اللهِ .

فإنْ عنيتَ بهِ كلامَهُ القائمَ بذاتِهِ . . لزمَكَ أنْ تقومَ الحوادثُ بذاتِهِ ؛ لأنَّ الأصواتَ مُنقطِعةٌ لها أوَّلٌ وآخِرٌ ، سيَّما إذا كانَتْ ـ علىٰ رأيِكَ ـ بحروفٍ متتابعةٍ يسبقُ بعضُها بعضاً ، وقد دلَّ الدليلُ العقليُّ علىٰ أنَّهُ تعالىٰ لا تحُلُّهُ الحوادثُ ؛ ففي قولِكَ بذلكَ مِنَ المفسدةِ ما لا يخفىٰ عنِ العلماءِ غيرِكَ ، وإلا فجهلُكَ عاذِرُكَ .

لَعَمْرُكَ مَا طُرْقُ ٱلْمَعَالِي خَفِيَّةٌ ... وَلَـٰكِنَّ بَعْضَ ٱلسَّيْرِ لَيْسَ بِقَاصِدِ[1]

وميلُكَ عنِ الطريقِ هوَ الذي يمنعُكَ مِنْ فهمِهِ .

وإنْ عنيتَ قيامَ الصفةِ القديمةِ بكلامِنا حالَ نُطْقِنا بالقرآنِ . . لزمَكَ حلولُ القديمِ بالحادثِ ، وتكونُ علىٰ هـٰذا أسوأَ حالاً ممَّنْ يعتقدُ حلولَ الكلمةِ والذاتِ بعيسى ابنِ مريمَ ؛ لأنَّهُم يعتقدونَها في عيسىٰ خاصَّةً ، وأنتَ وأصحابُكَ تعتقدونَها في كلِّ مَنْ قرأَ القرآنَ ونطقَ بكلامِ اللهِ .

والذي يدُلُّ علىٰ أنَّكَ أردتَ المعنى الثانيَ : قولُكَ : (**ليسَ القرآنُ اسماً لمجرَّدِ المعنىٰ ، ولا لمجرَّدِ اللفظِ[2] ، بل لمجموعِهِما ؛ كما أنَّ الإنسانَ المُتكلِّمَ الناطقَ ليسَ هو مجرَّدَ الروحِ ، ولا مجرَّدَ الجسدِ ، بل مجموعُهُما**)[3] .

[فجعلُكَ] اللفظَ بمنزلةِ الجسدِ[4] ، وحلولَ الصفةِ بهِ بمنزلةِ الروحِ . . طريقةٌ ظاهرةُ الضلالِ ، مُتقلِّصةُ الظِّلالِ ، لم تُسبَقْ إليها ، ولم يُساعِدْكَ نقلٌ

---

(١) البيت لأبي فراس الحمداني في « ديوانه » (٢/ ٨٢) ، وهو من الطويل .

(٢) في « الفتاوى الكبرىٰ » : (الحرف) بدل (اللفظ) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٧) .

(٤) في نسختينا : (فجعلت) بدل (فجعلك) ، ولعل المثبت أنسب ، والله تعالىٰ أعلم .

ولا عقلٌ عليها ، لقدِ اخترعتَ وابتدعتَ وضيَّعتَ ، ولـٰكنْ بئسَما صنعتَ ، نسألُ اللهَ العافيةَ .

وقولُكَ : (وكما لا يُشبِهُ علمُهُ وقدرتُهُ وحياتُهُ علمَ المخلوقِ وقدرتَهُ وحياتَهُ . . فكذلكَ لا يُشبِهُ كلامُهُ كلامَ المخلوقِ)[1]

يناقضُ كلامَكَ أوَّلاً ؛ فإنَّكَ منعتَ أنْ يُقاسَ الكلامُ على الصفاتِ ؛ فقلتَ : (وليسَ وجودُ الكلامِ مِنَ الكتابِ كوجودِ الصفةِ بالموصوفِ ؛ مثلُ [وجودِ] العلمِ والحياةِ بمحلِّهما)[2] .

ومعَ ذلكَ فكلامُكَ نقولُ بمُوجَبِهِ ، ونقولُ : كلامُ اللهِ تعالىٰ لا يُشبِهُ كلامَ المخلوقينَ ؛ فإنَّهُ صفةٌ أزليَّةٌ قديمةٌ قائمةٌ بهِ لا تحُلُّ بغيرِهِ ، وليسَتْ بحرفٍ ولا صوتٍ .

فنحنُ نفَيْنا التشبيهَ بالكُلِّيَّةِ ، وأنتَ أثبتَّ التشبيهَ مِنْ بعضِ الوجوهِ ؛ فقلتَ : (لا معانيهِ تُشبِهُ معانيَهُ ، ولا حروفُهُ تشبهُ حروفَهُ ، ولا صوتُ الربِّ يشبهُ صوتَ العبدِ)[3] ، فجعلتَ للربِّ صوتاً كما للعبدِ صوتٌ ، وحروفاً كما كلامُنا بحروفٍ ، لـٰكنَّكَ خفتَ أنْ يُندَّدَ عليكَ بقولِكَ ؛ فجنحتَ إلىٰ بعضِ تعظيمٍ مُتكلِّفاً لذلكَ ؛ فقلتَ : (ولا صوتُ الربِّ يشبهُ صوتَ العبدِ) .

فسبحانَ الحليمِ المُمهِلِ حيثُ لم يخسِفْ بكَ الأرضَ ، ولم يُسقِطْ عليكَ كِسَفاً مِنَ السماءِ !! وإنَّما غرَّكَ إمهالُهُ استدراجاً لكَ وعقوبةً ؛ فإنَّ الذنبَ قد يكونُ عقوبةً لذنبٍ آخَرَ ، ومِصْداقُ ذلكَ في كتابِ اللهِ تعالىٰ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ

---

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٧) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٥) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٧) .

﴿ وَكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٦١] ، فجعلَ عِصْيانَهُم واعتداءَهُم سبباً لكفرِهِم وقتلِهِمُ الأنبياءَ .

والعجبُ : أنَّ كلامَكَ أدَّاكَ إلى النفيِ المحضِ والسَّفْسَطةِ !! والدليلُ على ذلكَ : أنَّكَ قلتَ : (لا معانيهِ تشبهُ معانيَهُ ، ولا حروفُهُ تشبهُ حروفَهُ) ، فيدُلُّ ذلكَ على أنَّ معانيَ القرآنِ التي ننطقُ بها ليسَتْ مُوافِقةً لمعاني كلامِ اللهِ ؛ إمَّا النَّفْسانيِّ على رأيِنا ، أوِ الحروفَ والأصواتَ التي نقرأُ بها القرآنَ ليسَتْ مُوافِقةً لحروفِ اللهِ على رأيِكَ ولا لصوتِهِ ، فإذا لم تكنِ المعاني مُوافِقةً للمعاني ولا الحروفُ للحروفِ . . فيكونُ غيرَ موافقٍ لكلامِ اللهِ قطعاً على قولِكَ .

وَلاَ عَجَبٌ مِنْ سُخْفِ رَأْيِكَ إِنَّهُ إِذَا سَاءَ عَقْلُ ٱلْمَرْءِ سَاءَ نَـتَائِجَا[١]

قولُكَ : (ولا صوتُ الربِّ يُشبِهُ صوتَ العبدِ)[٢]

ليسَ للهِ صوتٌ ، وليسَ كلامُهُ بصوتٍ ، ومَنْ قالَ : إنَّ لهُ صوتاً . . فقد أعظمَ على اللهِ الفِرْيةَ ؛ فإنَّ العقلَ الذي دلَّ على وجودِ ذاتِهِ ووحدانيَّتِهِ دلَّنا على تنزيهِ كلامِهِ عنِ الحرفِ والصوتِ ، ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾ [النساء : ١٧١] ، ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ٥٠] .

وأحسنُ مِنْ هـٰذا : شهادتُكَ على نفسِكَ ، وعلى مَنِ اعتقدَ مُعتقَدَكَ مِنْ أبناءِ جنسِكَ . . بقولِكَ : (فمَنْ شبَّهَ اللهَ بخلقِهِ فقد ألحدَ في أسمائِهِ وآياتِهِ)[٣]

وأيُّ تشبيهٍ أعظمُ مِنْ أنْ تجعلَ لهُ صوتاً ، وتجعلَ كلامَهُ بصوتٍ كما أنَّ

---

(١) كتب فوق (رأيك) في النسختين الخطيتين : (قولك) ، والبيت بنحوه لابن خفاجة الأندلسي ، كما في « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » (٦/ ٦٠٥) ، وهو من الطويل .
(٢) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٧) .
(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٧) .

كلامَكَ بصوتٍ ؟! لـٰكنَّهُ علىٰ رأيِكَ لا يشبهُ صوتَكَ ، وكذا كلُّ صوتٍ مِنْ أصواتِ المخلوقينَ في الغالبِ لا يشبهُ صوتَ الآخَرِ ؛ ولذلكَ أجازَ جماعةٌ مِنَ العلماءِ الشهادةَ على الصوتِ إذا كانَ مُتميِّزاً عن غيرِهِ للشاهدِ[1] ، وكانَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها تعرفُ أصواتَ مَنْ يدخلُ إليها رضيَ اللهُ عنها ؛ ولهـٰذا إنَّ أكثرَ الأذكياءِ مِنَ الأَضِرَّاءِ يُفرِّقونَ بينَ الأشخاصِ بالأصواتِ[2] .

كانَ عندَنا بالقاهرةِ رجلٌ ضريرٌ مِنَ العلماءِ الفضلاءِ القُرَّاءِ المَجيدينَ ، والفقهاءِ المعيدينَ[3] ؛ علمُ الدينِ ابنُ الصفيِّ القِمَّنيُّ[4] ، لم يأتِهِ شخصٌ يُسلِّمُ عليهِ فيحتاجَ أنْ يقولَ لهُ : (مَنْ أنتَ ؟) ، ولا يقولُ لهُ المُسلِّمُ : (أنا فلانٌ) قطُّ ، وكنتُ أغيبُ عنهُ السنةَ والسنتينِ ، فحينَ أُسلِّمُ عليهِ يقولُ لي : كيفَ والدُكَ ؟ هوَ رفيقي على الشيخِ كمالِ الدينِ المقرئِ ، وحينَ يُسلِّمُ عليهِ الوالدُ وأنا غائبٌ يقولُ : (كيفَ ولدُكَ محمدٌ ؟ دعْهُ يشتغلْ) ، مِنْ غيرِ أنْ يسألَ أحداً منَّا مَنْ أنتَ ، وكانَ رحمَهُ اللهُ مشهوراً بالذكاءِ ، مخصوصاً بسرعةِ الحفظِ[5] .

فقد علمتَ أنَّ الأصواتَ قد تختلفُ ولا تتشابهُ في الغالبِ ؛ فقولُكَ : (صوتٌ لا كالأصواتِ) فررتَ مِنْ نارٍ إلىٰ نارٍ ، وتبرَّأتَ مِنْ عارٍ إلىٰ عارٍ .

---

(١) انظر « البيان والتحصيل » (٩/ ٤٤٤ـ٤٤٥) ، و« العناية شرح الهداية » (٧/ ٣٩٧) .

(٢) الأضِرَّاء : جمع ضرير .

(٣) في (ب) : (المعتدِّين) .

(٤) هو أحمد بن إبراهيم القرشي الأموي البهنسي ، الفقيه المفتي الضرير ، توفي سنة (٦٨٦هـ) ، كان آيةً في الحفظ ، وهو من الأضرَّاء الذين ذكرهم الصفدي في « نَكْت الهميان في نُكَتَ العميان » (ص٦٦) ، وهو أيضاً من أئمة الأشاعرة الذين سيترجمهم المؤلف في (٢/ ٢٠١ـ٢٠٥) .

(٥) وسيذكر له المؤلف عجائبَ في ذلك أثناء ترجمته . انظر (٢/ ٢٠٢ـ٢٠٥) .

قولُكَ : (وسلفُ الأمَّةِ مُتَّفقونَ علىٰ أنَّهُ فوقَ سماواتِهِ علىٰ عرشِهِ)[1] : ليسَ لكَ أنْ تُطلِقَ هـٰذا اللفظَ لا مُعتقِداً لجهةٍ ولا غيرَ مُعتقِدِها[2]

أمَّا إنِ اعتقدتَ الجهةَ فقد قامَ الدليلُ علىٰ بطلانِ هـٰذا الاعتقادِ ، وصرَّحَ ما فيهِ مِنَ الفسادِ علىٰ ما تتأمَّلُهُ .

وإنْ لم تعتقدْها فليسَ لكَ أنْ تبتدئَ إطلاقَ هـٰذا الكلامِ ؛ لأنَّ السلفَ رضيَ اللهُ عنهُم فيما وردَ عنِ اللهِ وعن رسولِهِ مِنَ الظواهرِ . إمَّا مُؤوِّلٌ ، أو نافٍ للإيهامِ ساكتٌ عنِ التأويلِ ، يَكِلُ علمَهُ إلى اللهِ تعالىٰ ، أمَّا أنْ يُطلِقَ لفظاً ظاهرُهُ يُوهِمُ ما يستحيلُ على اللهِ تعالىٰ . . فالكلُّ مُتَّفقونَ علىٰ أنَّهُ لا يجوزُ إطلاقُهُ منَّا على اللهِ عزَّ وجلَّ ، وإنْ وردَتِ الظواهرُ المطلقةُ عنِ اللهِ تعالىٰ وعن رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وأردفتَ الكلامَ بقولِكَ : (ليسَ في ذاتِهِ شيءٌ مِنْ مخلوقاتِهِ ، ولا في مخلوقاتِهِ شيءٌ مِنْ ذاتِهِ ، وعلىٰ ذلكَ نصوصُ الكتابِ والسنَّةِ ، وإجماعُ الأمَّةِ ، بل علىٰ ذلكَ جميعُ المؤمنينَ ؛ مِنَ الأوَّلينَ والآخِرينَ)[3]

فقولُكَ : (وعلىٰ ذلكَ . . .) إلىٰ آخرِهِ : إنْ عنيتَ بـ (ذلكَ) الكلامَ الأخيرَ ؛ وهوَ قولُكَ : (ليسَ في ذاتِهِ شيءٌ مِنْ مخلوقاتِهِ . . .) . . فهوَ حسنٌ صحيحٌ غيرُ مُنازَعٍ فيهِ .

وإنْ عنيتَ بهِ مجموعَ كلامِكَ بالفوقيَّةِ وغيرِ ذلكَ . . فهـٰذا ممَّا لا يُساعِدُكَ عليهِ شرعٌ ولا عقلٌ ، وأيُّ إجماعٍ تنقلُهُ ؟! كأنَّكَ لا تعرفُ الإجماعَ ولا تعقلُهُ !!

---

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٨) .

(٢) تحتمل في (أ) : (لا معتقدَ الجهة) بدل (لا معتقداً لجهة) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٨) .

قولُكَ : (مَنْ تأوَّلَ « استوىٰ » بمعنى « استولىٰ » ، أو بمعنىً آخَرَ ينفي أنْ يكونَ اللهُ فوقَ سماواتِهِ . . فهوَ جَهْميٌّ ضالٌّ)[١] .

قد وردَ عنِ ابنِ عباسٍ وغيرِهِ مِنَ الصحابةِ والتابعينَ تأويلُ هـٰذهِ الآيةِ علىٰ ما ستقفُ عليهِ ، وبالمعاني التي يأتي ذكرُها[٢] ، وقد ثبتَ بالدليلِ العقليِّ والنقليِّ أنَّ المصيرَ إلىٰ تأويلِ هـٰذهِ الآيةِ مُتعيِّنٌ ، بل نقولُ لكَ : الضلالُ تضليلُ المُحقِّقينَ ، والردُّ على العلماءِ المُحقِّينَ .

قولُكَ في جوابِ إجراءِ القرآنِ علىٰ ظاهرِهِ إذا آمنَ . . . إلىٰ قولِكَ : (فإنْ أرادَ بإجرائِهِ على الظاهرِ الذي هوَ مِنْ خصائصِ المخلوقينَ ؛ حتىٰ يُشبِّهَ اللهَ بخلقِهِ . . فهـٰذا ضلالٌ ، بل يجبُ القطعُ بأنَّ اللهَ ليسَ كمثلِهِ شيءٌ ؛ لا في ذاتِهِ ، ولا في صفاتِهِ ، ولا في أفعالِهِ)[٣] .

كلامٌ حسنٌ مُنتظِمٌ علىٰ مذهبِ أهل الحقِّ ومُعتقَدِ المُوفَّقينَ ، لـٰكنْ هوَ كما قالَ الخوارجُ لعليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : (لا حُكْمَ إلا للهِ ولرسولِهِ) ، فقالَ : (كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطلٌ)[٤] ، أسررتَ حَسْواً[٥] ، وأضمرتَ حَشْواً[٦] .

---

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٨) .

(٢) انظر (٢/ ٣٧٤ـ ٣٨٠) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٨) .

(٤) أخرجه مسلم (١٠٦٦/ ١٥٧) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢/ ٥٩٠) ، و« البداية والنهاية » (٧/ ٢٨١) وما بعدها .

(٥) أخذه من المثل : (يُسِرُّ حَسْواً في ارتغاءٍ) أي : يظهر أخذ الرغوة وهو يحسو اللبن ، يضرب لمَنْ يُظهِرُ أمراً ويريد غيره . انظر « المستقصىٰ في أمثال العرب » (٢/ ٤١٢) ، و« مجمع الأمثال » (٢/ ٤١٧) .

(٦) أشار به : إلىٰ إضمار مذهب الحشوية ؛ وهم طائفة ضلوا عن سواء السبيل ، تمسّكوا بظاهر الآيات والأحاديث ، فألجأهم ذلك إلى التجسيم وغيره ، وقد ذكر بعضَ مخازيهم الحافظُ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٠٥ـ٣٠٧ ، ٥٦٦) ، والإمام التاج السبكي =

والدليلُ علىٰ أنَّكَ لم تُرِدْ بذلكَ إلا باطناً باطلاً : أنَّ كلامَكَ يُوهِمُ أنَّ الظاهرَ علىٰ قسمينِ : ظاهرٍ مِنْ خصائصِ المخلوقينَ ، وظاهرٍ مِنْ خصائصِ الخالقِ ، ولم تنفِ مِنَ الظاهرِ الذي مِنْ خصائصِ الخالقِ إلا مشابهةَ المخلوقينَ في الشكلِ الدنيويِّ والحقيقةِ الجارحيَّةِ .

ويُؤيِّدُ ذلكَ : أنَّكَ قلتَ في جوابِ المسألةِ الثالثةِ : (فإنَّ اللهَ ليسَ كمثلِهِ شيءٌ ؛ لا في ذاتِهِ ، ولا في صفاتِهِ) ، وقلتَ عَقيبَهُ : (ولا صوتُ الرَّبِّ يُشبِهُ صوتَ العبدِ)[1] ، فأردتَ في هـٰذا الموضعِ أنْ تقولَ : يدٌ لا كالأيدي ، وعينٌ لا كالأعينِ .

دليلُهُ : ما رويتَهُ عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ عَقيبَ هـٰذا : (ليسَ في الدنيا ممَّا في الآخرةِ إلا الأسماءُ)[2] ، وفسَّرتَ ذلكَ : بأنَّ موعودَ اللهِ تعالىٰ في الجنةِ مِنَ الذهبِ والحريرِ والخمرِ واللبنِ تُخالِفُ حقائقُهُ حقائقَ هـٰذهِ الأمورِ[3] ، فأردتَ أنْ تُصرِّحَ وتقولَ : جسمٌ لا كالأجسامِ ، فتذكَّرْتَ لَمَعانَ السيوفِ قاصدةً عُنُقَكَ ، وبُروقَ الأَسِنَّةِ مُشْرَعةً إلىٰ نَحْرِكَ ، فردَّكَ الخوفُ مِنَ العقابِ ، ناكصاً على الأعقابِ .

= في « طبقاته » (٨/ ٨٩ ، ٢٢٦ ، ٩/ ٢٨) ، وذكر السبكي نقلاً عن « عقيدة العز بن عبد السلام » سلطان العلماء (٨/ ٢٢٢) : (أنَّ المشبهة الحشوية الذين يشبهون الله بخلقه ضربان : أحدهما : لا يتحاشىٰ من إظهار الحشو ، والآخر ، يتستَّر بمذهب السلف لسُحْتٍ يأكله ، أو حُطامٍ يأخذه) ، ثم ذكر مذهبَ السلف الحقَّ فقال : (ومذهب السلف : إنما هو التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه) ، وأعقبه بقوله : (ولذلك جميعُ المبتدعة يزعمون أنهم علىٰ مذهب السلف) ، وسيأتي في كلام المؤلف سبب تسميتهم بالحشوية . انظر (٢/ ٥٢٣ـ ٥٢٤) .

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٧ـ٤٦٨) .

(٢) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١/ ٣٩٢) ، وأبو نعيم في « صفة الجنة » (١٢٤) ، والبيهقي في « البعث والنشور » (٣٣٢) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٨) .

قولُكَ : (إنْ أرادَ بإجرائِهِ على الظاهرِ الذي هوَ الظاهرُ في عُرْفِ سلفِ الأمَّةِ ؛ بحيثُ لا يُحرِّفَ الكَلِمَ عن مواضعِهِ ، ولا يُلحِدُ في أسماءِ اللهِ تعالىٰ ، ولا يُفسِّرُ القرآنَ والحديثَ بما يُخالِفُ تفسيرَ سلفِ الأمَّةِ . . .)[١] .

فسيأتي الكلامُ في أنَّ السلفَ والصحابةَ والعلماءَ علىٰ قسمينِ : مُؤوِّلٍ ، وذِكْرُ مَنْ أوَّلَ منهُم ، وساكتٍ ، وتسميةُ مَنْ سكتَ عنِ التأويلِ معَ نفيِ الإيهامِ والجنوحِ إلىٰ طريقِ التنزيهِ ، والجموحِ عنِ الظاهرِ المُؤدِّي إلى التشبيهِ[٢] ، وهٰؤلاءِ الذينَ لم يُفسِّروا ووكَلُوا علمَهُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، وآمنَ بهِ[٣] ؛ فإنَّ لظاهرِ كلامِ اللهِ تعالىٰ تأويلاً صحيحاً استأثرَ بعلمِهِ ، فنحنُ نتأدَّبُ معَهُ ، فلا نقولُ : المرادُ كذا ، والتأويلُ كذا ؛ لاحتمالِ أنْ يكونَ تأويلُهُ عندَ اللهِ غيرَهُ .

أمَّا الإجراءُ على الظاهرِ المحضِ ، والحملُ لهُ علىٰ موضوعِهِ حقيقةً . . فذلكَ لم يقلْ بهِ أحدٌ مِنَ السلفِ ، بلِ انعقدَ إجماعُهُم على التنزيهِ ، وإنَّما قالَ بهٰذا القولِ المُتأخِّرونَ منكُم دونَ المُتقدِّمينَ[٤] .

---

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٨) .

(٢) كما سيأتي في (الباب الثالث) و(الرابع) .

(٣) كذا في نسختينا ، وهو معطوف علىٰ (سكت) ، والظاهر : أنها (وآمنوا) ، والله تعالىٰ أعلم .

(٤) وممن انتدب من هٰؤلاء المتأخرين للكلام في الأصول : ثلاثةٌ ذكرهم ابن الجوزي في « دفع شبه التشبيه » المعقود في الرد علىٰ مقالاتهم البِدْعية ، وتبرئة ساحة الإمام أحمد مما نسبه له هٰؤلاء وغيرهم ؛ وهم أبو يعلى الفرَّاء ، وأبو الحسن ابن الزاغُوني ، وأبو عبد الله بن حامد الوراق ، يقول ابن الجوزي في الكتاب السابق (ص٦) : (فصنَّفوا كتباً شانوا بها المذهب ، ورأيتهم قد نزلوا إلىٰ مرتبة العوام ؛ فحملوا الصفات علىٰ مقتضى الحس ، فسمعوا أن الله تعالىٰ خلق آدم علىٰ صورته ؛ فأثبتوا له صورة ووجهاً زائداً على الذات ، وعينين وفماً ولهواتٍ وأضراساً . . . ثم يرضون العوامَّ بقولهم : « لا كما يعقل » ، وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات ، فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل . . .) ، وانظر ما سبق تعليقاً في (١/ ١١٦) أثناء ذكر أبي يعلىٰ .

وإشارتُكَ بقولِكَ : (يُلحِدُ في أسماءِ اللهِ تعالىٰ وصفاتِهِ) مُشيراً بذلكَ إلىٰ أهلِ السنَّةِ مِنَ المُؤوِّلينَ والعلماءِ الآخرينَ . . فلهُم في جُرْأتِكَ عليهِم تأسيةٌ باجترائِكَ علىٰ ربِّكَ .

هٰذا ؛ معَ أنَّكَ لم ترِثِ الإساءةَ على الأكابرِ عن كلالةٍ[1] ؛ هٰذا المُلقَّبُ بالفخرِ عمُّ أبيكَ صاحبُ « الخُطَبِ »[2] . . قد قالَ في آخرِ خُطبةِ وفاةِ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : (وكانَ عليٌّ يُسنِدُهُ إلىٰ صدرِهِ ، والعباسُ يُعِينُهُ علىٰ أمرِهِ ، وابناهُ يُقلِّبانِهِ ، ومَوْلَيا رسولِ اللهِ يسكُبانِ الماءَ ويصُبَّانِهِ ، وهمُ الذينَ تولَّوْا دفنَهُ في حُفْرتِهِ ، وسفُّوا عليهِ الترابَ عملاً بسنَّتِهِ) .

فقولُهُ : (في حفرتِهِ) أبلغُ ما يكونُ في سوءِ الأدبِ .

وما أظنُّكَ إلا بنيتَ أمرَكَ على اليأسِ مِنَ الحياةِ ، فعمَّمتَ الكافَّةَ بإساءتِكَ مُعتمِداً علىٰ عفوِ اللهِ .

تَحَمَّلْ مَا ٱسْتَطَعْتَ مِنَ ٱلْخَطَايَا ... إِذَا كَانَ ٱلْقُدُومُ عَلَىٰ كَرِيمِ[3]

أتُراكَ لم تعلمْ أنَّ صِحَّةَ الرجاءِ للعفوِ مُتوقِّفةٌ علىٰ صحةِ العقيدةِ في الباطنِ ؟!

---

(١) أي : لم ترث الإساءة علىٰ أكابر الأمة وعلمائها عن البعيدين بل عن القريبين ، ولا يخفى اقتباس المؤلف من علم الفرائض .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن الخضر ابن تيمية الحرَّاني الحنبلي ، خطيب حران وواعظها ، توفي سنة (٦٢٢هـ) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٣٨٦ـ٣٨٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٢/ ٢٨٧ـ٢٨٨) .

(٣) أورد البيت ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٢/ ٩٧) ، وعزاه لأبي نواس ، وهو من الوافر ، وذكر رواية أخرىٰ للشطر الثاني ؛ وهي :

فإنَّكَ بالغٌ ربّاً غفورا

وسيأتي الكلامُ علىٰ مَنِ اعتقدَ مثلَ مُعتقَدِكَ في التخطئةِ والتكفيرِ إنْ شاءَ الله[1] .

هٰذهِ نبذةٌ أظهرتُ فيها فضائحَ كلامِكَ ، ولُمْعةٌ بيَّنتُ فيها سوءَ فهمِكَ وإفهامِكَ ، وصَنعةُ الزَّغَلِ تنفضحُ بسبْكِ المثقالِ مِنْ بَهْرجِها[2] ، وغشُّ البضاعةِ يظهرُ باليسيرِ مِنْ أُنموذَجِها .

ولم أتركِ استيعابَ التتبُّعِ إبقاءً عليكَ ، ولٰكنْ إبقاءً لغيري ليتسرَّعَ إليكَ .

ولو كانَتْ لكَ مروءةٌ لانزجرتَ ببعضِ ما وقعَ واكتفَيْتَ ، ولٰكنْ ما لجرحٍ إيلامٌ بمَيْتٍ[3] .

خُـذْهَـا إِلَيْـكَ مُشِيحَـةً سَيَّـارَةً تَلْقَـاكَ مِـنْ بَـادٍ وَمِـنْ مُتَحَضِّـرِ
تَغْـدُو عَلَيْكَ بِحَـاصِـبٍ وَبِتَـارِبٍ وَعَلَـى ٱلـرُّوَاةِ بِلُـؤْلُـؤٍ مُتَخَيَّـرِ
فَٱلنَّارُ تُحْرِقُ مَنْ تَعَرَّضَ لَفْحَهَا وَتكُـونُ مُـرْتَفَـقَ ٱمْـرِئٍ مُتَنَـوِّرِ[4]

ولعَمْري !! لقد تعرَّضتَ ، ووليَّتَ عن قَبولِ النصحِ وأعرضتَ ، وسللتَ سيفَ البغيِ فكانَ عليكَ شُوماً ، وأمدَّكَ إخوانُكَ في الغَيِّ عُشُوماً[5] ، وحسَّنَ الشيطانُ لنفسِكَ ما يَشينُها ، واستمرَّتْ على الفسادِ ولم تكنْ لتُقلِعَ إلا عندَ أمرٍ يُهِينُها .

---

(١) انظر (٢/ ٤١١) وما بعدها .
(٢) الزَّغَل : الغش ، والبَهْرج : الرديء من الشيء .
(٣) أشار به : إلىٰ قول المتنبي : (من الخفيف)
مَـنْ يَهُـنْ يسهُـلِ الهـوانُ عليـهِ مـا لجـرحٍ بميِّـتٍ إيـلامُ
انظر « ديوانه » (٤/ ٩٤) ، وهو من أبياته البليغة الجارية مجرى المثل .
(٤) الأبيات لابن الرومي في « ديوانه » (٣/ ١٠٦٥) ، وهي من الكامل .
(٥) أي : فساداً .

ولمَّا لم تجدْ مُشفِقاً ناصحاً ، ولا وَدوداً صالحاً ، ولم يكنْ لكَ مِنْ نفسِكَ وازعٌ ، ولا قلبٌ إلى الحقِّ نازعٌ ، ورتعتَ رُتوعَ البهائمِ ، وأغمضتَ جَفْنَكَ عنِ النظرِ إلى الصوابِ إغماضَ النائمِ . . فما استيقظتَ إلا وأنتَ بالأبوابِ السُّلْطانيَّةِ بقلعةِ الجبلِ طَريحاً ، ومِنْ تعبِ استحثاثِ البريدِ طَليحاً[١] ، فوقعتَ بينَ حاذفٍ وقاذفٍ[٢] ، وثاقفٍ لحربِكَ ولحزبِكَ ناقفٍ[٣]

وكنتَ عهدتَ نفسَكَ خطيباً مِصْقَعاً ، فقمتَ لتخطُبَ وقد محا السيفُ أسطارَ البلاغةِ وما قالَ ابنُ دارةَ أجمعَا[٤] ، واشرأبَّتْ نفسُكَ لمطارحةِ شُجونِ

---

(١) الاستحثاث : الحض والحث ، والطَّليح : الناقة التي أجهدها السير وهزلها .

(٢) الحاذف : الضارب بالعصا ، والقاذف : الضارب بالحجر ، وهـٰذا التركيب يضرب مثلاً للرجل لا ينصرف من مكروه إلا إلىٰ مثله . انظر « جمهرة الأمثال » (١/ ٢١٢) ، و« مجمع الأمثال » (٢/ ٣٩٣) .

(٣) الثاقف : المجادل والمخاصم مع حنكة وفطانة ، والناقف : الذي يكسر الهامة عن الدماغ ، وسيؤكد المؤلف هـٰذا المعنىٰ بعد قليل .

(٤) قوله : (وقد محا السيف أسطار البلاغة) أشار به : إلىٰ بيت أبي مسلم الخراساني : (من الطويل)

محا السيفُ أسطارَ البلاغةِ وانتحىٰ ... عليكَ ليوثُ الغابِ مِنْ كلِّ جانبِ

وقصة هـٰذا البيت : أن عبد الحميد بن يحيىٰ كتب كتاباً إلىٰ أبي مسلم ، وقال لمروان : إني قد كتبت كتاباً إن نجع فذاك ، وإلا فالهلاك ، وكان من كبر حجمه يحمل علىٰ جمل ، وكان عبد الحميد قال : أنا ضامن أنه متىٰ قرأ الرسول على المستكفين حول أبي مسلم ذلك بمشهد منه . . أنهم يختلفون ، وإذا اختلفوا كَلَّ حدُّهم ، وذلَّ جهدهم ، فلما ورد الكتاب علىٰ أبي مسلم دعا بنار فطرحه فيها ، إلا قدر ذراع ؛ فإنه كتب عليه : (من الطويل)

محا السيفُ أسطارَ البلاغة وانتحىٰ ... عليك ليوثُ الغابِ من كلِّ جانبِ
فإن تُقدِمُوا نُعمِلْ سيوفاً شَحيذةً ... يهونُ عليها العَتْبُ من كلِّ عاتبِ

وقوله : (وما قال ابنُ دارةَ أجمعا) أشار به : إلىٰ بيت الكميت بن معروف : (من الطويل)

ولا تُكثِـرُوا فيــه الضجيــجَ فــإنَّــهُ ... محا السيفُ ما قالَ ابن دارةَ أجمعا

وهو مثل يضرب للرجل يجازىٰ على المكروه بأكثر منه ، وابن دارة : هو سالم الغطفاني ، وكان قد هجا رجلاً من بني فزارة يدعىٰ زُمَيلاً ، ثم قُتل ابن دارة علىٰ يديه بعد=

الحديثِ ، والمُقابحةِ بالجنونِ القديمِ والحديثِ ؛ ظنّاً لعجزِكَ ألا تصابَ مِنَ الفرسانِ ، وتوهُّماً أنَّ الطعنَ في الهيجاءِ مثلُ الطعنِ في المَيْدانِ ، فلم يُسمَعْ لكلامِكَ المحشوِّ بالخطأِ خطابٌ ، وثَـقُلَ لسانُكَ والتهبَ جَنانُكَ فلم يحضُرْكَ مِنَ العِيِّ والجَوىٰ جوابٌ[1] .

أَمَا علمتَ أنَّ الديارَ المصريَّةَ لا تَنفُقُ فيها شقاشقُكَ[2] ، ولا يُطلَقُ فيها للصيدِ باشَقُكَ ؟![3] ، وليسَ لأحدٍ خلافَ خطيبِ أهلِ الحقِّ بها خُطبةٌ ، وكلُّ خاطبِ عَقيلةِ عَقيدةٍ تدعُهُ يُقرَعُ أنفُهُ علىٰ تلكَ الخِطْبةِ[4] .

لا جَرمَ صَمَتَ عنِ المُساوقةِ لسانُكَ[5] ، وعُنَّ عنِ المسابقةِ عِنانُكَ ، وكَبَا بكَ كَوْدَنُ طرفِكَ ، وحقَّقَ لكَ كلامُ النفسِ مهموسَ صوتِكَ وحرفِكَ ، وقهرَتْ حُجَّةُ اللهِ حُجَّتَكَ ، وظهرَتْ طريقُ نُهىً أعمىٰ مَحَجَّتَكَ[6] ، وغلبَ سلطانُ اللهِ

= ذلك . انظر « التذكرة الحمدونية » (٢/ ٣٣) ، و« مجمع الأمثال » (٢/ ٢٧٩) ، و« جمهرة الأمثال » (٢/ ٢٨٨) .

(١) العِيُّ : عدم القدرة على الفصاحة والبيان ، والجَوىٰ : الحرقة وشدة الوجد ، وقد أشرت سابقاً في (١/ ٧٠) إلى المجلس الذي جمع العلماء للحكم على ابن تيمية ، فلا داعي إلى الإعادة ها هنا .

(٢) تنفق : تروج ، والشَّقاشق : الكلام المتفيهق فيه والمسرود سرداً ، لا يبالي صاحبه ما قال من صدق أو كذب ، ومنه قول سيدنا عمر رضي الله عنه : (إنَّ كثيراً من الخطب من شقاشق الشيطان) أي : ممَّا يتكلَّم به الشيطان ؛ لما يدخل فيه من الكذب والباطل . انظر « تاج العروس » (٢٥/ ٥٢١ـ٥٢٢) ، مادة : (ش ق ق) .

(٣) الباشق : نوع من جوارح الطير ، وقيل : هو نوع من الصقور .

(٤) العَقيلة : المرأة المُخدَّرة النفيسة ، وتدعه يقرع أنفه : كناية علىٰ أنه غير كريم وكفء لنكاحها ، وأصله في الإبل : أن الفحل الهجين إذا أراد أن يضرب كرائم الإبل قرعوا أنفه بعصاً أو غيرها ليرتدَّ عنها ويتركَها . انظر « النهاية في غريب الحديث » (١/ ١٣٣) .

(٥) المساوقة : المتابعة .

(٦) العبارة غير واضحة في (أ) ، فاجتهدت في ضبطها .

سلطانَكَ ، فأسكنَ السجنَ بعدَ إحراقِ الأخراقِ شيطانَكَ[١]

فَمَا أَنَا بِٱلْبَاكِي عَلَيْكَ صَبَابَةً وَلاَ أَنَا بِٱلدَّاعِي لِتَرْجِعَ سَالِمَا[٢]

ولقد كانَ الأملُ أنْ تُقتَلَ قتلَ الحراذينِ[٣] ، أو تموتَ كما ماتَ أَرْبَدُ في سوقِ البراذينِ[٤] ، لٰكنَّ رجاءَ استقامتِكَ ، سببٌ لحياتِكَ بينَ أَظْهُرِنا وإقامتِكَ ، أو لينتدبَ لكَ مِنْ أتباعِكَ مَنْ يشهدُ عليكَ بالمُنكَرِ ، شهادةَ الأعضاءِ علىٰ مَنْ أنكرَ ؛ فمِنَ الرأيِ السديدِ ، ألا يُقطَعَ الحديدُ إلا بالحديدِ[٥] ؛ فبمُحاذاةِ القمرِ كسوفُ شمسِهِ ، ولكلِّ شيءٍ آفةٌ مِنْ جنسِهِ[٦]

---

(١) في (ب) : (البحر) بدل (السجن) ، ويحتمله في (أ) .

(٢) البيت لحصين بن منذر الرَّقاشي ، كما في « التذكرة الحمدونية » (٣/ ٣١٤) ، وهو من الطويل .

(٣) في (ب) : (الجراذين) ، ورمز في (أ) إلىٰ إهمال الإعجام ، والحراذين : جمع حرذون ؛ وهي دويبّة تشبه الحرباء ، وقيل : هو الضب .

(٤) وأربد : هو رجل من فزارة ، ومجمل خبره : أنَّ سيدنا علياً رضي الله عنه بعد أن خطب أهل الكوفة ودعاهم إلىٰ جهاد أهل الشام ، فقال أربد الفزاري : والله ؛ لا نُجيبك ، فقام الأشتر فقال : مَنْ لهٰذا المارق ؟ فهرب الفزاري ، فلحقت به هَمْدان في سوق تباع به البراذين ، فوطئوه بأرجلهم ، وضربوه بأيديهم ونعال سيوفهم حتىٰ قتل ، ثم وداه سيدنا علي من بيت المال ، وفي ذلك يقول عَلاقة بن عَرَكي التيميُّ : (من الطويل)

أعوذُ بربِّي أنْ تكونَ منيَّتي كما ماتَ في سوقِ البراذينِ أَرْبَدُ
تُعاوِرُهُ هَمْدانُ خَصفَ نعالِها إذا رُفِعَتْ عنهُ يدٌ وقعَتْ يدُ

انظر « الأخبار الطوال » (ص١٦٤) ، و« التذكرة الحمدونية » (٣/ ٢٢٢ـ٢٢٣) .

(٥) في (ب) : (إلا الحديد) ، فيكون ضبط العبارة : (ألا يقطعَ الحديدَ إلا الحديدُ) ، وأشار بذلك : إلىٰ مثل شهير ؛ وهو : (لا يفُلُّ الحديدَ إلا الحديدُ) ، ومثله قولهم : (الحديد بالحديد يفلح) انظر « جمهرة الأمثال » (١/ ٣٤٥) ، و« مجمع الأمثال » (٢/ ٢٣٠) .

(٦) أشار به : إلىٰ قول شهاب الدين أبي شامة الدمشقي : (من الكامل)

غَلَبَ التتارُ على البلادِ فجاءَهُم مِنْ مصرَ تركيٌّ يجودُ بنفسِهِ =

وَلَــرُبَّمَــا ٱنْقَلَــبَ ٱلصَّــدِيـ ــقُ فَكَــانَ أَخْبَــرَ بِــٱلْمَضَــرَّهْ[1]

لا جَرَمَ تشاءمَ بكَ تابعوكَ ، فهُم بأبخسِ الأثمانِ بائعوكَ ، فارقَكَ مَنْ كانَ رافقَكَ ، وناقفكَ مَنْ كانَ قبلُ نافقَكَ[2] ، وتبرَّأَ منكَ مَنْ كنتَ تَبَرُّ ، وأظهرَ لكَ مِنْ خبايا طواياهُ ما كانَ أسرَّ ؛ حينَ ظهرَتْ شمسُ اليقينِ المُشرِقةُ ، وطلعَتْ عليهِم طلائعُ أهلِ السنَّةِ المحرقةُ ، فجمحوا عنِ الطُّمأنينةِ وليسَ على فارٍّ مِنَ الأُسْدِ قَرارٌ ، وجنحوا إلى الفِرارِ وأينَ أينَ الفرارُ ؟![3] ، هيهاتَ حيلَ بينَ العَيْرِ والنَّزَوانِ !![4] ، ولم تُسعَفْ أمانيُّهُم بالأمانِ ، فطلبَتْهُم خيلُ اللهِ المُدرِكُ إيجافُها[5] ، ورأَوْا بلادَ اللهِ قد لفظَتْهُم أكنافُها[6] ، وتساوتْ في إظهارِهِم

= بـالشـامِ أهلكَهُـم وبـدَّدَ شملَهُـم ولكـلِّ شـيءٍ آفـةٌ مِـنْ جنسِـهِ

انظر « الوافي بالوفيات » (٢٤/ ١٩٠) ، و« النجوم الزاهرة » (٧/ ٨٢) .

(١) في (ب) : (أعلم) بدل (أخبر) ، والبيت أورده الثعالبي في « اللطائف والظرائف » (ص١٤٩) ، وعزاه اليوسي في « زهر الأكم » (١/ ١٦٥) لمنصور الفقيه ، ويعزىٰ لغيره ، وهو من مجزوء الكامل ، وقبله :

احـــذرْ عـــدوَّكَ مـــرةً واحـذرْ صـديقَـكَ ألـفَ مـرَّهْ

(٢) الناقف : الضارب بالسيف على الهام ، وهـٰذه الكلمة غير منقوطة في (أ) ، فاجتهدنا في ضبطها ، وتحتمل فيها : (وافقك) ، وفي (ب) : (ونافقك من كان قبل نافعك) .

(٣) أخذه من قول المهلهل : (من المديد)

يـا لَبكـرٍ أَنْشِـروا لـي كليبـاً يـا لَبكـرٍ أيـنَ أيـنَ الفِـرارُ

انظر « ديوانه » (ص٣٥) .

(٤) أشار به : إلىٰ مثل شهير يضرب للرجل يحال بينه وبين مراده ، وأول من قاله : صخر بن عمرو أخو الخنساء ضمن أبيات . انظر « جمهرة الأمثال » (١/ ٣٧١-٣٧٣) ، و« مجمع الأمثال » (٢/ ٩٦) .

(٥) أي : الذي يُدرِكُ استحثاثُها كلَّ تابع لابن تيمية في خبث معتقده .

(٦) أشار به : إلىٰ بيت أبي تمام : (من الكامل)

ورأَوْا بـلادَ اللهِ قـد لفظَتْهُـمُ أكنـافُهـا رجعـوا إلـىٰ جَـوَّابِ

انظر « ديوانه » (١/ ٨٦) .

نُجودُها وأخيافُها[1] ، حتىٰ نمَّ عليهِمُ الجمادُ ، ونَمَىٰ بخبرِهِم كلُّ مُغْوٍ وهادٍ[2] .

فلو رأيتَهُم وقد دخلُوا في دينِ اللهِ أفواجاً ، ورأَوْا أنْ ليسَ لهُم بُدٌّ مِنْ إصلاحِ العقيدةِ فأخلصَ مَنْ أخلصَ وداجىٰ مَنْ داجىٰ[3] ؛ طمعاً أنْ تهُبَّ رياحُهُم ، أو يعودَ إليهِم صلاحُهُم ، فناداهُم عُرْيانُ نذيرِهِم[4] ، وصدَّقَهُم رائدُ تحذيرِهِم : بأنَّهُ قدِ انقطعَ مَدَدُ ذاكَ الثَّمَدِ[5] ، وارتفعَ ما كانَ يُمنِّي ويَعِدُ ، فانجوا بأنفسِكُم ولا يلتفتْ منكُم أحَدٌ .

قَدْ ذَلَّ شَيْطَانُ ٱلنِّفَاقِ وَأَخْمَدَتْ   بِيضُ ٱلسُّيُوفِ زَئِيرَ أُسْدِ ٱلْغَابِ[6]

ليسَ الخلاصُ إلا في الإخلاصِ ، وإنْ عُدتُم إلى الجنايةِ فكتابُ اللهِ القصاصُ[7]

---

(١) النُّجود : جمع نجد ؛ وهو ما ارتفع من الأرض ، والأخياف : جمع خيف ؛ وهو الناحية ، أو كل هبوط وارتقاء في سفح ، والمراد : اشتهارهم وظهورهم للناس جميعهم .

(٢) كل مُغْوٍ وهادٍ ؛ أي : كل ضال ومهتد ، وهـٰذا التعبير لعله استلَّه من « مقامات الحريري » (ص٨٣ ـ٨٤) ، وقلنا سابقاً في (١/ ٢٠) : إن من أسباب التكوين الأدبي لابن المعلم حفظَهُ لـ « المقامات » ؛ فـ « المقامات » مادة أساس في تكوين الشخصية الأدبية لابن المعلم رحمه الله تعالىٰ .

(٣) داجىٰ : دارىٰ مُتستِّراً بالعداوة .

(٤) أخذه من مثل شهير عند العرب ؛ وهو : (أنا النذير العُرْيان) ، وله قصة ذكرتْها كتب الأمثال ، وتمثَّل به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٢٨٣) ، ومسلم (٢٢٨٣) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وانظر « مجمع الأمثال » (١/ ٤٨) ، و« إرشاد الساري » (٩/ ٢٧٦) .

(٥) الثَّمد : الماء القليل الذي لا مادة له .

(٦) البيت لأبي تمام في « ديوانه » (١/ ٨٨) ، وهو من الكامل ، وفي (ب) : (سلطان) بدل (شيطان) .

(٧) أشار به : إلىٰ ما أخرجه البخاري (٢٧٠٣) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه : أن =

فاستوتْ بهِم سفينةُ النجاةِ بعدَ اضطرابِها ، واستقامتْ لاستقامةِ قلوبِهِم بعدَ انقلابِها ، والتأمَ شملُ إسلامِهِم بعدَ الصَّدْعِ .

وَكَانَ فَتْحاً تَعَالَىٰ أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ ٱلشِّعْرِ أو نَـثْرٌ مِنَ ٱلسَّجْعِ[1]

وللهِ العزَّةُ ولرسولِهِ وللمؤمنينَ .

اَللهُ أَكْبَـرُ هَـٰـذَا عِـزُّ مَـنْ عُقِـدَتْ لَهُ ٱلنُّبُوَّةُ قَبْلَ ٱلْخَلْقِ فِي ٱلأَزَلِ[2]

فهُم إخوانُنا في الدِّينِ ما دامُوا علىٰ توبتِهِم وأقامُوا ، وأَكْفاؤُنا مِنَ المؤمنينَ نستقيمُ لهُم ما استقامُوا .

* * *

= الرُّبيِّع ـ وهي ابنة النضر ـ كسرتْ ثنيَّةَ جارية ، فطلبوا الأرش ، وطلبوا العفو ، فأبَوْا ، فأتَوْا النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمرهم بالقصاص ، فقال أنس بن النضر : أَتُكسَرُ ثنيَّةُ الرُّبيِّع يا رسول الله ؟! لا والذي بعثك بالحق ؛ لا تُكسر ثنيتها ، فقال : « يا أنسُ ؛ كتابُ اللهِ القصاصُ » ، فرضي القوم وعَفَوا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ من عبادِ اللهِ مَنْ لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّهُ » .

(١) أشار به : إلىٰ قول أبي تمام من قصيدته الشهيرة في فتح عمورية : (من البسيط)

فتـحَ الفتـوحِ تعـالـىٰ أنْ يُحيـطَ بـهِ نظمٌ مِنَ الشعرِ أو نثرٌ مِنَ الخُطَبِ

انظر « ديوانه » (١ / ٤٥) .

(٢) البيت لأبي محمد عبد الله بن يحيى الشُّقْرَاطِسِيِّ التَّوْزَري من قصيدته الفائقة « الشُّقْراطسية » في وصف معجزاته صلى الله عليه وسلم ، وقد أوردها كاملة النويري في « نهاية الأرب » (١٨ / ٣٤٧ـ٣٥٩) وهو من البسيط ، واللفظ فيها :

الملـكُ للهِ هـٰـذا عِـزُّ مَـنْ عُقِـدَتْ لـهُ النبـوةُ فـوقَ العـرشِ فـي الأزلِ

منهج المؤلف إجمالاً في الكتاب ، مع ذكر محتواه

ولمَّا رأيتُهُم حَلُّوا ما عقدتَهُ مِنْ عقيدتِكَ المنقوضةِ الأَمْراسِ[1] ، وحَلُّوا حرمَ أهلِ السنَّةِ الذي هوَ أمنٌ ومَثابةٌ للناسِ ، ورأيتُ شغفَهُم بشرفِهِم بالرضا ، وكَلَفَهُم بأَسَفِهِم علىٰ ما ضاعَ مِنْ زمنِهِم ومضىٰ ، ورغبتَهُم في التعرُّفِ والاستفادةِ ، وتشوُّفَهُم إلى الضيافةِ التي هيَ أدنىٰ حُقوقِ الوِفادةِ . . حَدَاني جميلُ قصدِهِم علىٰ إسعافِهِم ، وحَمَلَني حُسْنُ نيَّتِهِم علىٰ إجابتِهِم وإتحافِهِم .

فألَّفتُ هـٰذا الكتابَ لإيلافِهِم ، سالكاً طريقةً بينَ طريقينِ ، جامعاً شَتاتَ الفريقينِ ، مُستضِيئاً بإشراقِ شمسِ العقولِ ، مُستهدِياً بأدلَّةِ المنقولِ ، مُسمِّياً لسالكِ هـٰذهِ الطريقةِ مَنْ وافقَهُ عليها مِنَ الأئمَّةِ ، ورافقَهُ فيها مِنْ علماءِ الأمَّةِ ، ناعياً علىٰ مَنْ خالفَها فغوىٰ ، ناوياً الخيرَ ولكلِّ عبدٍ ما نوىٰ .

وبوَّبتُهُ أبواباً :

البابُ الأولُ : فيما يُؤيِّدُ التأويلَ مِنْ جهةِ النقلِ .

البابُ الثاني : فيما يُؤيِّدُ التأويلَ مِنْ جهةِ العقلِ .

البابُ الثالثُ : فيمَنْ قالَ بالتأويلِ مِنَ الصحابةِ والتابعينَ .

البابُ الرابعُ : فيمَنْ قالَ بالتأويلِ مِنَ التابعينَ وتابعيهِم .

البابُ الخامسُ : في الطبقةِ الثانيةِ مِنَ التابعينَ وتابعيهِم .

---

(١) الأَمْراس : الحبال ، وحلُّوا بمعنىٰ : فكُّوا ، والآتيةُ مباشرةً بمعنىٰ : نزلوا

البابُ السادسُ : فيمَنْ وافقَ كلامُهُ في المعارفِ كلامَ الأشعريِّ مِنَ الصُّلَحاءِ والأولياءِ .

البابُ السابعُ : في فضلِ أبي الحسنِ الأشعريِّ رحمَهُ اللهُ .

البابُ الثامنُ : في ذكرِ أتباعِهِ ممَّنْ ذكرَهُمُ الحافظُ ابنُ عساكرَ .

البابُ التاسعُ : في ذكرِ جماعةٍ لم يذكرْهُمُ الحافظُ ابنُ عساكرَ .

البابُ العاشرُ : في ذكرِ العلماءِ المعاصرينَ مُؤيِّدي الحقِّ والناصرينَ[1]

البابُ الحادي عَشَرَ : في الطعنِ علىٰ رواةِ أحاديثَ مناكيرَ ، وتجريحِ رجالِهم .

البابُ الثاني عشرَ : جوابُ السائلِ علىٰ مذهبِ أهلِ الحقِّ .

البابُ الثالثَ عشرَ : الإشارةُ إلىٰ تأويلِ الظواهرِ المُوهِمةِ .

البابُ الرابعَ عشرَ : ما يُؤدِّي إليهِ مذهبُهُم في الفتاوى الأربعِ التي أفتَوْا بها .

البابُ الخامسَ عشرَ : فُتيا العلماءِ فيما تقدَّمَ مِنَ الزمانِ إلى الذينَ فيهِم[2]

البابُ السادسَ عشرَ : في التحذيرِ مِنْ فئتِهِم ، وفيهِ فصولٌ .

وسمَّيتُهُ :

«نجمُ المهتدي ورجمُ المعتدي»

وجرَّدتُهُ عنِ الأسانيدِ ، وإنْ كانَ أكثرُ ما فيهِ مِنَ المسانيدِ ؛ خِيفةَ الإطالةِ علىٰ مُطالعِهِ ، وإسراعاً بظهورِ النورِ مِنْ مَطالعِهِ ، واتِّباعاً لإشارةِ مَنْ أشارَ

(١) اللفظ فيما سيأتي (٢/ ١١٩) : (المؤيدين للحق الناصرين) .

(٢) اللفظ فيما سيأتي (٢/ ٤٢٩) : (فتيا العلماء ممَّن تقدَّم إلىٰ زماننا فيهم) .

بحذفِ الأسانيدِ كما تقدَّمَ[١] ، ومَنِ استشارَ ناصحاً لم يتندَّمْ .

وسبيلُ مَنْ وقفَ عليهِ مِنَ المُتصدِّقينَ والعلماءِ المُحقِّقينَ ـ أعني بذلكَ : النفرَ الأشعريِّينَ ، الذينَ هم بجواهرِ كلامِهِم أغنَوْا عنِ الجوهريِّينَ[٢] ـ : أنْ يُصلحَ هفواتِ اللسانِ التي توهَّمتُها مِنْ قبيلِ الإحسانِ[٣] ؛ فلا بدَّ مِنْ عليمٍ فوقَ كلِّ ذي علمٍ ، وإنَّ العصا قُرِعَتْ لذي الحلمِ[٤] ، ومَنْ ذا الذي تُرضَىٰ سجاياهُ كلُّها ومَناقبُهُ ؟! وكفى المرءُ فخراً أنْ تُعَدَّ معايبُهُ[٥]

هـٰذا ؛ إن لَحَظَها بعينِ الرضا الكليلةِ عنِ المعايبِ ، فإنْ نَظَرَها بعينِ السُّخطِ فقلْ ما شئتَ في هاجٍ هاجَ وعايبٍ[٦]

---

(١) أي : تعليقاً بخطه على هامش (أ) انظر (١/ ٧٩) .

(٢) وخصَّص الأشعرين بذلك ؛ إشارة إلىٰ بعض المبتدعة العابثين الذين يعتقدون تغيير عبارات علماء أهل السنة وتحريفها والزيادة فيها . . من الدين المتين والنصح للمسلمين ، وهـٰذا من الكذب والغش الذي حذَّر منه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وأمثلة تزويرهم وتحريفهم كثيرة وخصوصاً لمن عمل في تحقيق التراث والنظر في الأصول الخطية ، بل لم يقف الأمر على الكذب والتزوير والغش ، بل تعدَّاه إلىٰ إفناء بعض كتب العقيدة والتصوف وإعدامها بكافة الوسائل ، وهـٰذا يذكرنا بأعداء الحضارة الإسلامية بل الإنسانية ؛ المغول والصليبين عندما أعدموا كثيراً من الكتب المفيدة النافعة .

(٣) وقد اجتهدت في ضبط الكتاب وتحقيقه وإخراجه إلىٰ عالم النور بصورة ترضي المؤلف وتقر عينه بها ، فالحمد لله علىٰ ذلك .

(٤) أشار به : إلىٰ مثل شهير عند العرب ؛ أي : إن الحليم إذا نُبِّه انتبه . انظر « مجمع الأمثال » (١/ ٣٧) ، و« تاج العروس » (٢١/ ٥٣٦) ، مادة : (ق ر ع) .

(٥) أشار به : إلىٰ بيت شهير ليزيد بن محمد المهلبي ، ونسب لغيره ؛ وهو : (من الطويل)

ومَنْ ذا الذي تُرضَىٰ سجاياهُ كلُّها كفى المرءُ نبلاً أنْ تُعَدَّ معايبُهْ

انظر « نهاية الأرب » (٣/ ٩٤) .

(٦) أشار به : إلىٰ بيت عبد الله بن معاوية الجعفري ، ونسب لغيره ؛ وهو : (من الطويل)

وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ولـٰكنَّ عينَ السُّخطِ تُبدي المساويا

انظر « عيون الأخبار » (٣/ ١١) ، و« الحيوان » (٣/ ٤٨٨) .

هـٰذا ؛ معَ أنِّي لم آلُ في النُّصحِ جَهْداً ، ولم أقصِدْ مدحاً ولا حَمْداً ، لـٰكنْ قصدتُ وجهَ اللهِ بذلكَ مُحرَّراً ؛ رجاءَ النفعِ بهِ يومَ تجدُ كلُّ نفسٍ ما عملَتْ مِنْ خيرٍ مُحضَراً .

وهوَ المسؤولُ في الهدىٰ والسَّدادِ في العملِ والمَنْطِقِ ، والإمدادِ بالصوابِ فهوَ المُرشِدُ والمُنطِّقُ[1] ، وهوَ حسبي ونعمَ الوكيلُ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ .

* * *

---

(١) كذا ضبطت في (أ) .

الباب الأول

فيما يؤيد أهل السنة في التأويل من جهة النقل المأثور من الكتاب والسنة الناطقة بالصواب

الباب الأوّل
فيما يؤيّد أهل السّنّة في التأويل من جهة النّقل المأثور من الكتاب والسّنّة النّاطقة بالصّواب

ولنُقدِّمْ علىٰ ذلكَ مُقدِّمةً ؛ فنقولُ لهـٰؤلاءِ القائلينَ بالظواهرِ :

نحنُ نسرُدُ عليكُم آياتٍ مِنَ الكتابِ العزيزِ ، وأخباراً وردَتْ عن سيِّدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنْ أنتُم حملتُمُوها علىٰ ظاهرِها جرياً علىٰ قاعدتِكُمُ الواهيةِ ، واتِّباعاً لفئتِكُمُ الغاويةِ . . فقد أَبَقْتُم مِنْ مولاكُم أشدَّ إباقٍ ، واستوجبتُم ضربَ الأعناقِ .

وإنْ جنحتُم إلىٰ تأويلِ مُشكِلِها ، وجمحتُم عن حملِها على الظاهرِ مِنْ مَحمَلِها . . فنقولُ : أيُّ دليلٍ دلَّكُم عليهِ ؟ وأيُّ هادٍ أرشدَكُم إليهِ ؟ فيَضطرُّهُمُ انقطاعُ الحُجَجِ ، إلىٰ سلوكِ ما عليهِ المُؤوِّلونَ مِنَ النَّهجِ .

ويقولُونَ : دلَّنا العقلُ على التأويلِ ؛ خيفةً مِنَ الوقوعِ في المستحيلِ .

فنقولُ لهُم : وكذلكَ أيضاً دلَّنا علىٰ تأويلِ جميعِ الظواهرِ ؛ خشيةً مِنْ وصفِ اللهِ تعالىٰ بما يستحيلُ عليهِ عقلاً ، فنسألُ اللهَ الهدايةَ لنا ولهُم بمنِّهِ وكرمِهِ(١) .

* * *

---

(١) وللإمام الكوثري تعليقات نفيسة حول هـٰذا الموضوع كتبها على « السيف الصقيل » انظر (ص١٤٨) وما بعدها ، وللإمام الغزالي أيضاً جزء لطيف قيِّم في هـٰذا البحث سمَّاه « قانون التأويل » لا غنىٰ عنه للباحث .

فصل

فيما ورد في الكتاب العزيز مما يُحتاج فيه إلى التأويل

وأنا أذكرُ الآيةَ والخبرَ ، وأُومئُ إلى السببِ المُوجِبِ للتأويلِ ، وأُشِيرُ إلىٰ بعضِ تأويلاتِهِ مِنْ غيرِ إسهابٍ ولا إطالةٍ ؛ فإنَّ العلماءَ قد صنَّفُوا في ذلكَ كتباً استوعبوا الكلامَ فيها ، فلتُكشَفْ في مَظانِّها(1) ، وليسَ الغرضُ إلا إقامةَ الحُجَّةِ عليهِم .

[تأويلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾]

فمِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء : ٧٩] .

ظاهرُها يقتضي : نسبةَ الخيرِ إلى اللهِ ؛ وهوَ الحسنةُ ، والشرِّ إلى العبدِ ؛ وهوَ السيِّئةُ ، **فاتَّفقْنا نحنُ وهم علىٰ تأويلِها وحملِها علىٰ محاملَ شتَّىٰ** ، معَ اتِّفاقِنا علىٰ أنَّ الخطابَ لهُ والمرادَ أمَّتُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فالتأويلُ الأولُ : أنْ تكونَ (مِنْ) هنا للسببيَّةِ ؛ كقولِهِ : ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح : ٢٥](2) ؛ أي : بسببِ خَطَاياهُم أُغرِقُوا فأُدخِلُوا ناراً .

---

(١) ومن هـٰذه الكتب علىٰ سبيل المثال : « دفع شبه التشبيه » للإمام ابن الجوزي ، مع تعليقات العلامة المحقق محمد زاهد الكوثري ، و« مشكل الحديث وبيانه » للإمام الكبير أبي بكر ابن فُورك ، و« تأسيس التقديس » للإمام الحجة فخر الدين الرازي ، و« إيضاح الدليل » لابن جماعة .

(٢) المثبت قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري ، وقرأ الباقون : (خطيئاتهم) انظر « إتحاف فضلاء البشر » (ص٥٥٨) .

وقالَ الفرَّاءُ : معنىٰ قولِهِ : ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ [الأحقاف : ٣١] : مِنْ أجلِ وقوعِ الذنبِ منكُم ، كما تقولُ : (قدِ اشتكيتُ مِنْ دواءٍ شربتُهُ) ، وتقولُ : (ماتَ مِنْ سقطةٍ سقطَها)(١) ؛ أي : بسببِ سقطةٍ ؛ وذلكَ كقولِهِ : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورىٰ : ٣٠] .

فكأنَّهُ قالَ : ما أصابَ أمَّتَكَ مِنْ حسنةٍ ؛ وهيَ النصرُ والغنيمةُ . . فمِنَ اللهِ ، وما أصابَهُم مِنْ سيئةٍ ؛ وهيَ الهزيمةُ يومَ أحدٍ . . فمِنْ أنفسِهِم ؛ بسببِ تأخُّرِ الرُّماةِ عنِ الموضعِ الذي أمرَهُم بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

والتأويلُ الثاني : علىٰ أنَّ (مِنْ) للسببيَّةِ أيضاً ؛ ما أصابَ أمَّتَكَ مِنْ حسنةٍ فمِنَ اللهِ تقديرُها ، وما أصابَها مِنْ سيئةٍ فبسببِ معاصيها ، وينشأُ عن هٰذا التأويلِ أمرانِ :

أحدُهُما : أنْ يُقالَ : ما كانَ مِنَ الخِصْبِ فمِنَ اللهِ ، وما كانَ مِنَ الجَدْبِ فبسببِ شؤمِ المعاصي ، والحسنةُ تُطلَقُ على الخصبِ ، والسيئةُ على الجدبِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الأعراف : ١٦٨] ، ذكرَ ذلكَ الإمامُ أبو نصرِ بنُ القشيريِّ(٢) .

والأمرُ الثاني : ما أصابَكَ مِنْ حسنةٍ فسببُها طاعةُ اللهِ ، وما أصابَكَ مِنْ سيئةٍ فسببُها السيئةُ ؛ فإنَّ السيئةَ ربَّما تكونُ سببَ السيئةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٦١] ، فجعلَ العِصْيانَ علَّةً للكفرِ ، والقتلَ سبباً لهُ(٣) .

---

(١) نقله عنه أبو بكر الأنباري في « الزاهر في معاني كلمات الناس » (١/ ١٧) ، وانظر « معاني القرآن » للفراء (٣/ ١٨٧) .

(٢) انظر « النكت والعيون » (١/ ٥٠٩) ، والإمام أبو نصر ستأتي ترجمته في (١/ ٤٥١) .

(٣) لعل الأنسب في السياق : (فجعل العصيان والاعتداء سبباً وعلةً للكفر وقتل الأنبياء) ، والله أعلم .

التأويلُ الثالثُ : أنَّ القولَ مُضمَرٌ في الآيةِ ، دلَّ عليهِ قولُهُ قبلُ : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء : ٧٨] ، قائلينَ لكَ ، أو يقولُ بعضُهُم لبعضٍ : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ ، والقولُ كثيراً ما يُضمَرُ في القرآنِ وفي الشعرِ ، وليسَ هٰذا موضعَ استيعابِ ذلكَ[(١)]

التأويلُ الرابعُ : أنْ يكونَ ذلكَ علىٰ إضمارِ الاستفهامِ ، وهوَ أيضاً كثيراً ما يُضمرُ[(٢)] ؛ تقديرُهُ : (أفمِنْ نفسِكَ ؟!) كما قالَ تعالىٰ : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ﴾ [الشعراء : ٢٢] ، والتقديرُ : (أَوَتلكَ نعمةٌ تمنُّها عليَّ ؟!) ، ذكرَ ذلكَ ابنُ القشيريِّ .

فلِمَ تُؤوِّلونَ هٰذا الظاهرَ لمَّا دلَّ عليهِ الدليلُ العقليُّ ؟

فإنْ قالُوا : نحنُ لم نُؤوِّلْ هٰذهِ الآيةَ بالدليلِ العقليِّ ، وإنَّما أوَّلْناها للنقلِ الواردِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ وهوَ قولُهُ : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ »[(٣)] ، وأمثالُ هٰذا كثيرٌ .

فالجوابُ : أنْ يُقالَ : هٰذهِ كلُّها علىٰ رأيِكُم ظواهرُ ظنِّيةٌ ، وقد وردَتْ ظواهرُ أخرىٰ تُقابلُها مِنَ القرآنِ ومِنَ السنَّةِ ؛ أمَّا مِنَ القرآنِ ؛ فقولُهُ : ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص : ١٥] ، وقولُهُ : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ٢٧] ، وأمثالُ هٰذهِ الآياتِ كثيرٌ .

---

(١) ومن ذلك : قوله تعالىٰ : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة : ١٢٧] أي : يقولان : ربنا . انظر « أمالي ابن الشجري » (١/ ٨٦ـ٨٧ ، ٢/ ١٠) .

(٢) وهو مخصوص بالهمزة التي هي أصل في الاستفهام . انظر « مغني اللبيب » (١/ ١٩ـ٢٠).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٨١) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (١٣٣) ، والبيهقي في « القضاء والقدر » (١٣٤) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

وأمَّا مِنَ السنَّةِ : فقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَٱلْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ ، وَٱلشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ »[1] ، وأمثالُ هـٰذا كثيرٌ .

فهـٰذهِ الظواهرُ تُقابِلُ تلكَ الظواهرَ ، فلم يبقَ إلا الأدلَّةُ العقليَّةُ التي دلَّتْ علىٰ تأويلِ الجميعِ ، فهـٰذا ما لا محيدَ عنهُ .

[تأويلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] .

في الآيةِ الكريمةِ نفيٌ وإثباتٌ وردا على الرمي ظاهراً ، فلا بدَّ مِنْ تأويلِ أحدِهما قطعاً ؛ خيفةَ التناقضِ ، وقد وافقُونا علىٰ تأويلِهِ ، ولهُ تأويلاتٌ :

أحدُها : وما رميتَ الرعبَ حينَ رميتَ الكفَّ مِنْ ترابٍ وحصىً ، ولـٰكنَّ اللهَ رمىٰ في قلوبِهِمُ الرعبَ والذُّعْرَ ؛ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « شَاهَتِ ٱلْوُجُوهُ »[2] .

التأويلُ الثاني : وما رميتَ بقوَّتِكَ حينَ رميتَ فوصلَ إلىٰ عينِ كلِّ مشركٍ مِنْ ترابِ رَمْيَتِكَ جزءٌ ، ولـٰكنَّ اللهَ الذي أوصلَ ذلكَ بقوَّتِهِ .

التأويلُ الثالثُ : وهوَ مِنْ مادَّةِ التأويلِ الثاني ، وإنَّما اختلفَ للاختلافِ في سببِ النزولِ ؛ وهوَ أنَّ أُبيَّ بنَ خلفٍ أقبلَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يومَ أُحُدٍ ، فاعترضَهُ رجالٌ مِنْ أصحابِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأمرَهُم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ يُخلُّوا سبيلَهُ ، فخلَّوْا سبيلَهُ ، فطعنَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بحربةٍ في فُرْجةٍ بينَ البيضةِ والدِّرعِ مِنْ

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧١) وغيره من حديث سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٧) عن سيدنا سلمة ابن الأكوع رضي الله عنه .

تَرْقُوَتِهِ[1] ، فسقطَ أُبيٌّ عن فرسِهِ ولم يخرجْ مِنْ طعنتِهِ دمٌ ، فقالَ لهُ أصحابُهُ وهوَ يخورُ خُوارَ الثورِ : ما أعجزَكَ !! إنَّما هوَ خَدْشٌ ، فقالَ : والذي نفسي بيدِهِ ؛ لو كانَ هـٰذا الذي بي بأهلِ ذي المَجازِ لماتُوا أجمعينَ ، فماتَ قبلَ أنْ يَقدَمَ مكَّةَ ، وفيهِ نزلَ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ .

هـٰذهِ طعنةٌ لم يظهرْ لها في الظاهرِ دمٌ أنفذَها اللهُ في الباطنِ ، روىٰ هـٰذا السببَ سعيدُ بنُ المُسيِّبِ[2] .

فالذي أحوجَ إلى التأويلِ : اجتماعُ النفيِ والإثباتِ في الحالِ الواحدِ ، ومِنْ أينَ علمتُمْ استحالةَ اجتماعِ النفيِ والإثباتِ إلا مِنَ العقلِ ؟! فما يمنعُكُم مِنَ التأويلِ حيثُ أرشدَكُمُ العقلُ ؟!

فهـٰذا شاهدٌ ثانٍ مِنَ الكتابِ العزيزِ .

[تأويلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ . . . ﴾]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٣] فإنَّ تقديرَ الإسماعِ معَ علمِ اللهِ فيهِمُ الخيرَ لا يُتصوَّرُ معَهُ التولِّي والإعراضُ عندَ الإسماعِ ، فلا مندوحةَ عنِ التأويلِ .

فالمعنىٰ واللهُ أعلمُ : ولو علمَ اللهُ فيهِمُ الخيرَ لأسمعَهُم إسماعَ تفهيمٍ ؛ لأنَّهُ تقدَّمَ قبلَهُ ما يدُلُّ ؛ وهوَ قولُهُ : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال : ٢١] ، ثمَّ عقَّبَ ذلكَ بقولِهِ : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٢] ، فذكرَ العقلَ الذي هوَ أداةُ التفهيمِ

---

(١) البيضة : خوذة من حديد توضع على الرأس ، والتَّرْقُوة : العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق .

(٢) رواه عن أبيه كما في « المستدرك » (٢/ ٣٢٧) ، وانظر « الدر المنثور » (٤/ ٤١)

بقولِهِ : ﴿ لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ أي : أسمعَهُم إسماعَ تفهيمٍ ، لـٰكنَّهُ علمَ عنادَهُم وكفرَهُم فلم يُسمِعْهُم ولم يُفَهِّمْهُم ، ولو فهَّمَهُم معَ عنادِهِم لتولَّوْا وهم معرضونَ عناداً وكفراً .

وإلىٰ هـٰذا المعنىٰ أشارَ الإمامُ أبو نصرٍ القشيريُّ ؛ فقالَ : (﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ أي : سبقَ علمُهُ بسعادتِهِم لأسمعَهُم ؛ أي : سمعَ تفهيمٍ ، ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾ أي : لو فُهِّموا أيضاً لَمَا آمنوا بعدَ علمِهِ الأزليِّ بكفرِهِم) .

فهـٰذهِ الآيةُ الكريمةُ أيضاً أرشدَنا إلىٰ تأويلِها العقلُ ، وهيَ أيضاً شاهدٌ عزيزٌ مُعزِّزٌ .

[تأويلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

بالاتِّفاقِ منَّا ومنكُم : أنَّ اللهَ تعالىٰ مُنزَّهٌ عن سماتِ المُحدَثاتِ[١] ؛ لا يحُلُّ في شيءٍ ولا يحُلُّ فيهِ شيءٌ ، فظاهرُ الآيةِ يقتضي : الحيلولةَ بينَ العضوِ نفسِهِ وبينَ الإنسانِ ، وهـٰذا مستحيلٌ عندَنا وعندَ مَنْ لا يتأوَّلُ ، بل وعندَ المُجسِّمةِ أيضاً ، فكلُّنا يجنحُ إلى التأويلِ ضرورةً ، ولهُ تأويلاتٌ :

الأولُ : أنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ قبلَ ذلكَ : ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال : ٢٤] أي : أجيبوا دعاءَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى اللهِ قبلَ أنْ يُحالَ بينكُم وبينَ عقولِكُم ، فلا تقدرونَ على الإيمانِ ولا تُمكَّنونَ ؛ بزوالِ العقلِ .

---

(١) في (ب) : (الحوادث) .

وقالَ السُّدِّيُّ : (﴿ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ فلا يستطيعُ أنْ يؤمنَ إلا بإذنِه ، ولا يكفرَ إلا بإذنِهِ ومشيئتِهِ)(١)

يُؤَيِّدُ ذلكَ : قولُهُ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [يونس : ١٠٠]، واكتفىٰ بأحدِ القسمينِ عنِ الآخرِ ؛ كما قالَ : ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [النحل : ٨١] ، **والمرادُ** : والبردَ .

وقيلَ : يحولُ بينَ المرءِ وبينَ ما يتمنَّاهُ مِنْ طولِ البقاءِ ، **والغرضُ** : تركُ تسويفِ التوبةِ .

وقيلَ غيرُ ذلكَ مِنَ التأويلاتِ .

ومِنْ هـٰذا البابِ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قَلْبُ ٱلْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ ٱلرَّحْمَـٰنِ » ، وسيأتي الكلامُ عليهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ(٢)

[تأويلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء : ٢] .

اتَّفقْنا نحنُ وإيَّاهُم علىٰ تأويلِ هـٰذهِ الآيةِ ، وعدمِ إجرائِها علىٰ ظاهرِها ، مُقابلينَ للمعتزلةِ الذينَ استدلُّوا بظاهرِ قولِهِ : ﴿ مُّحْدَثٍ ﴾ علىٰ خلقِ الكلامِ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ علوّاً كبيراً .

وحملَهُ علماءُ الحنابلةِ والأشعريَّةُ ومَنْ قبلَهُم علىٰ تأويلٍ ؛ وهوَ عودُ الضميرِ في (مُحدَثٍ) على الإتيانِ ؛ لأنَّ جبريلَ عليهِ السلامُ يأتي بهِ شيئاً

---

(١) أخرجه الطبري في « تفسيره » (٢٤/ ٤٧١) ، وأورده ابن أبي حاتم في « تفسيره » تحت رقم : (٨٩٥٧) .

(٢) انظر (١/ ١٦٥ـ١٦٦) .

بعدَ شيءٍ ، وإلىٰ ذلكَ أشارَ القشيريُّ[1] .

[تأويلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف : ٨٤] .

اتَّفقْنا نحنُ وإيَّاهُم علىٰ تأويلِ هـٰذهِ الآيةِ ؛ قالَ الإمامُ أبو نصرِ بنُ القشيريِّ : (هـٰذا تكذيبٌ لهُم في أنَّ للهِ شريكاً وولداً ؛ أي : هوَ المُستحِقُّ العبادةَ في السماءِ والأرضِ)[2] .

وقيلَ : هوَ إلـٰهٌ في السماءِ ، وإلـٰهٌ في الأرضِ .

قالَ أبو عليٍّ : (إلـٰهٌ) رُفِعَ بأنَّهُ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ ؛ أي : وهوَ الذي في السماءِ هوَ إلـٰهٌ ، وحسُنَ حذفُ هـٰذهِ [الصِّلةِ] لطولِ الكلامِ[3] ، كما تقولُ : (الأميرُ في هـٰذهِ البلدةِ فلانٌ) أيِ : الولايةُ لهُ[4] ، فهيَ إخبارٌ عنِ الإلـٰهيَّةِ في السماءِ والأرضِ لا عنِ الكونِ في السماءِ والأرضِ .

وكذلكَ القولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ٣] .

ويُضافُ إلى التأويلاتِ في هـٰذهِ الآيةِ : أنَّهُ بالعلمِ ، والدليلُ عليهِ : قولُهُ : ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٣] .

---

(١) انظر « الإنصاف » للإمام الباقلاني (ص ٧٠ـ٧١) ، و« تفسير القرطبي » (١١/ ٢٦٧ ، ١٥/ ٢٤٩) .

(٢) انظر « تفسير القرطبي » (١٦/ ١٢١) .

(٣) في نسختينا : (الصفة) ، ولعل الصواب ما أثبت ، وانظر « تفسير القرطبي » (١٦/ ١٢١)، و« الدر المصون » (٩/ ٦٠٩) ، و« اللباب » (١٧/ ٢٩٩) ، وأبو علي : هو الفارسي النحوي الشهير شيخ ابن جني .

(٤) ومثل له القرطبي (٦/ ٣٦٠) لإيضاح معنى الآية : (زيد الخليفة في الشرق والغرب ؛ أي : حكمه) .

وقيلَ : (في) بمعنىٰ (علىٰ) كقولِهِ : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه : ٧١] أي : علىٰ جذوعِ النخلِ ؛ أي : هوَ القادرُ على السماءِ والأرضِ .

وقيلَ : وهوَ الذي في السماءِ ـ أي : عندَ أهلِ السماءِ ـ إلـٰهٌ وعندَ أهلِ الأرضِ إلـٰهٌ ، ذكرَهُ الماورديُّ[١]

وقيلَ : وهوَ الذي في السماءِ إلـٰهٌ واحدٌ وفي الأرضِ إلـٰهٌ واحدٌ ، نقلَ ذلكَ الماورديُّ عن مقاتلٍ[٢]

فهنا يُقالُ لمقاتلٍ وشيعتِهِ[٣] : أتؤوِّلونَ في هـٰذهِ الآيةِ ، وتمتنعونَ عنِ التأويلِ في قولِهِ : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك : ١٦] ، ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك : ١٧] ؟! وهلا أوَّلتُم في الموضعينِ ، أو تركتُمُ التأويلَ في الموضعينِ ، والمقتضي لتأويلِهِما واحدٌ ؛ وهوَ دخولُ (في) التي أصلُها للظرفيَّةِ .

فإنْ قُلتُم : دلَّنا علىٰ ذلكَ الدليلُ العقليُّ ؛ وهوَ أنَّهُ يستحيلُ أنْ يكونَ في السماءِ وفي الأرضِ في آنٍ واحدٍ .

قُلْنا : والدليلُ العقليُّ أيضاً دلَّنا على استحالةِ أنْ تُحيطَ بهِ سماءٌ ، أو تُؤْوِيَهُ ناحيةٌ أو أرجاءٌ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ علوّاً كبيراً .

---

(١) النكت والعيون (٥/ ٢٤١) .

(٢) النكت والعيون (٥/ ٢٤١) ، وانظر « تفسير مقاتل بن سليمان » (٣/ ٨٠٦) .

(٣) ومقاتل : هو المفسر أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ) ، وهو من المجسِّمة القائلين بأنَّ لله جسماً وجهة وأنه علىٰ صورة الإنسان ، تعالى الله عما يقول المبطلون علوّاً كبيراً ، وقال الإمام السيوطي في سياق تعداده لتفاسير ضعفاء التابعين : (ومنها : تفسير مقاتل بن سليمان ، وقد نسبوه إلى الكذب ، وقال الشافعي رضي الله عنه : « مقاتل قاتله الله » ، وإنما قال الشافعي فيه ذلك ؛ لأنه اشتهر عنه القولُ بالتجسيم) انظر « مقالات الإسلاميين » (ص١٥٣) ، و« الدر المنثور » (٨/ ١٠٧) ، و« التفسير والمفسرون » (١/ ٦١) .

[تأويل قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] .

اتَّفقَ سائرُ الطوائفِ علىٰ تأويلِ هـٰذهِ الآيةِ حتَّى المُجسِّمةُ ؛ لاستنادِها إلىٰ أمرٍ محسوسٍ مُشاهَدٍ ؛ وهوَ قولُهُ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ ، والمُشاهَدُ المَرئيُّ إنَّما هوَ مبايعةُ الرسولِ وحدَهُ ، فالتأويلُ لا بدَّ منهُ في هـٰذا الموطنِ ، وهـٰذهِ الآيةُ علىٰ حدِّ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] .

وأكَّدَ هـٰذهِ المبايعةَ التي هيَ للتشريفِ ، وإظهارِ علوِّ المنزلةِ ، والتنويهِ بالقدرِ ؛ أنَّ مَنْ بايعَهُ بايعَ اللهَ . . بقولِهِ : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، وقسَمَ الحالَ إلىٰ مُوفٍ وناكثٍ ؛ فقالَ : ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهِ ٱللَّهَ فَسَنُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] [الفتح : ١٠] ، فأكَّدَ ذلكَ المجازَ الأولَ بالمجازِ الثاني ؛ وهوَ قولُهُ : ﴿ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهِ ٱللَّهَ فَسَنُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

وفي قولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ تأويلاتٌ :

منها : يدُ اللهِ بالوفاءِ لهُم بما وعدَهُم مِنَ الجنَّةِ فوقَ أيديهِم بالوفاءِ بالعهدِ حينَ بايعوكَ ؛ أي : إنَّ اللهَ أوفىٰ منهُم ؛ مثلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ١١١] .

والتأويلُ الثاني : أنَّ نعمةَ اللهِ عليهِم فوقَ ما صنعُوا ؛ فيدُ اللهِ بالمِنَّةِ بالهدايةِ فوقَ أيديهِم بالطاعةِ .

---

(١) قرأ بالنون من ﴿فَسَنُؤْتِيهِ﴾ نافع وابن كثير وابن عامر . انظر « إتحاف فضلاء البشر » (ص٥٠٩) .

والتأويلُ الثالثُ : قوَّةُ اللهِ ونصرُهُ فوقَ قوَّتِهِم ؛ أي : لِتكُنْ ثقتُكَ بربِّكَ أكثرَ مِنْ ثقتِكَ بنصرِهِم لكَ .

ذكرَ هـٰذهِ التأويلاتِ ابنُ القشيريِّ في « تفسيرِهِ »[1]

والتأويلُ الرابعُ : عونُ اللهِ إيَّاهُم فوقَ عونِهِم لكَ ، واليدُ : العونُ ، كما تقولُ : (أمَّا يدُكَ علىٰ كذا) أي : عونُكَ عليهِ ، ومنهُ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ذِمَّةُ ٱلْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ ، يَسْعَىٰ بِهَا أَدْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدٌ عَلَىٰ مَنْ سِوَاهُمْ »[2]

وأشارَ الشيخُ أبو محمدٍ المَرْجانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ إلىٰ لطيفةٍ حسنةٍ[3] ؛ وهوَ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا طلبَ مِنَ الصحابةِ البيعةَ في ذلكَ الوقتِ ، فقالَ مُترجِمُهُم والمُتكلِّمُ عنهُم : (لو أمرتَنا أنْ نضربَ أكبادَها إلىٰ بَرْكِ الغِمادِ . . لفعلْنا)[4] ، وقالُوا : (لا نقولُ لكَ كما قالَ قومُ موسىٰ لموسى : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَا ﴾ [المائدة : ٢٤])[5] ، وعلمَ منهُم صدقَ النيَّةِ في إخلاصِ المعاملةِ . . خرجَتْ إليهِم خِلَعُ التشريفِ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ ، فأسندَ البيعةَ لهُ وجعلَ المعاملةَ معَهُ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة : ١١١] ،

---

(١) انظر « تفسير القرطبي » (١٦/ ٢٦٧ـ٢٦٨) .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥٣٠) ، والنسائي (٨/ ١٩) ، وأحمد (١/ ١٢٢) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو في « البخاري » (٣١٧٩) ، و« مسلم » (١٣٧٠) دون الجملة الأخيرة .

(٣) المرجاني : هو أبو محمد عبد الله بن محمد القرشي التونسي المالكي ، ستأتي ترجمته في (٢/ ٢٤٣ـ٢٥٢) .

(٤) أخرجه مسلم (١٧٧٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري (٤٦٠٩) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وفي هـٰذا الموضع بياض في (أ) بمقدار سطر تقريباً ، ونبه عليه في (ب) .

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ .

ولوِ استوعبتُ ما ذكرَهُ في هـٰذهِ الآيةِ لخرجَ المختصرُ عن حدِّ الاختصارِ ، وفيما ذكرتُهُ مَقْنَعٌ .

[تأويلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [قٓ : ١٦] .

الوريدُ : العِرْقُ الذي في باطنِ العنقِ والحلقِ ، قالَ ذلكَ الزجَّاجُ(١) .

وقيلَ : هوَ عِرْقٌ تحتَ اللسانِ ، وقيلَ : هوَ عِرْقٌ يتَّصلُ بالقلبِ ، والقُرْبُ هنا هوَ قربُ العِلْمِ .

فليتَ شعري أيُّها المُحيِّزُ !! ماذا تقولُ ؟! أتُراكَ تقولُ : هوَ في جهةِ العُلُوِّ في حالةٍ هوَ أقربُ إلىٰ كلِّ إنسانٍ مِنْ حبلِ وريدِهِ ، أم يقهرُكَ التأويلُ هنا فلا تقدرَ أنْ تُنكِرَ المحسوسَ ؟! ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١] .

إنْ قُلتَ بهـٰذا القربِ بالذاتِ معَ قولِكَ بالجهةِ . . لزمَ انفصالُهُ عنِ الجهةِ العلويَّةِ وأنتَ لا تقولُ بهِ ، واتِّصالُهُ بالذاتِ بالمخلوقِ وأنتَ لا تقولُ بهِ ، أو بالذاتِ في آنٍ واحدٍ أقربُ إلى المخلوقِ مِنْ حبلِ الوريدِ مستوٍ على العرشِ ، وفي ذلكَ ما لا يخفىٰ عمَّنْ لهُ أدنىٰ مُسْكةٍ مِنْ عقلٍ .

[تأويلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ . . . ﴾]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ . . . ﴾ إلىٰ قولِهِ : ﴿ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ [المجادلة : ٧] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٤) .

أنتُم أيُّها المُحيِّزونَ القائلونَ بالجهةِ الحاملونَ لقولِهِ : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] علىٰ ظاهرِهِ . . أتُراكُم تقولُونَ بالظاهرِ في الآيتينِ ؛ فيكونَ على العرشِ بالذاتِ [ومعَنا] بالذاتِ في آنٍ واحدٍ ، أم تقولُونَ بالتأويلِ في إحدى الآيتينِ ؟!

إنْ قلتُم بالأوَّلِ . . فباطلٌ مِنْ وجوهٍ :

الأوَّلُ : أنَّهُ يلزمُ مِنْ ذلكَ الانفصالُ عن جهةِ العُلُوِّ ، وأنتُم لا تقولُونَ بهِ ، بل تقولُونَ : (إنَّهُ لم يزلْ ولا يزالُ . . .) علىٰ ما وصفتُم .

الثاني : يلزمُ الاتِّصالُ بالمخلوقِ علىٰ ما سبقَ في الآيةِ قبلَها .

الثالثُ : يلزمُ أنْ يكونَ معَ اثنينِ ، معَ ثلاثةٍ ، معَ أربعةٍ ، معَ خمسةٍ ، معَ أدنىٰ مِنْ ذلكَ ، معَ أكثرَ بالذاتِ في آنٍ واحدٍ ، ويلزمُ علىٰ ذلكَ أنْ يكونَ معَ ألوفٍ مِنْ هٰذهِ الأعدادِ لا يُحصيها إلا اللهُ عزَّ وجلَّ ، وفي ذلكَ مِنَ الخَبْطِ والسَّفْسَطةِ ما لا مزيدَ عليهِ ، فتعيَّنَ قولُكُم بالتأويلِ كما أوَّلَهُ علماؤُكُم ؛ بأنَّ المعيَّةَ بالعلمِ .

وإذا أوَّلتُم هٰذهِ الآيةَ فلِمَ لا تُؤوِّلونَ قولَهُ : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ لمَّا دلَّ عليهِ الدليلُ ؟[١]

فهٰذهِ ـ أرشدَكُمُ اللهُ ـ تسعُ آياتٍ علىٰ عددِ الآياتِ الموسويةِ[٢] ، تُحيي ميِّتَ الجهلِ الحياةَ العيسويةَ[٣] ، ولٰكنْ ما الحيلةُ فيمَنِ استحبَّ العَمىٰ على

---

(١) وسيأتي تفصيل للمؤلف في الكلام علىٰ هٰذه الآية في (٢/ ٣٧٤ـ ٣٨٠) .

(٢) أشار : إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ ﴾ [الإسراء : ١٠١] انظر « تفسير القرطبي » (١٠/ ٣٣٥ـ٣٣٦) .

(٣) أشار : إلىٰ معجزة سيدنا عيسىٰ صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

الهدىٰ ، وخالفَ طريقَ النجاةِ إلىٰ طُرُقِ الرَّدىٰ ؟! وهل ذلكَ إلا خِذْلانٌ مِنْ خالقِهِ ، وجمودُ بصيرةٍ عنِ التحقُّقِ بحقائقِهِ ؟! إنْ هم إلا كالأنعامِ بل بعضُ الأنعامِ يُدرِكُ مرادَ ناعقِهِ .

وكم مِنْ آيةٍ يمرُّونَ عليها وهم عنها مُعرِضُونَ ، ومِنَ الاضطرارِ إلىٰ تأويلِها مُمرِضُونَ ، لا يُمارُونَ في تأويلِها !!

وهل تُجحَدُ الشمسُ ليسَ دونَها سحابٌ ، أوِ البدرُ لا يسترُهُ عنِ الأبصارِ حجابٌ ؟![1] .

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي ٱلْأَفْهَامِ شَيْءٌ ... إِذَا ٱحْتَاجَ ٱلنَّهَارُ إِلَىٰ دَلِيلِ[2]

لو تصدَّيتُ لذكرِها بأجمعِها لطالَ على الحاملِ مُجَوْهَرُ نجادِهِ ، ولخرجَ إلى الإغشاءِ أغرُّ جيادِهِ .

والعجبُ : أنَّ هـٰؤلاءِ إذا لمحُوا لوامعَ ما يبرُقُ بهِ القَدَريَّةُ . . جنحُوا إلى التأويلِ وهامُوا ، فإذا أضاءَ لهُم تأويلُهُ مشَوْا فيهِ وإذا أظلمَ عليهِم قامُوا !! وهل ذلكَ إلا لما يستحيلُ على اللهِ تعالىٰ ؟! فكذلكَ في هـٰذهِ الظواهرِ أيضاً يكونُ الحكمُ ، قاتلَهُمُ اللهُ أنَّىٰ يُؤفَكونَ .

---

(١) وقد ألَّف أحد كبار أئمتهم القاضي أبو يعلى الحنبلي كتاباً في رد التأويل سمَّاه : « إبطال التأويلات في أخبار الصفات » أتىٰ فيه بكل طامة ، حتىٰ قال فيه أبو محمد التميمي الحنبلي ما علقته في (١/١١٦) ، وقد ذكر ابن الجوزي في « دفع شبه التشبيه » كثيراً من نصوصه الصريحة بالتجسيم ، واعتمد ابن تيمية بعض هـٰذه النصوص في كتابه « بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية » الذي كتبه رداً علىٰ كتاب « تأسيس التقديس » لإمام أهل السنة في زمانه وقامع المبتدعة فخر الدين الرازي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) البيت للمتنبي في « ديوانه » (٣/٩٢) ، وهو من الوافر ، وهـٰذا البيت من أمثاله السائرة المشهورة .

[معنىٰ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ :
« مَنْ قَالَ بِرَأْيِهِ فِي ٱلْقُرْآنِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ »]

فإنْ قيلَ : قد رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنْ قَالَ بِرَأْيِهِ فِي ٱلْقُرْآنِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ »(١) ، فهـٰذا دليلٌ علىٰ أنَّ المُؤوِّلَ مُخطِئٌ ؛ لأنَّهُ إذا لم يستنِدْ تأويلُهُ إلىٰ نقلٍ فهوَ قائلٌ بالرأيِ .

فالجوابُ : أنَّ هـٰذا الحديثَ قيلَ في معناهُ : مَنْ حملَ القرآنَ علىٰ رأيٍ ولم يعملْ بألفاظِهِ ولا بتأويلِها ، فأصابَ الحقَّ . . فقد أخطأَ الدليلَ .

ويدُلُّ علىٰ هـٰذا الحملِ : ما روىٰ محمدُ بنُ عثمانَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عنِ ابنِ عباسٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْقُرْآنُ ذَلُولٌ ذُو أَوْجُهٍ ، فَٱحْمِلُوهُ عَلَىٰ أَحْسَنِ وُجُوهِهِ »(٢)

وقد فسَّرَ هـٰذا الحديثَ أبو الحسنِ الماورديُّ ؛ فقالَ : **في قولِهِ** : « ذَلولٌ » معنيانِ :

أحدُهُما : أنَّهُ مُطِيعٌ حامليهِ حتىٰ تنطقَ بهِ الألسنةُ وتحفظَهُ الأذهانُ .

ويدُلُّ علىٰ ما قالَهُ أبو الحسنِ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ [القمر : ١٧] .

والمعنى الثاني : أنَّ معانيَهُ واضحةٌ ؛ حتىٰ لا تقصرَ عنهُ أفهامُ المجتهدينَ .

وفي قولِهِ : « ذو أَوجُهٍ » **تأويلانِ** :

أحدُهُما : أنَّ ألفاظَهُ تحتملُ مِنَ التأويلِ وجوهاً ؛ لإعجازِهِ .

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٢) ، والترمذي (٢٩٥٢) عن سيدنا جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الدارقطني في « سننه » (٤٢٧٦) .

والثاني : لأنَّهُ جمعَ وجوهاً مِنَ الأوامرِ والنواهي ، والترغيبِ والترهيبِ ، والتحليلِ والتحريمِ .

وقولِهِ : « فاحملُوهُ علىٰ أحسنِ وجوهِهِ » أيضاً تأويلانِ :

أحدُهُما : أنْ يحملَ تأويلَهُ علىٰ أحسنِ معانيهِ .

والثاني : أنْ يأخذَ بأحسنِ ما فيهِ مِنَ العزائمِ دونَ الرُّخَصِ ، والعفوِ دونَ القصاصِ ، وفي ذلكَ ما يدُلُّ علىٰ جوازِ تأويلِ القرآنِ وإدراكِ تلكَ الوجوهِ[1] .

[الحكمةُ مِنْ ورودِ المتشابهِ في القرآنِ والحديثِ]

فإنْ قيلَ : فما الحكمةُ في ورودِ المتشابهِ في القرآنِ ، وورودِ الظواهرِ التي تحتاجُ إلى التأويلِ في الكتابِ والسنَّةِ ؟

فالجوابُ عنهُ : ما قالَهُ اللهُ تعالىٰ في كتابِهِ العزيزِ : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦] ، وليبقىٰ للمجتهدينَ مجالٌ في الاجتهادِ ، وليحصلَ لهُم أجرٌ علىٰ قَدْحِ فكرِهِم في ذلكَ ، ومسابقةِ أذهانِهِم في حَلْبةِ الإضمارِ ومِضْمارِهِ ، ولتتحقَّقَ أيضاً بصائرُهُم بما يلوحُ مِنْ أنوارِهِ ؛ ليزدادوا إيماناً معَ إيمانِهِم ، ويسعىٰ نورُ اليقينِ بينَ أيديهِم وبأيمانِهِم ، فيهتديَ بذلكَ الحائرُ ، ويرجعَ إلى الطريقِ الحائدُ عنها والجائرُ ، فلهُم أجرُ هٰذهِ الحسناتِ وأجرُ مَنْ عملَ بها إلىٰ يومِ القيامةِ ، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[2] [هود : ١١٨] .

فللَّهِ الحمدُ علىٰ ما منحَ علماءَ التأويلِ مِنَ الاطِّلاعِ والاصطفاءِ ، ومنحَنا مِنَ الاتِّباعِ لهُم والاقتفاءِ ، وهوَ حسبُنا ونعمَ الوكيلُ .

* * *

(١) انظر « النكت والعيون » (١/ ٣٥ـ٣٦) .
(٢) وسيأتي هٰذا الإيراد والجواب عنه مفصلاً في (٢/ ٣٨٩ـ٣٩٢) .

فصل

فيما ورد في السنة مما يحتاج فيه إلى التأويل

وقد وردَتْ في السنَّةِ أحاديثُ **اتَّفقْنا نحنُ وإيَّاهُم على تأويلِها** .

[تأويلُ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « وَٱلشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ »]

فمِنْ ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَٱلْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ ، وَٱلشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ »[1] ، معَ اتِّفاقِ أهلِ السنَّةِ على الإيمانِ بالقدرِ خيرِهِ وشرِّهِ ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] ، فلا بدَّ مِنْ تأويلِهِ (والشرُّ ليسَ إليكَ) : أمراً وحكماً[2] .

[تأويلُ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « كُنْتُ نَبِيّاً وَآدَمُ بَيْنَ ٱلْمَاءِ وَٱلطِّينِ »]

ومِنْ ذلكَ: قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُنْتُ نَبِيّاً وَآدَمُ بَيْنَ ٱلْمَاءِ وَٱلطِّينِ »[3] .

فآدمُ صلَّى اللهُ علىٰ نبيِّنا وعليهِ لم يكنْ إذْ ذاكَ موجوداً ، فكيفَ يكونُ لهُ ذُرِّيَّةٌ إذْ ذاكَ ؟! فكيفَ يكونُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ موجوداً نبيّاً ؟! فلا سبيلَ إلا التأويلُ .

---

(١) سبق تخريجه (١/ ١٥١) .

(٢) وذكر الإمام النووي في « شرح مسلم » (٦/ ٥٩) خمسة أوجه في تأويله .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٥٩) ، والحاكم (٢/ ٦٠٨ـ٦٠٩) عن سيدنا ميسرة الفجر رضي الله عنه بلفظ : متىٰ كنت نبيّاً ؟ قال : « وآدمُ بينَ الروحِ والجسدِ » ، قال السخاوي في « المقاصد الحسنة » (ص٥٢١) : (وأما الذي على الألسنة بلفظ : « كنتُ نبيّاً وآدمُ بينَ الماءِ والطينِ » . . فلم نقف عليه بهـٰذا اللفظ) ، وانظر « كشف الخفاء » (٢/ ١٢٩ـ١٣٠) ، و« شرح مشكل الآثار » (١٥/ ٢٣١) .

ولعلَّ المرادَ ـ واللهُ أعلمُ ـ : كنتُ نبيّاً في علمِ اللهِ تعالىٰ ، أو في تقديرِهِ ، أو في اللوحِ المحفوظِ وقد قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَكَتَبَ فِي ٱلذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ »(١) ، وكلُّ هـٰذهِ التأويلاتِ حسنٌ .

ويُؤيِّدُ الأخيرَ : ما وردَ في مُحاجَّةِ آدمَ لموسىٰ مِنْ قولِ آدمَ : « أَفَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ بِأَلْفَيْ عَامٍ »(٢) .

قلتُ : ومرحباً بالحديثِ أيضاً المحتاجِ إلى التأويلِ ؛ فإنَّ قولَهُ : (قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ بِأَلْفَيْ عَامٍ) أي : ظهرَ تقديرُهُ ؛ بكَتْبِهِ في التوراةِ المكتوبةِ في اللوحِ المحفوظِ قبلَ أنْ أُخلَقَ بألفَيْ عامٍ ، وليسَ المرادُ منهُ أصلَ التقديرِ الإلـٰهيِّ السابقِ في علمِ اللهِ تعالىٰ ؛ فإنَّ ذلكَ أزليٌّ .

فالمرادُ ـ واللهُ أعلمُ ـ : ظهورُ مكنونِ القدرةِ على اللوحِ المحفوظِ ضمناً للتوراةِ ؛ لإعلامِ بعضِ المخلوقينَ بهِ ؛ وهمُ الملائكةُ .

[تأويلُ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « قَلْبُ ٱلْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ ٱلرَّحْمَـٰنِ »]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قَلْبُ ٱلْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ ٱلرَّحْمَـٰنِ »(٣) ، وهـٰذا الذي وعدْنا بالكلامِ عليهِ قبلُ(٤) .

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩١) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٩) ، ومسلم (٢٦٥٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي « البخاري » جاء مطلقاً عن مدة ، وقيَّده في « مسلم » بأربعين سنة ، وفي « سنن الترمذي » (٢٨٨٢) ، والدارمي (٣٤٣٠) من حديث سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما : « إنَّ اللهَ كتبَ كتاباً قبلَ أن يخلقَ السماواتِ والأرضَ بألفَيْ عامٍ » ، وليس فيه المحاجة المذكورة .

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٤) انظر (١/ ١٥٤) .

قالَ الشيخُ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ ابنُ أبي جَمْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ رادّاً على المبتدعةِ التاركينَ للتأويلِ القائلينَ بالظواهرِ : (**معناهُ عندَ أهلِ السنَّةِ** : بينَ أمرينِ مِنْ أمرِ الرحمـٰنِ ؛ فإنْ هم قالُوا بتأويلِهِ كما تأوَّلَهُ أهلُ السنَّةِ لزمَهُمُ التأويلُ فيما عداهُ ، وإنْ هم حملُوهُ على ظاهرِهِ لزمَهُم أنْ يقولُوا بأنَّ أصابعَ الرحمـٰنِ عددُ الخلقِ مَرَّتَيْنِ ؛ لأنَّ ما مِنْ قلبِ عبدٍ إلا وهوَ بينَ إصبَعينِ ، ولزمَهُم أيضاً أنَّ الذاتَ الجليلةَ تُخالِطُ ذواتِ العبيدِ بأجمعِهِم ، ومُعتقِدُ هـٰذا لا خفاءَ في حُمْقِهِ ، فانظرْ إلىٰ هـٰذا العمى الكُلِّيِّ كيفَ مَرَقُوا بهِ مِنَ الدينِ) انتهىٰ كلامُ الشيخِ[1]

قلتُ : وقد تكلَّمَ الشيخُ الإمامُ الأستاذُ أبو بكرٍ ابنُ فُورَكَ في كتابِهِ علىٰ « مشكلِ الحديثِ » ؛ تكلَّمَ علىٰ هـٰذا الحديثِ وغيرِهِ[2] ، وكذا تكلَّمَ عليهِ غيرُهُ مِنَ العلماءِ[3] ، **فلتكشفْ ذلكَ مِنْ هناكَ** ؛ فإنَّ هـٰذا المختصرَ لا يحتملُ التطويلَ .

[تأويلُ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لَا تَسُبُّوا ٱلدَّهْرَ ؛ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلدَّهْرُ »]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا تَسُبُّوا ٱلدَّهْرَ ؛ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلدَّهْرُ »[4]

الدهرُ في اللغةِ : عبارةٌ عنِ الزمانِ الطويلِ ؛ قيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان : ١] : **إنَّ المرادَ بهِ** : تطوُّراتُ

(١) بهجة النفوس (١/ ٤٠) .

(٢) انظر « مشكل الحديث وبيانه » (ص٢٣٨ـ٢٤٠) .

(٣) انظر « تأسيس التقديس » (ص١٧٩ـ١٨١) ، و« إيضاح الدليل » (ص٢٢٣ـ٢٢٦) .

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٤٦/ ٥) واللفظ له ، والبخاري (٦١٨١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

آدمَ عليهِ السلامُ قبلَ نفخِ الروحِ ؛ قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (أقامَ آدمُ حينَ خُلِقَ أربعينَ سنةً طيناً ، ثمَّ كانَ أربعينَ سنةً صَلْصَالاً ، ثمَّ أربعينَ سنةً حمأً مسنوناً)(١)

وفي اصطلاحِ العلماءِ : عبارةٌ عن مُطلَقِ زمانٍ .

قالَ علماءُ الشافعيَّةِ : لو حلفَ لا يُكلِّمُ فلاناً حِيناً أو دهراً . . برَّ بأدنىٰ زمانٍ(٢)

فيتعيَّنُ عليهِمُ الجنوحُ إلىٰ تأويلِ الحديثِ : أنَّهُ علىٰ حذفِ المضافِ وإقامةِ المضافِ إليهِ مُقامَهُ ؛ فإنَّ اللهَ مُصرِّفُ الدهرِ ، أو مُقدِّرُ الدهرِ ، أو مُوجِدُ أحوالِ الدهرِ ، أو غيرُ ذلكَ مِنَ التأويلاتِ(٣)

والحكمةُ في حذفِ المضافِ هنا : إظهارُ مزيدِ الشرفِ ؛ ليمنعَ مِنْ سبِّهِ ، ولتجمحَ النفوسُ المؤمنةُ الموقنةُ عن ذمِّهِ .

[تأويلُ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « فَإِنَّ عَلَىٰ رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ . . . »]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَـٰذِهِ ؛ فَإِنَّ عَلَىٰ رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ لاَ يَبْقَىٰ مِمَّنْ هُوَ ٱلْيَوْمَ عَلَىٰ وَجْهِ ٱلأَرْضِ أَحَدٌ »(٤)

فإنَّ الخَضِرَ وإلياسَ حيَّانِ على المشهورِ عندَ النَّقَلَةِ(٥)

---

(١) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (٦/ ١٦٢) ، والقرطبي في « تفسيره » (١١٩/١٩) .

(٢) انظر « روضة الطالبين » (١١/ ٧١) ، و« البيان » للعمراني (١٠/ ٥٦٨) .

(٣) انظر « مشكل الحديث وبيانه » (ص٢٧٥) وما بعدها .

(٤) أخرجه البخاري (١١٦ ، ٦٠١) ، ومسلم (٢٥٣٧) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٥) وقال الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ١٧٦ـ١٧٧) : (واختلفوا في حياة الخضر : فقال الأكثرون من العلماء : هو حي موجود بين أظهرنا ، وذلك متفق عليه عند =

قالَ الحسنُ : (إلياسُ مُوكَّلٌ بالفيافي ، والخَضِرُ مُوكَّلٌ بالبحارِ ، وقد أُعطِيا الخلدَ في الدنيا إلى النفخةِ الأولىٰ)[1] .

وقيلَ : إنَّ إلياسَ إدريسُ عليهِ السلامُ ، والأوَّلُ أرجحُ .

وقالَ أكثرُ النَّقَلَةِ : (إنَّ الأحياءَ في الدنيا أربعةٌ ؛ اثنانِ في السماءِ ، واثنانِ في الأرضِ ؛ فأمَّا اللَّذانِ في السماءِ : فإدريسُ وعيسىٰ عليهِما السلامُ ، وأمَّا اللَّذانِ في الأرضِ : فالخضرُ وإلياسُ عليهِما السلامُ)[2]

قالَ النقَّاشُ في كتابِهِ المُسمَّىٰ « شفاءَ الصدورِ » : (حدَّثَنا زيدُ بنُ [المهتدي][3] ، حدَّثَنا سعيدُ بنُ يعقوبَ الطَّالَقَانيُّ[4] ، حدَّثَنا عليُّ بنُ عاصمٍ ، حدَّثَنا داودُ بنُ يحيى العامريُّ ، عن زيدٍ ، عن رجلٍ ممَّنْ كانَ في مَرابطِ الشامِ في قصَّةٍ طويلةٍ ؛ منها : أنَّهُ سألَ إلياسَ : كم مِنْ نبيٍّ اليومَ حيٌّ ؟ قالَ : أربعةٌ ؛ أنا والخَضِرُ ، وإدريسُ وعيسىٰ في السماءِ .

قلتُ : فأينَ يكونُ الخَضِرُ ؟ قالَ : يكونُ في جزائرِ البحرِ ، قلتُ : فهل تلتقيانِ ؟ قالَ : نعم ، في كلِّ موسمٍ بعرفاتٍ ، قلتُ : فما حديثُكُما ؟

= الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة . . . وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في « فتاويه » : هو حي عند جماهير العلماء والصالحين ، والعامةُ معهم في ذلك ، قال : وإنما شذَّ بإنكاره بعضُ المحدثين) ، وانظر « فتاوى ابن الصلاح » (١/ ١٨٥ـ١٨٦) ، و« تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المئة » للسيوطي (٢/ ٣١٧) ضمن « الحاوي للفتاوي » ، و« الفتاوى الحديثية » لابن حجر الهيتمي (ص١٢٨) ، « وفتاوى الرملي » (٤/ ٢٢٢ـ٢٢٣) .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/ ٢١٠) .

(٢) انظر « تعريف الفئة » (٢/ ٣٨٢) .

(٣) في نسختينا : (المهدي) ، وابن المهتدي : هو أبو حبيب المَرْوَرُّوذي . انظر « تاريخ بغداد » (٨/ ٤٤٩) .

(٤) وضبطها السَّمْعاني في « الأنساب » (٩/ ٨) بسكون اللام .

قالَ : يأخذُ مِنْ شَعَري وآخذُ مِنْ شَعَرِهِ) .

فإذا كانَ كذلكَ : فالحديثُ مُؤوَّلٌ : لا يبقىٰ ممَّنْ هوَ اليومَ علىٰ وجهِ الأرضِ أحدٌ منكُم أيُّها المخاطَبونَ ، والدليلُ علىٰ ذلكَ : أنَّ الراويَ قالَ[1] : (يشيرُ بذلكَ إلى انخرامِ القرنِ)[2] .

[تأويلُ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ٱلْحَجَرُ ٱلأَسْوَدُ يَمِينُ ٱللهِ فِي ٱلأَرْضِ »]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْحَجَرُ ٱلأَسْوَدُ يَمِينُ ٱللهِ فِي ٱلأَرْضِ »[3] .

اتَّفَقَ أهلُ السنَّةِ والمُشبِّهةُ علىٰ تأويلِ هٰذا الحديثِ :

أمَّا أهلُ السنَّةِ : فجرَوْا علىٰ عادتِهِم وبنَوْا علىٰ أساسِهِم وقاعدتِهِم .

وأمَّا المُشبِّهةُ : فأُلجِئُوا إلىٰ ذلكَ ؛ لاستحالةِ جعلِ الجمادِ بعضاً مِنْ حيٍّ ، فعليهِم مِنْ هٰذا الحديثِ شجَّةٌ مُوضِحةٌ ودامغةٌ[4] ، وفي حلوقِهِم شجىً مِنْ حُجَّةِ أهلِ السنَّةِ بهِ الواضحةِ البالغةِ[5] .

---

(١) وهو سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . انظر « إرشاد الساري » (١/ ٥١٧) .

(٢) أو أنه عام مخصوص . انظر « شرح النووي علىٰ مسلم » (١٦/ ٩٠) ، و« إرشاد الساري » (١/ ٢٠٩) .

(٣) أخرجه ابن خزيمة (٢٧٣٧) ، والحاكم (١/ ٤٥٧) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣١٤ـ٣١٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٤) الشَّجَّة المُوضِحة : هي التي تخرق الجلد وتكشف العظم ، والدامغةُ : هي التي تصل إلى الدماغ .

(٥) الشَّجىٰ : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه .

ولظهورِ تأويلِ الحديثِ ، وإطباقِ الناسِ علىٰ ذكرِهِ وذكرِ تأويلاتِهِ . . لم أُطِلِ الكلامَ فيهِ[١]

[تأويلُ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إنِّي لَأجِدُ نَفَسَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِنْ قِبَلِ ٱلْيَمَنِ »]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنِّي لَأجِدُ نَفَسَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِنْ قِبَلِ ٱلْيَمَنِ »[٢]

وهـٰذا الحديثُ أيضاً مُوضِحةٌ في رؤوسِهِم ، وحَزازةٌ في نفوسِهِم ؛ لاضطرارِهِم إلىٰ تأويلِهِ .

ولم أُمسِكْ عن ذكرِ تأويلِ هـٰذينِ الحديثينِ إلا لأنَّ علماءَهُم نطقُوا بتأويلِهِما ونصُّوا عليهِ ، فشهدُوا علىٰ أنفسِهِم حينَ مالُوا إليهِ ، وانقادُوا إلى التأويلِ عندَ الاحتياجِ ، فليُبطَلْ عليهِم كاذبُ الحُجَجِ بصادقِ الحِجاجِ .

فنقولُ لهُم : الحمدُ للهِ علىٰ حسنِ الأَوْبةِ ، بعدَ طولِ الغَيبةِ ، أذكرتُم بعدَ

---

(١) انظر « مشكل الحديث وبيانه » (ص١١٧ـ١١٩) ، و« الأسماء والصفات » (ص٣١٤) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٤٠) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (١٠٨٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي هامش (أ، ب) : (المراد ـ والله أعلم ـ : أنَّ رسول الله كان كالمُتوجِّع المكروب لضعف الإسلام في أوَّله ، فلمَّا نصر الله الإسلامَ وأعزَّهُ بالأنصار الذين أصلُهم وأُرومتُهُم مِنَ اليمنِ . . قالَ الرسولُ : « أَجدُ نَفَسَ ٱلرحمَـٰن » أو « نَفَس ربّكم » ؛ يعني : ما نَفَّس اللهُ به خُناقَ الإسلام وأهلِهِ من قِبَل أهل اليمنِ ، وهـٰذا تأويلٌ ظاهرٌ حسنٌ ، وهم يوافقُوننا عليه اضطراراً ، والله أعلم) ، والأُرومة ـ بفتح الهمزة وضمها ـ : الأصل ، والعطف للترادف ، وقوله : « نفسَ ربِّكُم » هي رواية الإمام أحمد رحمه الله تعالى .

أَمَهٍ[1] ، ونظرتُم بعدَ عَمَهٍ ؟! ما دعاكُم إلىٰ تأويلِ هٰذا الحديثِ ، وعهدُكُم بإجراءِ الظواهرِ حديثٌ ؟!

فيقولُونَ : العقلُ قادَنا ، والحملُ علىٰ ما يمكنُ أرشدَنا وأفادَنا .

فنقولُ : إنَّ بُرهانَكُم ، هوَ الذي ألجأَ إلى التأويلِ إخوانَكُم .

* * *

(١) الأَمَهُ : النسيان ، وفي (ب) : (ادَّكرتم) بإهمال الدال .

فصل
في الاستدلال على التأويل من كلام سيد المرسلين ﷺ

وكيفَ يُنكَرُ بابُ التأويلِ وقد رواهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيما يروي عن ربِّهِ عزَّ وجلَّ ؛ وهوَ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ : عَبْدِي ؛ ٱسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. . . » الحديثَ المشهورَ ؟! وقالَ فيهِ : « مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي » ، فقالَ العبدُ حملاً للكلامِ علىٰ إطلاقِهِ وظاهرِهِ : « كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ؟! » ، فأظهرَ اللهُ لهُ التأويلَ ، فقالَ : « ٱسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ »(١)

فعَلِمْنا : أنَّ ما جاءَ مِنْ هٰذا البابِ فسبيلُهُ جنسُ هٰذا التأويلِ ، وكذلكَ ما يستحيلُ على اللهِ تعالىٰ ظاهرُهُ ، ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٥] .

وفي آخرِ الخبرِ أيضاً ما يدُلُّ على التأويلِ ؛ وهوَ قولُهُ : « لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ » ، وهوَ مُؤوَّلٌ أيضاً ، وفي تأويلِهِ قولانِ :

أحدُهُما ـ وهوَ المشهورُ الأعمُّ ـ : لوجدتَ جزائي عندَهُ ، أو ثوابي عندَهُ ، وهٰذا يعُمُّ سائرَ العبادِ طائعَهُم وعاصيَهُم ؛ فإنَّ مَنْ عادَ مريضاً عاصياً فلهُ الأجرُ علىٰ ذلكَ ، وقد عادَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الشابَّ الذي أسلمَ قبلَ موتِهِ(٢) ، وعادَ الشيخَ العاصيَ الذي قالَ لهُ : « طَهُورٌ » ، فقالَ : (بل حُمَّىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

تفورُ ، علىٰ شيخٍ كبيرٍ تُزيرُهُ القبورَ)[1]

فثبتَ بهـٰذا : أنَّ عيادةَ المريضِ علىٰ كلِّ حالٍ مسنونةٌ ؛ عاصياً كانَ أو طائعاً ، مؤمناً أو كافراً .

والتأويلُ الثاني : لوجدتَ علاماتِ محبَّتي عندَهُ ، وآثارَ إكرامي عليهِ ، وسماتِ حُبِّي لهُ ، ولَفُزْتَ بالزُّلفىٰ لعيادتِكَ وليّاً مِنْ أوليائي .

قالَ بعضُ العارفينَ علىٰ هـٰذا التأويلِ : هـٰذا عبدٌ قد وهبَهُ اللهُ مِنَ الطاعةِ والمراقبةِ لهُ ، وحسنِ اليقينِ بهِ ، وكمالِ تلقِّي النعمةِ منهُ ، والرضا بالبلايا والأمراضِ ، وقطعِ النظرِ عنِ الوسائطِ ، ومحبَّةِ اللهِ لهُ ومحبَّتِهِ للهِ . . ما انتهىٰ إلى الدرجةِ التي قالَ اللهُ فيها : « فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ »[2] ، والحديثِ الآخرِ : « لَا يَزَالُ ٱلْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِٱلنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ ٱلَّذِي يَسْمَعُ بِهِ . . . » إلىٰ آخرِ الحديثِ[3] ؛ فحينَ أحببتُهُ استخدمتُ حواسَّهُ في طاعتِي ، وسلبتُ اختيارَهُ ؛ فلا تتحرَّكُ حاسَّةٌ مِنْ حواسِّهِ إلا فيما يُقرِّبُهُ إليَّ ؛ عنايةً منِّي بهِ ، فلو عُدتَهُ لوجدتَ عبداً لا يسمعُ إلا ما أُحِبُّ ، ولا يُبصِرُ إلا ما أُحِبُّ .

وأطلقَ (لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ) مبالغةً في المجازِ ، كما قالَ : (كُنْتُ سَمْعَهُ) أيضاً ؛ مبالغةً في المجازِ أيضاً ، لا كما يتخيَّلُ جُهَّالُ الصوفيَّةِ مِنَ الحلولِ ، لـٰكنَّ المعنىٰ علىٰ ما قدَّمْناهُ ، والمجازُ مُقدَّرٌ ، تقديرُهُ : لوجدتَ آثارَ محبَّتي عندَهُ ، أو آثارَ كرامتي ظاهرةً عليهِ[4] ، وأنوارَ اجتبائي لديهِ[5] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٦) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وتُزيرُه : من أزاره ؛ أي : تحمله الحُمَّىٰ علىٰ زيارة القبور وتجعله من أصحابها .

(٢) هـٰذه الرواية أوردها الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٢/ ١١٢) الأصل : (٥١) .

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) في (ب) : (عائدة) بدل (ظاهرة) .

(٥) اجتبائي : اصطفائي .

ويُؤيِّدُ هـٰذا المعنى الثانيَ : إضافتُهُ إليهِ إضافةَ تخصيصٍ (عَبْدِي) ، ثمَّ شرَّفَهُ بتعيينِهِ ؛ فقالَ الرسولُ : (عَبْدِي فُلاَنٌ) ، فـ (فلانٌ) كنايةٌ عنِ العبدِ الذي يُعيِّنُهُ اللهُ تعالىٰ حينَ مُعاتبتِهِ علىٰ تركِ إطعامِهِ وعيادتِهِ ، فلم يذكرْهُ باسمِهِ إلا ليُشرِّفَهُ[1]

أَهْلاً لِمَا لَمْ أَكُنْ أَهْلاً لِمَوْقِعِهِ   قَوْلِ ٱلْمُبَشِّرِ بعْدَ ٱلْيَأْسِ بِٱلْفَرَجِ
لَكَ ٱلْبِشَارَةُ فَٱخْلَعْ مَا عَلَيْكَ فَقَدْ   ذُكِرْتَ ثَمَّ عَلَىٰ مَا فِيكَ مِنْ عِوَجِ[2]

فهـٰذا يُؤَيِّدُ : أنَّ المأمورَ بعيادتِهِ مِنْ خواصِّ عبادِ اللهِ تعالىٰ ؛ للمعنى الذي قدَّمناهُ ، إلا أنَّ المعنى الأولَ أظهرُ وأبلغُ في صفةِ الكرمِ والجودِ وعمومِهِما ، فنسألُ اللهَ أنْ يُلهِمَنا رُشْدَنا .

أيُّها الظاهريُّونَ ؛ هلا قِسْتُم جوازَ التأويلِ فيما لم يُنَصَّ عليهِ علىٰ ما نُصَّ عليهِ بجامعِ ما يشتركانِ فيهِ مِنْ إحالةِ الظاهرِ ، بل أحجمتُم عن تأويلِ ظواهرِ الصفاتِ المُوهِمةِ ، وأوَّلتُمُ الآياتِ والأخبارَ التي تُوهِمُ القدرةَ ، فهلا عمَّمتُمُ الحكمَ .

نسألُ اللهَ أنْ يُرشدَكُم ويُرشِدَنا للصوابِ ، ويُسعِفَكُم بالإقلاعِ عمَّا أنتُم عليهِ والمتابِ .

* * *

---

(١) في (ب) : (إلا لتشريفه) .
(٢) البيتان لابن الفارض في « ديوانه » (ص١٤٧) ، وهما من البسيط .

فصل
في ذكر آيات وأحاديث نطق المخالف بتأويلها

ولنختِمِ البابَ بآياتٍ وأخبارٍ تطلُعُ عليهِم طلوعَ الكمينِ ، وتفجؤُهُم عنِ الشمالِ وعنِ اليمينِ ، نطقُوا بتأويلِ مجازِها ، واستخرجُوا خالصَ رِكازِها .

فمنها : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٨٨] : أَلِنْ جانبَكَ لمَنْ آمنَ بكَ ، وتواضعْ لهُم .

وأصلُ ذلكَ : أنَّ الطائرَ إذا ضمَّ فرخَهُ إليهِ بسطَ جناحَهُ ثمَّ قبضَهُ على الفرخِ ، فجُعِلَ ذلكَ وصفاً لتقريبِ الإنسانِ أتباعَهُ .

ويُقالُ : (فلانٌ خافضُ الجناحِ) أي : وَقورٌ ساكنٌ ، ويُكنَىٰ عنِ الرفقِ .

وكذلكَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء : ٢٤] ، وهما مِنْ مادَّةٍ واحدةٍ .

ومنها : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

اتَّفقُوا معَنا علىٰ تأويلِهِ ، وأنَّهُ كنايةٌ عنِ التوسُّطِ في الإنفاقِ ، فهلا أوَّلُوا ذلكَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] وجعلُوهُ كنايةً عنِ الكرمِ العامِّ حيثُ لم يُعاقِبْ أحداً بقطعِ رزقِهِ ، وعلىٰ ذلكَ يدُلُّ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا أَحَدَ أَكْرَمُ مِنَ ٱللهِ ؛ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدّاً وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعْطِيهِمْ »[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٨) ، ومسلم (٢٨٠٤/ ٥٠) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

ومنها : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس : ٢] .

اتَّفقَ أهلُ النقلِ والعقلِ علىٰ أنَّ ذلكَ بالمعنىٰ لا علىٰ ظاهرِهِ ؛ فإنْ هم أوَّلُوا ذلكَ كما تأوَّلَتْهُ الكافَّةُ لزمَهُم ذلكَ في كلِّ ما جاءَ مِنْ نوعِ هـٰذا المجازِ ؛ كقولِهِ : « حَتَّىٰ يَضَعَ ٱلْجَبَّارُ قَدَمَهُ » وشبهِهِ[١] ؛ فإنَّ ذلكَ وإنِ اختلفَ تأويلُهُ فالكلامُ المؤوَّلُ واحدٌ ؛ وهوَ القدمُ .

وإنْ هم حملُوهُ علىٰ ظاهرِهِ وأنَّ الصدقَ الذي هو معنىً لهُ قدمٌ مُجسَّدةٌ ، وأنَّ تلكَ عندَ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ وباقيَ جسدِهِ عندَ المؤمنينَ . . فقائلُ هـٰذا لا خفاءَ في جهلِهِ ، بل ولا في زندقتِهِ ؛ إذْ أساءَ الأدبَ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعلىٰ ربِّهِ .

ومنها : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] .

إنْ حملُوهُ علىٰ ظاهرِهِ ـ وهيَ الجارحةُ ـ فيكونُ الوجهُ قد أحاطَ بجميعِ الجهاتِ ، فلم يبقَ لبقيَّةِ الذاتِ مَحَلٌّ علىٰ رأيِهم ، وهـٰذا باطلٌ بإجماعِ أهلِ النقلِ والعقلِ ، وإنْ هم تأوَّلُوا لزمَهُمُ التأويلُ في باقي الآياتِ التي فيها ذكرُ الوجهِ ، واللهُ أعلمُ .

ومنها : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] .

أجمعُوا علىٰ أنَّ المرادَ : أمرُهُ .

ومنها : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون : ١] .

هنا أيُّها الظاهريُّونَ مضيقٌ لا مَحيدَ لكُم عنهُ ؛ وهوَ أنَّهُ بالاتِّفاقِ منَّا ومنكُم :

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٩) ، ومسلم (٢٨٤٦/٣٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

أنَّ التكذيبَ ليسَ راجعاً إلىٰ نطقِهم بشهادةِ الرسالةِ قطعاً ، وليسَ راجعاً إلا إلىٰ باطنِهم ، وإذا كانَ راجعاً إلىٰ باطنِهم فهوَ بالاتِّفاقِ موصوفٌ بالكذبِ ، ويستحيلُ أنْ يُوصَفَ بالكذبِ ما ليسَ بإخبارٍ ؛ لأنَّ الخبرَ ما احتملَ الصدقَ والكذبَ ، وما ليسَ بإخبارٍ لا يكونُ صدقاً ولا كذباً ، فدلَّ : علىٰ أنَّ للنفسِ كلاماً مُتَّصِفاً بالصدقِ والكذبِ ، وهوَ الذي توجَّهَ إليهِ التكذيبُ بقولِهِ : ﴿ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في حديثِ نفوسِهِم بتكذيبِ رسالتِكَ ، ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ .

فهٰذا ـ أرشدَكُمُ اللهُ ـ جمعٌ بينَ الدليلِ على التأويلِ ، وبينَ الدليلِ على الكلامِ النَّفسانيِّ ، وهوَ علىٰ كلامِ النفسِ ، أظهرُ مِنَ الشمسِ .

وأمَّا الأحاديثُ النبويَّةُ :

فمنها : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَنَا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِي بِي »(١) .

فإنَّ حُسْنَ الظنِّ معنىً مِنَ المعاني ، لا يُتصوَّرُ أنْ يكونَ ذاتاً حتىٰ يكونَ اللهُ عندَهُ ، بلِ المرادُ : تحقيقُ حسنِ ظنِّ العبدِ بربِّهِ .

وكذلكَ قولُهُ : « وَأَنَا جَلِيسُهُ إِذَا ذَكَرَنِي »(٢) .

المجالسةُ هنا بالذاتِ مُستحيلةٌ قطعاً ؛ وذلكَ أنَّا نعلمُ قطعاً أنَّهُ ربَّما اجتمعَ في آنٍ واحدٍ مِنَ الذاكرينَ في نواحي أقطارِ الأرضِ ما لا يعلمُهُ إلا اللهُ تعالىٰ ، فتعيَّنَ أنْ يكونَ المرادُ : رحمةَ اللهِ ، أو كرامةَ اللهِ ، وهيَ أعمُّ وأشملُ ، ويدُلُّ علىٰ ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا ٱجْتَمَعَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ ٱللهَ إِلا نَزَلَتْ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، بلفظ : « وأنا معَهُ إذا ذكرَني » .

عَلَيْهِمُ ٱلرَّحْمَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ ٱلسَّكِينَةُ ، وَذَكَرَهُمُ ٱللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[1] ، فهـٰذهِ أنواعٌ مِنْ كراماتِ اللهِ لهُم .

وكذلكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً »[2]

كلُّ ذلكَ مُؤوَّلٌ بالاتِّفاقِ : على الزيادةِ في المكافأةِ بسرعةٍ ؛ إذْ لا مسافةَ بينَ العبدِ وبينَ ربِّهِ ، ولا بينَ الربِّ وبينَ العبدِ .

وقولُهُ : « إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي »[3]

المرادُ : أُعامِلُهُ مُعاملةَ مَنِ اعتنىٰ بالمذكورِ .

كلُّ ذلكَ علىٰ ما يألفُهُ العربُ في التخاطُبِ مِنْ أنواعِ الاستعاراتِ والمجازِ ، لـٰكنْ ما الحيلةُ فيمَنْ يُكذِّبُ بالحسِّ ؟! نسألُ اللهَ العصمةَ ، والإنقاذَ مِنَ الظُّلْمةِ .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) انظر التخريج السابق .

الباب الثّاني

فيما يعضد التأويل من أدلّة العقل

الباب الثاني
فيما يعضد التأويل من أدلة العقل

ولنقدِّمْ علىٰ ذلكَ مُقدِّمةً ؛ فنقولُ :

إنَّ قوماً ممَّنْ ينتمي إلىٰ علمٍ مِنَ المُتأخِّرينَ أنكرُوا الخوضَ في علمِ الكلامِ والاستدلالاتِ العقليَّةِ ؛ اعتقاداً منهُم أنَّ ذلكَ خارجاً عنِ الكتابِ والسنَّةِ[1] ؛ حتَّىٰ إنَّهُم صنَّفُوا في ذلكَ مُصنَّفاتٍ لا حاجةَ إلىٰ تَعدادِها ولا إلىٰ ذكرِ مُصنِّفيها ، جامدينَ علىٰ ظاهرِ ما نُقِلَ عن أوائلِ العلماءِ[2] ، مُشنِّعينَ علينا بإيرادِ أَسْوِلَةٍ[3]

---

(١) قوله : (خارجاً) كذا في نسختينا علىٰ خلاف القياس ، وهو جائز عند بعض العرب في كونهم ينصبون بـ (إنَّ) وأخواتها الجزأين ؛ ومنه قول الشاعر : (من الطويل)

إذا اسودَّ جُنْحُ الليلِ فلتأتِ ولتكنْ خُطاكَ خفافاً إنَّ حُرَّاسَنا أُسدا

انظر « التذييل والتكميل » (٥/ ٢٦ـ٢٧) ، و« شرح الأشموني على الألفية » (١/ ١٣٥) ، ويحتمل أن المؤلف نصبها سهواً ، وخصوصاً أن هٰذا الكتاب مسوَّدة كما تبين لي في بعض المواضع .

(٢) ومن جملة هٰؤلاء : المُشبِّه أبو إسماعيل الهروي الأنصاري صاحب كتاب « ذم الكلام » الذي أبان فيه عن اعتقاد التشبيه والتجسيم ، وبالغ في كتابه هٰذا ؛ حتىٰ ذكر أنَّ ذبائح الأشعرية لا تحل ، قال التاج السبكي في « طبقاته » (٤/ ٢٧٢) : (وكنت أرى الشيخ الإمامَ ـ أي : والده السبكي ـ يضرب علىٰ مواضعَ من كتاب « ذم الكلام » ، وينهىٰ عن النظر فيه) ، وعقد ابن بطة في « الإبانة » باباً في التحذير من أهل الجدال والكلام ، وللإمام ابن عساكر كلام نفيس في هٰذا الموضوع ردَّ به علىٰ هٰؤلاء المنكرين . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٦٠١ـ ٦٣٣) ، وسيأتي كلام الإمام الشافعي في هٰذه المسألة في (١/ ٢٧٧) .

(٣) قوله : (أَسْوِلَة) هو جمع سؤال علىٰ ما حكاه ابن جني . انظر « تاج العروس » =

[الردُّ نقلاً وعقلاً علىٰ مَنِ استدلَّ علىٰ تحريمِ علمِ الكلامِ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾]

منها : أنَّهُم قالُوا : لمَّا قالَ اللهُ تعالىٰ في كتابِهِ الذي أنزلَهُ علىٰ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] . . لا يخلو : إمَّا أنْ تقولُوا بكمالِ الدِّينِ في ذلكَ الوقتِ ، أم لا ؛ فإنْ قُلتُم بكمالِ الدينِ في ذلكَ الوقتِ . . فعلمُ المعقولِ لم يكنْ في ذلكَ الوقتِ ولا تكلَّمُوا فيهِ ، فالكلامُ فيهِ بعدَ ذلكَ نقصٌ في الدِّينِ ؛ إذْ لا يكونُ بعدَ الكمالِ إلا النقصُ ، وإنْ لم تقولُوا بكمالِ الدينِ إذْ ذاكَ . . فقد كذَّبتُم بالتنزيلِ .

والجوابُ عن ذلكَ أظهرُ مِنَ الشمسِ ، وألزمُ لهُم مِنَ الخمسِ ؛ وذلكَ أنَّهُم تكلَّمُوا علىٰ هـٰذهِ الآيةِ كلامَ مَنْ لم يُلِمَّ بمعقولٍ ولا منقولٍ .

أمَّا المنقولُ : فقد روى البخاريُّ ومسلمٌ في « صحيحَيْهما » ـ يختلفُ اللفظُ ، والمعنىٰ مُتَّحِدٌ ـ : أنَّ بعضَ اليهودِ قالَ لعمرَ رضيَ اللهُ عنهُ : آيةٌ تقرؤونَها في كتابِكُم لو علينا معشرَ اليهودِ نزلَتْ . . لاتَّخذْنا ذلكَ اليومَ عيداً ، قالَ : وما هيَ ؟! قالَ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ .

فقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : واللهِ ؛ إنِّي لَأعلمُ في أيِّ موطنٍ نزلَتْ علىٰ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ نزلَتْ وهوَ واقفٌ بعرفةَ في يومِ جمعةٍ[1] ، فهما عيدانِ[2]

= (٢٩/ ٢٤١) ، مادة : (س ول) ، وسيأتي كذلك في أكثر من موضع ، ولن أنبّه عليه .

(١) صحيح البخاري (٤٥) ، صحيح مسلم (٣٠١٧/ ٥) .

(٢) في هامش (أ ، ب) : (سمعتُ الشيخَ شرفَ الدينِ الكركيَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : « نقلَ أهلُ التاريخِ أنَّ ذلكَ اليومَ صادفَ سبعةَ أعيادٍ في سبعِ مللٍ » انتهىٰ) ، وانظر « تفسير البغوي » (٣/ ١٣) .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ : حكمتُ لكُم بالجنةِ .

وقيلَ : ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بأنَّهُ لا يحجُّ معَكُم مشركٌ ، ولا يطوفَنَّ بالبيتِ عُرْيانٌ ، ويُؤيِّدُ ذلكَ : قولُهُ قبلَ ذلكَ : ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ [المائدة : ٣] ، ومِنَ السنَّةِ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَيِسَ ٱلشَّيْطَانُ أَنْ يُعْبَدَ بِجَزِيرَةِ ٱلْعَرَبِ »(١) .

وقيلَ : ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ﴾ بإتمامِ العبادةِ الخامسةِ التي بُنِيَ الإسلامُ عليها ؛ فإنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يحجَّ بعدَ وجوبِ الحجِّ إلا حَجَّةَ الوداعِ ، وكَمَّلَ لهُ الفريضةَ الخامسةَ ؛ بأنْ طهَّرَ الحرمَ مِنَ المشركينَ وحجِّهِم ، ومنعَ العرايا مِنَ الطوافِ بالبيتِ ، واستدارَ الزمانُ كهيئتِهِ يومَ خلقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ ، فصادفَ يومُ عرفةَ تاسعَ ذي الحجَّةِ حقيقةً ، وكانَ قبلَ ذلكَ قدِ اختلَّ نَظْمُ الأيامِ والشهورِ ؛ لِمَا كانَتِ الجاهليةُ تصنعُ مِنَ النَّسيءِ ، فكمَّلَ لرسولِهِ عبادتَهُ مِنْ كلِّ أوجهِ الكمالِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ في الظاهرِ بمنعِ الإصدادِ وتطهيرِ الحرمِ ، وفي الباطنِ بموافقةِ يومِ عرفةَ .

وقيلَ : ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بتِبيانِ الفروعِ في الحلالِ والحرامِ ؛ لأنَّهُ لم يُنقَلْ أنَّهُ نزلَ بعدَ ذلكَ نصٌّ في تحريمٍ ولا تحليلٍ ، ويُؤيِّدُ ذلكَ : أنَّ السياقَ يُرشِدُ إليهِ ؛ فإنَّهُ ذكرَ قبلَ ذلكَ المُحرَّماتِ مِنَ الموقوذةِ والميتةِ وغيرِها ، وذكرَ بعدَ ذلكَ ما أحلَّ ممَّا يُتوَهَّمُ تحريمُهُ ؛ كطعامِ الذينَ أُوتُوا الكتابَ ، وغيرِ ذلكَ .

هـٰذا مِنْ طريقِ المنقولِ .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

وأمَّا مِنْ طريقِ المعقولِ : فإنَّا نقولُ : إنَّ علمَ النحوِ الذي هوَ عونٌ على فهمِ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وعلمَ البيانِ الذي يتَّضحُ بهِ إعجازُ القرآنِ ، ومسائلَ أصولِ الفقهِ . . لم تكنْ في ذلكَ الوقتِ ولا تكلَّمُوا فيها ؛ فإنْ كانَ كَمَلَ بدونِها[١] فبمُقتضى ما قُلتُم يكونُ الكلامُ فيها نقصاً وبدعةً ، وإنْ لم يكنْ كَمَلَ بدونِها فيلزمُ المحذورُ الذي ذكرتُموهُ .

ومعَ هٰذا : فقدِ اتَّفقْنا نحنُ وأنتُم على استحبابِ الاشتغالِ بهٰذهِ العلومِ ، وعدمِ الإنكارِ على الباحثينَ فيها والمُتضلِّعينَ منها ، وهل علمُ الكلامِ إلا يتعلَّقُ بالمعاني العقليَّةِ كما يتعلَّقُ النحوُ بالألفاظِ النقليَّةِ ؟! فيُعرَضُ المعنى على العقلِ ؛ فإنْ صحَّ وجازَ إطلاقُهُ أُطلِقَ وحُمِلَ على ظاهرِهِ ، وإلا أوَّلناهُ ؛ لما يستحيلُ وصفُ اللهِ تعالى بهِ .

ويمكنُ أنْ نتنزَّلَ معَكُم ونقولَ : كانَ معلوماً عندَ الصحابةِ والتابعينَ وتكلَّمُوا فيهِ ـ كما سيأتي النقلُ عنهُم في بابِهِ[٢] ـ لٰكنْ لا باصطلاحاتِ علمِ الكلامِ ، ولم يكونُوا يحتاجونَ إلى اصطلاحاتٍ ؛ لأنَّهُم يفهمُونَ الإطلاقَ ببادئِ الرأيِ مِنْ غيرِ تروٍّ ولا فكرةٍ ولا نظرٍ ، كما كانُوا ينطقونَ بالكلامِ مُعرَباً مِنْ غيرِ معرفةِ فاعلٍ ولا مفعولٍ ، ولا مبتدأٍ ولا خبرٍ ، كذلكَ المعاني والأدلةُ التي أرشدَتْ إلى التأويلِ .

فما تمسَّكتُم بهِ مِنْ ذلكَ فلا دليلَ لكُم فيهِ ، وسيأتي استيعابُ ذكرِ ذلكَ في بابِهِ ، والسببُ المقتضي لنفورِ الأوائلِ مِنْ علمِ الكلامِ واستغنائِهِم عنهُ مُستوعَباً إنْ شاءَ اللهُ تعالى[٣]

---

(١) أي : كمل الدينُ بدون علم النحو والبيان وأصول الفقه .

(٢) انظر الباب الثالث والرابع والخامس .

(٣) انظر (١/ ٢٢٢ ، ٢٤٩ـ٢٥١ ، ٢٧٧ـ٢٧٨) .

[الردُّ على استدلالِ المخالفِ بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ هَلْ بَلَّغْتُ. . . »]

وأوردُوا علينا قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ » في حَجَّةِ الوداعِ ، فقالَتِ الصحابةُ : نعم ، فقالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱشْهَدْ »(١) .

فقالُوا : إنْ كانَ هـٰذا العلمُ لا يكملُ الدينُ إلا بهِ ، وكانَ عليهِ السلامُ يعلمُهُ ولم يُبلِّغْهُ . . كيفَ يصحُّ علىٰ ذلكَ قولُهُ : « ٱللَّهُمَّ ؛ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ » .

وإنْ كانَ هوَ عليهِ السلامُ لم يعلمْهُ ولا يكمُلُ الدينُ إلا بهِ . . فيكونُ صاحبُ الكلامِ علىٰ رأيِكُم أعلمَ مِنْ نبيِّهِ .

وإنْ كانَ علمَـهُ وبلَّغَهُ فأَظْهِرُونا علىٰ نقلٍ يُعتمَدُ عليهِ ، وتسكنُ نفوسُنا إليهِ .

والجوابُ عنهُ : أنَّ الرسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يعلمُهُ ، وتكلَّمَ فيهِ كما تكلَّمَ في أصولِ الفروعِ ، وقرَّرَ كلَّ أصلٍ ، ومهَّدَ نصوصاً أتتْ علماءُ الصحابةِ والتابعينَ وتابعِ التابعينَ فقاسُوا عليها ، واستنبطُوا الأحكامَ وفرَّعُوا الفروعَ ، وأنَّ غالبَ ما وردَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ مِنْ نصوصٍ وظواهرَ وأحكامٍ في وقائعَ . . قد دُوِّنَتْ فلم تَزِدْ على الألفِ ، وهـٰذهِ كتبُ العلماءِ الأوائلِ والأواخرِ في العلومِ الشرعيةِ تُرْبي علىٰ ألفِ مُصنَّفٍ ، ما كانَ ذلكَ إلا لأنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قد أُوتِيَ جوامعَ الكلمِ ؛ فيدُلُّ على المعاني الكثيرةِ باللفظِ الوجيزِ ، ويشيرُ إلى الكثيرِ بالقليلِ ، وإلى النهاياتِ بالمبادئِ .

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١) ، ومسلم (١٦٧٩/ ٣١) عن سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه .

[الدليلُ النقليُّ والعقليُّ على كونِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يعلمُ الكلامَ بغيرِ عباراتِ المتكلِّمينَ]

والدليلُ على أنَّهُ كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يعلمُهُ بغيرِ عباراتِ المُتكلِّمينَ : النقلُ والعقلُ .

أمَّا العقلُ : فلأنَّا نُشاهِدُ الصلحاءَ والأولياءَ يكونُ الواحدُ منهُم لا يقرأُ ولا يكتبُ ولا يتكلَّمُ ، فيفتحُ اللهُ عليهِ بمعارفَ يُنطِقُهُ بها ، فيتكلَّمُ في أصولِ العقائدِ أحسنَ كلامٍ وأبينَهُ ، كما سيأتي النقلُ عمَّنْ ذكرتُهُ منهُم[1] ، فما ظنُّكَ بسيِّدِ الرسلِ المُفضَّلِ على سائرِ الأنبياءِ ، الذي هوَ أعرفُ باللهِ ؟! ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات : ٢٣] ، وقد قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنِّي لأَعْلَمُكُمْ بِٱللهِ ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً »[2] ، وليسَ مِنْ شرطِ المعرفةِ عباراتُ المُتكلِّمينَ ؛ فإنَّ المقصدَ واحدٌ وإنِ اختلفَتِ الطرقُ إليهِ .

وأمَّا النقلُ : فمُجمَلٌ ، ومُفصَّلٌ .

أمَّا المُجمَلُ : فقولُهُ : « أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِٱللهِ ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً » ، فقد نالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ رتبةِ المعرفةِ باللهِ أسناها وأدناها ، ومِنْ دَرَجِ العلمِ بالذاتِ والصفاتِ أعلاها[3] ؛ فلا صفةَ مِنَ الصفاتِ ولا اسمَ مِنَ الأسماءِ إلا وقد عَلِمَهُ ، وعَلِمَ ما يجوزُ ويستحيلُ ، وارتقى عن ذلكَ إلى ما هوَ مِنْ عينِ اليقينِ ، فنحنُ نقطعُ بعلمِهِ لما علمْناهُ وفوقَ ما علمناهُ مراتبَ لا تُدرِكُها

---

(١) انظر (١/ ٢٩٧ـ٣١٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، بلفظ : « إنَّ أتقاكم وأعلمَكم باللهِ أنا » ، ومسلم (١١٠٨) عن سيدنا عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه ، بلفظ : « أمَا واللهِ ؛ إنِّي لأتقاكم للهِ ، وأخشاكم لهُ » .

(٣) الدَّرَج : المراقي ، واحدتها : دَرَجَة ؛ كقَصَب وقَصَبة .

الأنبياءُ ، فما ظنُّكَ بالضَّعَفَةِ منَّا ومنكُم ؟!

وأمَّا التفصيلُ : فحديثُ عمرانَ بنِ حُصينٍ أنَّهُ وفدَ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وفدٌ مِنَ اليمنِ ، فقالُوا : جئْناكَ نسألُكَ عن أوَّلِ هـٰذا الأمرِ كيفَ كانَ ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كَانَ ٱللهُ وَلاَ شَيْءَ مَعَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي ٱلذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ » .

فقالَ لي رجلٌ : يا عمرانَ بنَ حُصينٍ ؛ ناقتَكَ ، فانطلقتُ إلىٰ ناقتي ؛ فإذا السَّرابُ قد حالَ بيني وبينَها ، فودِدتُ أنَّها ذهبَتْ ولم أُفارِقْ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يومَئذٍ[1]

فكأنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قد شرعَ أنْ يذكرَ[2] لأولـٰئكَ القومِ الذينَ سألُوهُ شيئاً مِنْ أصولِ قواعدِ العقائدِ ومبادئِ الأمرِ ، فأرادَ اللهُ ألا يُتِمَّ ذلكَ ؛ بأنْ قدَّرَ ذهابَ ناقةِ عمرانَ بنِ حصينٍ ؛ لأمورٍ وأسرارٍ للهِ عزَّ وجلَّ في ذلكَ ؛ ولهـٰذا لم يبقَ مَنْ روىٰ مِنْ ذلكَ المجلسِ شيئاً غيرُ عمرانَ بنِ حصينٍ ، ولم يروِ عمرانُ مِنْ ذلكَ المجلسِ إلا مبدأَ الكلامِ ؛ ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال : ٤٢][3] .

وللهِ سِرٌّ في مُلكِهِ لا يدركُهُ عبادُهُ ، وليسَ لهُم عليهِ اعتراضٌ فيهِ ؛ ألا ترىٰ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ وهوَ في مرضِهِ : « هَاتُوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَداً » ، فحِيلَ بينَهُ وبينَ ذلكَ ، فكانَ بعضُ الصحابةِ رضيَ اللهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩١) .

(٢) قوله : (أن يذكر) كذا في نسختينا بإثبات (أن) ، والقياس حذفها ؛ لأنها واقعة بعد فعل من أفعال الشروع .

(٣) كذا في نسختينا بياءين من (حيي) ، وهي قراءة نافع وشعبة والبزي وغيرهم . انظر « إتحاف فضلاء البشر » (ص٢٩٨) .

عنهُم يقولُ : (إنَّ الرَّزِيَّةَ كلَّ الرزيَّةِ ما حالَ بينَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وبينَ الكتابِ)[١]

وكذلكَ لمَّا أُرِيَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ليلةَ القدرِ ، فتلاحىٰ رجلانِ ، فرُفِعَتْ[٢]

فحكمةُ اللهِ تعالىٰ في مُلكِهِ لا تُعلَّلُ .

وسيِّدُنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بلَّغَ مِنْ كلِّ علمٍ قواعدَهُ أو ما يشيرُ إليهِ ويُنبِّهُ عليهِ ، ويأتي العلماءُ مِنْ بعدِهِ فيُمهِّدُونَ تلكَ الفوائدَ ، ويبنونَ علىٰ ذلكَ الأساسِ كما تقدَّمَ .

وإذا تدبَّرْتُم ـ وفَّقَكُمُ اللهُ ـ هـٰذا العلمَ الذي تُزْرُونَ على الناسِ بتعلُّمِهِ . . وجدتُم أكثرَهُ أتىٰ بقواعدِهِ الكتابُ والسنَّةُ كما سيأتي بيانُهُ في هـٰذهِ المُقدِّمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، وأُنبِّهُكُم علىٰ فصلٍ فصلٍ أنَّهُ وردَ بهِ الكتابُ العزيزُ والسنَّةُ النبويةُ ناصرَينِ للعقلِ في ذلكَ ومُؤيِّدَينِ لهُ ، ومُشرِّفَينِ لقدرِهِ ، ومُنوِّهَينِ بذكرِهِ[٣]

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤) ، ومسلم (١٦٣٧/ ٢٢) ، **وبعض الصحابة** : هو سيدنا ابن عباس راوي الحديث ، وحال سيدنا عمر بينه وبين الكتاب ؛ لما رأىٰ من شدة وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واكتفىٰ بما سبق بيانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تخفيفاً عليه ، وفي ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الإنكارَ عليه . . دليلٌ على استصواب رأيه رضي الله عنه . انظر « مرقاة المفاتيح » (٩/ ٣٨٥١) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٣) عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، **والرجلان** : **قيل** : هما عبد الله بن أبي حدرد وكعب بن مالك رضي الله عنهما . انظر « مرقاة المفاتيح » (٤/ ١٤٤٤) .

(٣) وقد ألَّف الإمام الغزالي كتاباً نفيساً بديعاً سمَّاه « القسطاس المستقيم » استنبط به أنواع القياس المنطقي التي يُستدل بها في علم الكلام وغيره ، وذلك من خلال بعض الآيات القرآنية ، وأتىٰ فيه بمصطلحات خالف فيها علماء المنطق فيما درجوا عليه في كتبهم المنطقية .

[مَنِ استدلَّ بالأدلَّةِ العقليةِ علىٰ وجودِ البارئ وصفاتِهِ لم يخرجْ عنِ الكتابِ والسنةِ]

والقصدُ في هـٰذهِ المُقدِّمةِ : بيانُ أنَّ مَنْ جنحَ إلى الاستدلالِ بالأدلَّةِ العقليَّةِ علىٰ وجودِ البارئ تباركَ وتعالىٰ وعلىٰ صفاتِهِ ، وتنزيهِهما عنِ النقائصِ . . لم يخرجْ عنِ الكتابِ والسنَّةِ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٦٣] ، مُستدِلاً علىٰ ذلكَ بما بعدَهُ ؛ وهوَ قولُهُ جلَّ وعلا : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ . . . ﴾ إلىٰ قولِهِ : ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] ، ففتحَ لعبادِهِ باباً للاستدلالِ على الوَحْدانيَّةِ بالعقلِ ، واختصاصِ الهدايةِ بمَنْ عقلَ ، فاستدلَّ على الصانعِ بالمصنوعِ .

وأيَّدَ العقلَ الذي هدىٰ إلى الوَحدانيَّةِ بدلالةِ التمانعِ ؛ فقالَ : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

وحضَّ خلقَهُ على التدبُّرِ بالعقولِ ؛ فقالَ : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] .

وذمَّ قوماً علىٰ عدمِ التدبُّرِ والاستدلالِ بالعقلِ ، والغفلةِ عنِ النظرِ ؛ فقالَ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ، وأردفَ ذلكَ عاتباً عليهِم بقولِهِ : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ . . . ﴾ إلىٰ أنْ قالَ : ﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

وكثيراً ما وردَتِ الآياتُ في القرآنِ تحُضُّ على الاهتداءِ بنورِ العقلِ إلىٰ إثباتِ الذاتِ والصفاتِ .

فثبتَ بهـٰذا : أنَّ المُستدِلَّ علىٰ حَدَثِ العالَمِ ، ووجودِ الصانعِ تعالىٰ وتقدَّسَ ، وعلىٰ وَحْدانيَّتِهِ وصفاتِهِ كلِّها ، وإثباتِ ما يجبُ لهُ ، ونفيِ ما يستحيلُ عليهِ . . لم يأتِ مُنكَراً ، ولا ارتكبَ محظوراً ، بل أتىٰ بما يُوافِقُ كتابَ اللهِ وسنَّةَ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وروى الحافظُ أبو نُعيمٍ الأصفهانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ ، عن سُوَيدِ بنِ غفَلَةَ : أنَّ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ خرجَ ذاتَ يومٍ ، فاستقبلَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ لهُ : بمَ بُعِثتَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « بِٱلْعَقْلِ »

قالَ : فبمَ أُمِرتَ ؟ قالَ : « بِٱلْعَقْلِ » .

قالَ : فبمَ يُجازى الناسُ يومَ القيامةِ ؟ قالَ : « بِٱلْعَقْلِ » .

قالَ : فكيفَ لنا بالعقلِ ؟ قالَ : « إِنَّ ٱلْعَقْلَ لاَ غَايَةَ لَهُ ، وَلَـٰكِنْ مَنْ أَحَلَّ حَلاَلَ ٱللهِ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ سُمِّيَ عَاقِلاً ، فَإِنِ ٱجْتَهَدَ بَعْدَ ذَلِكَ سُمِّيَ عَابِداً ، فَإِنِ ٱجْتَهَدَ بَعْدَ ذَلِكَ سُمِّيَ جَوَاداً .

فَمَنِ ٱجْتَهَدَ فِي ٱلْعِبَادَةِ ، وَسمَح فِي نَوَائِبِ ٱلْمَعْرُوفِ بِلاَ حَظٍّ مِنْ عَقْلٍ يَدُلُّهُ عَلَى ٱتِّبَاعِ أَمْرِ ٱللهِ وَٱجْتِنَابِ مَا نَهَى ٱللهُ عَنْهُ . . فَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلأَخْسَرُونَ أَعْمَالاً ، ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً »(١)

وقد أخبرَ اللهُ تعالىٰ عن حالِ قومٍ لم يهتدُوا بإخبارِ الأنبياءِ ولا بعقولِهِم إلىٰ توحيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ فقالَ : ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١٠] .

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ قَسَمَ

---

(١) حلية الأولياء (١/٢١) ، وليس فيه : (قال : فبم أُمِرتَ . . . يومَ القيامةِ ؟ قالَ : بالعقلِ) ، وأخرجه كاملاً الحارث ابن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٨٣٢) ، وانظر « تنزيه الشريعة المرفوعة » (١/٢١٧ـ٢١٨) .

ٱلْعَقْلَ عَلَىٰ ثَلاَثَةِ أَجْزَاءٍ ؛ فَمَنْ كُنَّ فِيهِ كَمَلَ عَقْلُهُ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ جُزْءٌ مِنْهَا فَلاَ عَقْلَ لَهُ » .

قيلَ : يا رسولَ ٱللهِ ؛ ما أجزاءُ ٱلعقلِ ؟ قالَ : « حُسْنُ ٱلْمَعْرِفَةِ بِٱللهِ ، وَحُسْنُ ٱلطَّاعَةِ للهِ ، وَحُسْنُ ٱلصَّبْرِ عَلَىٰ أَمْرِ ٱللهِ »(١)

وقالَ أنسُ بنُ مالكٍ : أثنىٰ قومٌ علىٰ رجلٍ عندَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتَّىٰ بالغُوا ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كَيْفَ عَقْلُ ٱلرَّجُلِ ؟ » ، فقالُوا : نُخبِرُكَ عنِ اجتهادِهِ في العبادةِ وأصنافِ الخيرِ وتسألُنا عن عقلِهِ يا رسولَ اللهِ ؟!

فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلأَحْمَقَ يُصِيبُ بِحُمْقِهِ أَعْظَمَ مِنْ فُجُورِ ٱلْفَاجِرِ ، وَإِنَّمَا يُرْفَعُ ٱلْعِبَادُ غَداً فِي ٱلدَّرَجَاتِ مِنْ رَبِّهِمْ عَلَىٰ قَدْرِ عُقُولِهِمْ »(٢) .

فقد ثبتَ بما أوردتُهُ : أنَّ المُستدِلَّ بالعقلِ غيرُ آتٍ ببِدْعٍ ، ولا مُخالِفٍ لسنَّةٍ ولا شرعٍ ، وهلِ العقلُ إلا مِشْكاةٌ تضيءُ ظُلَمَ الإلباسِ ؟! قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام : ١٢٢](٣) .

* * *

---

(١) أخرجه الحارث ابن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٨١٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢١) ، ومن طريق الحارث في « الأربعين علىٰ مذهب المتحققين من الصوفية » (٥٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وانظر « اللآلئ المصنوعة » (١/ ١١٧) ، و« تنزيه الشريعة المرفوعة » (١/ ١٧٥) .

(٢) أخرجه الحارث ابن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٨١٤) ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٠٤٨) الأصل : (٢٠٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « تنزيه الشريعة المرفوعة » (١/ ٢١٣) .

(٣) أشار في هامش الأصل إلىٰ أنه تنقل الورقة التي أولها : (فصل) إلىٰ هـٰذا الموضع ، وبحثت عنها فلم أجدها ، وكلمة (فصل) الآتية هي من (ب) .

فصل

في إثبات التأويل من خلال قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ (١)

إذا ثبتَ ذلكَ فأقولُ مُستعِيناً باللهِ ، مُسترشِداً بهدايتِهِ ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ :

دلَّ الدليلُ العقليُّ الذي هدانا إلىٰ معرفةِ وجودِ ذاتِ البارئِ وصفاتِهِ . . علىٰ صَرْفِ الآياتِ والأحاديثِ الواردةِ مِنَ الكتابِ والسنَّةِ المُوهِمةِ عن ظاهرِها ، وهيَ كثيرةٌ يطولُ الشرحُ في تتبُّعِها ، لـٰكنْ يقعُ الكلامُ علىٰ آيةٍ منها ؛ وهيَ قولُهُ : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، فإذا ثبتَ الدليلُ فيها ثبتَ في الجميعِ .

فأقولُ مُستعِيناً باللهِ العظيمِ ، ومُستمِدّاً مِنْ فضلِهِ العميمِ ، ومُستعِيذاً مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ :

هـٰذهِ الآيةُ الكريمةُ لا تخلو : إمَّا أنْ تُؤوِّلُوها ، أو لا ؛ فإنْ أوَّلتُموها فهوَ

---

(١) ولعل حكمة اختيار المؤلف لهـٰذه الآية : هي الردُّ من خلالها على ابن تيمية الذي فسَّرها بتفسير صريح في التشبيه والجسمية ، وأضلَّ بتفسير هـٰذه الآية كثيراً من العامة ، ولا ينكر ذلك إلا كل أعمى الفؤاد مطموس البصيرة ، ومن جملة أقواله في التجسيم : (لو شاء لاستقرَّ علىٰ ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ، فكيف علىٰ عرش عظيم؟!) ، تعالى الله وتقدَّس عن هـٰذا الكلام علوّاً كبيراً ، وستأتي توبة ابن تيمية الظاهرة من التفسير الذي شاع عنه في الاستواء وغيره ، إلا أنه سينكص ويرجع إلىٰ ما كان عليه . انظر (٢/٥٣٨ـ٥٤٢) .

المطلوبُ ، وإن لم تُؤَوِّلُوها فلا يخلو : إمَّا أنْ يُعتقَدَ ظاهرُها[1] ، أو لا تعتقدُوا ظاهرَها .

فإنْ لم تعتقدُوا ظاهرَها فلا يخلو : إمَّا أنْ يكونَ معَ الجزمِ بنفيِ الظاهرِ ، أو لا ؛ فإنْ لم تجزمُوا فقد شَكَكْتُم ؛ لأنَّ إثباتَ الظاهرِ ونفيَهُ قسمةٌ عقليَّةٌ دائرةٌ بينَ النفيِ والإثباتِ ، والشكُّ في نفيِ الظاهرِ بمثابةِ اعتقادِ الظاهرِ ؛ لأنَّ كلَّ مُعتقَدٍ يجبُ العلمُ بهِ ، والشكُّ رجوعٌ إلى الجهلِ ، والجهلُ في المُعتقَداتِ في أصولِ الدِّياناتِ لا يُعذَرُ صاحبُهُ ؛ أَلا ترىٰ أنَّ مَنْ شكَّ في وجودِ البارئِ تباركَ وتعالىٰ بمثابةِ مَنْ صمَّمَ علىٰ نفيِهِ .

وإنْ جزمتُم فلا يخلو : إمَّا أنْ تقولُوا معَ ذلكَ : إنَّ لهُ تأويلاً في نفسِ الأمرِ ، أو لا ؛ فإنْ قلتُم : لا تأويلَ لهُ في نفسِ الأمرِ . . فذلكَ باطلٌ مِنْ وجهينِ :

الأوَّلُ : أنَّهُ إمَّا رجوعٌ إلى الظاهرِ وقد نفيتُموهُ ، أو إخلاءُ اللفظِ عنِ المعنىٰ بالكليَّةِ حالاً ومآلاً ، وكلامُ اللهِ تعالىٰ مُنزَّهٌ عن ذلكَ .

والوجهُ الثاني : أنَّهُ خلافُ ما وردَ بهِ الكتابُ العزيزُ ؛ فإنَّهُ أثبتَ لهُ تأويلاً ، فنافيهِ مُصادِمٌ لكتابِ اللهِ تعالىٰ ، والدليلُ علىٰ أنَّ اللهَ أثبتَ لهُ تأويلاً : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

والجوابُ مِنْ وجهٍ ثالثٍ ذكرَهُ إمامُ الحرمينِ : قالَ إمامُ الحرمينِ في كتابِ « الإرشادِ » : (والمعنيُّ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ . . . ﴾ الآيةَ [آل عمران : ٧] : مراجعةُ مُنكِرِي البعثِ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في استعجالِ الساعةِ ، والسؤالِ عن مُنتهاها ، ومَوْقِعِها ومُرْساها .

---

(١) كذا في (أ ، ب) ، والأنسب بالسياق : (إما أن تعتقدوا ظاهرَها) .

والمرادُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَا يَعْـلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أي : وما يعلمُ مآلَهُ إلا اللهُ .

ويشهدُ لذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾ [الأعراف : ٥٣] ، والتأويلُ فيها محمولٌ على الساعةِ باتِّفاقِ الجماعةِ)[١]

قلتُ : ويُؤيِّدُ ما قالَهُ الإمامُ رضيَ اللهُ عنهُ : ما نقلَهُ الإمامُ أبو نصرِ بنُ القشيريِّ في « تفسيرِهِ » قالَ : (فالمُحكَمُ : ما كانَ بيِّناً ، والمُتشابِهُ : ما يُدرَكُ بالنظرِ ، ويُخرَّجُ على المحكمِ الذي هوَ الأصلُ .

وقالَ الزجَّاجُ : ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ [آل عمران : ٧] أي : أُحكِمَتْ في الإبانةِ ، فلا حاجةَ لها إلىٰ تأويلٍ ؛ مثلُ ما أخبرَ بهِ مِنْ إنشاءِ الخلقِ ؛ إذْ قالَ : ﴿ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً . . . ﴾ الآيةَ [المؤمنون : ١٤] ، ومِنْ أنَّهُ خالقُ السماواتِ والأرضِ والمياهِ والثمارِ ، والمتشابهُ : ما احتيجَ فيهِ إلىٰ نظرٍ ؛ مِنْ أنَّ اللهَ يبعثُهُم ، وإذا نظرُوا صارَ المُتشابِهُ كالمُحكَمِ ؛ فإنَّ مَنْ قَدَرَ على الابتداءِ قَدَرَ على الإعادةِ[٢]

وقيلَ : المُحكَمُ : إحكامُ الشرعِ ، والمُتشابِهُ : الإخبارُ عنِ الغيبِ ؛ فإنَّهُم كانُوا [يتَّبعونَ ما تشابهَ منهُ] ابتغاءَ الفتنةِ[٣]

قيلَ : همُ الذينَ قالُوا : متى الساعةُ ؟ وكأنَّ هـٰذا مِنْ فَرْطِ إنكارِهِم ، فقالَ : ﴿ وَمَا يَعْـلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أي : مآلَ الأمورِ ، ومتىٰ تقومُ الساعةُ ، ومتىٰ خروجُ يأجوجَ ومأجوجَ) .

---

(١) الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة (ص٤٢) .

(٢) انظر « معاني القرآن » للزجاج (١/ ٣٧٦ـ٣٧٧) .

(٣) ما بين معقوفين غير ظاهر في (أ) بسبب التصوير ، ونبَّه عليه الناسخ في هامش (ب) ، وقد اجتهدت في إكماله علىٰ ما يقرب من الصواب ، والله تعالىٰ أعلم .

ثمَّ قالَ : (والرسوخُ : الثبوتُ ، ولا أحدَ يصيرُ إلىٰ أنَّهُ لا يجوزُ التأويلُ فيما يتعلَّقُ بالأحكامِ ، وإنَّما بالغَ أقوامٌ في اجتنابِ ذلكَ فيما يتعلَّقُ بمعرفةِ الصانعِ وصفاتِهِ معَ دعوى الأخذِ بالظاهرِ ، ولا يخفىٰ أنَّ الظاهرَ التشبيهُ في كلِّ لفظٍ يُوهِمُ التشبيهَ ، فإنِ اعترفَ هـٰؤلاءِ بأنَّهُم لا يُشبِّهُونَ فقد تركُوا الظاهرَ بالضرورةِ ، وعندَ منعِ الظاهرِ فلا منعَ مِنْ تكلُّفِ تأويلٍ ممكنٍ) .

فقد صُرِفَتِ الآيةُ عمَّا حملُوها عليهِ ، وإذا صُرِفَتْ عمَّا حملتُموها عليهِ فلا دليلَ لكُم فيها ، واللهُ أعلمُ .

وإنْ قلتُم : إنَّ لهُ تأويلاً . . فلا يخلو : إمَّا أنْ تقولُوا : إنَّ في الممكنِ أنْ يُطلِعَ اللهُ عليهِ بعضَ عبادِهِ ، أو لا ، لا جائزَ أنْ تقولُوا بعدمِ الإمكانِ ؛ لأنَّ الممكنَ ما استوىٰ طرفاهُ وجوداً وعدماً ، وهـٰذا مُستوِي الطرفينِ بالنسبةِ إلى القدرةِ ؛ فوجبَ أنْ يكونَ ممكناً .

فإنْ قيلَ : قولُه تعالىٰ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ خبرٌ ، ويستحيلُ على الخبرِ الخُلْفُ .

فالجوابُ مِنْ وجهينِ :

الأوَّلُ : أنَّهُ إنَّما يَتِمُّ لكُم ذلكَ علىٰ قراءةِ مَنْ وقفَ على اسمِ اللهِ عزَّ وجلَّ وابتدأَ : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ ، والذي عليهِ أكثرُ القُرَّاءِ ، وتناقلَهُ أهلُ الأداءِ ، وهوَ المَرْضِيُّ عندَ علماءِ السنَّةِ : الوقفُ علىٰ قولِهِ : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾[1] .

---

(١) الوقف علىٰ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ هو قول أكثر أهل العلم من المفسرين والقراء والنحويين . انظر « المكتفىٰ في الوقف والابتدا » (ص٣٧) ، والذي ذكره المؤلف هو قول مجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين واختاره المحققون ، وقولٌ مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي المسألة تفصيل ونقاش طويل ينظر في « تفسير الرازي » (٧/ ١٤٥ـ١٤٧) ، و« تفسير القرطبي » (٤/ ١٦ـ ١٨) ، وراجع تعليق الكوثري علىٰ « دفع شبه التشبيه » (ص٦٠ـ٦١) .

والثاني : أنَّ التأويلَ لهـٰذا المتشابهِ الذي أرادَهُ اللهُ لا يعلمُهُ علىٰ ما هوَ عليهِ إلا اللهُ عزَّ وجلَّ ، ونحنُ وإنْ ذكرْنا لهُ تأويلاً أو تأويلينِ فأكثرَ ؛ يحتملُ أنْ تكونَ كلُّها أو أحدُها هوَ الذي في نفسِ الأمرِ تأويلُهُ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ويحتملُ أنْ نكونَ لم نصادفْهُ . . فنحنُ غيرُ جازمينَ بأنَّ ما ذكرْناهُ هوَ التأويلُ الذي عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ولا نقطعُ بأنَّ ما نذكرُهُ هوَ التأويلُ ، بخلافِ علمِ اللهِ بتأويلِهِ ؛ فإنَّهُ لا يُعارِضُهُ تردُّدٌ أصلاً .

* * *

الحجة على إثبات التأويل من خلال ثلاثة مسالك

فقد صحَّ أنْ تكونَ موافقةُ التأويلِ ممكنةً ، وإذا أمكنَ ذلكَ عقلاً فلنا في إثباتِ الحُجَّةِ مسالكُ :

الأَوَّلُ : أنْ نقولَ : تعارضَ معَنا نقلٌ وعقلٌ : فلا سبيلَ إلىٰ إعمالِهِما ؛ لأَنَّهُ يلزمُ منهُ الجمعُ بينَ النفيِ والإثباتِ ، ولا سبيلَ إلىٰ إلغائِهِما ؛ لأَنَّهُ يرفعُ النفيَ والإثباتَ ، ولا سبيلَ إلىٰ إعمالِ العقلِ دونَ النقلِ ؛ لأَنَّ النقلَ ثمرةُ العقلِ ؛ ففيهِ إبطالٌ لفائدةِ العقلِ ، ولا سبيلَ إلىٰ إعمالِ النقلِ وإبطالِ العقلِ ؛ لأَنَّ الدلائلَ العقليَّةَ أصلٌ لتصديقِ الشواهدِ النقليَّةِ ؛ فإلغاءُ الأصلِ معَ تصحيحِ الفرعِ يُفضي إلىٰ تكذيبِ شواهدِ العقلِ ، وتكذيبُ شواهدِ العقلِ يُفضي إلىٰ عدمِ تصحيحِ النقلِ ، فلم يبقَ إلا إبقاءُ العقلِ وتأويلُ النقلِ ، وقد قلتُم : إنَّ مُوافقةَ التأويلِ ممكنةٌ ، وقد ألجأَنا إليهِ الدليلُ ، فوجبَ القولُ بالتأويلِ .

المسلكُ الثاني : قد تقرَّرَ : أنَّ المصيبَ في أصولِ الدينِ ومذاهبِ العقائدِ . . واحدٌ ، وليسَ كلُّ مجتهدٍ مُصِيباً ، ولو قُلْنا : إنَّ كلَّ مجتهدٍ مُصيبٌ . . لزمَ عليهِ الطامَّةُ الكبرىٰ .

وقدِ اجتهدتَ أيُّها الظاهريُّ أنتَ وجماعةٌ مِنْ متأخِّري الحنابلةِ ، وأدَّاكُمُ اجتهادُكُم إلىٰ عدمِ التأويلِ .

لا يُقالُ : إنَّ أوائلَ العلماءِ معَكُم ؛ لأنَّ ما نُقِلَ عنهُم محمولٌ علىٰ تأويلٍ صحيحٍ سيأتي ذكرُهُ ، وقدِ اجتهدَ علماءُ التأويلِ مِنْ لَدُنْ عليٍّ وابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما وإلىٰ هلمَّ ، وأدَّاهُمُ اجتهادُهُم إلى التأويلِ ؛ فإذا تعارضَ

إصابةُ قومٍ ليسَ فيهِم عليٌّ وابنُ عباسٍ ، معَ إصابةِ قومٍ فيهِم عليٌّ وابنُ عباسٍ وأكثرُ الصحابةِ . . كانَ العقلُ يدُلُّنا على أنَّ المصيبَ القومُ الذينَ فيهِم عليٌّ وابنُ عباسٍ ، وقد نُقِلَ عنهُمُ القولُ بالتأويلِ على ما سنذكرُهُ[1] ، فوجبَ الرجوعُ إليهِ .

المسلكُ الثالثُ : أنْ نقولَ : قد ثبتَ : أنَّ مُوافقةَ التأويلِ ممكنةٌ ، والمرادُ مِنَ الخلقِ الاعترافُ بخالقِهِم وعبادتُهُ ؛ لأنَّ العبادةَ فرعٌ عنِ المعرفةِ بالمعبودِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، قيلَ : ليعرفونِ ، وعلى غيرِ هٰذا القولِ قد قدَّمْنا أنَّ العبادةَ فرعُ المعرفةِ ، والمعرفةُ إنَّما تتهيَّأُ بالصفاتِ ؛ لأنَّ كنهَ الذاتِ لا يُدرَكُ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] ، وقالَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (العجزُ عنِ الإدراكِ إدراكٌ)[2]

وإذا وردَتِ الصفاتُ الجليلةُ : فإنْ كانَ ظاهرُها لا يُوهِمُ التشبيهَ حملْناها على ظاهرِها ؛ لعدمِ المُعارَضةِ العقليَّةِ ، وإنْ كانَ ظاهرُها يُوهِمُ التشبيهَ فلا يخلو : إمَّا أنْ يقدِرَ العبدُ على فهمِ المعنى مِنْ غيرِ خوضٍ في التأويلِ ، أو لا .

إنْ فَهِمَ ذلكَ مِنْ غيرِ خوضٍ في التأويلِ فكالصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم إذا سمعُوا : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء : ٢٩] . . لم يفهمُوا مِنْ ذلكَ يدَ الجارحةِ أصلاً ، وإنَّما يفهمُونَ الزيادةَ في الإنفاقِ والإسرافَ فيهِ ؛ وذلكَ بقولِهِ : ﴿ كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ ، والزيادةَ في التقتيرِ بقولِهِ : ﴿ مَغْلُولَةً ﴾ .

---

(١) انظر (١/ ٢٢٤ـ٢٤٦) .

(٢) أورده القاضي أبو المظفر الإسفراييني في « التبصير في الدين » (ص١٦٠) ، وقال : (ومعناه : إذا صح عندك أن الصانع لا يمكن معرفته بالتصوير والتركيب ، والقياس على الخلق . . صحَّ عندك أنه خلاف المخلوقات) .

وكذلكَ يفهمُونَ قولَهُ حاكياً عنِ اليهودِ : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة : ٦٤] ، مِنْ غيرِ أنْ يخطُرَ لهُمُ الجارحةُ أصلاً ، بل يفهمُونَ أنَّ اليهودَ لعنَهُمُ اللهُ أرادُوا بذلكَ تأخُّرَ الرزقِ عنهُم .

ويفهمُونَ مِنْ قولِهِ : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة : ٦٤] زيادةَ الكرمِ ومُوالاةَ النِّعَمِ ، حتىٰ على الكفارِ الذينَ يجعلُونَ معَ اللهِ إلـٰهاً آخرَ وهوَ يرزقُهُم ويُعطيهِم .

فهُم يفهمُونَ ذلكَ مِنْ غيرِ أداةِ التأويلِ فهماً سريعاً مِنْ غيرِ إطالةِ نظرٍ ، ولا تعليمِ عبارةٍ ، ولا تفهيمِ دليلٍ .

وإنْ كانَ لا يفهمُ ذلكَ إلا بالتأويلِ وجبَ عليهِ الخوضُ في التأويلِ ؛ ليقعَ التنزيهُ في قلبِهِ ولا يبقىٰ لبصيرِ بصيرتِهِ طموحٌ ، ولا إلى الحملِ على الظاهرِ جُنوحٌ .

وقد ثبتَ : أنَّ المعرفةَ واجبةٌ ، والتأويلَ ممكنُ الموافقةِ ، والتنزيهَ عنِ المُوهِماتِ في المعرفةِ واجبٌ ؛ فالتأويلُ وسيلةٌ إلى التنزيهِ الذي هوَ واجبٌ في المعرفةِ التي هيَ واجبةٌ ، وقد تقرَّر أنَّ ما لا يَتِمُّ الواجبُ إلا بهِ فهوَ واجبٌ إذا كانَ مَقْدوراً للمُكلَّفِ ، وهـٰذا مَقْدورٌ لهُ ؛ فتعيَّنَ القولُ بوجوبِهِ ، واللهُ أعلمُ .

* * *

عود إلى الكلام على إثبات التأويل من خلال آية الاستواء

عُدْنا إلى التقسيمِ الأولِ ؛ وهوَ أنَّا قُلْنا : إمَّا أنْ تعتقدُوا الظاهرَ أو لا ، فأخذْنا أولاً قسمَ النفيِ إلىٰ أنْ أفضىٰ بنا إلى التأويلِ ، ونأخذُ قسمَ الإثباتِ ؛ فإنَّهُ يُفضِي إلىٰ ما يُبيِّنَ فسادَ قولِ الظاهريَّةِ عقلاً ، فنقولُ :

وإنِ اعتقدتُمُ الظاهرَ فلا يخلو : إمَّا أنْ تعتقدُوا ذلكَ بواسطةِ الجِسْميَّةِ أو لا ؛ فإنْ قلتُم : بواسطةِ الجسميَّةِ . . لزمَكُمُ التركيبُ ؛ لأنَّ الجسمَ ما تركَّبَ مِنْ جزأينِ فصاعداً ، والتركيبُ مستحيلٌ ، وما أفضىٰ إلى المستحيلِ فهوَ مستحيلٌ .

[التركيبُ مستحيلٌ على اللهِ تعالىٰ لوجهينِ]

إنَّما قُلنا : إنَّ التركيبَ مُستحيلٌ ؛ لوجهينِ :

أحدُهُما : لأنَّ المركَّبَ لا يخلو : إمَّا أنْ تقومَ الأوصافُ ـ كالقدرةِ مثلاً ـ بكلِّ جزءٍ ، أو بواحدٍ مِنَ الأجزاءِ ، أو بمجموعِهِما[١]

فإنْ قلتُم : تقومُ بكلِّ جزءٍ . . لزمَ أنْ يكونَ كلُّ جزءٍ قادراً مُخترِعاً بالقدرةِ التي قامَتْ بهِ ، ويلزمُ علىٰ ذلكَ ثبوتُ إلـٰهينِ فصاعداً .

وإنْ قلتُم : تقومُ القدرةُ بواحدٍ مِنَ الأجزاءِ . . لزمَ حالةَ قيامِهِ[٢] بهـٰذا الجزءِ نفيُها عنِ الجزءِ أوِ الأجزاءِ الأخرىٰ فصاعداً ، ولزمَ إخلاؤُهُ عنِ القدرةِ ،

---

(١) أو العبارة هي : (أو بمجموعها) ، والمعنىٰ عليها واضح ، إلا أن الرسم لا يوافقه ، وسيؤكد المؤلف معنى التثنية أثناء التفريع .

(٢) أي : المذكور ؛ وهو القدرة .

وإذا خلا عنِ القدرةِ لزمَ إثباتُ قديمٍ عاجزٍ .

وأيضاً : فإنَّ الجزأينِ مستويانِ في قَبولِ الصفاتِ ؛ فتخصيصُ أحدِهما بصفةِ القدرةِ : إمَّا أنْ يكونَ بمُخصِّصٍ ، أو لا .

فإنْ كانَ ذلكَ بمُخصِّصٍ غيرِهما لزمَ أنْ يكونَ الفاعلُ غيرَهُما ، وينتقلُ الكلامُ إليهِ . . إلىٰ ما لا نهايةَ لهُ ، وهوَ يُؤدِّي إلى الإشراكِ أوِ السَّفْسطةِ .

وإنْ كانَ بغيرِ مُخصِّصٍ لزمَ التخصيصُ مِنْ غيرِ مُخصِّصٍ ، وهوَ مُحالٌ .

وإنْ قلتُم : إنَّ صفةَ القدرةِ قامَتْ بمجموعِهِما . . لزمَ أنْ يكونَ المعنى الواحدُ قائماً بمحلَّينِ ، أو مُنقسِماً عليهِما في حالةٍ واحدةٍ ، وإنَّهُ محالٌ[1] .

والدليلُ الثاني علىٰ إبطالِ التركيبِ : أنَّ المُركَّبَ مُفتقِرٌ إلىٰ أحدِ جزأَيْهِ ، والمفتقرُ لا يصلحُ للربوبيَّةِ .

وإذا بطلَتْ هٰذهِ الأقسامُ بطلَ القولُ بالتركيبِ ، وإذا بطلَ القولُ بالتركيبِ بطلَ القولُ بالجسمِ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ وتقدَّسَ عُلُوّاً كبيراً .

إلزامُ القولِ بالجسميَّةِ للقائلينَ بالجهةِ مِنْ غيرِ تجسيمٍ

وإنْ قلتُم : ليسَ بجسمٍ . . فلا يخلو : إمَّا أنْ تقولُوا : إنَّ القديمَ شاغلٌ لحيِّزٍ ، أو أحيازٍ ، أو لا .

فإنْ قلتُم : إنَّهُ غيرُ شاغلٍ للأحيازِ أو للحيِّزِ . . فلا معنىٰ لتخصيصِهِ بجهةٍ ؛ فإنَّ ما لا يشغلُ أحيازاً أو حيِّزاً تستوي الجهاتُ في إضافتِها إليهِ ، وإنَّما يختصُّ بالحيِّزِ شاغلُها[2] .

---

(١) فالصور ثلاث : إما أن تقوم القدرة بكل محلٍّ لا علىٰ سبيل الانقسام ، أو تقومَ بمحلٍّ واحد فقط ، أو تقومَ بمحلَّين علىٰ سبيل الانقسام .

(٢) كذا في (أ ، ب) ، والأنسب بالسياق : (وإنما يختص بالجهة شاغلها) ، وهو كذلك في=

وإنْ قلتُم : إنَّهُ شاغلٌ للحيِّزِ . . فهوَ باطلٌ مِنْ وجوهٍ :

الأولُ : أنَّ الشاغلَ للحيِّزِ لا يخلو : إمَّا أنْ يكونَ مثلَهُ قدراً ومِساحةً ، أو أكبرَ منهُ وأكثرَ ذهاباً في الجهاتِ ، وإمَّا أنْ يكونَ أصغرَ منهُ .

فإنْ قلتُم : إنَّ الشاغلَ للعرشِ مثلُهُ وقدرُهُ . . لزمَ منهُ التصريحُ بالقَدْرِ والنهايةِ ، وأنتُم قد نفيتُمُوهُما ؛ إذْ هما مِنْ أوصافِ الجسميَّةِ .

وإنْ قلتُمُ : الشاغلُ للحيِّزِ أكبرُ منهُ . . لزمَ منهُ أمرانِ يخرجانِ إلى الخروجِ عنِ الدينِ أو عن صفاتِ العقلاءِ :

أحدُهُما : أنَّ الذي قابلَ العرشَ وحاذاهُ يجبُ أنْ يكونَ لهُ حُكْمُ القَدْرِ والنهايةِ .

والثاني : أنَّهُ إذا قابلَ العرشَ وزادَ ذهاباً في الجهاتِ والأقطارِ . . فقد ثبتَ لهُ حُكْمُ التأليفِ والتبعيضِ ، وهٰذا رجوعٌ إلى التركيبِ والجسميَّةِ ، وأنتُم تنكرونَهُما .

وإنْ قلتُم : إنَّ المُحاذيَ للعرشِ أصغرُ منهُ . . فهوَ باطلٌ مِنْ وجهينِ :

الأولُ : أنَّهُ يلزمُ منهُ التقديرُ بالقَدْرِ والنهايةِ مِنَ الجهةِ التي تقابلُهُ مِنَ العرشِ .

والثاني : أنَّهُ يلزمُ منهُ محذورٌ هوَ أشنعُ مِنْ كلِّ شيءٍ ؛ وهوَ أنَّهُ إنِ انتهىٰ في الصِّغَرِ إلى الجزءِ الذي لا ينقسمُ ولا يقبلُ الانقسامَ . . فلا يخفىٰ زندقةُ القائلِ بهٰذا ، وإنْ زادَ علىٰ ذلكَ لزمَ الانقسامُ والتركيبُ ، ولا يُقدِمُ علىٰ ما ذهبتُم إليهِ مِنْ ذلكَ إلا مجنونٌ ، أو مُتلاعِبٌ بالدِّينِ .

والوجهُ الثاني في نفيِ الجهةِ معَ عدمِ القولِ بالجسميَّةِ : أنَّهُ قد بيَّنَّا أوَّلاً أنَّ

= « الشامل » لإمام الحرمين (ص٥١٤) .

القولَ بعدمِ الشَّغْلِ معَ القولِ بالجهةِ محالٌ ، فتعيَّنَ الشَّغلُ ، والشاغلُ للحيِّزِ مُحاذٍ لهُ ، ومُماسَّتُهُ لهُ منقطعةٌ مِنَ الجهةِ التي تلي العرشَ أو تلي الخلاءَ الذي بينَهُ وبينَ العرشِ ـ على ما قالَهُ بعضُ أصحابِكُم ـ متناهيةٌ ، وإذا كانَتْ متناهيةً لزمَ منها التقديرُ ، وإذا لزمَ منها التقديرُ ـ وأنتُم لا تقولونَ بهِ ـ فجميعُ هٰذهِ التقاسيمِ دائرةٌ بينَ النفيِ والإثباتِ العقليَّينِ ، ولا مَحيدَ عن ذلكَ .

وإذا بطلَتْ هٰذهِ الأقسامُ فنقولُ : الاستواءُ يتعيَّنُ صرفُهُ عن ظاهرِهِ ، وتأويلُهُ بمعنىً غيرِ ظاهرِهِ ، واللهُ أعلمُ .

* * *

فصل

نذكر فيه طريقة ثانية في الاستدلال على التأويل في الآية المذكورة (١)

فنقولُ : وصفَ اللهُ تعالىٰ نفسَهُ بالاستواءِ ، فهوَ وصفٌ ثابتٌ معلومٌ ، فلا يخلو : إمَّا أنْ نقولَ : إنَّهُ وصفُ ذاتٍ ، أو وصفُ فعلٍ .

لا جائزَ أنْ نقولَ : إنَّهُ وصفُ ذاتٍ ؛ لأنَّ الاستواءَ مُرتَّبٌ علىٰ وجودِ العرشِ ، والعرشُ مخلوقٌ حادثٌ ، والصفاتُ الذاتيَّةُ قديمةٌ أزليَّةٌ ؛ كالحياةِ والعلمِ والإرادةِ ، فيلزمُ مِنْ ذلكَ : إمَّا قِدَمُ العرشِ ، وإمَّا حدوثُ الصفاتِ الأزليَّةِ ، وذلكَ مُحالٌ ، وإذا بطلَ أنْ يكونَ وصفاً ذاتيّاً تعيَّنَ أنْ يكونَ وصفاً فعليّاً .

وإذا تعيَّنَ أنْ يكونَ وصفاً فعليّاً فلا يخلو : إمَّا أنْ يكونَ فعلاً فعلَهُ في ذاتِهِ ، أو في غيرِهِ .

لا جائزَ أنْ يكونَ فعلاً فعلَهُ في ذاتِهِ ؛ لأنَّهُ يلزمُ منهُ قيامُ الحوادثِ بهِ ، وقَبولُهُ لوقوعِها بهِ ، وهوَ محالٌ .

فتعيَّنَ : أنْ يكونَ فعلاً فعلَهُ في غيرِهِ ، وهـٰذا الذي نعنيهِ بقولِنا : (استوىٰ ؛ بمعنىٰ : قهرَ واستولىٰ) .

* * *

---

(١) وهي قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] .

فصل

نذكر فيه طريقة ثالثة في الاستدلال

وهيَ أنْ يُقالَ : دلَّ الدليلُ في بعضِ الظواهرِ على تأويلِها ، وتنزيهُ الباريْ دلَّنا على التأويلِ في باقي الظواهرِ ؛ فإنْ سلَّمتُم في بعضِها فيلزمُكُمُ الفرقُ .

وإنْ لم تُسلِّمُوا فنقولُ : مِنَ الظواهرِ ما يُستنبَطُ مِنْ تأويلِهِ الأوامرُ والنواهي ؛ كما إذا وردَ مثلاً : غضبَ اللهُ على مَنْ فعلَ كذا ، أو يغضبُ اللهُ على مَنْ فعلَ[1] ، أو مقتَ مَنْ يفعلُ كذا ، أو يمقتُ مَنْ يفعلُ كذا[2] .

فإمَّا أنْ نقولَ : إنَّ هٰذهِ الألفاظَ محمولةٌ على ما وُضِعَتْ لهُ ، أو مُؤوَّلةٌ بغيرِ ما وُضِعَتْ لهُ ، أو مسكوتٌ عن تأويلِها لا يفهمُونَ منها ما وُضِعَتْ لهُ ولا غيرَهُ .

إنْ قلتُم بالمعنى الأولِ فهوَ يُؤدِّي إلى محذورِ الجسميَّةِ قطعاً .

والمعنى الثاني فأنتُم لا تقولونَ بهِ .

بقيَ المعنى الثالثُ ، وهوَ يُفضي إلى ألا يدُلَّ على معنى اقتضاءِ الطاعةِ في الفعلِ أوِ التركِ ؛ لأنَّ السامعَ لهٰذهِ الظواهرِ يقولُ : إنَّ الغضبَ ليسَ على حقيقتِهِ الوضعيَّةِ ، ولم تُؤوِّلْهُ لا بالمعاملةِ ولا بالإرادةِ ، ولم تعلمْ لهُ معنىً ،

---

(١) مادة الغضب وردت في آيات وأحاديث كثيرة ؛ ومن الأحاديث : ما أخرجه البخاري (٤٠٧٣) ، ومسلم (١٧٩٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) ومنها : ما أخرجه ابن خزيمة (٧١) ، وابن حبان (١٤٢٢) ، وأحمد (٣/٣٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

بل جعلتَ حكمَهُ حكمَ سائرِ الظواهرِ ، فما يُدريكَ أنَّ هـٰذا الكلامَ ليسَ دليلاً على الذمِّ ؟! فيكونُ الفعلُ : إمَّا مباحاً ؛ بقاءً على الأصل إنْ قلْنا : الأصلُ الإباحةُ ، أو محظوراً ؛ بناءً على الأصل إنْ قلْنا : الأصلُ الحظرُ ، لا مِنْ دلالةِ الكلامِ ، بل ربَّما نقولُ : يجوزُ أنْ يكونَ الشارعُ استعملَهُ مادحاً لفاعلِهِ وللرضا عنهُ .

فعدمُ التأويلِ : يُفضي إلى التوقُّفِ ، أو إلى الحملِ على ضدِّ ما سيقَ الكلامُ لأجلِهِ ، أو إلى الإقدامِ على المَنهيِّ عنهُ عملاً بأصلِ الإباحةِ ، وهـٰذا كلُّهُ إنَّما جرَّهُ عدمُ التأويلِ .

وكذلكَ في جانبِ الرضا بالفعلِ والحثِّ على فعلِ مثلِهِ ؛ كقولِهِ : ضحكَ اللهُ مِنْ كذا ، أو يضحكُ ربُّكَ مِنْ كذا[1] ، وقولِهِ : « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ »[2] ؛ يقولُ : لا أُقدِمُ على الفعلِ ؛ لاحتمالِ أنْ تكونَ هـٰذهِ الكلمةُ مِنَ الشارعِ يُرادُ بها الذمُّ ، فإذا أوَّلْنا بقيَ الوعدُ والوعيدُ على حالِهما ، وعلى عدمِ التأويلِ لا يدُلُّ الكلامُ لا على وعدٍ ولا وعيدٍ .

فقد ظهرَ بهـٰذا : أنَّهُ لا بدَّ مِنَ التأويلِ في بعضِ الظواهرِ[3] ، وإذا ثبتَ التأويلُ في بعضِها فلا فرقَ في العقلِ ، فمنِ ادَّعى الفرقَ فعليهِ الدليلُ .

---

(١) ومنها : ما أخرجه البخاري (٢٨٢٦) ، ومسلم (١٨٩٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٢) برقم : (٢٦٧٥/ ٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) قال الإمام الكوثري في تعليقاته على « السيف الصقيل » (ص١٤٩) : (فمَنْ أوَّل في كل موضع فهو قرمطي كافر ، ومن أبى التأويل في كل آية وحديث فهو حَجَري زائغ) .
وقال نقلاً عن ابن عقيل الحنبلي : (هلك الإسلام بين طائفتين : الباطنية والظاهرية ، والحق بين المنزلتين ؛ وهو أن نأخذ بالظاهر ما لم يصرفنا عنه دليل ، ونرفضَ كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع) .

فإنْ قلتُم : دلَّنا في هـٰذهِ المواطنِ السياقُ على التأويلِ فأوَّلْنا ، ولم يدُلَّنا السياقُ في غيرِهِ فأمسكْنا عنِ التأويلِ .

فيُقالُ لكُم : دَلالةُ السياقِ ظنِّيَّةٌ ، ودَلالةُ العقلِ بنفيِ الإيهامِ قطعيَّةٌ ، فكيفَ تُؤوِّلُونَ حيثُ أرشدَتْكُمُ الأدلةُ الظنيَّةُ ، ولا تُؤوِّلُونَ حيثُ أرشدَتْكُمُ الأدلةُ القطعيَّةُ ؟!

ولوِ استقصَيْنا ذكرَ الأدلةِ المرشدةِ إلى التأويلِ . . لخرجَ هـٰذا الكتابُ عنِ الاختصارِ ، لـٰكنْ نذكرُ مِنْ كلِّ بابٍ لُمعةً ، وفيما أوردتُهُ مِنَ الأدلَّةِ كفايةٌ لمَنْ تدبَّرَ ، وعنايةٌ لمَنْ أرادَ أنْ يتذكَّرَ ، واللهُ يجعلُ ذلكَ خالصاً لوجهِهِ .

* * *

الباب الثالث

فيمن قال بالتأويل وتكلم في تنزيه الرب الجليل من الصحابة والتابعين والعلماء الأولين على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم

بابٌ
فيمن قال بالتأويل وتكلم في تنزيه الرب الجليل من الصحابة والتابعين والعلماء الأولين على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم

ولْنُقدِّمْ على ذلكَ مُقدِّمةً تكونُ في الحقيقةِ جواباً عنِ استشعارِ أَسْوِلةٍ يُورِدُها الخصومُ في هٰذا المقامِ ؛ فنقولُ :

أنزلَ اللهُ القرآنَ العزيزَ على لغةِ العربِ لما اقتضتْهُ حكمةُ اللهِ ؛ حيثُ قالَ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤] .

فنزل على قومٍ هم أفصحُ الفصحاءِ ، وأوسعُهُم ذهاباً في التعبيرِ عنِ الإراداتِ ، وتمكُّناً مِنْ طَرَفَيِ الإسهابِ والإيجازِ ، وأنواعِ الحقيقةِ والمجازِ ، وتحليةِ عقودِ الكلامِ ، مِنَ النثرِ والنظامِ ، بأنواعِ جواهرِ التشبيهاتِ ، وشذورِ الاستعاراتِ ، وضروبِ يواقيتِ المبالغةِ والإشاراتِ ، وغيرِ ذلكَ مِنَ البديعِ والبيانِ الذي هوَ سحرُ الأفهامِ ، وأصحُّهُم فهماً لما يسمعونَهُ مِنَ الكلامِ ، وأكثرُهُم إصابةً لأغراضِ المُتكلِّمينَ ، وسبقاً إلى إدراكِ المرادِ في العباراتِ الغامضةِ والمعاني الدقيقةِ .

فكلُّ خفيٍّ علينا جليٌّ عندَهُم ؛ لأنَّها عنهُم نشأَتْ ، ومنهُم تُلُقِّيَتْ ، وبألسنتِهِم ظهرَتْ ، ومِنْ أفواهِهِم تُلُقِّفَتْ .

فالمعاني بألفاظِها ينطقُونَ ، ويريدُونَها بعبارتِهِم إذْ يطلقُونَ ، وكما يريدُونَها بقولِهِم يفهمُونَها مِنْ غيرِهِم إذا قالَها ، ويحملُونَها على المعنى الذي

أرادَهُ مِنْ غيرِ تعليمٍ ولا تفهيمٍ ، ولا سؤالٍ عنها ولا جوابٍ .

كما أنَّهُم كانُوا يرفعُونَ الفاعلَ ، وينصبُونَ المفعولَ ، ويخفضُونَ بالإضافةِ ، ويجرُّونَ بحروفِ الجرِّ ، ويرفعُونَ اسمَ (كانَ) ، وينصبُونَ خبرَها ، ويستثْنُونَ ويستفهمُونَ ، مِنْ غيرِ تعلُّمِ أدواتٍ تُعينُهُم علىٰ تصحيحِ الألفاظِ ، بل تلكَ الألفاظُ عقودٌ مُتناسِقةٌ مِنْ جواهرِ كلامِهِم ، وتلكَ المعاني رياضٌ جادَها صَوْبُ سحائبِ أفهامِهِم ، سجيَّتُهُم سخيةٌ بذلكَ مِنْ غيرِ تكلُّفٍ ، وطباعُهُم جائدةٌ بهِ بلا توقُّفٍ ، وأفهامُهُم مُتلقِّيةٌ لهُ بالقَبولِ .

لا يحتاجُونَ إلىٰ ألفاظٍ تُصحِّحُ لهُمُ الألفاظَ ، ولا إلى اصطلاحاتٍ يحفظُها منهُمُ الحُفَّاظُ ، كذلكَ لا يحتاجُونَ إلىٰ ألفاظٍ واصطلاحاتٍ تُصحِّحُ لهُمُ المعانيَ ، ولا إلىٰ مادَّةٍ تُعينُهُم علىٰ فهمِ الأغراضِ مِنَ المباني ، بل ببديهةِ العقلِ يفهمُونَ حينَ يسمعُونَ .

خلقَ اللهُ لهُم عقولاً في غايةِ الوفورِ والكمالِ ، وأفهاماً في نهايةِ الصحةِ والاعتدالِ ؛ لأنَّهُم خِيرةُ اللهِ مِنْ خلقِهِ ، وصفوتُهُ مِنْ عبادِهِ .

[أُنموذجٌ مِنْ أشعارِ العربِ مِنْ جنسِ المنقولِ محمولاً ظاهرُها على المجازِ]

فالذي يقولُ منهُم[1] : [من مجزوء الكامل]

كَشَفَتْ لَهُمْ عَن سَاقِهَا ... وَبَدَا مِنَ ٱلشَّرِّ ٱلصُّرَاحُ

ومُرادُهُ : شدَّةُ الأمرِ والإقدامُ في المحاربةِ والتشميرُ فيها ، لا العضوُ المخصوصُ ؛ لأنَّ المحاربةَ معنىً مِنَ المعاني ، فيستحيلُ وصفُها بوصفِ

(١) أي : من العرب الفصحاء ، لا خصوصِ مَنْ أُنزل عليه القرآن ، والبيت لسعد بن مالك جد طرفة بن العبد ، كما في « حماسة أبي تمام » (٢/ ٧٦) .

الأجسامِ ، وإنَّما كنَىٰ عنِ الاهتمامِ بأمرِ الحربِ والقوَّةِ فيها ، كما أنَّ المُسرِعَ في الأمرِ المُهتَمَّ بهِ يُشمِّرُ ويكشفُ عن ساقِهِ ؛ ليكونَ ذلكَ عوناً لهُ على الأمرِ العظيمِ الذي أقدمَ عليهِ ، فهـٰذا مُقرَّرٌ عندَهُم .

فإذا سمعَ هـٰذا القائلُ قولَهُ تعالىٰ : ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ [القلم : ٤٢] . . فهمَ المعنىٰ مِنْ غيرِ أنْ يُعرَّفَ بهِ ولا يسألَ عنهُ ؛ لأنَّهُ يعلمُ أنَّ ظاهرَ هـٰذا الكلامِ مستحيلٌ على اللهِ تعالىٰ ، فهوَ يجنحُ إلىٰ تأويلِهِ ، لا يسبقُ فهمُهُ إلا إليهِ(١) .

وينتظمُ في سلكِ هـٰذا المجازِ : ما وردَ في الكتابِ العزيزِ وفي الأخبارِ النبويَّةِ مِنْ جنسِ هـٰذا المجازِ .

والذي يقولُ واصفاً سيفاً(٢) : [من الطويل]

إِذَا هَـزَّهُ فِـي عَظْـمِ قِـرْنٍ تَهَلَّلَـتْ ... نَوَاجِذُ أَفْوَاهِ ٱلْمَنَايَا ٱلضَّوَاحِكِ

وأرادَ : سرعةَ إقبالِ المنيَّةِ على القِرْنِ ؛ كإقبالِ الضاحكِ للشيءِ المُتهلِّلِ لهُ المُريدِ لوقوعِهِ .

إذا سمعَ : ضَحِكَ اللهُ منهُ ، أو يضحكُ ربُّنا مِنْ كذا . . علمَ أنَّ الظاهرَ غيرُ مرادٍ قطعاً ، وأنَّ المرادَ ما ينشأُ عنِ الضحكِ ؛ مِنْ معاملةِ ذلكَ كمعاملةِ الضاحكِ لمَنْ يضحكُ منهُ ، أو إرادتِهِ بهِ ما يريدُ الضاحكُ بمَنْ ضحكَ منهُ ، وأوَّلَ عليهِ كلَّ ما وردَ مِنْ جنسِ هـٰذا المجازِ في الأحاديثِ النبويَّةِ .

---

(١) وقال الإمام الفخر الرازي في « تفسيره » (٣٠/ ٩٤) بعد أن ساق كلاماً لأهل اللغة : (واعلم : أنَّ هـٰذا اعتراف من أهل اللغة بأنَّ استعمال الساق في الشدة مجاز ، وأجمع العلماء علىٰ أنه لا يجوز صرف الكلام إلى المجاز إلا بعد تعذُّر حمله على الحقيقة ، فإذا أقمنا الدلائل القاطعة علىٰ أنه تعالىٰ يستحيل أن يكون جسماً . . فحينئذٍ يجب صرف اللفظ إلى المجاز) .

(٢) البيت لتأبط شراً كما في « ديوان الحماسة » (١/ ٩٥) .

والذي يقولُ[1] : [من الطويل]

وَبَاسِطَ خَيْرٍ فِيكُمُ بِيَمِينِهِ ... وَقَابِضَ شَرٍّ عَنْكُمُ بِشِمَالِيَا

وعنىٰ ببسطِ اليمينِ : الكرمَ ، وقِرى الأضيافِ ، وبذلَ الأموالِ ، وحملَ الغارمِ ، والكفالةَ ممَّنْ عليهِ دِياتٌ ، وغيرَ ذلكَ مِنْ أنواعِ الكرمِ والخيرِ والبرِّ والرِّفدِ ، وبقبضِ الشِّمالِ : كفَّ الأعداءِ ، وذبَّهُ عن حريمِ قومِهِ ، ومنعَ حَوْزتِهِم مِنْ طارقٍ يَطرُقُهُم .

إذا سمعَ : « يَمِينُ ٱللهِ مَلأَىٰ لاَ يَغِيضُهَا شَيْءٌ ، سَحَّاءُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ »[2] . . علمَ أنَّهُ ليسَ المرادُ منهُ الجارحةَ التي هيَ ضدُّ الشمالِ ، وإنَّما المرادُ : فعلُ الخيرِ ، وتحصيلُ الثوابِ ، وإدرارُ الرزقِ ، ويُحمَلُ علىٰ هٰذا المجازِ : ما كانَ مِنْ نوعِهِ ؛ كأصحابِ اليمينِ ، وأصحابِ الشمالِ [. . .][3] .

والذي يقولُ[4] : [من المتقارب]

إِذَا ٱلْقَوْمُ مَدُّوا بِأَيْدِيهِمِ ... إِلَى ٱلْمَجْدِ مَدَّ إِلَيْهِ يَدَا

فَنَالَ ٱلَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمِ ... مِنَ ٱلْمَجْدِ ثُمَّ مَضَىٰ مُصْعِدَا

إذا سمعَ : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] ، و﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [صٓ : ٧٥] ، ونحوَهُ . . علمَ أنَّهُ ليسَ المرادُ منهُ يدَ الجارحةِ قطعاً .

وإذا سمعَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء : ٢٩] . . علمَ أنَّهُ ليسَ المرادُ هنا يدَ الجارحةِ ، وإنَّما أرادَ : منعَ الإسرافِ

---

(١) البيت لجرير في « ديوانه » (ص٥٠١) ، وقبله :

ألم أكُ ناراً يَصْطليها عدوُّكُمْ ... وحِرْزاً لما ألجأتمُ مِنْ ورائيا

(٢) سبقت الإشارة إليه في (١/ ٥٣) .

(٣) ما بين معقوفين كلمتان غير واضحتين في (أ) .

(٤) البيتان للخنساء رضي الله عنها في « ديوانها » (ص٣١) من قصيدة ترثي فيها أخاها صخراً

والتقتيرِ وأَمْرَهُ بالتوسُّطِ ، كما قالَ في موطنٍ آخرَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٧] ؛ لا يتبادرُ إلىٰ ذهنِهِ غيرُ ذلكَ ، ولا يُتصوَّرُ في معقولِهِ سواهُ .

وإذا سمعَ جنسَ ذلكَ مِنَ المجازِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] ، وكقولِهِ : « يَدُ ٱللهِ مَلأَىٰ لاَ يَغِيضُهَا شَيْءٌ ، سَحَّاءُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ » . . علمَ أنَّ المرادَ بذلكَ : الكرمُ التامُّ العامُّ الذي لا يمنعُهُ مانعٌ ، ولا يدفعُهُ عن عبيدِهِ دافعٌ ، وأيُّ كرمٍ أعظمُ مِنْ أنْ يرزقَهُم وهم يكفُرونَ بهِ ؟! وبصريحِ ذلكَ وردَ الخبرُ الصحيحُ(١) .

والذي يقولُ(٢) : [من الطويل]

لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ ... إِذَا رَامَهُ ٱلأَعْدَاءُ مُمْتَنِعٌ صَعْبُ

وأرادَ : لنا منهُ حالتانِ : حالةٌ هوَ فيها ليِّنٌ لنا بكلامِهِ الحسنِ ، وأدبِهِ معَنا ، وبذلِهِ مالَهُ ، ومواساتِهِ لضعفائِنا ، وغيرِ ذلكَ مِنْ مكارمِ الأخلاقِ ، وحالةٌ هوَ فيها شديدٌ علىٰ أعدائِهِ وأعدائِنا ، صعبٌ عليهِم ، لا يظفرُونَ منهُ بما يرومُونَ ، ولا يَقدِرُونَ علىٰ ما يُؤمِّلُونَ ؛ فعبَّرَ بالجانبينِ [عنِ] الحالتينِ ، لا عنِ العُضْوينِ المخصوصينِ .

إذا سمعَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٦] . . تحقَّقَ أنَّهُ ليسَ المرادُ منهُ الجوارحَ ولا الجوانحَ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ عُلُوّاً كبيراً ، بل يسبقُ فهمُهُ ويتبادرُ إلىٰ ما يليقُ بوصفِ اللهِ تعالىٰ مِنَ التنزيهِ ، جلَّ جلالُ اللهِ ، وتقدَّسَتْ أسماؤُهُ .

---

(١) وقد سبق تخريجه في (١/ ١٧٥) .

(٢) البيت لبعض العرب كما في « حماسة أبي تمام » (١/ ٢٦٤) ، وعزاه في « التذكرة الحمدونية » (٤/ ٩٣) للأقرع بن معاذ القشيري .

والذي يقولُ مُخبِراً عن نفسِهِ[1] : [من الوافر]

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعاً   مِنَ ٱلأَبْطَالِ وَيْحَكِ لاَ تُرَاعِي

وقطَّعَ القصيدةَ كلَّها في كلامِهِ معَ نفسِهِ ، ولم يكنْ قالَ ذلكَ بلسانِهِ[2] ؛ إذْ لو قالَ ذلكَ بلسانِهِ لدلَّ على عجزِهِ وجبنِهِ عن لقاءِ عدوِّهِ ، وكَشَفَ عن خَوَرِهِ وانقطاعِ قلبِهِ ، وأشمتَ بهِ عدوَّهُ ، وانخذلَ مَنْ قاربَهُ ورافقَهُ مِنَ الفرسانِ ، وافتَضَحَ بينَ أهلِهِ وعشيرتِهِ ، وبقيَ عليهِ عارُ الدهرِ ، فليسَ المرادُ إلا قولَهُ في نفسِهِ .

وكذلكَ القائلُ[3] : [من الطويل]

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَّدَ رَأْلُهَا   مَكَانَكِ لَمَّا تُشْفِقِي حِينَ مُشْفَقِ

في أبياتٍ كثيرةٍ ، ولم يقلْ بلسانِهِ ، وإنَّما المرادُ : خطابُهُ مِنْ نفسِهِ لنفسِهِ بالوجهِ المذكورِ قبلَهُ .

إذا سمعَ في كتابِ اللهِ تعالىٰ : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ . . . ﴾ [المائدة : ١١٩] ، و﴿ قَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ . . . ﴾ [النحل : ٥١] ، و﴿ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ . . . ﴾ [البقرة : ٣٤] ، و﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ . . . ﴾ [البقرة : ٣٥] ، وغيرَ ذلكَ مِنْ أنواعِ القولِ والكلامِ . . عرفَ أنَّهُ تستحيلُ الحروفُ والأصواتُ علىٰ ربِّهِ جلَّ وعلا ، وحملَهُ على الكلامِ النَّفْسانيِّ مِنْ غيرِ تلبُّثٍ ولا تريُّثٍ ولا تردُّدٍ .

---

(١) البيت لقطري بن الفجاءة الخارجي المشهور ، كما في « حماسة أبي تمام » (١/ ٩٦) ، وسبقت الإشارة إلىٰ هـٰذا البيت في (١/ ٧٩) ، ويروىٰ : (لن تراعي) بدل (لا تراعي) ، والشَّعاع : المُتفرِّق ، ولا تراعي : لا تفزعي ولا تخافي .

(٢) أي : لم يكن المقولُ الكلامَ اللفظيَّ الذي هو عبارة عن الحروف والأصوات .

(٣) البيت لرجل من بني أسد ، كما في « حماسة أبي تمام » (١/ ٣٤٣) ، وقوله : (خوَّد رألها) يقال للمذعور المرتاع ، وهو مثل ، والرَّأْل في الأصل : النعام ، والتخويد : ضرب من السير سريعٌ يوصف به النعام ، والإشفاق : الذُّعْر

والذي يقولُ مُخبِراً عن قومِهِ في معاملتِهِم لهُ[1] : [من الوافر]

رَأَوْا عَـرْشِـي تَثَلَّـمَ جَـانِبَـاهُ فَلَمَّـا أَنْ تَثَلَّـمَ أَفْـرَدُونِـي

ولم يُرِدِ انثلامَ العرشِ الذي هوَ ذاتٌ وجسدٌ ؛ إذْ ذلكَ لا يقتضي أنْ يُفرِدُوهُ ؛ لأنَّ مثلَ ذلكَ يُصلَحُ أو يُعوَّضُ عن قربٍ ، وليسَ مرادُ هٰذا إلا عزَّتَهُ أو ملكَهُ .

إذا سمعَ كلمةَ (العرشِ) لمَنْ يستحيلُ عليهِ ما يستحيلُ على الأجسامِ مِنَ الاستقرارِ[2] . . تأوَّلَ العرشَ في بعضِ مواردِهِ ومحاملِهِ أنَّ المرادَ بهِ : العزَّةُ والقوَّةُ .

والذي يقولُ ؛ وهوَ الفرزدقُ[3] : [من الطويل]

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي حِينَ شُدَّتْ رَكَائِبِي إِلَـىٰ آلِ مَـرْوَانٍ بُنَـاةِ ٱلْمَكَـارِمِ

أي : جعلتُ قصدي وإرادتي في مسيري آلَ مروانَ دونَ غيرِهِم .

ونظيرُهُ قولُ الآخرِ[4] : [من البسيط]

أَسْتَغْفِـرُ ٱللهَ ذَنْبـاً لَسْـتُ مُحْصِيَـهُ رَبَّ ٱلْعِبَادِ إِلَيْهِ ٱلْوَجْهُ وَٱلْعَمَلُ

أي : إليهِ القصدُ ، ولا يذهبُ ذهنُ هٰذينِ القائلينِ ، ولا مَنْ سمعَ كلامَهُما . . أنَّ المرادَ هنا العُضوُ المعروفُ أصلاً .

إذا سمعَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾ [القصص : ٨٨] . . علمَ أنَّ المرادَ : كلُّ شيءٍ يذهبُ إلا ثوابَ قصدِهِ ؛ فالأعمالُ جميعُها تذهبُ

---

(١) البيت لرجل من بني كلب ، كما في « حماسة أبي تمام » (١/ ٢٨٥) .

(٢) قوله : (ما يستحيل على الأجسام) : كذا في (أ ، ب) ، وهو صحيح لمن تأمّل .

(٣) أورده الشريف المرتضىٰ في « أماليه » (٣/ ٤٧) .

(٤) أورده سيبويه في « كتابه » (١/ ٣٧) .

وتضمحِلُّ ، إلا عملاً هوَ المقصودُ بهِ مِنَ العبادِ أُخلِصَ لهُ فيهِ ، هـٰذا على أحدِ التأويلينِ .

وأمَّا التأويلُ الآخَرُ : فهوَ ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ : إلا ذاتَهُ تعالىٰ وتقدَّسَ ، وذلكَ مثلُ قولِهِ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٢٦ـ٢٧] .

ومنهُ قولُ أحمرَ بنِ جندلٍ(١) : [من الطويل]

وَنَحْنُ حَفَزْنَا ٱلْحَوْفَزَانَ بِطَعْنَةٍ فَـأَفْلَـتَ مِنْهَـا وَجْهَـهُ عَتَـدٌ نَهْـدُ

يعني : فأفلتَ منها ونجَّاهُ مِنْ مسِّها جوادُهُ الموصوفُ بأنَّهُ عَتَدٌ نهدُ .

وكذلكَ إذا سمعَ : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام : ٥٢] أي : يريدُونَهُ .

ويُؤيِّدُ ذلكَ : ما رُوِيَ عنِ ابنِ عباسٍ في قولِهِ : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] قالَ : (يفنىٰ كلُّ شيءٍ ويبقى اللهُ عزَّ وجلَّ)(٢) .

والذي يقولُ ؛[وهوَ] الحارثُ بنُ حِلِّزَةَ اليَشْكُرِيُّ(٣) : [من الخفيف]

وَبِعَيْنَيْـكَ أَوْقَـدَتْ هِنْـدٌ ٱلنَّـا رَ عَشِيّـاً تَهْـوِي بِهَـا ٱلْعَلْيَـاءُ

فَتَنَـوَّرْتُ نَـارَهَـا مِـنْ بَعِيـدٍ بِخَـزَازٍ هَيْهَـاتَ مِنْـكَ ٱلصِّـلَاءُ

وأرادَ : أنَّكَ مُعتَنٍ بها ، مُراقِبٌ لوقتِ إيقادِها ، وإنْ لم ترَها بعينِ

---

(١) أورده الشريف المرتضىٰ في « أماليه » (٣/ ٤٨) ، ويعزىٰ في بعض المصادر والمراجع لجرير وقيس بن عاصم التميمي وسوار بن حيَّان المنقري ، ولفظ الشطر الثاني فيها :

سقتْهُ نجيعاً مِنْ دمِ الجوفِ أَشْكلا

والحفز : الطعن ، والحَوْفزان : لقب الحارث بن شريك الشيباني ، والعَتَد : سريع الوثوب ليس فيه اضطراب ولا رخاوة ، والنهد : الضخم المرتفع .

(٢) انظر « تفسير القرطبي » (٢/ ٨٣ـ٨٤ ، ١٧/ ١٦٥) .

(٣) ديوان الحارث بن حلزة (ص٢٠ـ٢١) ، من معلقته الشهيرة التي مطلعها :

آذنَتْنـا ببينِهـا أسمـاءُ ربَّ ثـاوٍ يُمَـلُّ منـهُ الثَّـواءُ

وفيه : (أخيراً) بدل (عشيّاً) ، و(تُلْوي) بدل (تهوي) ، وخزاز : اسم موضع .

الجارحةِ ، ويدُلُّ علىٰ ذلكَ : أنَّهُ قالَ : (فتَنوَّرْتُ نارَها مِنْ بعيدٍ) ، ثمَّ قالَ : (هيهاتَ أينَ منكَ الصِّلاءُ)[1] .

إذا سمعَ : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه : ٣٩] ، ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [هود : ٣٧] علمَ أنَّ المرادَ : بعِنايتي بكَ ، ورِعايتي لكَ ، وصَوْني لكَ في فعلِكَ وعملِكَ عنِ الخطأِ ، وحفظي لكَ ، ووحيِي إليكَ ، وأنتَ يا رسولي يا موسىٰ ، وأيُّ حفظٍ أعظمُ مِنْ صِيانتي لكَ مولوداً مِنَ اليمِّ ، وتربيتِكَ في بيتِ أعدائِكَ ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾ [طه : ٣٩] ، وتغذيتِكَ بِلبانِ أمِّكَ ، وردِّكَ إليها ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ [طه : ٤٠] ؟!

والذي يقولُ[2] : [من الطويل]

أَحِنُّ لِأَرْحَامٍ أَرَاهَا قَرِيبَةً لِحَارِ بْنِ كَعْبٍ لَا لِجَرْمٍ وَرَاسِبِ
وَأَنَّا نَرَىٰ أَقْدَامَنَا فِي نِعَالِهِمْ وَآنُفَنَا بَيْنَ ٱللِّحَىٰ وَٱلْحَوَاجِبِ

وأرادَ : أنِّي أَحِنُّ إليهِم لقربِهِم منَّا ، ومُمازجتِنا لهُم ، ومُوافقتِهِم لنا في الكُرْهِ والرِّضا ؛ فأقدامُنا تُوافقُها نعالُهُم ، وكثيراً ما تكني العربُ بالطَّواعيَةِ عنِ النعلِ ؛ فتقولُ : (أطوعُ مِنْ نعلِكَ لكَ) !![3]

ويجوزُ أنْ يكونَ المرادُ : أنَّهُم بنو عمِّنا بالنسبِ الصحيحِ ، فإذا لبسُوا نعالَهُم تكونُ أقدامُنا فيها ؛ لقوَّةِ شبهِهِم بنا ، ألا ترىٰ في قصةِ مُجَزِّزٍ حيثُ

---

(١) قوله : (أين) ليست في البيت ، ولعله ذكرها لتوضيح المعنىٰ ، والله تعالىٰ أعلم .
(٢) البيت لبعض بني عبس كما في « حماسة أبي تمام » (١/ ٣١٢) ، وحارِ : ترخيم حارث في غير نداء للضرورة الشعرية .
(٣) من أمثال العرب المولدة : (هو أطوع من شِسْع نعلي) ، وقد ورد في رسالة عبد الملك بن مروان إلى الحجاج : (فكن له ـ أي : لسيدنا أنس بن مالك الصحابي الجليل ـ أطوعَ من نعله) انظر « الأمثال المولدة » (ص٢٧٤) ، و« مقامات الحريري » (ص٣٠٢) ، و« الوافي بالوفيات » (٩/ ٣٢٥) .

قالَ : « إِنَّ هَـٰذِهِ ٱلْأَقْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ »[1] ، فحذفَ[2] أداةَ التشبيهِ تقويةً للتشبيهِ

ولم أذكُرْ معنى البيتِ الأولِ إلا توطئةً لمعنى البيتِ الثاني .

وكذلكَ قولُهُ : (وآنُفَنا بينَ ٱللِّحَىٰ والحواجبِ) أي : لعزَّتِنا عليهِم وحمايتِهِم عنَّا كانَتْ أنوفُنا بينَ لِحاهُم وحواجبِهِم ، وليسَ المرادُ : أنَّ أنوفَ هـٰؤلاءِ بينَ لِحىٰ أولـٰئكَ وحواجبِهِم ، وإنَّما المرادُ : أنَّا أعزَّاءُ عليهِم ، فليسَ للجوارحِ هنا مجالٌ ، ولا يُتوَهَّمُ ذلكَ .

فإذا سمعَ قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنِّي لَأَجِدُ نَفَسَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِنْ قِبَلِ ٱلْيَمَنِ »[3] . . نفى الظاهرَ الذي لا يكونُ إلا بواسطةِ الجسمِ والعضوِ ، وأوّلَ أنَّ أهلَ اليمنِ مُتَّبِعُونَ لشرائعِ اللهِ تعالىٰ ، موافقونَ لهُ فيما يُوجِبُهُ عليهِم ، مؤمنونَ ببواطِنِهم وظواهرِهِم ، متواضعونَ للهِ ولرسولِهِ وللمؤمنينَ ، رحماءُ بينَهُم[4] ، وهمُ المَعْنيُّونَ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، وهم أبو موسى الأشعريُّ ورَهْطُهُ ، دلَّ علىٰ ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « هُمْ قَوْمُكَ يَا غُلَامُ »[5] ، وسيأتي الكلامُ في ذلكَ في فضائلِ أبي الحسنِ الأشعريِّ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[6]

ويُؤيِّدُ هـٰذا التأويلَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْإِيمَانُ يَمَانٍ ،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٧٠) ، ومسلم (١٤٥٩/ ٣٩) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٢) أي : في البيت .

(٣) سبق تخريجه (١/ ١٧٠) .

(٤) انظر ما سبق تعليقاً في (١/ ١٧٠) .

(٥) سيأتي تخريجه في بابه (١/ ٣٢٠) .

(٦) انظر (١/ ٣١٩ـ٣٢٣) .

وَٱلْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ ، وَٱلسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ ٱلْيَمَنِ ، وَٱلْخُيَلَاءُ فِي ٱلْفَدَّادِينَ أَهْلِ ٱلْوَبَرِ قِبَلَ مَطْلِعِ ٱلشَّمْسِ »(١)

ولو تصدَّيْنا لإحصاءِ ما وردَ عنِ العربِ ممَّا لا تُريدُ بهِ ما يستحيلُ مِنْ ظاهرِهِ . . لطالَ ، ولـٰكنَّ هـٰذا أُنْموذَجٌ منهُ ، وعُنوانٌ عليهِ .

وكأنِّي بمَنْ قلَّ محصولُهُ ، ولم تُثمرْ فروعُ نظرِهِ حيثُ لم تُسْقَ بماءِ الفهمِ أصولُهُ . . يُشنِّعُ عليَّ ، ويتقدَّمُ بالمَساءةِ إليَّ ، ويقولُ : كيفَ تستدلُّ علىٰ معاني الكتابِ العزيزِ بالشعرِ ؟! وكيفَ تتأوَّلُ شيئاً مِنْ كلامِ اللهِ دليلُنا فيهِ قولُ جِلْفٍ مِنَ الأجلافِ ؟!

فالجوابُ عنهُ : ما روى ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : أنَّ رجلاً سألَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أيُّ علمِ القرآنِ أفضلُ ؟ قالَ : « عَرَبِيَّتُهُ ، فَٱلْتَمِسُوهَا فِي ٱلشِّعْرِ »(٢) .

قالَ الإمامُ أبو الحسنِ الماورديُّ : (إنَّما خصَّ العربيةَ ؛ لاختصاصِها بإعجازِ القرآنِ ، وأحالَ على الشعرِ ؛ لأنَّهُ ديوانُ كلامِهِم ، وشواهدُ معانيهِم)(٣) .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (إذا أشكلَ عليكُم شيءٌ مِنْ كتابِ اللهِ فالتمسوهُ في الشعرِ ؛ فإنَّ الشعرَ ديوانُ العربِ)(٤) .

* * *

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٤٩٩) ، ومسلم (٨٩/٥٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيهما : « والسكينةُ في أهلِ الغنم » .

(٢) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (١/ ٣٧) ، وفيه : (غريبه) بدل (عربيته) ، وابن عطية في « المحرر الوجيز » (١/ ٤٠) .

(٣) النكت والعيون (١/ ٣٧ـ٣٨) ، وفيه : (إنما خصَّ الغريب ؛ لاختصاصه . . .) .

(٤) أخرجه أبو بكر الأنباري في « إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل » (١/ ٦١ـ٦٢ ، ١٠١) .

استغناء الصحابة عن الخوض في التأويل لما رُكز في فِطَرهم وشاع فيها من معرفة الألفاظ ومدلولاتها

وإذا ثبتَ هٰذا فنقولُ :

كانَتِ الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهُم مُستغنينَ عمَّا خُضْنا فيهِ مِنَ التأويلاتِ ؛ لما رُكِزَ في فِطَرِهِمُ السليمةِ ، وثبتَ في أذهانِهِمُ الصحيحةِ ، وشاعَ فيهِم مِنْ مفهوماتِ الألفاظِ ؛ فإنَّ التأويلَ تفعيلٌ مِنَ المآلِ ؛ يعني : أنَّ الذهنَ آلَ ـ أي : رجعَ ـ عندَما لم يجدْ في ظاهرِهِ ما يساعدُهُ عليهِ التنزيلُ ، كما كانُوا مُستغنينَ عن صنعةِ النحوِ لتصحيحِ ألفاظِهِمُ العربيةِ .

فلمَّا فُتِحَتِ الفتوحاتُ ، ودخلَ الناسُ في دينِ اللهِ أفواجاً . . اختلطَتِ الأعاجمُ بالعربِ على اختلافِ أجناسِهِم وتباينِ ألسنتِهِم ، فمازجَ كلامُهُم كلامَ العربِ ، وهوَ علىٰ ما تراهُ ؛ تارةً يُقدِّمُونَ المضافَ إليهِ على المضافِ ، وتارةً يُقدِّمُونَ الفاعلَ على الفعلِ .

فخشيَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ أنْ يتكيَّفَ أبناءُ العربِ بتلكَ الكيفياتِ ، فتزولَ منهُمُ اللغةُ التي بها نزلَ كتابُ اللهِ ، وبها تُفهَمُ معانيهِ ودَلالاتُ ألفاظِهِ ، فاجتمعَ هوَ وأبو الأسودِ علىٰ ترتيبِ مبادئِ النحوِ ، ثمَّ كمَلَ بعدَ ذلكَ[1] .

ولعلَّهُ رضيَ اللهُ عنهُ لو علمَ أنَّ فهمَ السامعينَ يتطرَّقُ إليهِ الخللُ العظيمُ في إهمالِ مرادِ المُتكلِّمِ مِنْ كلامِهِ ، وجمودِ الذهنِ عن تأويلِ ما يَرِدُ مِنْ ظواهرِ

---

(١) انظر « أخبار النحويين البصريين » (ص١١) ، و« طبقات النحويين واللغويين » (ص٢١ـ٢٦) ، و« إنباه الرواة » (١/ ٣٩ـ٤٥) .

الألفاظِ ، وخمودِ نارِ الفِطْنةِ ؛ لعدمِ الاقتباسِ مِنَ العلماءِ بهاذا الشانِ ، والوقوفِ في ظلماتِ التشبيهِ بعدَ إشراقِ شمسِ البيانِ ، ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور : ٤٠] فلوِ اطَّلعَ رضيَ اللهُ عنهُ على ذلكَ لوضعَ لتصحيحِ المعاني علماً يكونُ وضعُهُ لهُ حُجَّةً على المخالفينَ .

ألا تراهُ لمَّا تكلَّمَ في القَدَرِ مَنْ تكلَّمَ ؛ مِنْ معبدٍ الجُهَنيِّ وغيرِهِ . . ردَّ عليهِ رضيَ اللهُ عنهُ هوَ وغيرُهُ مِنَ الصحابةِ في زمانِهِ بما عندَهُم مِنَ العلمِ بوضعِ اللغةِ ومدلولاتِ الألفاظِ ، ولم يخطُرْ ببالِهِ هوَ ولا غيرُهُ مِنَ الصحابةِ ما صارَ إليهِ هاؤلاءِ المبتدعةُ الضُّلالُ مِنَ القولِ بظواهرِ الكتابِ .

[الشروعُ في ذكرِ مَنْ أوّلَ أو خاضَ في علمِ الكلامِ مِنَ الصحابةِ الكرام][1]

أفلا يتدبَّرونَ القرآنَ ؟! بل عَمُوا عن تأمُّلِ ما قامَ عليهِ البرهانُ ، وهلا اقتدَوْا بجماعةِ الصحابةِ ؛ فالمنقولُ عنهُم ما أنا ذاكرُهُ في هاذا الكتابِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ؛ فأقولُ مُستعِيناً باللهِ :

---

(١) وسيذكر المؤلف لمحة من ذلك مختصرة اختصاراً شديداً، مع الدلالة عليه صراحة أو ضمناً.

[الصحابيُّ الجليلُ أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه]

إنَّ أَوَّلَ مَنْ أَوَّلَ مِنَ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم : المُجلِّي في حَلْبةِ الاستباقِ[١] ، والفائزُ لجميلِ خِلالِهِ بخَصْلِ السباقِ[٢] ، المُنوَّهُ في المحفِلِ العامِّ بشريفِ قدرِهِ ، والمُنبَّهُ علىٰ نباهتِهِ بـ « مَا سَبَقَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثِيرِ صَوْمٍ وَلَا صَلاَةٍ وَلَـٰكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ »[٣]

ومِنْ مناقبِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّهُ أوَّلُ مَنْ جعلَ القرآنَ بينَ الدَّفتينِ وكتبَهُ في المصحفِ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ أمرَ بكَتْبِهِ ، والقصةُ في ذلكَ مذكورةٌ في الصحيحِ ، فلا يُحتاجُ إلىٰ ذكرِها هنا[٤]

وهوَ القائلُ : (العجزُ عنِ الإدراكِ إدراكٌ)[٥] ، فتحقَّقَ بهـٰذا الكلامِ عدمُ الإحاطةِ ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] .

وهوَ القائلُ : (زوَّرتُ في نفسي كلاماً ، فسبقَني إليهِ عمرُ)[٦] ، فهـٰذا

---

(١) المُجلِّي : الذي يصل أوَّلاً في حلبة السباق .

(٢) الخَصْل : إصابة القرطاس بالرمي ، أو أن يقع السهم قريباً من القرطاس ، وقوله : (خلاله) جاءت غير معجمة في (أ) ، فيحتمل أن تكون (جلاله) ، ولعل المثبت أقرب ، والله تعالىٰ أعلم .

(٣) أورده مرفوعاً الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٨٧) ، وأخرجه الحكيم الترمذي في « نوادره » (١٢٧) الأصل : (٢١) من قول بكر بن عبد الله المزني ، وقال العراقي في « المغني » (٧٣) : (لم أجده مرفوعاً . . .) .

(٤) انظر « صحيح البخاري » (٤٦٧٩ ، ٤٩٨٦ ، ٧١٩١) .

(٥) سبق تخريجه (١/ ١٩٨) .

(٦) المشهور : أن القائل هو سيدنا عمر في حق سيدنا أبي بكر رضي الله عنهما . انظر « صحيح=

القولُ منهُ رضيَ اللهُ عنهُ أدلُّ دليلٍ على الكلامِ النَّفْسانيِّ .

وقد تأوَّلَ رضيَ اللهُ عنهُ آياتٍ مِنَ القرآنِ لها ظواهرُ .

فممَّا أوَّلَهُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ . . . ﴾ إلىٰ آخرِها [النصر : ١ـ٣] ، قيلَ : إنَّها لمَّا نزلَتْ بكىٰ ، فتعجَّبَ منهُ الصحابةُ ، فقالَ : هيَ نعيُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(١) .

وتأويلاتُهُ كثيرةٌ يطولُ استقصاؤُها(٢) .

* * *

= البخاري » (٦٨٣٠) ، و« تفسير الرازي » (١/ ٣٥) .

(١) المشهور : أنَّ سيدنا أبا بكر رضي الله عنه بكىٰ عند نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه بقوله : « إنَّ عبداً خيَّرهُ اللهُ بينَ أنْ يؤتيَهُ مِنْ زهرةِ الدنيا ما شاءَ ، وبينَ ما عندَهُ ، فاختارَ ما عندَهُ » ، كما في « صحيح البخاري » (٣٩٠٤) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، دون التقييد بالسورة .
قال ابن عاشور في « التحرير والتنوير » (٣٠/ ٥٩٥) : (ويحتمل أن يكون بكاء أبي بكر تكرَّر مرتين ؛ أولاهما : عند نزول سورة « النصر » كما في رواية « الكشاف » ، والثانية : عند خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه) ، وجاء أيضاً : أن الذي فهم من هـٰذه الآية نعيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو سيدُنا ابن عباس رضي الله عنهما كما في « صحيح البخاري » (٤٢٩٤)، وانظر « تفسير التستري » (ص٢٠٨)، و« الكشاف » (٤/ ٨١٢)، و« الدر المنثور » (٨/ ٦٥٩) وما بعدها .

(٢) وتوفي بالمدينة سنة (١٣هـ) رضي الله عنه .

وثانيهِمُ :

[الصحابيُّ الجليلُ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه]

الذي أعزَّ اللهُ الدينَ بإسلامِهِ ، ووُفِّقَ فوافقَ ربَّهَ في ثلاثٍ مِنْ مشورتِهِ وكلامِهِ[1] ، وهوَ الذي سنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المُنكَرِ ، وغيَّرَ المُنكَرَ باليدِ واللسانِ حين أنكَرَ ، طالما فَرِقَ منهُ الشيطانُ ، وفرَّقَ شملَ أهلِهِ وهوَ الذي قيلَ فيهِ : إنَّ سعادةَ الإسلامِ أُدرِجَتْ معَهُ في الأكفانِ[2]

فمِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : (لو كُشِفَ الغطاءُ ما ازددتُ يقيناً)[3]

ومِنْ مناقبِهِ : أنَّهُ أشارَ علىٰ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ بكَتْبِ القرآنِ بينَ الدَّفتينِ حينَ قُتِلَ القُرَّاءُ باليمامةِ ؛ فكانَ مِنْ كلامِهِ : ما ذكرَهُ أبو عمرٍو عثمانُ بنُ سعيدٍ

---

(١) أشار به : إلىٰ ما أخرجه البخاري (٤٠٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، ومسلم (٢٣٩٩) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وأوصلها بعضهم إلىٰ أكثر من عشرين ، وقد نَظَمها الإمام السيوطي ضمن كتابه « الحاوي للفتاوي » (١/ ٣٧٧ـ ٣٧٨) ، وسمَّىٰ هـٰذه المنظومة : « قطف الثمر في موافقات عمر » ، وانظر « تاريخ الخلفاء » (ص٢٢٤) وما بعدها .

(٢) هو بمعنىٰ ما ورد ؛ ومن ذلك : ما أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣/ ٣٧٣) ، والحاكم (٣/ ٨٤) عن سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : (كان الإسلام في زمان عمر كالرجل المقبل لا يزداد إلا قرباً ، فلمَّا قتل عمر كان كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً) ، ومن ذلك أيضاً : ما أخرجه الطبراني في « الكبير » (٩/ ٢٦ـ٢٧) من حديث سيدنا عثمان بن مظعون رضي الله عنه مرفوعاً : « هـٰذا غَلَقُ الفتنةِ ـ وأشار بيده ـ لا يزالُ بينكُم وبينَ الفتنةِ بابٌ شديدُ الغلقِ ما عاشَ هـٰذا بينَ ظهرانَيْكم » .

(٣) المشهور : أنه من كلام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأورده الإمام القشيري في « رسالته » (ص٤٣٤) من كلام عامر بن عبد قيس ، وانظر « الأسرار المرفوعة » (ص٢٨٦) .

الدانيُّ ؛ أنْ قالَ : (إنِّي خَشِيتُ أنْ يَهلِكَ القرآنُ ـ يعني : يذهبُ حفظُهُ مِنَ الصدورِ ـ فاكتبْهُ . . .) وسردَ القصةَ إلىٰ آخرِها[1] .

أفتُراهُ أيُّها المُبتدِعُ يصفُ الكلامَ القديمَ بقولِهِ : (يهلِكُ) ؟! فتأمَّلْ كلامَ العلماءِ والصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم[2]

* * *

---

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص١٣) ، وقصة جمع القرآن أخرجها البخاري كما سبقت الإشارة إليه في (١/ ٢٢٤) .

(٢) وتوفي بالمدينة سنة (٢٣هـ) رضي الله عنه .

ومنهُمْ :

[الصحابيُّ الجليلُ عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه]

الناسخُ لمصاحفِ الأمصارِ ، والراسخُ القدمِ في مواقفِ الأبرارِ ، المعدودُ ثالثَ الخُلفاءِ الراشدينَ ، والممدودُ إليهِ بالعدوانِ أيدي الحُلفاءِ الحاشدينَ ، الفادي بمُهجتِهِ مُهَجَ المسلمينَ فعلَ الشفيقِ ، والمُنادي حينَ عدا عليهِ العادي : (مَنْ أغمدَ سيفَهُ فهوَ حرٌّ مِنَ الرقيقِ)[1] ؛ أميرُ المؤمنينَ عثمانُ بنُ عفَّانَ رضيَ اللهُ عنهُ .

ومِنْ مناقبِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : ما رواهُ عثمانُ بنُ سعيدٍ[2] ، عن عبدِ الرحمـٰنِ بنِ مَهْديٍّ : حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ ، عنِ الزهريِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ : أنَّ حذيفةَ بنَ اليمانِ قدمَ علىٰ عثمانَ بنِ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُما . . . فذكرَ القصةَ ، وقالَ فيها : فأرسلَ عثمانُ إلىٰ زيدِ بنِ ثابتٍ وإلىٰ عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ وسعيدِ بنِ العاصِ وعبدِ الرحمـٰنِ بنِ الحارثِ ، وأمرَهُم أنْ ينسخُوا الصُّحُفَ في المصاحفِ ، ثمَّ قالَ للرهطِ القرشيِّينَ الثلاثةِ : ما اختلفتُم فيهِ معَ زيدٍ فاكتبوهُ بلسانِ قريشٍ ؛ فإنَّهُ نزلَ بلسانِهِم .

قالَ : ففعلُوا ، حتىٰ إذا نسخُوا الصُّحُفَ في المصاحفِ بعثَ عثمانُ إلىٰ كلِّ أُفُقٍ بمصحفٍ مِنْ تلكَ المصاحفِ التي نسخُوها ، ثمَّ أمرَ بما سوىٰ ذلكَ مِنَ القرآنِ في كلِّ صحيفةٍ أو مصحفٍ . . أنْ يُحرَقَ[3]

---

(١) انظر « البداية والنهاية » (٧/ ١٨١) ، وما سيأتي في (٢/ ٢٦٥) .

(٢) عثمان بن سعيد : هو أبو عمرو الداني السابقُ النقل عنه قبل قليل .

(٣) المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص١٦) ، وأخرجه البخاري (٤٩٨٧) .

تأمَّلْ أرشدَكَ اللهُ ووفَّقَكَ ؛ أترىٰ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ يُقدِمُ علىٰ إحراقِ كلامِ اللهِ القديمِ ؟! تعالى اللهُ أنْ يَحُلَّ كلامُهُ القديمُ في شيءٍ ، وحاشا عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ عدمِ التعظيمِ[1]

(١) وتوفي بالمدينة سنة (٣٥هـ) رضي الله عنه .

ومنهُمْ :

[الصحابيُّ الجليلُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه]

الإمامُ الوارثُ عِلْمَ السنَّةِ والكتابِ ، والنافثُ إذا لفظَ بالحكمةِ وفصلِ الخطابِ ، جعلَهُ الرسولُ منهُ بمنزلةِ هارونَ مِنْ موسىٰ(١) ، فنوَّهَ بقدرِهِ بما ولاهُ وأولاهُ ، وحثَّ الكافَّةَ علىٰ موالاتِهِ بقولِهِ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ »(٢) ، وزادَهُ ما يزيدُ شرفَهُ ، حيثُ بعثَهُ يُنادي بـ (براءةَ) بعرفةَ(٣) ، المقتولُ بيدِ ذي النفسِ الطاغيةِ(٤) ، والمُنتظِمُ في حزبِهِ مَنْ قَتَلَتْهُ الفئةُ الباغيةُ(٥) ، الرادُّ على المبتدعةِ بلسانِهِ وسِنانِهِ ، والمُستفادُ الهدىٰ والنَّدىٰ مِنْ بيانِهِ وبَنانِهِ ، مُطلِّقُ البيضاءِ والصفراءِ(٦) ، والمُفرِّقُ بالزهدِ شملَ الغنىٰ والإثراءِ ؛ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

قالَ أبو القاسمِ عمرُ بنُ الحسينِ بنِ الحسنِ المكِّيُّ في كتابِهِ المُسمَّىٰ « نهايةَ

---

(١) كما أخرجه البخاري (٣٧٠٦) ، ومسلم (٣١/٢٤٠٤) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧١٣) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٨٤١٥) وغيرهما عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه ، وللحديث طرق كثيرة .

(٣) أشار بذلك : إلىٰ ما أخرجه النسائي (٥/٢٤٧) ، والدارمي (١٩٥٦) ، وابن حبان (٦٦٤٥) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وانظر « الدر المنثور » (٤/١٢٢) وما بعدها .

(٤) أشقى الناس ؛ عبدِ الرحمـٰن بن ملجم المرادي .

(٥) وهو سيدنا الصحابي بن الصحابي عمار بن ياسر رضي الله عنهما ، وفي الكلام إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٤٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفيه : « ويحَ عمارٍ !! تقتلُهُ الفئةُ الباغيةُ » .

(٦) البيضاء والصفراء : الفضة والذهب ؛ وهو كناية عن الزهد في الدنيا .

المرامِ في علمِ الكلامِ » : (فإنْ قالَ قائلٌ : أخبرُونا عن طبقاتِ المُتكلِّمينَ مِنْ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ .

قلْنا : أوَّلُ مُتكلِّمٍ في الصحابةِ : عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ ؛ لمناظرتِهِ الخوارجَ في مسائلِ الوعدِ والوعيدِ ، ومناظرتِهِ معَ القدريَّةِ في القَدَرِ ، وقد أودعْنا صدرَ الكتابِ ذكرَ مناظراتِهِ)[1] .

قلتُ : وممَّا رُوِيَ عنهُ مِنَ الخوضِ في أصولِ العقائدِ : ما رواهُ الحافظُ أبو نعيمٍ الأصفهانيُّ عنِ النعمانِ بنِ سعدٍ قالَ : كنتُ بالكوفةِ في دارِ الإمارةِ ؛ دارِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ . . إذْ دخلَ علينا نوفُ بنُ عبدِ اللهِ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ بالبابِ أربعونَ رجلاً مِنَ اليهودِ ، فقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : عليَّ بهِم .

فلمَّا وقفُوا بينَ يديهِ قالُوا لهُ : يا عليُّ ؛ صِفْ لنا ربَّكَ هذا الذي هوَ في السماءِ : كيفَ هوَ ؟ وكيفَ كانَ ؟ ومتىٰ كانَ ؟ وعلىٰ أيِّ شيءٍ هوَ ؟

فاستوىٰ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ جالساً ، وقالَ : معشرَ اليهودِ ؛ اسمعُوا منِّي ولا تُبالُونَ ألا تسألُوا أحداً بعدي[2] :

إنَّ ربِّي هذا الأولُ لم يبدُ ممَّا[3] ، ولا تمازجَ مَعْ مَا ، ولا حالٌّ وهماً ، ولا شبحٌ يُتقصَّىٰ ، ولا محجوبٌ فيُحوَىٰ ، ولا كانَ بعدَ أنْ لم يكنْ فيُقالَ : حادثٌ ، بل جَلَّ عن أنْ يُكيِّفَ المُكيِّفُ للأشياءِ كيفَ كانَ ، بل لم يزلْ

---

(١) نهاية المرام في دراية الكلام (ص٦٦٨) ، وأصل الكلام في « أصول الدين » لأبي منصور البغدادي (ص٣٠٧) .

(٢) في « الحلية » : (ولا تبالوا) بدل (ولا تبالون) ، والمثبت علىٰ تقدير الواو حاليةً و(لا) نافيةً .

(٣) في « الحلية » : (هو) بدل (هذا) .

ولا يزولُ لاختلافِ الأزمانِ ، ولا لتقليبِ شانٍ بعدَ شانٍ ، وكيفَ يُوصَفُ بالأشباحِ ، ويُنعَتُ بالألسنِ الفِصاحِ ، مَنْ لم يكنْ في الأشياءِ فيُقالَ : بائنٌ ، ولم يَبِنْ عنها فيُقالَ : كائنٌ ؟!

بل هوَ بلا كيفيَّةٍ ، وهوَ أقربُ مِنْ حبلِ الوريدِ ، وأبعدُ عنِ الشَّبَهِ مِنْ كلِّ بعيدٍ .

لا يخفىٰ عليهِ مِنْ عبادِهِ شُخوصُ لحظةٍ ، ولا كُرورُ لفظةٍ[١] ، ولا ازدلافُ ربوةٍ[٢] ، ولا انبساطُ خَطْوةٍ ، في غسقِ ليلٍ داجٍ ، ولا إدلاجٍ .

لا يتغشَّىٰ عليهِ القمرُ المنيرُ ، ولا انبساطُ الشمسِ ذاتِ النورِ ، بضوئِهما في الكُرورِ ، ولا إقبالُ ليلٍ مقبلٍ ، ولا إدبارُ نهارٍ مدبرٍ ، إلا بما يريدُ مِنْ تكوينِهِ ؛ فهوَ العالِمُ بكلِّ مكانٍ ، وكلِّ حينٍ وأوانٍ ، وكلِّ نهايةٍ ومُدَّةٍ ، والأمدُ إلى الخلقِ مصروفٌ[٣] ، والحدُّ إلىٰ غيرِهِ منسوبٌ .

لم يخلُقِ الأشياءَ مِنْ أصولٍ أوَّليَّةٍ ، ولا بأزليَّةٍ كانَتْ قبلَهُ [بَدِيَّةٍ] ، بل خلقَ ما خلقَ فأقامَ خلقَهُ ، وصوَّرَ ما صوَّرَ فأحسنَ صُورَهُ .

تَوحَّدَ في عُلوِّهِ فليسَ لشيءٍ منهُ امتناعٌ ، ولا لهُ بطاعةِ شيءٍ مِنْ خلقِهِ انتفاعٌ ، إجابتُهُ للداعينَ سريعةٌ ، والملائكةُ في السماواتِ لهُ مطيعةٌ ، علمُهُ بالأمواتِ البائدينَ ، كعلمِهِ بالأحياءِ المنتقلينَ ، وعلمُهُ بما في السماواتِ العُلا ، كعلمِهِ بما في الأَرَضينَ السُّفْلىٰ ، وعلمُهُ بكلِّ شيءٍ .

لا تُحيِّرُهُ الأصواتُ ، ولا تشغلُهُ اللغاتُ ، سميعٌ للأصواتِ المختلفةِ ، بلا

---

(١) أي : رجوعها .
(٢) أي : لا يخفىٰ على الله صعود إنسان أو حيوان ربوةً من الأرض ؛ وهي الموضع المرتفع .
(٣) في « الحلية » : (مضروب) ، وهو الأنسب مع السجعة ، ويحتمل في (أ) ما في « الحلية » رسماً ، إلا أن النقط لا يساعده .

جوارحَ للهِ مُؤتلفةٍ ، مُدبِّرٌ بصيرٌ ، عالمٌ بالأمورِ ، حيٌّ قَيُّومٌ سبحانَهُ .

كلَّمَ موسىٰ تكليماً بلا جوارحَ ولا أدواتٍ ، ولا شفةٍ ولا لَهَواتٍ ، سبحانَهُ وتعالىٰ عن تكييفِ الصفاتِ ، مَنْ زعمَ أنَّ إلـٰهَنا محدودٌ ، فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ ، ومَنْ ذكرَ أنَّ الأماكنَ بهِ تُحيطُ ، لزمَتْهُ الحَيْرةُ والتخليطُ ، بل هوَ المحيطُ بكلِّ مكانٍ .

وإنْ كنتَ صادقاً أيُّها المُتكلِّفُ لوصفِ الرحمـٰنِ ، بخلافِ التنزيهِ في التنزيلِ والبرهانِ . . فصِفْ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ، هيهاتَ !! أتعجزُ عن صفةِ مخلوقٍ مثلِكَ وتصفُ الخالقَ المعبودَ ؟! وإنَّما تُدرَكُ صفةُ ربِّ الهيئةِ والأدواتِ[1] ، فكيفَ بمَنْ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ[2] ، لهُ ما في الأرَضينَ والسماواتِ وما بينَهُما وهوَ ربُّ العرشِ العظيمِ ؟!

سردَ هـٰذا الخبرَ بطولِهِ الحافظُ أبو نعيمٍ في « حليةِ الأولياءِ » في ترجمةِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ[3] .

ومِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ في التنزيهِ للبارئِ جلَّ وعزَّ : (لا يُوصَفُ بوصفٍ ، ولا يُحَدُّ بحدٍّ ، ولا يُقدَّرُ بمقدارٍ ، الذي كيَّفَ الكيفَ لا يُقالُ لهُ : كيفَ ، والذي أيَّنَ الأينَ لا يُقالُ لهُ : أينَ)[4] .

---

(١) في « كنز العمال » (١٧٢) : (وإنما لا تدرك) بزيادة (لا) ، وهو أبلغ وأوضح ، والمثبت موافق لـ « الحلية » .

(٢) في « الحلية » : (من) بدل (بمن) ، وهو أوضح معنىً ؛ أي : فكيف تدرك صفة من لا تأخذه . . . إلخ .

(٣) حلية الأولياء (١/ ٧٢ـ٧٣) ، وقال إثره : (هـٰذا حديث غريب من حديث النعمان ، كذا رواه ابن إسحاق عنه مرسلاً) ، وانظر « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (٩/ ٢٥٣) وما بعدها .

(٤) أورده الشهرستاني في « نهاية الإقدام » (ص١٢٩ـ١٣٠) ، ويقرأ « الأقدام » بفتح الهمزة علىٰ أنه جمع قدم ، وبالكسر علىٰ أنه مصدر . انظر « حاشية العكاري علىٰ شرح السنوسية » =

معنىٰ قولِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : (لا يُوصَفُ بوصفٍ) يعني : بوصفٍ يُكيِّفُهُ بهِ ويحدُّهُ كوصفِ المخلوقِ ؛ لأنَّهُ دلَّ عليهِ كلامُهُ أوَّلاً حيثُ قال : (تعالىٰ عن تكييفِ الصفاتِ) ، وثانياً حيثُ قالَ : (وإنَّما تُدرَكُ صفةُ ربِّ الهيئةِ والأدواتِ) ، واللهُ أعلمُ .

لا كما ظنَّتْ طائفةٌ مِنَ الشيعةِ مِنْ هـٰذا الكلامِ ظاهرَهُ ؛ فقالُوا : لا يجوزُ إطلاقُ الصفاتِ التي يشتركُ فيها هوَ وغيرُهُ إلا ما أطلقَهُ علىٰ نفسِهِ ، لا بمعنى الوصفِ ، لـٰكنَّا نطلقُ الأسماءَ بمعنى الإعطاءِ ، فهوَ [موجودٌ][1] ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ يعطي الوجودَ ، وعالمٌ [وقادرٌ] ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ واهبُ العلمِ للعالِمينَ والقدرةِ للقادرينَ ، حيٌّ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ يُحيي [الموتىٰ] ، قَيُّومٌ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ يُقيمُ العالَمَ ، سميعٌ بصيرٌ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ خالقُ السمعِ والبصرِ[2] .

ويُنسَبُ هـٰذا : إلىٰ محمدِ بنِ عليٍّ الباقرِ[3] ، ولم يثبتْ نقلاً مُتَّصلاً إليهِ ، وهـٰذا المذهبُ ليسَ بصحيحٍ ، ولا يُظَنُّ بالإمامِ محمدِ بنِ عليٍّ اعتقادُ ذلكَ ، واللهُ أعلمُ[4] .

* * *

= (ق/٣٩) ، وانظر ما سيأتي تعليقاً في (١/ ٥٤١) .

(١) في (أ ، ب) : (موجد) .

(٢) انظر « نهاية الإقدام » (ص١٢٩ـ١٣٠) .

(٣) انظر « نهاية الإقدام » (ص١٣٠) ، و« الملل والنحل » (١/ ١٩٣) .

(٤) وتوفي سيدنا علي سنة (٤٠هـ) رضي الله عنه .

ومنهُمْ :

[الصحابيُّ الجليلُ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما]

جَذوةُ الاقتباسِ ، كاشفُ الإلباسِ ؛ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ أبو العباسِ ، مَلِكُ هٰذا الشانِ ، وفارسُ هٰذا المَيْدانِ ، وتُرْجُمانُ القرآنِ ، إليهِ علمُ التأويلِ يؤولُ ، كيفَ لا وقدِ استُجيبَتْ فيهِ دعوةُ الرسولِ : « ٱللَّهُمَّ ؛ فَقِّهْهُ فِي ٱلدِّينِ ، وَعَلِّمْهُ ٱلتَّأْوِيلَ » ؟ ![1] .

روىٰ سفيانُ عن أبي الزِّنادِ قالَ : قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (التفسيرُ علىٰ أربعةِ أوجهٍ : وجهٍ تعرفُهُ العربُ بكلامِها ، وتفسيرٍ لا يُعذَرُ أحدٌ بجهالتِهِ ، وتفسيرٍ يعلمُهُ العلماءُ ، وتفسيرٍ لا يعلمُهُ إلا اللهُ)[2] .

قالَ العلماءُ بالتفسيرِ : (وهٰذا صحيحٌ ؛ أمَّا الذي تعرفُهُ العربُ بكلامِها : فهوَ حقائقُ اللغةِ وموضوعُ كلامِهِم .

وأمَّا الذي لا يَسَعُ [أحداً] جهلُهُ ، ولا يُعذَرُ أحدٌ بجهلِهِ بهِ : فهوَ ما يلزمُ الكافَّةَ في القرآنِ مِنَ الشرائعِ ودلائلِ التوحيدِ .

وأمَّا الذي يعلمُهُ العلماءُ : فهوَ وجوهُ تأويلِ المُتشابهِ وفروعُ الأحكامِ .

وأمَّا الذي لا يعلمُهُ إلا اللهُ : فهوَ ما يجري مَجرى الغيوبِ وقيامِ الساعةِ)[3] .

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٣٤) ، وابن حبان (٧٠٥٥) ، ودون قوله : « وعلِّمه التأويل » البخاريُّ (١٤٣) من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١/ ٧٥) .

(٣) انظر « النكت والعيون » (١/ ٣٦) .

فممَّا أوَّلَهُ رضيَ اللهُ عنهُ : قولُهُ : ﴿ كُرْسِيُّهُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] يعني : علمَهُ ، ذكرَهُ الماورديُّ[١]

وقولُهُ : ﴿ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ [آل عمران : ٧] قالَ : الناسخةُ ، والمتشابهاتُ : المنسوخةُ[٢]

وقولُهُ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] يعني : ما يؤولُ إليهِ يومُ القيامةِ[٣] ، كما قالَ : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [الأعراف : ٥٣] ، ذكرَهُ الماورديُّ في « تفسيرِهِ »[٤]

روى ابنُ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، عنِ ابنِ عباسٍ في قولِهِ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران : ٧] قالَ ابنُ عباسٍ : (أنا ممَّنْ يعلمُ تأويلَهُ)[٥] ، وصدقَ رضيَ اللهُ عنهُ .

وفي قولِهِ : ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [الرعد : ٣٩] قالَ : (يمحو ما يشاءُ مِنْ أمورِ عبادِهِ ، إلا السعادةَ والشَّقاوةَ)[٦] ، وقالَ فيهِ أيضاً : (إنَّهُ يلهمُ الرجلَ فيعملُ بعملِ أهلِ الشَّقاوةِ ، ثمَّ يعملُ بعملِ أهلِ السعادةِ فيمحو ذلكَ ، وبالعكسِ)[٧]

---

(١) النكت والعيون (١/ ٣٢٥) ، وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٥/ ٣٩٧) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص١٢٣) .

(٢) انظر « النكت والعيون » (١/ ٣٦٩) ، وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٦/ ١٧٤ـ١٧٥) .

(٣) لما فيه من الوعد والوعيد . انظر « النكت والعيون » (١/ ٣٧١) .

(٤) النكت والعيون (١/ ٣٧١) ، وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٦/ ١٧٤) .

(٥) أخرجه الطبري في « تفسيره » (٦/ ٢٠٣) ، وابن المنذر في « تفسيره » (٢٥٨) .

(٦) انظر « النكت والعيون » (٣/ ١١٧) ، وأخرجه الطبري في « تفسيره » (١٦/ ٤٧٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٣٩٤) .

(٧) انظر « النكت والعيون » (٣/ ١١٨) ، وهاذا التأويل أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٦/ ٤٨٣) ، والبيهقي في « القضاء والقدر » (١٨٧) .

وفي قولِهِ : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور : ٣٥] : هادي أهلِ السماواتِ والأرضِ[١] .

وفي قولِهِ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ ﴾ [الشورىٰ : ١١] : ليسَ كمثلِ الرجلِ والمرأةِ شيءٌ ، فأعادَ الضميرَ علىٰ واحدِ الأزواجِ ، فكأنَّهُ واللهُ أعلمُ قالَ : ليسَ كمثلِ الزوجِ مِنْ أنفسِكُم شيءٌ ، حكىٰ هـٰذا القولَ أبو الحسنِ الماورديُّ في « النكتِ والعيونِ » تفسيرِهِ[٢] .

ومِنْ أدبهِ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ما روىٰ كُرَيبٌ عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ : أتيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فوجدتُهُ يُصلِّي مِنْ آخرِ الليلِ ، فجئتُ فقمتُ مِنْ خلفِهِ ، فأخذَ بيدي فجعلَني حِذاءَهُ ، فسلَّمَ وانصرفَ ، قالَ : « مَا لَكَ أَجْعَلُكَ حِذَائِي فَتَخْنِسُ ؟! » ، فقلتُ : لا ينبغي لأحدٍ أنْ يقومَ حذاءَكَ وأنتَ رسولُ اللهِ ، فدعا اللهَ أنْ يَزيدَني فقهاً وعلماً[٣] .

* * *

---

(١) انظر « النكت والعيون » (٤/ ١٠٢) ، وأورده فيها أيضاً عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهـٰذا التأويل أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٩/ ١٧٧) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٨٤ ـ ٨٥) .

(٢) النكت والعيون (٥/ ١٩٤) ، ومن جملة ما أوله أيضاً ما ذكرناه تعليقاً في (١/ ٢٢٥) .

(٣) أخرجه بنحوه أحمد (١/ ٣٣٠) ، والحاكم (٣/ ٥٣٤) ، وتخنِسُ : تتأخَّر ، وتوفي سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف سنة (٦٨هـ) .

ومنهُم :

عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُما

قالَ أبو القاسمِ عمرُ بنُ الحسينِ بنِ الحسنِ المكِّيُّ في « كتابِهِ » عندَ الكلامِ علىٰ طبقاتِ المُتكلِّمينَ مِنَ الصحابةِ ؛ قالَ : (ثمَّ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما في كلامِهِ على القَدَريَّةِ وبراءتِهِ منهُم ومِنْ زعيمِهِمُ المعروفِ بمعبدٍ الجُهَنيِّ[١] ، وإنِ ادَّعتِ القدريةُ أنَّ زعيمَهُم واصلَ بنَ عطاءٍ أخذَ مذهبَهُ مِنْ محمدٍ وعبدِ اللهِ بنِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما . . فهٰذا مِنْ بَهَتِهِم وكذِبِهِم ، وكيفَ يُقالُ ذلكَ وواصلٌ قد ردَّ شهادتَهُ عليٌّ وطلحةُ رضيَ اللهُ عنهُما ؟!)[٢]

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٨) .

(٢) نهاية المرام (ص٦٦٨) ، وأصل الكلام في « أصول الدين » للإمام أبي منصور البغدادي (ص٣٠٧) ، وانظر « مرهم العلل المعضلة » (ص٨٤) ، وتوفي سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما بمكة سنة (٧٣هـ) .

ومنهُم :

عائشةُ رضيَ اللهُ عنها

إحدىٰ أمَّهاتِ المؤمنينَ ، المأخوذُ عنها شطرُ الدينِ .

ألا تراها تأوَّلَتْ آيةَ الرؤيةِ أنَّها رؤيةُ جبريلَ عليهِ السلامُ[1]

*

---

(١) أي : رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربَّه في المعراج ، كما في « صحيح مسلم » (١٧٧) ، والآية هي قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٣] ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [التكوير : ٢٣] ، وانظر « شرح صحيح مسلم » للنووي (٣/ ٤ـ٥) ، وتوفيت السيدة عائشة رضي الله عنها بالمدينة سنة (٥٨هـ) .

ومنهُم :

أبو سعيدٍ ـ ويُقالُ : أبو عبدِ الرحمـٰنِ ـ زيدُ بنُ ثابتِ بنِ الضحَّاكِ الخَزْرَجيُّ

وهوَ الذي انتدبَهُ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ لجمعِ القرآنِ بينَ الدَّفتينِ ، قالَ لهُ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : إنَّكَ شابٌّ عاقلٌ لا نتَّهمُكَ ، وقد كنتَ تكتبُ الوحيَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فتتبَّعِ القرآنَ واجمعْهُ .

قالَ زيدٌ : فواللهِ ؛ لو كلَّفُوني نقلَ جبلٍ مِنَ الجبالِ ما كانَ أثقلَ عليَّ ممَّا أمرُوني بهِ مِنْ جمعِ القرآنِ .

قلتُ : كيفَ تفعلُونَ شيئاً لم يفعلْهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟! قالَ : هوَ واللهِ خيرٌ ، فلم يزلْ أبو بكرٍ يُراجعُني حتىٰ شرحَ اللهُ صدري للذي شرحَ صدرَ أبي بكرٍ وعمرَ . . . ، ثمَّ ساقَ بقيةَ القصةِ(١)

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ سنةَ خمسٍ وأربعينَ بالمدينةِ .

---

(١) القصة بطولها في « صحيح البخاري » (٤٩٨٦) .

ومنهُم :

أبو عبدِ الرحمـٰنِ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ الهُذَليُّ رضيَ اللهُ عنهُ

عن علقمةَ قالَ : جاءَ رجلٌ إلىٰ عمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ : إنِّي جئتُكَ مِنْ عندِ رجلٍ يُملي المصاحفَ عن ظهرِ قلبٍ ، ففزِعَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ وغضبَ ، فقالَ : ويحكَ !! انظرْ ما تقولُ ، قالَ : ما جئتُكَ إلا بحقٍّ ، قالَ : مَنْ هوَ ؟ قالَ : عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ ، قالَ : ما أعلمُ أحداً أحقَّ بذلكَ منهُ ، وسأُحدِّثُكَ عن عبدِ اللهِ :

إنَّا سَمَرْنا ليلةً عندَ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ في بعضِ ما يكونُ مِنْ حاجةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ خرجْنا ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يمشي بيني وبينَ أبي بكرٍ ، فلمَّا انتهَينا إلى المسجدِ إذا رجلٌ يقرأُ ، فقامَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يستمعُ إليهِ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ أعتمتَ ، فغمزَني بيدِهِ ؛ اسكتْ ، قالَ : فقرأَ وركعَ وسجدَ وجلسَ يدعو ويستغفرُ ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « سَلْ تُعْطَهْ » ، ثمَّ قالَ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ ٱلْقُرْآنَ رَطْباً كَمَا أُنْزِلَ . . فَلْيَقْرَأْ قِرَاءَةَ ٱبْنِ أُمِّ عَبْدٍ » ، فلمَّا أصبحتُ غدوتُ إليهِ لأُبشِّرَهُ ، فقالَ : سبقَكَ بها أبو بكرٍ ، وما سابقتُهُ إلىٰ خيرٍ إلا سبقَني(١)

ورُوِيَ عنهُ أنَّهُ قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ علِّمْني مِنْ هـٰذا القولِ الطيِّبِ ، فقالَ : « إِنَّكَ غُلاَمٌ مُعَلَّمٌ » ، وأخذتُ مِنْ فيهِ سبعينَ سورةً ما يُنازِعُني فيها أحدٌ(٢)

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٥ـ٢٦) ، وابن خزيمة (١١٥٦) ، والحاكم (٢/ ٢٢٧) .
(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩) ، وابن حبان (٦٥٠٤) .

فقولُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الخبرِ الأولِ : « رَطْباً كَمَا أُنْزِلَ » . . ليسَ المرادُ حقيقةَ ذلكَ ؛ إذِ الرطوبةُ وضدُّها مِنْ وصفِ الأجسامِ ، وإنَّما المرادُ واللهُ أعلمُ : أنَّهُ يُحقِّقُ الحروفَ ، ويُعطي الأداءَ حقَّهُ ، فلا تتغيرُ التلاوةُ عن وضعِها الذي بلَّغَها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ تشبيهاً بالفاكهةِ الرطبةِ التي لم تتغيَّرْ ولم تذبُلْ ، بل هيَ على الحالةِ التي اقتُطِفَتْ عليها رطبةٌ لم تتغيَّرْ[1]

وروىٰ عيسى بنُ زيدٍ ، عن إبراهيمَ النَّخَعيِّ قالَ : مرَّ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ بمكَّةَ ورجلٌ يُحدِّثُهُم عنِ التوراةِ ، فقامَ عندَهُم فسكتَ المُذكِّرُ ، فقالَ عبدُ اللهِ : (ما يُحدِّثُكُم صاحبُكُم . . .) ، وستأتي القصةُ في (بابِ التحذيرِ مِنْ فتنِهِم)[2]

وهوَ مِنَ المشهورينَ بالتأويلِ ، مِنَ المكثرينَ منهُ ، ولم يقنَعْ بذلكَ حتىٰ أثبتَهُ في المصحفِ المنسوبِ إليهِ ، ورأيتُ هـٰذا المصحفَ بخزانةِ جامعِ مصرَ .

قالَ يحيى بنُ معينٍ : (ماتَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ ، أوِ اثنتينِ وثلاثينَ)[3] ، ويُقالُ : إنَّهُ ماتَ وهوَ ابنُ ثلاثٍ وستينَ سنةً .

* * *

---

(١) وفي هـٰذا دليل علىٰ أنَّ ثمة فرقاً بين القراءة والمقروء . انظر الكلام النفيس للإمام الحجة أبي بكر الباقلاني حول هـٰذه المسألة في « الإنصاف » (ص٧٦ـ٨٤) ، وما سيأتي في (٢/ ٣٦٤ـ٣٦٥) .

(٢) انظر (٢/ ٤٨٣ـ ٤٨٤) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٣٣/ ١٩٤) .

ومنهُم :

أبو المنذرِ أُبيُّ بنُ كعبٍ

رُوِيَ عنهُ أنَّهُ قالَ: قالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أُمِرْتُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ » ، فقلتُ : باللهِ آمنتُ ، وعلىٰ يَدِكَ أسلمتُ ، ومنكَ تعلَّمتُ !!

قالَ : فردَّ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ القولَ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ وذُكِرتُ هناكَ ؟! قالَ : « نَعَمْ ، بِٱسْمِكَ وَنَسَبِكَ فِي ٱلْمَلَإِ ٱلأَعْلَىٰ » ، قلتُ : فاقرأْ إذاً يا رسولَ اللهِ[1] ، وفي روايةِ أنسٍ : فجعلَ يبكي ، وقرأَ : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ [يونس : ٥٨][2] .

وعن عبدِ الرحمـٰنِ بنِ أبي ليلىٰ قالَ : قالَ أُبيُّ بنُ كعبٍ رضيَ اللهُ عنهُ : انطلقتُ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فضربَ بيدِهِ صدري ، ثمَّ قالَ : « أُعِيذُكَ بِٱللهِ مِنَ ٱلشَّكِّ وَٱلتَّكْذِيبِ » ، قالَ : ففِضْتُ عَرَقاً ، فكأنِّي أنظرُ إلىٰ ربِّي فَرَقاً[3] .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ أُبيُّ بنُ كعبِ بنِ قيسِ بنِ عُبيدِ بنِ زيدِ بنِ معاويةَ بنِ عمرِو بنِ مالكِ بنِ النجَّارِ[4] .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١/ ٢٠٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٥١) ، واللفظ لهما ، وأخرجه أحمد (٥/ ١٢٢ـ١٢٣) .

(٢) أخرجها البخاري (٤٩٦٠) ، وفيه أنه قرأ عليه : (لم يكن الذين كفروا) ، ومسلم (٧/ ١٥٠) برقم : (٧٩٩/ ١٢٢) ، وتعيين الآية المذكورة ورد في رواية أحمد السابقة وغيره .

(٣) أخرجه بلفظه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٥٢) ، وبنحوه مطولاً مسلم (٨٢٠) .

(٤) انظر « الطبقات الكبرىٰ » لابن سعد (٣/ ٤٩٨) .

وهوَ بَدْريٌّ عَقَبيٌّ ، وهوَ أحدُ الستةِ الذينَ انتهىٰ إليهِمُ القضاءُ في الصحابةِ . اختُلِفَ في وفاتِهِ ، والصحيحُ : أنَّهُ تُوفِّيَ في خلافةِ عثمانَ[1]

وممَّا أوَّلَهُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور : ٣٥] ، قالَ : (مَثَلُ المؤمن)[2]

* * *

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٣/ ١٩٤ـ١٩٥) .

(٢) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٩/ ١٧٨ـ ١٧٩) ، وانظر « النكت والعيون » (٤/ ١٠٢) .

ومنهُم :

أبو عبدِ الرحمـٰنِ معاذُ بنُ جبلٍ الخزرجيُّ

قالَ رضيَ اللهُ عنهُ لمَّا قالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « بِمَ تَحْكُمُ ؟ » ، قالَ : بكتابِ اللهِ ، قالَ : « فَإِنْ لم تَجِدْ ؟ » ، قالَ : بسنَّةِ رسولِ اللهِ ، قالَ : « فَإِنْ لم تَجِدْ ؟ » ، قالَ : أجتهدُ رأيي[1]

قالَ صفوانُ بنُ سُليمٍ : (لم يكنْ يُفتي في مسجدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ غيرُ هـٰؤلاءِ : عمرُ ، وعليٌّ ، ومعاذٌ ، وأبو موسىٰ)[2]

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ بناحيةِ الأُرْدُنِّ في الطاعونِ سنةَ سبعَ عشرةَ أو ثمانِ عشرةَ ، وهوَ ابنُ أربعٍ وثلاثينَ ـ وقيلَ : ثلاثٍ وثلاثينَ ـ سنةً .

قالَ سعيدُ بنُ المُسيِّبِ : (رُفِعَ عيسىٰ عليهِ السلامُ وهوَ ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً ، وتُوفِّيَ معاذُ بنُ جبلٍ وهوَ ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً)[3] ، فاللهُ أعلمُ أيَّ ذلكَ كانَ .

* *

(١) أخرجه بنحوه أبو داود (٣٥٩٢) ، وأحمد (٥/٢٣٦) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٤٤٣٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/٦٦) .

(٣) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣/٥٩٠) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٥٩٤٥) .

ومنهُم :

أبو موسىٰ عبدُ اللهِ بنُ قيسٍ الأشعريُّ

جدُّ الإمامِ أبي الحسنِ ، وسيأتي ذكرُهُ في (بابِ فضلِ الإمامِ أبي الحسنِ) إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[1] .

وأبو موسىٰ وقومُهُ همُ الذينَ قَبِلُوا البشرىٰ إذْ لم يقبلْها بنو تميمٍ ، وسألُوا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في حديثِ عمرانَ بنِ حصينٍ ، فقالُوا : يا رسولَ اللهِ ؛ أخبرْنا عن أولِ هـٰذا الأمرِ ؟ فقالَ : « كَانَ ٱللهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي ٱلذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ . . . » الحديثَ[2]

تُوفِّيَ أبو موسىٰ بالكوفةِ سنةَ اثنتينِ وخمسينَ رضيَ اللهُ عنهُ .

* * *

---

(١) انظر (١/ ٣٢٠) .

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٨٧) ، وقد عقد الإمام الحافظ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » باباً في فضل الأشعريين عامَّةً ، وفضل أبي موسى الأشعري وذريته خاصَّةً ؛ ومنهم الإمام الكبير إمام أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالىٰ ، وانظر ما سيأتي (١/ ٣١٩ـ٣٢٣) .

الباب الرّابع

فيمن رأى الخوض في علم الكلام والتّأويل أو تكلّم في العقائد من التّابعين وتابعيهم

بابٌ
فيمن رأى الخوض في علم الكلام والتأويل أو تكلم في العقائد من التابعين وتابعيهم

ولنقدِّمْ على ذلكَ مُقدِّمةً تظهرُ بها معالمُ الطريقينِ ، وتُستنبَطُ منها أدلَّةُ الفريقينِ ؛ فأقولُ مُستعِيناً باللهِ :

كانَ الصدرُ الأولُ مِنَ التابعينَ وتابعِ التابعينَ يكرهُونَ الخوضَ في المسائلِ والأجوبةِ عنها قبلَ وقوعِها ، مُتَّبِعينَ في ذلكَ سنَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّهُ كانَ يكرهُ السؤالَ عنِ المسائلِ قبلَ وقوعِها ؛ ألا تراهُ في قصةِ عُويمرٍ العَجْلانيِّ لمَّا أمرَ عاصمَ بنَ عديٍّ أنْ يسألَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : لو أنَّ رجلاً وجدَ معَ امرأتِهِ رجلاً أيقتلُهُ معَها أم كيفَ يفعلُ ؟ فسألَ عاصمٌ عن ذلكَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فكرهَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المسألةَ وعابَها ، حتىٰ كبُرَ علىٰ عاصمٍ ما سمعَ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ عاصمٌ لعُويمرٍ : لم تأتِني بخيرٍ ؛ كرهَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المسألةَ وعابَها[1] .

وكانَ عاصمٌ مِنْ جِلَّةِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم ؛ فلا يُقالُ : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كرهَ المسألةَ منهُ لأنَّهُ سألَ مُتعنِّتاً لغيرِهِ ، ولٰكنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كرهَهُ[2] ؛ لأنَّهُ سؤالٌ عنِ الأمرِ قبلَ وقوعِهِ ، ويدُلُّ علىٰ أنَّهُ

---

(١) أخرج القصة البخاري (٤٧٤٥) ، ومسلم (١٤٩٢) من حديث سيدنا سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما ، وانظر « شرح النووي على مسلم » (١٠/ ١٢٠) .

(٢) الضمير يعود على المصدر المفهوم من (سأل) .

كانَ لم يقعْ بعدُ : قولُهُ بعدَ ذلكَ : (إنَّ الذي سألتُ عنهُ قدِ ابتُليتُ بهِ)[1]

فكانُوا يكرهُونَ تقديرَ السؤالِ والجوابِ ، وكانُوا لا يضعُونَ الكتبَ في المسائلِ المفروضِ وقوعُها مِنْ غيرِ حاجةٍ داعيةٍ .

هـٰذا في فروعِ الدياناتِ ؛ كالصلاةِ والزكاةِ والحجِّ والصيامِ والطهارةِ ، فكيفَ بأصولِها التي هيَ عتيدةٌ عندَهُم[2] ، وهيَ مبادئُ أمرِهِم معَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، والأساسُ المُمهِّدُ لما يُبنىٰ عليهِ ويُشيَّدُ ؟!

ولِمَا تقدَّمَ في البابِ قبلَهُ ؛ مِنْ أنَّ ذلكَ مركوزٌ في طباعِهِم ، مُخالِطٌ للحومِهِم ، مُمازِجٌ لدمائِهِم ، لا يحتاجُونَ في ذلكَ إلى استعمالِ أدواتِ النَّظَرِ ، ولا إلىٰ إعمالِ القرائحِ فيهِ والفِكَرِ ، ولا إلىٰ نظمِ عباراتٍ تدُلُّ عليهِ .

هـٰذا معَ كونِ الإسلامِ في قوَّةِ شبابِهِ واستحكامِ ظهورِهِ ، مُؤيَّدٌ أهلُهُ منصورونَ ، لا يهجُمُ عليهِمُ ابتداعٌ ، ولا ينجُمُ في أرضِهِم ناجمُ نفاقٍ[3] . . إلا حُزَّ رأسُهُ وحُصِدَ[4] ؛ لأنَّهُم خيرُ القرونِ ، والرُّشْدُ بهِم مضمونٌ لا مظنونٌ ؛ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خَيْرُ ٱلْقُرُونِ قَرْنِي ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ »[5] ، ولقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَصْحَابِي كَٱلنُّجُومِ ، بِأَيِّهِمُ ٱقْتَدَيْتُمُ ٱهْتَدَيْتُمْ »[6]

وقد قدَّمْنا أنَّ مِنَ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم مَنْ شرعَ في التأويلِ في آياتِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٩٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) في (ب) : (عقيدة) بدل (عتيدة) .

(٣) ينجُم : يطلع .

(٤) ويحتمل في (أ) : (جُزَّ) بدل (حُزَّ) ، وهو مناسب لقوله : (حُصد) .

(٥) أخرجه بنحوه البخاري (٢٦٥١) ، ومسلم (٢٥٣٥) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما .

(٦) سبق تخريجه (١/ ٥٥) .

نقلتُ عنهُم تأويلَها[١] ؛ إشارةً إلىٰ طردِ الحُكمِ في الباقي ، وإيماءً إلىٰ ما لم نذكرْهُ بما ذُكِرَ ، وفتحاً للبابِ ، وعوناً علىٰ فهمِ السنَّةِ والكتابِ ، وهـٰذهِ كرامةٌ لهُم ظهرَتْ آثارُها بعدَ انقراضِهِم باطِّلاعِهِم علىٰ ما يحدُثُ مِنَ البدعِ بعدَهُم ، وإعداداً لمَنْ يُناضِلُ مِنْ أهلِ السنَّةِ أهلَ البدعةِ .

ومنهُم مَنِ اكتفىٰ بفهمِهِ للظواهرِ بالبديهةِ ، ولم يظُنَّ أنَّ أحداً يتخطَّىٰ إلىٰ ما يتخطَّىٰ هـٰؤلاءِ المبتدعةُ إليهِ ، ولا يجترئُ علىٰ ما يجترئُونَ عليهِ .

ثمَّ أتىٰ بعدَ الصحابةِ التابعونَ علىٰ أدراجِهِم ، وسلوكِ سَنَنِهِم ومنهاجِهِم ، واقتفاءِ طريقتِهِم ، فانقسمُوا أيضاً قسمينِ : قسمٌ أوَّلَ وتكلَّمَ في التأويلِ وعلمِ الكلامِ ، لـٰكنْ علىٰ سَنَنِ الأوَّلينَ وبعباراتِهِم ، مِنْ غيرِ تكلُّفِ عباراتِ كعباراتِ المُتكلِّمينَ ولا باصطلاحاتِهِم ، لـٰكنْ بكلامٍ يُحصِّلُ المقصودَ ، وفصاحةٍ تُقرِّبُ البعيدَ ، وتُرشِدُ التائهَ إلىٰ صراطِ العزيزِ الحميدِ[٢] .

* * *

(١) انظر ما سبق (١/ ٢٢٤) وما بعدها .

(٢) وقسمٌ ثانٍ آمن بالمتشابه ، وفوَّض تأويله إلى الله تعالىٰ مع التنزيه المطلق عمَّا يوجب الحد والتشبيه والتجسيم ، ولم يتكلَّم في علم الكلام على الطريقة المذكورة في القسم الأول .

فمِمَّنْ أوَّلَ منهُم :

سعيدُ بنُ جبيرٍ رضيَ اللهُ عنهُ

[. . .][١] فممَّا أوَّلَهُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال : ٢٤] ، قالَ : (يحولُ بينَ المؤمنِ والكفرِ ، وبينَ الكافرِ والإيمانِ)[٢] .

وفي قولِهِ تعالىٰ : ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد : ٣٩] ، قالَ : (يمحو ما يشاءُ مِنْ ذنوبِ عبادِهِ ، ويُثبِتُ ما يشاءُ)[٣]

قتلَهُ الحجَّاجُ سنةَ خمسٍ وتسعينَ ، رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ[٤]

* *

---

(١) هنا بياض في (أ ، ب) ، ولعله من جنس المذكور بعده في الترجمات ، ومما يناسب إيراده : يكنىٰ أبا محمد ، وكان من كبار العلماء في الحلال والحرام والتفسير وغير ذلك ، روىٰ عن ابن عباس فأكثر وجوَّد ، وعائشة وأبي هريرة وغيرهم ، وكان مستجاب الدعوة . انظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٣٢١) وما بعدها .

(٢) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٣/ ٤٦٨) ، وانظر (١/ ١٥٣ـ ١٥٤) .

(٣) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٦/ ٤٨٧) ، وانظر « النكت والعيون » (٣/ ١١٨) ، و(١/ ٢٣٦) .

(٤) انظر خبر مقتله في « البداية والنهاية » (٩/ ٩٦ـ٩٧) .

ومنهُم :

سعيدُ بنُ المُسيِّبِ(١)

روىٰ عن عليٍّ وابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما جميعَ التأويلاتِ ، وكانَ أعلمَ أهلِ زمانِهِ .

قالَ القاسمُ بنُ محمدِ بنِ أبي بكرٍ : (هوَ سيِّدُنا وأعلمُنا)(٢) .

توفِّيَ سنةَ أربعٍ ـ وقيلَ : سنةَ خمسٍ ـ وتسعينَ ، وسُمِّيَتْ تلكَ السنةُ سنةَ الفقهاءِ(٣)

* * *

(١) في ضبط الياء وجهان مشهوران ، واخترنا الكسر ؛ لما يُحكىٰ عنه أنه قال : (سيَّبَ الله من سيَّبَ أبي) .

(٢) أخرجه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (١/ ٤٦٩) ، وابن سعد في « الطبقات » (٢/ ٣٨٠) .

(٣) وذلك لكثرة من مات فيها منهم ؛ فقد مات فيها عامة فقهاء المدينة ؛ ومنهم : علي بن الحسين ، وعروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وأبو بكر عبد الرحمـٰن بن الحارث ، وسليمان بن يسار ، وسعيد بن جبير ، وتأويلاتُ سعيد بن المسيب كثيرة وطافحة في كتب التفسير

ومنهُمْ :

الحسنُ بنُ أبي الحسنِ البصريُّ

يُكنىٰ أبا سعيدٍ ، كانَ أعلمَ أهلِ زمانِهِ بالتأويلِ ، وقد أقرَّهُ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ بالمسجدِ ، وأقامَ مَنْ عداهُ مِنَ القُصَّاصِ[1] ، وكانَ عارفاً بالردِّ على المبتدعةِ .

قالَ أبو القاسمِ عمرُ بنُ الحسينِ بنِ الحسنِ المكِّيُّ في « كتابِهِ » في طبقاتِ المُتكلِّمينَ : (ثمَّ الحسنُ بنُ أبي الحسنِ البصريُّ ، ولهُ رسالةٌ إلىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ في ذمِّ القَدَريَّةِ ، وهوَ الذي طردَ واصلَ بنَ عطاءٍ عن مجلسِهِ عندَ إظهارِهِ البدعةَ ، واعتزلَهُم ، فاعتزلُوهُ ولم ينتهُوا عن بدعتِهِم ، فسُمُّوا المعتزلةَ لهـٰذا)[2]

وقدْ نُقِلَتْ عنهُ تأويلاتٌ :

فممَّا أوَّلَهُ : قولُهُ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] ، قالَ : (وما يعلمُ تأويلَ جميعِ المتشابهِ إلا اللهُ ؛ لأنَّ مِنْ جملةِ المتشابهِ ما لا يعلمُهُ إلا اللهُ عزَّ وجلَّ ، ومنهُ ما يعلمُهُ الناسُ ، فالإحاطةُ بالجميعِ ليسَتْ إلا للهِ عزَّ وجلَّ)[3] .

---

(١) أورده أبو بكر الطرطوشي في « الحوادث والبدع » (ص١١٠) ، وسماع الحسن من سيدنا علي رضي الله عنه رجَّحه الإمام السيوطي تبعاً لغيره في « إتحاف الفرقة » (٢/ ١٠٢ـ١٠٤) ضمن « الحاوي للفتاوي » .

(٢) انظر « نهاية المرام » (ص٦٦٨) ، و« أصول الدين » (ص٣٠٧) .

(٣) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (١/ ٣٧١) .

وفي قولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، قالَ : (أو يأتيَ أمرُ ربِّكَ بالعذابِ)[١] .

وفي قولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [الرعد : ٣٩] ، قالَ : (يمحو مَنْ جاءَ أجلُهُ ، ويُثبِتُ مَنْ لم يأتِ أجلُهُ)[٢]

وفي قولِهِ تعالىٰ : ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ [يس : ٧١] ؛ يعني : قوَّتُنا ، وكذلكَ قولُهُ : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ ﴾ [الذاريات : ٤٧] ؛ أي : قوَّةٍ[٣] ، وكذلكَ قولُهُ : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] ، وهـٰذهِ الآيةُ فيها مزيدُ تشريفٍ لآدمَ عليهِ السلامُ .

تُوفِّيَ الحسنُ بالبصرةِ سنةَ عشرٍ ومئةٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

* * *

---

(١) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (٢/ ١٩٠) .

(٢) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (٣/ ١١٨) .

(٣) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (٥/ ٣١) .

[ومنهُم :

مجاهدُ بنُ جبرٍ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ]

وممَّنْ نُقِلَ عنهُ التأويلُ وهوَ غريبٌ[1] : مجاهدٌ[2]

فممَّا أوَّلَهُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، قالَ : (أو يأتيَ قضاءُ ربِّكَ) ، نقلَهُ الماورديُّ في « العيونِ والنكتِ »[3]

*

---

(١) ولعل وجه الغرابة : كونه فسَّر المقام المحمود بالجلوس ، مع أنه روي عنه أنه الشفاعة . انظر « تفسير الطبري » (٥٢٧/١٧ ، ٥٢٩) .

(٢) وتوفي سنة (١٠٢هـ) ، وقيل غير ذلك ، وانظر ترجمته في « سير أعلام النبلاء » (٤٤٩/٤) وما بعدها .

(٣) النكت والعيون (١٩٠/٢) .

ومنهُم :

أبو البَخْتَرِيِّ سعيدُ بنُ فيروزَ[1]

روىٰ زيدُ بنُ جبيرٍ قالَ : قالَ لي أبو البَخْتَرِيِّ : (لا تقلْ : « واللهِ حيثُ كانَ » فإنَّهُ بكلِّ مكانٍ)[2] .

قُتِلَ أبو البَخْتَرِيِّ معَ القُرَّاءِ يومَ ديرِ الجماجمِ[3]

---

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٢٧٩ـ٢٨٠) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٣٨٠) ، وانظر « مصنف ابن أبي شيبة » (١٢٥٣٩ ، ١٢٥٤٠) ، والمرادُ مِنَ العبارة : التدبير والحفظ والحراسة والعلم ، وليس المراد منها ظاهرها ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٠٦) .

(٣) وكان ذلك سنة (٨٢هـ) انظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٢٨٠) ، وتفاصيل هـٰذه الوقعة في « تاريخ الإسلام » (٦/ ٨) وما بعدها .

ومنهُم :

عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ(١)

قالَ ضياءُ الدينِ المكِّيُّ في طبقاتِ المُتكلِّمينَ : (وأوَّلُ مُتكلِّمي أهلِ السنَّةِ مِنَ التابعينَ : عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، ولهُ رسالةٌ بليغةٌ في الردِّ على القَدَريَّةِ)(٢) ، وشهرتُهُ رضيَ اللهُ عنهُ تُغني عنِ الإطنابِ والاستيعابِ في وصفِهِ .

تُوفِّيَ لستٍّ بقينَ مِنْ رجبٍ سنةَ إحدىٰ ومئةٍ .

* * *

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (٥/ ١١٤) وما بعدها .

(٢) نهاية المرام (ص٦٦٨) ، وانظر « أصول الدين » (ص٣٠٧) ، وقد روىٰ هٰذه الرسالة أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٤٦ـ٣٥٣) ، وانتقىٰ كلماتٍ منها ابنُ الجوزي في « سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز » (ص٦٤) .

ومنهُم :

عامرُ بنُ شَراحيلَ الشَّعْبيُّ[(١)]

عدَّهُ المكِّيُّ أيضاً في طبقةِ أقرانِهِ مِنَ المُتكلِّمينَ ، وقالَ : (كانَ أشدَّ الناسِ على القَدَريَّةِ)[(٢)]

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٢٩٤) وما بعدها .
(٢) نهاية المرام (ص٦٦٨) ، وانظر « أصول الدين » (ص٣٠٧) .

[ومنهُمْ :

التابعيُّ الجليلُ ابنُ شهابٍ الزُّهْريُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ]

قالَ : (ثمَّ الزُّهْريُّ[1] ، وهوَ الذي أفتىٰ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ بسفكِ دماءِ القَدَريَّةِ)[2]

تُوفِّيَ الزُّهْرِيُّ [سنةَ أربعٍ وعشرينَ ومئةٍ][3]

---

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (٥/٣٢٦) وما بعدها .

(٢) نهاية المرام (ص٦٦٨) ، وانظر « أصول الدين » (ص٣٠٧) .

(٣) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٥/٣٤٩ـ٣٥٠) ، و« الوفيات » لابن قنفذ (ص١١٨ـ١١٩) .

ومنهُمْ :

السيدُ الإمامُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الإمامِ
الحسينِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ

ويُقالُ لهُ : عليٌّ الأصغرُ ، وليسَ للحسينِ رضيَ اللهُ عنهُ عقبٌ إلا مِنْ ولدِ الإمامِ أبي الحسنِ عليٍّ المذكورِ ، وهوَ المُلقَّبُ (زينَ العابدينَ) .

قالَ الزُّهْريُّ : (ما رأيتُ قرشيّاً أفضلَ منهُ)(١) .

ومِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : ما ذكرَهُ جمالُ الإسلامِ محمدُ بنُ عبدِ الكريمِ الشَّهْرَسْتانيُّ في كتابِ « نهايةِ الإقدامِ » ؛ قالَ : (. . . نقولُ مُتبرِّكينَ بألفاظِ الصالحينَ ، وهيَ كلماتٌ مُلتقَطةٌ مأثورةٌ مِنْ دعاءِ زينِ العابدينَ رضوانُ اللهِ عليهِ :

يا مَنْ لا يبلُغُ أدنىٰ ما استأثرتَ بهِ مِنْ جلالِكَ وعزَّتِكَ أقصىٰ نعتِ الناعتينَ ، يا مَنْ قصُرَتْ عن رؤيتِهِ أبصارُ الناظرينَ ، وعجَزَتْ عن نعتِهِ أوهامُ الواصفينَ ، يا مَنْ لا تراهُ العيونُ ، ولا تُخالِطُهُ الظنونُ ، ولا يصفُهُ الواصفونَ ، أنتَ كما أثنيتَ علىٰ نفسِكَ ووصفتَ بهِ نفسَكَ .

ضلَّتْ فيكَ الصفاتُ ، وتقسَّمَتْ دونَكَ النُّعُوتُ ، وحارَتْ في كبريائِكَ لطائفُ الأوهامِ والعقولُ .

أنتَ الأوَّلُ في أزليَّتِكَ ، وعلىٰ ذلكَ أنتَ دائمٌ لا تزولُ ، وأنتَ الآخرُ في أبديَّتِكَ وكذلكَ أنتَ قائمٌ لا تحولُ ، وأنتَ الظاهرُ فما احتجبتَ عن شيءٍ ،

---

(١) أخرجه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (١/ ٥٤٤) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١/ ٣٧١) .

وأنتَ الباطنُ فما اختفيتَ في شيءٍ ، ولا تُغيِّرُكَ الدُّهُورُ ، ولا تُبليكَ الأمورُ ، ولا يَعتورُكَ الزمانُ ، ولا يحويكَ المكانُ ، ولا يشغلُكَ شانٌ عن شانٍ ، كذلكَ أنتَ اللهُ لا إلـٰهَ إلا أنتَ ، لكَ الأسماءُ الحسنىٰ ، والمَثَلُ الأعلىٰ ، والكلمةُ العُلْيا .

أنزلتَ الكتبَ بالحقِّ ، وأرسلتَ الرسلَ بالصدقِ ، وختمتَهُم بآخرِهِم عصراً ، وأوَّلِهِم مأثرةً وذكراً ؛ محمدٍ المصطفىٰ .

اللَّهمَّ ؛ اكتبْ لي هـٰذهِ الشهادةَ عندَكَ ، واجعلْها عهداً تُوفِّيهِ إليَّ يومَ القيامةِ وقد رضيتَ عنِّي يا أرحمَ الراحمينَ)[1]

وُلِدَ زينُ العابدينَ رضيَ اللهُ عنهُ يومَ الجمعةِ سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ في قبةِ العباسِ ، وتُوفِّيَ سنةَ أربعٍ وتسعينَ ، وقيلَ : سنةَ تسعٍ وتسعينَ ، ودُفِنَ بالبقيعِ في قبرِ عمِّهِ الحسنِ بنِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُم أجمعينَ .

* * *

---

(١) نهاية الإقدام (ص٥٠٤) ، وفيه : (تؤديه لي) بدل (توفيه إلي) ، وفي (ب) : (توفيه لي) .

ومنهُمْ :

السيدُ الإمامُ زيدُ بنُ عليٍّ بنِ الحسينِ المذكورِ

قالَ أبو القاسمِ المكِّيُّ حينَ ذكرَ طبقاتِ المُتكلِّمينَ ؛ قالَ : (ثمَّ زيدُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، ولهُ كتابٌ في الردِّ على القَدَريَّةِ مِنَ القرآنِ ، ثمَّ رسالةٌ إلىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ في ذمِّ القَدَريَّةِ ، وطردَ واصلَ بنَ عطاءٍ عن مجلسِهِ عندَ إظهارِ بدعتِهِ)[1]

وبالجملةِ : فهـٰذهِ الطريقةُ التي سلكَها مُتأخِّرو الحنابلةِ وانتحلَها مَنْ بعدَهُم مِنَ المعاصرينَ . . لم يقلْ بها أحدٌ مِنَ السلفِ لا مِنَ الصحابةِ ولا مِنَ التابعينَ ، ومَنْ نقلَها عن أحدٍ مِنَ السلفِ فقدِ افترىٰ وخابَ ، وأتىٰ بالبُهْتِ والكِذابِ .

* * *

---

(١) نهاية المرام (ص٦٦٨) ، وانظر « أصول الدين » (ص٣٠٧) ، وقوله : (ثم رسالةٌ إلىٰ عمر بن عبد العزيز . . .) إلىٰ آخره : ليس وارداً في « نهاية المرام » في حق زيد بن علي ، وإنما ورد في حق الحسن البصري كما سبق قبل قليل ، وذكرُ الحسن البصري جاء بعد ذكر زيد بن علي مباشرةً ، فلعل نظر المؤلف انتقل إليه فدمج بين الكلامين ، والله تعالىٰ أعلم .

الباب الخامس

في ذكر من تأوّل ومن تكلم في التنزيه وخاض في علم الكلام من الطّبقة الثّانية من التّابعين وتابعيهم

بابٌ
في ذكر من تأوّل ومن تكلم في التنزيه وخاض في علم الكلام من الطّبقة الثّانية من التابعين وتابعيهم

فمنهُمْ :

الإمامُ جعفرُ بنُ محمدٍ الصادقُ رضيَ اللهُ عنهُ

قالَ صاحبُ « نهايةِ المرامِ في علمِ الكلامِ » في طبقاتِ المُتكلِّمينَ : (ومِنْ بعدِ هٰذهِ الطبقاتِ : جعفرُ بنُ محمدٍ الصادقُ ، ولهُ كتابٌ في الردِّ على القَدَريَّةِ ، وكتابٌ في الردِّ على الخوارجِ ، ورسالةٌ في الردِّ على الغُلاةِ مِنَ الرافضةِ)[١] .

ومِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (مَنْ زعمَ أنَّ اللهَ تعالىٰ في شيءٍ ، أو مِنْ شيءٍ ، أو علىٰ شيءٍ . . فقد أشركَ ؛ لو كانَ علىٰ شيءٍ لكانَ محمولاً ، ولو كانَ في شيءٍ لكانَ محصوراً ، ولو كانَ مِنْ شيءٍ لكانَ مُحدَثاً)[٢]

وقالَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ دَنَا﴾ [النجم : ٨] : (مَنْ تَوهَّمَ أنَّهُ بنفسِهِ دنا فقدْ جعلَ ثَمَّ مسافةً ، إنَّما التدلِّي : أنَّهُ كلَّما قرَّبَهُ منهُ بعَّدَهُ عن أنواعِ المعارفِ[٣] ؛

(١) نهاية المرام (ص٦٦٨) ، وانظر « أصول الدين » (ص٣٠٧ـ٣٠٨) .

(٢) أورده الباقلاني في « الإنصاف » (ص٤٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٩٤) ، وابن السبكي في « الطبقات » (٩/ ٤٢ـ٤٣) .

(٣) في (ب) : (العالم) بدل (المعارف) .

إذْ لا دنوَّ ولا بُعْدَ عندَهُ)[1]

تُوفِّيَ الإمامُ جعفرُ بنُ محمدٍ [سنةَ ثمانٍ وأربعينَ ومئةٍ][2] ، رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ .

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٩٥) ، وعزاه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٨٤) للواسطي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وانظر « الوفيات » لابن قنفذ (ص١٢٦ـ١٢٧) .

ومنهُم :

أبو سعيدٍ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ مهديٍّ

وشهرتُهُ تُغني عنِ الإكثارِ في وصفِهِ .

رویٰ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ عمرَ قالَ : سمعتُ عبدَ الرحمـٰنِ يقولُ لفتىً مِنْ ولدِ جعفرِ بنِ سليمانَ الهاشميِّ ـ وكانَ يألَفُ حلقتَهُ ـ حينَ قامَ الناسُ : مكانَكَ ، فقعدَ حتىٰ تفرَّقَ الناسُ ، فقالَ لهُ : يا بُنيَّ ؛ قد تعرفُ ما في هـٰذهِ الكُورةِ مِنَ الأهواءِ والاختلافِ[1] ، كلُّ ذلكَ يجري منِّي علىٰ بالٍ رَخِيٍّ ، إلا أمْرَكَ وما بلغَني عنكَ ؛ فإنَّ الأمرَ لا يزالُ هيِّناً ما لم يصلْ إليكُم ـ يعني : السلطانَ ـ فإذا صارَ إليكُم جلَّ وعظُمَ ، قالَ : يا أبا سعيدٍ ؛ وما ذاكَ ؟ قالَ : بلغَني أنَّكَ تتكلَّمُ في الربِّ تصفُهُ وتُشبِّهُهُ ، قالَ الغلامُ : [نعم يا أبا سعيدٍ ، نظرْنا فلم نرَ مِنْ خلقِ اللهِ أحسنَ ولا أولىٰ مِنَ الإنسانِ ، فأخذَ يتكلَّمُ في الصفةِ ، فقالَ لهُ عبدُ الرحمـٰنِ : رويدَكَ يا بُنيَّ حتىٰ نتكلَّمَ أولَ شيءٍ في المخلوقِ ، فإن عجَزْنا عنِ المخلوقِ فنحنُ عنِ الخالقِ أعجزُ .

أخبِرْني عن حديثٍ حدَّثنيهِ شعبةُ عنِ الشيبانيِّ قالَ : سمعتُ سعيدَ بنَ جبيرٍ قالَ : قالَ عبدُ اللهِ في قولِهِ : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم : ١٨] قالَ : رأىٰ جبريلَ لهُ ستُّ مئةِ جناحٍ ، فبقيَ الغلامُ ينظرُ ، فقالَ لهُ عبدُ الرحمـٰنِ : يا بُنيَّ ؛ فإنِّي أُهوِّنُ عليكَ المسألةَ ، وأضعُ عنكَ خمسَ مئةٍ وسبعاً وتسعينَ جناحاً ، صِفْ لي خلقاً بثلاثةِ أجنحةٍ رُكِّبَ الجناحُ الثالثُ منهُ موضعاً غيرَ الموضعينِ اللذينِ ركَّبَهُما اللهُ عزَّ وجلَّ حتىٰ أعلمَ .

---

(١) في (ب) : (تفرق) بدل (تعرف) .

فقالَ : يا أبا سعيدٍ ؛ قد عجَزْنا عن صفةِ المخلوقِ ونحنُ عن صفةِ الخالقِ أعجزُ ، فأُشهِدُكَ أنِّي قد رجعتُ عن ذاكَ وأستغفرُ اللهَ[1] .

* * *

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٨) .

ومنهُمْ :

الإمامُ محمدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ

روىٰ عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ ناجيةَ قالَ : سمعتُ محمدَ بنَ مسلمِ بنِ وارةَ يقولُ : قدمتُ مِنْ مصرَ ، فأتيتُ أبا عبدِ اللهِ أحمدَ ابنَ حنبلٍ أُسلِّمُ عليهِ ، قالَ : كتبتَ كُتُبَ الشافعيِّ ؟ قلتُ : لا ، قالَ : فرَّطتَ ، ما علِمْنا المجملَ مِنَ المفصَّلِ ، ولا ناسخَ حديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ منسوخِهِ حتىٰ جالسْنا الشافعيَّ ، قالَ : فحملَني ذلكَ إلىٰ أن رجعتُ إلىٰ مصرَ] ، فكتبتُها ثمَّ قدمتُ(١) .

وقالَ أبو أيوبَ البصريُّ : كنتُ عندَ أحمدَ ابنِ حنبلٍ نتذاكرُ في مسألةٍ ، فقالَ رجلٌ لأحمدَ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ لم يصحَّ فيهِ حديثٌ ، فقالَ : إنْ لم يصحَّ فيهِ حديثٌ ففيهِ قولُ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ(٢) .

وقالَ أبو ثورٍ : (كنتُ أنا وإسحاقُ ابنُ راهُويَهْ وحسينٌ الكَرَابيسيُّ ـ وذكرَ جماعةً مِنَ العراقيينَ ـ ما تركْنا بدعتَنا حتىٰ رأَيْنا الشافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ)(٣) .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٩٧)، والواضح أن ثمة انقطاعاً بين قوله : (قال الغلام) السابق و(فكتبتها ثم قدمت) ، فاستدركته بما يتوافق مع السياق والسباق ، وجاء قوله : (قال الغلام) خاتمة نصف اللوحة ، فلعل الظاهر أنه سقط النصف الآخر ، والله أعلم .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في « آداب الشافعي ومناقبه » (ص٨٦) ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ١٥٤) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢/ ٦٤ـ٦٥) ، وفي « مناقب الشافعي » : (أبو تراب) بدل (أبو أيوب) .

(٣) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ٢٦٤) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/ ٦٥) ، وابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص١٤٣ـ١٤٤) ، والمراد بالبدعة : كونهم مسترسلين في الرأي مغرقين فيه .

وعنِ ابنِ بنتِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : سمعتُ أبي يقولُ : سمعتُ الشافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (نظرتُ في دَفَّتَيِ المصحفِ ، فعرفتُ مرادَ اللهِ منهُ إلا حرفينِ)[١]

وهٰذا دليلٌ علىٰ خوضِهِ في التأويلِ ومعرفتِهِ لهُ ، وكيفَ لا وقد قالَ حرملةُ : اجتمعَ حفصٌ الفردُ ومصلانُ الإباضيُّ عندَ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ في دارِ الجَرَوِيِّ وأنا حاضرٌ ، فاختصمَ حفصٌ ومصلانُ ، فعلا حفصٌ علىٰ مصلانَ وقويَ عليهِ ، فجثا الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ وتقلَّدَ المسألةَ علىٰ أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ ، ويزيدُ وينقصُ ، فطحنَ حفصاً وقطعهُ ؟ ![٢]

وقالَ هارونُ بنُ سعيدٍ : (لو أنَّ الشافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ ناظرَ علىٰ هٰذا العمودِ مِنْ حجارةٍ أنَّهُ مِنْ خشبٍ . . لغَلَبَ ؛ [لاقتدارِهِ] على المناظرةِ)[٣]

وقالَ محمدٌ : (ما رأيتُ أحداً يناظرُ الشافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ إلا رحمتُهُ معَ الشافعيِّ)[٤]

قالَ الحافظُ أبو نعيمٍ الأصفهانيُّ في كتابِهِ ، عنِ الصاحبِ بنِ عبَّادٍ : أنَّهُ ذكرَ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١٠٤) ، والبيهقي في « أحكام القرآن » (٢/ ١٩٠) ، وأحد هٰذين الحرفين : قوله تعالىٰ : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّـٰهَا ﴾ [الشمس : ١٠] ، والثاني نسيه الراوي عنه .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١/ ٢٢١) ، وفيه بيان المسألة المختصم فيها ؛ وهي : هل الإيمان يزيد وينقص ؛ وهل هو قول وعمل ؟ وانظر خبر حفص الفرد مع الإمام الشافعي في « تبيين كذب المفتري » رقم : (٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣) .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢/ ٦٥) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١/ ٣٧٦) ، وفي نسختينا : (في اقتداره) بدل (لاقتداره) ، والمثبت من « تاريخ بغداد » و« تاريخ دمشق » .

(٤) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (١/ ٢٠٩) ، ومحمد : هو ابن عبد الله بن عبد الحكم .

في كتابِهِ بإسنادِهِ عن إسحاقَ أنَّهُ قالَ : قالَ أبي : كلَّمَ الشافعيُّ يوماً بعضَ الفقهاءِ ، فدقَّقَ عليهِ وحقَّقَ ، وطالبَ وضيَّقَ ، فقلتُ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ هٰذا لأهلِ الكلامِ لا لأهلِ الحلالِ والحرامِ !! فقالَ : أحكمْنا ذاكَ قبلَ هٰذا[1]

[وقالَ الحافظُ أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ بإسنادِهِ عن أبي أحمدَ محمدِ بنِ روحٍ قالَ : كُنَّا علىٰ بابِ الشافعيِّ نتناظرُ في] الكلامِ[2] ، فخرجَ إلينا فسمعَ بعضَ ما كُنَّا فيهِ ، ثمَّ رجعَ ، فما خرجَ إلينا إلا بعدَ سبعةِ أيامٍ .

ثمَّ خرجَ فقالَ : ما منعَني مِنَ الخروجِ إليكُم علَّةٌ عَرَضَتْ ، ولٰكنْ لِمَا سمعتُكُم تتناظرونَ فيهِ ، أتظنُّونَ أنِّي لا أحسنُهُ ؟! لقد دخلتُ فيهِ حتىٰ بلغتُ منهُ مَبْلغاً ، وما دخلتُ في شيءٍ إلا بلغتُ منهُ مبلغاً ، حتى الرميَ ؛ كنتُ أرمي بينَ الغَرضَينِ فأصيبُ مِنْ عشرةٍ تسعةً . . . ثمَّ ذكرَ ما في الحديثِ بطولِهِ[3]

كانَ رضيَ اللهُ عنهُ أعلمَ أهلِ زمانِهِ بالتأويلِ ، وحملِ الأحاديثِ والأقاويلِ .

فممَّا أوَّلَهُ : قولُهُ : ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ . . . وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران : ٧] ، قالَ : (المحكمُ : ما لم يحتملْ مِنَ التأويلِ إلا وجهاً واحداً ، والمتشابهُ : ما احتملَ أوجهاً)[4] .

وجدتُ في إملاءِ الشيخِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ ابنِ النعمانِ[5] ، المُسمَّىٰ :

---

(١) انظر « مناقب الشافعي » (١/ ٤٥٧) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٦١٣) .

(٢) ما بين معقوفين غير واضح في (أ) بسبب رداءة التصوير ، وقد أثبتناه علىٰ مثيل ما قبله نقلاً عن « التبيين » (ص٦١٥) .

(٣) انظر « مناقب الشافعي » (١/ ٤٥٩) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٦١٥ ـ ٦١٦) ، وفي (ب) : (ثم ذكرنا في الحديث نظره) ، وهو تحريف عما ورد في (أ) ، وباقي الخبر بعد قوله : (تسعةً) : (ولٰكن الكلام لا غاية له ، تناظروا في شيءٍ إن أخطأتم فيه يقال لكم : أخطأتم ، ولا تناظروا في شيء إن أخطأتم فيه يقال لكم : كفرتم) .

(٤) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (١/ ٣٦٩) .

(٥) صاحب كتاب « مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام » ، وابن النعمان من كبار أولياء =

« رياضَ المُوحِّدينَ » قالَ : سُئِلَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ عن صفاتِ اللهِ .

فقالَ : حرامٌ على العقولِ أنْ تُمثِّلَ اللهَ تعالىٰ ، وعلى الأوهامِ أنْ تحُدَّهُ ، وعلى الظنونِ أنْ تقطعَ ، وعلى النفوسِ أنْ تُفكِّرَ ، وعلى الضمائرِ أنْ تُعمِّقَ ، وعلى الخواطرِ أنْ تُحيطَ ، وعلى العقولِ أنْ تعقلَ . . إلا ما وصفَ بهِ نفسَهُ علىٰ لسانِ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] .

ومِنْ فضائلِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ : ما رواهُ أبو ثورٍ قالَ : كنتُ مِنْ أصحابِ محمدِ بنِ الحسنِ ، فلمَّا قَدِمَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ جئتُ إلىٰ مجلسِهِ شبهَ المستهزئِ ، فسألْتُهُ عن مسألةٍ مِنْ مسائلِ الدَّورِ ، فلم يُجبْني ، وقالَ : كيفَ ترفعُ يديكَ ؟ فقلتُ هٰكذا ، فقالَ : أخطأتَ ، فقلتُ هٰكذا ، فقالَ : أخطأتَ ، فقلتُ : فكيفَ أصنعُ ؟

قالَ : حدَّثَني سفيانُ ، عنِ الزهريِّ ، عن سالمٍ ، عن أبيهِ : (أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يرفعُ يديهِ حَذْوَ منكبيهِ ، وإذا ركعَ ، وإذا رفعَ)[2]

قالَ أبو ثورٍ : فوقعَ في قلبي مِنْ ذلكَ ، فجعلتُ أزيدُ في المجيءِ إلى الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وأقصُرُ في الاختلافِ إلىٰ محمدِ بنِ الحسنِ ، فقالَ لي محمدٌ : يا أبا ثورٍ ؛ هٰذا الحجازيُّ قد غلبَ عليكَ ؟! قلتُ : أجلِ ، الحقُّ معَهُ .

قالَ : وكيفَ ذلكَ ؟ قالَ : قلتُ : كيفَ ترفعُ يديكَ في الصلاةِ ؟ فأجابَني

= عصره وأشهرهم ، وهو من شيوخ المؤلف ، وسينقل عنه نقولاً قيمة في ثنايا الكتاب ، وسيترجم له ترجمة حافلة في (٢/ ١٦٣ـ ١٧٩) .

(١) أورده ابن السبكي في « الطبقات » (٩/ ٤٠) .

(٢) مسند الشافعي (٢١٠) ، وأخرجه مالك في « الموطأ » (١/ ٧٥) ، ومن طريقه الشافعي في « المسند » (٢٢١) .

علىٰ نحوِ ما أخبرتُ الشافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقلتُ : أخطأتَ ، فقالَ : كيفَ أصنعُ ؟

فقلتُ : حدَّثَني الشافعيُّ ، عن سفيانَ ، عنِ الزهريِّ ، عن سالمٍ ، عن أبيهِ : (أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يرفعُ يديهِ حَذْوَ منكبيهِ ، وإذا ركعَ ، وإذا رفعَ) .

قالَ أبو ثورٍ : فلمَّا كانَ بعدَ شهرٍ وعلمَ الشافعيُّ أنِّي قد لزمتُهُ للتعلُّمِ . . قالَ : يا أبا ثورٍ ؛ هاتِ مسألتَكَ في الدَّورِ ؛ فإنَّما منعَني أنْ أُجيبَكَ يومَئذٍ ؛ لأنَّكَ كنتَ مُتعنِّتاً(١) .

وممَّا يدُلُّ علىٰ أنَّ الإمامَ الشافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ صنَّفَ في علمِ الكلامِ كما ذكرَ أبو القاسمِ المكِّيُّ : ما نقلَهُ الحافظُ أبو نعيمٍ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ رجاءٍ ، حدَّثَنا الربيعُ قالَ : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : (وَدِدْتُ أنَّ الناسَ أخذُوا هـٰذا الكتابَ وحكمُوا بهِ وناظرُوا فيهِ ، ولا ينسبونَهُ إليَّ)(٢) .

قلتُ : إنَّما أرادَ بقولِهِ : (ولا ينسبونَهُ) لأنَّهُ أرادَ الإخلاصَ في العملِ ، وأنْ يكونَ ذلكَ لوجهِ اللهِ ، وهوَ جميعُهُ معقولٌ ؛ أرى الناسَ فيهِ الطرقَ ، وبيَّنَ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/١١٧ـ ١١٨) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/٦٦) ، وآثار الخيال والتلفيق واضحة علىٰ هـٰذه الحكاية ؛ إذ يبعد على الإمام أبي ثور ـ بَلْهَ الإمام محمد بن الحسن ـ ألا يعرف حكماً متكرِّراً مطَّرداً يعرفه صغار الطلبة ، وكيف يصح هـٰذا مع قول الشافعي في الإمام محمد بن الحسن : (ليس لأحدٍ عليَّ منةٌ في العلم وأسباب الدنيا ما لمحمد عليَّ) ، وقولِهِ : (ما رأيت أعلم بكتاب الله من محمد ، كأنه عليه نزل) ، وقوله : (كتبت عن محمد بن الحسن وقر بعير) ؟! وانظر ما كتبه الإمام الكوثري في أمثال هـٰذه الحكاية في كتابه « بلوغ الأماني في سيرة محمد بن الحسن الشيباني » (ص ٢٠ـ٣٥) .

(٢) حلية الأولياء (٩/١١٨) بنحوه .

لهُمُ البراهينَ ، فينظرونَ في الأدلَّةِ فتُؤدِّيهِم إلى الطريقِ ؛ كمَنْ أرى الناسَ الهلالَ ؛ فإنَّهُم لا يُقلِّدونَهُ ولا ينقلونَ الرؤيةَ عنهُ ، ولهُ فضلُ السبقِ عليهِم لذلكَ والهدايةِ إليهِ .

ولو كانَ الكتابُ في فروعِ الدياناتِ لاحتاجَ إلىٰ أنْ يُذكَرَ اسمُهُ ويُنسَبَ إليهِ القولُ إنْ كانَ مُجرَّداً عنِ الدليلِ النقليِّ ؛ لأنَّهُ لا يجوزُ تقليدُ المجهولِ ، وإلا فهوَ أَولىٰ وأجدرُ أنْ يُذكَرَ ؛ لأنَّ النقلَ عنِ المجهولِ لا يصلُحُ للدليلِ .

ويُؤيِّدُ ذلكَ : ما رُوِيَ أنَّهُ قالَ : (شيئانِ أغفلَهُما الناسُ : النظرُ في الطبِّ ، والعنايةُ بالنجومِ)[1] ، والمرادُ : في حسابِ المواقيتِ لا في أحكامِها ، فنبَّهَ علىٰ هـٰذينِ العلمينِ ، أفتُراهُ يُغفِلُ علمَ أصولِ الدياناتِ ، ومعرفةِ ذاتِ البارئِ وصفاتِهِ ؟!

ويتأيَّدُ مِنْ وجهٍ آخرَ ؛ وهوَ ما نقلَهُ أبو نعيمٍ الأصفهانيُّ ؛ قالَ الشافعيُّ : خرجتُ إلى اليمنِ في طلبِ كتبِ الفِراسةِ . . . وذكرَ قصَّةً طويلةً[2] .

أفتُراهُ يرحلُ في طلبِ كتبِ الفِراسةِ التي يُستعانُ بها علىٰ أمرِ الدنيا إلا وقد عَلِمَ علمَ أصولِ الدينِ ؟!

روى الحافظُ أبو نعيمٍ عن محمدِ بنِ زنجُويَه[3] قالَ : سمعتُ أحمدَ ابنَ حنبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ ـ يروي الحديثَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ : « إِنَّ اللهَ مَنَّ عَلَىٰ أَهْلِ دِينِهِ فِي رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُبَيِّنُ لَهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ » ، وإنِّي نظرتُ في سنةِ مئةٍ ؛ فإذا رجلٌ مِنْ آلِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١٣٦ ، ١٤٢) ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ١١٦) ، وفيه : (وعلم العربية) بدل (والعناية بالنجوم) .

(٢) حلية الأولياء (٩/ ١٤٣ـ١٤٤) ، وأخرجها البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ١٣٤) .

(٣) في « الحلية » : (حميد بن زنجويه) .

وسلَّمَ ؛ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، ونظرتُ في رأسِ المئةِ الثانيةِ ؛ فإذا هوَ رجلٌ مِنْ آلِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ محمدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ(١) .

[توجيهُ ما وردَ عنِ الشافعيِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ مِنَ النهيِ عن علمِ الكلامِ]

فإنْ قيلَ : فقد نقلَ الإمامُ أبو نعيمٍ ، عن يونسَ بنِ عبدِ الأعلىٰ قالَ : سمعتُ الشافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لَأَنْ يُبتلَى المرءُ بكلِّ ما نهى اللهُ عنهُ ما عدا الشركَ بهِ . . خيرٌ مِنَ النظرِ في الكلامِ ؛ فإنَّني واللهِ اطَّلعتُ مِنْ أهلِ الكلامِ علىٰ شيءٍ ما ظننتُهُ قطُّ) ، وسردَهُ مِنْ طرقٍ بألفاظٍ تُقارِبُ هـٰذا المعنىٰ(٢) ؛ فهـٰذا يدلُّ علىٰ نَفْرتِهِ مِنْ علمِ الكلامِ .

فالجوابُ عنهُ مِنْ وجهينِ :

الأولُ : أنَّ مرادَهُ رضيَ اللهُ عنهُ بقولِهِ : (أهلِ الكلامِ) و(النظرِ في الكلامِ) يعني : مَنْ يقولُ بخلقِ القرآنِ ، فيكونُ الكلامُ المذمومُ هوَ المُفضِيَ إلى اعتقادِ البدعِ وانتحالِ رأيِ المعتزلةِ الذينَ كانُوا في زمانِهِ ، وإلا فهوَ قد ألَّفَ كتاباً في الردِّ علىٰ أهلِ الأهواءِ كما ذكرَهُ أبو القاسمِ المكِّيُّ(٣) .

والوجهُ الثاني : أنَّ أبا نعيمٍ رضيَ اللهُ عنهُ روىٰ في أثناءِ ترجمةِ الشافعيِّ

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ٩٧-٩٨) ، والحديث أخرجه أبو داود (٤٢٩١) ، والحاكم (٤/ ٥٢٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص١٥٣-١٥٩) .

(٢) حلية الأولياء (٩/ ١١١) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٦٠٤-٦٠٥) .

(٣) نهاية المرام (ص٦٦٩) ، وذكر : أنَّ للشافعي كتابين في الكلام ؛ أحدهما : في تصحيح النبوة والردِّ على البراهمة ، والثاني : في الردِّ علىٰ أهل الأهواء ، وذكر طرفاً من هـٰذا النوع في (كتاب القياس) ، وأشار فيه إلىٰ رجوعه عن قبول شهادة المعتزلة وأهل الأهواء ، وأصل هـٰذا الكلام في « أصول الدين » (ص٣٠٨) لأبي منصور البغدادي .

رضيَ اللهُ عنهُ عقيبَ هـٰذا الكلامِ ؛ فقالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمدِ بنِ الحارثِ يقولُ : سمعتُ الربيعَ بنَ سليمانَ يقولُ : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : (لَأنْ يلقى اللهَ العبدُ بكلِّ ذنبٍ ما خلا الشركَ باللهِ . . خيرٌ مِنْ أنْ يلقاهُ بشيءٍ مِنَ الأهواءِ)[1] ، والأخبارُ عنِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ بهـٰذا التقييدِ . . كثيرةٌ ، فذلكَ الإطلاقُ يُقيِّدُهُ هـٰذا التقييدُ ، واللهُ أعلمُ[2]

رأيتُ بأعلىٰ قبرِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ حولَ قطبِ القُبَّةِ التي بناها الملكُ الكاملُ رحمةُ اللهِ عليهِ لبعضِ المُتأخِّرينَ[3] : [من البسيط]

اَلشَّـافِعِـيُّ إِمَـامُ ٱلنَّـاسِ كُلِّهِـمِ ... فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْحِلْمِ وَٱلْعَلْيَاءِ وَٱلْبَاسِ
أَصْحَابُهُ خَيْرُ أَصْحَابٍ وَمَذْهَبُهُ ... خَيْرُ ٱلْمَذَاهِبِ عِنْدَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ
لَـهُ ٱلإِمَـامَـةُ فِـي ٱلـدُّنْيَا مُخَلَّـدَةً ... كَمَـا ٱلْخِـلاَفـةُ فِـي أَوْلاَدِ عَبَّـاسِ

وُلِدَ رضيَ اللهُ عنهُ بمدينةِ غزَّةَ ـ على الصحيحِ مِنَ المنقولِ ـ سنةَ خمسينَ ومئةٍ .

وحُمِلَ إلىٰ مكَّةَ شرَّفَها اللهُ وهوَ ابنُ سنتينِ ، ونشأَ بها وقرأَ القرآنَ الكريمَ ، ثمَّ رحلَ إلىٰ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وقدمَ بغدادَ سنةَ خمسٍ وتسعينَ ومئةٍ ، فأقامَ بها سنتينِ ، ثمَّ خرجَ إلىٰ مكَّةَ شرَّفَها اللهُ ، ثمَّ عادَ إلىٰ بغدادَ سنةَ ثمانٍ وتسعينَ

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ١١١) .

(٢) وقد أورد الإمام الحافظ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » ما نُقِل عن الإمام الشافعي وغيره من السلف في ذم الكلام والنفرة منه ، ثم حقق المراد منه . راجعه (ص٦٠١) وما بعدها .

(٣) أورد الأبيات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » (١/ ٢٠٦) ، وعزاها لأبي بكر محمد بن القاسم الشهرزوري المشهور بـ (قاضي الخافقين) ، والملك الكامل : هو أبو المعالي ناصر الدين محمد بن محمد العادل الأيوبي (ت ٦٣٥ هـ) .

ومئةٍ ، فأقامَ بها شهراً[1] ، ثمَّ خرجَ إلىٰ مصرَ ووصلَ إليها سنةَ تسعٍ وتسعينَ ومئةٍ .

وتُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ سنةَ أربعٍ ومئتينِ يومَ الجمعةِ آخرَ يومٍ مِنْ رجبٍ ، ودُفِنَ بعدَ العصرِ مِنْ يومِهِ .

قالَ ابنُ خَلِّكانَ : أخبرَني بعضُ الأفاضلِ أنَّهُ عُمِلَ في فضائلِ الشافعيِّ ومناقبِهِ رضيَ اللهُ عنهُ ثلاثةَ عشرَ تصنيفاً[2] ، ورثاهُ بعدُ جماعةٌ مِنَ الشعراءِ ؛ منهُم أبو بكرٍ محمدُ ابنُ دُريدٍ صاحبُ « المقصورةِ » فقالَ[3] : [من الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ آثَـارَ ٱبْـنِ إِدْرِيـسَ بَعْـدَهُ ... دَلاَئِلُهَـا فِـي ٱلْمُشْكِـلاَتِ لَـوَامِـعُ
مَعَالِمُ يَفْنَى ٱلدَّهْرُ وَهْيَ خَوَالِدٌ ... وَتَنْخَفِـضُ ٱلأَيَّـامُ وَهْـيَ فَـوَارِعُ
مَنَـاهِـجُ فِيهَـا لِلـرَّدَىٰ مُتَصَـرَّفٌ ... مَـوَارِدُ فِيهَـا لِلـرَّشَـادِ شَـرَائِـعُ[4]
لِرَأْيِ ٱبْنِ إِدْرِيسَ ٱبْنِ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... ضِيَاءٌ إِذَا مَا أَظْلَمَ ٱلْخَطْبُ سَاطِعُ
إِذَا ٱلْمُفْظِعَاتُ ٱلْمُشْكِلاَتُ تَشَابَهَتْ ... سَمَا مِنْهُ نُورٌ فِي دُجَاهُنَّ لاَمِعُ

---

(١) كذا في نسختينا ، ومثله في « وفيات الأعيان » (٤/ ١٦٥) ، والمشهور : أن الشافعي قدم بغداد ثلاث مرات ؛ الأولىٰ : سنة (١٨٤هـ) ، وفي هـٰذه القدمة أخذ عن الإمام محمد بن الحسن وقر بعير من العلم ، والثانية : سنة (١٩٥هـ) ، وهـٰذه القدمة لم تكن للاستفادة ، وإنما كانت للإفادة ، وبها أخذ عنه كبار الأئمة ، ومنهم الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالىٰ ، وفيها أظهر مذهبه القديم وألَّف الكتب فيه ، والقدمة الثالثة : كانت سنة (١٩٨هـ) ، وبقي فيها مدة يسيرة شهراً أو أكثر ثم ذهب إلىٰ مصر ، وانظر « طبقات الشافعيين » لابن كثير (ص ٣٩) .

(٢) وقد سرد الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (١/ ٣٤٣ـ٣٤٤) هـٰذه المصنفاتِ جميعَها وعزاها لمؤلفيها .

(٣) وفيات الأعيان (٤/ ١٦٧ـ١٦٩) ، والأبيات في « ديوانه » (ص٧٦ـ٧٨) ، ورواها الخطيب البغدادي في « تاريخه » (٢/ ٦٨ـ ٦٩) .

(٤) في المصادر السابقة : (للهدىٰ) بدل (للردىٰ) .

أَبَــى ٱللهُ إِلا رَفْعَــهُ وَعُلُــوَّهُ   وَلَيْسَ لِمَا يُعْلِيهِ ذُو ٱلْعَرْشِ وَاضِعُ

تَوَخَّى ٱلْهُدَىٰ وَٱسْتَنْقَذَتْهُ يَدُ ٱلتُّقَىٰ   مِنَ ٱلزَّيْغِ إِنَّ ٱلزَّيْغَ لِلْمَرْءِ صَارِعُ

وَلاَذَ بِـآثَـارِ ٱلـرَّسُـولِ فَحُكْمُـهُ   لِحُكْمِ رَسُولِ ٱللهِ فِي ٱلنَّاسِ تَابِعُ

وَعَـوَّلَ فِـي أَحْكَـامِـهِ وَقَضَـائِـهِ   عَلَىٰ مَا قَضَىٰ فِي ٱلْوَحْيِ وَٱلْحَقُّ نَاصِعُ

تَسَـرْبَـلَ بِـٱلتَّقْـوَىٰ وَلِيـداً وَنَـاشِئـاً   وَخُصَّ بِلُبِّ ٱلْكَهْلِ مُذْ هُوَ يَافِعُ

وَهُـذِّبَ حَتَّـىٰ لَـمْ تُشِـرْ بِفَضِيلَـةٍ   إِذَا ٱلْتُمِسَـتْ إِلا إِلَيْـهِ ٱلأَصَـابِـعُ

فَمَنْ يَكُ عِلْمُ ٱلشَّافِعِيِّ إِمَامَهُ   فَمَرْتَعُهُ فِي بَاحَةِ ٱلْعِلْمِ وَاسِعُ

سَـلاَمٌ عَلَـىٰ قَبْـرٍ تَضَمَّـنَ جِسْمَـهُ   وَجَادَتْ عَلَيْهِ ٱلْمُدْجِنَاتُ ٱلْهَوَامِعُ

لَقَدْ غَيَّبَتْ أَثْرَاؤُهُ جِسْمَ مَاجِدٍ   جَلِيلٍ إِذَا ٱلْتَفَّتْ عَلَيْهِ ٱلْمَجَامِعُ

لَئِـنْ فَجَعَتْنَـا ٱلْحَـادِثَـاتُ بِفَقْـدِهِ   فَهُـنَّ لِمَـا حُكِّمْـنَ فِيـهِ فَـوَاجِـعُ

فَـأَحْكَـامُـهُ فِينَـا بُـدُورٌ زَوَاهِـرٌ   وَآثَـارُهُ فِينَـا نُجُـومٌ طَـوَالِـعُ

ولو تصدَّيتُ لذكرِ ما رُثِيَ بهِ رضيَ اللهُ عنهُ مِنَ القصائدِ والأشعارِ . لطالَ ذلكَ ، وفيما ذكرتُهُ ما يُنبِّهُ علىٰ باقيهِ ، والكتبُ في ذلكَ مُصنَّفةٌ ، ومعَ ذلكَ فلا يبلغُونَ المعشارَ مِنْ وصفِهِ وإنْ أطنبُوا ، رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ ، وجزاهُ عن أمَّةِ محمدٍ أحسنَ الجزاءِ .

* * *

ومِنَ القائلينَ بعلمِ الكلامِ والمُتكلِّمينَ فيهِ :

الإمامُ أبو عليٍّ [الحسينُ بنُ عليِّ بنِ يزيدَ](1) الكرابيسيُّ

وهوَ الذي قدَّمتُ ذكرَ واقعتِهِ معَ الإمامِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ(2) .

وعلىٰ « كتابِهِ في المقالاتِ » مُعوَّلُ المُتكلِّمينَ في معرفةِ مذاهبِ الخوارجِ وسائرِ أهلِ الأهواءِ(3)

تُوفِّيَ [سنةَ خمسٍ وأربعينَ ومئتينِ](4)

* * *

(1) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/ ١١٧ـ١٢٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٧٩ـ٨٢) .

(2) انظر (١/ ٩٩) .

(3) كما ذكر ذلك صاحب « نهاية المرام » (ص٦٦٩) ، ونقله عنه ابن السبكي في « الطبقات » (٢/ ١١٨) ، وأصل الكلام مأخوذ من « أصول الدين » (ص٣٠٨) .

(4) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/ ١٢٠) .

ومنهُم :

أبو العباسِ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُريجٍ

قالَ أبو القاسمِ عمرُ بنُ الحسينِ المكِّيُّ : (هوَ أبرعُ الجماعةِ في العلومِ كلِّها) بعدَ أنْ عدَّهُ في طبقاتِ المُتكلِّمينَ[1]

تُوفِّيَ سنةَ ستٍّ وثلاثِ مئةٍ .

* * *

---

(١) نهاية المرام (ص٦٦٩) ، وانظر « أصول الدين » (ص٣٠٩) .

ومِنْ مُتكلِّمي أهلِ السنَّةِ في مجلسِ المأمونِ :

عبدُ اللهِ بنُ سعيدٍ التميميُّ[1]

وهوَ أخو يحيى بنِ سعيدٍ القطَّانِ ، وهوَ الذي دمَّرَ المعتزلةَ في مجلسِ المأمونِ وفضحَهُم[2] .

تُوفِّيَ [بعدَ سنةِ أربعينَ ومئتينِ][3]

* * *

(١) ويُعرف بـ (ابن كلَّاب) .

(٢) كما ذكر ذلك صاحب « نهاية المرام » (ص٦٦٩) ، ونقله عنه ابن السبكي في « الطبقات » (٢/ ٣٠٠) ، ثم قال : (وكشفت عن يحيى بن سعيد القطان هل له أخ اسمه عبد الله ، فلم أتحقق إلى الآن شيئاً ، وإن تحققت شيئاً ألحقته إن شاء الله) ، ونَسَبَ الأخوةَ له قبل صاحب « نهاية المرام » بكثير الإمامُ أبو منصور البغدادي في كتابه « أصول الدين » (ص٣٠٩) .

(٣) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/ ٢٩٩) .

ومنهُمْ :

الحسينُ بنُ الفضلِ البَجَليُّ

صاحبُ الكلامِ والأصولِ والمعارفِ ، وصاحبُ التفسيرِ ، وعلىٰ نُكتِهِ في القرآنِ الكريمِ مُعوَّلُ المفسرينَ .

وهوَ الذي استصحبَهُ عبدُ اللهِ بنُ طاهرٍ والي خراسانَ ، فيُقالُ : إنَّهُ قد أخرجَ علمَ القرآنِ كلَّهُ إلىٰ خراسانَ[١] ، وهوَ تلميذُ عبدِ اللهِ بنِ سعيدٍ المُقدَّمِ ذكرُهُ ، وهوَ شيخُ أبي القاسمِ الجنيدِ[٢] ، وسيأتي ذكرُهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[٣]

*

---

(١) في « أصول الدين » (ص٣٠٩) ، و« نهاية المرام » (ص٦٦٩) : (علم العراق) بدل (علم القرآن) .

(٢) قوله : (وهو شيخ أبي القاسم الجنيد) كذا في (أ ، ب) ، والكلام من « نهاية المرام » (ص ٦٦٩) ، و« أصول الدين » (ص ٣٠٩) ، وفيهما أن الجنيد من تلاميذ ابن كلاب لا من تلاميذ البجلي ، فليتنبَّه .

(٣) انظر (١/ ٢٨٣ ، ٣٠٥ـ٣٠٧) .

ومَّنْ تكلَّمَ في مسألةِ الكلامِ ونطقَ بمذهبِ أهلِ الحقِّ :

الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ إسماعيلَ البخاريُّ رضيَ اللهُ عنهُ

وقصتُهُ معَ محمدِ بنِ يحيى الذُّهْليِّ مشهورةٌ ، وقد ذكرْناها مختصرةً في أولِ الكتابِ حينَ تكلَّمتُ على كلامِ ابنِ تيميةَ ، وفيها قولُهُ لمَّا سُئِلَ : (أفعالُ العبادِ مخلوقةٌ ، وكلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ)(١) ، ومناقبُهُ كثيرةٌ ، وفضائلُهُ شهيرةٌ .

قالَ الإمامُ أبو العباسِ أحمدُ ابنُ إبراهيمَ القرطبيُّ في أولِ كتابِهِ في ترجمةِ البخاريِّ بعدَ ذكرِ قصتِهِ بنيسابورَ معَ الذُّهْليِّ التي قدَّمْناها(٢) : فهـٰذا الذي قالَهُ رحمَهُ اللهُ غايةُ التحقيقِ ، واعتقادُ كلِّ ذي علمٍ وتوفيقٍ ، ومَنْ لا يعتقدُ ذلكَ وجبَ تركُهُ ، وظهرَ إفكُهُ ، فالبخاريُّ معَهُم ، علىٰ ما قالَ قائلُها(٣) : [من الطويل]

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

وأَولىٰ مِنْ ذلكَ : التمثُّلُ بالبيتِ الشهيرِ المناسبِ(٤) : [من الطويل]

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ ٱلْكَتَائِبِ

---

(١) انظر (١/١١٧ـ١٢٢) .

(٢) والكلام مختصر جداً في « المفهم » (١/٩٦) عمَّا سيورده المؤلف نقلاً عن « مختصر البخاري » للقرطبي .

(٣) عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي في « ديوانه » (ص٦٤) ، وصدره :

وعيَّرها الواشونَ أنِّي أحبُّها

وظاهرٌ عنك عارها ؛ أي : زائل .

(٤) البيت للنابغة الذبياني في « ديوانه » (ص١٣) ، والفُلُول : جمع فَلّ ؛ وهو الكسر والثُّلمة في حد السيف ، وفي البيت توكيد المدح بما يشبه الذم .

لـٰكنَّ تلكَ إصابةُ أعينِ الحُسَّادِ ، ومناكدةُ الأضدادِ ، وقد شهدَ الوجودُ ، بأنَّ كلَّ ذي نعمةٍ محسودٌ ؛ فللبخاريِّ ولمَنْ رامَ تنقيصَهُ مِنْ نكالٍ[1] ، البيتُ الذي أحسنَ قائلُهُ فيما قالَ[2] : [من الكامل]

كَضَرَائِرِ ٱلْحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا حَسَداً وَبَغْياً إِنَّ ذَا لَدَمِيمُ

ومعَ ذلكَ لم يضرُّهُ ذلكَ الأذىٰ ، وقد عادَ ذلكَ في عينِ قائلِهِ قذىً ، ويأبى اللهُ إلا أنْ يُتِمَّ نورَهُ ، ويُولِيَ لمَنْ صبرَ وانقطعَ إليهِ أجورَهُ .

ولمَّا تبيَّنَ للفضلاءِ العُبَّادِ ، أنَّ ذلكَ القولَ مِنْ آثارِ الحُسَّادِ . . لم يُعرِّجُوا عليهِ ولا التفتُوا ، بل أماتُوهُ في القدمِ ، وصيَّرُوا وجودَهُ كالعَدَمِ ، رحمةُ اللهِ عليهِم أجمعينَ .

ومِنْ كراماتِهِ : أنَّ خالدَ بنَ أحمدَ بنِ خالدٍ الذُّهْليَّ أميرَ خراسانَ أخرجَ البخاريَّ مِنْ بخارىٰ إلىٰ خَرْتَنْكَ ، ثمَّ حجَّ خالدٌ ، فوصلَ إلىٰ بغدادَ ، فقبضَ عليهِ الموفَّقُ بنُ المتوكِّلِ ، فضيَّقَ عليهِ وحبسَهُ ، فماتَ في حبسِهِ[3] .

وُلِدَ يومَ الجمعةِ بعدَ الصلاةِ في ثلاثَ عشرةَ ليلةً خلتْ مِنْ شوالٍ سنةَ أربعٍ وتسعينَ ومئةٍ ، وتُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ بخَرْتَنْكَ ـ قريةٍ مِنْ قرىٰ سمرقندَ ـ عندَ صلاةِ العشاءِ ، لآخرِ ليلةِ عيدِ الفطرِ سنةَ ستٍّ وخمسينَ ومئتينِ .

* * *

(١) العبارة في (ب) : (فللبخاري ولمن رام شيعته من نكال) .

(٢) البيت لأبي الأسود الدؤلي في « ديوانه » (ص٤٠٣) .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ١٩٠) ، وكان ذلك سنة (٢٦٩هـ) أي : بعد وفاة البخاري بثلاثة عشر عاماً تقريباً ، وذكر التاج السبكي في « الطبقات » (٢/ ٢٣٢) وغيرُه : أنَّ سبب الوحشة بين البخاري وخالد بن أحمد الذهليِّ : أنه بعث الذهليُّ إلى البخاري أن يحمل إليه كتابَ « الجامع » و« التاريخ » وغيرهما ليسمعها منه ، فقال لرسوله : أنا لا أذلُّ العلم ولا أحمله إلىٰ أبواب الناس ، فإن كان له إلىٰ شيء منه حاجة فليحضر في مسجدي أو في داري ، وإن لم يعجبه هـٰذا فإنه سلطان فليمنعني .

ومنهُمْ :

الإمامُ مسلمُ بنُ الحجَّاجِ القشيريُّ رضيَ اللهُ عنهُ

تابعَ الإمامَ أبا عبدِ اللهِ البخاريَّ فيما قالَهُ ، واعتقدَ اعتقادَهُ ، وفارقَ محمدَ بنَ يحيى الذُّهْليَّ عندَ فراقِهِ لهُ .

قالَ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ يعقوبَ الحافظُ : (لمَّا استوطنَ البخاريُّ نيسابورَ أكثرَ مسلمٌ مِنَ الاختلافِ إليهِ ، فلمَّا وقعَ بينَ محمدِ بنِ يحيىٰ والبخاريِّ ما وقعَ في مسألةِ اللفظِ ، ونادىٰ عليهِ ، ومنعَ الناسَ مِنَ الاختلافِ إليهِ حتىٰ هُجِرَ ، وخرجَ مِنْ نيسابورَ في تلكَ المحنةِ . قطعَهُ أكثرُ أصحابِهِ غيرَ مسلمِ بنِ الحجَّاجِ ؛ فإنَّهُ لم يتخلَّفْ عن زيارتِهِ ، فانتهىٰ إلىٰ محمدِ بنِ يحيىٰ أنَّ مسلِمَ بنَ الحجَّاجِ علىٰ مذهبِهِ قديماً وحديثاً ، وأنَّهُ عُوتِبَ علىٰ ذلكَ في الحجازِ والعراقِ ولم يرجعْ عنهُ ، فلمَّا كانَ يومُ مجلسِ محمدِ بنِ يحيىٰ قالَ في آخرِ مجلسِهِ : أَلَا مَنْ قالَ باللفظِ فلا يَحِلُّ لهُ أنْ يحضُرَ مجلسَنا ، فأخذَ مسلمٌ رداءَهُ فوقَ عِمامتِهِ ، وقامَ علىٰ رؤوسِ الناسِ وخرجَ مِنْ مجلسِهِ ، وجمعَ كلَّ ما كانَ كتبَ منهُ وبعثَ بهِ علىٰ ظهرِ جمَّالٍ إلىٰ بابِ محمدِ بنِ يحيىٰ ، فاستحكمَتْ بذلكَ الوَحْشةُ ، وتخلَّفَ عنهُ وعن زيارتِهِ)[1] .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ يومَ الأحدِ ، ودُفِنَ يومَ الاثنينِ لخمسٍ ـ وقيلَ : لستٍّ ـ بقينَ مِنْ رجبٍ سنةَ إحدىٰ وستينَ ومئتينِ بنيسابورَ ، وعمرُهُ خمسٌ وخمسونَ سنةً .

* * *

---

(١) أورده ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٥/ ١٩٤ـ١٩٥) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٠/ ١٨٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٥٧٢) .

ومنهُمُ :

الإمامُ أبو جعفرٍ محمدُ بنُ جريرِ بنِ يزيدَ بنِ خالدٍ

وقيلَ : يزيدَ بنِ كثيرِ بنِ غالبٍ الطبريُّ ، مِنْ آمُلِ طبرستانَ .

قالَ الإمامُ أبو بكرٍ ابنُ ثابتٍ الخطيبُ ، بعدَ أنْ ذكرَ مَنْ روى الطبريُّ عنهُ ، ومَنْ روىٰ عنِ الطبريِّ ؛ فقالَ : (وكانَ أحدَ الأئمَّةِ العلماءِ ، يُحكَمُ بقولِهِ ، ويُرجَعُ إلىٰ رأيِهِ [لمعرفتِهِ وفضلِهِ ، وكانَ قد جمعَ مِنَ العلومِ ما لم يشاركْهُ فيهِ أحدٌ مِنْ أهلِ عصرِهِ ، وكانَ حافظاً لكتابِ اللهِ ، عارفاً بالقراءاتِ ، بصيراً بالمعاني ، فقيهاً في أحكامِ القرآنِ ، عالماً بالسننِ وطرقِها ، وصحيحِها وسقيمِها ، وناسخِها ومنسوخِها ، عارفاً بأقوالِ الصحابةِ والتابعينَ ، ومَنْ بعدَهُم مِنَ المخالفينَ في الأحكامِ ، ومسائلِ][1] الحلالِ والحرامِ ، خبيراً بأيامِ الناسِ وأخبارِهِم[2] ، ولهُ الكتابُ المشهورُ في « تاريخِ الأممِ والملوكِ » ، وكتابٌ في التفسيرِ لم يُصنَّفْ مثلُهُ ، ولهُ في أصولِ الفقهِ وفروعِهِ كتبٌ كثيرةٌ)[3]

وقالَ أبو أحمدَ الحسينُ بنُ عليِّ بنِ محمدٍ الرازيُّ : أولُ ما سألَني الإمامُ أبو بكرٍ ابنُ خزيمةَ قالَ لي : كتبتَ عن محمدِ بنِ جريرٍ الطبريِّ ؟ قلتُ : لا ، قالَ : لمَ ؟ قلتُ : لأنَّهُ لا يظهرُ ، وكانتِ الحنابلةُ تَمنعُ مِنَ الوصولِ إليهِ والدخولِ عليهِ .

---

(١) ما بين معقوفين ذاهب من (أ) بسبب التصوير ، وقد استدركته من « تاريخ بغداد » .

(٢) في « تاريخ بغداد » : (وعارفاً) بدل (وخبيراً) .

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ١٦١) .

فقالَ : بئسَ ما فعلتَ !! ليتَكَ لم تكتبْ عن كلِّ مَنْ كتبتَ عنهُ وسمعتَ مِنْ أبي جعفرٍ[١] .

وقالَ ابنُ خزيمةَ حينَ طالعَ « التفسيرَ » للطبريِّ : (ما أعلمُ علىٰ أديمِ الأرضِ أعلمَ مِنْ أبي جعفرٍ ، ولقد ظلمَتْهُ الحنابلةُ)[٢]

وقالَ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ الفَرْغانيُّ بعدَ أنْ ذكرَ تصانيفَهُ : (وكانَ أبو جعفرٍ ممَّنْ لا تأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائمٍ ، ولا يَعدِلُ في علمِهِ وبيانِهِ عنِ الحقِّ ، ولا يَعدِلُ عن حقٍّ تلزمُهُ بهِ ذلَّةٌ وللمسلمينَ عزَّةٌ . . إلىٰ باطلٍ لهُ فيهِ عزَّةٌ بالإثمِ ، معَ عظيمِ ما كانَ يلحقُهُ مِنَ الأذىٰ والشناعاتِ مِنْ جاهلٍ وحاسدٍ وملحدٍ .

وأمَّا أهلُ الدينِ والورعِ : فغيرُ منكرينَ علمَهُ وفضلَهُ وزهدَهُ وبركتَهُ وتركَهُ للدنيا معَ إقبالِها عليهِ ، وقناعتَهُ بما كانَ يَرِدُ عليهِ مِنْ قريةٍ خلَّفَها أبوهُ بطبرستانَ يسيرةٍ ، ومناقبُهُ كثيرةٌ لا يحتملُ هنا أكثرَ مِنْ ذلكَ) ، ذكرَهُ الإمامُ عزُّ الدينِ بنُ

---

(١) أورده ابن الأثير في « الكامل » (٦/٦٧٨ـ ٦٧٩) ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٣/ ٢٨١) ، والسبكي في « الطبقات » (٣/ ١٢٤ـ١٢٥) ، وقال الإمام السبكي بعد أن أورد هـٰذا الخبر : (قلت : لم يكن عدمُ ظهوره ناشئاً من أنه مُنِعَ ، ولا كانت للحنابلة شوكةٌ تقتضي ذلك ، وكان مقدار ابن جرير أرفعَ من أن يقدِروا علىٰ منعه ، وإنما ابن جرير نفسه كان قد جمع نفسه عن مثل الأراذل المتعرِّضين إلىٰ عرضه ، فلم يكن يأذن في الاجتماع به إلا لمن يختاره ويعرف أنه على السنة ، وكان الوارد من البلاد مثلُ حُسينك ـ وهو أبو أحمد الحسين بن علي الرازي ـ وغيره لا يدري حقيقة حاله ، فربَّما أصغىٰ إلىٰ كلام من يتكلم فيه لجهله بأمره ، فامتنع عن الاجتماع به .

ومما يدلُّك علىٰ أنه لم يُمنَعْ : قولُ ابن خزيمة لحُسينك : « ليتك سمعت منه » فإنَّ فيه دلالةَ أن سماعه منه كان ممكناً ، ولو كان ممنوعاً لم يقل له ذلك ، وهـٰذا أوضح من أن نُنبِّه عليه ، وأمرُ الحنابلة في ذلك العصر كان أقلَّ من ذلك) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢/ ١٦١) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٢/ ١٩٥ـ١٩٦) .

الأثيرِ الجزريُّ في « تاريخِهِ »[1] ، فقالَ : (ثمَّ دخلَتْ سنةُ عشرٍ وثلاثِ مئةٍ) ، ثمَّ قالَ : (وفي هٰذهِ السنةِ تُوفِّيَ محمدُ بنُ جريرٍ الطبريُّ صاحبُ « التاريخِ » ببغدادَ ، ومولدُهُ سنةَ أربعٍ وعشرينَ ومئتينِ ، ودُفِنَ ليلاً بدارِهِ ؛ لأنَّ العامَّةَ اجتمعَتْ ومنعَتْ دفنَهُ نهاراً ، وادَّعَوْا عليهِ الرفضَ والإلحادَ ، وكانَ عليُّ بنُ عيسىٰ يقولُ : « واللهِ ؛ لو سُئِلَ هٰؤلاءِ عن معنى الرفضِ والإلحادِ ما عرفُوهُ ولا فهمُوهُ »)[2] .

قالَ ابنُ الأثيرِ : (هٰذا ذكرَهُ ابنُ مِسْكُويَه صاحبُ « تجارِبِ الأممِ » ، وحُوشيَ ذلكَ الإمامُ عن مثلِ هٰذهِ الأشياءِ .

وأمَّا ما ذكرَهُ مِنْ تعصُّب العامَّةِ : فليسَ الأمرُ كذلكَ ، وإنَّما بعضُ الحنابلةِ تعصَّبُوا عليهِ ووقعُوا فيهِ فتبعَهُم غيرُهُم ؛ ولذلكَ سببٌ ؛ وهوَ : أنَّ الطبريَّ جمعَ كتاباً ذكرَ فيهِ اختلافَ الفقهاءِ لم يُصنَّفْ مثلُهُ ، ولم يذكرْ أحمدَ ابنَ حنبلٍ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : لم يكنْ فقيهاً ، وإنَّما كانَ مُحدِّثاً ، فاشتدَّ ذلكَ على الحنابلةِ ، وكانُوا لا يُحصَوْنَ كثرةً ببغدادَ ، فشَغَبُوا عليهِ ، وقالُوا ما أرادُوا)[3]

[قوةُ شوكةِ المبتدعةِ بعدَ هٰذهِ الطبقةِ وقبلَ ظهورِ إمامِ أهلِ السنةِ أبي الحسنِ الأشعريِّ]

ثمَّ نجمَ بعدَ هٰؤلاءِ النفاقُ ، وهجمَتِ المبتدعةُ مِنْ شُذَّاذِ الآفاقِ ، قليلةً أحلامُهُم ، كليلةً أفهامُهُم ، ظنُّوا أنَّ سكوتَ مَنْ سكتَ عنِ التأويلِ مِنَ الصحابةِ

---

(١) الكامل في التاريخ (٦/ ٦٧٩) ، ويحتمل عود الضمير في (ذكره) إلىٰ ما سبق من الأخبار ، وانظر « تاريخ دمشق » (٥٢/ ١٩٦ـ١٩٧) فإنه أورد قطعة كبيرة من كلام الفرغاني في ترجمة شيخه ابن جرير الطبري ، ومنها ما ذكره المؤلف ها هنا .

(٢) الكامل في التاريخ (٦/ ٦٧٥ ، ٦٧٧) .

(٣) الكامل في التاريخ (٦/ ٦٧٧ـ٦٧٨) ، وانظر « تجارب الأمم وتعاقب الهمم » (٥/ ١٤٢).

والتابعينَ وتابعِ التابعينَ . . إعمالاً للظواهرِ ، وحملاً لها علىٰ خلافِ المرادِ منها[1] ، فابتدعُوا مقالاتٍ ، واخترعُوا ضلالاتٍ ، قد أخلقَتْ أنواعُها ، وأصمَّ الآذانَ سماعُها ، فاحتاجَ العلماءُ إلىٰ ردِّ مقالاتِهِم ، ووضعُوا علىٰ ذلكَ كتباً ؛ خيفةَ أنْ يستحكِمَ داؤُهُم ، وتَسترِقَ بعضَ القلوبِ الضعيفةِ أهواؤُهُم ، فلم يسعْهُم حينَ وضعُوا الكتبَ إلا ذكرُ بِدَعِهِم لكي يردُّوها ، فأنكرَهُ عليهِم بعضُ العلماءِ ، وعابَ عليهِمُ الكلامَ فيهِ ، لا لكونِهِ كلاماً بالمذهبِ الحقِّ ، ونصرةً للقولِ الصدقِ ، بل لكونِهِ يذكرُ بدعَهُم ، ويَسرُدُ أقوالَهُم ، فيُفضي إلىٰ تخليدِها ، بل يُؤدِّي كلَّ وقتٍ إلىٰ تجديدِها ، كما أنكرَ الإمامُ أحمدُ ابنُ حنبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ على الحارثِ بنِ أسدٍ المحاسبيِّ خوضَهُ في ذلكَ ، وعلَّلَ إنكارَهُ فقالَ : (ألستَ تذكرُ مذاهبَهُم ؛ حتىٰ تُجيبَ عنها ؟!)[2] .

فأكثرُ الجهلةِ مِنَ المبتدعةِ يتستَّرُونَ في ضلالِهِم ، ويقولُونَ : نحنُ علىٰ مذهبِ السلفِ ، ولا يعرفُونَ مرادَ السلفِ رضيَ اللهُ عنهُم مِنْ كلامِهِم[3] ، بل

---

(١) قوله : (إعمالاً للظواهر . . .) كذا في (أ ، ب) بنصب (إعمالاً) ، وهو جائز علىٰ أنه حال سدَّ مسدَّ الخبر .

(٢) انظر ما سبق حول هـٰذه المسألة في (١/ ١٠٠) ، وأورد الإمام الحافظ ابن عساكر للقاضي عزيزي بن عبد الملك نصّاً ذهبيّاً حول معرفة السلف بعلم الأصول عموماً . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٦٢٦ـ٦٢٨) .

(٣) ما أكثر هـٰؤلاء في زماننا !! بل جميع المبتدعة في عصرنا هـٰذا يعتقدون أنَّ ما هم عليه هو اعتقاد أئمة السلف من أمثال أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ابن حنبل وغيرهم ، ويحتجون لذلك بظاهر نصوصهم ، ثم يدمجون مع هـٰؤلاء عقائد أئمة التجسيم ؛ أمثال البربهاري وأبي يعلىٰ وابن حامد وابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم .
ولقد اجتمعتُ ببعض هـٰؤلاء ، فاستدل علىٰ رأيه بعبارة للإمام الحافظ أبي بكر البيهقي في كتابه « الأسماء والصفات » ، وكثير منهم يستدل علىٰ فساد رأيه بظاهر عبارات كبار أئمة السلف ، بل كبار أئمة الأشاعرة ، ويعمي نظره عن النصوص الأخرى المقيدة أو الشارحة ، بل يعمي عقله حيث استدل بكلام من هو أشد المخاصمين له والمحذرين من رأيه وفكره ، =

قومٌ مِنْ هـٰؤلاءِ كشفُوا القناعَ في الابتداعِ ، وقالُوا ما لم يقلْهُ أحدٌ مِنَ المتَّبَعين ولا الأتباعِ ، وسيأتي ذكرُ مقالاتِهم وما أدَّىٰ إليهِ مُعتَقدُهُم في بابٍ مفردٍ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[1]

سمعتُ الشيخَ الإمامَ شرفَ الدينِ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ عمرانَ الحسينيَّ الفاسيَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ[2] : (كُنَّا بمدينةِ فاسٍ مِنْ بلادِ المغربِ ، لا يُظهِرُ أحدٌ الاشتغالَ بعلمِ الكلامِ ولا بأصولِ الدينِ . . إلا اتُّهِمَ بالبدعةِ ، ورُمِقَ بعينِ المروقِ مِنَ الدينِ .

وكنتُ أتشوَّفُ إلى الاشتغالِ بأصولِ الدينِ ، فكنتُ أُخفي ذلكَ اشتغالاً وإشغالاً ، فلمَّا قدمتُ الديارَ المصريةَ ظننتُها علىٰ تلكَ الحالِ مِنْ بلادِنا ، فلمَّا اجتمعتُ بسيِّدي الشيخِ الإمامِ العالمِ إمامِ الفِرَقِ ناصرِ الحقِّ محيي السنَّةِ عزِّ الدينِ أبي محمدٍ عبدِ العزيزِ بنِ عبدِ السلامِ . . فكانَ مِنْ أوَّلِ ما سألَني عنهُ المعتقَدُ ، ومِنْ أوَّلِ ما سألَني عنهُ مِنْ جملةِ المعتقَدِ التأويلُ ، فبنيتُ الأمرَ علىٰ ما كنتُ أعهدُهُ في البلادِ ، وذكرتُ لهُ ما أهلُ البلادِ عليهِ مِنَ الجمودِ والامتناعِ مِنَ الخوضِ في علمِ الكلامِ أصلاً ورأساً .

فقالَ لي : يا ولدي ؛ **اعلمْ أنَّ في هـٰذا الزمانِ يُستدَلُّ بثلاثةِ أشياءَ علىٰ ثلاثةِ أشياءَ :**

مَنْ قالَ : أنا لا أعتقدُ أنَّ الكواكبَ مُؤثِّرةٌ لذاتِها ، وإنَّما أعتقدُ أنَّ التأثيرَ يقعُ

= بل إنَّ الإمام البيهقي ألَّف كتابه « الأسماء والصفات » بناءً علىٰ طلب الإمام الأستاذ الحجة أبي منصور محمد بن الحسن الأيوبي ، كما نصَّ علىٰ ذلك البيهقي نفسه في « الأسماء والصفات » (ص٢٧٦) ، وأبو منصور الأيوبي كان يُعَدُّ من كبار أئمة الأشاعرة في زمانه ، وانظر ما سبق عن ابن الجوزي في (١/ ١٣١) .

(١) انظر (٢/ ٤١١) وما بعدها .

(٢) **الصحيح** ـ كما سيأتي تعليقاً ـ : أنه حسني لا حسيني . انظر (٢/ ٢٠٧) .

عندَها لا بها . . فاعلمْ أنَّهُ في الباطنِ يعتقدُ تأثيرَ الكواكبِ وأنَّها فعَّالةٌ ، وإنَّما يُنكِرُ ذلكَ خيفةً مِنَ السيفِ .

ومَنْ قالَ : أنا لا أُؤوِّلُ ، إنَّما أنا علىٰ مذهبِ السلفِ أومنُ بها علىٰ ما جاءَتْ ، وسردَ العباراتِ التي يُصادِمُ بها الحشويةَ . . فاعلمْ أنَّهُ في الباطنِ يقولُ بالظاهرِ ، ويعتقدُ مذهبَ الحشويةِ والمُجسِّمةِ .

ومَنْ قالَ لكَ : أنا لا أُفضِّلُ علىٰ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ ولا أُقدِّمُهُ ، ولا أتعرَّضُ لسبِّ أحدٍ . . فاعلمْ أنَّهُ في الباطنِ رافضيٌّ سبَّابٌ .

فنفعَني اللهُ بهـٰذهِ الإشارةِ منهُ ، وأظهرتُ لهُ ما كنتُ أبطنتُهُ مِنْ حالٍ ، وتردَّدتُ إلى الشيخِ شمسِ الدينِ الخُسْرَوْشاهيِّ مدَّةَ اشتغالي على الشيخِ عزِّ الدينِ ، مُشتغلاً عليهِما بأصولِ الدينِ)[1]

وكانَ الشيخُ الإمامُ شرفُ الدينِ مِنْ مشايخِ العلماءِ في الأصولِ والفروعِ ، وسيأتي الكلامُ عليهِ في ترجمتِهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[2]

* * *

(١) وهـٰذا النص من النصوص القيمة في هـٰذا الكتاب ؛ إذ ألقى الضوءَ سلطانُ العلماء علىٰ ثلاث فرق مشهورة في عصره كانت تضمر خبيث الاعتقاد ؛ إما خوفاً من السيف ، وإما خشية افتضاحهم وذهاب جاههم عند أهل العلم والعامة علىٰ حدٍّ سواء ، وفي هـٰذا النصِّ أيضاً منهج العز بن عبد السلام في تقريب الرجال والحكم عليهم ؛ وهـٰذا المنهج متمثل قبل كل شيء في صفاء المعتقد وسلامة العقيدة ، وهـٰذه العقلية مستمدة من الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن عمر عندما قال : (لا تحمدوا إسلام امرئ حتىٰ تعرفوا عقدة رأيه) ، ولا ننسىٰ أنَّ سلطان العلماء العزَّ بن عبد السلام قد تعرَّضَتْ لهُ إيذاءاتٌ وفتن عديدة من حشوية عصره ، وسيذكر المؤلف بعضها في ثنايا هـٰذا الكتاب . انظر (٢/ ٥٠٠) وما بعدها .

(٢) انظر (٢/ ٢٠٦ـ٢١١) .

الباب السادس

في ذكر من خاض في المعارف

وذكر منها ما وافق معتقد أهل الحق

من علماء الكلام

بابٌ

في ذكر من خاض في المعارف وذكر منها ما وافق معتقد أهل الحق من علماء الكلام

اعلمْ : أنَّ هٰؤلاءِ المشايخَ انقسمُوا قسمينِ :

فقسمٌ : هذَّبُوا معارفَهُم بالعلومِ ، وأخذُوها عنِ المشايخِ .

وقسمٌ : لاحَتْ لهُم أنوارُ الهدايةِ ، وقادَهُم دليلُ العنايةِ ، فظهرَتْ ينابيعُ الحكمةِ مِنْ قلبِهِم علىٰ لسانِهِم ، وحُفِظُوا في ذلكَ مِنَ الوقوعِ فيما يُنتقَدُ عليهِم ، ويَتطرَّقُ بهِ الخللُ إليهِم .

وأنا ذاكرٌ لكَ في هٰذا البابِ جماعةً مِنْ أوائلِهِم مِنْ غيرِ أنْ أستوعبَ ذكرَهُم ، وإنَّما أقصدُ بذلكَ التبرُّكَ والاستنصارَ بهِم ؛ فعندَ ذكرِ الصالحينَ تنزلُ الرحمةُ ، مِنْ غيرِ ترتيبٍ في طبقاتِهِم ، بل سرداً بحكمِ ما اتَّفقَ استحضارُهُ لي ، واللهُ المُوفِّقُ[1]

---

(١) وقد عقد الإمام القشيري في « رسالته » باباً في التوحيد ذكر فيه كثيراً من كلامهم في هٰذا الباب ، كما أورد في بداية الكتاب فصلاً ذكر فيه جملة من اعتقادهم في مسائل الأصول .

فمنهُم :

أبو سليمانَ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ عطيَّةَ الدَّارانيُّ

مِنْ داريَّا ؛ قريةٍ مِنْ قرىٰ دمشقَ .

ومِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : (ربَّما تقعُ في قلبي النُّكتةُ مِنْ نُكَتِ القومِ أيّاماً ، فلا أقبلُ منهُ إلا بشاهدينِ عدلينِ مِنَ الكتابِ والسنَّةِ)[1]

تُوفِّيَ سنةَ خمسَ عشرةَ ومئتينِ .

* * *

(١) أخرجه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٧٧ـ ٧٨) ، ومن طريقه الإمام القشيري في « الرسالة » (ص١٣٣) ، والضمير في (منه) : يعود إلى الواقع في القلب ، أو إلى القلب نفسه .

ومنهُم :

عبدُ العزيزِ المكِّيُّ

تلميذُ عبدِ اللهِ بنِ سعيدٍ أخي يحيى بنِ سعيدٍ القطانِ[١] ، وهوَ ممَّنْ فضحَ المعتزلةَ في مجلسِ المأمونِ[٢]

* * *

(١) انظر ما سبق (١/ ٢٨٣) .

(٢) الأولىٰ للمؤلف : أن يذكر عبد العزيز المكي في الباب السابق بعد ترجمة عبد الله بن سعيد ابن كلاب ، وعبد العزيز من القدماء الذين اشتهروا بعلم الكلام ، ومن تلاميذه : الحسين بن الفضل البَجَلي المارُّ ذكرُهُ في (١/ ٢٨٤) ، وذكر الحسينُ شيخَه عبد العزيز ضمن كلام ؛ فكان مما قاله : (قد كان المكي يختلف إليكم ـ أي : يختلف إلىٰ بعض أهل الحديث ممن تعرض لفتنة خلق القرآن ـ ويقول لكم : إني أعلم من هٰذا الباب ما لا تعلمون ، فتعلَّموا ذلك مني ، فتحملكم الرئاسة علىٰ ترك ذلك ، ويقول لكم : يكون لكم ما تعلَّمتموه مني عُدَّة تعتدونها لأعدائكم ، فإن هجموا يوماً لم تحتاجوا إلىٰ طلب العُدَّة ، فإن احتجوا بعد ذلك عليكم ولم يحضركم الأعداء . . لم يضركم الإعداد للعدة ، فتأبون ذلك !!) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٦٢٤ـ ٦٢٦) .

ومنهُم :

أبو عبدِ اللهِ الحارثُ بنُ أسدٍ المحاسبيُّ

كانَ عديمَ النظيرِ في زمانِهِ علماً وورعاً ، خلَّفَ أبوهُ لهُ سبعينَ ألفَ درهمٍ ، فلم يأخذْ منها شيئاً ؛ لأنَّهُ كانَ يقولُ بالقَدَرِ[١]

ولهُ تصانيفُ مشهورةٌ في علمِ التوحيدِ والردِّ على المبتدعةِ ، وشهرتُهُ تُغني عن تعريفِهِ بالأوصافِ ، ماتَ ببغدادَ سنةَ ثلاثٍ وأربعينَ ومئتينِ .

وكانَ رحمَهُ اللهُ إذا مدَّ يدَهُ إلىٰ طعامٍ فيهِ شبهةٌ . . تحرَّكَ علىٰ إصبَعِهِ عِرقٌ ، فامتنعَ مِنْ ذلكَ الطعامِ[٢]

* * *

---

(١) انظر « الرسالة القشيرية » (ص١١٩) ، والضمير في (لأنه) يرجع إلىٰ (أبوه) .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص١١٩) ، وختم ترجمتَهُ بذكر قصَّة له مع الجنيد تشهد له بهـٰذه الكرامة .

ومنهُم :

أبو الفيضِ ذو النونِ المصريُّ

واسمُهُ : ثوبانُ ، قامَ رجلٌ بينَ يديهِ فقالَ : أخبرْني عنِ التوحيدِ ما هوَ ؟

فقالَ : (هوَ أنْ تعلمَ : أنَّ قدرةَ اللهِ في الأشياءِ بلا مِزاجٍ ، وصنعَهُ للأشياءِ بلا علاجٍ ، وعلَّةَ كلِّ شيءٍ صنعُهُ ، ولا علَّةَ لصنعِهِ ، وليسَ في السماواتِ العلا ولا في الأَرَضينَ السفلىٰ مُدبِّرٌ غيرُ اللهِ ، وكلُّ ما تُصوِّرَ في وهمِكَ فاللهُ بخلافِهِ)[١]

وسُئِلَ عن قولِهِ تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، فقالَ : (أثبتَ ذاتَهُ ، ونفىٰ مكانَهُ ، فهوَ موجودٌ بذاتِهِ ، والأشياءُ موجودةٌ بحكمتِهِ)[٢] .

تُوفِّيَ سنةَ خمسٍ وأربعينَ ومئتينِ ، رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ .

* * *

(١) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص٨٨) ، وذكره بلاغاً أبو نصر السراج في « اللمع » (ص٤٩) .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص٩٤) .

ومنهُم :

سَرِيُّ بنُ المُغلِّسِ السَّقَطِيُّ

خالُ الجنيدِ وأستاذُهُ ، كانَ أوحدَ أهلِ زمانِهِ في الورعِ والأحوالِ السنيةِ وعلومِ التوحيدِ ، ومِنْ كلامِهِ [. . .][1]

تُوفِّيَ [سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ ومئتينِ][2]

* * *

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، ومن كلامه رحمه الله تعالىٰ كما في « الرسالة » (ص١١٢) : (التصوف اسم لثلاثة معانٍ : وهو الذي لا يطفئ نورُ معرفته نورَ ورعه ، ولا يتكلم بباطن من علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب ، ولا تحمله الكرامات علىٰ هتك أستار محارم الله) .

(٢) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٢/ ١٨٧) .

ومنهُم :

سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ

أوحدُ أهلِ زمانِهِ .

سُئِلَ عن ذاتِ اللهِ ، فقالَ : (ذاتُ اللهِ موصوفةٌ بالعلمِ ، غيرُ مُدرَكَةٍ بالإحاطةِ ، ولا مَرْئيَّةٍ بالأبصارِ لنا في دارِ الدنيا ، وننظرُ إليهِ في الأُخْرىٰ ظاهراً في مُلكِهِ وقدرتِهِ[١] ، قد حجبَ الخلقَ عن معرفتِهِ[٢] ، ودلَّهُم عليهِ بآياتِهِ ؛ فالقلوبُ تعرفُهُ ، والعقولُ لا تُكيِّفُهُ ، وينظرُ إليهِ المؤمنونَ بالأبصارِ مِنْ غيرِ إحاطةٍ ولا إدراكِ نهايةٍ)[٣]

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (إنَّ الحروفَ لسانُ فعلٍ لا لسانُ ذاتٍ ؛ لأنَّها فعلٌ في مفعولٍ)[٤] ، وهـٰذا تصريحٌ منهُ بأنَّ الحروفَ مخلوقةٌ .

تُوفِّيَ سنةَ ثلاثٍ وثمانينَ ـ وقيلَ : ثلاثٍ وتسعينَ ـ ومئتينِ .

* * *

(١) في « الرسالة » : (وتراه العيون في العقبىٰ) بدل (وننظر إليه في الأخرىٰ) .

(٢) في « الرسالة » : (عن معرفة كنه ذاته) .

(٣) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص٦٢٠ـ٦٢١) .

(٤) أورده القشيري في « رسالته » (ص٩٦) .

ومنهُم :

أبو زكريَّا يحيى بنُ معاذٍ الرازيُّ الواعظُ

سألَهُ سائلٌ فقالَ : أخبرْني عنِ اللهِ تعالىٰ ؟ فقالَ : إلـٰهٌ واحدٌ ، فقالَ : كيفَ هوَ ؟ قالَ مَلِكٌ قادرٌ ، فقالَ : أينَ هوَ ؟ فقالَ : لبالمرصادِ ، فقالَ السائلُ : لم أسألْكَ عن هـٰذا ، فقالَ : ما كانَ غيرَ هـٰذا فهوَ صفةُ المخلوقِ ، فأمَّا صفتُهُ عزَّ وجلَّ فما أخبرتُكَ بهِ(١)

تُوفِّيَ سنةَ ثمانٍ وخمسينَ ومئتينِ .

* * *

---

(١) أخرجه السلمي في « طبقاته » (ص١١٢ـ١١٣) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص٩٣) ، وفي « صفة الصفوة » (٤/ ٩٨) أن السائل كان ملحداً .

ومنهُم :

أبو القاسمِ الجنيدُ بنُ محمدٍ القواريريُّ

سيِّدُ الطائفةِ ، مُجمَعٌ على ورعِهِ وعلمِهِ ، كانَ أبوهُ زجَّاجاً ؛ فلذلكَ عُرِفَ بـ (القواريريِّ) .

كانَ عارفاً بعلمِ الكلامِ ، ولهُ فيهِ وفي المعارف تصانيفُ كثيرةٌ ؛ قالَ الجنيدُ رضيَ اللهُ عنهُ : (أوَّلُ ما يُحتاجُ إليهِ مِنْ عَقْدِ الحكمةِ : معرفةُ المصنوعِ صانعَهُ ، والمحدَثِ كيفَ كانَ إحداثُـهُ ؛ فيعرفُ صفةَ الخالقِ مِنَ المخلوقِ ، وصفةَ القديمِ مِنَ المحدَثِ ، ويذِلُّ لدعوتِهِ ، ويعترفُ بوجوبِ طاعتِهِ ؛ فإنَّ مَنْ لم يعرفْ مالكَهُ لم يعترفْ بالمُلكِ لمَنِ استوجبَهُ)(١)

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (التوحيدُ : علمُكَ وإقرارُكَ بأنَّ اللهَ تعالى فردٌ في أزليَّتِهِ ، لا ثانيَ معَهُ ، ولا شيءَ يفعلُ فعلَهُ)(٢)

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (سُئِلَ بعضُ العلماءِ عنِ التوحيدِ ، فقالَ : هوَ اليقينُ ، فقالَ السائلُ : بيِّنْ لي ما هوَ ؟ فقالَ : هوَ معرفتُكَ أنَّ حركاتِ الخلقِ وسكونَهُم فعلُ اللهِ عزَّ وجلَّ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، فإذا فعلتَ ذلكَ فقد وحَّدتَهُ)(٣)

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ حينَ سألَهُ ابنُ شاهينَ عن معنى (معَ) ، فقالَ : (معَ)

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٦) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٨٥) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٦) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٨٨) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٦) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٩١) ، وفعلت : بمعنى : عرفت .

علىٰ معنيينِ : معَ الأنبياءِ بالنصرِ والكلاءةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] ، ومعَ العامَّةِ بالعلمِ والإحاطةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ ﴾ [المجادلة : ٧] ، فقالَ ابنُ شاهينَ : مثلُكَ يصلُحُ أنْ يكونَ دالاً للأمَّةِ على اللهِ(١)

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ في « أجوبةِ مسائلِ الشاميينَ » : (التوكُّلُ عملُ القلبِ ، والتوحيدُ قولُ القلبِ)(٢) ، هـٰذا قولُ أهلِ الأصولِ : إنَّ الكلامَ هوَ المعنى الذي قامَ بالقلبِ مِنْ معنى الأمرِ والنهيِ والخبرِ والاستخبارِ(٣)

ويَعضُدُهُ قولُهُم : إنَّ الكلامَ يستلزمُهُ العلمُ ، فإذا كانَ القلبُ عالماً بالتوحيدِ والنفسُ قاطعةً بهِ . . فهيَ مُتكلِّمةٌ بالتوحيدِ ؛ لأنَّ العلمَ يستلزمُ الكلامَ كما سبقَ ، واللهُ أعلمُ .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (مَنْ لم يحفظِ القرآنَ ، ولم يكتبِ الحديثَ . . فلا يُقتدىٰ بهِ في هـٰذا الأمرِ ؛ لأنَّ علمَنا مُقيَّدٌ بالكتابِ والسنَّةِ)(٤)

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (متىٰ يتَّصلُ مَنْ لا شبيهَ لهُ ولا نظيرَ بما لهُ شبيهٌ ونظيرٌ ؟! هيهاتَ !! هـٰذا ظنٌّ عجيبٌ !! إلا بما لطُفَ اللطيفُ ؛ مِنْ حيثُ لا دَرَكَ ولا إحاطةَ ولا إشارةَ إلا اليقينُ وتحقيقُ الإيمانِ)(٥)

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٩٤) ، وابن السبكي في « الطبقات » (٩/ ٤٢) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٦) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٩٦) .

(٣) انظر « الرسالة القشيرية » (ص٩٦) .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٥) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص١٥٥) .

(٥) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص٩٣) ، وفيه : (ولا إحاطة إلا إشارة اليقين) بدل (ولا إحاطة ولا إشارة إلا اليقين) .

قالَ أبو بكرٍ العَطَوِيُّ : (كنتُ عندَ الجنيدِ حينَ ماتَ ؛ ختمَ القرآنَ ثمَّ ابتدأَ مِنَ « البقرةِ » ، وقرأَ سبعينَ آيةً ، ثمَّ ماتَ رحمَهُ اللهُ)[١]

تُوفِّيَ أبو القاسمِ الجنيدُ سنةَ سبعٍ وتسعينَ ومئتينِ .

*

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٦٤) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص١٥٦) .

ومنهُم :

أبو الحسينِ أحمدُ بنُ محمدٍ النُّوريُّ

قالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (شاهدَ القلوبَ الحقُّ سبحانَهُ ، فلم يرَ قلباً أشوقَ إليهِ مِنْ قلبِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأكرمَهُ بالمعراجِ مُعجِّلاً للرؤيةِ والمكالمةِ)[1]

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (**التوحيدُ** : كلُّ خاطرٍ يشيرُ إلى اللهِ لا يزاحمُهُ تشبيهٌ)[2]

تُوفِّيَ النوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ سنةَ خمسٍ وتسعينَ ومئتينِ .

* * *

---

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٨٩) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٩١) .

ومنهُم :

أبو عبدِ اللهِ عمرُو بنُ عثمانَ المكِّيُّ

شيخُ القومِ ، وإمامُ القومِ في الطريقةِ والأصولِ .

قالَ رحمَهُ اللهُ : (كلُّ ما توهَّمَهُ قلبُكَ ، أو سنحَ في مجاري فكرِكَ ، أو خطرَ في مُعارَضاتِ قلبِكَ ؛ مِنْ حسنٍ أو بهاءٍ ، أو أنسٍ أو ضياءٍ ، أو جمالٍ أو شبحٍ ، أو نورٍ أو شخصٍ أو خيالٍ . . فاللهُ تعالىٰ بعيدٌ مِنْ ذلكَ كلِّهِ ، أَلاَ ترىٰ قولَهُ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورىٰ : ١١] ، وقالَ : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص : ٣ـ٤])(١)

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ ببغدادَ سنةَ إحدىٰ وتسعينَ ومئتينِ .

* * *

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٩١) ، والسلمي في « طبقاته » (ص٢٠١ـ٢٠٢) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص١٦٨) .

ومنهُم :

أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عليٍّ التِّرْمذيُّ

لهُ تصانيفُ في علومِ القومِ ، ولهُ غَوْصٌ في المعاني ، وسبقٌ إلىٰ إدراكِ الخفيَّاتِ ، وتصانيفُهُ مشهورةٌ .

قالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (ما صنَّفتُ حرفاً عن تدبيرٍ ، ولا ليُنسَبَ إليَّ منهُ شيءٌ ، ولـٰكنْ كانَ إذا اشتدَّ عليَّ وقتي أتسلَّىٰ بهِ)[1]

ومِنْ مُصنَّفاتِهِ : « نوادرُ الأصولِ » في ثلاثِ مجلداتٍ ، ذكرَ فيهِ مئتينِ وتسعينَ أصلاً[2] ، أتىٰ علىٰ كلِّ أصلٍ وبناهُ علىٰ خبرٍ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ علىٰ كلامِ الصحابةِ والتابعينَ وغيرِهِم مِنَ العلماءِ[3] .

* * *

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص١٧٤) ، وأخرجه أبو عبد الرحمـٰن السلمي كما في « تاريخ الإسلام » (٢١/ ٢٧٧) ، وفي كتابه « نوادر الأصول » جملةٌ وافرة مما نحن بصدده ها هنا .

(٢) والذي في المطبوع ذكرٌ لمئتين وأربعة وتسعين أصلاً .

(٣) والمشهور : أنه عاش إلىٰ حدود سنة (٣٢٠هـ) انظر « لسان الميزان » (٧/ ٣٨٩) .

ومنهُم :

أبو سعيدٍ أحمدُ بنُ عيسى الخرَّازُ

مِنْ أهلِ بغدادَ ، قالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (حقيقةُ القربِ : فقدُ حسِّ الأشياءِ مِنَ القلبِ ، وهدوُّ الضميرِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ)[1]

تُوفِّيَ سنةَ سبعٍ وسبعينَ ومئتينِ .

(١) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص٩٥) .

ومنهُم :

أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ سهلِ بنِ عطاءٍ الأَدَميُّ

مِنْ كبارِ المشايخِ وعلمائِهم ، وهوَ مِنْ أقرانِ الجنيدِ .

قالَ ابنُ عطاءٍ : (إنَّ اللهَ لمَّا خلقَ الأحرفَ جعلَها سرّاً لهُ ، فلمَّا خلقَ آدمَ عليهِ السلامُ بثَّ فيهِ ذلكَ السرَّ ، ولم يَبُثَّ ذاكَ في أحدٍ مِنْ ملائكتِهِ ، فجرتِ الأحرفُ علىٰ لسانِ آدمَ عليهِ السلامُ بفنونِ الجِرْياتِ واللغاتِ ، فجعلَها اللهُ صوراً لها)[1]

قالَ الأستاذُ أبو القاسمِ القشيريُّ : (صرَّحَ ابنُ عطاءٍ بأنَّ الحروفَ مخلوقةٌ)[2]

وقالَ ابنُ عطاءٍ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [قٓ : ٣٧] ، قالَ : (لمَنْ لهُ قلبٌ لاحظَ الحقَّ بعينِ التعظيمِ ، فذابَ لهُ وانقطعَ إليهِ عمَّا سواهُ)[3]

تُوفِّيَ سنةَ تسعٍ وثلاثِ مئةٍ

* * *

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٩٥ـ٩٦) ، وفيها : (بفنون الجريان) بدل (بفنون الجريات) ، **وقوله** : (**صوراً لها**) أي : للفنون المذكورة ، والمراد : المعاني ؛ أي : جعلها قوالب لمعانيها ، بأن يفهم معانيها منها . انظر « إحكام الدلالة » (١/ ٦١) .

(٢) الرسالة القشيرية (ص٩٦) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦٩) ، وفيه : (فذان) بدل (فذاب) .

ومنهُم :

أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ أحمدَ الخوَّاصُ

مِنْ أقرانِ الجنيدِ والنُّوريِّ ، قالَ : (انتهيتُ إلىٰ رجلٍ وقد صرعَهُ الشيطانُ ، فجعلتُ أُؤذِّنُ في أذنِهِ ، فنادَاني الشيطانُ مِنْ جوفِهِ : دعْني أقتلْهُ ؛ فإنَّهُ يقولُ : القرآنُ مخلوقٌ)[1]

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ سنةَ إحدىٰ وتسعينَ ومئتينِ .

* * *

(١) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص٩٥) ، وروى الخطيب البغدادي في « تاريخه » (٥/ ٣٨٣) نحوه عن أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي رحمه الله تعالىٰ .

ومنهُم :

أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمدِ بنِ سهلٍ الدِّينَوَرِيُّ ، المعروفُ بـ (ابنِ الصائغِ) نزيلُ مصرَ

سُئِلَ عنِ الاستدلالِ بالشاهدِ على الغائبِ ، فقالَ : كيفَ يُستدَلُّ بصفاتِ مَنْ لهُ مثلٌ علىٰ مَنْ لا مثلَ لهُ ولا نظيرَ ؟![1]

* * *

(١) أورده بلفظه القشيري في « الرسالة » (ص١٨٩) ، وأخرجه بنحوه السلمي في « طبقاته » (ص٣١٥) .

ومنهُمْ :

الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ [محمدُ بنُ الحسينِ بنِ محمدٍ الأَزْديُّ النيسابوريُّ] السُّلَميُّ(١)

شيخُ الطريقةِ في وقتِهِ ، المُوفَّقُ في جميعِ علومِ الحقائقِ ومعرفةِ طريقِ التصوُّفِ ، صاحبُ التصانيفِ ، ورثَ ذلكَ عن أبيهِ وجدِّهِ(٢) ، وجمعَ مِنَ الكتبِ ما لم يُسبَقْ إلىٰ ترتيبِهِ ، حتىٰ بلغَ فهرستُ تصانيفِهِ المئةَ وأكثرَ .

حدَّثَ أكثرَ مِنْ أربعينَ سنةً إملاءً وقراءةً ، وكتبَ الحديثَ بنيسابورَ ومرْوَ والعراقِ والحجازِ ، وانتخبَ عنهُ الحفاظُ الكبارُ .

سمعَ : مِنْ أبيهِ ، وجدِّهِ أبي عمرِو بنِ نُجيدٍ ، وأبي عبدِ اللهِ الصفارِ ، وإبراهيمَ بنِ محمدٍ ، ومحمدِ بنِ يعقوبَ الحافظِ .

أخذَ عنهُ : الإمامُ عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ القشيريُّ(٣) .

ولدَ سنةَ ثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ في شهرِ رجبٍ(٤) ، وتُوفِّيَ في رجبٍ أو شعبانَ سنةَ ثنتي عشرةَ وأربعِ مئةٍ رحمَهُ اللهُ .

* * *

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار سطر ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٤٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٢٤٧) .

(٢) أي : لأمه ؛ وهو أبو عمرو بن نجيد ، كما سيأتي التصريح به بعد قليل .

(٣) وروىٰ عنه في « الرسالة » أخباراً كثيرة .

(٤) وفي « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٤٤) : المشهور : أنه ولد في رمضان .

الباب السّابع

في فضل الإمام أبي الحسن الأشعريّ رحمه الله تعالى

بابٌ
في فضل الإمام أبي الحسن الأشعريّ رحمه الله تعالى

روى الحافظُ ابنُ عساكرَ بإسنادِهِ إلى الحافظِ البيهقيِّ قالَ : (رأيتُ في كتبِ أصحابِنا : أبو الحسنِ ، عليُّ بنُ إسماعيلَ بنِ إسحاقَ بنِ سالمِ بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ موسى بنِ بلالِ بنِ أبي بُردةَ بنِ أبي موسى الأشعريُّ)[1] .

وروىٰ بإسنادِهِ إلى الحافظِ أبي بكرٍ الخطيبِ البغداديِّ قالَ : (عليُّ بنُ إسماعيلَ بنِ أبي بشرٍ ـ واسمُهُ : إسحاقُ ـ ابنِ سالمِ بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ موسى بنِ بلالِ بنِ أبي بردةَ بنِ أبي موسىٰ ، أبو الحسنِ الأشعريُّ ، المُتكلِّمُ ، صاحبُ الكتبِ والتصانيفِ في الرَّدِّ على الملحدةِ وغيرِهِم ؛ مِنَ المعتزلةِ ، والرافضةِ ، والجهميَّةِ ، والخوارجِ ، وسائرِ أصنافِ المبتدعةِ .

وهو بصريٌّ][2] ، سكنَ بغدادَ إلىٰ أنْ تُوفِّيَ بها ، وكانَ يجلسُ أمامَ الحَلَقاتِ في حَلْقةِ أبي زيدٍ المـَرْوَزيِّ[3] الفقيهِ مِنْ جامعِ المنصورِ)[4]

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص ١٢٩) .

(٢) ما بين معقوفين بياض في الأصل بمقدار صفحة ، والظاهر : أنها بداية الباب السابع في فضل أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالىٰ ، وقد اجتهدت في استدراك بعض هـٰذا النقص من « تبيين كذب المفتري » (ص١٢٩) المنقولِ منه هـٰذا الكلام علىٰ منهج مقارب لمنهج المؤلف .

(٣) العبارة في « تبيين كذب المفتري » (ص١٢٩) : (وكان يجلس أيام الجمعات في حلقة أبي إسحاق المروزي) .

(٤) تبيين كذب المفتري (ص١٢٩) ، وانظر « تاريخ بغداد » (١٣/ ٢٦٠) .

وذكرَ الإمامُ أبو بكرِ ابنُ فُورَكَ : أنَّهُ كانَ يتمذهبُ بمذهبِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ[1].

وجدُّهُ أبو موسىٰ عبدُ اللهِ بنُ قيسِ بنِ حِضَارِ بنِ حربِ بنِ عامرِ بنِ عِتْرِ بنِ بكرِ بنِ عامرِ بنِ عَذَرِ بنِ وائلِ بنِ ناجيةَ بنِ جُماهرِ بنِ الأشعرِ بنِ أُدَدِ بنِ يَشجُبَ بنِ عَريبِ بنِ زيدِ بنِ كهلانَ بنِ سبأِ بنِ يَشجُبَ بنِ يَعرُبَ بنِ قحطانَ .

وكانَ مُتمذهِباً بمذهبِ المعتزلةِ فرجعَ عنهُ ؛ لأنَّهُ رأىٰ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، والقصةُ مشهورةٌ[2].

وَفَدَ جدُّهُ أبو موسىٰ معَ جماعةِ الأشعريينَ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « أَتَاكُمْ أَهْلُ ٱلْيَمَنِ ، هُمْ أَرَقُّ قُلُوباً ، وَأَضْعَفُ أَفْئِدَةً ، ٱلإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَٱلْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ »[3].

ولمَّا نزلَتْ : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] . . أومأَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ أبي موسىٰ ؛ فقالَ : « هُمْ قَوْمُ هَـٰذَا »[4].

ويدُلُّ علىٰ فضلِ الأشعريينَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي ٱلْغَزْوِ ، أو قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِٱلْمَدِينَةِ . . جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ ، ثُمَّ ٱقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِٱلسَّوِيَّةِ ، هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ »[5] ، ما أفضلَ هـٰذهِ النسبةَ ، وأشملَ هـٰذا القُرْبَ لهـٰذهِ القُرْبةِ ! !

---

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص١٣٠) .

(٢) انظرها في « تبيين كذب المفتري » (ص١٣٨ـ١٤٢) .

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٨٨) ، ومسلم (٥٢/ ٩٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٣١٣) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٥٤٣٨) مرسلاً عن عياض الأشعري رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص١٤٩ـ١٥٢) .

(٥) أخرجه البخاري (٢٤٨٦) ، ومسلم (٢٥٠٠) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وأَرْمَلوا : فني زادهم ، وأصله : من الرمل ؛ كأنهم لصقوا بالرمل من القلة .

قلتُ : وقد روى البخاريُّ في « صحيحِهِ » بسندِهِ إلىٰ أبي موسىٰ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ ٱلأَشْعَرِيِّينَ بِٱلْقُرْآنِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِٱلنَّهَارِ ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِٱلْقُرْآنِ بِٱللَّيْلِ ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ ؛ إِذَا لَقِيَ ٱلْخَيْلَ ـ أو قالَ : ٱلْعَدُوَّ ـ قَالَ : إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْتَظِرُوهُمْ »[1]

قلتُ : وممَّا يدُلُّ علىٰ أنَّ أبا الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ نزعَهُ عِرْقٌ شريفٌ حيثُ تكلَّمَ في أصولِ العقائدِ والدياناتِ ، وسلكَ في ذلكَ مسلكَ جدودِهِ ، ولم يأتِ ببدعٍ ، ولم يخرجْ عنِ اتِّباعِ سلفِهِ : ما رواهُ البخاريُّ بسندِهِ إلىٰ عمرانَ بنِ حصينٍ قالَ : دخلتُ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذْ جاءَهُ قومٌ مِنْ بني تميمٍ ، فقالَ : « ٱقْبَلُوا ٱلْبُشْرَىٰ يَا بَنِي تَمِيمٍ » ، فقالُوا : قد بشَّرْتَنا فأعطِنا

قالَ : فدخلَ عليهِ [ناسٌ] مِنْ أهلِ اليمنِ ، فقالَ : « ٱقْبَلُوا ٱلْبُشْرَىٰ يَا أَهْلَ ٱلْيَمَنِ إِذْ لم يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ » ، فقالُوا : قد قَبِلْنا يا رسولَ اللهِ ، جئْناكَ نسأَلُكَ عن هـٰذا الأمرِ ـ وفي روايةٍ : عن أوَّلِ هـٰذا الأمرِ ـ فقالَ : « كَانَ ٱللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَعَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي ٱلذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، وَخَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ » .

وتمامُ الحديثِ : أنَّ رجلاً قالَ لعمرانَ : راحلتَكَ أدرِكْ ناقتَكَ ؛ فقد ذهبَتْ ، فانطلقتُ في طلبِ ناقتي ، فإذا السَّرابُ ينقطعُ دونَها ، وايمُ اللهِ ؛ لودِدتُ أنَّها ذهبَتْ ولم أقمْ[2]

فهـٰذا الحديثُ يدُلُّ علىٰ جوازِ الكلامِ في أصولِ العقائدِ والسؤالِ عنها والجوابِ ، وفي ذلكَ أيضاً ما وقعَ مِنَ الأمرِ الذي حالَ بينَ عمرانَ بنِ حصينٍ

---

(١) صحيح البخاري (٤٢٣٢) ، وأخرجه مسلم (٢٤٩٩) .

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٨٧) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص١٧٦ـ١٧٨) .

وبينَ سماعِهِ لبقيَّةِ ذلكَ المجلسِ الذي وقعَ الخوضُ فيهِ في علمِ الأصولِ ، وهوَ أمرٌ مقدورٌ ؛ ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال : ٤٢] .

وممَّا يدُلُّ علىٰ أنَّ الأشعريينَ معروفونَ بالتفقُّهِ في الدينِ ، وتعليمِ الجهلةِ وإرشادِهِم لأمرِ دينِهِم مِنْ زمنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، مُستقِرٌّ ذلكَ لهُم لا يُدفعُونَ عنهُ : ما رواهُ الحافظُ ثقةُ الدينِ أبو القاسمِ عليُّ ابنُ هبةِ اللهِ ابنُ عساكرَ بسندِهِ إلىٰ علقمةَ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ أبْزىٰ ، عن أبيهِ ، عن جدِّهِ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنَّهُ خطبَ الناسَ قائماً ، فحمدَ اللهَ وأثنىٰ عليهِ ، وذكرَ طوائفَ مِنَ المسلمينَ فأثنىٰ عليهِم خيراً ، ثمَّ قالَ : « مَا بَالُ أَقْوَامٍ لاَ يُعَلِّمُونَ جِيرَانَهُمْ وَلاَ يُفَقِّهُونَهُمْ وَلاَ يَأْمُرُونَهُمْ وَلاَ يَنْهَوْنَهُمْ ؟! وَمَا بَالُ أَقْوَامٍ لاَ يَتَعَلَّمُونَ مِنْ جِيرَانِهِمْ وَلاَ يَتَفَقَّهُونَ وَلاَ يَفْطَنُونَ ؟! وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَيُعَلِّمُنَّ جِيرَانَهُمْ وَلَيُفَقِّهُنَّهُمْ وَلَيَأْمُرُنَّهُمْ وَلَيَنْهُنَّهُمْ ، وَلَيَتَعَلَّمَنَّ قَوْمٌ مِنْ جِيرَانِهِمْ وَلَيَتَفَقَّهُنَّ وَلَيَتَفَطَّنُنَّ ، أَوْ لأُعَاجِلَنَّهُمْ بِٱلْعُقُوبَةِ فِي دَارِ ٱلدُّنْيَا » ، ثمَّ نزلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فدخلَ بيتَهُ .

فقالَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بينَهُم : مَنْ يعني بهـٰذا الكلامِ ؟ قالُوا : ما يعني بهـٰذا الكلامِ إلا الأشعريينَ ؛ إنَّهُم فقهاءُ علماءُ ، ولهُم جيرانٌ مِنْ أهلِ المياهِ جُفاةٌ جَهَلَةٌ .

فاجتمعَ جماعةٌ مِنَ الأشعريينَ ، فدخلُوا علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالُوا : ذكرتَ طوائفَ مِنَ المسلمينَ بخيرٍ ، وذكرْتَنا بشرٍّ ، فما بالُنا ؟!

فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَـتُعَلِّمُنَّ جِيرَانَكُمْ وَلَـتُفَقِّهُنَّهُمْ وَلَـتَأْمُرُنَّهُمْ وَلَـتَنْهُنَّهُمْ ، أَوْ لأُعَاجِلَنَّـكُمْ بِٱلْعُقُوبَةِ فِي دَارِ ٱلدُّنْيَا » .

فقالُوا : أمَّا إذاً فأمهِلْنا سنةً ؛ ففي سنةٍ نُعلِّمُهُم ويتعلَّمُونَ ، فأمهلَهُم سنةً ،

ثمَّ قرأَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ . . . ﴾ إلىٰ قولِهِ : ﴿ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[1] [المائدة : ٧٨ـ٧٩] .

وممَّا يدُلُّ علىٰ لَحاقِ أبي الحسنِ بجَدِّهِ ، في حظِّهِ الوافرِ مِنَ الدِّينِ وجَدِّهِ : ما رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إِنَّ ٱللهَ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ ٱلْمُؤْمِنِ حَتَّىٰ يُلْحِقَهُمْ بِهِ ؛ لِيَقِرَّ بِهِمْ » ثمَّ قرأَ : « ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ ذُرِّيَّتَهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ [الطور : ٢١] » رواهُ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ[2] .

* * *

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص١٨٢ـ١٨٤) ، وأخرجه ابن عساكر أيضاً في « تاريخه » (٣٢/ ٥٧ـ٥٨) ، والطبراني في « الكبير » كما في « مجمع الزوائد » (١/ ١٦٤) .

(٢) أخرجه الطبري في « تفسيره » (٢٢/ ٤٦٧ـ٤٦٨) ، والبيهقي في « القضاء والقدر » (٥٤٠) ، وابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص١٩٠) ، والمثبت قراءة أبي عمرو بن العلاء . انظر « إتحاف فضلاء البشر » (ص٥١٨) .

فصل

في طريقة أبي الحسن الأشعريّ في الزهد والعبادة

وكانَتْ طريقةُ أبي الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ بالعبادةِ مِنَ الزهدِ والتقلُّلِ مِنَ الدنيا . . [ما][1] حُكِيَ عن أبي عمرانَ موسى بنِ أحمدَ بنِ عليٍّ الفارسيِّ الفقيهِ[2] ، قالَ : سمعتُ أبي يقولُ : (خدمتُ الإمامَ أبا الحسنِ الأشعريَّ بالبصرةِ سنينَ ، وعاشرتُهُ ببغدادَ إلىٰ أنْ تُوفِّيَ ، فلم أجدْ أورعَ منهُ ولا أغضَّ طَرْفاً ، ولم أرَ شيخاً أكثرَ حياءً منهُ في أمورِ الدنيا ، ولا أنشطَ منهُ في أمورِ الآخرةِ)[3]

وروىٰ عليُّ بنُ محمدٍ الطبريُّ المُتكلِّمُ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ السَّرَويَّ الفاضلَ في الكلامِ يقولُ : (كانَ الشيخُ أبو الحسنِ ـ يعني : الأشعريَّ ـ رحمَهُ اللهُ قريباً مِنْ عشرينَ سنةً يُصلِّي الصبحَ بوضوءِ العَتَمةِ) ، وكانَ يحكي عنِ اجتهادِهِ شيئاً لا إلىٰ حَدٍّ[4]

وحُكِيَ عن بُندارِ بنِ الحسينِ وكانَ خادمَ أبي الحسنِ عليِّ بنِ إسماعيلَ بالبصرةِ ، قالَ : (كانَ أبو الحسنِ يأكلُ مِنْ غَلَّةِ ضيعةٍ وقفَها جدُّهُ بلالُ بنُ أبي بردةَ بنِ أبي موسى الأشعريِّ)[5]

---

(١) ما بين معقوفين زيادة حتىٰ يستقيم الكلام ، والعبارة في « تبيين كذب المفتري » (ص ٢٩٤) : (باب ذكر ما عُرف من أبي الحسن رحمه الله من الاجتهاد في العبادة ، ونُقل عنه من التقلل من الدنيا والزَّهادة) .

(٢) في « التبيين » : (محمد) بدل (موسىٰ) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٩٤ـ٢٩٥) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٩٤) .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخه » (١١/٣٤٦) ، وابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٩٥) ، وكان قد وقفها علىٰ عقبه ، كما في « التبيين » .

فصل
في طريقة أبي الحسن الأشعري في الخوض مع أهل البدع

وكانَ مِنْ طريقتِهِ : أنَّهُ لا يتكلَّمُ ابتداءً معَ أربابِ البدعِ ، لـٰكنْ إذا سُئِلَ أجابَ ، وإذا أخطأَ رجلٌ بحضرتِهِ ردَّهُ إلى الصوابِ .

ويدُلُّ علىٰ ذلكَ : ما رواهُ الشيخُ العارفُ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ في رحلتِهِ إليهِ في قصةٍ طويلةٍ سيأتي ذكرُ بعضِها مُختصَراً ؛ قالَ في آخرِها : (إنِّي لا أُكلِّمُ هـٰؤلاءِ ابتداءً ، ولـٰكنْ إذا خاضُوا فيما لا يجوزُ مِنْ أمرِ دينِ اللهِ . . رَدَدْنا عليهِم بحكمِ ما فرضَ اللهُ سبحانَهُ علينا مِنَ الردِّ علىٰ مُخالفِي الحقِّ)(١)

وهوَ في ذلكَ مُتَّبِعٌ سنَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ حيثُ كانَ يكرهُ السؤالَ عنِ الشيءِ قبلَ وقوعِهِ والكلامَ فيهِ ، وكذلكَ كانَتِ الصحابةُ بعدَهُ على النحوِ الذي قدَّمْناهُ(٢)

* * *

(١) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٢١٩ـ٢٢٠) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٤٩ـ٣٥٠) ، و(١/ ٣٥٩) .

(٢) انظر (١/ ٢٤٩ـ٢٥١) .

فصل

ممّا يدل على فضله كونه من خير القرون

وممَّا يدُلُّ علىٰ فضلِهِ : أنَّهُ مِنْ خيرِ القرونِ الذينَ قالَ سيِّدُنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيهِم : « خَيْرُ ٱلْقُرُونِ قَرْنِي ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ »(١)

والقرنُ مئةُ سنةٍ ، ويدُلُّ علىٰ ذلكَ : قولُهُ : « فَإِنَّ عَلَىٰ رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ لاَ يَبْقَىٰ مِمَّنْ هُوَ عَلَىٰ ظَهْرِ ٱلأَرْضِ أَحَدٌ » يُريدُ بهِ : انخرامَ القرنِ(٢)

ويدُلُّ علىٰ أنَّ القرنَ مئةُ سنةٍ أيضاً : ما رواهُ محمدُ بنُ القاسمِ الطائيُّ : أنَّ عبدَ اللهِ بنَ [بُسْرٍ] كانَ معَهُم في قريتِهِ فقالَ : هاجرَ أبي وأمِّي إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وإنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مسحَ بيدِهِ رأسي وقالَ : « لَيَعِيشَنَّ هَـٰذَا ٱلْغُلاَمُ قَرْناً » ، [فقلتُ] : بأبي وأمِّي يا رسولَ اللهِ ؛ كمِ القرنُ ؟ فقالَ : « مِئَةُ سَنَةٍ » .

قالَ عبدُ اللهِ بنُ [بُسْرٍ] : فلقد عشتُ خمساً وتسعينَ سنةً ، وبقيَتْ خمسُ سنينَ إلىٰ أنْ أُتِمَّ قولَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

قالَ محمدٌ : فكمَّلَ خمسَ سنينَ وماتَ(٣)

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٢٥٠) .

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٦٧) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٩٩ـ٣٠٠) ، وفي « تاريخه » (١٢/٢٢) ، والحاكم مختصراً من وجه آخر (٥٤٩/٢) ، وجاء في (أ ، ب) : (عبد الله بن بشر) بالمعجمة في كلا الموضعين ، والصواب ما أثبت ، وعبد الله بن بسر هو=

وإذا ثبتَ ذلكَ : فمولدُ أبي الحسنِ على ما حكاهُ أبو بكرٍ [الوزّانُ][1] سنةَ ستينَ ومئتينِ[2] ، فهوَ في المئةِ الثالثةِ قطعاً ، وهيَ القرنُ الثالثُ على ما قُدِّمَ مِنَ الأحاديثِ ، فهوَ مِنْ خيرِ القرونِ ، والحمدُ للهِ على ذلكَ .

* * *

= آخر الصحابة موتاً بالشام ، وكان عمره مئة سنة . انظر « سير أعلام النبلاء » (٣/ ٤٣١) .

(١) في نسختينا : (الوراق) ، والمثبت من « التبيين » (ص١٣٠) ، وانظر « تاريخ بغداد » (٤/ ٢٤٨) .

(٢) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص١٣٠) .

فصل
في ثناءات أساطين العلم على الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى ونضالهم عنه (١)

وممَّا يدُلُّ علىٰ فضلِ الإنسانِ : أنْ تجتمعَ علىٰ محبَّتِهِ القلوبُ ، ويُثْنيَ عليهِ اللسانُ ، ومصداقُ ذلكَ : ما رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « أَنْـتُمْ شُهَدَاءُ ٱللهِ فِي ٱلأَرْضِ »(٢)

وقدِ اتَّفَقَ العلماءُ المشهورونَ ، والأئمَّةُ المذكورُونَ ، الذينَ هم أهلُ الحَلِّ والعَقْدِ ، ومِحَكُّ الامتحانِ والنقدِ . . علىٰ أنَّ الإمامَ أبا الحسنِ إمامُ حقٍّ ، ووارثُ إيمانٍ وصدقٍ ، وأنَّ قولَهُ هوَ المأخوذُ بهِ والمُعوَّلُ عليهِ ، وأنَّ الإمامةَ في علمِ الأصولِ مرجعُها إليهِ .

فَمَـا جَـازَهُ مَجْـدٌ وَلاَ حَـلَّ دُونَـهُ ... وَلَـٰكِنْ يَصِيرُ ٱلْمَجْدُ حَيْثُ يَصِيرُ(٣)

علىٰ ذلكَ انعقدَ إجماعُهُم ، وبهِ يكتتبُ متبوعُهُم وأتباعُهُم(٤) ، وعنهُ وعن مذهبِهِ مناضلتُهُم ودفاعُهُم .

---

(١) ومن أراد معرفة قدر الإمام الأشعري ، وأن يمتلىء قلبه حبّاً له . . فعليه بكتاب الحافظ الحجة ابن عساكر « تبيين كذب المفتري فيما نَسَب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » ، وهو من أجلِّ الكتب وأعظمها فائدة وأحسنها ؛ فيقال : (كلُّ سنِّي لا يكون عنده كتاب « التبيين » لابن عساكر . . فليس من أمر نفسه علىٰ بصيرة) ، ويقال : (لا يكون الفقيه شافعياً على الحقيقة حتىٰ يحصل كتاب « التبيين » لابن عساكر) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٥١ـ٣٥٢) .

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٧) ، ومسلم (٩٤٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) البيت لأبي نواس في « ديوانه » (ص٩٩) ، وهو من الطويل .

(٤) في (ب) : (تكيفت) بدل (يكتتب) .

الرسالة الأشعرية

للإمام البيهقي في الثناء على أبي الحسن الأشعري والنضال عنه

يدُلُّ علىٰ ذلكَ : ما قالَهُ الإمامُ أبو بكرٍ أحمدُ ابنُ البيهقيِّ مِنْ رسالةٍ مُطوَّلةٍ كتبَها إلىٰ عَميدِ المُلْكِ زمنَ فتنةِ العلماءِ بنيسابورَ[1] ، يعظُهُ ويردُّهُ عمَّا هوَ فيهِ في حقِّ أصحابِ أبي الحسنِ ؛ منها : (وكأنَّهُ خفيَ عليهِ أدامَ اللهُ عزَّهُ حالُ شيخِنا أبي الحسنِ الأشعريِّ ، وما يرجعُ إليهِ مِنْ شرفِ الأصلِ ، وكِبَرِ المحلِّ

(١) وعَميد المُلْك : هو محمد بن منصور الكُنْدُري ، وزير السلطان طُغْرُلْبَك ، وكان معتزليّاً رافضيّاً ، ولمَّا أمر السلطان بلعن المبتدعة على المنابر في الجُمَع . . قرن الكُنْدُريُّ هـٰذا ـ للتسلِّي والتشفِّي ـ اسمَ الأشعرية بأرباب البدع ، إلىٰ أن حدث بسبب ذلك فتنٌ طالت كثيراً من أساطين العلم ، ثم تبدَّدت هـٰذه الفتنةُ وتلاشت بهلاك الكندري وقتله شرَّ قتلة ، بعد أن مُثِّل به كل مثلة ، وكان ذلك سنة (٤٥٦هـ) علىٰ يد السلطان أَلْب أرسلان السَّلْجوقي ، وقيل : إن الإمام القشيري صَعِدَ المنبر وشَخَصَ في السماء زماناً ، وأطرق زماناً ، ثم قبض علىٰ لحيته وقال : يا أهل خراسان ؛ بلادكم ، بلادكم ـ وكان قد خرج من نيسابور إحدىٰ مدن خراسان خلائقُ من كبار أئمة الشافعية والحنفية بسبب فتنة الكندري ـ إنَّ الكندريَّ غريمَكُم قُطِّع إِرْباً إِرْباً ، وفُرِّقت أعضاؤه ، وهـٰأنا أشاهده الساعة ، وأنشد : (من الوافر)

عَميدَ المُلْكِ ساعدَكَ الليالي ... علىٰ ما شئتَ مِنْ دَرَكِ المعالي
فلم يكُ منكَ شيءٌ غيرَ أمرٍ ... بلعنِ المسلمينَ على التوالي
فقابلَكَ البلاءُ بما تُلاقي ... فذُقْ ما تستحقُّ مِنَ الوبالِ

فإذا علمت ما قدَّمناه عن هـٰذا الرجل وبغضه لأهل السنَّة وإمامهم أبي الحسن الأشعري . . فعندها تتحيَّر عجباً من قول الحافظ الذهبي في « سيره » (١٨/ ١١٤) : (وما بلغنا عنه كبيرُ إساءة) !! وفتنةُ نيسابور مما سارت بها الركبان ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٢٣٦ـ٢٤٠) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٩٣) ، وسيذكر المؤلف مجمل فتنة نيسابور في (١/ ٣٣٣ـ٣٣٦ ، ٢/ ٤٩١ـ٤٩٥) .

والعلمِ والفضلِ ، وكثرةِ أصحابِهِ مِنَ المالكيَّةِ والشافعيَّةِ والحنفيَّةِ ، الذينَ رَغِبُوا في تعلُّمِ علمِ الأصولِ ، وأحبُّوا معرفةَ دلائلِ العقولِ . . .) .

(وفضائلُ الشيخِ أبي الحسنِ الأشعريِّ أكثرُ مِنْ أنْ يمكنَ ذكرُها في هٰذهِ الرسالةِ ؛ لما في الإطالةِ مِنَ المَلالةِ ، لٰكنِّي أذكرُ بمشيئةِ اللهِ مِنْ شرفِهِ وشرفِ أجدادِهِ وفضلِهِ . . ما يحملُهُ على الذَّبِّ عنهُ وعن أتباعِهِ . . .) .

ثمَّ ذكرَ ما قدَّمْناهُ مِنْ نسبهِ وذكرِ فضلِهِ ، وما رُزِقَ مِنَ الأولادِ ، ثمَّ قالَ :

(إلىٰ أنْ بلغَتِ النوبةُ إلىٰ شيخِنا أبي الحسنِ الأشعريِّ ، فلم يُحدِثْ في دينِ اللهِ حَدَثاً ، ولم يأتِ فيهِ ببدعةٍ ، بل أخذَ أقاويلَ الصحابةِ والتابعينَ ، ومَنْ بعدَهُم مِنَ الأئمَّةِ في أصولِ الدينِ ، فنصرَها بزيادةِ شرحٍ وتبيينٍ ، وأنَّ ما قالُوا وجاءَ بهِ الشرعُ في الأصولِ صحيحٌ في العقولِ ، خلافَ ما زعمَ أهلُ الأهواءِ ، فكانَ في بيانِهِ تقويةُ ما لم يستدلَّ عليهِ أهلُ السنَّةِ والجماعةِ ، ونصرةُ مَنْ مضىٰ مِنَ الأئمَّةِ كأبي حنيفةَ والشافعيِّ . . .) .

وذكرَ أئمَّةَ الأمصارِ وعدَّدَهُم ، ثمَّ قالَ : (وبذلكَ وعدَ سيِّدُنا المصطفىٰ ؛ حيثُ قالَ فيما رواهُ أبو هريرةَ : « يَبْعَثُ ٱللهُ لِهَـٰذِهِ ٱلأُمَّةِ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا »(١) ، وهم هٰؤلاءِ الأئمَّةُ الذينَ كانُوا في كلِّ عصرٍ مِنْ أعصارِ أمتِهِ . . .) .

ثمَّ قالَ : (وحينَ كثُرَتِ المبتدعةُ في هٰذهِ الأمةِ) ، وذكرَ المعتزلةَ ، فعدَّ مساويَهُم فيما اعتقدُوهُ في المسائلِ التي خالفُوا أهلَ السنَّةِ فيها ، ثمَّ قالَ : (وزعمُوا أنَّ شيئاً مِنْ ذلكَ لا يستقيمُ في العقلِ . . أخرجَ اللهُ مِنْ نسلِ أبي موسى الأشعريِّ إماماً قامَ في نصرةِ دينِ اللهِ ، وجاهدَ بلسانِهِ وبيانِهِ مَنْ حادَ

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١) ، والحاكم (٤/ ٥٢٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

عن سبيلِ اللهِ[1] ، [وزادَ في التبيينِ لأهلِ اليقينِ أنَّ ما جاءَ بهِ الكتابُ والسنَّةُ ، وما كانَ عليهِ سلفُ هـٰذهِ الأمةِ . . مستقيمٌ على العقولِ الصحيحةِ والآراءِ ؛ تصديقاً لقولِهِ ، وتحقيقاً][2] لتخصيصِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قومَ أبي موسىٰ بقولِهِ : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

والخوضُ في علمِ الأصولِ وحَدَثِ العالَمِ ميراثُ أبي الحسنِ عن أجدادِهِ وأعمامِهِ ، الذينَ قَدِمُوا علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . .) .

ثمَّ ذكرَ حديثَ عمرانَ بنِ حصينٍ ، ثمَّ قالَ : (وما ذلكَ على اللهِ بعزيزٍ أنْ يُوفِّقَ الشيخَ العميدَ أدامَ اللهُ تسديدَهُ للاجتهادِ في إزالةِ هـٰذهِ الفتنةِ ، والسعيِ في إخمادِ هـٰذهِ الثائرةِ ، مُوقِناً لما يقتفيهِ مِنَ الثناءِ الجميلِ ، وفي الآخرةِ مِنَ الأجرِ الجزيلِ)[3]

* * *

(١) في « التبيين » : (من صدَّ) بدل (من حاد) .
(٢) ما بين معقوفين زيادة من « التبيين » (ص٢٣٢) .
(٣) انظر هـٰذه الرسالة مطولةً في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٢٧ـ٢٣٦) ، وهي المسماة بـ « الرسالة الأشعرية » ، وكان سببُ تأليفها : تلبيةَ رسالة الإمام القشيري المُسمَّاةِ بـ « شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة » ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٩٥ـ٣٩٩) .

رسالة الإمام القُشيري
« شكاية أهل السنّة بحكاية ما نالهم من المحنة »
في الثناء على أبي الحسن الأشعريّ والنضال عنه

وقفتُ على رسالةٍ للأستاذِ جمالِ الإسلامِ أبي القاسمِ عبدِ الكريمِ بنِ هوازنَ القشيريِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، لم يتهيَّأْ لي أنْ أختصرَ منها شيئاً[1] ؛ لارتباطِ بعضِها ببعضٍ ؛ وهيَ[2] :

(الحمدُ للهِ المجزِلِ في عطائِهِ ، المُجمِلِ في بلائِهِ ، العدلِ في قضائِهِ ، المكرِمِ لأوليائِهِ ، المُنتقِمِ مِنْ أعدائِهِ ، الناصرِ لدينِهِ ، بإيضاحِ الحقِّ وتبيينِهِ ، المُبيدِ للإفكِ وأهلِهِ ، المُجتثِّ للباطلِ مِنْ أصلِهِ ، فاضحِ البدعِ بلسانِ العلماءِ ، ومُمهِلِ الغُواةِ حيناً غيرِ مُهْمِلِهِم ، ومُجازٍ كلاً غداً على مقتضى عملِهِم .

نحمدُهُ على ما عرَّفَنا مِنْ توحيدِهِ ، ونستوفقُهُ على أداءِ ما كلَّفَنا مِنْ رعايةِ حدودِهِ ، ونستعصمُهُ مِنَ الخطأِ والخَطَلِ[3] ، والزيغِ والزَّلَلِ ، في القولِ والعملِ ، ونسألُهُ أنْ يُصلِّيَ على سيِّدِنا المصطفى ، وآلِهِ مصابيحِ الدُّجا ، وأصحابِهِ أئمَّةِ الورى .

---

(١) أي : أخذ هـٰذه الرسالة من « التبيين » لابن عساكر كما هي ولم يتهيأ له أن يختصر منها شيئاً ، وإلا فهي مختصرة في « التبيين » ، وأوردها كاملة ابن السبكي في « طبقاته » كما سيأتي التنبيه عليه في (١/ ٣٣٦) .

(٢) قال الإمام ابن السبكي في « الطبقات » (٣/ ٣٩٩) : (وقد جالت هـٰذه الرسالة في البلاد ، وانزعجت نفوس أهل العلم منها ، وقامَ كلٌّ منهم بحسب قوته) .

(٣) الخَطَل : المنطق الفاسد المضطرب .

هـٰذهِ قصةٌ سمَّيناها : « شكايةَ أهلِ السنَّةِ ما حصلَ لهُم مِنَ المحنةِ » ، تُخبِرُ عن بَثَّةِ مكروبٍ ، ونَفْثةِ مغلوبٍ ، وشرحِ مُلِمٍّ مؤلِمٍ ، وذكرِ مُهِمٍّ مُوهِنٍ ، وبيانِ خطبٍ فادحٍ ، وشرٍّ سانحٍ[1] ، للقلوبِ جارحٍ ، رفعَها عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ القشيريُّ إلى العلماءِ والأعلامِ ، بجميعِ بلادِ الإسلامِ .

أمَّا بعدُ : فإنَّ اللهَ إذا أرادَ أمراً قدَّرَهُ ، فمَنْ ذا الذي أمسكَ ما يسَّرَهُ ، أو قدَّمَ ما أخَّرَهُ ، أو عارضَ حكمَهُ فغيَّرَهُ ، أو غلبَهُ علىٰ أمرِهِ فقهرَهُ ؟! كلا ، بل هوَ اللهُ الواحدُ القهَّارُ ، الماجدُ الجبَّارُ .

وممَّا ظهرَ ببلدةِ نيسابورَ مِنْ قضايا التقديرِ ، في مُفتَتَحِ سنةِ خمسٍ وأربعينَ وأربعِ مئةٍ مِنَ الهجرةِ . . ما دعا أهلَ الدينِ إلىٰ شَقِّ صدورِ صبرِهِم ، وكشفِ قناعِ ضُرِّهِم ، بل ظلَّتِ الملَّةُ الحنيفيَّةُ تشكو غليلَها[2] ، وتُبدي عويلَها ، وتنصبُّ عَزالي رحمةِ اللهِ علىٰ مَنْ يسمعُ شَكْوَها[3] ، وتُصغي ملائكةُ السماءِ حينَ تندُبُ شَجْوَها ؛ ذلكَ مِنْ لعنِ إمامِ الدينِ ، وسراجِ ذوي اليقينِ ، مُحيي السنَّةِ ، وقامعِ البدعةِ ، وناصرِ الحقِّ ، وناصحِ الخلقِ ، الزَّكِيِّ الرَّضِيِّ ، أبي الحسنِ الأشعريِّ ، قدَّسَ اللهُ روحَهُ ، وسقىٰ بماءِ الرحمةِ ضريحَهُ .

وهوَ الذي ذبَّ عنِ الدينِ بأوضحِ حُجَجٍ ، وسلكَ في قَمْعِ المبتدعةِ وسائرِ أنواعِ المعتزلةِ أبينَ نَهَجٍ[4] ، واستنفدَ عُمرَهُ في النصحِ يفحصُ عنِ الحقِّ ، وأورثَ المسلمينَ بعدَ وفاتِهِ كُتُبَهُ الشاهدةَ بالصدقِ . . .) .

---

(١) تحتمل في (أ) : (سائح) بدل (سانح) .

(٢) في (ب) : (عليلها) ، وهي غير معجمة في (أ) ، والمثبت كما في « التبيين » و« طبقات الشافعية الكبرى » .

(٣) العَزَالي : جمع عَزْلاء ؛ وهي فم المزادةِ الأسفلُ .

(٤) كذا في (أ ، ب) ، والأوضح عبارة « التبيين » ؛ وهي : (وسلك في قمع المعتزلة وسائر أنواع المبتدعة أبينَ نهج) .

(ولمَّا مَنَّ اللهُ الكريمُ علىٰ أهلِ الإسلامِ بزمانِ السلطانِ المُعظَّمِ المُحكَّمِ ، بالقوَّةِ السماويَّةِ في رقابِ الأممِ ، الملكِ الأجلِّ شاهَان شاه[1] ، يمينِ خليفةِ اللهِ ، وغياثِ عبادِ اللهِ ؛ طُغْرُلْبَك أبي طالبٍ محمدِ بنِ ميكائيلَ ، وقامَ بإحياءِ السنَّةِ ، والمناضلةِ عنِ الملَّةِ ، حتىٰ لم يُبْقِ مِنْ أصنافِ المبتدعةِ حزباً إلا سلَّ لاستئصالِهِم سيفاً عَضْباً[2] ، وأذاقَهُم ذُلاً وخَسْفاً . . حَرِجَتْ صدورُ أهلِ البدعِ عن تحمُّلِ هـٰذهِ النِّقَمِ ، وضاقَ صبرُهُم عن مقاساةِ هـٰذا الألمِ ، ومُنُوا بلعنِ أنفسِهِم علىٰ رؤوسِ الأشهادِ بألسنتِهِم ، وضاقَتْ عليهِمُ الأرضُ بما رحُبَتْ ؛ بانفرادِهِم بالوقوعِ في مَهْواةِ محنتِهِم ، فسوَّلَتْ لهُم أنفسُهُم أمراً ، فظنُّوا أنَّهُم [بنوعِ] تخنيسٍ ، أو ضربِ تدليسٍ[3] يجدونَ لعسرِهِم يُسراً .

فسَعَوْا إلىٰ عالي مجلسِ السلطانِ بنوعِ نميمةٍ ، ونسبُوا [الأشعريَّ] إلىٰ مذاهبَ ذميمةٍ ، وحكَوْا عنهُ مقالاتٍ لا يُوجَدُ في كتبِهِ منها حرفٌ ، ولم يُرَ في المقالاتِ المُصنَّفةِ للمُتكلِّمينَ المُوافقينَ والمخالفينَ مِنْ وقتِ الأوائلِ إلىٰ زمانِنا هـٰذا لشيءٍ منها . . حكايةٌ ولا وصفٌ ، بل كلُّ ذلكَ تصويرٌ بتزويرٍ ، وبُهتانٌ بغيرِ تقريرٍ . . .) .

(وما نَقَمُوا مِنَ الأشعريِّ إلا أنَّهُ قالَ بإثباتِ القَدَرِ للهِ ؛ خيرِهِ وشرِّهِ ، نفعِهِ وضرِّهِ ، وإثباتِ صفاتِ الجلالِ للهِ تعالىٰ ؛ مِنْ قدرتِهِ وعلمِهِ وإرادتِهِ وحياتِهِ وبقائِهِ وسمعِهِ وبصرِهِ وكلامِهِ ووجهِهِ ويدِهِ ، وأنَّ القرآنَ كلامَ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ،

---

(١) ومعناه : ملك الأملاك ، وأول من تسمَّىٰ به : أبو شجاع بن ركن الدولة البُوَيهي ، وقد اختلفت أئمة الشافعية في التلقيب به ؛ فجوَّزه القاضي أبو الطيب الطبري صاحب « التعليقة » ، وحرَّمه القاضي أبو الحسن الماوردي صاحب « الحاوي » ، وهو المعتمد . انظر « المجموع » (٨/ ٤٣٧) ، و« فتاوى ابن الصلاح » (٨٠ ـ ٨١) .

(٢) السيف العَضْب : القاطع .

(٣) في نسختينا زيادة : (لا) ، والمثبت من « التبيين » ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » .

وأنَّهُ تعالىٰ موجودٌ تجوزُ رؤيتُهُ ، وأنَّ إرادتَهُ نافذةٌ في مُراداتِهِ ، وما لا يخفىٰ مِنْ مسائلِ الأصولِ التي تُخالِفُ طريقُهُ طريقَ المعتزلةِ والجسميَّةِ فيها . . .) .

(معاشرَ المسلمينَ ؛ الغياثَ الغياثَ ، سَعَوا في إبطالِ الدينِ ، وراموا هدمَ قواعدِ المسلمينَ ، وهيهاتَ هيهاتَ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ [التوبة : ٣٢] !![1] ، وقد وعدَ اللهُ للحقِّ نصرَهُ وظهورَهُ ، وللباطلِ مَحْقَهُ وثبورَهُ ، إلا أنَّ كتبَ الأشعريِّ في الآفاقِ مبثوثةٌ ، ومذاهبَهُ عندَ أهلِ السنَّةِ مِنَ الفريقينِ معروفةٌ ؛ فمَنْ وصفَهُ بالبدعةِ علىٰ علمٍ أنَّهُ غيرُ مُحِقٍّ في دعواهُ[2] . . فجميعُ أهلِ السنَّةِ خصمُهُ فيما افتراهُ . . .) .

ثمَّ ذكرَ أربعَ مسائلَ شُنِّعَ بها عليهِ ، وبيَّنَ وذكرَ براءةَ ساحتِهِ فيما نُسِبَ منها إليهِ[3] .

ثمَّ قالَ : (ولمَّا ظهرَ ابتداءُ هـٰذهِ الفتنةِ بنيسابورَ وانتشرَ في الآفاقِ خَبَرُهُ ، وعظُمَ علىٰ قلوبِ الكافَّةِ مِنْ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ أَثَرُهُ ، ولم يبعدْ أنْ يُخامِرَ قلوبَ بعضِ أهلِ السلامةِ والوداعةِ توهُّمٌ في بعضِ هـٰذهِ المسائلِ ؛ أنْ لعلَّ الإمامَ أبا الحسنِ عليَّ بنَ إسماعيلَ الأشعريَّ قالَ ببعضِ هـٰذهِ المقالةِ في بعضِ كتبِهِ ، ولقد قيلَ : « مَنْ يسمعْ يَخَلْ »[4] . . أثبتْنا هـٰذهِ الفصولَ في شرحِ هـٰذهِ الحالةِ ، وأوضحْنا صورةَ الأمرِ بذكرِ هـٰذهِ الجملةِ ؛ ليضربَ كلُّ مَنْ كانَ مِنْ أهلِ السنَّةِ إذا وقفَ عليها بسهمِهِ في الانتصارِ لدينِ اللهِ ؛ مِنْ دعاءٍ يُخلِصُهُ ، واهتمامٍ يصدقُهُ ، وكَلٍّ عن قلوبِنا بالاستماعِ إلىٰ هـٰذهِ القصةِ يحملُهُ ، بل ثوابِ

---

(١) في (أ ، ب) : (ليطفئوا) .

(٢) في « التبيين » : (فمن وصفه بالبدعة . . علم أنه غير محق) .

(٣) انظر هـٰذه المسائل في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٤٠٦ـ٤٢٢) .

(٤) أي : من يسمع بشيء يظنه حقيقة وصحيحاً . انظر « جمهرة الأمثال » (٢/ ٢٦٣) ، و« مجمع الأمثال » (٢/ ٣٠٠) .

مِنَ اللهِ تعالىٰ على التوجُّعِ بذلكَ يستوجبُهُ ، واللهُ غالبٌ علىٰ أمرِهِ ، ولهُ الحمدُ علىٰ ما يُمضيهِ مِنْ أحكامِهِ ويُبرِمُهُ ، ويقضيهِ مِنْ أفعالِهِ فيما يُؤخِّرُهُ ويُقدِّمُهُ .

وصلواتُهُ علىٰ سيِّدِنا المصطفىٰ وعلىٰ آلِهِ وسلَّمَ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ)[١]

فلو لم يكنْ شاهدٌ علىٰ فضلِ أبي الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ إلا هـٰذانِ الإمامانِ ، اللذانِ أحدُهما مَلِكُ رُواةِ الحديثِ ؛ حديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، والآخَرُ مَلِكُ علماءِ المعارفِ والصوفيَّةِ ؛ الإمامُ أبو بكرٍ البيهقيُّ ، والإمامُ أبو القاسمِ عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ القشيريُّ . . لكانا كافيينِ ؛ فقد رأيتَهُما لفضلِهِ مُثْبِتَينِ ، ولفضلِ مناوئِهِ نافيَينِ .

* * *

---

(١) أورد المؤلف هـٰذه الشكاية مختصرةً علىٰ نحو ما في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٤١ـ٢٥٦) ، وأوردها بطولها ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٩٩ـ٤٢٢) ، وسيُشير إليها المؤلف في (٢/ ٤٩٢) .

خطوط الأئمة في مدح أبي الحسن الأشعري
وفي حكم من طعن فيه أو سبه

وقد قالَ الحافظُ ثقةُ الدينِ ابنُ عساكرَ رحمَهُ اللهُ : (دفعَ لي عبدُ الواحدِ بنُ عبدِ الماجدِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ عبدِ الكريمِ بنِ هوازنَ القشيريُّ النيسابوريُّ بدمشقَ . . مكتوباً بخطِّ جدِّهِ الإمامِ أبي القاسمِ القشيريِّ ، وأنا أعرفُ خطَّهُ ، فوجدتُ فيهِ :

« بسمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ ، اتَّفَقَ أصحابُ الحديثِ : أنَّ أبا الحسنِ عليَّ بنَ إسماعيلَ الأشعريَّ كانَ إماماً مِنْ أئمَّةِ أصحابِ الحديثِ ، تكلَّمَ في أصولِ الدياناتِ على طريقةِ أهلِ السنَّةِ ، وردَّ على المخالفينَ مِنْ أهلِ الزيغِ والبدعةِ ، وكانَ على المعتزلةِ والرافضةِ والمبتدعينَ مِنْ [أهلِ القبلةِ الخارجينَ عنِ] المِلَّةِ سيفاً مسلولاً ، ومَنْ طعنَ فيهِ أو قدحَ ، أو لعنَهُ أو سبَّهُ . . فقد بسطَ لسانَ السوءِ في جميعِ أهلِ السنَّةِ .

بذَلْنا خُطوطَنا بذلكَ طائعينَ في هـٰذا الذكرِ ، في ذي القعدةِ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وأربعِ مئةٍ ، والأمرُ على هـٰذهِ الجملةِ المذكورةِ فيهِ ، وكتبَ : عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ القشيريُّ » .

وفيهِ بخطِّ أبي عبدِ اللهِ الخبَّازيِّ المقرئِ : « كذلكَ يعرفُهُ محمدُ بنُ عليٍّ الخبَّازيُّ ، وهـٰذا خطُّهُ » .

وفيهِ بخطِّ الإمامِ أبي محمدٍ الجُوَيني : « الأمرُ على هـٰذهِ الجملةِ المذكورةِ فيهِ ، وكتبَ : عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ الجوينيُّ » .

وبخطِّ أبي الفتحِ الشاشيِّ : « الأمرُ على الجملةِ التي ذُكِرَتْ ، وكتبَ : نصرُ بنُ محمدٍ الشاشيُّ بخطِّهِ » .

وبخطٍّ آخرَ : « الأمرُ على هـٰذهِ الجملةِ المذكورةِ فيهِ ، وكتبَهُ : عليُّ بنُ أحمدَ الجُوَينيُّ » .

وبخطِّ أبي الفتحِ العُمَريِّ الهرويِّ الفقيهِ : « الأمرُ على الجملةِ [المذكورةِ فيهِ ، وكتبَهُ : ناصرُ بنُ الحسينِ بخطِّهِ » .

وبخطِّ الأيوبيِّ : « الأمرُ على الجملةِ] التي ذُكِرَتْ فيهِ ، وكتبَهُ : أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ أبي أيوبَ بخطِّهِ » .

وبخطِّ أخيهِ : « الأمرُ على هـٰذهِ الجملةِ المذكورةِ فيهِ ، وكتبَ : عليُّ بنُ محمدِ ابنِ أبي أيوبَ » .

وبخطِّ الإمامِ أبي عثمانَ الصابونيِّ : « الأمرُ على الجملةِ المذكورةِ فيهِ ، وكتبَ : إسماعيلُ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ الصابونيُّ » .

وبخطِّ ابنِهِ أبي نصرٍ الصابونيِّ : « الأمرُ على الجملةِ المذكورةِ صدرَ هـٰذا الذكرِ ، وكتبَ : عبدُ اللهِ بنُ إسماعيلَ الصابونيُّ » .

وبخطِّ الشريفِ البكريِّ : « الأمرُ على ما ذكرَ دَرَجُ هـٰذا الذكرِ(١) ، وكتبَ : عليُّ بنُ الحسنِ البكريُّ بخطِّهِ » .

وبخطٍّ آخرَ : « هوَ إمامٌ مِنْ أئمَّةِ أصحابِ الحديثِ ، الأمرُ على ما وُصِفَ في هـٰذا الذكرِ ، وكتبَهُ : محمدُ بنُ الحسنِ بيدِهِ » .

وبخطِّ أبي الحسنِ المُلْقاباذيِّ : « أبو الحسنِ رحمةُ اللهِ عليهِ إمامٌ مِنْ أئمَّةِ أصحابِ الحديثِ ، ورئيسٌ مِنْ رؤسائِهِم في أصولِ الدينِ ، وطريقتُهُ طريقةُ

---

(١) الدَّرَج : الذي يكتب فيه

السنَّةِ والجماعةِ ، ودينُهُ واعتقادُهُ مَرْضِيٌّ عندَ الفريقينِ ، وكتبَهُ : عليُّ بنُ محمدٍ المُلْقاباذيُّ بخطِّهِ » .

وبخطِّ عبدِ الجبَّارِ الإسفرايينيِّ بالفارسيةِ : « اين بو الحسن ابن أشعري آن إمام است كخداوند بذ عزَّ وجلَّ اين آيت درشأن وي فرستاد ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، ومصطفىٰ عليه السلام درآن وقت بجد وي اشارت كردِ بو موسىٰ أشعري » ؛ فقالَ : (هُمْ قَوْمُ هَـٰذَا)[١] ، وكتبَهُ : عبدُ الجبَّارِ بنُ عليِّ بنِ محمدٍ الإسفرايينيُّ بخطِّهِ »[٢] .

وبخطِّ ابنِهِ : « وهكذا يقولُ محمدُ بنُ عبدِ الجبارِ »)[٣] .

فكفىٰ بهـٰذا الذكرِ ذكراً لهُ ولقومِهِ ، وشرفاً في أمسِهِ يبقىٰ بعدَهُ كجِدَّةِ يومِهِ .

[ثناءُ الإمامِ أبي الحسنِ القابسيِّ القيروانيِّ]

وممَّنْ أثنىٰ علىٰ أبي الحسنِ الأشعريِّ : الإمامُ أبو الحسنِ القابسيُّ رحمَهُ اللهُ ، صنَّفَ رسالةً في أبي الحسنِ الأشعريِّ خاصَّةً أثنىٰ فيها عليهِ ، وهيَ متداولةٌ معروفةٌ عندَهُم بالمغربِ[٤] .

وممَّنْ أثنىٰ عليهِ : أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمدِ بنِ القاضي القيروانيُّ[٥] ،

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٣٢٠) .

(٢) وتفسير قول عبد الجبار ـ كما في « تعليقات الكوثري على التبيين » (ص٢٥٩) ـ : (أبو الحسن الأشعري هـٰذا إمام أنزل الله عز وجل في شأنه هـٰذه الآية : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾ وأشار المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم لمَّا نزلت إلىٰ جده أبي موسى الأشعري وقال : « هم قومُ هـٰذا ») .

(٣) تبيين كذب المفتري (ص٢٥٧ـ٢٥٩) .

(٤) وسيذكر المؤلف بعد قليل قطعة من هـٰذه الرسالة نقلاً عن « تبيين كذب المفتري » .

(٥) كذا في (أ ، ب) ، وهو أبو الحسن القابسي السابق ، ولعل المؤلف ظنهما شخصين ، =

وهوَ مِنْ كبارِ المالكيةِ ، وقد سألَهُ بعضُ أهلِ تونسَ ، فكانَ في جوابِهِ أنْ قالَ : (واعلمُوا : أنَّ أبا الحسنِ الأشعريَّ رحمَهُ اللهُ لم يأتِ مِنْ هـٰذا الأمرِ ـ يعني : علمَ الكلامِ ـ إلا ما أرادَ بهِ إيضاحَ السننِ ، والتنقيبَ عليها(١) ، ودفعَ الشبهِ عنها ، فهمَهُ مَنْ فهمَهُ بفضلِ اللهِ عليهِ ، وخفيَ عمَّنْ خفيَ بقَسْمِ اللهِ لهُ ، وما أبو الحسنِ إلا واحدٌ مِنَ القائمينَ بنصرِ الحقِّ ، ما سمعْنا مِنْ أهلِ الإنصافِ مَنْ أخَّرَهُ عن رتبةِ ذلكَ ، ولا مَنْ يُؤثِرُ عليهِ في عصرِهِ غيرَهُ ، ومَنْ بعدَهُ مِنْ أهلِ الحقِّ سلكُوا سبيلَهُ في القيامِ بأمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، والذبِّ عن دينِهِ حسبَ اجتهادِهِم)(٢)

= والله تعالىٰ أعلم . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٢٧١ـ٢٧٢) .

(١) في « التبيين » : (والتثبيت عليها) .

(٢) انظر هـٰذه القطعة في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٧٢) ، ومدحُهُ الإمامَ الأشعري وثناؤه عليه كان عن دراية تامة وخبرة وافرة بمعتقده ، وخصوصاً عندما قال في نهاية القطعة الثانية : (فما عرفه ـ أي : الأشعريَّ ـ من وصفه بغير هـٰذا) كما في « التبيين » (ص٢٧٢) ، فإذا عرفتَ ذلك علمتَ أن ما قاله السِّجْزي في « رسالته لأهل زبيد » (ص٣٤٧ـ٣٥٢) كلامٌ خطابي مُجرَّدٌ عن الدليل وبعيدٌ عن الصحة ، وقال الإمام الكوثري عن « رسالة القيرواني » في تعليقه على « التبيين » : (ينسب إليه في « رسالته » في مذهب مالك لفظة يتسارع إلىٰ نقلها شيوخ الحشوية ، ظنّاً منهم أنه علىٰ معتقدهم ، مع أن شرَّاحها من أئمة المالكية مطبقون علىٰ أنها إما مدسوسة ، أو من قبيل الاحتراس بالرفع ؛ أي : المجيد بذاته ، لا بالخدم والخول ، راجع ابن الفاكهاني والأُبِّي ، وأهلُ مذهب الرجل أعلم بمذهبه) .

وقال أبو جعفر اللَّبْلِي في « فهرسته » (ص٨٠ ـ٨١) في حق السِّجْزي هـٰذا : (وكذلك اللعين المعروف بالسِّجْزي ؛ فإنه تصدَّىٰ أيضاً للوقوع في أعيان الأئمة ، وشرع بتأليفٍ تالف ، وهو علىٰ قلة مقداره وكثرة عَواره ينسب أئمة الحقائق وأحبار الأمة وبحور العلوم إلى التلبيس والمراوغة والتدليس ، وهـٰذا الرذل الخسيس أحقرُ من أن يكترث به ذو لب ، ولا يُغيِّرُ البحرَ الخِضَمَّ ولغةُ كلب) ، ومن وقف علىٰ « رسالته لأهل زبيد » أدرك حقيقة ما وصمه وذمَّه به الإمام اللَّبلي رحمه الله تعالىٰ ، وانظر تعليقات الإمام الكوثري على « السيف الصقيل » (ص٢١ـ٢٢) .

[ثناءُ الإمامِ ابنِ أبي زيدٍ القيروانيِّ]

وممَّنْ أثنىٰ عليهِ مِنَ المالكيَّةِ : الشيخُ الإمامُ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ أبي زيدٍ القَيْروانيُّ حينَ أجابَ عليَّ ابنَ إسماعيلَ المعتزليَّ ؛ فقالَ في أثناءِ الجوابِ عن أبي الحسنِ : (هوَ رجلٌ مشهورٌ أنَّهُ يردُّ علىٰ أهلِ البدعِ وعلى القَدَريَّةِ والجهميَّةِ[1] ، مُتمسِّكٌ بالسننِ)[2] .

[ثناءُ الإمامِ القاضي أبي المعالي شَيْذَلَهْ]

وممَّا وصفَهُ بهِ أبو المعالي بنُ عبدِ الملكِ المعروفُ بـ (شَيْذَلَهْ) القاضي بعدَ ذكرِهِ ؛ فقالَ : (فأظهرَ الحقَّ ونصرَهُ ، ودحضَ الباطلَ ودحرَهُ ، وأعلىٰ معالمَ الدينِ ، وأقامَ دعائمَ اليقينِ ، وصنَّفَ كتباً هيَ في الآفاقِ مشهورةٌ معروفةٌ ، وعندَ المُخالِفِ والمُؤالِفِ مُثبتَةٌ موصوفةٌ ، فلم تزلْ وجوهُ الدينِ بحمايتِهِ مكشوفةَ القناعِ ، وأيدي الشريعةِ بعِزَّتِهِ ممدودةَ الباعِ ، وكلمةُ البدعِ مُنقمِعةَ الأمرِ ، وشُبَهُ الباطلِ مُنقصِمةَ الظهرِ ، إلىٰ أنْ ماتَ رحمَهُ اللهُ)[3] .

[ثناءُ الإمامِ ضياءِ الدينِ أبي القاسمِ الرازيِّ والدِ الفخرِ]

وممَّنْ أثنىٰ عليهِ ، وتبجَّحَ بانتمائِهِ إليهِ : الإمامُ الزاهدُ ضياءُ الدينِ شمسُ الإسلامِ شرفُ الخطباءِ ؛ أبو القاسمِ عمرُ بنُ الحسينِ بنِ الحسنِ المكِّيُّ ـ نوَّرَ اللهُ ضريحَهُ ـ في كتابِهِ الذي سمَّاهُ : « نهايةَ المرامِ في درايةِ الكلامِ » فقالَ في آخرِهِ :

---

(١) في « التبيين » : (القدرية الجهمية) .
(٢) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٢٧٢ـ٢٧٣) .
(٣) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٢٩٥) .

(خاتمةٌ : في فضائلِ الأشعريينَ رضيَ اللهُ عنهُم) أوَّلُها : (إنَّ أَوْلىٰ ما جُرِّدَ لهُ الرأيُ الجزمُ ، وقُصِرَ عليهِ العزمُ والحزمُ ، وصُرِفَتْ إليهِ أعنَّةُ الاعتناءِ ، وانتُحِلَ لهُ لُبابُ الارتيادِ والارتياءِ في هٰذا المقامِ ، بعدَما رتَّبناهُ مِنَ الكلامِ . . ذكرُ ما وردَ بهِ الشارعُ مِنَ الثناءِ والإيماءِ إلىٰ فضائلِ شيخِنا أبي الحسنِ عليِّ بنِ إسماعيلَ . . .) وذكرَ نسبَهُ .

ثمَّ قالَ : (قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ . . . ﴾ الآية [المائدة : ٥٤] ، قالَ عليٌّ والحسنُ وقتادةُ والضحاكُ وابنُ جريجٍ : هوَ أبو بكرٍ وأصحابُهُ الذينَ قاتلُوا أهلَ الردَّةِ مانعي الزكاةِ ، وقالَ مجاهدٌ وشريحٌ وعياضٌ الأشعريُّ : [هم قومُ أبي موسى الأشعريِّ مِنْ أهلِ اليمنِ] ؛ وذلكَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أومأَ بيدِهِ إلىٰ أبي موسىٰ لمَّا نزلَتْ هٰذهِ الآيةُ ، وقالَ : « هَٰؤُلَاءِ مِنْ قَوْمِ هَٰذَا »)[١]

ثمَّ قالَ : (وكانَ مشايخُ السلفِ يقولُونَ : **نصرَ اللهُ هٰذا الدينَ وأعانَهُ بأبي الحسنِ الأشعريِّ وأحمدَ ابنِ حنبلٍ رحمَهُما اللهُ** ؛ فإنَّهُ لمَّا تغيَّرَ الحالُ ، وظهرَ الاعتزالُ ، وهاجَتِ الفتنُ ، وماجَتِ الإِحَنُ[٢] ، وضربَتِ البدعةُ بجرانِها[٣] ، واستقلَّتِ الأهواءُ بأركانِها[٤] ، وأصبحَ الفِئامُ بل أكثرُ العوامِّ مائلةً إلى العنادِ[٥] ، زائلةً عنِ السدادِ ، مُنكَّبةً عنِ الصوابِ والسدادِ[٦] ، حتىٰ أدَّتْهُمُ

---

(١) انظر هٰذه الأقوال في « تفسير الطبري » (١٠/ ٤١١ـ٤١٦) .

(٢) الإِحَن : جمع إِحْنة ؛ وهي العداوة والحقد .

(٣) ضربت البدعة بجِرانها : ثبتت واستقرَّت ، ويقال : ألقىٰ فلان علىٰ هٰذا الأمر جِرانَـهُ ؛ إذا وطَّن عليه نفسه ، والجِران في الأصل : مقدم عنق البعير من مذبحه إلىٰ منحره .

(٤) في « نهاية المرام » زيادة : (وجمحت الضلالة في عنانها ، وتمادت الجهلة في طغيانها) .

(٥) الفِئام : الجماعة من الناس .

(٦) العبارة في « نهاية المرام » : (عن السداد ، مُنكَّبة عن الصواب والرشاد) .

الغَوايةُ والعَمايةُ إلى التمادي في فتنٍ صوَّرُوها ، وشبهٍ رتَّبُوها ، وبدعٍ ارتكبُوها ، وآثامٍ احتقبُوها[1] . . كشفَ اللهُ علىٰ أيدي هـٰؤلاءِ الأبرارِ الأخيارِ تلكَ الغَيَاياتِ[2] ، وأنقذَ الإسلامَ والمسلمينَ مِنْ تلكَ النِّكاياتِ ، ووفَّقَهُم لاقتفاءِ الأثرِ فيها ، وأحرزَ لهُم ذخرَ المقامِ في تلافيها ، فأحسنَ اللهُ جزاءَهُم مِنْ مجتهدٍ مُفلحٍ ، وساعٍ للخيرِ مُنجحٍ ؛ فقد نعشُوا الأمرَ بعدَ إشفائِهِ[3] ، وتداركُوهُ في آخرِ ذَمَائِهِ[4] ، وأقرُّوهُ في حقيقةِ نصابِهِ ، وأعادُوهُ بعدَ تولِّيهِ وذهابِهِ .

فأمَّا أحمدُ ابنُ حنبلٍ رحمَهُ اللهُ : فبإبائِهِ وامتناعِهِ عنِ القولِ بخلقِ القرآنِ حينَ أُكرِهَ علىٰ ذلكَ . . .) .

وذكرَ قصتَهُ معَ الواثقِ إلىٰ آخرِها ، ثمَّ ذكرَ إكرامَ المُتوكِّلِ لهُ وإطلاقَهُ ، ودفعَ ما أسَّسَهُ الواثقُ مِنَ البدعِ ، وأنَّهُ رُئِيَ في المنامِ فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : غفرَ لي بإعزازِ السنَّةِ وقمعِ البدعةِ .

قلتُ : وهـٰذهِ الحكايةُ ذكرَها الحافظُ أبو نعيمٍ في « الحليةِ » مسندةً مُستوعَبةً ، وكذلكَ ذكرَها غيرُهُ[5] .

(وأمَّا أبو الحسنِ الأشعريُّ رحمَهُ اللهُ : فإنَّهُ لمَّا ظهرَ الاعتزالُ ، وخفوقُ رايةِ الضلالِ ؛ بأنَّ طائفةً نبغتْ بينَ المسلمينَ[6] ، مُلطَّخةً بأضاليلِ الهوىٰ وأباطيلِ النُّهىٰ ، وقصدُوا إبداءَ باديةِ الوفاقِ ، وإجلاءَ خافيةِ النفاقِ

---

(١) احتقبوها : اكتسبوها .

(٢) الغيايات : جمع غَيَاية ؛ وهي كل ما أظلَّ الإنسان من فوق رأسه ؛ كالسحابة والغبرة والظلمة .

(٣) أي : بعد إشرافه على الهلاك .

(٤) الذَّمَاء : الحركة ، أو بقية الروح في المذبوح .

(٥) أخرجها أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ١٨٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/ ٣٤٠) .

(٦) في « نهاية المرام » : (وأن) بدل (بأن) .

والشقاقِ ، بانتحالِهم كذا وكذا . . .) .

وذكرَ بدعَ المعتزلةِ وغيرِهِم إلىٰ أنْ قالَ : (وغيرُ ذلكَ مِنَ التحكُّماتِ التي تأباها العقولُ ، ولا يرضاها الشرعُ المنقولُ ، ويستزلُّونَ قَدَمَ العوامِّ المغترِّينَ بمزخرفاتِ الكلامِ مِنْ شُبَهٍ زيَّنُوها ، وتمويهاتٍ زخرفُوها ؛ فلمَّا استشعرَ شيخُنا أبو الحسنِ تماديَهُم في الضلالاتِ ، وانهماكَهُم في الغَواياتِ والجهالاتِ . . طَفِقَ يكشفُ للناسِ مراوغاتِهِم بالدلائلِ الواضحةِ ، والبراهينِ اللائحةِ .

فلمَّا بدتْ للخاصَّةِ والعامَّةِ عوراتُهُم وفضائحُهُم ، ومُماراتُهُم وقبائحُهم ، ودفائنُ صدورِهِم مِنْ حيثُ الاعتقادُ ، وما انتحلُوهُ مِنَ الإصرارِ على الفسادِ . . احتالُوا لرفعِ الانهتاكِ ، وقصدُوهُ بالإهلاكِ بوجوهِ المكايدِ والمصايدِ ، وما أبقَوْا فيها باقيةً ، ولـٰكنَّ اللهَ تعالىٰ جعلَ لهُ مِنْ جميلِ صنعِهِ جُنَّةً واقيةً[1] ، ففلَّ دونَهُ مخالبَ مطرورةً[2] ، وأوهاماً عن مَساءتِهِ مقصورةً .

غيرَ أنَّ المعتزلةَ لمَّا اشتدَّتْ شوكتُهُم ، واستحكَمَتْ شكيمتُهُم ؛ فمِنِ ازدحامِ العوامِّ ، اعتاصَ عليهِ المقامُ ، معَ ذلكَ الفِئامِ . . فانحازَ عنهُم بالخروجِ عنِ البصرةِ ، مُرتقِباً مِنَ اللهِ النصرةَ ، فكانَ يتعبَّدُ اللهَ تعالىٰ عشرينَ سنةً في أكنافِ الأقطارِ ، وزوايا الأمصارِ ، مُتوارِياً عنِ العيونِ والأبصارِ ، [مُحتجِباً عنِ الضمائرِ والأفكارِ] ، مُترصِّداً لتحقيقِ ما وعدَ الملكُ الجبَّارُ ، ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [النور : ٤٤] .

حتىٰ وفَّقَ اللهُ أميراً مِنْ أمراءِ العربِ لإحياءِ الدينِ ، والإخناءِ على المُكذِّبينَ[3] ، وثبَ عليهِم وُثوبَ الأُسودِ ، وتركَهُم كالزرعِ المحصودِ ،

---

(١) الجُنَّة في الأصل : ما استُتر به من سلاح .

(٢) المطرورة : المحدَّدة .

(٣) الإخناء : الإهلاك .

وجعلَهُم كالرميمِ ، وحطَمَهُم حَطْمَ الهشيمِ ، حتىٰ شربُوا مِنَ الحميمِ شُرْبَ الهِيمِ[1] .

فلمَّا ضاقَ بِهمُ المجالُ ، بل تحكَّمَتْ فيهِمُ الآجالُ . . دعاهُ إلى البصرةِ إرغاماً للحُسَّادِ ، وإصلاحاً للفسادِ ، فعادَ رحمَهُ اللهُ مِنْ غربتِهِ ، إلىٰ تربتِهِ ومنبتِ شُعبتِهِ ، وإلى اللهِ تعالىٰ رغبتُهُ للوفاءِ بعهودِهِ ، والوقوفِ علىٰ مناهجِ الإسلامِ وحدودِهِ ، والانتهاءِ في لمِّ الشَّعَثِ وإعلاءِ الدينِ ، وابتدارِ شوارقِ اليقينِ ؛ بإعادةِ الماءِ إلىٰ ذابلِ عودِهِ ، وإعاذةِ زبدِهِ مِنْ وصمَةِ صُلودِهِ[2] ، وإبداءِ ما يتقوّىٰ بهِ الإسلامُ والمسلمونَ ، وإظهارِ دينِهِ على الدينِ كلِّهِ ولو كرهَ المشركونَ .

فلمَّا أشرقَتْ صفحتا الظَّفَرِ ؛ إشراقَ الشمسِ والقمرِ ، بجدِّهِ العالي ، وزِنْدِهِ الواري ، وطائرِهِ الأيمنِ ، وطالعِهِ الأسْعَدِ . تضعضعَ بقوَّتِهِ أركانُ البدعِ والاعتزالِ ، وتصدَّعَ بحُجَجِهِ شملُ الضلالِ ، علىٰ ما شَحَنَّا بهِ هٰذا الكتابَ ، ورتَّبْنا فيهِ مِنَ الأبوابِ ، فتبارَكَ مَنْ أعفىٰ بهِ أئمَّةَ زمانِهِ ، وكانُوا يُهاجرُونَ إليهِ ، ويعتمدُونَ عليهِ ، ويعتدُّونَ بهِ ، ويستفيدونَ منهُ إبطالَ الشُّبُهاتِ ، وحلَّ السؤالاتِ والمعضلاتِ) .

ثمَّ حكىٰ عنِ الأستاذِ أبي إسحاقَ الإسفراينيِّ رحمَهُ اللهُ قالَ : (رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ علىٰ يمينِهِ شابٌّ أصفرُ اللونِ نحيفُ البدنِ ، وعلىٰ يسارِهِ شيخٌ بَهِيٌّ ، تعلُوهُ الحمرةُ والبهاءُ ، فأشارَ إليَّ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالَ : « يا أبا إسحاقَ ؛ مَنْ أرادَ أنْ يستطرقَ طريقةَ الحقِّ في الفروعِ . . فعليهِ بمذهبِ هٰذا » ، وأشارَ إلى الشابِّ ، « ومَنْ أرادَ أنْ يستطرقَ طريقةَ

---

(١) الهِيم : الإبل العطاش .

(٢) صُلوده : صلابته ويبوسته .

الحقِّ في الأصولِ . . فعليهِ بمذهبِ هٰذا » ، وأشارَ إلى اليسارِ .

فسألتُ بعضَ الحاضرينَ عنهُما ، فقالَ : **الذي عن يمينِهِ الشافعيُّ** رضيَ اللهُ عنهُ ، **والذي عن يسارِهِ أبو الحسنِ الأشعريُّ** رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ)[1]

[. . .] فلو لم [. . .][2]

* * *

---

(١) نهاية المرام (ص٦٥٥ـ٦٦٥) ، وفيه اختلاف يسير وزيادات قليلة أشرت إلىٰ بعضها في الهامش ، ولم أشر إلىٰ تحريفات محقق « النهاية » لكثرتها ، ويلاحظ من خلال هٰذه القطعة : أسلوبُ ضياء الدين الرازي الفصيحُ البليغ ، وقد قال ابن السبكي عنه في « طبقاته » (٧/ ٢٤٢) : (وكان فصيح اللسان ، قويَّ الجَنان ، فقيهاً أصوليّاً ، متكلِّماً صوفيّاً ، خطِيباً محدِّثاً أديباً ، له نثر في غاية الحسن ، يكاد يحكي ألفاظ « مقامات الحريري » في حسنه وحلاوته ورشاقة سجعه ، ومن نظر كتابه « غاية المرام » ـ ويقال له : « نهاية المرام » ـ وجد برهان ذلك) .

(٢) ما بين معقوفين بياض في (أ) ، وبعد الكلام السابق في « نهاية المرام » أورد مؤلفه رحلة الإمام المتكلم أبي عبد الله بن خفيف إلى الإمام أبي الحسن الأشعري رحمهما الله تعالىٰ ، وسيأتي ذكر مقتطفات منها في ترجمته (١/ ٣٥٧ـ ٣٦٠) .

فصل

في ذكر مصنفات الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى

وممَّا يُستدَلُّ بهِ علىٰ فضلِ العالمِ : تصانيفُهُ في العلومِ الشرعيَّةِ ، وتواليفُهُ الجامعةُ بينَ الأدلَّةِ العقليّةِ والسمعيَّةِ ، وقدِ اشتَهَرَتْ عنِ الإمامِ أبي الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ تصانيفُ في التفسيرِ والفقهِ تلقَّاها الناسُ بالقَبولِ ، وكتبٌ أَلَّفَها في علمِ الأصولِ[1] ، نفعَ اللهُ الكافَّةَ بها لحسنِ اعتقادِهِم ورجوعِهِم إلى الحقِّ ، كما ضرَّ غيرَهُم مِنَ الجهلةِ سوءُ عنادِهِم وعدولُهُم عنِ الصدقِ .

وأجمعَ أهلُ السنَّةِ مِنْ علماءِ المشرقِ والمغربِ علىٰ إمامتِهِ ، وتواردُوا على الارتواءِ مِنْ صَوْبِ غَمامتِهِ ، واتَّفقُوا علىٰ تلقِّي كلامِهِ بالقَبولِ وعدمِ الانتقادِ ؛ لِمَا أُجمِعَ لهُ مِنْ صحةِ المذهبِ والاعتقادِ ، واتَّخذُوا كلامَهُ في علمِ الأصولِ كنصوصِ علماءِ أئمَّةِ الفروعِ ؛ يُطرِّزُونَ بهِ وَشْيَ تصانيفِهِم ، ويُعْلِمُونَ بهِ حُلَلَ مجاميعِهِم وتواليفِهِم ، وهم علىٰ ذلكَ عصراً بعدَ عصرٍ بمذهبِهِ يقتدُونَ ، وفي ظُلَمِ المشكلاتِ يستضيئُونَ بكلامِهِ الذي هوَ أظهرُ مِنَ النجمِ وبالنجمِ هم يهتدُونَ .

فمِنْ تصانيفِهِ : كتابُهُ المُلقَّبُ بـ « المحررِ في تفسيرِ القرآنِ العظيمِ »[2] ، نقلَ الحافظُ ابنُ عساكرَ في « كتابِهِ » قالَ : (ذكرَ لي بعضُ أصحابِنا أنَّهُ رأىٰ منهُ طرفاً بلغَ سورةَ « الكهفِ » ، فكانَ مئةَ كتابٍ) يعني : مئةَ مجلدٍ إلى (الكهفِ)[3] .

---

(١) المراد بـ (علم الأصول) كما لا يخفىٰ : علم أصول الدين ، وعلم التوحيد .

(٢) اسم الكتاب في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٦٢) : « المختزن » .

(٣) تبيين كذب المفتري (ص٢٦٢) ، قال الحافظ ابن عساكر : (ولم يترك آية تعلَّق بها بدعيٌّ=

ومنها : كتابُهُ المُسمَّىٰ بـ « العمدةِ في الرؤيةِ »[(١)] ، ومنها : كتابُهُ المُسمَّىٰ بـ « الموجزِ » يشتملُ على اثني عشرَ مجلداً[(٢)] ، ومنها : كتابُهُ المُلقَّبُ بـ « الفصولِ في الردِّ على الفلاسفةِ والدهريينَ وأهلِ التشبيهِ » في اثني عشرَ مجلداً[(٣)] ، ومنها : كتابُهُ الذي صنَّفَهُ في خلقِ الأعمالِ ، نقضَ فيهِ عللَ المعتزلةِ والقدريةِ ، ومنها : كتابُهُ الذي صنَّفَهُ في الاستطاعةِ ، ونقضَ فيهِ أيضاً على المعتزلةِ استدلالَهُم[(٤)] .

قلتُ : وقد سردَ لهُ الحافظُ ابنُ عساكرَ رضيَ اللهُ عنهُ في كتابِ « تبيينِ كذبِ المفتري » نحواً مِنْ ستينَ مُصنَّفاً ما بينَ كبيرٍ وصغيرٍ[(٥)] .

= إلا أبطل تعلقه بها ، وجعلها حجة لأهل الحق ، وبيَّن المجمل ، وشرح المشكل) ، وقال الإمام التاج السبكي في « الطبقات » (٣/ ٣٥٥) : (وتفسيره كتاب حافل جامع ، قال شيخنا الذهبي : « إنه لمَّا صنَّفه كان على الاعتزال » ، قلت : وليس الأمر كذلك ؛ فقد وقفت على الجزء الأول منه ، وكلُّه ردٌّ على المعتزلة وتبيينٌ لفساد تأويلاتهم وكثرة تحريفهم ، وفي مقدمة « تفسيره » من ذلك ما يقضي ناظرُهُ العجبَ منه) ، وقال الإمام الكوثري في تعليقه على « التبيين » (ص١١٩) : (قال الإمام الحافظ أبو بكر ابن العربي في « العواصم عن القواصم » : وانتَدَبَ إلىٰ كتاب الله ، فشرحه في خمس مئة مجلد ، وسمَّاه بـ « المختزن » ، فمنه أخذ الناس كتبهم ، ومنه أخذ عبد الجبَّار الهمذاني كتابه في تفسير القرآن الذي سمَّاه بـ « المحيط » في مئة سِفر ، قرأناه في خزانة المدرسة النظامية بمدينة السلام . انتهىٰ) .

(١) واسمه في « التبيين » : (العُمَد في الرؤية) ، وفي هـٰذا الكتاب ذكر أسامي أكثر كتبه إلىٰ سنة (٣٢٠هـ) ، وعاش بعد ذلك إلىٰ سنة (٣٢٤هـ) فألف فيها كتباً عديدة ، وقد ذكر جميعَ هـٰذه الكتب الحافظُ ابن عساكر في « التبيين » (ص٢٧٩ـ ٢٨٨) نقلاً عن الإمام الكبير أبي بكر ابن فورك رحمه الله تعالىٰ .

(٢) الذي في « التبيين » (ص٢٨٠) : (كتاباً) بدل (مجلداً) .

(٣) الذي في « التبيين » (ص٢٧٩) : (كتاباً) بدل (مجلداً) .

(٤) أي : استدلالهم علىٰ أنها قبل الفعل . انظر « التبيين » (ص٢٨٠) .

(٥) تبيين كذب المفتري (ص٢٧٩ـ٢٨٩)، وهي أكثر من ذلك بكثير ، وفي « التبيين » تفصيل وترتيب في ذكر هـٰذه المصنفات .

وذكرَ عن أبي العباسِ أحمدَ بنِ محمدِ المعروفِ بـ (قاضي العسكرِ) قالَ : (وقد وجدتُ لأبي الحسنِ قريباً مِنْ مئتي مُصنَّفٍ ، وكتابُهُ « الموجزُ الكبيرُ » يأتي على عامَّةِ كتبهِ ؛ فإنَّهُ ذكرَها فيهِ)[١]

وتصانيفُهُ رضيَ اللهُ عنهُ أكثرُ مِنْ أنْ تُحصى ، وكتبُهُ يعِزُّ أنْ تُستقصى .

وعلى الحقيقةِ : فجميعُ المصنَّفاتِ بعدَهُ في الأصولِ على طريقةِ أهلِ الحقِّ منسوبةٌ إليهِ ؛ لأنَّها بمذهبِهِ تنطقُ ، وعنهُ تُناضِلُ ولهُ تُحقِّقُ ، ومِنْ بحرِهِ تغترفُ ، ولهُ بالسبقِ إلى الهدايةِ تعترفُ ، كما أنَّ سائرَ كتبِ أصحابِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ـ وغيرِهِ مِنَ الأئمَّةِ رضيَ اللهُ عنهُم ـ منسوبةٌ إليهِ ؛ لأنَّ أقوالَهُ هيَ أمُّ ذلكَ الكتابِ ، وعليها المدارُ في السؤالِ والجوابِ ، فهيَ إليهِم منسوبةٌ ، وحسناتُهُم في صحائفِ حسناتِ الإمامِ مكتوبةٌ ؛ فمَنْ أسَّسَ سُنَّةً حسنةً فلهُ أجرُها وأجرُ مَنْ عملَ بها[٢] ، رضيَ اللهُ عنهُم ، ووفَّقَنا لأنْ نكونَ مِنْ أتباعِهِم ؛ فالسعيدُ مَنْ كانَ منهُم[٣]

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص٢٩٢) ، وذكر الحافظ ابن عساكر (ص٢٨٩) عن أبي المعالي شَيْذلَهْ قال : (سمعت من أثق به قال : رأيت تراجم كتب الإمام أبي الحسن ، فعددتها أكثر من مئتين وثلاث مئة مصنف) .

(٢) كما أخرجه مسلم (٨/ ٦١) برقم : (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .

(٣) وللإمام أبي الحسن الأشعري كتاب « الإبانة عن أصول الديانة » ، ألَّفه أول ما دخل بغداد ؛ حتى يتدرج بمتقشِّفة الحشوية إلى معتقد أهل السنة وينتشلَ المتورِّطين منهم في أوحال التشبيه ، وليس هو آخرَ مؤلفاته كما يلهج بذلك الحشوية قديماً وحديثاً ، والكثير من البسطاء المغترِّين والمتأثِّرين بهم ، وطريقته في « الإبانة » جرت على طريقة المُفوِّضة في الإمساك عن تعيين المراد ، وهو مذهب السلف ، وللإمام أبي الحسن الأشعري قول آخر بالتأويل كما نص على ذلك الإمام المحقق الأصولي تاج الدين السبكي في « الطبقات » (٤/ ٣٣) ، ويرى الإمام السبكي (١/ ١٣٣) أن في « الإبانة » نصوصاً ليست صحيحةَ النسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري إلا ما نقله الحافظ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » ، بل قال الإمام الصفدي في « الوافي بالوفيات » (١٩/ ١١٧) في سياق دفاعه عن إمام الحرمين =

فصل

في التمهيد لذكر الطّبقات التي ذكرها ابن عساكر في « تبيينه » وما زاد عليه المؤلف في « النجم »

وممَّا يدُلُّ علىٰ فضلِ العالِمِ : كثرةُ أتباعِهِ مِنَ العالَمِ الذينَ أجمعُوا على الاهتداءِ بنورِهِ والاسترشادِ ، واتِّباعِ سبيلِهِ التي هيَ سبيلُ الرشادِ ، وللإمامِ أبي الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ ما لا يُحصىٰ مِنْ مُتَّبعي طريقتِهِ والراجعينَ إليهِ ، والمعتمدينَ في حسنِ الاعتقادِ عليهِ ، لو أردتُ حصرَهُم لتحمَّلتُ المشاقَّ ، ولأفنيتُ الأوراقَ ، لـٰكنْ أسرُدُ أسماءَ بعضِهِم علىٰ سبيلِ الاختصارِ ، مِنْ غيرِ إطالةٍ ولا إكثارٍ ، وقد رتَّـبْتُ لذلكَ بابينِ :

أحدُهُما : أذكرُ فيهِ مَنْ ذكرَهُ الحافظُ ابنُ عساكرَ على الطبقاتِ التي رتَّبَها ، وأختصرُ مِنْ كلِّ ترجمةٍ ذكرَها ، مُعظمَها وأكثرَها ، وإنْ حضرَتْني زيادةٌ عن غيرِهِ ذكرتُها ، ولم أُغيِّرْ مِنَ الترتيبِ الذي رتَّبَهُ الحافظُ ابنُ عساكرَ في الطبقاتِ شيئاً ، إلا الشيخَ أبا عبدِ اللهِ بنَ خفيفٍ ؛ فإنِّي ابتدأتُ بهِ تبرُّكاً ، وسردتُ مَنْ بقيَ بعدَهُ علىٰ ما رتَّبَهُ الشيخُ ثقةُ الدينِ رحمَهُ اللهُ[1] .

والبابُ الثاني : أذكرُ فيهِ مَنْ لم يذكرْهُ الحافظُ ابنُ عساكرَ رحمَهُ اللهُ إلىٰ مشايخي الذينَ قرأتُ عليهِم رحمَهُمُ اللهُ ، ورتَّبتُ طبقاتِهِم علىٰ وفاتِهِم ؛ فمَنْ

= الجويني : (والذي أظنُّه أنها دُسَّت في كلامه ، ووضعها الحسدة له علىٰ لسانه ، كما وُضع كتاب « الإبانة » علىٰ لسان الشيخ أبي الحسن الأشعري) ، وعلىٰ كلٍّ فهـٰذه المسألة طويلة الذيل أتيت بها مختصرة وملخصة .

(١) بل سيأتي تغييره في ترتيب بعض التراجم ، كما سيأتي التنبيه في (١/ ٤٠٤) .

تقدَّمَ انتقالُهُ إلىٰ ربِّهِ ، جعلتُ ذلكَ دليلَ قربِهِ ، وضممتُ إلىٰ ذلكَ جماعةً مِنَ الصلحاءِ والأولياءِ ، ممَّنْ كانَ اعتقادُهُ اعتقادَ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ ؛ تبرُّكاً بأسمائِهِم ؛ فإنَّ عندَ ذكرِ الصالحينَ تنزلُ الرحمةُ ، وإنْ حضرَني شيءٌ مِنْ كلامِهِم ذكرتُهُ ، فإنْ أمكنَ ذكرُ مولدِهِم ووفاتِهِم ذكرتُ ذلكَ ولم أستوعبْ ، فمَنْ وقفَ علىٰ ذلكَ وأمكنَهُ أنْ يُذيِّلَ باسمِ صالحٍ أو عالمٍ . . فليفعلْ ؛ فإنَّ القصدَ تكثيرُ سوادِ أتباعِ هـٰذا العالِمِ ، واللهُ تعالىٰ يُرشدُنا للصوابِ بمحمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ .

* * *

الباب الثّامن

في ذكر أتباع أبي الحسن الأشعريّ رضي الله عنه وعنهم في معتقده ممن ذكرهم الحافظ ابن عساكر رضي الله عنه على ما قدّمته وهم طبقات

بابُ

ذكر أتباع أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه وعنهم في معتقده ممن ذكرهم الحافظ ابن عساكر رضي الله عنه على ما قدّمته وهم طبقات (١)

ذكر الطبقة الأولى من أصحاب أبي الحسن

فالطبقةُ الأولىٰ : الذينَ أخذُوا عنهُ ، وتلقَّوْا هٰذهِ العلومَ منهُ شِفاهاً بغيرِ واسطةٍ ، ألسنتُهُم للقواعدِ منهُ مُتلقِّفةٌ ، وأفهامُهُم لهُ ضابطةٌ .

---

(١) وهٰؤلاء الذين سيذكرهم المؤلف نقلاً عن ابن عساكر إنما هم من الذين اشتَهروا بالدفاع عن أبي الحسن والانتساب إليه ، وإلا فهم أكثر من ذلك بكثير ؛ إذ هم جمهور أهل السنة والجماعة ، وقد قال المؤلف في آخر الباب السابق : (ولو أردت حصرهم لتحمَّلتُ المشاقَّ ، ولأفنيتُ الأوراق) .
وقال الإمام التاج السبكي في « طبقاته » (٣/ ٣٦٥) في مثل هٰذا السياق : (اعلم : أنَّ أبا الحسن لم يُبدِعْ رأياً ، ولم يُنشِئ مذهباً ، وإنما هو مُقرِّر لمذاهب السلف ، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنَّهُ عَقَدَ علىٰ طريق السلف نطاقاً ، وتمسَّك به ، وأقام الحُجَجَ والبراهين عليه ، فصار المقتدي به في ذلك ، السالكُ سبيلَه في الدلائل . . يُسمَّىٰ أشعرياً .
ولقد قلت مرة للشيخ الإمام ـ أي : والده التقي السبكي ـ رحمه الله : أنا أعجب من الحافظ ابن عساكر في عَدِّه طوائفَ من أتباع الشيخ ، ولم يذكر إلا نزراً يسيراً ، وعدداً قليلاً ، ولو وفَّى الاستيعابَ حقَّه لاستوعب غالب علماء المذاهب الأربعة ؛ فإنهم برأي أبي الحسن يدينون الله تعالىٰ !! فقال : إنما ذكر من اشتَهر بالمناضلة عن أبي الحسن ، وإلا فالأمر علىٰ ما ذكرت من أن غالب علماء المذاهب معه .
وقد ذكر الشيخ شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام أن عقيدته اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة ، ووافقه علىٰ ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو ابن الحاجب ، وشيخ الحنفية جمال الدين الحَصِيري) .
ثم ذكر التاج السبكي جملة ممن ذكرهم الحافظ ابن عساكر ونقل خاتمة كلامه في ذلك ، ثم=

فمنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ خَفيفٍ الشِّيرازيُّ رضيَ اللهُ عنهُ

قالَ الحافظُ ثقةُ الدينِ رحمَهُ اللهُ بسندِهِ إلىٰ أبي بكرِ محمدِ بنِ يحيى بنِ إبراهيمَ المُزكِّي : حدَّثَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ محمدُ بنُ الحسينِ السُّلَميُّ قالَ : (**محمدُ بنُ خَفيفِ بنِ إسْفكْشَاذَ الضبِّيُّ** ، **أبو عبدِ اللهِ** ، المقيمُ بشيرازَ ، كانَتْ أمُّهُ نيسابوريةً ، هوَ عينُ القومِ وتاريخُ الزمانِ ، لم يبقَ للقومِ أقدمُ منهُ سنّاً ، ولا أتمُّ حالاً ووقتاً .

صحبَ : رُوَيماً ، والجَريريَّ ، وابنَ عطاءٍ ، ولقيَ الحسينَ بنَ منصورٍ .

وهوَ مِنْ أعلمِ المشايخِ بعلومِ الظاهرِ [وعلومِ الحقائقِ] ، مُتمسِّكاً بعلومِ الشريعةِ مِنَ الكتابِ والسنَّةِ ، وهوَ فقيهٌ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ .

قالَ أحمدُ بنُ يحيى الشِّيرازيُّ : ما أُرى التصوُّفَ إلا يُختَمُ بأبي عبدِ اللهِ بنِ خَفيفٍ)[1]

ومِنْ « حليةِ الأولياءِ » للحافظِ أبي نُعيمٍ رحمَهُ اللهُ قالَ : (**ومنهُم** : **أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ خَفيفٍ** ، الحنيفُ الظريفُ ، لهُ « الفصولُ في الأصولِ » ، ولهُ « التحقيقُ والتثبُّتُ في الوصولِ »[2] ، لقيَ الأكابرَ والأعلامَ ،

= قال : (قلت : ولقد أهمل علىٰ سعة حفظه من الأعيان كثيراً ، وترك ذكر أقوام كان ينبغي حيث ذكر هـٰؤلاء أن يشمِّر عن ساعد الاجتهاد في ذكرهم تشميراً ، لـٰكنه استوعب في الأولىٰ أو كاد ، واستغرق فلم يفته إلا بعضُ الآحاد) .

(١) تبيين كذب المفتري (ص٣٦٩ـ٣٧٠) ، وانظر « طبقات الصوفية » (ص٤٦٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٦/ ٥٠٧) .

(٢) في « الحلية » و« التبيين » : (التحقق) بدل (التحقيق) .

صَحِبَ : رُوَيماً ، وأبا العباسِ ابنَ عطاءٍ ، وطاهرَ المقدسيَّ[1] ، وأبا عمرٍو الدمشقيَّ[2] ، وكانَ شيخَ الوقتِ حالاً وعلماً)[3] .

وذكرَ الحافظُ ابنُ عساكرَ بسندِهِ إلىٰ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ الشِّيرازيِّ قالَ : (نظرَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ إلى ابنِ مكتومٍ وجماعةٍ مِنْ أصحابِهِ يكتبُونَ شيئاً ، فقالَ : ما هٰذا ؟ فقالُوا : نكتبُ كذا وكذا ، فقالَ : اشتغلُوا بتعلُّمِ شيءٍ ، ولا يغرَّنَّكُم كلامُ الصوفيَّةِ ؛ فإنِّي كنتُ أُخبِّئُ مِحْبَرتي في جنبِ مُرقَّعتي ، والكاغَدَ في حُجْزةِ سراويلي ، وكنتُ أذهبُ خَفِيّاً إلىٰ أهلِ العلمِ ، فإذا علمُوا بي خاصمُوني ، وقالُوا : لا تُفلِحُ ، ثمَّ احتاجُوا إليَّ بعدَ ذلكَ)[4] .

وذكرَ الأستاذُ أبو القاسمِ عمرُ بنُ الحسينِ بنِ الحسنِ المكِّيُّ في كتابِهِ المُسمَّىٰ : « نهايةَ المرامِ في علمِ الكلامِ » في طبقةِ تلامذةِ أبي الحسنِ الأشعريِّ رضيَ اللهُ عنهُ ؛ قالَ : (ومنهُمْ : الشيخُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ خَفيفٍ ، شيخُ شيرازَ ، وإمامُ وقتِهِ ، ولهُ رسالةٌ كاملةٌ في ذكرِ أبي الحسنِ ومناقبِهِ ، أوَّلُها :

دعاني أَرَبٌ ، وولوعٌ أَلَبَ[5] ، وشوقٌ غلبَ ، إلىٰ أنْ أُحوِّلَ نحوَ البصرةِ رِكابي ، في عُنْفُوانِ شبابي ؛ لكثرةِ ما بلغَني علىٰ لسانِ البدويِّ والحضريِّ ؛ مِنْ فضائلِ شيخِنا أبي الحسنِ الأشعريِّ ؛ لأَسْتَسْعِدَ بلقاءِ ذلكَ الوحيدِ ،

---

(١) كذا في (أ ، ب) ، وهي علىٰ مذهب جمهور البصريين ، وإن كان الإتباعُ أقيسَ كما هو أحد وجهين عن الكوفيين ، وسيأتي مثله ولن ننبه عليه .

(٢) كذا في (أ ، ب) و« الحلية » ، وفي « التبيين » : (عمر) بدل (عمرو) .

(٣) حلية الأولياء (١٠/ ٣٨٥) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٠) .

(٤) تبيين كذب المفتري (ص٣٧١) ، وأخرجه في « تاريخه » (٥٢/ ٤١٤) .

(٥) أَلَبَ : أتىٰ من كل جانب .

وأستفيدَ ممَّا فتحَ اللهُ عليهِ مِنْ ينابيعِ التوحيدِ ؛ إذْ حازَ في ذلكَ قَصَبَ السباقِ ، وكانَ ممَّنْ يُشارُ إليهِ في الآفاقِ ، وفاقَ الفضلاءَ مِنْ أبناءِ زمانِهِ ، واشتاقَ العلماءُ إلى استماعِ بيانِهِ . . .) .

وذكرَ بعدَ كلامٍ طويلٍ ، وسجعٍ جليلٍ : أنَّهُ حضرَ إلىٰ مجلسٍ مِنْ حيثُ لا يعرفُهُ أبو عبدِ اللهِ ، (فلم يدَعْ مشكلةً إلا أزالَها ، ولا مُعضِلةً إلا أزاحَها ، ولا فساداً إلا أصلحَهُ ، ولا عناداً إلا زحزحَهُ ، حتىٰ تبيَّنَ الحيُّ مِنَ اللَّيِّ[1] ، والرشدُ مِنَ الغَيِّ ، ورَفَلَ الحقُّ في أذيالِهِ ، واعتدلَ باعتدالِهِ ، وأقبلَ عليهِ الخاصَّةُ والعامَّةُ بإقبالِهِ .

فلمَّا فرغَ مِنْ إنشاءِ دَلالتِهِ ، [بعدَ جَوَلانِهِ في هيجاءِ البلاغةِ عن بَسالتِهِ . . حارَ الحاضرونَ في جوابِهِ ، وتعجَّبوا مِنْ فصلِ خطابِهِ ، و] عادَ الخصومُ كأنَّهُم فَراشُ النارِ ، وخَشاشُ الأبصارِ[2] ، وأوباشُ الأمصارِ ، عليهِمُ الدَّبَرَةُ[3] ، وعلىٰ وجوهِهِمُ الغَبَرَةُ .

قلتُ لبعضِ الحاضرينَ : مَنْ هـٰذا الذي اختلبَ القلوبَ ، بما سلكَهُ مِنْ هـٰذا الأسلوبِ ؟!

فقالَ مِنْ غيرِ اعتقالٍ : هوَ البازُ الأشهبُ ، والمُبارِزُ الأشيبُ ، والبحرُ الطَّامي ، والطَّوْدُ السامي ، والغيثُ الهامي ، والليثُ الحامي ، ناصرُ الحقِّ ، وناصحُ الخلقِ ، قامعُ البدعةِ ، ولسانُ الحكمةِ ، وإمامُ الأمَّةِ ، وقِوامُ المِلَّةِ ، ذو الرأيِ الرَّضِيِّ ، والرُّواءِ المرضيِّ[4] ، والقلبِ الذكيِّ ، والنَّسَبِ الزَّكِيِّ ،

---

(١) أي : الحق من الباطل

(٢) الخَشاش : الحشرات والهوامُّ .

(٣) الدَّبَرة ـ بسكون الباء وتفتح ، وهو الأنسب هنا ـ : الهزيمة في القتال .

(٤) الرُّواء : المنظر .

السَّرِيُّ بنُ السَّرِيِّ ؛ أبو الحسنِ الأشعريُّ .

ثمَّ خرجَ فتبعتُهُ مُقتفِياً كخدمِهِ ، ومُستنهِجاً مَواطئَ قدمِهِ ، فالتفتَ إليَّ وقالَ : يا فتىٰ ؛ كيفَ رأيتَ أبا الحسنِ الأشعريَّ [حينَ أفتىٰ] ؟!

فهرولتُ لالتزامِ قَدِّهِ ، واستلامِ يدِّهِ[1] ، وقلتُ : لقد أبديتَ اليدَ البيضاءَ ، وسكَّنتَ الضوضاءَ ، وكشفتَ الغَمَّاءَ ، وأنحتَ الدَّهْماءَ[2] ، وقطعتَ الأحشاءَ ، وقمعتَ الأهواءَ ؛ بلسانٍ عَضْبٍ ، وبيانٍ عذبٍ ، آنسَ مِنَ الروضِ الممطورِ ، والوشيِ المنشورِ ، وأصفىٰ مِنْ دَرِّ الأمطارِ ، ودُرِّ البحارِ ، وجررتَ ذيلَ الفَخارِ ، علىٰ هامةِ الشِّعْرىٰ[3] ، وحقَّقتَ بكلامِكَ : إنَّ مِنَ البيانِ لسِحْراً .

بيدَ أنَّهُ قد بقيَ لي سؤالٌ ؛ لِمَا عَرَاني مِنَ الإشكالِ ؟ فقالَ : اذكرْ سؤالَكَ ، ولا تُعرِضْ عمَّا بدا لكَ .

فقلتُ : رأيتُ الأمرَ لم يجرِ على النِّظامِ ؛ لأنَّكَ ما افتتحتَ بالكلامِ ، وكانَ حقُّ المُناظِرِ ، ألا يسألَ غيرَكَ ومثلُكَ حاضرٌ .

قالَ : أَجَلْ ، لـٰكنِّي في الابتداءِ لا أذكرُ الدليلَ ، ولا أشتغلُ بالتعليلِ ؛ إذْ فيهِ تسبُّبٌ إلىٰ إلجاءِ الخصمِ في ذكرِ شبهتِهِ بطريقِ الاعتراضِ ، وما أنا بالتسبُّبِ إلى المعصيةِ راضٍ ، فأُمهِلُهُ حتىٰ يذكرَ ضلالتَهُ ، ويُورِدَ شبهتَهُ ومقالتَهُ ، فحينَئذٍ تعيَّنَ عليَّ الجوابُ ، فأرجو بذلكَ مِنَ اللهِ الثوابَ .

قالَ : فلمَّا رأيتُ مَخْبَرَهُ ، بعدَ أنْ سمعتُ خَبَرَهُ . . تيقَّنتُ أنَّهُ قد جاوزَ

---

(١) تشديد الدال لغة ، وهو أنسب مع السجعة قبله .

(٢) الدهماء : العدد الكثير ، وجماعة الناس وكثرتهم ، وفي « طبقات الشافعية الكبرىٰ » : (ولحَّنت) بدل (وأنحت) .

(٣) الشِّعْرىٰ : كوكب نيِّر ، وانظر « تاج العروس » (١٢/ ١٩٥) ، مادة : (ش ع ر) .

الخَبَرَ الخُبْرُ ، وأنَّ مقالتَهُ تِبْرٌ ، وما دونَها صُفْرٌ ، قد بلغَ مِنَ الديانةِ أعلى النهايةِ ، وأوفى مِنَ الأمانةِ على كلِّ غايةٍ ، وأنَّهُ هوَ الذي أومأَ إليهِ الكتابُ والسنَّةُ ، بحيازةِ هـٰذهِ المِنَّةِ ؛ في نُصرةِ الحقِّ ، ونُصْحِ الخلقِ ، وإعلاءِ الدينِ ، والذَّبِّ عنِ الإسلامِ والمسلمينَ ، فشادَ لي مِنَ الاعتقادِ ، بأوفرِ الاعتدادِ ، وأوقعَ ببياضِ الفؤادِ ، سوادَ الوِدادِ[1]

وألفيتُهُ معَ عُلُوِّ درجتِهِ ، وتفاقُمِ مرتبتِهِ ، كانَ يقومُ بتثقيفِ أَوَدِهِ[2] ، مِنْ كسبِ يدِهِ ؛ مِنِ اتِّخاذِ تجارةِ العقاقيرِ معيشةً ، والاكتفاءِ بها عِيشةً ؛ اتِّقاءً عنِ الشُّبُهاتِ ، وارتقاءً عنِ الشهَواتِ[3] ، رضاً بالكفافِ ، وإيثاراً للعفافِ)[4]

رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ ، وجعلَ الجنةَ مَأْواهُ ، اختصرتُها لا سآمةً ، واقتطفتُ مِنْ جواهرِها ، وإنْ كانَ ما تركتُ أجودَ ممَّا أخذتُ .

فأمَّا مجاهداتُهُ وأحوالُهُ : فإنَّ أبا عبدِ اللهِ ابنَ باكُويَه الشيرازيَّ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ خفيفٍ يقولُ : (كنتُ في ابتدائي بقيتُ أربعينَ شهراً أُفطِرُ كلَّ ليلةٍ بكفٍّ باقِلاَءَ ، فمضَيتُ يوماً وافتصدتُ ، فخرجَ مِنْ عِرْقي شبهُ ماءِ اللحمِ ، وغُشِيَ عليَّ ، فتحيَّرَ الفَصَّادُ ، وقالَ : ما رأيتُ جسداً بلا دمٍ إلا هـٰذا !!)[5]

---

(١) العبارة في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » : (فشاد لي من الاعتداد ، بأوفر الأعداد ، وأودع بياض الوداد ، سواد الفؤاد) .

(٢) التثقيف : التسوية ، والأَوَد : الاعوجاج .

(٣) في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » و« نهاية المرام » : (وإبقاءً على الشهوات) .

(٤) نهاية المرام (ص٦٦٥ـ٦٦٨) ، وهـٰذه الرحلة إلى الإمام الأشعري أوردها بطولها الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ١٥٩ـ١٦٣) ، وفيها اختصار واختلاف يسيران عمَّا أورده المؤلف ها هنا .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٢) ، وفي « تاريخه » (٥٢/ ٤٠٩)، وابن باكويه : هو نفسه محمد بن عبد الله الشيرازي السابق في (١/ ٣٥٧) .

قالَ[1] : وسمعتُ أبا عبدِ اللهِ يقولُ : (ما سمعتُ شيئاً مِنْ سُنَنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلا استعملتُهُ ؛ حتى الصلاةِ علىٰ أطرافِ الأصابعِ)[2] .

وممَّا ذكرَهُ الأستاذُ أبو القاسمِ القشيريُّ رضيَ اللهُ عنهُ عن أبي العبَّاسِ الكَرْخيِّ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ خفيفٍ يقولُ : (ضعُفْتُ عنِ القيامِ في النوافلِ ، وقد جعلتُ بدلَ كلِّ ركعةٍ مِنْ أورادي ركعتينِ قاعداً ؛ للخبرِ : « صَلاَةُ ٱلْقَاعِدِ عَلَى ٱلنِّصْفِ مِنْ صَلاَةِ ٱلْقَائِمِ »)[3] .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (ما وجبَتْ عليَّ زكاةُ الفطرِ أربعينَ سنةً ، ولي قَبولٌ عظيمٌ مِنَ الخاصِّ والعامِّ)[4] .

وذكرَ أبو أحمدَ الكبيرُ قالَ : كانَ أبو عبدِ اللهِ إذا أرادَ أنْ يخرجَ لصلاةِ الجمعةِ . . قالَ : هاتِ ما عندَنا ، فأحملُ إليهِ كلَّ ما فُتِحَ بهِ مِنَ الذهبِ والفضَّةِ ، فيُفرِّقُهُ كلَّهُ ، ثمَّ يخرجُ إلىٰ صلاةِ الجمعةِ ، وكانَ كلَّ سنةٍ في أوانٍ يُخرِجُ ما عندَهُ مِنَ الثيابِ ، حتىٰ لا يبقىٰ عندَهُ ما يخرجُ بهِ إليَّ بَرّاً[5] .

---

(١) القائل : ابن باكويه الشيرازي .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٢) ، وفي « تاريخه » (٥٢/ ٤١٤ـ٤١٥) ، وأورده في « تاريخه » أيضاً (٥٢/ ٤٠٦) صدرَ ترجمته وزاد : (وهي صعبة) .

(٣) الرسالة القشيرية (ص٢٢٠) ، وأخرجه من طريقه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٢) ، وفي « تاريخه » (٥٢/ ٤١٥) ، والحديث المذكور في الأثر أخرجه بنحوه البخاري (١١١٥) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما ، وبلفظه النسائي في « الكبرىٰ » (١٣٧١) ، وأحمد في « المسند » (٣/ ٤٢٤) عن سيدنا السائب بن أبي السائب رضي الله عنه .

(٤) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص٥٨٢) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٣) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٣) ، وفي « تاريخه » (٥٢/ ٤١٦) .

وقالَ أبو أحمدَ الصغيرُ : كانَ أمرَني ـ يعني : ابنَ خفيفٍ ـ أنْ أُقدِّمَ لهُ كلَّ ليلةٍ عشرَ حبَّاتِ زبيبٍ لإفطارِهِ ، قالَ : فأشفقتُ عليهِ ليلةً ، فجعلتُها خمسَ عشرةَ حبَّةً ، فنظرَ إليَّ وقالَ : مَنْ أمرَكَ بهـٰذا ؟! وأكلَ عشرةً ، وتركَ الباقيَ[1]

وقالَ ابنُ خَفيفٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (ربَّما كنتُ أقرأُ في ابتداءِ أمري في ركعةٍ واحدةٍ عشرةَ آلافِ مرَّةٍ : « قلْ هوَ اللهُ أحدٌ » ، وكنتُ أقرأُ القرآنَ كلَّهُ في ركعةٍ واحدةٍ ، وربَّما كنتُ أُصلِّي مِنَ الغداةِ إلى العصرِ ألفَ ركعةٍ)[2]

سُئِلَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ القربِ ، فقالَ : (قربُكَ منهُ بملازمةِ الموافقاتِ ، وقربُهُ منكَ بدوامِ التوفيقِ)[3]

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ سنةَ إحدىٰ وسبعينَ وثلاثِ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

* * *

---

(١) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص٣٧٧) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (٥٢/ ٤١٥) ، وأخرجه أيضاً في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٣ـ٣٧٤) .

(٢) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص٢١٩) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (٥٢/ ٤١٤) .

(٣) أخرجه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٤٦٥) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٢١٩) .

ومنهُم :

أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ أحمدَ ابنِ يعقوبَ بنِ مجاهدٍ الطائيُّ

قالَ الإمامُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ البغداديُّ : (**الحافظُ أبو عبدِ اللهِ** ، الطائيُّ المُتكلِّمُ ، صاحبُ أبي الحسن الأشعريِّ ، وهوَ مِنْ أهلِ البصرةِ ، سكنَ بغدادَ ، وعليهِ درسَ القاضي أبو بكرٍ محمدُ بنُ الطيِّبِ الكلامَ[1] ، ولهُ كتبٌ حِسانٌ في الأصولِ ، وكانَ أبو بكرٍ البَرْقانيُّ يُثني عليهِ ثناءً حسناً ، وقد أدركَهُ ببغدادَ فيما أحسبُ ، واللهُ أعلمُ)[2]

* * *

---

(١) وذكر ابن عساكر أنَّ الملك فنَّاخُسْرو طلب من أبي بكر الباقلاني الحضور عنده ليناظر المعتزلة ، فقال شيخه ابن مجاهد : هٰؤلاء قوم فسقة لا يحل لنا أن نطأ بساطهم ، فقال القاضي أبو بكر : كذا قال ابن كُلاب والمحاسبي ومن كان في عصرهما من المتكلمين ، حتىٰ سيق أحمد ابن حنبل فامتحن وضرب ، ولو مرُّوا إليه وناظروه لكفوه عن هٰذا الأمر . . . ، وأنت أيها الشيخ تسلك سبيلهم ، حتىٰ يجري على الفقهاء ما جرىٰ علىٰ أحمد ، أو يقولوا بخلق القرآن ونفي رؤية الله عز وجل ، وهٰأنا خارج إن لم تخرج ، ثم خرج وناظرهم وقطعهم بحضرة الملك المذكور ، وقد أورد هٰذه المناظرةَ كاملةً الإمامُ الأديب المؤرخ المقَّري في « أزهار الرياض » (٣/ ٧٩ـ٨٤) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٢٦٥ـ٢٦٦) .

(٢) تاريخ بغداد (١/ ٣٦٠) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٤٥ـ٣٤٦) ، وتوفي سنة سبعين وثلاث مئة ، ولم يذكر ابن عساكر سنة وفاته ، فجاء بياض في (أ) مكان سنة الوفاة ، وكتب في هامشها : (تذكر وفاته) .

ومنهُمْ :

الشيخُ أبو الحسنِ الباهليُّ البصريُّ رحمَهُ اللهُ

قالَ القاضي أبو بكرِ بنُ الطيِّبِ : (كنتُ أنا والأستاذُ أبو إسحاقَ الإسفرايِنيُّ والأستاذُ أبو بكرِ ابنُ فُوركَ رحمَهُما اللهُ تعالىٰ في درسِ الشيخِ أبي الحسنِ الباهليِّ تلميذِ الشيخِ أبي الحسنِ الأشعريِّ)(١)

قالَ القاضي : (كانَ أبو الحسنِ الباهليُّ يُدرِّسُ لنا في كلِّ جمعةٍ مرَّةً واحدةً ، وكانَ مِنْ شدَّةِ اشتغالِهِ باللهِ تعالىٰ مثلَ الوالِهِ)(٢)

قالَ الأستاذُ [أبو إسحاقَ](٣) : (كنتُ في جنبِ أبي الحسنِ [الباهليِّ كقطرةٍ في البحرِ ، وسمعتُ الشيخَ أبا الحسنِ الباهليَّ قالَ : كنتُ أنا في جنبِ الشيخِ الأشعريِّ كقطرةٍ في جنبِ البحرِ)(٤)

---

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٤٧) .

(٢) كلام الباقلاني مختصر جدّاً عما أورده ابن عساكر في « التبيين » (ص٣٤٧ـ٣٤٨) ، وعبارته : (. . . مرَّةً واحدةً ، وكان منَّا في حجاب ؛ يرخي الستر بيننا وبينه كي لا نراه ، قال : وكان من شدة اشتغاله بالله تعالىٰ مثلَ واله أو مجنون ، لم يكن يعرف مبلغ درسنا حتىٰ نذكِّره ذلك ، قال : وكنا نسأل عن سبب النقاب وإرسال الحجاب بينه وبين هٰؤلاء الثلاثة كاحتجابه عن الكل ؟ فأجاب : بأنكم ترون السُّوقة ، وهم أهل الغفلة ، فتروني بالعين التي ترونهم ، قال : وكانت له أيضاً جارية تخدمه ، فكان حالها أيضاً كحال غيرها معه من الحجاب وإرخاء الستر) .

(٣) في نسختينا : (أبو بكر) ، والمثبت من « التبيين » (ص٣٤٨) ، **وأبو إسحاق** : هو الإسفرايني رحمه الله تعالىٰ .

(٤) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٤٨) ، وتوفي أبو الحسن الباهلي بعد السبعين وثلاث مئة ، وسقط بعد ترجمته حوالي تسع تراجم ، وجاء قوله : (كنت في جنب) خاتمة الورقة (٨٩/أ) مما يدل علىٰ سقوط بعض الأوراق من المخطوط ، واستُكمل صدرُ الورقة =

= (٨٩/ب) بسطر مغاير لخط المؤلف ، وهـٰذا السطر حدث فيه اختلاط بترجمة أبي جعفر النقاش الآتية ، وسأنبه علىٰ هـٰذا السطر أثناء استكمال ترجمة النقاش .

وإليك هـٰذه التراجمَ مختصرةً من « تبيين كذب المفتري » :

فمنهم : أبو الحسين بُندارُ بن الحسين الشيرازي الصوفي خادمُ أبي الحسن رحمهما الله تعالىٰ :

كان عالماً بالأصول ، وله اللسان المشهور في علم الحقيقة ، وكان الشبلي يكرمه ويُقدِّمه .

قال رضيَ اللهُ عنهُ : (من مشىٰ في الظُّلَم إلىٰ ذي النعم . . أجلسه علىٰ بساط الكرم ، ومن قطع لسانه بشفرة السكوت ، بُني له بيت في الملكوت ، ومن واصل أهل الجهالة ، أُلبس ثوب البطالة ، ومن أكثر ذكر الله تعالىٰ شغله عن ذكر الناس ، ومن هرب من الذنوب هُرِبَ به من النار ، ومن رجا شيئاً طلبه) .

وقال رضيَ اللهُ عنهُ : (صحبة أهل البدع تورث الإعراضَ عن الحق) .

توفي بأرَّجان سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة ، وغسَّله أبو زرعة الطبري . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٤٩ـ٣٥٣) .

ـ والقاضي أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله الطبري المعروف بـ (العراقي) رحمه الله تعالىٰ :

قال الحاكم : (كان ولي قضاء جرجان قديماً ، وقلَّما رأيت في الفقهاء أفصحَ لساناً منه ، يناظر علىٰ مذهب الشافعي في الفقه ، وعلىٰ مذهب الأشعري في الكلام) .

سمع بخراسان : عمران بن موسىٰ وأقرانه ، وبالعراق : أبا محمد ابن صاعد وأقرانه ، وروىٰ عنه : الحاكم .

توفي ببخارىٰ قريب سنة تسع وخمسين وثلاث مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٥٤) .

ـ وأبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفَّال الشاشي الفقيه الأديب رحمه الله تعالىٰ :

قال الحاكم : (أبو بكر الشاشي : إمام عصره بما وراء النهر للشافعيين ، وأعلمُهم بالأصول ، وأكثرهم رحلةً في طلب الحديث) .

وقال أبو إسحاق الشيرازي : (كان إماماً ، وله مصنفات كثيرة ليس لأحد مثلُها ، وهو أول من صنَّف الجدل الحسن من الفقهاء ، وله كتاب في الأصول ، وله « شرح الرسالة » ، وعنه انتشر فقه الشافعي فيما وراء النهر) .

توفي بالشاش في ذي الحجة سنة خمس وستين وثلاث مئة ، كتب عن الحاكم بخط يده ، وكتب الحاكمُ عنه . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٥٥ـ٣٥٧) . =

= ـ **وأبو سهل محمد بن سليمان بن محمد الصُّعْلوكي النيسابوري رحمه الله تعالىٰ :**
قال فيه الحاكم : (الإمام الهمام أبو سهل الصعلوكي ، الفقيه الأديب اللغوي النحوي الشاعر ، المتكلم المفسر ، المفتي الصوفي ، الكاتب العروضي ، حَبْر زمانه ، وبقية أقرانه ، رضي الله عنه .
ولد سنة ست وتسعين ومئتين ، وسمع أولَ ما سمع سنة خمس وثلاث مئة ، طلب الفقه ، وتبحَّر في العلوم قبل خروجه إلى العراق بسنين) .
وقال الصاحب بن عباد في حقه : (لا نرىٰ مثله ، ولا رأىٰ هو مثلَ نفسه) .
وقال أبو عبد الرحمـٰن السلمي : (وهب الأستاذ أبو سهل جبَّته من إنسان في الشتاء ، وكان يلبس جبة للنساء حين يخرج إلى التدريس ؛ إذ لم تكن له جبة أخرىٰ ، فقدم الوفد المعروفون من فارس فيهم في كل نوع إمامٌ من الفقهاء والمتكلمين والنحويين ، فأرسل إليه صاحب الجيش أبو الحسن ، وأمره بأن يركب للاستقلال ، فلبس درَّاعة فوق تلك الجبة التي للنساء وركب ، فقال صاحب الجيش : إنه يستخفُّ بي ؛ إمام البلد يركب في جبة النسوان ؟! ثم إنه ناظرهم أجمعين ، وظهر كلامه علىٰ كلام جميعهم في كل فنٍّ) .
سمع بخراسان والري والعراق ، وأخذ عنه ابنه أبو الطيب وفقهاء نيسابور .
توفي في آخر سنة تسع وستين وثلاث مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٥٨ـ٣٦٥) .
ـ **وأبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله المروزي الفقيه الزاهد رحمه الله تعالىٰ :**
قال الحاكم : (كان أحد أئمة المسلمين ، ومن أحفظ الناس لمذهب الشافعي ، وأحسنِهم نظراً ، وأزهدهم في الدنيا ، قدم نيسابور غير مرَّة ، أولها للتفقه قبل الخروج إلى العراق ، وبعده لمتوجَّهه إلىٰ غزو الروم ، وقدمها الكرَّة الخامسة متوجِّهاً إلى الحج في شعبان سنة خمس وخمسين وثلاث مئة ، وأقام بمكة سبع سنين ، وحدَّث بمكة وببغداد بـ « الجامع الصحيح » لمحمد بن إسماعيل عن الفربري ، وهي أجل الروايات ؛ لجلالة أبي زيد) .
وقال أيضاً : (سمعت أبا بكر البزَّاز يقول : عادلت الفقيه أبا زيد من نيسابور إلىٰ مكَّة ، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة) .
توفي بمرو في رجب سنة إحدىٰ وسبعين وثلاث مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص ٣٦٦ـ٣٦٨) .
ـ **وأبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي رحمه الله تعالىٰ :**
قال أبو القاسم حمزة بن يوسف الجرجاني في « تاريخه » : (سمعت والدي يوسف بن إبراهيم يقول : سمعت أبي إبراهيم بن موسىٰ يقول : كان أبو بكر أحمد بن إبراهيم =

* * *

= الإسماعيلي باراً بوالديه ، لحقتْهُ بركة دعائهما) .
وقال أيضاً : (سمعت أبا الحسن الدارقطني الحافظ يقول : كنتُ قد عزمت غيرَ مرَّة أن أرحل إلىٰ أبي بكر الإسماعيلي ، فلم أُرزق) .
وقال : (وكنت إذا حضرت مجلس الإمام أبي بكر الإسماعيلي ، ورأيته لم يتفوَّه بشيء من تفسير خبر أو ضرب مثل أو حكاية أو بيت شعر أو نادرة أو غير ذلك من سائر العلوم . . إلا وتبادر جماعةٌ من الغرباء وأهل البلد علَّقوا وكتبوا) ، وعدَّد جماعة منهم أبو بكر البرقاني ، وأبو القاسم الوَرَثاني ، وأبو سعد الماليني .
توفي يوم السبت غرة رجب سنة إحدىٰ وسبعين وثلاث مئة ، وكان له أربع وتسعون سنة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٥ـ٣٧٧) .
ـ وأبو الحسن عبد العزيز بن محمد بن إسحاق الطبري المعروف بـ (الدُّمَّل) رحمه الله تعالىٰ :
قال ابن عساكر : (كان من أعيان أصحاب أبي الحسن ، وممَّن تخرَّج به ، وخرج إلى الشام ، ونشر بها مذهبه ، وكتب عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري كتابه في التفسير ، وسمعه منه ، ووقفت له قديماً علىٰ تأليف في الأصول يدل علىٰ فضل كثير ، وعلم غزير ، سمَّاه : « رياضة المبتدي وبصيرة المستهدي ») انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٨) .
ـ وأبو الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري رحمه الله تعالىٰ :
قال ابن عساكر : (صحب أبا الحسن رحمه الله مدَّةً ، وأخذ عنه وتخرَّج به واقتبس منه ، وصنَّف تصانيف عدَّةً تدل علىٰ علم واسع ، وفضل بارع ، وهو الذي ألَّف الكتاب المشهور في « تأويل الأحاديث المشكلات الواردة في الصفات ») .
وأنشد ابن مهدي لنفسه : (من السريع)

مـا ضـاع مَـنْ كـان لـه صـاحـبٌ ... يَقْـدِرُ أن يصلـح مِـنْ شـانِـهِ
فـإنَّمـا الـدُّنيـا بسُكَّـانهـا ... وإنَّمـا المـرءُ بـإخـوانِـهِ

وأنشد لنفسه أيضاً : (من مجزوء الكامل)

إنَّ الـزمـانَ زمـانُ سَـوْ ... وجميـعُ هـٰذا الخلـقِ بَـوْ
ذهـبَ الكـرامُ بـأسـرِهِـم ... وبقيـتُ فـي ليـتَ ولَـوْ
فـإذا سـألـتَ عـن النَّـدىٰ ... فجـوابُهـم عـن ذاك وَوْ

توفي قريب سنة ثمانين وثلاث مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٩ـ٣٨٠) .

ومنهم :

أبو جعفرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ العباسِ السُّلَميُّ البغداديُّ النقَّاشُ رحمَهُ اللهُ

قالَ الخطيبُ البغداديُّ : (سمعَ : محمدَ بنَ محمدِ بنِ سليمانَ الباغنديَّ ، والحسنَ بنَ محميٍّ المُخَرِّميَّ ، وعبدَ اللهِ بنَ محمدٍ البغويَّ ، وأبا بكرِ بنَ أبي داودَ السِّجستانيَّ ، ويحيى بنَ محمدِ بنِ صاعدٍ ، وأبا بكرِ ابنَ مجاهدٍ المقرئَ ، حدَّثَنا عنهُ : أبو عليٍّ ابنُ شاذانَ ، وأبو القاسمِ الأزهريُّ ، وعليُّ بنُ المحسنِ التنوخيُّ .

سألتُ الأزهريَّ عن أبي جعفرٍ النقَّاشِ][1] ، فقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : ثقةٌ ، قالَ : (وكانَ أحدَ المُتكلِّمينَ علىٰ مذهبِ الأشعريِّ ، ومنهُ تعلَّمَ أبو عليٍّ ابنُ شاذانَ الكلامَ)[2]

وُلِدَ في نصفِ جمادى الأولىٰ سنةَ أربعٍ وتسعينَ ومئتينِ[3]

قالَ الحافظُ أبو بكرٍ : (حدَّثَنا أحمدُ بنُ محمدٍ العَتيقيُّ قالَ : سنةَ تسعٍ [وسبعينَ] وثلاثِ مئةٍ[4] : فيها تُوفِّيَ أبو جعفرٍ النقَّاشُ الأشعريُّ يومَ الأحدِ أوِ

---

(١) ما بين معقوفين تم استكماله من « تبيين كذب المفتري » ، وما بين ترجمة الباهلي والنقاش سقط تمت الإشارة إليه في الحاشية السابقة ، وفي الأصل بخط مغاير : (أبي الحسن ، فسألته ما تقول فيه) بدل (سألت الأزهري عن أبي جعفر النقَّاش) .

(٢) انظر « تاريخ بغداد » (١/ ٣٤٢ـ٣٤٣) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٣٨١ـ٣٨٢) .

(٣) انظر « تاريخ بغداد » (١/ ٣٤٣) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٣٨١) .

(٤) في (أ ، ب) : (وتسعين) بدل (وسبعين) ، والمثبت من المصدرين الآتيين .

الاثنينِ لستٍّ خلونَ مِنَ المـُحرَّمِ ، وكانَ ثقةً)[1]

* *

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١/ ٣٤٣) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٣٨١ـ٣٨٢) ، وجاء بعد قوله : (وكان ثقة) : (وكان يقول الشعر ، فمن شعره : ما ضاع. . .) إلىٰ آخر البيتين الذين ذكرتهما في الهامش أثناء ترجمة أبي الحسن ابن مهدي ، ونبَّه في هامش الأصل أنهما ليسا للنقاش ، وإنما هما لابن مهدي ، ويكتبان في ترجمته ، وترجمته ضمن الأوراق الساقطة كما أشرت إليه .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ القاسمِ المعروفُ بـ (الشافعيِّ) الأصفهانيُّ

قالَ الحافظُ أبو نعيمٍ الأصفهانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (أبو عبدِ اللهِ الشافعيُّ ، مُتكلِّمٌ على مذهبِ أهلِ السنَّةِ ، ينتحلُ مذهبَ أبي الحسنِ الأشعريِّ .

عادَ إلى أصفهانَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وثلاثِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بها يومَ الجمعةِ لاثنتي عشرةَ ليلةً خلتْ مِنْ شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ إحدى وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ .

سمعَ الكثيرَ بالعراقِ ، كثيرُ المُصنَّفاتِ في الأصولِ والفقهِ والأحكامِ)[1]

* * *

(١) تاريخ أصفهان (٢/ ٢٧١) ، وأخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٨٣) ، وزاد أبو نعيم في « التاريخ » (روى عن محمد بن سليمان المالكي ، والمادرائي ، واللؤلؤي) .

ومنهُم :

أبو محمدٍ عبدُ الواحدِ بنُ أحمدَ بنِ القاسمِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ الزُّهْريُّ المُذكِّرُ

مِنْ ولدِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ عوفٍ .

قالَ الحافظُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ : (هوَ ابنُ أبي الفضلِ المُذكِّرُ المُتكلِّمُ الأشعريُّ .

سمعَ : أبا حامدِ ابنَ بلالٍ ، وأبا بكرٍ القطانَ ، وأقرانَهُما ، ثمَّ صحبَني عندَ أبي النضرِ بطوسَ ، وعندَ المحبوبيِّ والسيَّاريِّ بمروَ ، وسمعَ معَنا الكثيرَ .

وكانَ يصومُ الدهرَ ، ويختمُ القرآنَ في كلِّ يومينِ .

تُوفِّيَ بنيسابورَ غداةَ الخميسِ الثامنَ عشرَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ اثنتينِ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ)[1]

* * *

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٨٤) ، وزاد : (دخلتُ عليه ـ الداخل أبو عبد الله الحاكم ـ يوم وفاته باكراً ، فبكى الكثيرَ ، وقال : أستودعك الله أيها الحاكم ؛ فإني راحل) .

ومنهُم :

أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمدٍ الفقيهُ البخاريُّ المعروفُ بـ (الأَوْدَنِيِّ) رحمَهُ اللهُ

قالَ الحافظُ أبو عبدِ اللهِ : (محمدُ بنُ عبدِ اللهِ ، أبو بكرٍ البخاريُّ ثمَّ الأَوْدَنيُّ الشافعيُّ[(١)] ، إمامُ الشافعيِّينَ بما وراءَ النهرِ في عصرِهِ بلا مدافعةٍ[(٢)]

قدمَ نيسابورَ سنةَ خمسٍ وستينَ ، وحجَّ ثمَّ انصرفَ ، فأقامَ عندَنا مدَّةً في سنةِ ستٍّ وستينَ ، وكانَ مِنْ أزهدِ الفقهاءِ وأورعِهِم ، وأكثرِهِمُ اجتهاداً في العبادةِ .

سمعَ ببخارىٰ : أبا الفضلِ يعقوبَ بنَ يوسفَ العاصميَّ ، [وأقرانَـهُ] .

تُوفِّيَ ببخارىٰ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ ، رضيَ اللهُ عنهُ[(٣)] .

* * *

---

(١) وضبطه الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (٢/ ١٩٢) بكسر الدال ، ونقل جواز ضم الهمزة .

(٢) ويعد من أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي . انظر « تهذيب الأسماء واللغات » (٢/ ١٩١) .

(٣) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٨٥ـ٣٨٦) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (٢/ ١٩١ـ١٩٢) .

ومنهُم :

أبو منصورٍ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ حَمْشاذَ النيسابوريُّ

قالَ أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ : (أبو منصورٍ ، الأديبُ الزاهدُ ، مِنَ العُبَّادِ العلماءِ المجتهدينَ .

درسَ **الأدبَ** : على أبي عمرٍو الزَّرْدِيِّ ، وأبي حامدٍ الخارْزَنْجِيِّ ، وأبي عمرَ الزاهدِ ، وأقرانِهم ، **والفقهَ** : على أبي الوليدِ بخراسانَ[1] ، وبالعراقِ على أبي عليٍّ بنِ أبي هريرةَ ، **والكلامَ** : على أبي سَهْلٍ الخلاطيِّ[2] ، **والمعانيَ** : على أبي بكرِ بنِ عبدسٍ ونظرائِهِ[3] .

وسمعَ : أبا حامدِ ابنَ بلالٍ ، ومحمدَ بنَ الحسينِ القطانَ ، وأقرانَهُما[4]

وكانَ مِنَ المجتهدينَ في العبادةِ ، الزاهدينَ في الدنيا ، تجنَّبَ مخالطةَ السلاطينِ وأوليائِهم ، وظهرَ لهُ مِنْ مُصنَّفاتِهِ أكثرُ مِنْ ثلاثِ مئةِ كتابٍ مُصنَّفٍ ، وقد ظهرَ لنا في غيرِ شيءٍ واحدٍ أنَّهُ كانَ مُجابَ الدعوةِ .

---

(١) هو حسان بن محمد القرشي كما سيأتي التصريح به في (١/ ٣٨٤، ٣٩٥) .

(٢) في « التبيين » : (الخليطي) ، وقال ابن الصلاح في « الطبقات » (١/ ١٩٠) : (لا أعرف أبا سهل هـٰذا ، إلا أن يكون أبا سهل محمد بن أحمد بن سهل الرَّشْتي المتكلم) .

(٣) في « التبيين » : (عبدوس) بدل (عبدس) ، وذكر محققه أنها في نسخه ما بين (عبدش ، وعبدوس ، وعبدس ، وعدس) .

(٤) وكان هـٰذا السماع بخراسان ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٨٧) .

تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ وقتَ الصبحِ يومَ الجمعةِ الرابعِ والعشرينَ مِنْ رجبٍ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ ، وسمعتُهُ يقولُ في مرضِهِ الذي ماتَ فيهِ : إنَّ مولدَهُ سنةَ ستَّ عشرةَ وثلاثِ مئةٍ)[١]

* * *

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٨٧ـ٣٨٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ١٧٩ـ١٨١) .

ومنهُم :

أبو الحسينِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إسماعيلَ بنِ عنبسِ بنِ إسماعيلَ يُعرَفُ بـ (ابنِ سَمْعونَ الواعظِ)

لهُ قدمٌ عالٍ في هـٰذهِ العلومِ[1] ، وهوَ لسانُ الوقتِ .

قالَ الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ محمدُ بنُ الحسينِ بنِ موسى السُّلَميُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (هوَ إمامُ المُتكلِّمينَ علىٰ هـٰذا اللسانِ في الوقتِ ، لقيتُهُ وشاهدتُهُ ، وهوَ المُعبِّرُ عنِ الأحوالِ بألطفِ بيانٍ ، معَ ما يُرجَعُ إليهِ مِنْ صحةِ الاعتقادِ وصحبةِ الفقراءِ)[2] .

حدَّثَ : عن أبي بكرٍ عبدِ اللهِ بنِ أبي داودَ السِّجِسْتانيِّ ، والمُخَرِّميِّ ، وطبقتِهِما .

وكانَ القاضي أبو بكرٍ الأشعريُّ وأبو حامدٍ يُقبِّلانِ يدَهُ إذا جاءَهُ ، وكان القاضي يقولُ : ربَّما خَفِيَ عليَّ مِنْ كلامِهِ بعضُ الشيءِ لدقَّتِهِ[3] .

ذكرَ أبو محمدٍ السنِّيُّ صاحبُ ابنِ سَمْعونَ قالَ : كانَ ابنُ سَمْعونَ ينسَخُ في أولِ عمرِهِ بأجرةٍ ، ويعودُ بأجرةِ نَسْخِهِ علىٰ أمِّهِ وعلىٰ نفسِهِ لبِرِّهِ بها .

---

(١) في « التبيين » (ص٣٨٩) : (له لسان) بدل (له قدم) ، وإذا قصد بالقدم الجارحة جاز فيها التأنيث والتذكير . انظر « تاج العروس » (٣٣/ ٢٣٦) ، مادة : (ق د م) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٨٩) ، وفي « تاريخه » (٥١/ ٩) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٩١) ، وفي « تاريخه » (٥١/ ١٢) ، وأبو بكر الأشعري : هو سيف السنة ولسان الأمة القاضي الباقلاني ، وأبو حامد : هو الإسفراييني إمام طريقة العراقيين في المذهب الشافعي .

فقالَ يوماً : أحبُّ أنْ أحجَّ ، فقالَتْ : كيفَ يمكنُكَ وما معَكَ نفقةٌ ، وإنَّما عيشُنا مِنْ أجرةِ النسخِ ؟! فغلبَ عليها النومُ ، فانتبهَتْ وقالَتْ : يا ولدي ؛ حُجَّ ، رأيتُ الساعةَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ يقولُ : « دعيهِ يحجُّ ؛ فإنَّ الخِيرةَ لهُ في الحجِّ في الآخرةِ والأُولىٰ » ، ففرحَ ودفعَ لها مِنْ دفاترَ باعَها نفقةً ، وخرجَ ، فأخذَتِ العربُ الحُجَّاجَ . . .

قالَ بعدَ قصَّةٍ طويلةٍ : وصلتُ إلىٰ مكَّةَ ، فأحرمتُ وسألتُ أحدَ بني شيبةَ أنْ يُدخِلَني البيتَ ، وذكرتُ لهُ فقري ، فأدخلَني البيتَ وأغلقَ عليَّ البابَ ، فقلتُ : اللهمَّ ؛ إنَّكَ بعلمِكَ غَنِيٌّ عن إعلامي بحالي ، اللهمَّ ؛ ارزقْني عِيشةً أستغني بها عن سؤالِ الناسِ ، فسمعتُ قائلاً يقولُ مِنْ ورائي : اللهمَّ ؛ إنَّهُ ما يُحسِنُ أنْ يدعوَكَ ، اللهمَّ ؛ ارزقْهُ عيشاً بلا معيشةٍ ، فالتفتُّ ، فلم أرَ أحداً ، فقلتُ : هـٰذا الخضرُ أو أحدُ الملائكةِ ، فأعدتُ القولَ ، فأعادَ ثلاثَ مراتٍ .

فلمَّا عُدتُ إلىٰ بغدادَ كانَ مِنْ حَرَمِ الخليفةِ جاريةٌ مِنْ جواريهِ[1] لم تَطِبْ نفسُهُ أنْ يُهمِلَها ، فقالَ : اطلبُوا رجلاً مستوراً يصلحُ أنْ يتزوَّجَ بهـٰذهِ الجاريةِ ، فدَلُّوهُ عليَّ .

فتزوجَ بالجاريةِ ، ونقلَ الخليفةُ معَها مِنَ المالِ والثيابِ والجواهرِ ما يُحمَلُ إلى الملوكِ ، فكانَ ابنُ سَمْعونَ يجلسُ علىٰ كرسيِّ الوعظِ ويقولُ : خرجتُ حاجّاً ، فكانَ مِنْ حالي كذا وكذا ـ ويذكرُ حالَهُ ـ وهـٰأنا اليومَ عليَّ مِنَ الثيابِ ما ترَوْنَ ، وطِيبي ما تعرفُونَ ، ولو وطئتُ على العِنَبَةِ[2] تألَّمتُ مِنَ

---

(١) العبارة في « التبيين » : (وعدت إلىٰ بغداد ، وكان الخليفة قد حَرَّمَ جاريةً من جواريه)

(٢) في (ب) : (العتبة)

الدلالِ ، تألَّمتُ ونفسي تلكَ النفسُ ![1] .

ومِنْ كراماتِهِ معَ ما ذكرْناهُ : أنَّهُ لمَّا خرجَ مِنْ مدينةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . حملَ معَهُ تمراً صَيْحانيّاً ، فلمَّا دخلَ البيتَ المُقدَّسَ[2] تركَ التمرَ معَ غيرِهِ مِنَ الطعامِ في الموضعِ الذي كانَ يأوي إليهِ ، ثمَّ طالبَتْهُ نفسُهُ بأكلِ الرُّطَبِ ، فأقبلَ عليها باللائمةِ ، وقالَ : مِنْ أينَ لنا في هٰذا الموضعِ الرُّطَبُ ؟! فلمَّا كانَ وقتُ الإفطارِ عَمَدَ إلى التمرِ ليأكلَهُ ، فوجدَهُ رطباً صَيْحانيّاً ، فلم يأكلْ منهُ شيئاً ، ثمَّ عادَ إليهِ مِنَ الغدِ عشيَّةً ، فوجدَه تمراً على حالِهِ[3] .

وذكرَ أبو الفتحِ القوَّاسُ قالَ[4] : لحقَتْني ضائقةٌ ، فنظرتُ فلم أجدْ في البيتِ غيرَ قوسٍ لي وخُفَّينِ كنتُ ألبسُهُما ، فأصبحتُ وقد عزمتُ على بيعِهِما ، وكانَ يومَ مجلسِ أبي الحسينِ ابنِ سَمْعونَ ، فقلتُ في نفسي : أحضرُ المجلسَ ، ثمَّ أنصرفُ فأبيعُ الخُفَّينِ والقوسَ .

قالَ : وكنتُ قلَّما أتخلَّفُ عن حضورِ مجلسِ ابنِ سمعونَ ، فحضرتُ المجلسَ ، فلمَّا أردتُ الانصرافَ نادى أبو الحسينِ : يا أبا الفتحِ ؛ لا تبعِ الخفَّينِ ولا القوسَ ؛ فإنَّ اللهَ سيأتيكَ برزقٍ مِنْ عندِهِ[5]

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٩١ـ٣٩٣) ، وفي « تاريخه » (٥١/ ١٠ـ١١) .

(٢) هو بيت المَقْدِس .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١/ ٢٩١) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٩٣) ، وفي « تاريخه » (٥١/ ١٣ـ١٤) .

(٤) هو الإمام القدوة المحدث الثقة يوسف بن عمر بن مسرور البغدادي القواس (ت٣٨٥هـ) ، كان من الأبدال ، وكان مجاب الدعوة ، وقال الدارقطني : (كنا نتبرك بأبي الفتح وهو صبي) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٤٧٥) .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١/ ٢٩١) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٩٣ـ٣٩٤) ، وفي « تاريخه » (٥١/ ١٤) .

وغَشِيَ أبا الفتحِ هـٰذا النعاسُ مرَّةً ، وكانَ جالساً إلىٰ جنبِ الكرسيِّ ، فأمسكَ أبو الحسينِ عنِ الكلامِ ساعةً حتى استيقظَ ، فقالَ لهُ أبو الحسينِ : رأيتَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في نومِكَ ؟ قالَ : نعم ، قالَ : لذلكَ أمسكتُ عنِ الكلامِ ؛ خوفاً أنْ تنزعجَ وينقطعَ ما كنتَ فيهِ[1]

وكلامُ ابنِ سَمْعونَ هـٰذا أكثرُ وأشهرُ مِنْ أنْ نُـكثِرَ منهُ .

وُلِدَ سنةَ ثلاثِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ سنةَ سبعٍ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ ، يومَ الخميسِ الرابعَ عشرَ مِنْ ذي القَعْدةِ ، ودُفِنَ في دارِهِ بشارعِ العتَّابيِّينَ[2]

* * *

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١/ ٢٩١) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٩٤) ، وفي « تاريخه » (٥١/ ١٤) .

(٢) ونقل الحافظ البغدادي في « تاريخه » (١/ ٢٩٣) عن بعضهم : أنه لم يزل مدفوناً بالشارع المذكور حتىٰ نُقِلَ في يوم الخميس الحادي عشر من رجب سنة ستٍّ وعشرين وأربع مئة ، فدفن بباب حرب وأكفانُه لم تكن بَلِيَتْ بعدُ ، رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه ، وأمدَّنا من إمداداته ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٩٦) .

ومنهُم :

أبو عبدِ الرحمـٰنِ محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ أبي عبدِ الرحمـٰنِ القطَّانُ الشُّرُوطيُّ[1]

قالَ ابنُ عساكرَ رحمَهُ اللهُ : (كانَ مُتكلِّماً علىٰ مذهبِ السنَّةِ ، عالماً بالشُّروطِ والطبِّ ، وكتبَ الحديثَ : عن أبي يعقوبَ النَّحْويِّ ومَنْ في طبقتِهِ . تُوفِّيَ سنةَ تسعٍ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ)[2] ، رحمَهُ اللهُ .

*

(١) وفي « الأنساب » (٨/ ٨٦) : أنَّ الشُّروطي : نسبة لمن يكتب الصكاك والسجلات ؛ لأنها مشتملة على الشروط .

(٢) تبيين كذب المفتري (ص٣٩٧) .

ومنهُم :

أبو عليٍّ زاهرُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عيسى السَّرَخْسِيُّ المقرئُ الفقيهُ المُحدِّثُ

قالَ الحاكمُ : (الحافظُ زاهرٌ السَّرَخْسِيُّ ، شيخُ عصرِهِ بخراسانَ .

سمعَ بخراسانَ : أبا لَبيدٍ محمدَ بنَ إدريسَ وأقرانَهُ ، **وبالعراقِ** : أبا القاسمِ البغويَّ ، وعليَّ ابنَ مُبشِّرٍ ، وأبا يعلى الأُبُلِّيَّ ، وأقرانَهُم .

رحلتُهُ في سنةِ خمسَ عشرةَ وثلاثِ مئةٍ ، ولنيسابورَ سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ ، أقامَ عندَنا سنةً .

سمعتُ مناظرتَهُ في مجلسِ الإمامِ أبي بكرٍ أحمدَ بنِ إسحاقَ وغيرِهِ .

وكانَ قرأَ[1] : على أبي بكرِ ابنِ مجاهدٍ ، وتفقَّهَ : على أبي إسحاقَ المَرْوَزِيِّ ، ودرسَ **الأدبَ** : على أبي بكرِ بنِ الأنباريِّ ، ومحمدِ بنِ يحيى الصُّوليِّ .

تُوفِّيَ يومَ الأربعاءِ سَلْخَ ربيعٍ الآخرِ سنةَ تسعٍ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ)[2] ، رحمَهُ اللهُ .

* * *

---

(١) أي : القرآن ، كما في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٩٨)

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٩٨) .

ذكر الطبقة الثانية الذين صحبوا أصحاب أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه

فمنهُم :

أبو سعدٍ إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ بنِ العباسِ الإسماعيليُّ الجُرْجانيُّ

قالَ الحافظُ أبو القاسمِ بنُ أبي الفضلِ الجُرْجانيُّ : [أخبرَنا أبو القاسمِ حمزةُ بنُ يوسفَ الجرجانيُّ] في « تاريخِ جُرْجانَ » في ترجمتِهِ : كانَ إمامَ زمانِهِ ، مُقدَّماً في الفقهِ وأصولِ الفقهِ والعربيّةِ والكتابةِ والشُّروطِ والكلامِ ، صنَّفَ في أصولِ الفقهِ كتاباً كبيراً سمَّاهُ : « تهذيبَ النظرِ » ، ولهُ كتابُ « الأشربةِ » ، ردٌّ على الجصَّاصِ .

درَّسَ الفقهَ سنينَ كثيرةً ، واشتملَ على أوصافٍ وأخلاقٍ كلُّها مِنَ الخصالِ المحمودةِ التي لا تُحصىٰ .

حججتُ معَهُ سنةَ أربعٍ وثمانينَ ، فرجعَ مِنْ نصفِ الباديةِ ، وحجَّ في سنةِ خمسٍ وثمانينَ ، وكنتُ معَهُ إلىٰ أنْ رجعَ إلىٰ وطنِهِ ، وكانَ مُعظَّماً في جميعِ البلدانِ .

ولهُ النظمُ الحسنُ ؛ فمنهُ : [من الكامل]

إِنِّـي ٱدَّخَـرْتُ لِيَـوْمِ وِرْدِ مَنِيَّتِـي ... عِنْـدَ ٱلإِلَـٰهِ مِـنَ ٱلأُمُـورِ خَطِيـرَا
وَهُـوَ ٱلْيَقِيـنُ بِـأَنَّـهُ ٱلأَحَـدُ ٱلَّـذِي ... مَـا زِلْـتُ مِنْـهُ بِفَضْلِـهِ مَغْمُـورَا
وَشَهَـادَتِـي أَنَّ ٱلنَّبِـيَّ مُحَمَّـداً ... كَـانَ ٱلـرَّسُـولَ مُبَشِّـراً وَنَـذِيـرَا

وَبَـرَاءَتِـي مِـنْ كُـلِّ شِـرْكٍ قَـالَـهُ ... مَـنْ لاَ يُقِـرُّ بِفِعْلِـهِ مَبْـرُورَا[1]
وَمَحَبَّتِــي آلَ ٱلنَّبِــيِّ وَصَحْبَــهُ ... كُـلاً أَرَاهُ بِـٱلْجَمِيـلِ جَـدِيـرَا
وَتَمَسُّكِـي بِـٱلشَّـافِعِـيِّ وَعِلْمِـهِ ... ذَاكَ ٱلَّـذِي فَتَـقَ ٱلْعُلُـومَ بُحُـورَا
وَجَمِيلُ ظَنِّي بِٱلإِلَـٰهِ لِمَا جَنَتْ ... نَفْسِي وَإِنْ جَرَمَتْ عَلَيَّ شُرُورَا
إِنَّ ٱلظَّلُـومَ لِنَفْسِـهِ إِنْ يَـأْتِـهِ ... مُسْتَغْفِـراً يَجِـدِ ٱلإِلَـٰهَ غَفُـورَا
فَـأَشْهَـدُ إِلَـٰهِـي أَنَّنِـي مُسْتَغْفِـرٌ ... لاَ أَسْتَطِيـعُ لِمَـا مَنَنْـتَ شُكُـورَا
هَـٰذَا ٱلَّـذِي أَعْـدَدْتُـهُ لِشَـدَائِـدِي ... وَكَفَـىٰ بِـرَبِّـي هَـادِياً وَنَصِيـرَا[2]

وفيهِ وفي أخيهِ أبي نصرٍ وأبيهِما أبي بكرٍ يقولُ الصاحبُ بنُ عبَّادٍ في « رسالتِهِ » : (وأمَّا الفقيهُ أبو نصرٍ : فإذا جاءَ « حدَّثَنا » و« أخبرَنا » . . فصادعٌ وصادقٌ ، وناقدٌ وناطقٌ .

وأمَّا أنتَ أيُّها الفقيهُ أبو سعدٍ : فمَنْ يراكَ كيفَ تُدرِّسُ ، وتُفتي وتُحاضِرُ ، وتَروي وتكتبُ وتُملي . . علمَ أنَّكَ الحَبْرُ بنُ الحَبْرِ ، والبحرُ بنُ البحرِ ، والضياءُ بنُ الفجرِ ، وأبو سعدِ بنُ أبي بكرٍ .

فرحمَ اللهُ شيخَكُمُ الأكبرَ ؛ فإنَّ الثناءَ عليهِ حتمٌ وغُنْمٌ ، والنساءَ بمثلِهِ عُقْمٌ ، فليفخرْ بهِ أهلُ جُرْجانَ ، ما سالَ واديها ، وأذَّنَ مُناديها)[3]

ومِنْ كراماتِهِ : أنَّهُ تُوفِّيَ وهوَ في صلاةِ المغربِ يقرأُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] ، وهوَ فقيرٌ مِنَ المالِ والضِّياعِ والمتجرِ ؛

---

(١) في « تاريخ جرجان » : (مقدوراً) .
(٢) تاريخ جرجان (ص١٤٧ـ ١٤٨) ، وأخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٠٣ ، ٤٠٥) ، وذكر كلام الجرجاني بطوله ، وأورده المؤلف هنا مختصراً جداً ، وهو منهج اتبعه في غالب التراجم كما نبه عليه في (١/ ٣٥٠) .
(٣) أورد هـٰذه القطعةَ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٠٦ـ٤٠٧) نقلاً عن أبي إسحاق الشيرازي ، وانظر « طبقات الفقهاء » (ص١٢١) .

ذهبَ جميعُ ذلكَ ما بينَ شرقٍ وغربِ[1]

تُوفِّيَ سنةَ ستٍّ وتسعينَ وثلاثِ مئةٍ في شهرِ ربيعِ الآخرِ ، وصلَّىٰ عليهِ أخوهُ أبو نصرٍ في صحراءِ بابِ الخندقِ في جمعٍ عظيمٍ لم أرَ مثلَهُ بجُرْجانَ في تشييعِ جنازةٍ قطُّ[2] ، ودُفِنَ عندَ رأسِ والدِهِ أبي بكرٍ وهوَ ابنُ ثلاثٍ وستينَ سنةً[3] .

* * *

---

(١) انظر « تاريخ جرجان » (ص١٤٨) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٤٠٤) .

(٢) القائل : هو أبو القاسم الجرجاني ، كما في « تاريخ جرجان » ، ولعل المؤلف عندما اختصر كلام الحافظ ابن عساكر أقحم القطعة السابقة عن الصاحب بن عباد ظنّاً منه أن الجميع منقول عن « تاريخ الجرجان » ، والله تعالىٰ أعلم .

(٣) انظر « تاريخ جرجان » (ص١٤٧ـ١٤٨) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٤٠٤) .

ومنهُم :

أبو الطيِّبِ سهلُ بنُ محمدِ بنِ سليمانَ بنِ محمدِ بنِ سليمانَ ابنِ موسى بنِ عيسى بنِ إبراهيمَ العِجْليُّ

الفقيهُ الأديبُ الحنفيُّ الصُّعْلُوكيُّ[١] ، مفتي نيسابورَ وابنُ مُفتيها .

قالَ الحافظُ أبو عبدِ اللهِ : (هوَ أكتبُ [مَنْ رأَيْنا] مِنْ علمائِنا وأنظرُهُم)[٢] .

قالَ : (وسمعتُ أبا الأَصْبَغِ عبدَ العزيزِ بنَ عبدِ الملكِ وانصرفَ إلينا مِنْ نيسابورَ ونحنُ ببخارىٰ ، فسألْناهُ : ما الذي استفدتَ هٰذهِ الكرَّةَ بنيسابورَ ؟ فقالَ : رؤيةُ سهلِ بنِ أبي سهلٍ ؛ فإنِّي منذُ فارقتُ وطني بأقصى المغربِ وجئتُ إلىٰ أقصى المشرقِ . . ما رأيتُ مثلَهُ)[٣]

قالَ : (بلغَني أنَّهُ اجتمعَ في مجلسِهِ عشيةَ الجمعةِ الثالثِ والعشرينَ مِنَ المُحرَّمِ سنةَ سبعٍ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ . . خمسُ مئةِ مِحْبرةٍ)[٤]

قالَ الحاكمُ : (سمعتُ أبا الوليدِ حسَّانَ بنَ محمدٍ الفقيهَ يقولُ : كُنَّا في مجلسِ القاضي أبي العباسِ ابنِ سُرَيجٍ ، فقامَ شيخٌ فقالَ : أَبْشِرْ أيُّها القاضي ؛ فإنَّ اللهَ يبعثُ علىٰ رأسِ كلِّ مئةِ سنةٍ مَنْ يُجدِّدُ لها ـ يعني : الأمةَ ـ أمرَ دينِها ؛ فإنَّهُ تعالىٰ بعثَ علىٰ رأسِ المئةِ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ ، تُوفِّيَ سنةَ إحدىٰ

(١) قوله : (الحنفي) أي : منسوب لبني حنيفة ، لا كونه حنفيَّ المذهب ، بل هو من كبار أئمة الشافعية . انظر « طبقات الفقهاء » (ص١٢٠) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٠٨) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٠٩) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٠٩) .

ومئةٍ[1] ، وبعثَ على رأسِ المئتينِ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ إدريسَ الشافعيَّ ، وتُوفِّيَ سنةَ أربعٍ ومئتينِ ، وبعثَكَ على رأسِ الثلاثِ مئةٍ ، ثمَّ أنشأَ يقولُ : [من الكامل]

اِثْنَانِ قَدْ مَضَيَا وَبُورِكَ فِيهِمَا ... عُمَرُ ٱلْخَلِيفَةُ ثُمَّ حِلْفُ ٱلسُّؤْدَدِ
اَلشَّافِعِيُّ ٱلأَلْمَعِيُّ مُحَمَّدٌ ... إِرْثُ ٱلنُّبُوَّةِ وَٱبْنُ عَمِّ مُحَمَّدِ
أَبْشِرْ أَبَا ٱلْعَبَّاسِ إِنَّكَ ثَالِثٌ ... مِنْ بَعْدِهِمْ سَقْياً لِتُرْبَةِ أَحْمَدِ

قالَ : فصاحَ الشيخُ أبو العباسِ وبكى ، وقالَ : قد نعى إليَّ نفسي .

قالَ الشيخُ أبو الوليدِ : فماتَ القاضي في تلكَ السنةِ) .

قالَ أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ : فلمَّا رُوِيَتْ لنا[2] كتبُوها ، فكانَ ممَّنْ كتبَها شيخٌ أديبٌ فقيهٌ ، فلمَّا حضرَ في المجلسِ الثاني قالَ لي بعضُ الحاضرينَ : إنَّ هـٰذا الشيخَ قد زادَ في هـٰذهِ الأبياتِ ذكرَ الشيخِ أبي الطيِّبِ سهلٍ الصُّعْلُوكيِّ ، فجعلَهُ على رأسِ الأربعِ مئةٍ ، قالَ :

وَٱلرَّابِعُ ٱلْمَشْهُورُ سَهْلُ مُحَمَّدٍ ... أَضْحَىٰ إِمَاماً عِنْدَ كُلِّ مُوَحِّدِ
يَأْوِي [إِلَيْهِ ٱلْمُسْلِمُونَ بِأَسْرِهِمْ ... فِي ٱلْعِلْمِ إِنْ جَاؤُوا بِخَطْبٍ مُؤْيِدِ[3]
لا زَالَ فِيمَا بَيْنَنَا شَيْخَ ٱلْوَرَىٰ ... لِلْمَذْهَبِ ٱلْمُخْتَارِ خَيْرَ مُجَدِّدِ

قالَ الحاكمُ : (فسكتُّ ولم أنطقْ ، وغمَّني ذلكَ ، إلى أنْ قدَّرَ اللهُ وفاتَهُ رحمَهُ اللهُ في تلكَ السنةِ)[4] .

---

(١) زاد في (أ ، ب) : (سنة) ، والمثبت من « تبيين كذب المفتري » .
(٢) العبارة في « التبيين » : (فلمَّا رويتُ أنا هـٰذهِ الحكاية) .
(٣) المُؤْيِد : الأمر العظيم ، أو الداهية .
(٤) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤١٠ـ٤١١) ، وتوفي أبو الطيب بنيسابور في شهر رجب سنة أربع وأربع مئة ، هـٰذا ؛ وذهب بعضهم ـ ومنهم ابن عساكر ـ : إلى أن المبعوث على رأس المئة الثالثة هو أبو الحسن الأشعري ، ورجَّح ابن السبكي أن يكون ابنَ سُريج ، وقال : (وعندي : أنه لا يبعد أن يكون كلٌّ منهما مبعوثاً ؛ هـٰذا في فروع الدين ، وهـٰذا في=

= أصوله ، وكلاهما شافعي المذهب ، **والأرجح** : إن كان الأمر منحصراً في واحد أن يكون هو ابنَ سريج) ، **وذهب بعضهم** : إلىٰ أن المبعوث علىٰ رأس المئة الرابعة هو أبو حامد الإسفرايني وليس أبا الطيب الصعلوكي ، ورجَّح ابن عساكر أنه أبو بكر الباقلاني . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١/ ٢٠٠ـ٢٠٣) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص١٥٩) .

وسقط بعد ترجمة أبي الطيب الصعلوكي بعض الورقات من الأصل ، وقد ضَمَّت أربع تراجم ، **وإليك هـٰذه التراجمَ مختصرةً من « تبيين كذب المفتري »** :

ومنهم : أبو الحسن علي بن داود المقرئ الداراني الدمشقي رحمه الله تعالىٰ :

قرأ : على ابن الأخرم ، وانتهت الرئاسة إليه في قراءة الشاميين ، **وحدَّث** : عن الحسن بن حبيب ، وخيثمة بن سليمان ، وغيرهما ، وكان ثقة مأموناً ، مضىٰ علىٰ سداد وأمر جميل ، **وكان يذهب إلىٰ مذهب أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالىٰ** .

وكان إماماً في داريَّا ، فلما مات إمام جامع دمشق خرج إليه أهلها ليأتوا به للصلاة بالناس في جامع دمشق ، وكان منهم القاضي الشريف أبو عبد الله بن النصيبي الحسيني وجِلَّةُ شيوخ البلد ، فأتوا به إلىٰ دمشق بعد تمنُّع شديد من أهل داريا أوَّلاً ، ودخل دمشق وسكن في أحد بيوت المنارة الشرقية ، وكان يصلي بالناس ، ويقرئهم في شرقي الرواق الأوسط من الجامع ، ولا يأخذ علىٰ صلاته أجراً ، ولا يقبل ممن يقرأ عليه بُرّاً ، ويقتات من غَلَّة أرض له بداريَّا .

وحكىٰ أبو الحسن علي بن المسلم عن بعض شيوخه : أن أبا الحسن بن داود لمَّا كان يصلي في جامع دمشق تكلَّم فيه بعضُ الحشوية ، فكتب إلى القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني إلىٰ بغداد يعرفه ذلك ، ويسأله أن يرسل إلىٰ دمشق من أصحابه من يُوضِّح لهم الحق بالحجة ، فبعث القاضي تلميذه أبا عبد الله الحسين بن حاتم الأذري ، فعقد مجلس التذكير في جامع دمشق في حلقة أبي الحسن بن داود ، وذكر التوحيد ، ونزَّه المعبود ونفىٰ عنه التشبيه والتحديد ، فخرج أهل دمشق من مجلسه وهم يقولون : أحدٌ أحدٌ .

توفي أبو الحسن الداراني يوم الأربعاء ، لستٍّ خلون من جمادى الأولىٰ ، سنة اثنتين وأربع مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤١٣ـ٤١٦) .

ـ **والقاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني رحمه الله تعالىٰ** :

من أهل البصرة ، سكن بغداد ، **وسمع بها الحديث** : من أبي بكر بن مالك ، وأبي محمد ابن ماسي ، وأبي أحمد الحسين بن علي النيسابوري ، **وخرَّج له** : محمد بن أبي الفوارس الحنبلي ، **وحدَّث عنه** : القاضي أبو جعفر السِّمناني ، وكان ثقةً .

= وكان أعرفَ الناس بعلم الكلام ، وأحسنَهم خاطراً ، وأجودهم لساناً ، وأوضحهم بياناً ، وأصحَّهم عبارةً ، وله التصانيف الكثيرة في الرد على المخالفين ؛ من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم ، وذكر له الحافظ ابن عساكر بعض المناظرات مع المعتزلة والنصارىٰ .

وقال أبو القاسم بن بَرْهان النحوي : (من سمع مناظرة القاضي أبي بكر لم يستلذَّ بعدها بسماع كلام أحد من المتكلمين والفقهاء والخطباء والمُترسِّلين ولا الأغاني أيضاً ؛ من طيب كلامه وفصاحته ، وحسن نظامه وإشارته) .

وقال القاضي أبو بكر الخوارزمي : (كلُّ مُصنِّف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس إلىٰ تصانيفه ، سوى القاضي أبي بكر ؛ فإن صدره يحوي علمه وعلم الناس) .

وقال أبو الفرج محمد بن عمران الخلال : (كان وِرْد القاضي أبي بكر محمد بن الطيب في كل ليلة عشرين ترويحة ، ما تركها في حضر ولا سفر ، وكان كلَّ ليلة إذا صلَّى العشاء وقضىٰ ورده . . وضع الدَّواة بين يديه ، وكتب خمساً وثلاثين ورقة من حفظه ، وإذا صلى الفجر دفع إلىٰ بعض أصحابه ما صنَّفه في ليلته ، وأمره بقراءته عليه ، وأملىٰ عليه الزيادات فيه) .

توفي يوم السبت الثالث والعشرين من ذي القعدة ، سنة ثلاث وأربع مئة ، وحضر أبو الفضل التميمي الحنبلي يوم وفاته العزاءَ حافياً مع إخوته وأصحابه ، وأمر أن يُنادىٰ بين يدي جنازته : (هـٰذا ناصر السنة والدين ، هـٰذا إمام المسلمين ، هـٰذا الذي كان يذبُّ عن الشريعة ألسنة المخالفين ، هـٰذا الذي صنَّف سبعين ألف ورقة ردّاً على الملحدين) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤١٧ـ ٤٢٨) .

ـ وأبو علي الحسن بن علي الدقَّاق النيسابوري شيخ أبي القاسم القشيري رحمهما الله تعالىٰ :

قال فيه عبد الغافر الفارسي : (لسان وقته ، وإمام عصره ، نيسابوري الأصل ، تعلَّم العربية ، وحصَّل علم الأصول ، وخرج إلىٰ مرو ، وتفقه بها ودرس على الخِضْري ، وأعاد على الشيخ أبي بكر القفَّال المروزي في درس الخضري ، وبرع فيه .

ولمَّا استمع ما كان يحتاج إليه من العلوم . . أخذ في العمل ، وسلك طريق التصوف ، وصحب الأستاذ أبا القاسم النصراباذي) .

وقال أبو القاسم القشيري : (كان الأستاذ أبو علي رحمه الله لا يستند إلىٰ شيء ، وكان يوماً في مَجْمَع ، فأردتُ أن أضع وسادة خلف ظهره ؛ لأني رأيته غير مستند ، فتنحَّىٰ عن الوسادة

* * *

= قليلاً ، فتوهَّمت أنه توقَّى الوسادة ؛ لأنه لم يكن عليه خرقةٌ أو سَجَّادة ، فقال : لا أريد الاستناد ، فتأمَّلت بعده حاله ، فكان لا يستند إلىٰ شيء) .

توفي في ذي الحجة سنة خمس وأربع مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٢٩ـ٤٣٠) ، وأورد الإمام القشيري في « الرسالة » أخباراً كثيرة عنه .

ـ **وأبو نصر محمد بن أحمد الإسماعيلي الجرجاني رحمه الله تعالىٰ :**

قال أبو القاسم الجرجاني في « تاريخه » : (ترأَّس في حياة والده أبي بكر الإسماعيلي وبعد وفاته إلىٰ أن توفي ، وكان له جاه عظيم ، وقبول عند الخاصِّ والعام في كثير من البلدان ، وتُحَلُّ بكتابه العُقَد .

وكان كتب الحديث الكثير : عن أبي يعقوب البحري ، وأبي العباس الأصم ، وأوَّل ما جلس للإملاء في حياة والده سنة ست وستين في مسجد الصفَّارين إلىٰ أن توفي والده ، ثم انتقل إلى المسجد الذي كان والده يملي فيه ، ويملي كل يوم سبت إلىٰ أن توفي .

وكانت وفاته في يوم الأحد ، ودفن في يوم الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر ، سنة خمس وأربع مئة ، وصلَّىٰ عليه أبو معمر الإسماعيلي) انتهىٰ بتصرف ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٣٨) .

ومنهُمْ :

الأستاذ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ فُورَكَ الأصبهانيُّ رحمَهُ اللهُ

قالَ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحافظُ : (محمدُ بنُ الحسنِ بنِ فُورَكَ : الأديبُ المُتكلِّمُ الأصوليُّ الواعظُ النحويُّ ، أبو بكرٍ الأصبهانيُّ .

أقامَ أوَّلاً بالعراقِ إلىٰ أنْ درسَ بها علىٰ مذهبِ الأشعريِّ ، ثمَّ لمَّا وردَ الرَّيَّ سَعَتْ بهِ المبتدعةُ ، فعقدَ][1] أبو محمدٍ الثقفيُّ مجلساً في مسجدِ رجاءٍ ، وجمعَ أهلَ السنَّةِ ، وتقدَّمْنا إلى الأميرِ ناصرِ الدولةِ أبي الحسنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ ، والتمسْنا منهُ المراسلةَ في توجُّهِهِ إلىٰ نيسابورَ[2] ، ففعلَ ، ووردَ نيسابورَ ، فبنىٰ لهُ الدارَ والمدرسةَ مِنْ خانكاه أبي الحسنِ البُوشَنْجِيِّ ، وأحيا اللهُ بهِ في بلدِنا أنواعاً مِنَ العلومِ لمَّا استوطنَها ، وظهرَتْ بركتُهُ علىٰ جماعةٍ مِنَ المُتفقِّهةِ وتخرَّجُوا بهِ .

سمعَ : عبدَ اللهَ بنَ جعفرٍ الأصفهانيَّ ، وكثُرَ سماعُهُ بالبصرةِ وبغدادَ .

وحُكِيَ : أنَّ أبا عليٍّ الدقَّاقَ عقدَ المجلسَ ، ودعا للحاضرينَ وللغائبينَ مِنْ أعيانِ البلدِ وأئمَّتِهم ، فقيلَ لهُ : نسيتَ ابنَ فُورَكَ !! فقالَ : كيفَ أدعو لهُ وكنتُ أُقسِمُ على اللهِ البارحةَ بإيمانِهِ أنْ يَشفيَ عِلَّتي ، وكانَ بهِ وجعُ البطنِ تلكَ الليلةَ ؟!)[3] .

---

(1) ما بين معقوفين تم استكماله مختصراً من « تبيين كذب المفتري » (ص ٤١١ ، ٤٣٩) .

(2) في « التبيين » : (توجيهه) بدل (توجهه) .

(3) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٤٠) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٢٨) .

قالَ الإمامُ عبدُ الغافرِ الفارسيُّ : (بلغَتْ تصانيفُهُ في أصولِ الفقهِ والدينِ ومعاني القرآنِ قريباً مِنَ المئةِ ، وكانَ قد دُعِيَ إلىٰ غَزْنَةَ ، وجرتْ لهُ بها مناظراتٌ ، وكانَ شديدَ الردِّ علىٰ أصحابِ البدعِ مِنْ أصحابِ بعضِ الأئمَّةِ المختلفينَ عليهِ ، ولمَّا عادَ مِنْ غَزْنَةَ سُمَّ في الطريقِ ، ومضىٰ إلىٰ رحمةِ اللهِ تعالىٰ)[1]

عدَّه الإمامُ أبو القاسمِ القُشيريُّ معَ جملةِ أكابرِ المشايخِ الصُّلَحاءِ الأولياءِ في « رسالتِهِ »[2] ، وحكىٰ عنهُ أنَّه قالَ : حُمِلتُ مُقيَّداً إلىٰ شيرازَ لفتنةٍ في الدينِ ، فوافَيْنا بابَ البلدِ مُصبِحاً ، وكنتُ مهمومَ القلبِ ، فلمَّا استقرَّ النهارُ وقعَ بصري علىٰ محرابٍ في مسجدٍ علىٰ بابِ البلدِ مكتوبٍ عليهِ : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر : ٣٦] ، فحصلَ ليَ التعريفُ مِنْ باطني أنَّني أُكفىٰ عن قريبٍ ، فكانَ كذلكَ ، وصرفُوني بالعزِّ ، والحمدُ للهِ[3] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٤٠ـ٤٤١) ، وانظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص١٧) ، وعقد ابن السبكي في « طبقاته » (٤/ ١٣٠ـ١٣٣) فصلاً شرح فيه حال الفتنة التي تعرَّضت له ، وردَّ فيه أكذوبة سمجة نقلها الذهبي عن ابن حزم الظاهري ، ثم قال : (وأما قول شيخنا الذهبي : « إنه مع دينه صاحب فلتة وبدعة » : فكلام متهافت ؛ فإنه يشهد بالصلاح والدين لمن يقضي عليه بالبدعة ، ثم ليت شعري !! ما الذي يعني بالفلتة ؛ إن كانت قيامه في الحق كما نعتقد نحن فيه.. فتلك من الدين ، وإن كانت في الباطل فهي تنافي الدين ، وأما حكمه بأنَّ ابن فورك خير من ابن حزم : فهـٰذا التفضيل أمره إلى الله تعالىٰ ، ونقول لشيخنا : إن كنت تعتقد فيه ما حكيت من انقطاع الرسالة ـ وهي المسألة المكذوبة عليه التي وُشِي بها إلى السلطان ـ فلا خير فيه ألبتة ، وإلا فلِمَ لا نبَّهت علىٰ أن ذلك مكذوب عليه ؛ لئلا يُغترَّ به ؟!) .

(٢) إذ نقل بعض كلامه ، وروىٰ عنه كثيراً في مواضع متفرقة ، والحكاية الآتية من جملة ما روىٰ عنه مما لم يُذكَر في « الرسالة » .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٤١) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٣٠) .

تُوفِّيَ سنةَ ستٍّ وأربعِ مئةٍ في الطريقِ فيما بينَ غَزْنةَ ونيسابورَ ، وحُمِلَ إلىٰ نيسابورَ ، ومشهدُهُ اليومَ ظاهرٌ يُستسقىٰ بهِ ، ويُجابُ الدعاءُ عندَهُ ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

* *

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ [محمدِ بنِ] أحمدَ بنِ مِيْلَهْ ومحمدٌ يُعرَفُ بـ (ماشاذه)

قالَ الحافظُ أبو نُعيمٍ : (كانَ مِنْ شيوخِ الفقهاءِ ، أحدَ أعلامِ الصوفيَّةِ ، وكانَ صحبَ : أبا بكرٍ عبدَ اللهِ بنَ إبراهيمَ بنِ واضحٍ ، وأبا جعفرٍ محمدَ بنَ الحسنِ بنِ منصورٍ ، وغيرَهُما ، وزادَ عليهِما في طريقتِهِما خُلُقاً وفُتُوَّةً ، لا تأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائمٍ ، جمعَ بينَ علمِ الظاهرِ وعلمِ الباطنِ .

كانَ يُنكِرُ علىٰ مُشبِّهةِ الصوفيَّةِ وغيرِهِم مِنَ الجُهَّالِ فسادَ مقالتِهِم في الحلولِ والإباحةِ والتشبيهِ ، وغيرَ ذلكَ مِنْ جميعِ أخلاقِهِم ، وقبيحِ أفعالِهِم وأقوالِهِم .

تُوفِّيَ يومَ الفطرِ ضحوةَ الأربعاءِ سنةَ أربعَ عشرةَ وأربعِ مئةٍ)[١]

* * *

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص ٤٥٢) ، وانظر « تاريخ أصبهان » (١/٤٤٩) ، وفيه : (على المتشبهة بالصوفية) بدل (علىٰ مشبهة الصوفية) ، ومثله في « تاريخ الإسلام » (٢٨/٣٥٣) ، وهو أولىٰ من المثبت ها هنا نقلاً عن « تبيين كذب المفتري » ، ويستأنس له بقوله : (وغير ذلك من جميع أخلاقهم ، وقبيح أفعالهم وأقوالهم) ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهُمْ :

السيدُ الشريفُ أبو طالبِ ابنُ المهتدي الهاشميُّ الدمشقيُّ[(١)]

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (روىٰ عن أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ إبراهيمَ ابنِ مروانَ ، وكانَ فقيهاً حافظاً للفقهِ ، يذهبُ إلىٰ مذهبِ الأشعريِّ رحمَهُ اللهِ .

تُوفِّيَ يومَ الاثنينِ عاشرَ رمضانَ سنةَ خمسَ عشرةَ وأربعِ مئةٍ)[(٢)] .

* * *

(١) واسمه مع نسبه كما ورد في « التبيين » (ص٤٥٤) : (أبو طالب عبد الوهاب بن عبد الملك بن المهتدي بالله) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ٣٧٨) .

(٢) تبيين كذب المفتري (ص٤٥٤) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٣٣٥ـ٣٣٦) .

ومنهُمْ :

الأستاذُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ حمدُويَه بنِ نُعيمِ بنِ الحكمِ الحافظُ[1]

قالَ الحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ : (قرأتُ بخطِّ الشيخِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ سليمانَ التميميِّ ما ذكرَ أنَّهُ وقعَ إليهِ عن أبي حازمٍ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الحافظِ العَبْدَويِّ قالَ : الإمامُ أبو عبدِ اللهِ . . .) .

وذكرَ مِنْ نسبِهِ ما ذكرْناهُ ، ثمَّ قالَ : (إمامُ أهلِ الحديثِ في عصرِهِ ، **سمعَ بخراسانَ** : أبا العباسِ بنَ يعقوبَ ، وأبا عبدِ اللهِ الصفَّارَ ، وأبا العباسِ ابنَ محبوبٍ ، وطبقتَهُم ، **وبالجبالِ**[2] : أبا محمدِ بنَ حمدانَ الجلابَ ، وأبا جعفرٍ ابنَ عبدِ اللهِ الحافظَ الهَمَذانيَّ[3] ، **وبالعراقِ** : أبا عمرِو بنَ السمَّاكِ ، وابنَ عقبةَ الشيبانيَّ ، وطبقتَهُما ، **وبالحجازِ** : أبا يحيىٰ [نافلةَ] عبدِ اللهِ ابنِ يزيدَ المقرئَ[4] ، وأبا إسحاقَ ابنَ فراسٍ المالكيَّ ، وأقرانَهُما ، وليس يمكنُ

---

(١) وهو المشهور بـ(الحاكم) و(ابن البيِّع) رحمه الله تعالىٰ .

(٢) قال ياقوت الحموي في « معجم البلدان » (٢/ ٩٩) : (**الجبال** : جمع جبل ؛ اسمُ علمٍ للبلاد المعروفة اليوم باصطلاح العجم بـ « العراق » ، وهي ما بين أصبهان إلىٰ زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والري ، وما بين ذلك من البلاد الجليلة والكور العظيمة)

(٣) في « تبيين كذب المفتري » : (ابن عبيد) بدل (ابن عبد اللهِ) .

(٤) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، **والنافلة** : ولد الولد وإن سفل ؛ وذلك لأن الأصل كان الولدَ ، فصار ولدُ الولد زيادةً على الأصل ؛ ومنه **قوله تعالىٰ** : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ [الأنبياء : ٧٢] وذلك أن إسحاق وُهِبَ بدعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وزيد يعقوب نافلةً تفضلاً منه سبحانه . انظر « تاج العروس » (٣١/ ١٩) ، =

حصرُ شيوخِهِ ؛ فإنَّ معجمَهُ على شيوخِهِ يقرُبُ مِنْ ألفَيْ رجلٍ .

قرأَ القرآنَ الكريمَ : على الصَّرَّامِ وابنِ الإمامِ بنيسابوزرَ ، وبالعراقِ : على أبي عليٍّ بنِ النقَّارِ الكوفيِّ ، وأبي عيسى بكَّارِ البغداديِّ ، وتفقَّهَ على الأئمَّةِ : أبي عليٍّ بنِ أبي هريرةَ بالعراقِ ، وأبي الوليدِ حسانَ بنِ محمدٍ القرشيِّ ، وأبي سهلٍ محمدِ بنِ سليمانَ الحنفيِّ[1] .

سمعتُهُ يقولُ : شربتُ مِنْ ماءِ زمزمَ ، فسألتُ اللهَ أنْ يرزقَني حسنَ التصنيفِ .

فوقعَ مِنْ تصانيفِهِ المسموعةِ في أيدي الناسِ ما يبلُغُ ألفاً وخمسَ مئةِ جزءٍ ؛ منها : « الصحيحانِ » ، و« العللُ » ، و« الأمالي » و« فوائدُ الشيخِ » ، و« فوائدُ الخراسانيينَ » ، و« أمالي العشيَّاتِ » ، و« التلخيصُ » ، و« الأبوابُ » ، و« تراجمُ الشيوخِ » .

فأمَّا الكتبُ التي تفرَّدَ بإخراجِها : فـ « معرفةُ أنواعِ علومِ الحديثِ » ، و« تاريخُ علماءِ أهلِ نيسابورَ » ، وكتابا « مُزكِّي الأخبارِ » و« المدخلُ إلى علمِ الصحيحِ » ، وكتابُ « الإكليلِ » في دلائلِ النبوَّةِ ، و« المستدركُ على الصحيحينِ ، وما تفرَّدَ بإخراجِهِ كلُّ واحدٍ مِنَ الإمامَينِ » ، و« فضائلُ الشافعيِّ » ، و« تراجمُ المُسندِ على شرطِ الصحيحينِ » ، وغيرُ ذلكَ .

أملى بما وراءَ النهرِ : سنةَ خمسٍ وخمسينَ ، وبالعراقِ : سنةَ سبعٍ وستينَ ، ولازمَهُ ابنُ المُظفَّرِ والدارقطنيُّ ، وأملى ببغدادَ والرَّيِّ مِنْ حفظِهِ مدَّةً[2] .

= مادة : (ن ف ل) ، وأبو يحيى : هو محمد بن عبد الرحمـٰن بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يزيد المكي (ت ٣٤٣هـ) ، وراجع « غاية النهاية » (٢/ ١٦٣) .

(١) في هامش (أ) : (هو الصُّعْلُوكي) .

(٢) ومن المناسبة هنا : ما ذكره الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٤/ ١٦٠) قال : (وحكي : =

سمعَ عنهُ مِنَ المشايخِ : أحمدُ بنُ أبي عثمانَ الحِيريُّ الزاهدُ بنُ الزاهدِ[1] ، والإمامُ أبو بكرٍ القفَّالُ الشاشيُّ ، وأبو أحمدَ ابنُ مُطرِّفٍ ، والسيدُ أبو محمدِ ابنُ زُبَارةَ العلويُّ ، وأبو عبدِ اللهِ العُصْميُّ ، وأبو أحمدَ ابنُ شعيبٍ المُزكِّي ، وأبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ يحيىٰ .

ومِنْ شيوخِ العراقِ : ابنُ أبي دارمٍ ، وابنُ مُظفَّرٍ ، والدارَقطنيُّ ، وابنُ القصَّارِ الرازيُّ إمامُ أهلِ الرَّيِّ .

قُلِّدَ القضاءَ بـ« نسا » في سنةِ تسعٍ وخمسينَ في أيام حشمةِ السامانيةِ ووزارةِ العُتْبِيِّ ، وقُلِّدَ بعدَ ذلكَ قضاءَ جُرْجانَ فامتنعَ ، وكانَ الأميرُ أبو الحسنِ يستعينُ برأيِهِ ، وينفذُهُ للسِّفارةِ بينَهُم وبينَ البويهيَّةِ .

= أنَّ أبا الفضل الهمذاني الأديب لما ورد نيسابور وتعصَّبوا له ولُقِّب « بديع الزمان » . . أُعجب بنفسه ؛ إذ كان يحفظ المئة بيت إذا أُنشدت بين يديه مرة ، وينشدها من آخرها إلىٰ أولها مقلوبةً ، فأنكر على الناس قولَهم : « فلان الحافظ في الحديث » ، ثم قال : وحفظُ الحديث مما يُذكَرُ ؟!

فسمع به الحاكم ابن البيِّع ، فوجَّه إليه بجزء ، وأجَّله جمعة في حفظه ، فردَّ إليه الجزء بعد الجمعة وقال : من يحفظ هـٰذا ؛ محمد بن فلان ، وجعفر بن فلان ، عن فلان ؛ أساميُّ مختلفة ، وألفاظ متباينة ؟!

فقال له الحاكم : فاعرف نفسك ، واعلم أنَّ حفظ هـٰذا أضيقُ ممَّا أنت فيه) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ١٧٣) .

(١) وكان من محبته للحديث يكتب بخطه ويسمع إلىٰ أن استشهد بطرسوس سنة (٣٥٣هـ) .
وأبوه هو : الإمام الواعظ الزاهد المربي أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري النيسابوري ، كان مجاب الدعوة ، وذا كرامات كثيرة ، ومن كراماته : أنَّ الفَرْغاني كان يخرج كل سنة إلى الحج ، ويمر بنيسابور ولا يدخل علىٰ أبي عثمان الحيري ، قال : فدخلت عليه مرة وسلَّمتُ فلم يردَّ عليَّ السلام ، فقلت في نفسي : مسلم يدخل عليه ويسلم فلا يرد سلامه ؟! فقال أبو عثمان : مثل هـٰذا يحجُّ ويدع أمه ولا يبرها ، قال : فرجعت إلىٰ فرغانة ، ولزمتها حتىٰ ماتت ، ثم قصدت أبا عثمان ، فلمَّا دخلت عليه استقبلني وأجلسني . انظر « الرسالة القشيرية » (ص٥٢٥ـ ٥٢٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٦٢) وما بعدها .

وصحبَ مِنَ الصوفيَّةِ : أبا عثمانَ المغربيَّ ، وأقرانَهُ)[1] .

ذكر أبو الحسنِ عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ بنِ عبدِ الغافرِ الفارسيُّ بعدَ ذكرِ اسمِهِ ونسبِهِ قالَ : (أبو عبدِ اللهِ الحافظُ ، روىٰ عن ألفِ شيخٍ أو أكثرَ مِنْ أهلِ الحديثِ ، وُلِدَ في شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ إحدىٰ وعشرينَ وثلاثِ مئةٍ ، وأخذَ في التصنيفِ سنةَ سبعٍ وثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في صفرٍ يومَ الثُّلاثاءِ الثالثِ منهُ سنةَ خمسٍ وأربعِ مئةٍ)[2] .

* * *

(١) وممن ذكرهم الحافظ ابن عساكر في « التبيين » : (أبو عمرو بن نُجيد ، وجعفر ابن نُصير ، وأبو عمرو الزَّجَّاجي ، وجعفر بن إبراهيم الحذَّاءُ) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٣١ـ٤٣٥) ، و« المنتخب من كتاب السياق » (١/ ١٥ـ١٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٧/ ١٦٢) وما بعدها .

(٢) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٣٧) ، و« المنتخب من كتاب السياق » (١/ ١٥ـ١٧) .

ومنهُم :

أبو سعدِ بنُ أبي عثمانَ الخَرْكُوشيُّ الزاهدُ رحمَهُ اللهُ

قالَ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحافظُ : (**عبدُ الملكِ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ ، أبو سعدِ بنُ أبي عثمانَ** ، الواعظُ الزاهدُ .

تفقَّهَ في حداثةِ السنِّ ، وتزهَّدَ وجالسَ الزُّهَّادَ والعُبَّادَ المُجرَّدينَ ، إلىٰ أنْ جعلَهُ اللهُ خَلَفاً لجماعةٍ ممَّنْ تقدَّمَهُ مِنَ العُبَّادِ المجتهدينَ ، والزُّهَّادِ القانعينَ .

سمعَ بنيسابورَ : أبا محمدٍ يحيى بنَ منصورٍ القاضيَ ، وأبا عمرٍو بنَ نُجيدٍ ، وأبا عليٍّ الرَّفَّاءَ الهرويَّ ، وأبا أحمدَ محمدَ بنَ محمدِ بنِ الحسنِ ، وأقرانَهُم .

وتفقَّهَ للشافعيِّ : علىٰ أبي الحسنِ الماسَرْجِسِيِّ .

وسمعَ بالعراقِ بعدَ التسعينَ والثلاثِ مئةٍ ، وخرجَ إلى الحجازِ ، وجاورَ حرمَ اللهِ مكةَ ، وصحبَ بها العُبَّادَ والصالحينَ ، وسمعَ الحديثَ مِنْ أهلِها والواردينَ إليها ، وانصرفَ إلىٰ وطنِهِ[1] ، ووُضِعَ لهُ القَبولُ .

وكانَ قد وفَّقَهُ اللهُ لعمارةِ المساجدِ والحِياضِ والقناطرِ والدُّروبِ ، وكسوةِ الفقراءِ الغرباءِ والبلديَّةِ ، حتىٰ بنىٰ داراً للمرضىٰ بعدَ أنْ خَرِبَتِ الدورُ القديمةُ لهُم بنيسابورَ ، ووكَّلَ جماعةً مِنْ أصحابِهِ المستورينَ بتمريضِهِم ، وحملِ مياهِهِم إلى الأطبَّاءِ ، وشراءِ الأدويةِ .

---

(١) أي : بنيسابور .

ولقد أخبرَني الثقةُ : أنَّ اللهَ تعالىٰ شفىٰ جماعةً منهُم ، فكساهُم وزوَّدَهُم للرجوعِ إلىٰ أوطانِهِم .

وصنَّفَ في علومِ الشريعةِ ، ودلائلِ النبوَّةِ)[١]

قالَ أبو بكرٍ الخطيبُ : (وكانَ ثقةً صالحاً ورعاً زاهداً ، سألتُ أبا صالحٍ أحمدَ بنَ عبدِ الملكِ النيسابوريَّ عن وفاةِ أبي سعدٍ ؟ فقالَ : في سنةِ ستٍّ وأربعِ مئةٍ)[٢]

* * *

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٤٢ـ٤٤٤) .

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٣١) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٤٥) .

ومنهُمْ :

القاضي أبو عمرَ محمدُ بنُ الحسينِ البِسْطاميُّ رحمَهُ اللهُ

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ بسندِهِ إلىٰ أبي عبدِ اللهِ الحاكمِ قالَ : (محمدُ بنُ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ [الحسينِ بنِ يحيى][(١)] ؛ الفقيهُ المُتكلِّمُ البارعُ الواعظُ ، أبو عمرَ بنُ أبي سعيدٍ البِسْطاميُّ[(٢)]

سمعَ بأصبهانَ : أبا القاسمِ سليمانَ بنَ أحمدَ اللَّخْميَّ ، وأقرانَهُ ، وبالعراقِ : أبا بكرٍ ابنَ مالكٍ ، وأبا محمدٍ ابنَ ماسي ، وأقرانَهُما ، وسمعَ بالبصرةِ والأهوازِ .

وردَ لهُ العهدُ بقضاءِ نيسابورَ ، وقُرِئَ عليهِ[(٣)] العهدُ غداةَ يومِ الخميسِ الثالثِ مِنْ ذي القعدةِ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ ، وأُجلِسَ في مجلسِ القضاءِ في مسجدِ رجاءٍ في تلكَ الساعةِ ، وأظهرَ أهلُ الحديثِ مِنَ الفرحِ والاستبشارِ ما يطولُ شرحُهُ)[(٤)] .

وممَّنْ أثنىٰ عليهِ : أبو عثمانَ إسماعيلُ بنُ الصابونيِّ[(٥)] ؛ فقالَ : (كانَ

---

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وقد استدركناه من « تبيين كذب المفتري » .

(٢) كذا في « معجم البلدان » (١/ ٤٢١) ، « واللباب » (١/ ١٥٣) ، وضبطه ابن السبكي في « طبقاته » (٤/ ١٤٠) بفتح الباء ، وانظر « تاج العروس » (٣١/ ٢٨٧) ، مادة : (ب س ط م) .

(٣) في « التبيين » : (علينا) .

(٤) تبيين كذب المفتري (ص٤٤٧) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٤٠ـ١٤٣) .

(٥) لعل المثني عليه هو أبو علي الحسن بن نصر المَرَندي أثناء ذكره لأبي عثمان الصابوني . راجع « التبيين » (ص٤٤٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٤٢) .

مُنفرِداً بلطائفِ السيادةِ ، مُعتمَداً لمواقفِ الوفادةِ ، سفيراً بينَ السلطانِ وبينَ مجلسِ الخلافةِ أيامَ القادرِ باللهِ[1] ، فأفتنَ أهلَ بغدادَ بلسانِهِ وإحسانِهِ ، وبزَّهُم في إيرادِهِ وإصدارِهِ بصحَّةِ إتقانِهِ ، ونكَّتَ في ذلكَ المشهدِ النبويِّ والمحفِلِ الإماميِّ بأشياءَ أُعجِبَ بها كُفاتُهُ ، وسلَّمَ لهُ الفضلَ فيها حُماتُهُ ، وقالُوا : مثلُهُ فليكنْ نائباً عن ذلكَ السلطانِ المُؤيَّدِ بالتوفيقِ والنصرةِ ، ووافداً علىٰ مثلِ [هٰذهِ] الحضرةِ ، حتَّىٰ صدرَ وحقائبُهُ مملوءةٌ مِنْ أصنافِ الإكرامِ ، وسهامُهُ فائزةٌ بأقصى المرامِ .

ثمَّ [كانَ] شافعيَّ العلمِ ، [شُريحيَّ] الحكمِ[2] ، سَحْبانيَّ البيانِ[3] ، سحَّارَ اللسانِ)[4] .

وقالَ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ : (محمدُ بنُ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ الهيثمِ ، أبو عمرَ البِسْطاميُّ الواعظُ ، الفقيهُ علىٰ مذهبِ الشافعيِّ .

وليَ قضاءَ نيسابورَ ، ودخلَ بغدادَ ، وحدَّثَ بها عن أحمدَ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ وأقرانِهِ[5] ، وسليمانَ بنِ أحمدَ الطبرانيِّ .

---

(١) في (ب) : (للإمام القادر بالله) .

(٢) في (أ ، ب) : (سريحي) بالسين المهملة ، ولعل الصواب ما أثبت كما في « التبيين » ، وهو نسبة إلىٰ شُرَيح بن الحارث الكندي القاضي الشهير ، وكان مشهوراً بحسن قضائه . انظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ١٠٠) وما بعدها .

(٣) قوله : (سَحْباني) نسبة إلىٰ سَحْبان بن زفر الوائلي ، خطيب يضرب به المثل في الفصاحة والبيان .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٤٨) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٤٢) .

(٥) في هامش (أ) عند قوله : (أحمد بن عبد الرحمـٰن) : (هو ابن الجارود الرقي) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٤٨) .

تُوفِّيَ بنيسابورَ في سنةِ سبعٍ وأربعِ مئةٍ)[١]

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (كتبَ إليَّ عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ بنِ عبدِ الغافرِ الفارسيُّ قالَ : **محمدُ بنُ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ الهيثمِ بنِ القاسمِ بنِ مالكٍ** ، أبو عمرَ بنُ أبي سعيدٍ البِسْطاميُّ ، القاضي الإمامُ ، تُوفِّيَ سنةَ ثمانٍ وأربعِ مئةٍ ، وأعقبَ المُوفَّقَ والمُؤيَّدَ)[٢]

قالَ ابنُ عساكرَ : (وقولُ عبدِ الغافرِ : في سنةِ ثمانٍ . . أصحُّ ممَّا قبلَهُ[٣] ، واللهُ أعلمُ)[٤]

* * *

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٤) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٤٨ـ٤٤٩) .

(٢) تبيين كذب المفتري (ص٤٤٩) ، وانظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص١٧)

(٣) كذا في (أ ، ب) ، وفي « التبيين » : (في نسبه) بدل (في سنة ثمان) ، وقوله : (أصح مما قبله) جاء في « التبيين » : (أصح من قول الحاكم) ، ولم يتعرض الحاكم إلىٰ ذكر سنة وفاته ، وإنما تعرض لنسبه .

(٤) تبيين كذب المفتري (ص٤٤٩) .

ومنهُم :

أبو القاسمِ بنُ أبي عمرٍو البَجَليُّ البغداديُّ رحمَهُ اللهُ

قالَ الحافظُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ : (عبدُ الواحدِ بنُ محمدِ بنِ عثمانَ ، أبو القاسمِ بنُ أبي عمرٍو البَجَليُّ .

سمعَ : أحمدَ بنَ سليمانَ النجّادَ[١] ، وجعفرَ الخُلْديِّ ، والحسنَ بنَ محمدِ بنِ موسى بنِ إسحاقَ الأنصاريِّ ، ومحمدَ بنَ الحسنِ بنِ زيادٍ النقّاشَ ، وهبةَ اللهِ بنَ محمدِ بنِ حبَشٍ الفرّاءَ ، وجعفرَ بنَ محمدِ بنِ الحكمِ المُؤدِّبَ ، ومحمدَ بنَ عليِّ بنِ [عَلُّونَ] المقرئَ .

كتبْنا عنهُ ، وكانَ ثقةً .

تقلَّدَ القضاءَ مِنْ قِبَلِ أبي عليٍّ التنوخيِّ على دَقُوقا وخانجانَ[٢] ، ومِنْ قِبَلِ أبي الحسنِ الخَرَزيِّ على جازِرَ ، وكانَ ينتحلُ مذهبَ الشافعيِّ ، ويعرفُ أصولَ الفقهِ .

وسمعتُهُ أملى عليَّ نسبَهُ ؛ فقالَ : أبي : محمدُ بنُ عثمانَ بنِ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ خالدِ بنِ إسحاقَ بنِ زِبْرِقانَ بنِ خالدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ جَريرِ بنِ عبدِ اللهِ البَجَليِّ صاحبِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

تُوفِّيَ في اليومِ الذي ماتَ فيهِ ابنُ مهديٍّ ؛ وهوَ يومُ الاثنينِ الرابعَ عشرَ مِنْ

---

(١) قوله : (سليمان) ورد في المصادر والمراجع بـ (سلمان) أو (سليمان) ، وفي « التبيين » : (سليمان) .

(٢) كذا في نسختينا و« التبيين » ، وفي « تاريخ بغداد » (١١/ ١٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ٢٢٨) : (وخانيجار) .

رجبٍ سنةَ عشرٍ وأربعِ مئةٍ ، ودُفِنَ مِنَ الغدِ في مقبرةِ بابِ حربٍ)[1] ، رحمَهُ اللهُ .

أثنىٰ عليهِ الشيخُ أبو إسحاقَ الشِّيرازيُّ رضيَ اللهُ عنهُ ؛ فقالَ : (كانَ فقيهاً أصوليّاً مُتكلِّماً ، لهُ مُصنَّفاتٌ حسنةٌ في الأصولِ)[2]

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (وذكرَهُ أبو الفضلِ ابنُ خيرونَ في « الوفاءات »[3] ؛ فقالَ : « الشافعيُّ الأشعريُّ »)[4]

* * *

(١) تاريخ بغداد (١١/ ١٤ـ١٥) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص ٤٥٠ـ٤٥١) .

(٢) طبقات الفقهاء (ص١٢٥) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٥١) .

(٣) في « التبيين » : (الوفيات) ، والمثبت هو إحدىٰ نسخه المعتمدة .

(٤) تبيين كذب المفتري (ص٤٥١) ، ويوجد ها هنا زيادة في (ب) ، وهي عبارة عن ترجمة أبي الحسن بن ماشاذه ، وقد تقدمت في (١/ ٣٩٢) ، وأشار في (أ) إلىٰ حذفها ، وجاءت ترجمة ابن ماشاذه في « التبيين » (ص٤٥٢) في هـٰذا المكان ، وهـٰذا مخالف للمنهج الذي اتَّبعه ابن المعلم في ذكر التراجم ؛ إذ نصَّ علىٰ أنه لن يُغيِّر من ترتيب الحافظ ابن عساكر إلا في ترجمة ابن خفيف ، وقد وقع له مثل ذلك في بعض المواضع .

ومنهُم :

أبو معمرِ بنُ أبي سعدِ بنِ أبي بكرٍ الجُرْجانيُّ

ذكرَهُ أبو القاسمِ حمزةُ بنُ يوسفَ بنِ إبراهيمَ السهميُّ في « تاريخِ جُرْجانَ » فقالَ : (أبو معمرٍ المفضلُ بنُ إسماعيلَ بنِ أبي بكرٍ[1] أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ بنِ العباسِ ، الإسماعيليُّ الجُرْجانيُّ الإمامُ .

روىٰ : عن جدِّهِ الإمامِ أبي بكرٍ الإسماعيليِّ الكتبَ الكثيرةَ ، وسمعَ منهُ كتابَهُ « الجامعَ » علىٰ « جامعِ الصحيحِ » للبخاريِّ ، وغيرَهُ مِنَ المجموعاتِ والتصانيفِ والمشايخِ والأمالي .

وقد حفظَ لهُ والدُهُ الإمامُ أبو سعدٍ الإسماعيليُّ سماعَهُ ، وحملَهُ إلىٰ بغدادَ ومكةَ في سنةِ أربعٍ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ ، فبقيَ هناكَ إلىٰ أنْ حجَّ في سنةِ خمسٍ وثمانينَ ، ورجعَ في سنةِ ستٍّ وثمانينَ إلىٰ جُرْجانَ .

وقد كانَ سمعَ ببغدادَ : مِنْ أبي الحسنِ الدارقطنيِّ أكثرَ كتبِهِ ومُصنَّفاتِهِ ، وكتبَ : عن أبي حفصٍ ابنِ شاهينَ ، وعن أبي الحسنِ الجِيليِّ[2] ، وغيرِهِم .

وبمكَّةَ : عن يوسفَ ابنِ الدَّخيلِ ، وأبي زُرْعةَ الجبتيِّ الجُرْجانيِّ[3] ، وجماعةٍ .

---

(١) زاد في (أ ، ب) : (ابن) .

(٢) كذا في (أ ، ب) تبعاً لـ « التبيين » ، وفي « تاريخ جرجان » : (الخُتَّلي) ، ولعله الصواب ، والخُتَّلي : هو الإمام علي بن عمر بن محمد الحميري البغدادي السكري (ت٣٨٦هـ) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٥٣٨ـ٥٣٩) .

(٣) قوله : (الجبتي) كذا في (أ ، ب) ، وفي « التبيين » : (الجنبي) ، وفي « تاريخ جرجان » : (الكشي) ، ولعله الصواب ، وأبو زرعة الكشي : هو الإمام الحافظ محمد بن=

وجلسَ للإملاءِ بعدَ موتِ عمِّهِ أبي نصرٍ الإسماعيليِّ)[1]

تُوفِّيَ [في الرابعِ والعشرينَ من ذي الحجةِ ، سنةَ إحدىٰ وثلاثينَ وأربعِ مئةٍ][2]

* * *

= يوسف بن محمد الجرجاني الكشي (ت ٣٩٠هـ) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٤٤) وما بعدها .

(١) تاريخ جرجان (ص٤٦٤ـ٤٦٥) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٥٥ـ٤٥٦) ، وفيهما أيضاً : (سمعتُ ـ أي : صاحبُ « تاريخ جرجان » ـ أبا بكر الإسماعيلي رحمه الله يقول : (ابني هٰذا ـ أبو معمر ـ له سبع سنين ، يحفظ القرآن ، وتعلم الفرائض ، وأجاب في مسألة أخطأ فيها بعض قضاتنا) .

(٢) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، ولم يذكر ابن عساكر تاريخ وفاته ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٥١٩) .

ومنهُم :

أبو حازمٍ العَبْدُويِيُّ النيسابوريُّ الحافظُ رحمَهُ اللهُ

ذكرَهُ الإمامُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ ؛ فقالَ : (عمرُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ عَبْدُويَه بنِ سدوسِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ عتبةَ بنِ مسعودٍ ، أبو حازمٍ الهُذَليُّ العَبْدُويِيُّ الأعرجُ : [مِنْ أهلِ نيسابورَ .

سمعَ : إسماعيلَ بنَ نجيدٍ السُّلميَّ ، ومحمدَ بنَ عبدِ اللهِ السَّليطيَّ ، وأبا بكرٍ الإسماعيليَّ ، وعليَّ بنَ بُنْدارٍ الصَّيْرفيَّ ، وغيرَهُم .

وقدمَ بغدادَ قديماً ، وحدَّثَ بها ، فسمعَ منهُ : أبو إسحاقَ الطبريُّ المقرئُ ، ومحمدُ بنُ أبي الفوارسِ ، وغيرُهُما .

وحدَّثَ عنهُ : التنوخيُّ ، وأبو يعلىٰ أحمدُ بنُ عبدِ الواحدِ ، وكتبَ عنهُ الكثيرَ الخطيبُ البغداديُّ ، وقالَ : (كانَ ثقةً صادقاً ، عارفاً حافظاً ، يسمعُ الناسُ بإفادتِهِ ، ويكتبونَ بانتخابِهِ) .

وقالَ عبدُ الغافرِ الفارسيُّ : (سمعتُ الشيخَ أبا صالحٍ أحمدَ بنَ عبدِ الملكِ يقولُ : سمعتُ أبا حازمٍ يقولُ : كتبتُ بخطِّي عن عشرةٍ مِنْ شيوخي عشرةَ آلافِ جزءٍ ، عن كلِّ شيخٍ ألفَ جزءٍ ، سوىٰ ما اشتريتُهُ ؛ فذكرَ منهُم : الإمامَ أبا بكرٍ الإسماعيليَّ ، وأبا الحسنِ الحجَّاجيَّ الحافظَ ، والحاكمَ أبا أحمدَ الحافظَ) .

وقالَ أيضاً : (انتخبَ عليهِ الحاكمُ أبو عبدِ اللهِ ، وحدَّثَ عنهُ ، وانتشرتْ فوائدُهُ في الآفاقِ ، وتُوفِّيَ فجأةً ليلةَ الأربعاءِ ، الثاني مِنْ شوالٍ ، سنةَ سبعَ

عشرةَ وأربعِ مئةٍ ، وصلَّىٰ عليهِ الأستاذُ الإمامُ الإسفرايني)(١) .

* * *

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٥٨) ، وقد سقط قريب الورقة من الأصل ، وقد ضمت ترجمة الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني ، وإليك هـٰذه الترجمة مختصرةً من « تبيين كذب المفتري » :
الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني رحمه الله تعالىٰ :
قال الحاكم أبو عبد الله : (إبراهيم بن محمد بن إبراهيم : الفقيه الأصولي المتكلم ، المُقدَّم في هـٰذه العلوم ، أبو إسحاق الإسفراييني الزاهد .
انصرف من العراق بعد المقام بها ، وقد أقرَّ له أهل العلم بالعراق وخراسان بالتقدم والفضل ، فاختار الوطن ، إلىٰ أن جُرَّ بعد الجهد إلىٰ نيسابور ، وبُني له المدرسة التي لم يُبنَ بنيسابور قبلَها مثلُها ، ودرَّس فيها وحدَّث .
سمع بخراسان : الشيخ أبا بكر الإسماعيلي وأقرانه ، وبالعراق : أبا بكر محمد بن عبد الله الشافعي ، وأبا محمد دَعْلَجَ بن أحمد السِّجْزي ، وأقرانهما) .
وقال فيه عبد الغافر الفارسي : (أحدُ من بلغ حدَّ الاجتهاد من العلماء ؛ لتبحُّره في العلوم ، واستجماعه شرائط الإمامة ؛ من العربية ، والفقه ، والكلام ، والأصول ، ومعرفة الكتاب والسنة ، وكان من المجتهدين في العبادة ، المبالغين في الورع والتحرُّج) .
وقال أيضاً : (وحكىٰ لي من أثق به : أن الصاحب بن عبَّاد كان إذا انتهىٰ إلىٰ ذكر الباقلاني وابن فورك والإسفراييني ـ وكانوا متعاصرين من أصحاب الأشعري ـ . . قال لأصحابه : « ابن الباقلاني بحرٌ مُغدِقٌ ، وابن فُورَكَ صِلٌّ مُطْرِقٌ ، والإسفراييني نارٌ تُحرِقُ » ، وكأنَّ روح القدس نفث في رُوعه ؛ حيث أخبر عن هـٰؤلاء الثلاثة بما هو حقيقة الحال فيهم) .
توفي بإسفرايين يوم عاشوراء سنة ثمانِ عشرةَ وأربع مئة ، وصلَّىٰ عليه الإمام الموفق . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٥٩ـ٤٦١) .

ومنهُمْ :

الحافظُ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ أبو نعيمٍ الأصبهانيُّ رحمَهُ اللهُ

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (كتبَ إليَّ الشيخُ أبو الحسنِ عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ يذكرُ قالَ : أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ إسحاقَ بنِ موسى بنِ مهرانَ ، سبطُ محمدِ بنِ يوسفَ البنَّاءِ الصوفيِّ ، الشيخُ الإمامُ أبو نعيمٍ الحافظُ .

واحدُ عصرِهِ في][1] فضلِهِ وجمعِهِ ومعرفتِهِ)[2] .

كانَ كثيرَ الردِّ علىٰ أهلِ البدعِ ؛ خصوصاً المُشبِّهةَ والقائلينَ بالحرفِ والصوتِ ، وهـٰذا هوَ السببُ الذي اقتضىٰ أنَّ بعضَ مَنْ صنَّفَ في الجرحِ والتعديلِ ـ ممَّنْ تُنسَبُ إليهِ هـٰذهِ البدعةُ ـ تعرَّضَ لهُ ببعضِ كلامٍ أبرزَهُ الحقدُ والإِحْنةُ[3] ، ولا مبالاةَ بما قالَهُ فيهِ .

واشتهارُهُ يُغني عنِ الزيادةِ مِنَ الثناءِ عليهِ ، ويكفيهِ شرفاً كتابُهُ المُسمَّىٰ بـ « حليةِ الأولياءِ »[4] .

---

(١) ما بين معقوفين تم استكماله مختصراً من « تبيين كذب المفتري » .

(٢) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٦٤) .

(٣) وفي « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٤٥٩ـ٤٦٠) : (قال أبو طاهر السِّلَفي : سمعت أبا العلاء محمد بن عبد الجبار الفرساني يقول : حضرت مجلس أبي بكر بن أبي علي الذكواني المعدِّل في صِغَري مع أبي ، فلمَّا فرغ من إملائه قال إنسان : « من أراد أن يحضر مجلس أبي نعيم فليقم » ، وكان أبو نعيم في ذلك الوقت مهجوراً بسبب المذهب ، وكان بين الأشعرية والحنابلة تعصُّبٌ زائد يؤدي إلىٰ فتنة ، وقيل وقال ، وصداع طويل ، فقام إليه أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام ، وكاد الرجل يقتل .
قلت : ما هـٰؤلاء بأصحاب الحديث ، بل فَجَرة جَهَلة ، أبعد اللهُ شرَّهم) .

(٤) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٢٢ـ٢٥) .

وُلِدَ في رجبٍ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بأصفهانَ في صفرٍ سنةَ ثلاثينَ وأربعِ مئةٍ .

قالَ الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ : (لم ألقَ في شيوخي أحفظَ مِنْ أبي نُعيمٍ ، ومِنْ أبي حازمٍ العَبْدُويِّ الأعرجِ)[1]

* * *

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٦٤ـ٤٦٥) .

ومنهُم :

أبو حامدٍ الأُسْتوائيُّ ، وهوَ أحمدُ بنُ محمدِ ابنِ دِلُّويه

قالَ الخطيبُ : (أبو حامدٍ الأُسْتوائيُّ ، ويُعرَفُ بـ « الدِّلُّويِّ » ، وأُسْتُوا : قريةٌ مِنْ قرىٰ نيسابورَ .

سمعَ : أبا [العباسِ] أحمدَ الأنماطيَّ ، وأبا سعيدٍ الرازيَّ ، ومحمداً الجَوْزَقيَّ ، وقدمَ بغدادَ فسمعَ : مِنَ الدارقطنيِّ وطبقتِهِ ، واستوطنَ بغدادَ إلىٰ حينِ وفاتِهِ .

وليَ القضاءَ بعُكْبَرا مِنْ قِبَلِ القاضي أبي بكرٍ محمدِ بنِ الطيِّبِ ، وكانَ ينتحلُ في الفقهِ مذهبَ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وفي الأصولِ مذهبَ الأشعريِّ .

تُوفِّيَ ليلةَ الثَّلاثاءِ الثامنِ والعشرينَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ أربعٍ وثلاثينَ وأربعِ مئـةٍ ، ودُفِنَ صبيحةَ تلكَ الليلةِ في مقبرةِ الشُّونيزيِّينَ)[1] ، رضيَ اللهُ عنهُ .

* * *

(١) تاريخ بغداد (٥/ ١٤١ـ١٤٢) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٦٦) .

ومنهُم :

أبو عليٍّ ابنُ شاذانَ البغداديُّ

تأخَّرَتْ وفاتُهُ رحمَهُ اللهُ ، ذكرَهُ أبو بكرٍ الخطيبُ ؛ فقالَ : (الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ شاذانَ بنِ حربِ بنِ مِهْرانَ ، أبو عليٍّ البزَّازُ .

سمعَ : عثمانَ بنَ أحمدَ الدقَّاقَ ، وأحمدَ بنَ سليمانَ العَبَّادانيَّ ، وأحمدَ بنَ سليمانَ النجَّادَ[1] .

كتبْنا عنهُ ، وكانَ صدوقاً ، صحيحَ الكتابِ ، وكانَ يفهمُ الكلامَ علىٰ مذهبِ الأشعريِّ .

وكتبَ عنهُ جماعةٌ مِنْ شيوخِنا ؛ كأبي بكرٍ البَرْقانيِّ ، ومحمدِ بنِ طلحةَ ، وأبي محمدٍ الخلالِ ، وأبي القاسمِ الأزهريِّ ، وعبدِ العزيزِ الأَزَجيِّ ، وغيرِهِم .

حدَّثني محمدُ بنُ يحيى الكَرْمانيُّ قالَ : كُنَّا يوماً بحضرةِ أبي عليٍّ ابنِ شاذانَ ، فدخلَ عليهِ رجلٌ شابٌّ ، فقالَ : أيُّها الشيخُ ؛ رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، فقالَ لي : سَلْ عن أبي عليٍّ ابنِ شاذانَ ، فإذا لقيتَهُ فأقْرِئْهُ منِّي السلامَ ، ثمَّ انصرفَ الشابُّ .

فبكىٰ أبو عليٍّ وقالَ : ما أعرفُ لي عملاً أستحقُّ بهِ هـٰذا ، اللهمَّ إلا أنْ يكونَ صبري علىٰ قراءةِ الحديثِ عليَّ ، وتكريرَ الصلاةِ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كلَّما جاءَ ذكرُهُ .

---

(١) قوله : (سليمان) كذا في بعض المصادر والمراجع ، وفي بعضها : (سلمان) .

قالَ الكَرْمانيُّ : ولم يلبَثْ أبو عليٍّ بعدَ ذلكَ إلا شهرينِ أو ثلاثةً حتىٰ ماتَ) .

قالَ أبو بكرٍ الخطيبُ : (وُلِدَ ابنُ شاذانَ في ليلةِ الخميسِ لاثنتي عشرةَ ليلةً خلتْ مِنْ شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ ليلةَ السبتِ مُستهَلَّ المُحرَّمِ ، سنةَ [ستٍّ وعشرينَ] وأربعِ مئةٍ بعدَ صلاةِ العَتَمةِ[1] ، ودُفِنَ مِنَ الغدِ ، وحضرتُ الصلاةَ علىٰ جنازتِهِ)[2] .

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (قلتُ : وكانَ حنفيَّ الفروعِ ، رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ)[3] .

* * *

(١) في (أ، ب) : (ست عشرة) بدل (ست وعشرين) ، والمثبت من « التبيين » .
(٢) تاريخ بغداد (٧/ ٢٨٨ـ ٢٨٩) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٦٢ـ٤٦٣) .
(٣) تبيين كذب المفتري (ص٤٦٣) .

ذكر الطبقة الثالثة ممن لقي أصحاب أصحاب أبي الحسن (١)

(١) هنا تنتهي الورقة (٩٨/أ) ، وسقط بعدها قريب الورقتين ، وقد ضمَّنا ثلاث تراجم ، وإليك هـٰذه التراجم مختصرةً من « تبيين كذب المفتري » :
ـ فمنهم : أبو الحسن علي بن عيسى بن سليمان السُّكَّري البغدادي الشاعر رحمه الله تعالىٰ :
وهو قديم المولد ، متقدم الوفاة ، أصله من نِفَّرَ ، وهو بلد على النَّرْس من بلاد الفرس ، وكان مولده ببغداد يوم الخميس لخمسٍ خلون من صفر سنة سبع وخمسين وثلاث مئة .
وصحب القاضي الباقلاني ، ودرس عليه الكلام ، وكان يحفظ القرآن والقراءات ، وكان مُتفنِّناً في الأدب ، وله ديوانُ شعر كبيرٌ ، وكلُّه إلا اليسير منه في مدح الصحابة ، والرد على الرافضة ، والنقض علىٰ شعرائهم .
وتوفي يوم الثلاثاء سلخَ شعبان ، من سنة ثلاث عشرة وأربع مئة ، ودفن من الغد في مقبرة باب الدير التي فيها قبر معروف الكرخي رحمه الله تعالى . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٦٩) .
ـ والأستاذ أبو منصور محمد بن الحسن الأيوبي النيسابوري رحمه الله تعالىٰ :
قال فيه عبد الغافر الفارسي : (الأستاذ الإمام ، حجة الدين ، صاحب البيان ، والحجة والبرهان ، واللسان الفصيح ، والنظر الصحيح ، أَنظرُ من كان في عصره ومن تقدمه ومن بعده علىٰ مذهب الأشعريِّ .
واتفق له أعداد من التصانيف المشهورة المقبولة عند أئمة الأصول ؛ مثل « تلخيص الدلائل » .
تلمذ للأستاذ أبي بكر بن فورك في صباه وتخرج به ، ولزم طريقته ، وجدَّ واجتهد في فقر وقلة من ذات اليد ، حتىٰ كان يعلق دروسه ويطالعها في القمراء ؛ لضيق يده عن تحصيل دهن السراج ، وهو مع ذلك يكابد الفقر ويلازم الورع ، ولا يأخذ من مال الشبهة شيئاً ، إلىٰ أن نشأ في ذلك ، وصار من منظوري أصحاب الإمام ، وظهرت بركة خدمته عليه ، فأدى الحال إلىٰ أن زوج منه ابنته الكبرىٰ ، وكان أنفذ من الأستاذ وأشجع منه .
توفي في ذي الحجة سنة إحدىٰ وعشرين وأربع مئة ، ودفن بمقبرة شاهَنْبَرَ) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٧٠) .
ـ والقاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي البغدادي رحمه الله تعالىٰ :
سمع : أبا عبد الله بن العسكري ، وعمر بن محمد بن سَبَنْكَ ، وأبا حفص ابن شاهين ، =

[ومنهُم :

أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ النُّعيميُّ البصريُّ

روى الحافظُ ابنُ عساكرَ بسندِهِ إلى الخطيبِ البغداديِّ الحافظِ قالَ : (عليُّ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ نُعيم ، أبو الحسنِ البصريُّ ، المعروفُ بالنُّعيميِّ .

سكنَ بغدادَ ، وحدَّثَ بها : عن أحمدَ بنِ محمدٍ الأَسْفاطيِّ ، ومحمدِ بنِ أحمدَ بنِ الفيضِ الأصبهانيِّ ، وعليِّ بنِ عمرَ السُّكَّريِّ ، وأحمدَ بنِ عبيدِ اللهِ النَّهْرتيريِّ ، وغيرِهِم مِنْ طبقتِهِم .

= وحدَّث بشيء يسير ، كتب عنه الخطيب البغدادي وقال فيه : (كان ثقة ، ولم نلق من المالكيين أفقه منه ، وكان حسن النظر ، جيد العبارة ، وتولَّى القضاء ببادَرايَا وباكُسايا ، وخرج في آخر عمره إلىٰ مصر) .

وقال أبو إسحاق الشيرازي : (أدركته وسمعت كلامه في النظر ، وكان قد رأىٰ أبا بكر الأبهري ، إلا أنه لم يسمع منه شيئاً ، وكان فقيهاً شاعراً متأدِّباً ، وله كتب كثيرة في كل فن من الفقه .

وخرج في آخر عمره إلىٰ مصر ، وحصل له هناك حال من الدنيا بالمغاربة ، ومات بمصر سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة ، وأنشد في حال خروجه من بغداد : (من الطويل)

سلامٌ علىٰ بغدادَ في كلِّ موطنٍ ... وحُـقَّ لهـا منِّـي سـلامٌ مُضـاعَـفُ
فـو اللهِ مـا فـارقتُهـا عـن قِلـىً لهـا ... وإنِّـي بشَطَّـي جـانبَيْهـا لَعـارفُ
ولٰكنَّهـا ضـاقَـتْ علـيَّ بـأسـرهـا ... ولـم تكـنِ الأرزاقُ فيهـا تُسـاعِـفُ
وكـانَـتْ كخِـلٍّ كنـتُ أهـوىٰ دُنـوَّهُ ... وأخـلاقُـهُ تنـأىٰ بـه وتُخـالِـفُ

انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٧١ـ٤٧٢) ، وقولُ أبي إسحاق الشيرازي : (لم يسمع منه شيئاً) قال القاضي عياض في « ترتيب المدارك » (٧/ ٢٢١) : (غيرُ صحيح ، بل حدَّث عنه وأجازه) .

كتبتُ عنهُ ، وكانَ حافظاً عارفاً مُتكلِّماً شاعراً)[١]

وقالَ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عليٍّ الشيرازيُّ : (درسَ بالأهوازِ ، وكانَ فقيهاً عالماً بالحديثِ ، مُتأدِّباً مُتكلِّماً)[٢]

وكانَ أبو بكرٍ البَرْقانيُّ يقولُ : (هوَ كاملٌ في كلِّ شيءٍ لولا بَأْوٌ فيهِ)][٣] ، ذكرَ ذلكَ أبو بكرٍ الخطيبُ رحمَهُ اللهُ ، وقالَ[٤] : (لم أرَ ببغدادَ أحداً أكملَ مِنَ النُّعَيميِّ ، كانَ قد جمعَ معرفةَ الحديثِ والكلامِ والآدابِ ، ودرسَ شيئاً مِنَ الفقهِ على مذهبِ الشافعيِّ .

رآهُ البَرْقانيُّ بعدَ موتِهِ بهيئةٍ حسنةٍ جميلةٍ وحالةٍ صالحةٍ ، وقالَ : كانَ شديدَ العصبيَّةِ في السنَّةِ)[٥]

أنشدَ الحافظُ ثقةُ الدينِ في « كتابِهِ » للنُّعيميِّ رحمَهُ اللهُ[٦] : [من المتقارب]

إِذَا أَظْمَأَتْكَ أَكُفُّ ٱللِّئَامِ كَفَتْكَ ٱلْقَنَاعَةُ شِبْعاً وَرِيَّا
فَكُنْ رَجُلاً رِجْلُهُ فِي ٱلثَّرَىٰ وَهَامَةُ هِمَّتِهِ فِي ٱلثُّرَيَّا
أَبِيّاً لِنَائِلِ ذِي ثَرْوَةٍ تَرَاهُ بِمَا فِي يَدَيْهِ أَبِيَّا
فَإِنَّ إِرَاقَةَ مَاءِ ٱلْحَيَاةِ دُونَ إِرَاقَةِ مَاءِ ٱلْمُحَيَّا

تُوفِّيَ يومَ الاثنينِ مُستهَلَّ ذي القَعْدةِ سنةَ ثلاثٍ وعشرينَ وأربعِ مئةٍ .

* * *

---

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٧٣) ، و« تاريخ بغداد » (١١/ ٣٣٠) .
(٢) انظر « طبقات الفقهاء » (ص١٣١) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٤٧٣) .
(٣) البَأْو : العُجْب ، وما بين معقوفين تم استكماله مختصراً من « تبيين كذب المفتري » (ص٤٧٣ـ٤٧٤) .
(٤) أي : نقلاً عن محمد بن علي الصُّوري .
(٥) تاريخ بغداد (١١/ ٣٣٠ـ٣٣١) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٧٤ـ٤٧٥) .
(٦) تبيين كذب المفتري (ص٤٧٤) .

ومنهُمْ :

الإمامُ أبو طاهرِ ابنُ خِراشَةَ الدمشقيُّ

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (حدَّثَنا ابنُ الأكفانيِّ ، حدَّثَنا أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ الكتَّانيُّ ، قالَ : تُوفِّيَ شيخُنا أبو طاهرٍ الحسينُ بنُ محمدِ بنِ عامرٍ الآبِليُّ المقرئُ[1] ، إمامُ جامعِ دمشقَ . . يومَ الأربعاءِ السابعِ مِنْ شهرِ ربيعِ الآخرِ سنةَ ثمانٍ وعشرينَ وأربعِ مئةٍ .

حدَّثَ : عن يوسفَ بنِ القاسمِ المَيَانَجِيِّ ، والحسينِ بنِ إبراهيمَ الفرائضيِّ ، وغيرِهِما .

وكانَ ثقةً مأموناً نبيلاً ، يذهبُ إلىٰ مذهبِ الأشعريِّ)[2]

* * *

(١) الآبلي : نسبة إلىٰ (آبِل) قرية بوادي بردىٰ من أعمال دمشق . انظر « معجم البلدان » (١/ ٥٠) ، و« توضيح المشتبه » (١/ ١٣٦) .

(٢) تبيين كذب المفتري (ص٤٧٦) ، وانظر « تاريخ دمشق » (١٤/ ٣٠٩ـ٣١٠) ، و« ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم » (ص١٧٥) .

ومنهُمْ :

الأستاذُ أبو منصورٍ عبدُ القاهرِ بنُ طاهرِ بنِ محمدٍ البغداديُّ

قالَ أبو عثمانَ إسماعيلُ بنُ الصابونيِّ : (كانَ مِنْ أئمَّةِ الأصولِ وصدورِ الإسلامِ بإجماعِ أهلِ الفضلِ والتحصيلِ ، بديعَ الترتيبِ ، غريبَ التأليفِ والتهذيبِ ، [يراهُ الجِلَّةُ صدراً مُقدَّماً] ، ويدعوهُ الأئمَّةُ إماماً مُفخَّماً ، ومِنْ خرابِ نيسابورَ [أنِ] اضطُرَّ [مثلُهُ] إلىٰ مفارقتِها)[1]

قالَ الشيخُ عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ النيسابوريُّ في « ذيلِ نيسابورَ » : (عبدُ القاهرِ بنُ طاهرِ بنِ محمدٍ البغداديُّ أبو منصورٍ، الأستاذُ الكاملُ ، الفقيهُ الأصوليُّ، الأديبُ الشاعرُ النَّحْويُّ ، الماهرُ في علمِ الحسابِ[2] ، العارفُ بالعَروضِ .

وردَ نيسابورَ معَ أبيهِ أبي عبدِ اللهِ طاهرٍ ، وكانَ ذا مالٍ وثروةٍ ومروءةٍ ، وأنفقَهُ علىٰ أهلِ العلمِ حتى افتقرَ .

صنَّفَ في العلومِ ، وأربىٰ علىٰ أقرانِهِ في الفتوىٰ[3] ، ودرَّسَ في سبعةَ عشرَ نوعاً مِنَ العلومِ ، وكانَ قد دَرَسَ على الأستاذِ أبي إسحاقَ الإسفراينيِّ ، وأقعدَهُ بعدَهُ في مسجدِ عقيلٍ للإملاءِ مكانَهُ ، وأملىٰ سنينَ ، واختلفَ إليهِ الأئمَّةُ فقرؤُوا عليهِ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٧٧) ، وخروجُهُ من نيسابور بسبب فتنة وقعت فيها من التركمان . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ١٣٧) ، وسيأتي ذكرها بعد قليل .

(٢) ومن كتبه فيه : « التكملة » قال الإمام الفخر الرازي : (لو لم يكن له إلا كتاب « التكملة » في الحساب . . لكفاه) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ١٣٨) .

(٣) في « المنتخب من كتاب السياق » ، و« التبيين » : (في الفنون) .

حدَّثَ : عنِ الإسماعيليِّ ، وأبي أحمدَ بنِ عديٍّ .

خرجَ إلىٰ إسفراينَ في أيامِ فتنةِ التركمانيَّةِ ، فماتَ بها سنةَ تسعٍ وعشرينَ وأربعِ مئةٍ ، ودُفِنَ بجنبِ أبي إسحاقَ الإسفرايينيِّ المُتكلِّمِ الفقيهِ ، فقبراهُما متجاورانِ تجاورَ تلاصُقٍ ، كأنَّهُما نجما مَطلِعٍ ، وكوكبانِ ضمَّهُما برجٌ مُرتفِعٌ)[1] .

صنَّفَ مِنَ الكتبِ الكثيرَ ، وأنفعُها : كتابُهُ في الصفاتِ ، وكتابُهُ في تفسيرِ أسماءِ اللهِ الحسنىٰ ، لم يدعْ فيها ممَّا يُستحسَنُ مِنَ الأدلَّةِ ولا في الردِّ على المبتدعةِ[2] . . إلا وأتىٰ بهِ ، رحمَهُ اللهُ .

ولهُ شعرٌ حسنٌ ؛ فمنهُ[3] : [من الرجز]

يَا مَنْ عَدَا ثُمَّ ٱعْتَدَىٰ ثُمَّ ٱقْتَرَفْ ثُمَّ ٱنْتَهَىٰ ثُمَّ ٱرْعَوَىٰ ثُمَّ ٱعْتَرَفْ

أَبْشِرْ بِقَوْلِ ٱللهِ فِي آيَاتِهِ ﴿ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[4]

* * *

(١) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص٣٩٤) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٤٧٨ـ٤٧٩) .

(٢) عدَّد مصنفاته الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٥/ ١٤٠) ، ومن كتبه : « أصول الدين » ، و« الفَرْق بين الفِرَق » ، وهما كتابان عظيمان في بابهما .

(٣) أخرجهما ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٧٩) ، وقال ابن السبكي في « طبقاته » (٥/ ١٣٩) بعد إيراده هـٰذين البيتين : (قلت : في استعمال مثلِ الأستاذ أبي منصور مثلَ هـٰذا الاقتباس في شعره . . فائدةٌ ؛ فإنه قدوة في العلم والدين ، وبعضُ أهل العلم ينهىٰ عن مثل ذلك ، وربما شدَّد فيه وجنح إلىٰ تحريمه ، والصوابُ : الجواز ، ثم الأحسن : تركه ؛ تأدُّباً مع الكتاب العزيز ، ونظيره : ضرب الأمثال من القرآن ، وتنزيلُهُ في النكت الأدبيَّة ، وهـٰذا فنٌّ لا تسمح نفس الأديب بتركه ، واللائقُ بالتقوىٰ أن يُترك ، وأكثرُ الناس رأيتُ تشدُّداً في ذلك : المالكيَّة ، ومع هـٰذا : فقد فعله كثير من فقهائهم) .

(٤) الآية من سورة الأنفال : (٣٨) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ المُسنِدُ أبو ذرٍّ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ الهَرَويُّ(١)

سافرَ الكثيرَ ، وحدَّثَ(٢) : عن أبي منصورٍ البغداديِّ(٣) ، وبشرِ بنِ محمدٍ المُزَنيِّ ، وطبقتِهِم ، وخرجَ إلىٰ مكةَ فسكنَها ، ثمَّ تزوَّجَ في العربِ ، [وأقامَ بالسَّرَواتِ] ، وكانَ يحجُّ في كلِّ عامٍ ، ويُقيمُ بمكَّةَ أيامَ الموسمِ ويُحدِّثُ ، ثمَّ يخرجُ ويرجعُ إلىٰ أهلِهِ بالسَّرَواتِ .

ذكرَ الحافظُ ابنُ عساكرَ قالَ : (حدَّثنا أبو محمدٍ هبةُ اللهِ بنُ أحمدَ الأَكْفانيُّ ، حدَّثَنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ أحمدَ ابنِ أبي حريصةَ قالَ : بلغَني أنَّ أبا ذرٍّ عبدَ اللهِ بنَ أحمدَ الهرويَّ الحافظَ رحمَهُ اللهُ كانَ مقيماً بمكةَ وبها ماتَ ، وكانَ علىٰ مذهبِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، ومذهبِ أبي الحسنِ الأشعريِّ)(٤)

ونقلَ أيضاً عن أبي عليٍّ الحسنِ ابنِ تقيٍّ الجُذاميِّ المالكيِّ(٥) ، قالَ : سمعتُ بعضَ الشيوخِ يقولُ : [قيلَ] لأبي ذرٍّ الهرويِّ : أنتَ مِنْ هَرَاةَ ، فمِنْ أينَ لكَ تمذهبتَ بمذهبِ مالكٍ والأشعريِّ ؟! فقالَ : سببُ ذلكَ : أنِّي قدمتُ بغدادَ لطلبِ الحديثِ ، فلزمتُ الدارقطنيَّ ، فلمَّا كانَ في بعضِ الأيامِ كنتُ

---

(١) كذا في (أ ، ب) و« المنتظم » (١٥ـ ٢٧٨) ، وفي « التبيين » (ص٤٨٠) وكثير من المصادر والمراجع : (عبد) بدل (عبد اللهِ) .

(٢) أي : ببغداد ، كما في « التبيين » (ص٤٨٠) .

(٣) كذا في (أ ، ب) ، وفي « التبيين » (ص٤٨٠) : (النضروي) ، وهو العباس بن الفضل بن زكريا . انظر « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٣٩٠) .

(٤) تبيين كذب المفتري (ص٤٨٠) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٣٩٣) .

(٥) في « التبيين » : (المالقي) بدل (المالكي) .

معَهُ ، فاجتازَ القاضي أبو بكرِ بنُ الطيِّبِ ، فأظهرَ الدارقطنيُّ مِنْ إكرامِهِ ما تعجَّبتُ مِنْهُ ، فلمَّا فارقَهُ قلتُ لهُ : أيُّها الشيخُ الإمامُ ؛ مَنْ هٰذا الذي أظهرتَ مِنْ إكرامِهِ ما رأيتُ ؟ فقالَ : أَوَما تعرفُهُ ؟! قلتُ : لا ، قالَ : هٰذا سيفُ السنَّةِ أبو بكرِ الأشعريُّ ، فلزمتُ القاضيَ منذُ ذلكَ وأقبلتُ عليهِ ، واقتدَيتُ بهِ في مذهبَيْهِ جميعاً[1] .

ذكرَهُ الخطيبُ فقالَ : (كانَ ثقةً فاضلاً ، ديِّناً ضابطاً ، وكانَ يذكرُ أنَّ مولدَهُ في سنةِ خمسٍ ـ أو ستٍّ ـ وخمسينَ وثلاثِ مئةٍ ، يشكُّ في ذلكَ ، وماتَ بمكةَ لخمسٍ خلونَ مِنْ ذي القَعْدةِ سنةَ أربعٍ وثلاثينَ وأربعِ مئةٍ)[2] ، رحمَهُ اللهُ .

* * *

(١) تبيين كذب المفتري (ص٤٨١) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٣٩٢) ، وفي هٰذا الخبر احترام كبير وشهادة عظيمة من الإمام الحافظ المجوِّد الجهبذ شيخ الإسلام أبي الحسن الدارقطني في حق إمام أهل السنة والجماعة أبي بكر الباقلاني رحمهما الله تعالىٰ .

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٤٢) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٨٠) .

ومنهُمْ :

الشيخُ أبو بكرٍ الدمشقيُّ الزاهدُ رحمَهُ اللهُ

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (أخبرَنا الشيخُ أبو محمدٍ هبةُ اللهِ بنُ أحمدَ ، حدثَّنَا أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ الصوفيُّ ، حدَّثَنا نجا بنُ أحمدَ العطَّارُ قالَ : تُوفِّيَ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الجَرْميِّ بنِ الحسينِ المقرئُ في صفرٍ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وأربعِ مئةٍ .

حدَّثَ : عنِ ابنِ أبي الزَّمْزامِ ، والفضلِ بنِ جعفرٍ ، وغيرِهِما .

قالَ عبدُ العزيزِ : وكانَ يذهبُ مذهبَ أبي الحسنِ الأشعريِّ)[1]

ولهُ حكايةٌ ذكرَها الحافظُ ابنُ عساكرَ اتَّفقَتْ لهُ معَ والي دمشقَ جيشِ ابنِ الصَّمْصامةِ المتولِّي مِنْ قِبَلِ المصريينَ[2]

* * *

(١) تبيين كذب المفتري (ص٤٨٢) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٥٣/ ٣٤٢) .

(٢) وكانت مصر في ذلك الوقت تحت حكم الفاطميين ، وكان جيشٌ هـٰذا سفَّاكاً للدماء ، شديدَ التعدِّي على الأموال ، مظهراً لسب السلف ، والحكايةُ المشار إليها : هي (أنَّ أبا بكر ابن الجَرْمي كان من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، وأنه صادف في بعض الأيام أحمالاً من الخمر قد أُتي بها لوالي دمشق جيش ابن الصمصامة الوالي من قبل المصريين ، وكان جيش هـٰذا عاتياً جبَّاراً ، فأراقها كلَّها أبو بكر عند بيت لَهْيا ، وكان جيشٌ ينزل في بيت لهيا ، فأُبلغ جيشٌ الخبر ، فأمر بإحضاره ، فسأله عن أشياءَ من القرآن والحديث والفقه ، فوجده عالماً بما سأله عنه ، فنظر إلىٰ شاربه فوجده مقصوصاً ، ثم نظر إلىٰ أظافيره فوجدها مُقلَّمة ، فأمر بأن يُنظَر إلىٰ عانته فوجدوه قد حلق عانته ، فقال له جيشٌ : اذهب ؛ فقد نجوتَ مني ، ولو وجدت فيك ما أحتجُّ به عليك لم تنجُ) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٨٣) .

ومنهُم :

الإمامُ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ يوسفَ ابنِ حَيُّويَه الجُوَينيُّ ثمَّ النيسابوريُّ(١)

المُلقَّبُ (ركنَ الإسلامِ) ، الفقيهُ الأصوليُّ ، النَّحْويُّ الأديبُ ، المُفسِّرُ ، أوحدُ زمانِهِ .

تخرَّجَ بهِ جماعةٌ مِنْ أئمَّةِ الإسلامِ ، وكانَ لصيانتِهِ وديانتِهِ مَهيباً مُحترَماً بينَ التلامذةِ ، ولا يجري بينَ يديهِ إلا الجِدُّ ، والبحثُ والتحريضُ على التحصيلِ(٢) .

لهُ في الفقهِ تصانيفُ كثيرةُ الفوائدِ ؛ مثلُ : « التبصرةِ »(٣) ، و« التذكرةِ » ، و« مختصرِ المختصرِ »(٤) ، ولهُ « التفسيرُ الكبيرُ » المشتملُ على عشرةِ أنواعٍ في كلِّ آيةٍ ، ولهُ « المسلسلُ »(٥) ، ولهُ « الفرقُ والجمعُ » ، وغيرُ ذلكَ مِنَ الكتبِ(٦) .

---

(١) وهو والد الإمام الكبير أبي المعالي الجويني رحمه الله تعالىٰ ، وستأتي ترجمته في (١/ ٤٤٧ـ٤٤٨) .

(٢) في « التبيين » : (والحث) بدل (والبحث) .

(٣) وهـٰذا الكتاب موضوع للكلام عن الوسوسة ، وهو كتاب نافع نفيس ، قال عنه الإمام النووي في « المجموع » (١/ ٢٠٧) : (وهو كتاب نافع كثير النفائس) .

(٤) وهو مختصر لـ « مختصر المزني » رحمه الله تعالىٰ .

(٥) كذا في (أ ، ب) ، والمشهور : أنَّ اسم الكتاب هو « السِّلْسلة » ، قال الإمام الإسنوي في « المهمات » (١/ ١٢٠) : (وسمَّاه بذلك ؛ لأنه يبني فيه مسألةً على مسألة ، ثم يبني المبني عليها على أخرىٰ ، ويكرر ذلك في بعض المسائل) .

(٦) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ٧٥ـ٧٦) .

قالَ عبدُ الغافرِ الفارسيُّ : (سمعتُ خالي الإمامَ أبا سعيدٍ عبدَ الواحدِ بنَ عبدِ الكريمِ القشيريَّ يقولُ : كانَ أئمَّتُنا في عصرِهِ والمُحقِّقُونَ مِنْ أصحابِنا يعتقدُونَ فيهِ مِنَ الكمالِ والفضلِ والخصالِ الحميدةِ أنَّهُ لو جازَ أنْ يُبعَثُ نبيٌّ في عصرِهِ.. لَمَا كانَ إلا هوَ ؛ مِنْ حسنِ ظنِّهِم فيهِ ، وحسنِ طريقتِهِ ، وورعِهِ وزهدِهِ ، وديانتِهِ في كمالِ فضلِهِ)[1]

سمعتُ الشيخَ الإمامَ وجيهَ الدينِ البَهْنَسيَّ[2] رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ذكرَ الشيخُ الإمامُ شرفُ الدينِ ابنُ أبي الفضلِ قالَ[3] : لمَّا دخلتُ في رحلتي نيسابورَ ، وكنتُ مُتطلِّعاً لاقتناءِ الكتبِ وتحصيلِها والوقوفِ على غريبِها[4] . . ذُكِرَ لي أنَّ بها خزانةَ كتبٍ بجامعِها قدِ ارتدمَتْ بترابٍ عظيمٍ لا يُوصَلُ إليها إلا بعدَ مكابدةِ مشقَّةٍ عظيمةٍ وغرامةِ جملٍ مِنَ المالِ[5] .

فقلتُ : أمَّا المالُ فأنا أغرمُ جميعَ ما يحصلُ مِنَ الكُلَفِ مِنْ مالي ، ثمَّ استعنتُ بمُتولِّي البلدِ في الرجالِ والدوابِّ .

---

(١) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص٣٠١) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٤٨٤ـ٤٨٥) .

(٢) ضبطه في « الأنساب » (٢/ ٣٧٤) : (البَهْنَسي) بفتح الهاء وسكون النون ، والبهنسيُّ من كبار شيوخ المؤلف ، وسيذكر له ترجمة حافلة ، وسيورد عنه نقولاتٍ نفيسةً ، ومنها هـٰذا النقل ، وانظر (٢/ ١٩٤ـ١٩٧) .

(٣) شرف الدين : هو الإمام النحوي الرحَّالة أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلمي الأندلسي المُرْسي ، وستأتي ترجمته في (٢/ ٤٢ـ٤٣) .

(٤) وقال الإمام الذهبي في « السير » (٢٣/ ٣١٨) نقلاً عن خط الكندي في « تذكرته » : (إنَّ كتب المرسي ـ أي : الإمام شرف الدين ابن أبي الفضل ـ كانت مودَعةً بدمشق ، فرسم السلطان ببيعها ، فكانوا في كل ثلاثاءَ يحملون منها جملة إلىٰ دار السعادة ، ويحضر العلماء ، وبيعت في نحو من سنة ، وكان فيها نفائس ، وأحرزتْ ثمناً عظيماً) .

(٥) أي : مقدار ما يحمله الجمل من المال .

فلم يكنْ إلا مُدَّةٌ لطيفةٌ حتىٰ ظهرَتِ الخِزانةُ ودخلتُها ، فوجدتُ مِنْ جملةِ ما وجدتُ بها للإمامِ أبي محمدٍ الجُوَينيِّ مئتي تصنيفٍ)[1] .

ويكفيهِ فضلاً وفخراً في الدنيا والآخرةِ ولدُهُ الإمامُ أبو المعالي[2] .

تُوفِّيَ أبو محمدٍ سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ وأربعِ مئةٍ في ذي القَعْدةِ ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ[3] .

* * *

---

(١) وهـٰذا نص نفيس لا أحسبه موجوداً في غير هـٰذا الكتاب ، وهو يفيد الباحثين في أكثر من مجال ، ويفتح باب النظر وبيان المراد من قول بعض الأئمة ـ كما نقله الإمام السبكي في « طبقاته » (٤/ ٣٤٤) ، وقبله ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٢/ ١٣٥) ـ : (الأئمة بخراسان ثلاثة : مُكثِرٌ مُحقِّق ، ومُقِلٌّ محقق ، ومكثر غير محقق ، فأما المكثر المحقق : فالشيخ أبو علي السِّنْجي ، وأما المقل المحقق : فالشيخ أبو محمد الجويني ، والمكثر غير المحقق : فالفقيه ناصر العمري المروزي) ، وذكر الإمام التاج السبكي مصنفاته ، فلم تتجاوز عشرة مصنفات .

(٢) وقال الإمام ابن السبكي في « الطبقات » (٥/ ٧٥) : (ورُوي أنَّ الشيخ أبا محمد رأىٰ إبراهيم الخليل عليه السلام في المنام ، فأومأ لتقبيل رجليه ، فمنعه ذلك تكريماً له ، قال : فقبَّلتُ عَقِبَيْهِ ، وأوَّلتُ ذلك البركةَ والرِّفعة تكون في عَقِبي .
قلتُ : فأيُّ بركةٍ ورفعة مثل إمام الحرمين ولدِهِ ؟!) .

(٣) وبعد ترجمة أبي محمد الجويني في « التبيين » ترجمةُ أبي القاسم الهمذاني ، ولعلها سقطت سهواً ، وإليك ترجمته مختصرةً من « تبيين كذب المفتري » :
ومنهم : أبو القاسم بن أبي عثمان الهَمَذاني البغدادي رحمه الله :
روى الحافظ ابن عساكر بسنده إلى الخطيب البغدادي قال : (علي بن الحسن بن محمد بن المُنْتاب ، أبو القاسم ، المعروف بـ « ابن أبي عثمان » الدقاق .
سمع : أبا بكر بن مالك القَطِيعي ، وأبا محمد ابن ماسي ، وعلي بن محمد الرزَّاز .
كتبت عنه ، وكان شيخاً صالحاً صدوقاً ديِّناً ، حسن المذهب ، يسكن نهر القلائين .
وسألته عن مولده ، فقال : في ذي الحجة من سنة خمس وخمسين وثلاث مئة .
ومات في يوم السبت السابع والعشرين من شهر ربيع الأول ، سنة أربعين وأربع مئة ، ودفن في مقبرة الشُّونيزي) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٨٦) .

ومنهُمْ :

القاضي أبو جعفرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ ابنِ محمودٍ السِّمْنانيُّ[1]

ذكرَهُ الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ ؛ فقالَ : (**أبو جعفرٍ** : سكنَ بغدادَ ، **وحدَّثَ بها** : عن عليِّ بنِ عمرَ السُّكَّريِّ ، وأبي الحسنِ الدارقطنيِّ ، وأبي القاسمِ ابنِ حامدٍ[2] ، وغيرِهِم مِنَ البغداديينَ .

وكانَ ثقةً عالماً سخيّاً فاضلاً ، حسنَ الكلامِ ، عراقيَّ المذهبِ ـ يعني : حنفيّاً ـ **ويعتقدُ في الأصولِ مذهبَ الأشعريِّ** ، وكانَ لهُ في دارِهِ مجلسُ نظرٍ يحضرُهُ الفقهاءُ والمُتكلِّمُونَ[3] ، وكانَ قاضياً بالموصلِ ، ولم يزلْ بها إلىٰ أنْ ماتَ .

وُلِدَ سنةَ إحدىٰ وستينَ وثلاثِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ يومَ الاثنينِ سادسِ شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ أربعٍ وأربعينَ وأربعِ مئةٍ)[4] ، رحمَهُ اللهُ .

* * *

---

(١) وضبطه في « الأنساب » (٧/ ٢٣٩) بفتح الميم .

(٢) كذا في (أ ، ب) ، وفي « تاريخ بغداد » و« التبيين » : (ابن حَبَابة) بدل (ابن حامد) ، ولعله الصواب ، **وابن حَبَابة** : هو الإمام المسند عبيد الله بن محمد بن إسحاق البغدادي المَتُّوثي البزاز (ت ٣٨٩هـ) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٥٤٨) .

(٣) في « تاريخ بغداد » و« التبيين » : (ويتكلمون) .

(٤) تاريخ بغداد (١/ ٣٧٢) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٨٧ـ٤٨٨) .

ومنهُم :

أبو حاتِمٍ محمودُ بنُ الحسنِ الطبريُّ[1]

تفقَّهَ بآمُلَ : علىٰ شيوخِ البلدِ ، ثمَّ قدمَ بغدادَ ، وحضرَ مجلسَ الشيخِ أبي حامدٍ[2] ، ودرسَ الفرائضَ : على الشيخِ أبي الحسينِ بنِ اللبَّانِ ، وأصولَ الفقهِ : علىٰ أبي بكرٍ الأشعريِّ[3] .

ذكرَ ذلكَ الشيخُ أبو إسحاقَ وقالَ : (درَّسَ ببغدادَ وآمُلَ ، وصنَّفَ كتباً كثيرةً في الأصولِ والخلافِ والمذهبِ والجدلِ ، ولم أنتفعْ بأحدٍ في الرحلةِ كما انتفعتُ بهِ وبالقاضي أبي الطيِّبِ ، تُوفِّيَ بآمُلَ)[4] ، [. . .][5] .

* * *

(١) كذا في « التبيين » (ص٤٨٩) ، و« طبقات الفقهاء » (ص١٣٠) ، وأكمل الإمام النووي في « تهذيبه » (٢/٢٠٧) نسبه نقلاً عن بعضهم فقال : (هو : محمود بن الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد بن عكرمة بن أنس بن مالك الأنصاري الطبري. . .) .

(٢) هو الإمام الكبير أبو حامد الإسفراييني رحمه الله تعالىٰ ، هـٰذا ؛ ويعتبر أبو حاتم الطبري من أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي .

(٣) هو إمام أهل السنة والجماعة في زمانه أبو بكر الباقلاني رحمه الله تعالىٰ .

(٤) طبقات الفقهاء (ص١٣٠) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٨٩) .

(٥) بياض في (أ ، ب) ، وابن عساكر لم يذكر وفاته ، فلعل المؤلف ترك هـٰذا البياض حتىٰ يبحث عن سنة وفاته ، مما يؤكد أنَّ المُؤلِّف لم يُتح له تبييض هـٰذا الكتاب ، والله تعالىٰ أعلم ، وبعد ترجمة أبي حاتم الطبري في « التبيين » ترجمةُ أبي الحسن بن نظيف ، ولعلها سقطت سهواً ، وإليك ترجمته من « تبيين كذب المفتري » :

ومنهم : أبو الحسن رشأ بن نظيف المقرىء الدمشقي رحمه الله :

روى الحافظ ابن عساكر بسنده إلىٰ عبد العزيز الكتاني قال : (توفي شيخنا أبو الحسن =

ومنهُمْ :

الشيخُ أبو محمدِ بنُ اللبَّانِ

ذكرَهُ أبو بكرٍ الخطيبُ ؛ فقالَ : (عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ النعمانِ بنِ عبدِ السلامِ بنِ حبيبِ بنِ حُطَيطِ بنِ عقبةَ بنِ خُثَيمٍ[1] بنِ وائلِ بنِ مُهانةَ بنِ تيمِ اللهِ بنِ ثعلبةَ بنِ عُكابةَ بنِ صعبِ بنِ عليِّ بنِ بكرِ بنِ وائلٍ الأصفهانيُّ ، أبو محمدٍ ، المعروفُ بـ « ابنِ اللبَّانِ » ، أحدُ أوعيةِ العلمِ .

سمعَ بأصفهانَ : أبا بكرِ بنَ المقرئِ ، وعليَّ بنَ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ مِيْلَهْ ، وغيرَهُم ، وسمعَ ببغدادَ : أبا طاهرٍ المُخَلِّصَ ، وبمكةَ : أبا الحسنِ ابنَ فراسٍ .

صحبَ القاضيَ أبا بكرٍ الأشعريَّ ، ودرسَ عليهِ : أصولَ الدياناتِ وأصولَ الفقهِ ، ودرسَ فقهَ الشافعيِّ : علىٰ أبي حامدٍ الإسفرايينيِّ ، وقرأَ القرآنَ بعدَّةِ

= رشأ بن نظيف بن ما شاء اللهُ يوم السبت بعد صلاة العصر ، السابع والعشرين من المحرم ، سنة أربع وأربعين وأربع مئة ، ودفن يوم الأحد .
وكان ثقة مأموناً ، مضىٰ علىٰ سداد وأمر جميل .
حدَّث : عن عبد الوهاب بن الحسن بن الوليد الكلابي ، وغيره من المصريين والعراقيين ، وغيرهم .
انتهت إليه الرئاسة في قراءة ابن عامر رحمه الله ، قرأ على ابن داود وغيره) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٩٠) .

(١) في (ب) : (جُشم) ، وذكره المزي في « تهذيبه » (٢٩/ ٤٥٢) بصيغة التضعيف .

رواياتٍ ، ووليَ قضاءَ إيذَجَ[1] ، وحدَّثَ ببغدادَ ، ولهُ كتبٌ كثيرةٌ مُصنَّفةٌ ، وكانَ مِنْ أحسنِ الناسِ تلاوةً للقرآنِ) .

ذكرَ ذلكَ كلَّهُ أبو بكرٍ ، قالَ : (وسمعتُهُ يقولُ : حفظتُ القرآنَ ولي خمسُ سنينَ .

أدركَ ابنُ اللبَّانِ شهرَ رمضانَ سنةَ سبعٍ وعشرينَ وأربعِ مئةٍ وهوَ ببغدادَ ، فصلَّىٰ بالناسِ صلاةَ التراويحِ في جميعِ الشهرِ ، وكانَ إذا فرغَ مِنْ صلاتِهِ بالناسِ في كلِّ ليلةٍ . . لا يزالُ قائماً يُصلِّي في المسجدِ حتىٰ يطلعَ الفجرُ ، فإذا صلَّىٰ درَّسَ أصحابَهُ) .

قالَ : (وسمعتُهُ يقولُ : لم أضعْ جنبي للنومِ في هـٰذا الشهرِ ليلاً ولا نهاراً .

[وكانَ وِرْدُهُ كلَّ ليلةٍ فيما يُصلِّي لنفسِهِ سُبُعاً مِنَ القرآنِ ، يقرؤُهُ بترتيلٍ وتمهُّلٍ ، ولم أرَ أجودَ ولا أحسنَ قراءةً منهُ .

ماتَ بأصبهانَ في جمادى الآخرةِ مِنْ سنةِ ستٍّ وأربعينَ وأربعِ مئةٍ)[2]

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (وسمعتُ ببغدادَ مَنْ يحكي : أنَّ أبا يعلى بنَ الفرَّاءِ وأبا محمدٍ التميميَّ شيخَيِ الحنابلةِ كانا يقرأانِ علىٰ أبي محمدٍ بنِ اللبَّانِ الأصولَ في دارِهِ ، وكلُّ واحدٍ منهُما يُخفي ذلكَ عن صاحبِهِ ، فاجتمعا يوماً في دهليزِهِ ، فقالَ أحدُهُما لصاحبِهِ : ما جاءَ بكَ ؟! فقالَ : الذي جاءَ بكَ ، فقالَ : اكتُمْ عليَّ وأكتمَ عليكَ ، واتَّفقا علىٰ ألا يعودا إليهِ بعدَ ذلكَ ؛ خوفاً أن يطَّلعَ عوامُّهُم علىٰ حالِهِما في القراءةِ عليهِ)[3] .

---

(١) إيذَج : مدينة بين خوزستان وأصبهان . انظر « معجم البلدان » (١/ ٢٨٨) .

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٤٣ـ١٤٤) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٩١ـ٤٩٢) .

(٣) تبيين كذب المفتري (ص٤٩٢) ، وعند قوله السابق : (ليلاً ولا نهاراً) انتهت الورقة =

= (١٠١/أ) من الأصل ، وجاء قوله : (ثقة حافظاً مكثراً) الآتي صدرَ الورقة (١٠١/ب) ، فسقط بين ذينك بعض الورقات ، وقد ضمَّت خمس تراجم ، وإليك هـٰذه التراجمَ مختصرةً من « تبيين كذب المفتري » :

ومنهم أبو الفتح سُليم بن أيوب الرازي رحمه الله تعالىٰ :

روى الحافظ ابن عساكر عن شيخه الفقيه أبي الحسن بن المُسلَّم قال : حدثني أبو نصر الطُّرَيثيثي قال : سمعت الفقيه سُليماً يقول : دخلتُ بغداد في حداثتي أطلب علم اللغة ، فكنت آتي شيخاً ، فبكَّرت في بعض الأيام إليه ، فقيل لي : هو في الحمَّام ، فمضيت نحوه ، فعبرت في طريقي على الشيخ أبي حامد الإسفرايني وهو يملي ، فدخلت المسجد وجلست مع الطلبة ، فوجدته في (كتاب الصيام) في هـٰذه المسألة : (إذا أولج ثم أحسَّ بالفجر فنزع) ، فاستحسنت ذلك ، وعلَّقت الدرس علىٰ ظهر جزء كان معي ، فلمَّا عدت إلىٰ منزلي وجعلت أعيد الدرس . . حلا لي ، وقلت : أتم هـٰذا الكتاب ـ يعني : (كتاب الصيام) ـ فعلَّقت (كتاب الصيام) ، ولزمت الشيخ أبا حامد حتىٰ علَّقت عليه جميع التعليق .

وقال أبو نصر : سمعت سليماً يقول : (وَضَعَتْ مني صورُ ، ورفعَتْ من أبي الحسن بن المحاملي بغدادُ) .

وقال أبو الفرج التنوخي الصوري : (وكان فقيهاً جيِّداً مشاراً إليه في علمه ، صنَّف الكثير في الفقه وغيره ، ودرَّس وحدَّث عن أبي حامد الإسفرايني وغيره ، وحدَّثنا عنه جماعة ، وهو أول من نشر هـٰذا العلم بصور ، وانتفع به جماعة ، وكان أحدَ من تفقه عليه بها أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي .

وحُدِّثت عنه : أنه كان يحاسب نفسه على الأنفاس ، لا يدع وقتاً يمضي عليه بغير فائدة ؛ إما ينسخ ، أو يُدرِّس ، أو يقرأ ، ونسخ شيئاً كثيراً) .

توفي غرقاً في بحر القلزم عند ساحل جدة بعد عوده من الحج ، في صفرٍ سنة سبع وأربعين وأربع مئة ، وكان قد نيَّف على الثمانين . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٩٣ـ٤٩٤) .

ـ وأبو عبد الله محمد بن علي الخبَّازي المقرئ النيسابوري رحمه الله تعالىٰ :

قال عبد الغافر الفارسي : (رحل إلى الكُشْمِيهَني لسماع « الصحيح » ، فسمعه وقُرِئ عليه ، وكان الاعتماد في وقته علىٰ سماعه ونسخته ، وكان يُحيي الليل بالقراءة والدعاء والبكاء ، حتىٰ قيل : إنه كان مستجاب الدعوة ، لم يُرَ بعده مثلُهُ) .

وحكىٰ أبو المحاسن الطَّبَسي عن بعض مشايخه : أنه لمَّا امتُحن أصحابنا بنيسابور في أيام=

= الكُنْدُري . . كان فيهم من خرج عن البلد ، وفيهم من أجاب إلى التبرّي من المذهب ، وأن الخبَّازي امتنع من الإجابة ، ولم يخرج من البلد ، ولازم بيته إلىٰ أن مات صابراً علىٰ دينه ، معتصماً بقوة يقينه .

توفي في شهر رمضان سنة سبع وأربعين وأربع مئة ، وصلَّىٰ عليه أبو عثمان الصابوني . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص ٤٩٥ـ٤٩٦) .

ـ والإمام أبو الفضل محمد بن عبيد الله ابن عُمْرُوسٍ البغدادي البزاز رحمه الله تعالىٰ :

قال الخطيب البغدادي : (كان أحد الفقهاء علىٰ مذهب مالك ، وكان أيضاً من حُفَّاظ القرآن ومدرِّسيه .

سمع : أبا القاسم ابن حَبابة ، وأبا حفص ابن شاهين ، وأبا طاهر المُخلِّص وأبا القاسم بن الصيدلاني .

كتبت عنه ، وكان ديِّناً ثقة مستوراً ، وإليه انتهت الفتوىٰ في الفقه علىٰ مذهب مالك ببغداد ، وقَبِلَ قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني شهادته ، وكان يسكن بباب الشام .

سألت أبا الفضل عن مولده ، فقال : في رجب من سنة اثنتين وسبعين وثلاث مئة ، وبلغنا ونحن بدمشق أنه مات في أوَّل المحرم من سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٩٧ـ ٤٩٨) .

ـ والأستاذ أبو القاسم عبد الجبار بن علي الإسفرايني ، المعروف بـ (الإسكاف) رحمه الله تعالىٰ :

قال عبد الغافر الفارسي : (شيخ كبير جليل من أفاضل العصر ، ورؤوس الفقهاء والمتكلمين من أصحاب الأشعري ، إمام دويرة البيهقي ، له اللسان في النظر والتدريس ، والقدم في الفتوىٰ ، مع لزوم طريقة السلف ؛ من الزهد والفقر والورع ، كان عديم النظير في فنِّه ، ما رُئي مثله .

قرأ عليه إمام الحرمين الأصول ، وتخرَّج بطريقته .

عاش عالماً عاملاً ، وتوفي يوم الاثنين الثامن والعشرين من صفرٍ سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٩٩) .

ـ وشيخ السنة الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري رحمه الله تعالىٰ :

قال الحافظ ابن عساكر : (سمعت أبا بكر البغدادي يقول : سمعت من يحكي عن الإمام أبي المعالي الجويني أنه قال : ما من شافعي إلا وللشافعي عليه مِنَّةٌ ، إلا أحمدَ البيهقيَّ ؛ =

* * *

= فإنَّ له على الشافعي مِنَّـةً ؛ لتصانيفه في نصرة مذهبه وأقاويله) .

وقال فيه الحافظ عبد الغافر الفارسي : (الإمام الحافظ الفقيه الأصولي ، الدَّيِّن الورع ، واحدُ زمانه في الحفظ ، وفرد أقرانه في الإتقان والضبط ، من كبار أصحاب الحاكم أبي عبد الله الحافظ والمكثرين عنه ، ثم الزائد عليه في أنواع العلوم .

كتب الحديث وحفظه من صباه ، إلىٰ أن نشأ وتفقَّه وبرع فيه ، وشرع في الأصول ، ورحل إلى العراق والجبال والحجاز .

ثم اشتغل بالتصنيف ، وألَّف من الكتب ما لعلَّه يبلغ قريباً من ألف جزء ممَّا لم يسبقه إليه أحد ، جمع في تصانيفه بين علم الحديث والفقه ، وبيان علل الحديث ، والصحيح والسقيم ، وذكر وجوه الجمع بين الأحاديث ، ثم بيان الفقه والأصول ، وشرح ما يتعلَّق بالعربية .

وكان رحمه الله علىٰ سيرة العلماء ، قانعاً من الدنيا باليسير ، متجمِّلاً في زهده وورعه) .

ولد في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاث مئة ، وتوفي في جمادى الأولىٰ سنة ثمان وخمسين وأربع مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٠٠ـ٥٠٢) ، وقد أورد المؤلف رسالته في مدح الإمام الأشعري والنضال عنه في (١/ ٣٢٩ـ٣٣١) .

ذكر الطبقة الرابعة من أتباع أبي الحسن

ومنهُم :

أبو بكرٍ البغداديُّ الحافظُ المعروفُ بـ (الخطيبِ)

قرأَ ابنُ عساكرَ على الشيخِ أبي محمدٍ عبدِ الكريمِ السُّلَميِّ عن أبي نصرِ ابنِ ماكولا الحافظِ قالَ :

(إنَّ أبا بكرٍ أحمدَ بنَ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبَ البغداديَّ كانَ أحدَ الأعيانِ ممَّنْ شاهدْناهُ ؛ معرفةً وإتقاناً وحفظاً وضبطاً لحديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وتفنُّناً في عللِهِ وأسانيدِهِ ، وخبرةً برواتِهِ وناقليهِ ، وعلماً بصحيحِهِ وغريبِهِ ، وفَرْدِهِ ومُنْكرِهِ ، وسقيمِهِ ومطروحِهِ ، ولم يكنْ للبغداديينَ بعدَ أبي الحسنِ عليِّ بنِ عمرَ الدارقطنيِّ مَنْ يجري مجراهُ ، ولا قامَ بعدَهُ منهُم بهـٰذا الشأنِ سواهُ .

وقدِ استفدنا كثيراً مِنْ هـٰذا اليسيرِ الذي نحسنُهُ بهِ وعنهُ ، وتعلَّمنا شطراً مِنْ هـٰذا القليلِ الذي نعرفُهُ بتنبيهِهِ ومنهُ ، فجزاهُ اللهُ تعالىٰ عنَّا الخيرَ ولقَّاهُ الحُسنىٰ ، ولجميعِ مشايخنا وأئمَّتِنا ، ولجميعِ المسلمينَ) .

وقالَ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ الكتَّانيُّ : (أسمعَ الحديثَ وهوَ ابنُ عشرينَ سنةً ، وكتبَ عنهُ شيخُهُ أبو القاسمِ الأزهريُّ عبيدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ في سنةِ اثنتي عشرةَ ، وكتبَ عنهُ شيخُهُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمدٍ البرقانيُّ في سنةِ تسعَ عشرةَ وأربعِ مئةٍ .

وكانَ قد علَّقَ الفقهَ عنِ القاضي أبي الطيبِ طاهرِ الطبريِّ ، وأبي نصرِ بنِ الصبَّاغِ .

وكانَ يذهبُ إلىٰ مذهبِ الأشعريِّ رحمَهُ اللهُ) .

وكانَ قد رحلَ إلىٰ نيسابورَ وأصبهانَ والبصرةِ وغيرِها ، وكانَ][1] ثقةً حافظاً ، مُكثِراً مِنَ الحديثِ ، تصدَّقَ قبلَ موتِهِ بجميعِ مالِهِ ؛ وهوَ مئتا دينارٍ ، وفرَّقَ ذلكَ علىٰ أصحابِ الحديثِ والفقهاءِ والفقراءِ في مرضِهِ ، ووصَّىٰ بأنْ يُتصدَّقَ بجميعِ ما يُخلِّفُهُ مِنْ ثيابٍ وغيرِها ، ووقفَ جميعَ كتبِهِ علىٰ [المسلمينَ][2] .

تُوفِّيَ صبيحةَ يومِ الاثنينِ السابعِ مِنْ ذي الحجةِ ، سنةَ ثلاثٍ وستينَ وأربعِ مئةٍ ، وحُمِلَ يومَ الثَّلاثاءِ إلى الجامعِ الغربيِّ وصُلِّيَ عليهِ[3] ، ودُفِنَ بالقربِ مِنْ قبرِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ عندَ قبرِ بشرِ بنِ الحارثِ رضيَ اللهُ عنهُ ، وكانَ ممَّنَ حملَ جنازتَهُ الإمامُ أبو إسحاقَ الشِّيرازيُّ .

* * *

(١) ما بين معقوفين تم استكماله مختصراً من « التبيين » علىٰ منهج مقارب لمنهج المؤلف .

(٢) ما بين معقوفين بياض في (ب) ، والمثبت من « التبيين » (ص٥٠٧) .

(٣) في « التبيين » : (الجانب) بدل (الجامع) ، ولعل المؤدىٰ واحد ؛ إذ الجامع الغربي المراد منه جامع المنصور ، وهو يقع في الجانب الغربي من المدينة ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ أبو القاسمِ عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ طلحةَ بنِ محمدٍ القُشَيريُّ الأُسْتُوائيُّ

رأى العبدُ الحقيرُ الضعيفُ ، جامعُ هـٰذا التأليفِ ، أنْ يذكرَ لجماعةٍ ممَّنْ ذكرَهُمُ الحافظُ ابنُ عساكرَ في ابتداءِ تراجمِهِم ثناءً مسجوعاً ؛ ليتشرَّفَ بذلكَ ، وإنْ لم يكنْ هنالكَ ؛ فقلتُ :

البحرُ الذي لا يُساجَلُ ، والحَبْرُ الذي لا يُماثَلُ ، قدِ انعقدَ الإجماعُ علىٰ إمامتِهِ ، وسَلِمَ عنِ النزاعِ مشهورُ كرمِهِ ومأثورُ كرامتِهِ .

إنْ ذُكِرَ التفسيرُ فهوَ ابنُ عباسٍ فنونِهِ ، أوِ الحديثُ فهوَ الحافظُ لأسانيدِهِ ومتونِهِ ، أوِ الفروعُ فأصلُهُ منها نابتٌ ، أوِ الأصولُ فقد بسقَ فرعُهُ منها في السماءِ علىٰ أصلٍ ثابتٍ ، أوِ الزهدُ والورعُ فمنهُ يُتعلَّمُ ، أوِ المعارفُ فالعارفُونَ مُنصِتُونَ حينَ يتكلَّمُ ، قدِ اعترفَ بفضلِهِ النَّديدُ(١) ، واغترفَ مِنْ فضلِهِ المفيدُ والمستفيدُ .

وجدتُ ترجمةً في ذكرِ الأستاذِ أبي القاسمِ القشيريِّ وأهلِ بيتِهِ ، بخطِّ الإمامِ الحافظِ بقيَّةِ السلفِ جمالِ الدينِ أبي محمدٍ عبدِ القادرِ بنِ عبدِ اللهِ الرُّهاويِّ رحمَهُ اللهُ(٢) ؛ قالَ :

---

(١) النَّديد : النظير ، ولا يكون إلا مخالفاً .

(٢) وهو صاحب « الأربعين » المشهورة لدى المحدثين ، وهي أربعون في البلدان المتباينة الأسانيد .

(أخبرَني أبو القاسمِ عليُّ بنُ الحسنِ بنِ هبةِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ الدمشقيُّ[1] إجازةً غيرَ مرَّةٍ قالَ : أخبرَنا الشيخانِ أبو الحسنِ عليُّ ابنُ منصورٍ وأبو منصورٍ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ الحسنِ قالا : أخبرَنا الشيخُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ قالَ : « عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ طلحةَ بنِ محمدٍ ، أبو القاسمِ .

سمعَ : مِنَ الخفَّافِ ، وأبي نُعيمٍ ، وابنِ عَبْدوسٍ المُزكِّي ، وابنِ فُورَكَ ، وأبي عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميِّ .

قدمَ علينا في سنةِ ثمانٍ وأربعينَ وأربعِ مئةٍ ، وكتبْنا عنهُ ، وكانَ يعرفُ الأصولَ علىٰ مذهبِ الأشعريِّ ، والفروعَ علىٰ مذهبِ الشافعيِّ » .

قالَ الخطيبُ : « سألتُ القشيريَّ عن مولدِهِ ، فقالَ : في ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ ستٍّ وسبعينَ وثلاثِ مئةٍ »[2] .

أخبرنا أبو بكرٍ القاسانيُّ إجازةً ، حدَّثَنا عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ بنِ عبدِ الغافرِ الفارسيُّ كتابةً[3] ، قالَ : أصلُهُ مِنْ ناحيةِ أُسْتُوا ، مِنَ العربِ الذينَ وردُوا خراسانَ وسكنُوا النواحيَ ؛ فهوَ قُشَيريُّ الأبِ سُلَميُّ الأمِّ ، وخالُهُ أبو عقيلٍ السُّلَميُّ المائقيُّ مِنْ وجوهِ دهاقينِ أُستُوا .

تُوفِّيَ أبوهُ وهوَ طفلٌ ، فوقعَ إلىٰ أبي القاسمِ الأَليمانيِّ الأديبِ[4] ، فقرأَ عليهِ الأدبَ والعربيَّةَ ، حتىٰ تخرَّجَ وتعلَّمَ العربيةَ .

---

(1) هو الإمام الحافظ الكبير ابن عساكر صاحب « تبيين كذب المفتري » .

(2) انظر « تاريخ بغداد » (١١/ ٨٣) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٥١٠) .

(3) وعبد الغافر : يكون سبطاً للإمام أبي القاسم القشيري رحمهما الله تعالىٰ .

(4) والأليماني : من شيوخ الأديب الكبير أبي منصور الثعالبي ، وقد ترجمه وروىٰ عنه في « يتيمة الدهر » .

وكانَ لهُ ضيعةٌ مُثقَلةٌ بالخراجِ ، فرأىٰ[1] أنْ يحضرَ [البلدَ وهو نيسابورُ] في عُنفُوانِ شبابِهِ ، ويتعلَّمَ شيئاً مِنَ الاستيفاءِ ، ويختلفَ إلى الديوانِ ، ويشرعَ في بعضِ الأعمالِ ، بعدَما أُونِسَ رشدُهُ في العربيَّةِ ، لعلَّهُ يصونُ ضيعتَهُ ، فحضرَ البلدَ علىٰ هٰذهِ العزيمةِ .

فاتَّفقَ حضورُهُ مجلسَ الأستاذِ أبي عليٍّ الحسنِ بنِ عليٍّ الدقَّاقِ ، وكانَ لسانَ وقتِهِ ، فاستحسنَ كلامَهُ ، ووقعَ منهُ موقعَ القَبولِ ، فسلكَ طريقَ الإرادةِ ، وامتدَّ الأمرُ فقبلَهُ وأقبلَ عليهِ ، وأشارَ عليهِ بتعلُّمِ العلمِ ، فخرجَ إلىٰ درسِ أبي بكرٍ محمدِ بنِ بكرٍ الطُّوسيِّ ، وشرعَ في الفقهِ حتىٰ فرغَ مِنَ التعليقِ ، ولهُ حكاياتٌ في اجتهادِهِ وبكورِهِ إلى الدرسِ وإقبالِهِ على التكرارِ والحفظِ يطولُ شرحُها .

ثمَّ اختلفَ بإشارتِهِ إلىٰ أبي بكرٍ ابنِ فُورَكَ ، وكانَ المُقدَّمَ في الأصولِ ، حتىٰ برعَ فيها[2] ، ثمَّ اختلفَ بعدَ وفاةِ أبي بكرٍ إلىٰ أبي إسحاقَ الإسفرايينيِّ[3] ، وجمعَ بينَ الطريقينِ .

ثمَّ نظرَ في كتبِ القاضي أبي بكرٍ الباقلانيِّ ، وهوَ معَ ذلكَ يرافقُ الأستاذَ أبا

---

(١) زاد في نسختينا : (أبي) ، والأنسب حذفها كما في « طبقات الفقهاء الشافعيين » (٢/٥٦٣) .

(٢) وكان الإمام القشيري من أوجه تلامذته وأشدِّهم تحقيقاً وضبطاً . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥١٢) .

(٣) وكان بداية حضوره عنده ـ كما ذكر الحافظ ابن عساكر في « التبيين » (ص٥١٢) ـ يقعد ويسمع جميع دروسه ، وأتىٰ علىٰ ذلك أيام ، فقال له الأستاذ : هٰذا العلم لا يحصل بالسماع ، وما توهَّم فيه ضبطَ ما يسمع ، فأعاد الإمام القشيري عنده ما سمعه منه ، وقرَّره أحسنَ تقرير من غير إخلال بشيء ، فتعجَّب منه ، وعرف محله وأكرمه ، وقال : ما كنت أدري أنك بلغت هٰذا المحل ، فلست تحتاج إلىٰ درسي ، بل يكفيك أن تطالع مصنفاتي ، وتنظر في طريقي ، وإن أشكل عليك شيء طالعتني به ، ففعل ذلك .

عليٍّ ويأخذُ منهُ الطريقةَ ، وقد ذكرَ مبادئَ أمرِهِ معَهُ في « رسالتِهِ » إلىٰ أنِ اختارَهُ لكريمتِهِ فاطمةَ[1] ، فزوَّجَها منهُ علىٰ كُرْهٍ مِنْ أقاربِها[2] .

ثمَّ إنَّهُ عقدَ لهُ المجلسَ في المدرسةِ ، وأمرَهُ أنْ يُخرِّجَ لنفسِهِ فصولاً تصلحُ للمجلسِ ، فكتبَها ، وهيَ علىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ [فصلت : ٣٠] ، فتفاءلَ بهـٰذا الشيخُ في أمرِهِ ، وقالَ : أمرُهُ يستقيمُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، ثمَّ استحضرَ لهُ مشايخَ الوقتِ والأئمَّةَ ، وصوَّبُوا كلامَهُ وأثنَوْا عليهِ ؛ حتَّىٰ إنَّ الأستاذَ أبا سعدٍ الخَرْكُوشيَّ لمَّا سمعَ كلامَهُ قالَ : أنا لا أعرفُ هـٰذا الشابَّ !! فقالَ لهُ الأستاذُ أبو عليٍّ : لا يضرُّهُ ؛ فإنَّهُ يعرفُ كثيراً مِنَ المسائلِ لا تعرفُها أنتَ !!

وُلِدَ لهُ مِنَ الكريمةِ أولادٌ .

ثمَّ ماتَ الأستاذُ أبو عليٍّ ، فاجتمعَ عليهِ جميعُ أصحابِهِ مِنَ الغرباءِ والمقيمينَ ، وانقادُوا إليهِ ، وأذعنُوا لقضائِهِ ، وكانَ إذْ ذاكَ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ شيخَ وقتِهِ ، فوافقَهُ علىٰ ما هوَ فيهِ ، وصارَ معَهُ كما كانَ معَ أبي عليٍّ[3] ، إلىٰ أنْ صارَ أستاذَ خراسانَ .

وسلكَ مسلكاً في أحوالِ الصوفيَّةِ والتجريدِ والتشديدِ على السالكينَ ، ويُحكىٰ مِنْ سيرتِهِ أمورٌ عجيبةٌ[4] .

---

(١) انظر « الرسالة القشيرية » (ص٥١٧ ، ٦١٥) .

(٢) كذا في (أ ، ب) ، والعبارة في « طبقات الفقهاء الشافعيين » (٢/ ٥٦٤) : (فزوجها منه مع كثرة أقاربها) ، وقد حدَّث عنه في « الرسالة » كثيراً ؛ فقلَّما يخلو فصل منها أو باب إلا وللأستاذ أبي علي الدقاق ذِكْرٌ فيه .

(٣) ولازمه حوالي ست سنوات إلىٰ سنة وفاته (٤١٢هـ) ، وحدَّث عنه كثيراً في « رسالته » ، وعلى القول بأنَّ أبا علي الدقاق توفي سنة (٤١٢هـ) ـ وكان قد تقدم أن وفاته سنة (٤٠٥هـ) ـ : فإن هـٰذه الصحبة لم تدم إلا أشهراً قليلة ، والله تعالىٰ أعلم .

(٤) وكان رحمه الله ـ إضافةً إلىٰ ما سبق ويأتي ـ في علم الفروسية واستعمال السلاح وما يتعلَّق=

ثمَّ أخذَ في التصنيفِ ؛ فصنَّفَ « التفسيرَ الكبيرَ » قبلَ العشرِ وأربعِ مئةٍ[1] .

وخرجَ إلى الحجِّ في وَقْفةِ الجُوَينيِّ والبيهقيِّ وجماعةٍ مِنَ المشايخِ المشاهيرِ[2] ، سمعَ معَهُمُ الحديثَ مِنْ أبي الحسينِ ابن بشرانَ ، وأبي الحسينِ ابنِ الفضلِ ، وغيرِهما مِنْ مشايخِ بغدادَ والكوفةِ ومكّةَ ، وعادَ إلىٰ نيسابورَ[3] .

لهُ النثرُ البديعُ ، والنظمُ لفرائدَ رُصِّعَتْ أحسنَ ترصيعٍ ؛ فمِنْ ذلكَ قولُهُ : الكرمُ ـ أطالَ اللهُ بقاءَ الشيخِ ـ يَهْدي المُتوسِّمَ إلىٰ صاحبِهِ ، ويقضي للمُؤمِّلِ بنُجْحِ مطالبِهِ ، وإنِّي أَجَلتُ صواعدَ [قصدي في كلِّ قُطرٍ أَشيمُ برقَ الحريَّةِ ، وأعملتُ قواصدَ] فكري في كلِّ نحوٍ أستنشقُ نسيمَ الفتوَّةِ ، فما فاحَ إلا مِنْ بابِهِ نشرُهُ ، ولا لاحَ إلا مِنْ جنابِهِ بِشْرُهُ ، فتعرَّفتُ إليهِ بأنِّي ممَّنْ هداهُ إلىٰ ودِّهِ بقاءُ عهدِهِ ، وحداهُ علىٰ قصدِهِ ضياءُ مجدِهِ ، وأرجو أنَّهُ إذا عَجَمَ عودَ ولائي استصلبَهُ[4] ، [وإذا] قيَّدَ قلبي بإحسانِهِ ما سيَّبَهُ ، واللهُ عزَّ وجلَّ يُديمُ

= به . . من أفراد العصر ، وله في ذلك الفنِّ دقائقُ وعلومٌ انفرد بها . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥١٢) .

(١) عدَّد مؤلفاته ابن السبكي في « الطبقات » (٥/ ١٥٩) ، ومن أجلِّها وأعظمها : « الرسالة » المشهورة في الآفاق ، والتي تعتبر من أركان كتب الحقيقة والتصوف من سالف الأزمان إلىٰ يومنا هـٰذا .

(٢) في « التبيين » : (رُفقة) بدل (وقفة) ، وهي أوضح وأنسب ، وهـٰذا الخروج إثر الفتنة المشهورة بفتنة الكُنْدُري المتقدمة في (١/ ٣٣٣ـ ٣٣٦) ، وهي مما خُصَّ به من المحنة في الدين والاعتقاد ، كما في « تبيين كذب المفتري » (ص٥١٤) ، وكان فيها شجاعاً صلباً مدافعاً عن أهل السنة والجماعة ، ومشىٰ علىٰ خطاه ونهجه ابنُه الإمام الكبير أبو نصر في فتنة الحنابلة المشهورة .

(٣) بعد انجلاء الفتنة بمقتل الكُنْدُري ، وكان ذلك في نوبة السلطان المبارك المجاهد ألب أرسلان رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه ، وانظر ما سيأتي في (٢/ ٤٩١ـ ٤٩٥) .

(٤) عَجَمَ العودَ : إذا عضَّه ليعلم صلابته من خَوَره ، وهـٰذا أصلُهُ .

تمكينَهُ ، ويحرسُ عنِ الغيرِ نعمتَهُ ودينَهُ .

إنْ وجدَ الشيخُ في مجلسِ العميدِ فراغاً ، وللمنطقِ مَساغاً . . طالعَهُ بأنَّ فلاناً إلى البابِ مُتردِّدٌ ، وبإقامةِ رسمِ الزيارةِ مستسعدٌ ، وليسَ يشكو تحمُّلَهُ لخجلةِ الحجابِ ، ولـٰكنَّهُ يشكرُ تجمُّلَهُ بحضورِ البابِ ، والسلامُ)[1] .

ومِنْ كلامِهِ في [عقيدتِهِ] التي ضمَّنَها « رسالتَهُ » أنْ قالَ : (وهـٰذهِ فصولٌ تشتملُ علىٰ بيانِ عقائدِهِم في مسائلِ التوحيدِ ، ذكرْناها علىٰ وجهِ الترتيبِ :

قالَ شيوخُ هـٰذهِ الطريقةِ علىٰ ما يدلُّ عليهِ مُتفرِّقاتُ كلامِهِم ومجموعاتُها ومُصنَّفاتُهُم في التوحيدِ :

إنَّ الحقَّ سبحانَهُ [موجودٌ] قديمٌ[2] ، واحدٌ حليمٌ[3] ، قادرٌ عليمٌ ، [قاهرٌ] رحيمٌ[4] ، مريدٌ سميعٌ ، مجيدٌ رفيعٌ ، مُتكلِّمٌ بصيرٌ ، مُتكبِّرٌ قديرٌ ، حيٌّ باقٍ ، أحدٌ صَمَدٌ .

وإنَّهُ عالمٌ بعلمٍ ، قادرٌ بقدرةٍ ، مُريدٌ بإرادةٍ ، سميعٌ بسمعٍ ، بصيرٌ ببصرٍ ، مُتكلِّمٌ بكلامٍ ، حيٌّ بحياةٍ ، باقٍ ببقاءٍ) .

ثمَّ قالَ فيها : (وإنَّهُ أَحَديُّ الذاتِ ، ليسَ يُشبِهُ شيئاً مِنَ المصنوعاتِ ، ولا يُشبِهُهُ شيءٌ مِنَ المخلوقاتِ ، ليسَ بجسمٍ ولا جوهرٍ ، ولا صفاتُهُ أعراضٌ .

---

(١) لعله هنا ينتهي النقل من كلام الرهاوي ، وهو بنحو ما في « تبيين كذب المفتري » (ص٥١١ـ٥١٥) ، و« طبقات الفقهاء الشافعية » (٢/٥٦٣ـ٥٦٦) ، وتفرَّد بزيادات ليست موجودة فيهما ، كما تفرَّدا بزيادات ليست فيه ، وانظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص٣٦٥) .

(٢) في (أ ، ب) : (موجد) بدل (موجود) .

(٣) في (ب) : (حكيم) ، وهو موافق لـ« الرسالة » .

(٤) في (أ ، ب) : (ماجد) بدل (قاهر) .

لا يُتصوَّرُ في الأوهامِ ، ولا يتقدَّرُ في العقولِ ، ولا لهُ جهةٌ ولا مكانٌ) .

وفيها : (وإنَّهُ يَرَىٰ لا عن مقابلةٍ ، ويُرىٰ لا علىٰ مقابلةٍ)[١] ، ثمَّ أتمَّ العقيدةَ إلىٰ آخرِها[٢] .

ومِنْ كلامِهِ المنثورِ : ما صدَّرَ بهِ هٰذهِ « الرسالةَ » ، وأظهرَ فيها مِنَ القوَّةِ والبسالةِ[٣] .

وتصانيفُهُ كثيرةٌ .

ومِنْ نظمِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : [من البسيط]

يَـا مَـنْ تَقَـدَّسَ فِـي عَلْيَـاءِ عِـزَّتِـهِ عَـنْ كُـلِّ وَهْـمٍ بِتَقْـدِيـرٍ يُصَـوِّرُهُ
يَا شَاهِداً وَكَأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ وَغَـائِبـاً وَكَـأَنَّ ٱلْعَيْـنَ تُبْصِـرُهُ

ولهُ أيضاً رضيَ اللهُ عنهُ : [من الرمل]

هِمَّتِـي تَقْصُـرُ عَنْهَـا طَـاقَتِـي مِحْنَتِـي هَـذَا وَهَـٰذَا فَـاقَتِـي
لَيْـسَ نَـوْعـاً وَاحِـداً مَـا نَـابَنِـي حَـالَتِـي مِـنْ كُـلِّ بَيْـتٍ فَـاقَتِـي

ولهُ أيضاً : [من البسيط]

يَـا مَـنْ تَبَـارَكَ فِـي عَلْيَـاءِ عِـزَّتِـهِ وَفِـي تَعَـزُّزِهِ بِـٱلْمَجْـدِ فِـي ٱلأَزَلِ
اِرْحَـمْ ذَلِيـلاً أَتَـاكَ ٱلْيَـوْمَ مُعْتَـذِراً فِـي فَرْطِ خَجْلَتِهِ مِنْ كَثْرَةِ ٱلزَّلَلِ

وأنشدَ لنفسِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : [من البسيط]

اَلـدَّهْـرُ أَصْبَـرُ صَبْـراً فِـي تَقَلُّبِـهِ عَنْ أَنْ يَدُومَ عَلَىٰ شَخْصٍ لَهُ أَثَرُ

---

(١) في « الرسالة » : (مماقلة) بدل (مقابلة) ، والمثبت إحدىٰ نسخها ، وكلا الوجهين صحيح ، إلا أن الأنسب ما في « الرسالة » ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) الرسالة القشيرية (ص٩٧ـ٩٩) .

(٣) الرسالة القشيرية (ص٧٩ـ٨٣) ، ومن ذلك أيضاً : مقاطعُ بليغةٌ وبديعة ضمَّنها رسالته « شكاية أهل السنة » .

لاَ بُؤْسُ يَبْقَىٰ وَلاَ نُعْمَىٰ تَدُومُ وَلاَ هَـمٌّ يُقِيـمُ وَلاَ رَوْحٌ وَلاَ ضَـرَرُ

ولهُ أيضاً : [من البسيط]

يَا مَنْ تَزِيدُ أَيَادِيهِ عَلَىٰ أَمَلِي سِجَالَ عَفْوِكَ أَفْرِغْهَا عَلَىٰ زَلَلِي
إِنِّي وَحَقِّكَ فِي فَرْطٍ مِنَ ٱلْوَجَلِ فَٱخْتِمْ بِخَيْرٍ إِذَا مَا جَاءَنِي أَجَلِي

وأوردَ قاضي القضاةِ شمسُ الدينِ بنُ خَلِّكانَ لهُ ، قالَ : ورأيتُ في بعضِ المجاميعِ هـٰذهِ الأبياتَ[1] : [من مجزوء الكامل]

اَلْقَلْـبُ نَحْـوَكَ نَـازِعُ وَٱلـدَّهْـرُ فِيـكَ مُنَـازِعُ
جَـرَتِ ٱلْقَضِيَّـةُ بِـٱلنَّـوَىٰ مَـا لِلْقَضِيَّـةِ وَازِعُ
اَللهُ يَعْلَـمُ أَنَّنِـي لِفِـرَاقِ وَجْهِـكَ جَـازِعُ

تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ صبيحةَ يومِ الأحدِ قبلَ طلوعِ الشمسِ ، السادسَ عشرَ مِنْ ربيعِ الآخرِ سنةَ خمسٍ وستينَ وأربعِ مئةٍ ، وصلَّىٰ عليهِ ابنُهُ الأكبرُ الإمامُ أبو سعدٍ علىٰ بابِ [الطاقِ] ، ودُفِنَ في المدرسةِ بجنبِ الأستاذِ أبي عليٍّ ، ولزمَ الأئمَّةُ تربتَهُ ليلاً ونهاراً ، وكانُوا يبيتُونَ عندَها ، ولم يدخُلْ أحدٌ منهُم إلىٰ بيتِهِ ، ولا مسَّ ثيابَهُ ولا كتبَهُ إلا بعدَ سنينَ ؛ تعظيماً لهُ ، رضيَ اللهُ عنهُ وعنهُم أجمعينَ[2]

* * *

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٨) .

(٢) وذكر الإمام ابن السبكي في « الطبقات » (٥/ ١٦٠) : (قال أبو تراب المراغي : رأيته في النوم ، فقال : أنا في أطيب عيش وأكمل راحة .
وقال غيره : كانت للأستاذ فرس يركبها ، فلما مات امتنعت عن العلف ، ولم تطعَم شيئاً ، ولم تمكِّن راكباً من ركوبها ، ومكثت أياماً قلائلَ علىٰ هـٰذا بعده ، إلىٰ أن ماتت) .
ولم يذكر المؤلف ترجمة أبي علي ابن أبي حريصة وأبي المظفر الإسفراييني ، وإليك ترجمتهما مختصرتين كما وردتا في « تبيين كذب المفتري » : =

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ أبو إسحاقَ الشِّيرازيُّ رضيَ اللهُ عنهُ

ممَّا شرَّفْتُ ثنائي بهِ أنْ قلتُ : أوحدُ زمانِهِ زهداً وورعاً ، وأفضلُ مَنْ رحلَ في أوانِهِ طلباً للعلم وسعىٰ ، أصولُهُ مبنيَّةٌ على الكتابِ والسنَّةِ ، [وفروعُهُ] يُتحقَّقُ بها إنَّهُ وإنَّهُ ، أحيا مذهبَ الشافعيِّ بتدريسِهِ ، وطريقةَ الأشعريِّ باستدلالِهِ ودروسِهِ .

إنْ ناظرَ أفلحَ وأرعشَ المناظِرَ[1] ، وأدهشَ السامعَ والناظرَ ، تمسَّكَ بالكتابِ اعتماداً علىٰ مَنْ لا يُضِيعُ أجرَ المصلحينَ ، وعرَّشَ بـ« تنبيهِهِ » دوحةَ

= ومنهم : أبو علي الحسين بن أحمد بن المظفر ابن أبي حريصة الهَمَذاني الدمشقي الفقيه رحمه الله تعالىٰ :
كتب الكثير ، وحدَّث باليسير ، وكان فقيهاً علىٰ مذهب مالك ، ويذهب مذهب أبي الحسن الأشعري .
وتوفي يوم الثلاثاء السادس والعشرين من المحرَّم سنة ست وستين وأربع مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥١٦) .
ـ وأبو المظفر شاهْفُور بن طاهر بن محمد الإسفراييني رحمه الله تعالىٰ :
الإمام الكامل ، الفقيه الأصولي المُفسِّر ، ارتبطَهُ نظام المُلْك بطوسَ .
توفي سنة إحدىٰ وسبعين وأربع مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥١٧) ، ومن مصنفاته الشهيرة في أصول الدين : « التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفِرَق الهالكين » .

(١) وكان الإمام أبو إسحاق نظَّاراً كبيراً ، وقد ناظر الإمام أبا المعالي الجويني وأبا عبد الله الدامغاني الحنفي ، فقطعهما في المناظرة ، وكان من جملة من تعلم منه علم المناظرة : الإمام أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي صاحب كتاب « الفنون » الذي لم يصنَّف في الدنيا أكبر منه .

في الجنةِ تُؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ ، يجتني طلبةُ العلمِ ثمرتَها في الآفاقِ ، ويتفيَّأُ ظلالَها مَنْ سلكَ طريقةَ العراقِ(١) ، وكلُّ مَنْ تعرَّفَ بمعارِفِهِ ، فحسناتُهُ مُسطَّرةٌ في صحائِفِهِ .

ذكرَهُ الحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ في « كتابِهِ » ؛ فقالَ : (ومنهُمُ : الشيخُ الإمامُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عليِّ بنِ يوسفَ الشِّيرازيُّ ثمَّ الفيروزاباديُّ ، [الفقيهُ] الزاهدُ ، الناسكُ العابدُ ، ذو التصانيفِ [الحسنةِ] ، والتواليفِ المستحسنةِ .

سكنَ بغدادَ ، وسمعَ الحديثَ بها : مِنْ أبي عليٍّ ابنِ شاذانَ ، وأبي بكرٍ البَرْقانيِّ ، وغيرِهِما .

تفقَّهَ علىٰ جماعةٍ ؛ منهُمُ : القاضي أبو الطيِّبِ الطبريُّ ، وأبو أحمدَ عبدُ الوهابِ ابنُ رامينَ ، وأبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ البيضاويُّ ، وأبو [القاسمِ] منصورُ بنُ عمرَ الكَرْخيُّ البغداديونَ ، وأبو حاتِمٍ الطبريُّ(٢) ، وأبو عبدِ اللهِ الشيرازيُّ ، وغيرُهُم(٣)

ودرَّسَ ببغدادَ بالمدرسةِ النِّظاميَّةِ(٤) ، وهوَ صاحبُ كتابِ « المُهذَّبِ » ،

---

(١) وقال الحسن الطبري ـ كما أخرجه ابن السبكي في « الطبقات » (٤/ ٢٢٩) ـ : (سمعت صوتاً من الكعبة ـ أو من جوف الكعبة ـ : « من أراد أن يتنبَّه في الدين فعليه بـ« التنبيه ») ، و« التنبيه » من الكتب النفيسة المباركة في الفقه الشافعي ، نال عناية العلماء ، واعتنىٰ به كبار الفقهاء ؛ شرحاً وتحشيةً وتنكيتاً وتدليلاً ونظماً وغير ذلك ، وكان بعض أئمة اليمن ألزم نفسه ألا يجيب إلا من كتاب « التنبيه » ؛ وذلك لما حواه من المعاني الكثيرة بعبارات وجيزة مختصرة .

(٢) وقد مرَّ معنا في (١/ ٤٢٧) أثناء ترجمته قولُ أبي إسحاق فيه وفي شيخه أبي الطيب الطبري : (لم أنتفع بأحد في الرحلة كما انتفعت به وبالقاضي أبي الطيب الطبري) .

(٣) وقد ترجم أبو إسحاق لهٰؤلاء الأئمة في « طبقاته » .

(٤) وهٰذه النظامية بنيت لإمامنا المترجم ، وهو أول من درَّس بها على الحقيقة بعد امتناع =

وكتابِ « التنبيهِ » ، و« النُّكَتِ » فِي الخلافِ ، و« اللُّمَعِ » في أصولِ الفقهِ ، وغيرِ ذلكَ مِنَ الكتبِ[1] .

وكانَ يظنُّ بهِ بعضُ مَنْ لا يفهمُ ولا يعرفُ أنَّهُ يُخالِفُ [الأشعريَّ] ؛ لقولِهِ في كتابِهِ : « قالَتِ الأشعريَّةُ : إنَّ الأمرَ لا صيغةَ لهُ » ، وليسَ ذلكَ لأنَّهُ لا يعتقدُ [اعتقادَهُ] ، وإنَّما قالَ ذلكَ ؛ لأنَّهُ خالفَهُ في هـٰذهِ المسألةِ بعينِها ، كما خالفَهُ فيها غيرُهُ مِنَ الفقهاءِ ، فأرادَ أنْ يُبيِّنَ أنَّ هـٰذهِ المسألةَ ممَّا انفردَ بها أبو الحسنِ .

وقد ذكرْنا في كتابِنا هـٰذا فتواهُ فيمَنْ خالفَ الأشعريَّةَ ، واعتقدَ تبديعَهُم ، وذلكَ أوفىٰ دليلٍ علىٰ أنَّهُ منهُم)[2] .

قلتُ : وسأُوردُ لهُ فتيا وقعَتْ لي يُنكِرُ فيها علىٰ مَنْ يعتقدُ الحرفَ والصوتَ ، تعضُدُ ما قالَهُ الحافظُ ابنُ عساكرَ رضيَ اللهُ عنهُم[3] .

وفضائلُهُ كثيرةٌ ، ومزاياهُ شهيرةٌ ، ولهُ النظمُ الحسنُ والنثرُ .

فمِنْ نظمِهِ[4] : [من الوافر]

= شديد ، وكان لا يأخذ أجرة علىٰ ذلك مع فقره رضي الله عنه ، ومن جملة من درَّس بها من أساطين العلم : الإمام أبو نصر ابن الصباغ صاحب « الشامل » ، والإمام أبو بكر الشاشي صاحب « الحلية » ، والإمام الطبري صاحب « العدة » ، والإمام الحجة أبو حامد الغزالي صاحب « الإحياء » وغيره من المؤلفات النفيسة .

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٢١٥) ، وقيل : إنَّ أسماء كتبه أخذها من الإمام اللغوي النحوي أبي الفتح بن جني ، وقد صنع ذلك الإمام الغزالي عندما استعار أسماء كتبه الفقهية من الإمام الواحدي المُفسِّر ، وهـٰذه الاستعارة كثيرة فاشية لدى العلماء رحمهم الله تعالىٰ ورضي عنهم .

(٢) تبيين كذب المفتري (ص٥١٨ـ٥١٩) ، وانظر « اللمع » (ص١٥١) .

(٣) انظر (٢/ ٤٣٤) .

(٤) انظر « وفيات الأعيان » (١/ ٢٩) ، وفيه : (بذيل حرٍّ) بدل (بود حر) ، و« طبقات =

سَـأَلْـتُ ٱلنَّـاسَ عَـنْ خِـلٍّ وَفِـيٍّ فَقَـالُـوا مَـا إِلَـىٰ هَـٰـذَا سَبِيـلُ
تَمَسَّـكْ إِنْ ظَفِـرْتَ بِـوُدِّ حُـرٍّ فَـإِنَّ ٱلْحُـرَّ فِـي ٱلـدُّنْيَـا قَلِيـلُ

وممَّا قالَهُ فيهِ الشيخُ أبو الخطَّابِ عليُّ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ عيسى بنِ عليِّ بـنِ عيسـى بـنِ داودَ بـنِ الجـرَّاحِ البغـداديُّ الكـاتـبُ ؛ فـي الشيـخِ أبي إسحاقَ(١) : [من البسيط]

سَقْياً لِمَنْ صَنَّفَ ٱلتَّنْبِيهَ مُخْتَصِراً أَلْفَاظَهُ ٱلْغُرَّ وَٱسْتَقْصَىٰ مَعَانِيهِ
إِنَّ ٱلإِمَـامَ أَبَـا إِسْحَـاقَ صَنَّفَـهُ للهِ وَٱلـدِّيـنِ لاَ لِلْعُجْـبِ وَٱلتِّـيـهِ
رَأَىٰ عُلُوماً عَنِ ٱلأَفْهَامِ شَارِدَةً فَحَـازَهَـا ٱبْـنُ عَلِـيٍّ كُلَّهَـا فِيـهِ
لاَ زِلْتَ لِلشَّرْعِ إِبْرَاهِيمُ مُنْتَصِراً تَـذُودُ عَنْـهُ أَعَـادِيـهِ وَتَحْمِيـهِ

تُوفِّيَ في جُمادى الآخرةِ سنةَ ستٍّ وسبعينَ وأربعِ مئةٍ ، قالَهُ ابنُ الأكفانيِّ(٢) ، وقالَ في موضعٍ آخرَ : (في ليلةِ الأحدِ الحادي والعشرينَ مِنْ جمادى الآخرةِ)(٣) ، رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ .

= الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٢٢٤ـ٢٢٥) .

(١) كذا في نسختينا ، ولو قال : (ومما قاله في « التنبيه » الشيخ أبو الخطاب . . . وفي الشيخ أبي إسحاق) . . لكان أوضح وأسبك ، والله تعالىٰ أعلم ، وأورد الأبيات ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٥١٩) من خط أخيه أبي الحسين ابن عساكر رحمهم الله تعالىٰ .

(٢) انظر « ذيل ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم » (ص٥٩ـ٦٠) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٥٢٠ـ٥٢١) .

(٣) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٢٢٩) ، وغسَّله تلميذه أبو الوفاء ابن عقيل ، ودفن من الغد بباب حرب ، ومات رحمه الله ولم يُخلِّف ديناراً ولا درهماً ، وكان عزباً لم يتأهَّل طيلة حياته ، وهو من جملة العلماء الذين ترجمهم العلامة عبد الفتاح أبو غدة في كتابه الماتع « العلماء العُزَّاب » ، وقال الحافظ الكبير ابن حجر العسقلاني في « إنباء الغمر » (٣/ ٤٧) أثناء ترجمة المجد الفيروزابادي صاحب « القاموس المحيط » : (كان ـ أي : =

ومنهُمُ الشيخُ [. . .][1] :

= المجد الفيروزابادي ـ يرفع نسبه إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب « التنبيه ». . . ولم أزل أسمع مشايخنا يطعنون في ذلك مستندين إلىٰ أنَّ أبا إسحاق لم يُعقِب) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٤٦١ـ٤٦٢) .

(١) جاء قوله : (ومنهم الشيخ) خاتمة الورقة (١٠٥/أ) ، ثم انتقل مباشرة في (١٠٥/ب) إلىٰ ترجمة الحافظ الفراوي ، وسقط بين الورقتين حوالي ثلاث عشرة ترجمة لكبار أئمة الأشاعرة ، وإليك هـٰذه التراجم مختصرةً من « تبيين كذب المفتري » :

ومنهم : الإمام أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري رحمه الله تعالىٰ :

إمامُ الحرمين ، فخر الإسلام ، إمام الأئمة على الإطلاق ، حَبْر الشريعة ، المجمع علىٰ إمامته شرقاً وغرباً ، المُقِرُّ بفضله السُّراةُ والحداة عُجْماً وعُرْباً ، من لم تر العيون مثلَهُ قبله ، ولا ترىٰ بعده .

تفقَّه في صباه علىٰ والده ركن الإسلام ، وخلَفَهُ بعد وفاته ، وأتىٰ علىٰ جميع مُصنَّفاته فقلَّبها ظهراً لبطن ، وتصرَّف فيها وخرَّج المسائل بعضها علىٰ بعض ، ودرَّس سنين ، ولم يرض في شبابه بتقليد والده وأصحابه ، حتىٰ أخذ في التحقيق ، وجدَّ واجتهد في المذهب والخلاف ومجالس النظر ، حتىٰ ظهرت نجابته ، ولاح علىٰ أيامه همة أبيه وفراستُهُ .

ومن ابتداء أمره : أنه لما توفي أبوه كان سنه دون العشرين أو قريباً منه ، فأُقعد مكانه للتدريس ، فكان يقيم الرسم في درسه ، ويقوم منه ويخرج إلىٰ مدرسة البيهقي ، حتىٰ حصَّل الأصول وأصول الفقه على الأستاذ الإمام أبي القاسم الإسكاف الإسفرايني ، وكان يواظب علىٰ مجلسه ، وعلَّق عليه في الأصول أجزاء معدودة ، وطالع في نفسه مئة مجلَّدة .

وخرج إلى الحجاز وجاور بمكة أربع سنين ـ وذلك بعد الفتنة التي حدثت بنيسابور ـ يدرِّس ويفتي ، ويجمع طرق المذهب ، ويقبل على التحصيل ، إلىٰ أن اتفق رجوعه بعد مضي نوبة التعصُّب ، بظهور نوبة ولاية السلطان ألب أرسلان ، ووزارة نظام الملك ، فعاد إلى التدريس ، وكان بالغاً في العلم نهايته ، فبُنيت المدرسة النظامية ، وأُقعد للتدريس فيها ، وكان يقعد بين يديه كلَّ يوم نحو من ثلاث مئة رجل من الأئمة ومن الطلبة ، وتخرَّج به جماعة من الأئمة والفحول حتىٰ بلغوا محلَّ التدريس في زمانه .

وكان يقول : (أنا لا أنام ولا آكل عادةً ، وإنما أنام إذا غلبني النوم ، ليلاً كان أو نهاراً ، وآكل إذا اشتهيت الطعام أيَّ وقت كان) .

وكان قد سمع الحديث الكثير في صباه من مشايخ ؛ مثل الشيخ أبي حسان ، وأبي سعد بن=

= عَلِيَّك ، وأبي سعد النضروي ، وغيرهم .

وكان مولده ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربع مئة ، وتوفي ليلة الأربعاء بعد صلاة العتمة ، في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وسبعين وأربع مئة ، ومما قيل في رثائه :

قلـوبُ العـالميـنَ علـى المقـالـي ... وأيَّـامُ الـورىٰ شِبْـهُ الليـالـي

أيُثمِـرُ غُصْـنُ أهـلِ الفضـل يـومـاً ... وقـد مـات الإمـامُ أبـو المعـالـي

انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٢٢ـ٥٣١) .

ـ **والفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي رحمه الله تعالىٰ :**

تفقَّه : عند أبي الفتح سُليم بن أيوب الرازي بصور ، ثم رحل إلىٰ ديار بكر وتفقَّه عند أبي عبد الله الكازَرُوني ، وسمع الحديث بدمشق وغيرها من جماعة ، ودرَّس العلم ببيت المقدس مدَّة ، ثم انتقل إلىٰ صور ، فأقام بها عشر سنين ينشر العلم بها مع كثرة المخالفين له من الرافضة ، ثم انتقل إلىٰ دمشق ، فأقام بها تسع سنين يحدث ويفتي ويدرس ، علىٰ طريقة واحدة من الزهد في الدنيا ، والتنزُّه عن الدنايا ، والجري علىٰ منهاج السلف .

وحكي عن بعض أهل العلم أنه قال : (صحبت إمام الحرمين بخراسان ، ثم قدمت العراق فصحبت الشيخ أبا إسحاق الشيرازي ، فكانت طريقته عندي أفضل من طريقة أبي المعالي ، ثم قدمت الشام ، فرأيت الفقيه أبا الفتح ، فكانت طريقته أحسن من طريقتهما جميعاً) .

توفي بدمشق في يوم الثلاثاء التاسع من المحرم سنة تسعين وأربع مئة ، وكان الخَلْق مُتوفِّراً ، لم يرَ الدمشقيون جنازة مثلها . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٣٢ـ٥٣٣) .

ـ **والإمام أبو عبد الله الحسين بن علي الطبري رحمه الله تعالىٰ :**

تفقَّه : على الشريف ناصر بن الحسين العمري بنيسابور ، وتخرَّج وأقام بها مدَّةً ، ثم خرج إلىٰ مكة ، وكان يفتي ويدرس ويروي الحديث بها ، وله بها عقب .

توفي سنة ثمان وتسعين وأربع مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٣٤) ، وقال ابن السبكي في « الطبقات » (٤/ ٣٥٠) : (**والأقرب** : أنه توفي سنة خمس وتسعين وأربع مئة ، لا أدري بمكة أم بأصبهان) ، وقال أيضاً : (وكان إماماً كبيراً ، **أشعريَّ العقيدة** ، جرت بينه وبين الحنابلة القائلين بالحرف والصوت خُطوبٌ) .

ومن المشهورين من الطبقة الخامسة

ـ **الإمام أبو المُظفَّر أحمد بن محمد بن المظفر الخَوافي النيسابوري رحمه الله تعالىٰ :**

قال فيه عبد الغافر الفارسي : (الإمام المشهور ، أَنْظَرُ أهل عصره ، وأعرفهم بطريق الجدل=

= في الفقه ، له العبارة الرشيقة المهذَّبة ، والتضييق في المناظرة على الخصم ، والإرهاق إلى الانقطاع .

تفقه : علىٰ أبي إبراهيم الضرير ، فتخرَّج به بعض التخرج ، ثم وقع بعده إلىٰ خدمة إمام الحرمين وصحبته ، وبرع عنده حتىٰ صار من أوحد تلامذته وأصحابه القدماء ، وكان معجباً به وبكلامه ، ثم ترفَّع عن الإعادة في درسه ، فكان يدرِّس بنفسه ، وتختلف إليه طائفة .

توفي بطوس سنة خمس مئة ، وكان حسن العقيدة ، ورع النفس ، ما عُهِدَ منه هَنات قطُّ كما عُهد من غيره) انتهىٰ بتصرف ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٣٧) .

ـ والإمام أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بـ (إلْكِيا) رحمه الله تعالىٰ :

قال فيه عبد الغافر الفارسي : (الإمام البالغ في النظر مبلغَ الفحول ، ورد نيسابور في شبابه وقد تفقَّه ، وكان حسن الوجه ، مطابق الصوت للنظر ، مليح الكلام ، فحصَّل طريقة إمام الحرمين وتخرَّج به فيها ، وصار من وجوه الأصحاب ورؤوس المعيدين في الدرس ، وكان ثانيَ الغزالي ، بل أملح وأطيب في النظر والصوت ، وأبين في العبارة والتقرير منه ، وإن كان الغزالي أحدَّ وأصوب خاطراً ، وأسرع بياناً وعبارة منه) .

توفي ببغداد يوم الخميس مستهلَّ المحرم سنة أربع وخمس مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٣٨ـ٥٤١) .

ـ وحجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمه الله تعالىٰ :

أطنب عبد الغافر الفارسي في الثناء عليه ، وذكر سيرته العلمية إلىٰ أن اختار طريق التأله والزهادة ، ومن جملة ما قاله فيه : (حجة الإسلام والمسلمين ، إمام أئمة الدين ، من لم تر العيونُ مثلَهُ لساناً وبياناً ونطقاً ، وخاطراً وذكاء وطبعاً ، شدا طَرَفاً في صباه بطوس من الفقه على الإمام أحمد الرَّاذَكاني ، ثم قدم نيسابور مختلفاً إلىٰ درس إمام الحرمين ، وجدَّ واجتهد حتىٰ تخرَّج عن مدة قريبة ، وبزَّ الأقران ، وحمل القرآن ، وصار أَنْظَرَ أهل زمانه ، وواحد أقرانه في أيام إمام الحرمين ، وكان الطلبة يستفيدون منه ، ويدرس لهم ويرشدهم ، ويجتهد في نفسه ، وبلغ الأمر به إلىٰ أن أخذ في التصنيف ، وكان الإمام مع علو درجته وسمو عبارته وسرعة جريه في النطق والكلام . . لا يصفي نظره إلى الغزالي سرّاً ؛ لإنافته عليه في سرعة العبارة وقوة الطبع ، ولا يطيب له تصدِّيه للتصانيف وإن كان متخرِّجاً به منتسباً إليه ، كما لا يخفىٰ من طبع البشر ، ولـٰكنه يظهر التبجُّح به والاعتداد بمكانه ظاهراً خلاف ما يضمره .

ونظر في علم الأصول وكان قد أحكمها ، فصنَّف فيه تصانيف ، وجدَّد المذهب في الفقه ، فصنَّف فيه تصانيف ، وسَبَكَ الخلاف ، فحرَّر فيه أيضاً تصانيف ، وعَلَتْ حشمته ودرجته =

= في بغداد .

وظهر عليه بعدُ مطالعةٌ للعلوم الدقيقة ، وممارسة للكتب المصنفة فيها ، وسلك طريق التزهُّد والتألُّه ، وترك الحشمة ، وطرحِ ما نال من الدرجة ، والاشتغالِ بأسباب التقوىٰ وزاد الآخرة ، فخرج عمَّا كان فيه ، وقصد بيت الله تعالىٰ وحجَّ ، ثم دخل الشام ، وأقام في تلك الديار قريباً من عشر سنين يطوف ويزور المشاهد المعظَّمة ، وأخذ في التصانيف المشهورة التي لم يُسبق إليها ؛ كـ « إحياء علوم الدين » ، والكتب المختصرة منها ؛ مثل « الأربعين » ، وغيرها من الرسائل التي من تأمَّلها علم محلَّ الرجل من فنون العلم) .

ثم قال : (**وكانت خاتمة أمره** : إقباله علىٰ حديث المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، ومجالسة أهله ، ومطالعة « الصحيحين » البخاري ومسلم اللذين هما حجة الإسلام ، ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الأيام يستفرغه في تحصيله ، ولا شك أنه سمع الأحاديث في الأيام الماضية ، واشتغل في آخر عمره بسماعها ، ولم تتفق له الرواية ، ولا ضرر ؛ فما خلَّفه من الكتب المصنفة في الأصول والفروع وسائر الأنواع . . يُخلِّد ذكره ، ويُقرِّر عند المطالعين المنصفين المستفيدين منها أنه لم يُخلِّف مثلَهُ بعده) .

توفي يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمس مئة ، ودفن بظاهر طابَران . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٤٢ـ ٥٩٩) .

ـ وأبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي رحمه الله تعالىٰ :

تفقَّه : على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغيره ، وكان معيداً له ، وولي التدريس بالمدرسة النظامية وغيرها ببغداد ، وله تصانيف كثيرة حسنة ، وإليه انتهت الرئاسة لأصحاب الشافعي رحمة الله عليه ببغداد .

توفي يوم السبت الخامس والعشرين من شوال سنة سبع وخمس مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٦٠) .

ـ والإمام أبو القاسم سلمان بن ناصر بن عمران الأنصاري النيسابوري رحمه الله تعالىٰ :

كان عالماً ، إماماً في التفسير وعلم الأصول .

قال فيه عبد الغافر الفارسي : (الإمام الدَّيِّن الورع الزاهد ، فريد عصره في فنِّه ، وكان له معرفة بالطريقة ، وقَدَمٌ في التصوف ، ونظر دقيق ، وفكر في المعاملة ، وتصاون في النفس ، وعفاف في الطُّعم ، وكان حسن الطريقة ، دقيق النظر ، واقفاً علىٰ مسالك الأئمَّة وطرقهم في علم الكلام ، بصيراً بمواضع الإشكال) .

توفي صبيحة يوم الخميس ، الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة وخمس =

= مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٦١) .

ـ والإمام بن الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري رحمه الله تعالىٰ :
قال فيه عبد الغافر الفارسي : (إمام الأئمة ، وحبر الأمة ، وهو الأول من ولد الإمام بعد العصبة الدقَّاقية من أولاده ، وأشبهُهم به خَلْقاً ، حتىٰ كأنه شُقَّ منه شقاً ، ربَّاه أحسن تربية وزقَّه العربية في صباه زقّاً ، حتىٰ تخرَّج به وبرع فيها ، وكمُل في النثر والنظم ، فحاز فيهما قصب السبق ، وكان يبث السحر بأقلامه على الرَّقِّ ، استوفى الحظَّ الأوفىٰ من علم الأصول والتفسير تلقِّياً من والده .

ولما توفي أبوه انتقل إلىٰ مجلس إمام الحرمين ، وواظب علىٰ درسه وصحبتِهِ ليلاً ونهاراً ، ولزمه عشيّاً وإبكاراً ، حتىٰ حصَّل طريقته في المذهب والخلاف ، وجدَّد عليه الأصول ، وكان الإمام يعتد به ، ويستفرغ أكثر أيامه معه ، مستفيداً منه بعض مسائل الحساب في الفرائض والدور والوصايا) .

ثم أشار الحافظ ابن عساكر نقلاً عن عبد الغافر الفارسي إلىٰ فتنة الحنابلة التي وقعت في زمانه ، والتي قام فيها بنصرة مذهب أهل السنة والجماعة .

توفي ضحوة يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وخمس مئة .

وأورد الحافظ بهاء الدين بن الحافظ ابن عساكر مَحْضراً فيه خطوطُ كبار الأئمة بتأييد مقالة الإمام أبي نصر ، وموافقته في اعتقاده . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٦٢ـ٥٧٤) ، و(٢/ ٤٩٦) .

ـ وشيخ ابن عساكر الإمام أبو علي الحسن بن سلمان الأصبهاني المعروف بـ (ابن الفتىٰ) :
ولد بأصبهان ، وتأدَّب بأبيه ، وتفقَّه على الإمام أبي بكر محمد بن ثابت الخُجَندي مدرس مدرسة نظام الملك بأصبهان ، وعلىٰ غيره ، وولي قضاء خوزستان ، ثم ولي تدريس المدرسة النظامية ببغداد ، وكان ممَّن يملأ العين جمالاً ، والأذن بياناً ، ويُربي علىٰ أقرانه في النظر ؛ لأنه كان أفصحهم لساناً .

وخرج عن بغداد ، ثم عاد إليها وقد شرع في عقد مجالس التذكير ، وأنشأ الخطب في التوحيد التي هو فيها عديم النظير ، وظهر له القبول التام ، ولـٰكن لم تمتدَّ له الأيام ؛ إذ توفي في يوم الاثنين الخامس من شوال سنة خمس وعشرين وخمس مئة ، ودفن بتربة الشيخ أبي إسحاق . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٧٥ـ٥٧٦) .

ـ والشيخ الإمام أبو سعيد أسعد بن أبي نصر بن الفضل العمري المِيهَني رحمه الله تعالىٰ :
صاحب « التعليق » ، المحشوّ بالتحقيق ، المبرِّزُ في علم الخلاف ، المشهور في سائر =

* * *

= البلدان والأطراف .
تفقَّه بمروَ : على الشيخ الإمام أبي المظفر السمعاني المروزي ، وقرأ الأصول علىٰ كِبَرٍ : على الإمام أبي عبد الله الفَراوي .
وولي تدريس المدرسة النظامية ببغداد غير مرة ، وعلَّق عنه جماعةٌ من الفقهاء وانتفعوا بطريقته ، وكان مشهوراً بحسن النظر ، موصوفاً بقوة الجدل ، ونسخ بـ « تعليقته » سائر التعاليق .
توفي بهَمَذان سنة سبع وعشرين وخمس مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٧٧) .
ـ **وشيخ ابن عساكر الإمام الشريف أبو عبد الله محمد بن أحمد العثماني الدِّيباجي المقدسي رحمه الله تعالىٰ :**
ولد سنة اثنتين وستين وأربع مئة ببيروت ، ولقي الفقيه أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسيَّ ببيت المقدس ، ولزم صاحبه القاضي يحيى بن يحيى المقدسي الذي خلَّفه في مدرسته بعد خروجه عن بيت المقدس ، وتفقَّه أيضاً بالقاضي حسين الطبري نزيل مكة .
وسكن بغداد ، وكان يفتي بها ويناظر ويُذكِّر ، وكانت مجالس تذكيره قليلة الحشو ، مشحونةً بالفوائد ، علىٰ طريقة تذكير المتقدمين .
توفي يوم الأحد السابع عشر من صفر سنة سبع وعشرين وخمس مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٧٨) .
ـ **وشيخ ابن عساكر القاضي الإمام أبو العباس أحمد بن سلامة المعروف بـ (ابن الرُّطبِي) رحمه الله تعالىٰ :**
تفقَّه : بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي بشيراز ، ثم لزم الشيخ الإمام أبا بكر الشاشي بعد وفاة أبي إسحاق ، ورحل إلىٰ أصبهان وتفقَّه بالإمام أبي بكر الخُجَندي مدرس النظامية بأصبهان ، وسمع بها شيئاً من الحديث ، ورجع إلى العراق .
وكان مقدَّماً في المعرفة بالمذهب والخلاف ، حسن المناظرة ، حلو العبارة .
قال ابن عساكر : (سمعت الشيخ أبا عبد الله المقدسي وقال له بعض الفقهاء : لقد ظهر اليوم كلامُ أبي العباس علىٰ كلام الشيخ أسعد ، فقال : ومتىٰ لم يظهر كلام القاضي علىٰ كلامه ؟!) .
توفي ليلة الاثنين مستهلَّ رجب سنة سبع وعشرين وخمس مئة ، ودفن بتربة أبي إسحاق الشيرازي . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٧٩ـ٥٨٠) .

[ومنهُمْ :

الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ الفضلِ بنِ أحمدَ الفَراويُّ النيسابوريُّ

قالَ أبو مسعودٍ الفضلُ بنُ أحمدَ الصاعديُّ : (حكىٰ لي الأميرُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الحسنِ السِّيمَجوريُّ القاينيُّ يومَ السبتِ سلخَ رجبٍ عظَّمَ اللهُ بركتَهُ ، سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وأربع مئةٍ قالَ : إنِّي كنتُ أوَّلَ مِنْ أمسِ بينَ النائمِ واليقظانِ ، فرأيتُ كأنَّكَ حضرتَ عندي وقلتَ لي : إنَّ الصوفيةَ جعلوا ولدَكَ محمداً نائبَهُم في عقدِ المجلسِ ، فكما سمعتُ منكَ هـٰذا المقالَ رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جالساً كشبهِ المتكئِ ، حاسراً عن رأسِهِ ، وبجنبهِ شخصٌ علمتُ أنَّهُ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها ، ثمَّ إنَّ ولدَكَ أنشدَ بينَ يدَي رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ القصيدةَ المنظومةَ في الاعتقادِ التي مُفتتحُها : [من الوافر]

بِحَمْـــدِ ٱللهِ أَفْتَتِــــحُ ٱلْمَقَـــالا وَقَـدْ جَلَّـتْ أَيَـادِيـهِ تَعَـالَـىٰ

مِنْ إنشاءِ الأستاذِ الإمامِ أبي القاسمِ عبدِ الكريمِ بنِ هوازنَ القشيريِّ ، ثمَّ إنَّهُ جرىٰ علىٰ لسانِ ولدِكَ محمدٍ في أثناءِ إنشادِهِ بينَ يدَي رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هـٰذهِ القصيدةَ . . شيءٌ ، فقالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : كيفَ قلتَ ؟ كالمستدركِ عليهِ ، فرجعَ إلىٰ أبياتٍ قبلَها ، فأنشدَها بينَ يديهِ معَ البيتِ المنتهي إليهِ ، فأنشدَها علىٰ حسبِ ما رضيَ عليهِ السلامُ ، إلىٰ أنْ فرغَ مِنْ إنشادِ تمامِ القصيدةِ ، ثمَّ قالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : جعلتُكَ نائبي في عقدِ المجلسِ ، ثمَّ في الحالِ جاءَتْ فاطمةُ عليها السلامُ وجلسَتْ بينَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وبينَ عائشةَ ، فقالَ لها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُغرِّمُها ؛ يعني : علىٰ ما فاتَها بعدَ قيامِها مِنْ جنبِهِ حالَ إنشادِ هـٰذا

الصبيِّ ، ورأيتُ علىٰ ولدِكَ في تلكَ الحالةِ ثياباً بيضاً .

ثمَّ ذكرَ الأميرُ أبو الحسنِ السِّيمَجُوريُّ هـٰذهِ الرؤيا بينَ يدَي جماعةِ الصوفيةِ بنيسابورَ في خانقاه الشيخِ أبي عبدِ الرحمـٰنِ السلميِّ ، فكلُّهُم أُعجبوا بهـٰذهِ البشارةِ ، وتوفيَ الأميرُ أبو الحسنِ رحمَهُ اللهُ في شهرِ رمضانَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وأربعِ مئةٍ)(١)

وقالَ عبدُ الغافرِ الفارسيُّ : (ذكرَ لي الإمامُ محمدٌ أنَّهُ لمَّا فرغ مِنْ زيارةِ قبرِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حينَ كانَ بالمدينةِ ، وأرادَ أنْ يخرجَ مِنَ المسجدِ . . تذكَّرَ هـٰذهِ الرؤيا ، فوقفَ واستأذنَ مِنَ الروضةِ](٢) في عقدِ المجلسِ كما أشارَ إليهِ في الرؤيا ، فوجدَ شبهَ تعريفٍ أنَّهُ أذنَ لهُ فيهِ ، واللهُ أعلمُ)(٣)

قالَ الإمامُ أبو الحسنِ الفارسيُّ : (هوَ **محمدُ بنُ الفضلِ بنِ أحمدَ ، أبو عبدِ اللهِ الصاعديُّ الفَراويُّ**(٤) ، فقيهُ الحرمِ ، البارعُ في الفقهِ والأصولِ ، الحافظُ للقواعدِ ، نشأَ بينَ الصوفيَّةِ في حُجُورِهِم ، ووصلَ إليهِ بركاتُ أنفاسِهِم .

سمعَ التصانيفَ والأصولَ مِنَ الإمامِ زينِ الإسلامِ(٥) ، ودرسَ عليهِ الأصولَ والتفسيرَ ، ثمَّ اختلفَ إلىٰ مجلسِ إمامِ الحرمينِ ، ولازمَ درسَهُ ما عاشَ ، وتفقَّهَ عليهِ ، وعلَّقَ عنهُ الأصولَ ، فصارَ مِنْ جملةِ المذكورينَ مِنْ أصحابِهِ .

وخرجَ حاجّاً إلىٰ مكَّةَ ، وعُقِدَ لهُ المجلسُ ببغدادَ وسائرِ البلادِ ، وأظهرَ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٥٨١ـ٥٨٢) .

(٢) ما بين معقوفين تم استكماله من « تبيين كذب المفتري » .

(٣) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٨٢) .

(٤) وضبطه في « الأنساب » (١٠/١٦٦) بضم الفاء ، وفي « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/١٦٨) : (قال أبو سعد بن السمعاني : سمعت عبد الرشيد بن علي الطبري بمرو يقول : « الفُراوي ألف راوي ») .

(٥) هو الإمام القشيري أبو القاسم رضي الله عنه .

العلمَ بالحرمينِ ، وكانَ منهُ بهِما أثرٌ وذِكرٌ ، ونشرَ العلمَ ، وعادَ إلىٰ نيسابورَ .

وما تعدَّىٰ قطُّ حدَّ العلماءِ ، ولا سيرةَ الصالحينَ ؛ مِنَ التواضعِ والتبذُّلِ في الملابسِ والمعاشِ ، وتستَّرَ بكِتْبَةِ الشروطِ ؛ لاتِّصالِهِ بالزُّمرةِ الشَّحَّاميَّةِ مصاهرةً ؛ ليصونَ بها عِرْضَهُ وعلمَهُ عن توقُّعِ الإرفاقِ[١]

ثمَّ قعدَ للتدريسِ في المدرسةِ الناصحيَّةِ برأسِ سكَّةِ عمَّارٍ ، وقامَ بإمامةِ مسجدِ أبي بكرٍ المُطرِّزِ .

وقد سمعَ المسانيدَ والصِّحاحَ ، وأكثرَ عن مشايخَ ؛ مثلِ أبي الحسينِ عبدِ الغافرِ ، وأبي سعدٍ الجَنْزَرُوذيِّ ، وأبي سعيدٍ الخشَّابِ الصوفيِّ ، وطبقتِهِم)[٢] .

قالَ ابنُ عساكرَ : (وإلى الإمامِ محمدِ بنِ الفَراويِّ كانَتْ رحلتي الثانيةُ ؛ لأنَّهُ كانَ المقصودَ في تلكَ الناحيةِ ؛ لِمَا اجتمعَ فيهِ مِنْ عُلُوِّ الإسنادِ ، ووفورِ العلمِ ، وصحَّةِ الاعتقادِ)[٣]

تُوفِّيَ في سادسِ شوالٍ سنةَ ثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، ودُفِنَ في تربةِ أبي بكرِ ابنِ خزيمةَ .

* * *

---

(١) **الإرفاق** : النفع والمعونة المُقدَّمان من البشر .

(٢) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٨٣ـ٥٨٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ١٦٧ـ١٦٨) .

(٣) تبيين كذب المفتري (ص٥٨٤) ، وفيه أيضاً : (فأقمتُ في صحبته سنةً كاملة ، وغنمت من مسموعاته فوائد حسنةً طائلة ، وكان مُكرِماً لموردي عليه ، عارفاً بحقِّ قصدي إليه ، ومرض مرضة في مدة مُقامي عنده نهاه الطبيب عن التمكين من القراءة عليه فيها ، وعرَّفه أنَّ ذلك ربما كان سبباً لزيادة تألمه ، فقال : لا أستجيز أن أمنعهم من القراءة ، وربَّما أكون قد حُبِستُ في الدنيا لأجلهم ، فكنت أقرأ عليه في حالة مرضه وهو ملقىً علىٰ فراشه .
ثم عُوفي من تلك المرضة ، وفارقته متوجِّهاً إلىٰ هَراةَ ، فقال لي حين ودَّعته بعد أن أظهر الجزع لفراقي : ربما لا نلتقي بعد هـٰذا ، فكان كما قال ، فجاءنا نعيه إلىٰ هَراةَ) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ أبو سعدٍ إسماعيلُ بنُ أبي صالحٍ أحمدَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ الصمدِ النيسابوريُّ المعروفُ بـ (الكَرْمانيِّ)

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (شيخُنا الإمامُ أبو سعدٍ ، سُئِلَ عن مولدِهِ وأنا أسمعُ ، فقالَ : في أوائلِ ذي القَعْدةِ سنةَ اثنتينِ وخمسينَ وأربعِ مئةٍ .

تفقَّهَ : على الأستاذِ أبي القاسمِ القشيريِّ ، والإمامِ أبي المعالي الجُوَينيِّ ، وكانَ إماماً في الفقهِ والأصولِ ، حسنَ النظرِ ، مُقدَّماً في التذكيرِ .

سمعَ الحديثَ الكثيرَ بإفادةِ والدِهِ أبي صالحٍ الحافظِ المعروفِ بـ « المؤذِّنِ » ، وخرَّجَ لهُ والدُهُ الفوائدَ ، وسكنَ كَرْمانَ إلىٰ أنْ ماتَ بها ، وكانَ وجيهاً عندَ سلطانِها ، مُعظَّماً في أهلِها ، مُحترماً بينَ العلماءِ في سائرِ البلادِ .

لقيتُهُ ببغدادَ سنةَ إحدىٰ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ) ، قالَ : (وسمعتُ منهُ ، وسألَهُ بعضُ البغداديينَ : هل قرأتَ كتابَ « الإرشادِ » على الإمامِ أبي المعالي ؟ قالَ : نعم ، فاستأذنَهُ في قراءتِهِ عليهِ ، فأذِنَ لهُ ، فشرعَ في قراءتِهِ علىٰ عادةِ أصحابِ الحديثِ ، فلمَّا قرأَ منهُ نحوَ صفحةٍ قالَ : إنَّ هٰذا العلمَ لا يُقرَأُ كما يُقرَأُ الحديثُ للروايةِ ، وإنَّما يُقرَأُ شيئاً فشيئاً للدِّرايةِ ، فإنْ أردتَ أنْ تقرأَ كما قرأْناهُ ، وإلا فاتركْهُ .

تُوفِّيَ سنةَ إحدىٰ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ)[1] .

* * *

(١) تبيين كذب المفتري (ص٥٨٦ـ٥٨٧) .

ومنهُم :

الشيخُ الإمامُ أبو الحسنِ السُّلَميُّ الدمشقيُّ رحمَهُ اللهُ

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (هوَ شيخُنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ المُسلَّمِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ الفتحِ بنِ عليٍّ السُّلَميُّ ، ابنُ ابنةِ أبي بكرٍ محمدِ بنِ عقيلٍ الشَّهْرَزُوريِّ .

وُلِدَ سنةَ خمسينَ وأربعِ مئةٍ ، أو سنةَ اثنتينِ وخمسينَ .

وتفقَّهَ أوَّلاً : بالقاضي أبي المُظفَّرِ عبدِ الجليلِ بنِ عبدِ الجبارِ المَرْوَزيِّ نزيلِ دمشقَ ، وغيرِهِ ، وعُنِيَ بنفسِهِ بكثرةِ المطالعةِ والتَّذكيرِ[١]

ولمَّا قدمَ الفقيهُ أبو الفتحِ نصرُ بنُ إبراهيمَ المقدسيُّ . . لازمَهُ ، وكانَ مُعيداً لدرسِهِ ، ولزمَ الإمامَ أبا حامدٍ الغزاليَّ مدَّةَ مُقامِهِ بدمشقَ ، وهوَ الذي أمرَهُ بالتصدُّرِ بعدَ موتِ الفقيهِ نصرٍ ، وكانَ يُثني علىٰ علمِهِ ، ويصفُ حسنَ فهمِهِ[٢] .

وانتهىٰ إليهِ أمرُ التدريسِ والفُتيا والتذكيرِ بدمشقَ ، كانَ أَجْرىٰ أهلِ زمانِهِ قلماً بالفتوىٰ ، وأغزرَهُم علماً معَ التواضعِ وقلَّةِ الدعوىٰ ، عالماً بالتفسيرِ والأصولِ والفقهِ والتذكيرِ والفرائضِ والحسابِ والمناسخاتِ وتعبيرِ المناماتِ ، معَ ما رُزِقَ مِنْ [لينِ] الجانبِ وسلامةِ الصدرِ[٣] ، وقضاءِ حقوقِ

---

(١) في « التبيين » : (والتكرار) .

(٢) وقال ابن السبكي في « طبقاته » (٧/ ٢٣٦) : (وحُكِيَ : أنَّ الغزالي قال بعد خروجه من الشام : خلَّفتُ بالشام شاباً إن عاش كان له شأن) إشارةً إلى الإمام أبي الحسن السلمي رحمه الله تعالىٰ ، وعقَّب السبكي : (فكان كما تفرَّس فيه) .

(٣) في (أ، ب) : (أمن) بدل (لين) ، والمثبت من « التبيين » .

الناسِ ، والتوفُّرِ علىٰ نشرِ العلمِ ، والإرشادِ إلى الحقِّ ، وتحرِّي الصدقِ ، إلىٰ أنْ قبضَهُ اللهُ إلىٰ رحمتِهِ ساجداً في الركعةِ الثانيةِ مِنْ صلاةِ الصبحِ ، يومَ الأربعاءِ الثالثَ عشرَ مِنْ ذي القَعدةِ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ)[1]

* * *

(١) تبيين كذب المفتري (ص٥٨٨ـ٥٨٩) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو منصورٍ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ المنعمِ ابنِ ماشاذَه الأصفهانيُّ

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (شيخُنا الإمامُ أبو منصورٍ ابنُ ماشاذَه ، الفقيهُ الواعظُ المُفسِّرُ رحمَهُ اللهُ ، مِنْ أعيانِ العلماءِ ، ومشاهيرِ الفُضَلاءِ الفُهَماءِ .

قدمَ بغدادَ حاجّاً سنةَ أربعٍ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ حينَ كنتُ بها ، فلم يبقَ بها مِنَ المذكورينَ أحدٌ إلا تلقَّاهُ إلىٰ ظاهرِها ، وسُرُّوا بقدومِهِ السرورَ التامَّ ، وأظهرَ أميرُ المؤمنينَ المسترشدُ باللهِ لهُ الإكرامَ والاحترامَ ، وعقدَ لهُ المجلسَ في جامعِ القصرِ ، وسُرَّ بكلامِهِ أئمَّةُ العصرِ ، وحضرتُ مجلسَهُ مراراً .

ثمَّ لقيتُهُ بأصبهانَ سنةَ اثنتينِ وثلاثينَ ، وحضرتُ مجلسَ إملائِهِ وتذكيرِهِ ، وشاهدتُ جماعةً انتفعُوا بإشارتِهِ وتبصيرِهِ[1] ، وعاينتُ عُلُوَّ مرتبتِهِ في بلدِهِ ، وحِشْمتَهُ في نفسِهِ وولدِهِ .

تُوفِّيَ في الحادي عشرَ مِنْ شهرِ ربيعِ الآخرِ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ فجأةً بأصبَهان) ، قالَ ابنُ عساكرَ : (كتبَ إليَّ بوفاتِهِ ثقةٌ)[2] .

* * *

---

(١) في « التبيين » : (بإرشاده) بدل (بإشارته) .

(٢) تبيين كذب المفتري (ص٥٩٠) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٨٥) .

ومنهُمْ :

الإمامُ أبو الفتوحِ محمدُ بنُ الفضلِ بنِ محمدِ بنِ المعتمَدِ الإسفراينيُّ رحمَهُ اللهُ

قالَ ابنُ عساكرَ : (أَجْرىٰ مَنْ رأيتُهُ لساناً وجَناناً[1] ، وأكثرُهُم فيما يُورِدُ إغراباً وإحساناً ، وأسرعُهُم عندَ السؤالِ جواباً ، وأسلسُهُم عندَ الإيرادِ خِطاباً ، معَ ما رُزِقَ مِنْ صحَّةِ العقيدةِ ، والسجايا الكريمةِ والخصالِ الحميدةِ[2] ؛ مِنْ قلَّةِ المُراءاةِ لأبناءِ الدُّنيا ، وعدمِ المبالاةِ بذوي الرُّتبةِ العُليا ، والإقبالِ علىٰ إرشادِ الخلقِ ، وبذلِ النفسِ في نُصرةِ الحقِّ ، والصلابةِ في الدينِ ، وإظهارِ صحَّةِ اليقينِ ، وما يُضافُ إلىٰ هـٰذهِ الشِّيَمِ ؛ مِنْ سَعةِ النفسِ وشدَّةِ الكرمِ ، والتحلِّي بالتصوُّفِ والزَّهادةِ ، والتخلِّي لوظائفِ العبادةِ ، والاستحقاقِ لوصفِ السيادةِ ، والفوزِ في آخرِ عمرِهِ بالشهادةِ .

بلغَني : أنَّهُ لمَّا وقعَتْ لهُ تلكَ الواقعةُ ببغدادَ[3] . . اجتمعَ إليهِ جماعةٌ مِنْ أصحابِهِ ، وشكَوْا إليهِ ما يتوقَّعُونَ مِنْ وَحشةِ فراقِهِ ، فقالَ : لعلَّ في ذلكَ خِيرةً .

---

(١) في « التبيين » : (أجرأ) بدل (أجرىٰ) .

(٢) العبارة في « التبيين » : (مع ما رزق بعد صحة العقيدة من السجايا الكريمة . . .) .

(٣) يشير بذلك : إلىٰ فتنة الحنابلة التي أُخرج بسببها من بغداد بسبب إظهاره عقيدة أهل السنة ، وذمِّه لسابِّي إمامها والمنافح عنها أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه ، قال ابن السبكي في « الطبقات » (٦/ ١٧٢) نقلاً عن ابن النجار : (وكان يتكلم علىٰ مذهب الأشعري ، فثارت عليه الحنابلة ، ووقعت فتنٌ ، فأمر المسترشد بإخراجه ، فخرج إلىٰ أن وَلِي المقتفي ، فعاد ، واستوطن بغداد ، فلم يزل يعظ ويظهر مذهب الأشعري إلىٰ أن عادت الفتن علىٰ حالها ، فأُخرج ثاني مرة وأدركه أجله) .

وحَكىٰ : أنَّ بعضَ المشايخِ جرىٰ لهُ مثلُ واقعتِهِ ، وقيلَ لهُ كما قيلَ لهُ ، فقالَ : لعلَّ في ذلكَ خِيرةً ، فقيلَ لهُ : وأيُّ خِيرةٍ في ذلكَ ؟! قالَ : لعلِّي أموتُ وأُقبَرُ إلىٰ جنبِ رجلٍ صالحٍ ، فكانَ كما وقعَ لهُ .

خرجَ مِنْ بغدادَ مُتوجِّهاً إلىٰ خراسانَ ، فأصابَهُ مرضُ البطنِ ، فماتَ غريباً مبطوناً شهيداً ، ودُفِنَ بِبِسْطامَ إلىٰ جنبِ قبرِ أبي يزيدَ البِسْطاميِّ في شهورِ سنةِ ثمانٍ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ .

وحكىٰ جماعةٌ مِنْ أهلِ بِسْطامَ عن قيِّمِ مسجدِ أبي يزيدَ : أنَّهُ رآهُ في المنامِ وهوَ يقولُ : غداً يجيءُ أخي ويكونُ في ضِيافتي ، فقدِمَ الشيخُ أبو الفتوحِ ، وعُمِلَ لهُ وقتٌ ، وأقامَ ثلاثةَ أيامٍ بِبِسْطامَ ، ثمَّ ماتَ)[1] .

* * *

(١) تبيين كذب المفتري (ص٥٩١ـ٥٩٢) .

ومنهُم :

أبو الفتحِ نصرُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ القويِّ
الأشعريُّ نسباً ومذهباً ، المِصِّيصيُّ رحمَهُ اللهُ

خاتِمُ الجماعةِ موتاً وذكراً ، [وأحدُّهُم خاطراً في الأصولِ والفقه وفِكْراً .

قرأَ علمَ الكلامِ : علىٰ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عتيقٍ القيروانيِّ بصورَ عندَ اجتيازِهِ إلى العراقِ ، **وصحبَ** : الفقيهَ أبا الفتحِ نصرَ بنَ إبراهيمَ المقدسيَّ مدَّةَ مقامِهِ بصورَ ودمشقَ ، وخلفَهُ بعدَ وفاتِهِ في حلقتِهِ ، مُقتدياً بأفعالِهِ في نشرِ العلمِ بقدرِ طاقتِهِ ، مُحترَماً عندَ الولاةِ والرعيَّةِ ، مُتحلِّياً بالأوصافِ المرضيَّةِ ، إلىٰ أنْ ماتَ ليلةَ الجمعةِ الثاني مِنْ شهرِ ربيعٍ الأولِ مِنْ سنةِ اثنتينِ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ ، وكانَ مولدُهُ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وأربعِ مئةٍ .

وقد سمعَ الحديثَ مِنَ الإمامِ أبي بكرٍ الخطيبِ وغيرِهِ][1]

* * *

(١) ما بين معقوفين تم استكماله من « تبيين كذب المفتري » (ص٥٩٤) .

الباب التّاسع

في ذكر جماعة لم يذكرهم الحافظ ابن عساكر

بابٌ

في ذكر جماعة لم يذكرهم الحافظ ابن عساكر

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ ركنُ الإسلامِ أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ عبدِ الملكِ الطُّوسيُّ المعروفُ بـ (الحاكميِّ)

كانَ إماماً بارعاً في علمِ الكلامِ ، رأيتُ ما كُتِبَ إليهِ جواباً عن فُتيا استُفتيَ فيها ، أفتىٰ فيها علىٰ رأيِ أبي الحسنِ الأشعريِّ رضيَ اللهُ عنهُما ، وسأُورِدُ بعضَها في (بابِ فتاوى العلماءِ في المبتدعةِ)[1] .

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ رحمَهُ اللهُ في « تاريخِ دمشقَ » فيمَنِ اسمُهُ (إسماعيلُ) واسمُ أبيهِ (عبدُ الملكِ) : (إسماعيلُ بنُ عبدِ الملكِ أبو القاسمِ الطُّوسيُّ ، الفقيهُ الشافعيُّ ، قدمَ دمشقَ سنةَ تسعٍ وثمانينَ وأربعِ مئةٍ[2] ، عديلُ

---

(١) وهي فتيا مطوَّلة ، وقال المؤلف في (٢/ ٤٦١) بعد أن ذكرها : (ولم أُطِلْ بذكر فتياه على التمام والكمال إلا لأظهر كلامه ؛ فإني لم أقف له علىٰ تصنيف غير هـٰذا ، وسألت من جماعة عنه ، فلم أسمع من رأىٰ له تصنيفاً غير هـٰذا ، وهو جليل القدر) .

(٢) وذكر ابن السبكي في « الطبقات » (٧/ ٤٧) نقلاً عن ابن السمعاني : أنه سافر إلى العراق والشام مع الغزالي ، وكان شريكاً له في الدرس ، وكان أكبر سناً منه ، وكان الغزالي يكرمه غاية الإكرام ويقدِّمه علىٰ نفسه ، وفي بعض الأوقات يخدمه .

الإمامِ أبي حامدِ الغزاليِّ[1] ، وسمعَ مِنَ الفقيهِ أبي الفتحِ نصرِ بنِ إبراهيمَ بعضَ مُصنَّفاتِهِ) .

قالَ الحافظُ : (سمعتُ جدِّي أبا الفضلِ يحيى بنَ عليٍّ القاضيَ يُثني عليهِ[2] ، ويذكرُ أنَّهُ كانَ أعلمَ بالأصولِ مِنَ الغزاليِّ ، إلا أنَّهُ كانَ في لسانِهِ ما يمنعُهُ مِنَ الكلامِ)[3]

قلتُ : هوَ فصيحُ التصنيفِ ، خطيبُ الأقلامِ ، فلا تضرُّهُ حُبسةٌ في لسانِهِ ، واللهُ عزَّ وجلَّ أعلمُ .

وهـٰذا أيضاً ممَّنْ لم يذكرْهُ الحافظُ في « تبيينِ كذبِ المفتري » ، ولم أعرفْ لهُ وفاةً ولا مولداً[4] .

* * *

(١) أي : كانا يركبان علىٰ جمل واحد ؛ يقال : **عدله في المحمل وعادله** : ركب معه ؛ وذلك أثناء خروجهما من بغداد إلى الحجاز . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٤٧) ، و« تاج العروس » (٢٩/ ٤٤٦) ، مادة : (ع د ل) .

(٢) في « تاريخ دمشق » : (أبا المفضل) بدل (أبا الفضل) ، والمثبت موافق لـ « طبقات الشافعية الكبرىٰ » وغيره من المصادر .

(٣) تاريخ دمشق (٩/ ١٨) .

(٤) ومثله في « تاريخ الإسلام » للذهبي (٣٣/ ٢٩٥) ، وترجمه في « السير » (٢٠/ ٦) ، وابن السبكي في « الطبقات » (٧/ ٤٧ ـ ٤٨) ، وذكرا أنَّ وفاته كانت سنة (٥٢٩هـ) ، ودفن إلىٰ جانب الغزالي .

[ومنهُمْ :

الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ تومرتَ

وهوَ مِنْ جبلِ السوسِ في أقصىٰ بلادِ المغربِ ، ونشأَ هناكَ ، ثمَّ رحلَ إلى المشرقِ في شبيبتِهِ طالباً للعلمِ ، فانتهىٰ إلى العراقِ ، واجتمعَ بأبي حامدٍ الغزاليِّ وإِلْكِيا الهرَّاسيِّ والطُّرْطُوشيِّ وغيرِهِم ، وحجَّ وأقامَ بمكَّةَ مُدَيدةً ، وحصَّلَ طرفاً صالحاً مِنْ علمِ الشريعةِ والحديثِ النبويِّ وأصولِ الفقهِ والدينِ .

وكانَ وَرِعاً ناسكاً ، مُتقشِّفاً مُخشوشِناً مُخلولِقاً ، كثيرَ الإطراقِ ، بسَّاماً في وجوهِ الناسِ ، مُقبِلاً على العبادةِ ، لا يصحبُهُ مِنْ متاعِ الدنيا إلا عصاً وركوةٌ ، وكانَ شجاعاً فصيحاً في لسانِ العربيِّ والمغربيِّ ، شديدَ الإنكارِ على الناسِ فيما يخالفُ الشرعَ ، لا يقنع في أمرِ اللهِ بغيرِ إظهارِهِ .

وكانَ رجلاً ربعةً ، قَضيفاً أسمرَ[1] ، عظيمَ الهامةِ ، حديدَ النظرِ .

وقالَ في حقِّهِ صاحبُ كتابِ « المغربِ في أخبارِ أهلِ][2] المغربِ » : [من الكامل]

آثَـارُهُ تُغْنِيـكَ عَـنْ أَخْبَـارِهِ ... حَتَّـىٰ كَـأَنَّـكَ بِـٱلْعِيَـانِ تَـرَاهُ

قَدَمٌ في الثَّرىٰ وهِمَّةٌ في الثُّريَّا ، ونفسٌ ترىٰ إراقةَ ماءِ الحياةِ دونَ إراقةِ ماءِ المُحيَّا[3] ، أغفلَ المرابطُونَ حلَّهُ وربطَهُ ، حتىٰ دبَّ دبيبَ الفَلَقِ في الغَسَقِ ،

---

(١) القَضيف : النحيف .

(٢) ما بين معقوفين تم استكماله مختصراً من « وفيات الأعيان » (٥/ ٤٦ ، ٥٣) ، والمؤلف ينقل كثيراً في هـٰذا الباب عن « وفيات الأعيان » ، والسياق موجود فيه بلفظه تقريباً .

(٣) أشار به : إلىٰ قول الشاعر : (من المتقارب)

فكُـنْ رجـلاً رجلُـهُ فـي الثَّـرىٰ ... وهـامـةُ هِمَّتِـهِ فـي الثُّـريَّـا =

وتركَ في الدنيا دَوِيّاً ، أنشأَ دولةً لو شاهدَها أبو مُسلِمٍ ، لَمَا كانَ ـ لعزمِهِ فيها ـ غيرَ مُسَلِّمٍ[1] ، وكانَ قوتُهُ مِنْ غزلِ أختٍ لهُ رغيفاً في كلِّ يومٍ بقليلِ سمنٍ أو زيتٍ ، ولم ينتقلْ عن هـٰذا حينَ كثُرَتْ عليهِ الدنيا .

ورأىٰ أصحابَهُ يوماً وقد مالَتْ نفوسُهُم إلىٰ كثرةِ ما غنمُوهُ ، فأمرَ بضمِّ جميعِهِ وأحرقَهُ بالنارِ ، وقالَ : مَنْ كانَ يتبعُني [للدنيا فما لهُ عندي إلا ما رأىٰ ، ومَنْ تبعَني] للآخرةِ فجزاؤُهُ عندَ اللهِ تعالىٰ .

قالَ : (وكانَ علىٰ خمولِ زِيِّهِ وبسطِ وجهِهِ مَهيباً منيعَ الحجابِ ، إلا عندَ مَظْلَمةٍ ، ولهُ رجلٌ يختصُّ بخدمتِهِ والإذنِ عليهِ .

وكانَ لهُ شعرٌ ؛ فمنهُ : [من المتقارب]

أَخَذْتَ بِأَعْضَادِهِمْ إِذْ نَأَوْا ... وَخَلَّفَكَ ٱلْقَوْمُ إِذْ وَدَّعُوا
فَكَمْ أَنْتَ تَنْهَىٰ وَلَا تَنْتَهِي ... وَتُسْمِعُ وَعْظاً وَلَا تَسْمَعُ
فَيَا حَجَرَ ٱلشَّحْذِ حَتَّىٰ مَتَىٰ ... تَسُنُّ ٱلْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ

ولهُ أيضاً : [من الطويل]

تَجَرَّدْ عَنِ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا ... خَرَجْتَ إِلَى ٱلدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدُ

وُلِدَ يومَ عاشوراءَ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وأربعِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ سنةَ أربعٍ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ ، ودُفِنَ في الجبلِ بتِينِ مَلَّ ، وقبرُهُ هناكَ مشهورٌ ، رحمَهُ اللهُ)[2]

= فإنَّ إراقةَ ماءِ الحيا ... ةِ دونَ إراقةِ ماءِ المُحيَّا
وهما لأبي الحسن النعيمي كما سبق في (١/ ٤١٦) .

(١) في « وفيات الأعيان » : (بمسلم) بدل (غير مسلم) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٥/ ٥٣ـ٥٤) .

قلتُ : لهُ عقيدةٌ سمَّاها « المرشدةَ » مختصرةٌ[1] ، وهيَ مِنْ أوَّلِ ما قرأتُهُ على الشيخِ شرفٍ في هـٰذا العلمِ ، وشرحتُها عليهِ[2] ، وذكرَ لي أنَّ لهُ « عقيدةَ البربريَّةِ » كانَ استمالَ بها قلوبَ البربرِ ، وبلغَني أنَّ لهُ عقيدةً كبرىٰ مُطوَّلةً .

* * *

(١) لعل الأقرب : أنَّ هـٰذه العقيدة للإمام الكبير أبي منصور فخر الدين ابن عساكر شيخِ سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، وكان ابن تيمية يذكر أنَّ هـٰذه العقيدة تُنسب لابن تومرت ، وردَّه الصلاح العلائي قائلاً : (إنَّ ذلك بعيدٌ عن الصحَّة أو باطل) ، ويحتمل وجودُ « مرشدة » أخرىٰ ، وخصوصاً أنَّ شرف الدين الكركي من الممارسين لهـٰذا العلم في بلده المغرب ، والمطَّلعين علىٰ مؤلفاته قبل مجيئه إلىٰ مصر ، والله تعالىٰ أعلم ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٨٥) .

هـٰذا ؛ وقد ادَّعى الصلاح العلائي : أنَّ ابن تومرت كان معتزليّاً ، وعقَّب عليه ابن السبكي بقوله (٨/ ١٨٥) : (فأما أن ابن تومرت كان معتزليّاً : فلم يصح عندنا ذلك ، والأغلب : أنه كان أشعريّاً صحيح العقيدة ، أميراً عادلاً داعياً إلىٰ طريق الحق) .

(٢) قوله : (شرف) : هو شيخه شرف الدين محمد بن عمران الفاسي الكركي ، وقد نقل عنه المؤلف معاناته في تعلم علم الكلام ببلده فاس ، واجتماعَه بمصر بالعز بن عبد السلام ، وما دار بينهما من حديث . انظر (١/ ٢٩٢ـ ٢٩٣) ، وستأتي ترجمته في (٢/ ٢٠٦ـ ٢١١) .

ومنهُمْ :

الإمامُ الحافظُ أبو الحسنِ عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ بنِ عبدِ الغافرِ ابنِ محمدِ بنِ عبدِ الغافرِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ سعيدٍ الفارسيُّ

كانَ إماماً في الحديثِ والعربيَّةِ ، قرأَ القرآنَ ، ولُقِّنَ الاعتقادَ بالفارسيَّةِ وهوَ ابنُ خمسِ سنينَ ، وتفقَّهَ علىٰ إمامِ الحرمينِ أبي المعالي في مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ ، ولازمَهُ مدَّةَ أربعِ سنينَ .

وهوَ سبطُ الإمامِ أبي القاسمِ عبدِ الكريمِ بنِ هوازنَ ، وجدَّتُهُ فاطمةُ بنتُ الشيخِ أبي عليٍّ الدقَّاقِ ، وخالاهُ أبو نصرٍ وأبو سعيدٍ ولدا أبي القاسمِ ، وأمُّهُ أمةُ الرحيمِ ، سمعَ مِنْ هـٰؤلاءِ ومِنْ جماعةٍ غيرِهِم ، وهوَ [حفيدُ] راوي « صحيحِ مسلمٍ » .

خرجَ مِنْ نيسابورَ إلىٰ خُوارزْمَ ، ولقيَ بها الأفاضلَ ، وعُقِدَ لهُ المجلسُ بها ، ثمَّ خرجَ [إلىٰ] غَزْنَةَ ومنها إلى الهندِ ، وروى الأحاديثَ ، ثمَّ رجعَ إلىٰ نيسابورَ وأملىٰ بها في مسجدِ عقيلٍ .

وصنَّفَ كتباً عديدةً ؛ **منها** : « المفهمُ بفوائدِ مسلمٍ »[1] ، و« السياقُ لتاريخِ نيسابورَ » ، وفرغَ منهُ في أواخرِ ذي القعدةِ سنةَ ثمانِ عشرةَ وخمسِ مئةٍ .

وُلِدَ في شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ إحدىٰ وخمسينَ وأربعِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في سنةِ تسعٍ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ[2]

*　*　*

(١) يتردَّد اسمُ الكتاب في المصادر التي اطلعت عليها ما بين « المفهم لشرح غريب مسلم » ، و« المفهم في شرح مسلم » ، والخطب يسير .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٢٢٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٧١ـ١٧٣) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عليٍّ التميميُّ المازَريُّ

الفقيهُ المالكيُّ ، شيخُ العلماءِ ، ومُحرِزُ فضيلةِ السبقِ ، كانَ مُتقِناً للعلومِ ، مُقدَّماً في علمِ المنطوقِ والمفهومِ(١) .

صنَّفَ كتباً ؛ منها : « المعلمُ بفوائدِ مسلمٍ » .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ في ثامنَ عشرَ شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، وعمرُهُ ثلاثٌ وثمانونَ سنةً(٢) .

* * *

(١) وكان رحمه الله من الأذكياء أصحاب القريحة النافذة ، قيل : إنه مرض مرضة فلم يجد من يعالجه إلا يهودياً ، فلمّا عُوفي على يده قال : لولا التزامي بحفظ صناعتي لأعدمتُك المسلمين ، فأثَّر هـٰذا عند المازَري ، فأقبل على تعلم الطبِّ حتىٰ فاق فيه ، وكان ممن يفتي فيه كما يفتي في الفقه . انظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ١٠٥) .
وذكره ابن السبكي في أكثر من موضع ، ومنها في سياق دفاعه عن « الإحياء » قال (٦/ ٢٤٣) : (كان ـ أي : المازريُّ ـ من أذكى المغاربة قريحةً ، وأحدِّهم ذهناً ؛ بحيث اجترأ علىٰ « شرح البرهان » لإمام الحرمين ، وهو لغز الأمة الذي لا يحوم نحو حماه ، ولا يدندن حول مغزاه . . إلا غوَّاصٌ على المعاني ، ثاقبُ الذهن ، مُبرِّز في العلم) .
وقال رحمه الله : (وكان مُصمِّماً علىٰ مقالات الشيخ الإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه ؛ جليلها وحقيرها ، كبيرها وصغيرها ، لا يتعدَّاها ، ويُبدِّع من خالفه ولو في النزر اليسير ، والشيء الحقير) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٨٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ١٠٤ـ١٠٧) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ موسى بنِ عطاءِ اللهِ الصنهاجيُّ المَرِيِّيُّ ، المعروفُ بـ (ابنِ العريفِ)

كانَ مِنْ كبارِ الصالحينَ والأولياءِ ، لهُ المناقبُ المشهورةُ ، ولهُ كتابُ « المجالسِ » وغيرُهُ مِنَ الكتبِ المُتعلِّقةِ بطريقِ القومِ .

ولهُ نظمٌ حسنٌ في طريقِهِم ؛ منهُ : [من البسيط]

شَدُّوا ٱلْمَطِيَّ وَقَدْ نَالُوا ٱلْمُنَىٰ بِمِنىً ... وَكُلُّهُمْ بِأَلِيمِ ٱلشَّوْقِ قَدْ بَاحَا

سَارَتْ رَكَائِبُهُمْ تَبْدُو رَوَائِحُهَا ... طِيباً وَقَدْ قَرَّبُوا لِلْوَفْدِ أَشْبَاحَا[1]

نَسِيمُ قَبْرِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْمُصْطَفَىٰ لَهُمُ ... رَوْحٌ إِذَا شَرِبُوا مِنْ ذِكْرِهِ رَاحَا

يَا وَاصِلِينَ إِلَى ٱلْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ ... سِرْتُمْ جُسُوماً وَسِرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحَا[2]

إِنَّا أَقَمْنَا عَلَىٰ عُذْرٍ وَعَنْ قَدَرٍ ... وَمَنْ أَقَامَ عَلَىٰ عُذْرٍ كَمَنْ رَاحَا

وبينَهُ وبينَ القاضي عياضِ بنِ موسى اليَحْصَبيِّ مكاتباتٌ حسنةٌ .

وحكىٰ بعضُ المشايخِ الفُضَلاءِ : أنَّهُ رأىٰ بخطِّهِ فصلاً في حقِّ أبي محمدٍ عليِّ بنِ أحمدَ المعروفِ بـ (ابنِ حزمٍ) الظاهريِّ الأندلسيِّ ، وقالَ فيهِ : (كانَ لسانُ ابنِ حزمٍ المذكورِ وسيفُ الحجَّاجِ بنِ يوسفَ شقيقينِ) لوقوعِهِ في العلماءِ[3] .

---

(١) في « وفيات الأعيان » (١/ ١٦٩) : (تندىٰ) بدل (تبدو) ، و(بما طاب ذاك الوفد أشباحا) بدل (وقد قربوا . . .) .

(٢) في « وفيات الأعيان » (١/ ١٦٩) : (زرتم ، وزرنا) بدل (سرتم ، وسرنا) .

(٣) ومن جملة من وقع فيهم من الأئمة : إمامُ أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري ، وهو=

[وقيلَ : تُوفِّيَ][1] ابنُ العريفِ مسموماً بمَرَّاكُشَ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ [. . .][2]

* * *

= عموماً من المتعصبين على الأشاعرة جهلاً بأقوالهم ، وتصديقاً لبعض الأكاذيب المنقولة عنهم ، قال ابن السبكي في « الطبقات » (١/ ٩٠-٩١) : (وهـٰذا ابن حزم رجل جَرِيٌّ بلسانه ، مُتسرِّع في النقل بمجرد ظنه ، هاجمٌ علىٰ أئمة الإسلام بألفاظه . . . وقد أفرط في كتابه هـٰذا - أي : « الملل والنحل » - في الغض من شيخ السنة أبي الحسن الأشعري ، وكاد يُصرِّح بتكفيره في غير موضع ، وصرَّح بنسبته إلى البدعة في كثير من المواضع ، وما هو عنده إلا كواحد من المبتدعة ، والذي تحقَّقته بعد البحث الشديد : أنه لا يعرفه ، ولا بلغه بالنقل الصحيح معتقَدُهُ ، وإنما بلغته عنه أقوال نقلها الكاذبون عليه ، فصدَّقها بمجرد سماعه إياها ، ثم لم يكتف بالتصديق بمجرد السماع حتىٰ أخذ يُشنِّع) .

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (١/ ١٦٨-١٧٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ١١١-١١٤) ، وبعد الترجمة جاءت ورقة بيضاء في الأصل .

ومنهُمْ :

الإمامُ أبو بكرٍ[1] محمدُ بنُ أبي القاسمِ عبدِ الكريمِ بنِ أبي بكرٍ أحمدَ الشَّهْرَسْتانيُّ المُتكلِّمُ علىٰ مذهبِ الأشعريِّ

كانَ إماماً مُبرِّزاً ، فقيهاً مُتكلِّماً أصوليّاً ، تفقَّهَ : علىٰ أحمدَ الخَوَافيِّ ، وعلىٰ أبي نصرٍ القشيريِّ ، وغيرِهِما ، وبرعَ في الفقهِ ، وقرأَ الكلامَ : علىٰ أبي القاسمِ الأنصاريِّ ، وتفرَّدَ فيهِ .

وصنَّفَ كتابَ « نهايةِ الإقدامِ في علمِ الكلامِ » ، وكتابَ « المللِ والنِّحَلِ » ، و« تلخيصِ الأقسامِ لمذاهبِ الأنامِ » .

وكانَ كثيرَ المحفوظِ ، حسنَ المحاورةِ ، يعظُ الناسَ ويُذكِّرُهُم ، ودخلَ بغدادَ ، وظهرَ لهُ قَبولٌ عظيمٌ عندَ العوامِّ .

وسمعَ الحديثَ : مِنْ عليِّ بنِ أحمدَ المدينيِّ بنيسابورَ ومِنْ غيرِهِ ، كتبَ عنهُ الحافظُ أبو سعدٍ عبدُ الكريمِ السَّمْعانيُّ ، وذكرَهُ في كتابِ « الذيلِ » .

وكتبُهُ كثيرةٌ ؛ فلا نستغرقُ في ذكرِ شيءٍ مِنْ كلامِهِ ، وقد أوردتُ أقوالَهُ في مواضعَ مِنْ كتابي هٰذا[2]

وُلِدَ سنةَ سبعٍ وستينَ وأربعِ مئةٍ بشَهْرَسْتانَ[3] ، وتُوفِّيَ بها سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ ، وقيلَ : سنةَ تسعٍ وأربعينَ ، والأولُ أصحُّ[4]

---

(١) المشهور : أن كنيته هي (أبو الفتح) .

(٢) انظر (١/ ٩٧ ، ٢٦١ـ ٢٦٢) .

(٣) وقيل : سنة تسع وسبعين وأربع مئة . انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٧٤) .

(٤) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٧٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ١٢٨ـ ١٣٠) .

ومنهُمْ :

القاضي أبو المعالي مُجَلِّي بنُ جُمَيْعِ بنِ نجا القرشيُّ المخزوميُّ الأُرْسُوفيُّ الأصلِ المصريُّ الدارِ والوفاةِ ، الفقيهُ الشافعيُّ[1]

كانَ مِنْ أعيانِ الفقهاءِ المُشارِ إليهِم والمشهورينَ ، وكانَ مِنْ حسنِ الاعتقادِ علىٰ أمرٍ عظيمٍ ، مُتشدِّداً في دينِهِ ، مُشاراً إليهِ في فنونِهِ .

صنَّفَ كتابَ « الذخائرِ » في الفقهِ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ ، ونسخَ منها نسخةً بخطِّهِ وقفَها بجامعِ مصرَ .

وكانَ يرىٰ في مسألةِ تعليقِ الطلاقِ بالدَّورِ : أنَّهُ لا يقعُ المُنجَّزُ ولا المُعلَّقُ ، فكانَ إذا حضرَ عقداً أمرَ الزوجَ بتقليدِهِ وتقليدِ مَنْ قالَ بقولِهِ ، ثمَّ يُعلِّمُهُ المسألةَ المعروفةَ .

وليَ القضاءَ بمصرَ في سنةِ سبعٍ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ مِنْ جهةِ العادلِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ السَّلارِ ، وصُرِفَ سنةَ تسعٍ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ .

تُوفِّيَ في ذي القَعْدةِ سنةَ خمسينَ وخمسِ مئةٍ[2] .

* * *

(١) وضبط (الأرسوفيَّ) في « معجم البلدان » (١/ ١٥١) بفتح الهمزة ، وهي مدينة تقع علىٰ ساحل بحر فلسطين .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ١٥٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٧٧ـ٢٨٣) .

ومنهُمْ :

الإمامُ أبو القاسمِ عمرُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عكرمةَ المعروفُ بـ (ابنِ البَزْريِّ) الشافعيُّ الجَزَريُّ الفقيهُ

إمامُ جزيرةِ ابنِ عمرَ وفقيهُها ومفتيها[1] ، تفقَّهَ بالجزيرةِ[2] ، ثمَّ رحلَ إلىٰ بغدادَ ، واشتغلَ علىٰ إلْكِيَا الهرَّاسيِّ ، وحُجَّةِ الإسلامِ أبي حامدٍ الغزاليِّ ، ورجعَ إلى الجزيرةِ ودرَّسَ بها ، وشرحَ إشكالاتِ كتابِ « المهذَّبِ »[3] ، وكانَ يُنعَتُ (جمالَ الإسلامِ)[4] .

وُلِدَ سنةَ إحدىٰ وسبعينَ وأربعِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ ثانيَ ربيعِ الأوَّلِ ـ وقيلَ : الآخرِ ـ سنةَ ستينَ وخمسِ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ[5] .

* * *

---

(١) وقال ابن السبكي في « الطبقات » (٧/ ٢٥٢) : (وكان يقال : إنه أحفظ أهل الأرض بمذهب الشافعي) ، ويحتمل في (أ) : (ابني عمر) بدل (ابن عمر) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٣٤٩) .

(٢) علىٰ يد الإمام أبي الغنائم محمد بن الفرج الفارقي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) واسم هـٰذا الكتاب : « الأسامي والعلل من كتاب المهذب » .

(٤) في « وفيات الأعيان » (٣/ ٤٤٥) : (وكان ينعت « زين الدين جمال الإسلام ») .

(٥) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٤٤٤ـ٤٤٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٥١ـ٢٥٣) .

ومنهُم :

أبو سعدٍ عبدُ الكريمِ بنُ الإمامِ محمدِ بنِ أبي المُظفَّرِ[1]

يُلقَّبُ (تاجَ الإسلامِ) ، قرأَ وحفظَ وصنَّفَ ، وهوَ لهُ[2] « الذيلُ علىٰ تاريخِ بغدادَ »[3] ، ورحلَ وسمعَ الكثيرَ ، حتىٰ زادَتْ شيوخُهُ علىٰ أربعةِ آلافِ شيخٍ[4] .

وكانَ عزيزَ الديانةِ ، صحيحَ الاعتقادِ .

وُلِدَ في الحادي والعشرينَ مِنْ شعبانَ سنةَ ستٍّ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في شهرِ ربيعِ الأوَّلِ سنةَ اثنتينِ وستينَ وخمسِ مئةٍ[5] .

* * *

---

(١) وأبو سعد : هو السَّمعاني الإمام الكبير الحافظ المؤرخ صاحب « الأنساب » وغيرِه من المؤلفات النفيسة .

(٢) كذا في (أ ، ب) ، ويحتمل أنه تحرَّف عن (وهو مُؤلِّف) ، أو أن (هو) زائدة ، والله تعالىٰ أعلم .

(٣) انظر سرد مؤلفاته في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٨٢ـ١٨٤) .

(٤) قال ابن السبكي في « الطبقات » (٧/ ١٨٢) : (قال ابن النجار : سمعت من يذكر أن عدد شيوخه سبعة آلاف شيخ ، وهـٰذا شيء لم يبلغْهُ أحد) .

(٥) انظر « تاريخ دمشق » (٣٦/٤٤٧ـ ٤٤٨) ، و« وفيات الأعيان » (٣/٢٠٩ـ٢١٠) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٨٠ـ١٨٥) ، وقال الحافظ ابن عساكر بعد أن ترجمه وذكر بعض ودِّه معه ومحبتِهِ له : (وهو الآن شيخ خراسان غير مُدافَع ، عن صدق ومعرفة وكثرة سماع لأجزاء وكتب مصنفة ، والله يبقيه لنشر السنة ، ويُوفِّقه لأعمال أهل الجنة) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ ضياءُ الدينِ أبو النَّجيبِ عبدُ القاهرِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عَمُّويَه ـ واسمُهُ : عبدُ اللهِ ـ ابنِ سعدِ بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ علقمةَ بنِ النضرِ بنِ معاذِ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ القاسمِ بنِ محمدِ بنِ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ

فهوَ البَكْريُّ نسباً ، السُّهْرَوَرْديُّ بلداً ، وهوَ شيخُ الشيخِ شهابِ الدينِ وعمُّهُ(١)

وكانَ مُدرِّساً بالمدرسةِ النِّظاميَّةِ ببغدادَ ، سمعَ الكثيرَ على المشايخِ ، وسمعَ علىٰ أبي الوقتِ كتابَ « الجامعِ الصحيحِ » لأبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ إسماعيلَ ، تفقَّهَ علىٰ أبي سعيدٍ المِيهَنيِّ ، ثمَّ سلكَ طريقَ الصوفيَّةِ ، وأقبلَ على الاشتغالِ بالعملِ ، وكانَ [يعظُ ويُذكِّرُ ، فرجعَ بسببِهِ خلقٌ كثيرٌ إلى اللهِ تعالىٰ ، وبنىٰ رباطاً على الشطِّ مِنَ الجانبِ الغربيِّ ببغدادَ ، وسكنَهُ جماعةٌ مِنْ أصحابِهِ الصالحينَ .

وُلِدَ بسهروردَ سنةَ تسعينَ وأربعِ مئةٍ تقريباً ، وتُوفِّيَ ببغدادَ يومَ الجمعةِ سابعَ عشرَ جمادى الآخرةِ سنة ثلاثٍ وستينَ وخمسِ مئةٍ](٢)

---

(١) وشهاب الدين : هو الإمام الكبير المربي أبو حفص السهروردي صاحب الكتاب النفيس « عوارف المعارف » الذي يعتبر أحد أركان علم التصوف .

(٢) ما بين معقوفين بياض في الأصل بمقدار ورقة ، وقد تم استكماله مختصراً من « وفيات الأعيان » (٣/ ٢٠٤ـ٢٠٥) .

[...][1]، وممَّا ذكرَهُ الإمامُ العالمُ بهاءُ الدينِ الشهريُّ في مشهدٍ[2] :
أنشدَنا الحافظُ أبو القاسمِ ـ يعني : ابنَ عساكرَ ـ قالَ : أنشدَنا أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ منصورٍ الموصليُّ لنفسِهِ[3] : [من الكامل]

اَللهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ لِذَاتِهِ ... كَيْفِيَّةٌ كَذَوَاتِ مَخْلُوقَاتِهِ
أَوْ أَنْ تُقَاسَ [صِفَاتُنَا] فِي كُلِّ مَا ... نُبْدِيهِ مِنْ أَفْعَالِنَا بِصِفَاتِهِ
تَبّاً لِذِي سَفَهٍ يَقُولُ بِأَنَّهُ ... جِسْمٌ وَأَنَّ سِمَاتِنَا كَسِمَاتِهِ
لِبَدِيعِ صَنْعَتِهِ عَلَيْهِ شَوَاهِدٌ ... تَبْدُو عَلَىٰ صَفَحَاتِ مَصْنُوعَاتِهِ
ذَرَأَ ٱلأَنَامَ بِقُدْرَةٍ أَزَلِيَّةٍ ... وَإِرَادَةٍ فِيهِمْ لِتَقْدِيرَاتِهِ
وَرَأَىٰ بِعَيْنِ ٱلْعِلْمِ مَا تَأْتِي بِهِ ... لَمَحَاتُ أَعْيُنِهِمْ وَمَا لَمْ تَاتِهِ

* * *

---

(١) لعل المذكور قبله هو ترجمة الشاعر أبي عبد الله محمد بن الحسن الموصلي ابن الأقفاصي ، أو ترجمة إمام من أئمة الأشاعرة ، وأتىٰ بأبيات ابن الأقفاصي عَرَضاً استدلالاً لأمر ما ذُكر في ترجمة ذلك الإمام ، والله تعالىٰ أعلم ، ولم أثبت هـٰذا السقط بين معقوفين ؛ لكوني لم أتحققه ، وانظر ترجمة ابن الأقفاصي في « تاريخ دمشق » (٥٢/ ٣٣٠ـ٣٣٢) .
(٢) في (ب) : (الشهرزوري) بدل (الشهري) .
(٣) انظر « معجم الشيوخ » لابن عساكر (١١٥٤) .

[ومنهُمْ :

الإمامُ أبو منصورٍ محمدُ بنُ أسعدَ بنِ محمدٍ] بنِ الحسينِ[1] بنِ القاسمِ الطوسيُّ الأصلِ المعروفُ بـ (حَفَدَةَ) الفقيهُ الشافعيُّ النيسابوريُّ

كانَ فقيهاً فاضلاً ، واعظاً فصيحاً أصوليّاً .

تفقَّهَ بمروَ : علىٰ أبي بكرٍ محمدِ بنِ منصورٍ السَّمْعانيِّ والدِ الحافظِ المشهورِ[2] ، ثمَّ انتقلَ إلىٰ مروَ الرُّوذِ واشتغلَ على القاضي حسينِ بنِ مسعودٍ الفرَّاءِ المعروفِ بـ (البغويِّ) صاحبِ « شرحِ السنَّةِ » و« التهذيبِ » ، ثمَّ انتقلَ إلىٰ بخارىٰ واشتغلَ بها ، ثمَّ عادَ إلىٰ مَرْوَ ، وعُقِدَ لهُ بها مجلسُ التذكيرِ ، وأقامَ بها مدَّةً ، ثمَّ خرجَ في [فتنةِ الغُزِّ] إلى العراقِ[3] ، ومنها إلىٰ أَذْرَبيجانَ والجزيرةِ ، ومنها إلى الموصلِ ، واجتمعَ الناسُ عليهِ بسببِ الوعظِ ، وسمعُوا منهُ الحديثَ .

ومِنْ أماليهِ : [من الخفيف]

مَثَــلُ ٱلشَّــافِعِــيِّ فِــي ٱلْعُلَمَــاءِ مَثَلُ ٱلشَّمْسِ فِي نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ

---

(١) جاء قوله : (بن الحسين) بداية (١١٢/ب) ، فلعله سقطت قبله قريب الورقة ، وما بين معقوفين زيادة يقتضيها السياق .

(٢) وتفقَّه بطوس : على الإمام الحجة أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالىٰ ، وكانت ولادته سنة (٤٨٦هـ) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٩٢) .

(٣) في (أ) : (في فترة الغزالي) بدل (في فتنة الغُز) ، وفي (ب) : (في فترة العزو) ، وكلاهما تحريف ، والصواب المثبت ، والغُزُّ : جنس من الترك ، وفتنتهم من الفتن المؤلمة في التاريخ الإسلامي ، وكانت في حدود سنة (٥٤٨هـ) ، وهي شبيهة بفتنة التتار إلىٰ حدٍّ ما . انظر خبر هـٰذه الفتنة في « الكامل في التاريخ » (٩/ ١٩٩) وما بعدها .

قُــلْ لِمَــنْ قَــاسَــهُ بِغَيْــرِ نَظِيــرٍ   أَيُقَــاسُ ٱلضِّيَــاءُ بِــٱلظَّلْمَــاءِ

وأنشدَ يوماً على الكرسيِّ مِنْ أبياتٍ :   [من الطويل]

نَـأَتْ فَأَعَرْنَاهَا ٱلْقُلُوبَ صَبَابَةً   وَعَـارِيَـةُ ٱلْعُشَّـاقِ لَيْـسَ لَهَـا رَدُّ

تُوفِّيَ في شهرِ ربيعِ الآخرِ سنةَ إحدىٰ ـ وقيلَ : ثلاثٍ ـ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[1] .

* * *

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤/٢٣٨ـ ٢٣٩) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٩٢ـ٩٣) ، وصحَّح ابن السبكي أن وفاته كانت سنة (٥٧٣هـ) .

ومنهُمْ :

القاضي كمالُ الدينِ أبو الفضلِ محمدُ بنُ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ أبي أحمدَ القاسمِ ابنُ الشَّهْرزوريِّ ، الفقيهُ الشافعيُّ

تفقَّهَ ببغدادَ : على المِيهَنيِّ أبي [سعيدٍ] ، وسمعَ الحديثَ : مِنْ أبي البركاتِ ابنِ خَميسٍ الموصليِّ ، وتولَّى القضاءَ بالموصلِ ، وبنىٰ بها مدرسةً للشافعيَّةِ ، ورباطاً بمدينةِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وكانَ يتردَّدُ في الرسائلِ عن عمادِ الدينِ ابنِ زنكي .

ثمَّ انتقلَ إلىٰ دمشقَ ، وتولَّى القضاءَ بها ، وتولَّى الوِزارةَ ، واستنابَ ولدَهُ القاضيَ محييَ الدينِ في الحكمِ بمدينةِ حلبَ ، ولم يكنْ شيءٌ مِنْ أمورِ الدولةِ يخرجُ عنهُ ، وتوجَّهَ مِنْ جهةِ نورِ الدينِ بنِ زنكي رسولاً في أيامِ المقتفي ، وسيَّرَهُ المقتفي في الصلحِ بينَ نورِ الدينِ بنِ زنكي وقلجِ أرسلانَ بنِ مسعودٍ صاحبِ الرومِ ، ولمَّا ماتَ نورُ الدينِ وملكَ صلاحُ الدينِ أقرَّهُ علىٰ ما كانَ عليهِ .

وكانَ فقيهاً أديباً كاتباً ، فَكِهَ المجالسةِ ، يتكلَّمُ في الخلافِ والأصولينِ كلاماً حسناً ، وكانَ كثيرَ الصدقةِ والمعروفِ ، وقفَ أوقافاً كثيرةً بالموصلِ ونَصِيبِينَ ودمشقَ ، لم يكنْ في بيتِهِ مثلُهُ ، ولا نالَ أحدٌ منهُم ما نالَهُ مِنَ المناصبِ .

ذكرَهُ الحافظُ ابنُ عساكرَ في « تاريخِ دمشقَ »[1]

---

(١) انظر « تاريخ دمشق » (٥٥/ ١٨٥-١٨٧) ، والكلام مأخوذ من « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٤١ ـ ٢٤٤) تقريباً إلىٰ آخر الترجمة .

ولهُ نظمٌ جيدٌ ؛ فمِنْ ذلكَ : ما ذكرَهُ ابنُ خَلِّكانَ عنهُ في كتابِ « وفياتِ الأعيانِ »[1] : [من الكامل]

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَٱلْعُيُونُ هَوَاجِعٌ   وَٱلْفَجْرُ وَهْمٌ فِي ضَمِيرِ ٱلْمَشْرِقِ[2]
وَرَكِبْتُ لِلأَهْوَالِ كُلَّ عَظِيمَةٍ   شَوْقاً إِلَيْكِ لَعَلَّنَا أَنْ نَلْتَقِي[3]

وقيلَ : إنَّهُ كتبَ إلىٰ ولدِهِ محيي الدينِ : [من البسيط]

عِنْدِي كَتَائِبُ أَشْوَاقٍ أُجَهِّزُهَا   إِلَىٰ لِقَائِكَ إِلا أَنَّهَا كُتُبُ
وَلِي أَحَادِيثُ مِنْ نَفْسِي أُسَرُّ بِهَا   إِذَا ذَكَرْتُكَ إِلا أَنَّهَا كَذِبُ

وقيلَ : إنَّهُ لمَّا كبرَ وضعُفَتْ حركتُهُ كانَ يُنشِدُ في كلِّ وقتٍ : [من المنسرح]

يَا رَبِّ لَا تُحْيِنِي إِلَىٰ زَمَنٍ   أَكُونُ فِيهِ كَلّاً عَلَىٰ أَحَدِ
خُذْ بِيَدِي قَبْلَ أَنْ أَقُولَ لِمَنْ   أَلْقَاهُ عِنْدَ ٱلْقِيَامِ خُذْ بِيَدِي

قالَ ابنُ خَلِّكانَ : (ولا أعلمُ : هل هٰذانِ البيتانِ لهُ أم لا)[4]

وُلِدَ سنةَ اثنتينِ وتسعينَ وأربعِ مئةٍ بالموصلِ ، وتُوفِّيَ يومَ الخميسِ سادسِ مُحرَّمٍ سنةَ اثنتينِ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ بدمشقَ ، ودُفِنَ بجبلِ قاسيونَ[5] .

* * *

(١) وفيات الأعيان (٤/ ٢٤٣ـ٢٤٤) .
(٢) جاء الشطر الأول في « الوفيات » : (ولقد أتيتك والنجومُ رواصد) ، والمثبت إحدىٰ نسخها كما أشار إليه محققها .
(٣) ويحتمل أن البيتين خطاب لابنه محيي الدين ، فيكون قوله : (ذكرتك) و(إليك) بفتح الكاف .
(٤) وفيات الأعيان (٤/ ٢٤٣ـ٢٤٤) ، وزاد بعده : (ثم وجدت هٰذين البيتين من جملة أبيات لأبي الحسن محمد بن علي بن الحسن بن أبي الصقر الواسطي ، وسيأتي ذكره وذكر البيتين إن شاء الله تعالىٰ) .
(٥) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٤١ـ٢٤٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ١١٧ـ١٢١) .

ومنهُمْ :

الإمامُ العالمُ سَديدُ الدينِ محمدُ بنُ هبةِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ السَّلَمَاسيُّ

كانَ إماماً في عصرِهِ ، تولَّى الإعادةَ بالمدرسةِ النِّظَاميَّةِ ببغدادَ ، وأتقنَ عدَّةَ فنونٍ ، وهوَ الذي شهرَ « طريقةَ الشريفِ » بالعراقِ ، قصدَهُ الناسُ مِنَ البلادِ ، واشتغلُوا عليهِ ، وخرجُوا علماءَ مُدرِّسينَ مُصنِّفينَ ، مِنْ جملتِهِمُ : الشيخانِ الإمامانِ ؛ عمادُ الدينِ وكمالُ الدينِ ولدا يونسَ[1] ، وكانَ مُسدَّداً في الفُتيا .

تُوفِّيَ ببغدادَ سنةَ أربعٍ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ .

وسَلَماسُ : مدينةٌ مِنْ بلادِ أَذْرَبيجانَ[2]

* * *

---

(١) أما الأول : فهو أبو حامد محمد بن يونس الموصلي (ت ٦٠٨هـ) ، وأما الثاني : فهو أبو الفتح موسى بن يونس (ت ٦٣٩هـ) ، وكان أبو الفتح رحمه الله متبحراً في العلوم ، موصوفاً بالذكاء المفرط ، وكان يتقن أربعة وعشرين فناً ، وهو والد شرف الدين أحمد شارح « التنبيه » ، وستأتي ترجمتهما في (١/ ٥٤٥ـ٥٤٦ ، ٢/ ٩ـ١١) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٣٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/ ١٠٣) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ أبو طالبٍ أحمدُ بنُ المُسلَّمِ بنِ رجاءِ بنِ جامعِ بنِ منصورٍ اللَّخْميُّ التَّنوخيُّ الإسكندريُّ المالكيُّ

ويُسمَّىٰ أيضاً (خليفةَ) ، إلا أنَّهُ غلبَ عليهِ في آخرِ وقتِهِ (أحمدُ) .

كانَ مِنَ الفقهاءِ المشهورينَ ، وأعيانِ الأصوليِّينَ ، ماهراً في علمِ الكلامِ .

تفقَّهَ : على الإمامِ أبي بكرٍ الطُّرْطُوشيِّ ، وسمعَ الحديثَ : منهُ ، ومِنْ أبي عبدِ اللهِ الرازيِّ .

وُلِدَ في شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ أربعٍ وتسعينَ وأربعِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثالثِ والعشرينَ مِنْ شهرِ رمضانَ سنةَ ثمانٍ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « مشيخة بهاء الدين ابن الجُمَّيزي » (ق/١٣ـ١٤) بتخريج رشيد الدين العطار ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٩٥ـ٩٦) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ قطبُ الدينِ أبو المعالي مسعودُ بنُ محمدِ بنِ مسعودٍ النيسابوريُّ الطُّرَيْثِيثيُّ الفقيهُ الشافعيُّ

تفقَّهَ بنيسابورَ ومروَ علىٰ أئمَّتِها ، وسمعَ الحديثَ مِنْ غيرِ واحدٍ ، ورأى الأستاذَ أبا نصرِ بنَ القشيريِّ ، ودرَّسَ بالمدرسةِ النِّظاميَّةِ بنيسابورَ نيابةً عنِ ابنِ الجُوَينيِّ ، وكانَ قرأَ القرآنَ الكريمَ علىٰ والدِهِ ، وكذلكَ فنُّ الأدبِ .

وقدمَ بغدادَ ، ووعظَ بها ، وتكلَّمَ في المسائلِ فأحسنَ ، وقدمَ دمشقَ سنةَ أربعينَ وخمسِ مئةٍ ، ووعظَ بها ، وحصلَ لهُ قَبولٌ ، ودرَّسَ بالمدرسةِ المُجاهديَّةِ ، ثمَّ بالزاويةِ الغربيَّةِ مِنْ جامعِ دمشقَ بعدَ موتِ الفقيهِ أبي الفتحِ نصرِ اللهِ المِصِّيصيِّ[١] ، ثمَّ خرجَ إلىٰ حلبَ ، ودرَّسَ في المدرستَينِ اللَّتينِ بناهُما لهُ نورُ الدينِ محمودٌ ، وأسدُ الدينِ شِيركُوه ، ثمَّ مضىٰ إلىٰ همذانَ وتولَّى التدريسَ بها ، ثمَّ رجعَ إلىٰ دمشقَ ودرَّسَ بالزاويةِ الغربيَّةِ ، وحدَّثَ ، وتفرَّدَ برِئاسةِ أصحابِ الشافعيِّ .

وكانَ عالماً صالحاً ورعاً .

صنَّفَ كتابَ « الهادي » في الفقهِ ، وهوَ مختصرٌ نافعٌ ، لم يأتِ فيهِ إلا بالقولِ الذي عليهِ الفُتيا ، وجمعَ للسلطانِ صلاحِ الدينِ عقيدةً تجمعُ جميعَ

---

(١) وقد سبقت ترجمته في (١/ ٤٦٢) ، وهو آخر من ترجم لهم الإمام ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » ، والزاوية الغربية : هي زاوية الإمام الغزالي رحمه الله تعالى الكائنة في مسجد بني أمية .

ما يحتاجُ إليهِ في أمورِ دينِهِ ، وحفَّظَها أولادَهُ الصغارَ ؛ حتىٰ ترسَخَ في أذهانِهِم مِنَ الصِّغَرِ .

قالَ بهاءُ الدينِ ابنُ شدَّادٍ في « سيرةِ السلطانِ صلاحِ الدينِ » : (ورأيتُهُ ـ يعني : السلطانَ ـ وهوَ يأخذُها عليهِم وهم يقرؤُونَها بينَ يديهِ مِنْ حفظِهِم)[1] .

وُلِدَ سنةَ خمسٍ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ سَلْخَ شهرِ رمضانَ سنةَ ثمانٍ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وصُلِّيَ عليهِ يومَ العيدِ ، وكانَ نهارَ جمعةٍ ، ودُفِنَ بالمقبرةِ التي أنشأَها جوارَ مقبرةِ الصوفيَّةِ غربيَّ دمشقَ[2] .

* * *

(١) النوادر السلطانية (ص٣٣) ، والنقل من « وفيات الأعيان » .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٥/١٩٦ـ١٩٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/٢٩٧ـ٢٩٨) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ الورعُ أبو الطاهرِ إسماعيلُ بنُ مكيٍّ ابنُ عوفٍ الزهريُّ الإسْكندرانيُّ المالكيُّ]

الشيخُ الإمامُ الوَرِعُ أبو الطاهرِ إسماعيلُ بنُ مكِّيٍّ بنِ إسماعيلَ بنِ عيسى بنِ عوفِ بنِ يعقوبَ بنِ محمدِ بنِ عيسى بنِ عبدِ الملكِ بنِ حُميدٍ[١] بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ حميدِ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ عوفٍ الزُّهْرِيِّ صاحبِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

شيخُ العلماءِ والمُتورِّعينَ بثغرِ الإسكندريَّةِ ، وجدُّهُ أحدُ العشرةِ ، وأبو الطاهرِ هـٰذا ربيبُ الإمامِ أبي بكرٍ الطُّرْطُوشيِّ فيما قيلَ[٢] ، والمعروفُ أنَّ خالتَهُ كانَتْ تحتَ الإمامِ أبي بكرٍ .

وشهرةُ الشيخِ أبي الطاهرِ أكثرُ مِنْ أنْ تُذكَرَ ، أو يُطوَّلَ في شرحِها .

وُلِدَ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وأربعِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ ليلةَ الأربعاءِ الخامسِ والعشرينَ مِنْ شعبانَ سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، ودُفِنَ بالدِّيماسِ بثغرِ الإسكندريَّةِ ، وقبرُهُ يُزارُ[٣]

* * *

---

(١) في « الديباج المذهب » (ص٩٥) : (أحمد) .

(٢) وعلىٰ أبي بكر الطرطوشي تفقه أبو الطاهر علىٰ مذهب الإمام مالك ، وبه انتفع في علوم شتىٰ .

(٣) انظر « مشيخة بهاء الدين ابن الجميزي » (ق/٥ـ٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/١٢٢ـ١٢٣) ، و« الديباج المذهب » (ص٩٥ـ٩٦) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ الحافظُ أبو القاسمِ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ عبدِ اللهِ الخثعميُّ السُّهيليُّ]

الشيخُ الإمامُ الحافظُ أبو القاسمِ[1] عبدُ الرحمـٰنِ بنُ الخطيبِ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ الخطيبِ أبي عمرَ أحمدَ بنِ أبي الحسنِ أصبغَ بنِ حسينِ بنِ سعدونَ بنِ رضوانَ بنِ فُتوحٍ الخثعميُّ السُّهيليُّ .

حدَّثَ : عنِ الفقيهِ أبي بكرٍ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ المَعافريِّ وغيرِهِ[2] ، ولهُ التصانيفُ المفيدةُ المشهورةُ[3] .

وُلِدَ بالمغربِ سنةَ ثمانٍ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في شعبانَ سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ[4] .

* * *

(١) ويقال له : أبو زيد ، وأبو الحسن .

(٢) أبو بكر : هو الحافظ الفقيه الأصولي ابن العربي المالكي صاحب « عارضة الأحوذي » وغيره من المؤلفات النفيسة .

(٣) ومن أشهر مؤلفاته : « الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام » .

(٤) انظر « وفيات الأعيان » (٣/١٤٣ـ١٤٤) ، وهو من جملة الأضرَّاء الذين ترجم لهم الإمام الأديب الصلاح الصفدي في « نَكْت الهميان بنُكت العميان » (ص١٦٨ـ١٧٠) ، وهو صاحب الأبيات الشهيرة التي مطلعها : (من الكامل)

يا من يرىٰ ما في الضميرِ ويسمعُ ... أنـتَ المُعَـدُّ لكـلِّ مـا يُتـوقَّـعُ

ومنهُمْ :

[الإمامُ أبو القاسمِ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ الحسينِ ابنُ الجبَّابِ التميميُّ السعديُّ المغربيُّ المالكيُّ]

أبو القاسمِ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ الحسينِ بنِ عبدِ اللهِ الجبَّابِ بنِ الحسينِ بنِ أحمدَ بنِ الفضلِ بنِ جعفرِ بنِ الحسينِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ زيادةِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ الأغلبِ بنِ إبراهيمَ بنِ الأغلبِ بنِ سالمِ بنِ عقالِ بنِ خفاجةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبَّادِ بنِ محاربِ بنِ سعدِ بنِ حرامِ بنِ سعدِ بنِ مالكِ بنِ سعدِ بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميمِ بنِ مرَّةَ بنِ أُدٍّ بنِ طابخةَ بنِ الياسِ بنِ مضرَ بنِ نزارِ بنِ معدِّ بنِ عدنانَ .

هكذا وجدتُهُ بخطِّ شيخِنا رضيِّ الدينِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ يوسفَ الأنصاريِّ الشاطبيِّ رحمَهُ اللهُ ، قالَ : (كذا وجدتُهُ بخطِّ عبدِ القويِّ ابنِ الجبَّابِ) .

كانَ أبو القاسمِ هـٰذا عالماً فاضلاً في الأصولِ والفروعِ علىٰ مذهبِ الإمامِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وكانَ يدري الخلافَ والجدلَ ، ولهُ كتابٌ في الخلافِ بينَ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ وبينَ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ في البسملةِ ، رجَّحَ فيهِ مذهبَ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وانتصرَ لهُ .

مِنْ بني زيادةِ اللهِ ابنِ الأغلبِ آخرِ ملوكِ بني الأغلبِ بالمغربِ(١)

* * *

(١) له ترجمة مختصرة في « إكمال الإكمال » (٢/ ٦٦) ، وقال الإمام الذهبي في « تاريخه » (٤٦/ ١٨١) أثناء ترجمة ولده إبراهيم : (وكان أبوه سنياً ، له مع بني عبيد مواقفُ وأمور) ، ولعله توفي قبل الثلاثين وست مئة .

ومنهُمْ :

[الإمامُ والفقيهُ القاضي المفتي أبو سعدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ ابنُ أبي عصرونَ التميميُّ الموصليُّ الدمشقيُّ الشافعيُّ]

القاضي الفقيهُ العالمُ مفتي الأنامِ شيخُ الفقهاءِ والعلماءِ أبو سعدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ هبةِ اللهِ بنِ عليِّ بنِ المطهَّرِ بنِ أبي عَصْرونَ التميميُّ الشافعيُّ الموصليُّ نزيلُ دمشقَ .

كانَ مِنْ أفقهِ أهلِ زمانِهِ ، وإليهِ انتهىٰ أمرُ الفتاوىٰ والأحكامِ .

قرأَ القرآنَ العظيمَ : على البارعِ ، وأبي بكرٍ المَزْرَقيِّ[1] ، **وسمعَ الحديثَ** : مِنِ ابنِ الحصينِ ، وابنِ البخاريِّ ، وابنِ السمرقنديِّ ، وغيرِهِم ، **وتفقَّهَ** : علىٰ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ القاسمِ بنِ الشَّهْرَزُوريِّ ، والقاضي أبي عليٍّ الحسنِ بنِ إبراهيمَ الفارقيِّ ، **وقرأَ الأصولَ** : علىٰ أبي الفتحِ ، وصنَّفَ كتباً في مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ[2] .

وتولَّى القضاءَ بدمشقَ زماناً إلىٰ أنْ كُفَّ بصرُهُ ، فأقامَ بعدَ ذلكَ أياماً ثمَّ صُرِفَ عنِ الحكمِ ، فاقتصرَ علىٰ أنْ يُدرِّسَ ويشتغلَ ويفيدَ العلمَ ، وتفقَّهَ عليهِ خلقٌ كثيرٌ ، وصنَّفَ التصانيفَ ، ولم يزلْ يشتغلُ ويُشغِلُ إلىٰ أنْ ماتَ .

---

(١) وذكره في « الأنساب » (١٢/ ٢٢٠) ، و« معجم البلدان » (٥/ ١٢١) بالفاء بدل القاف ، ومَزْرَفة : قرية كبيرة فوق بغداد علىٰ دجلة .

(٢) انظر سرد هٰذه المؤلفات في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٣٣ـ١٣٤) ، ومن أجلِّها : كتاب « الانتصار لما جرد في المذهب من الأخبار والاختيار » .

وُلِدَ سنةَ اثنتينِ وتسعينَ وأربعِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في شهرِ رمضانَ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ[1]

* * *

(١) انظر « مشيخة ابن الجميزي » (ق/٨ ـ ١٠) ، و« وفيات الأعيان » (٣/ ٥٣ـ٥٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٣٢ـ١٣٧) ، وهو من جملة الأضرَّاء الذين ترجم لهم الصلاح الصفدي في « نكت الهميان » (١٦٦ـ ١٦٨) ، وأورد الحافظ الذهبي في « السير » (٢١/ ١٢٩) حكايةً مفادُها أنَّ ابن أبي عصرون ليس أشعري العقيدة ، ورجَّح الإمام المحقق التاج السبكي أنها مكذوبة ؛ للقطع بأن ابن أبي عصرون كان أشعري العقيدة ، ولأسباب أخرىٰ .

ومنهُمْ :

الشيخُ أبو الحسينِ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ أبي عامرٍ[1] أحمدَ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ ربيعٍ الأشعريُّ القرطبيُّ

سمعَ : مِنْ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ محمدٍ النَّفْزيِّ الخطيبِ ، وأبي بكرٍ عبدِ العزيزِ بنِ خلفِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ مُديرٍ الأَسْديِّ القرطبيِّ[2] ، وحدَّثَ عنهُما ، وعن أبي الحسنِ عبَّادِ بنِ سَرْحانَ .

سمعَ منهُ : أبو الربيعِ سليمانُ بنُ موسى الحافظُ وحدَّثَ عنهُ ، كذا ذكرَهُ الشيخُ الحافظُ زكيُّ الدينِ ، وذكرَ في نسبِهِ الأشعريَّ ، فلا أدري هوَ نسبةٌ إلى المُعتقَدِ أو إلى القبيلةِ[3] .

تُوفِّيَ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ[4] .

* * *

(١) زاد في (أ، ب) : (ابن) .

(٢) في « التكملة لوفيات النقلة » : (الأزدي) بدل (الأسدي) ، وكلاهما جائز .

(٣) ذكر بعضَ ولده الصلاحُ الصفدي في « الوافي بالوفيات » (١٧/ ٣٥٧) ، ثم قال في نسبه : (الأشعري نسباً) ، وهو وإن كان كذلك فهو أشعري العقيدة أيضاً رضي الله تعالىٰ عنه .

(٤) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (١/ ١٢٦ـ١٢٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٤١/ ٢٢١) .

ومنهُمْ :

القاضي محيي الدينِ أبو حامدٍ محمدُ بنُ القاضي كمالِ الدينِ محمدِ بنِ الشَّهْرَزوريِّ

دخلَ بغدادَ ، فتفقَّهَ : على أبي منصورِ ابنِ [الرزَّازِ] وتميَّزَ ، ثمَّ أُصعِدَ إلى الشامِ ، ووليَ قضاءَ دمشقَ نيابةً عن والدِهِ ، ثمَّ انتقلَ إلى حلبَ ، وحكمَ بها نيابةً عن أبيهِ ، وبعدَ وفاةِ والدِهِ انتقلَ إلى الموصلِ ، وتمكَّنَ عندَ صاحبِ الموصلِ [عزِّ] الدينِ مسعودِ بنِ [قطبِ] الدينِ مودودِ بنِ زنكي .

وذكرَ قاضي القضاةِ بهاءُ الدينِ ابنُ شدَّادٍ قاضي حلبَ في كتابِ « ملجأِ الحُكَّامِ عندَ التباسِ الأحكامِ » : أنَّهُ كانَ في خدمةِ القاضي محيي الدين عندَ توجُّهِهِ إلى بغدادَ في إحدى الرسائلِ ، وناهيكَ بمَنْ يكونُ في خدمتِهِ مثلُ هـٰذا الرجلِ !![1]

قيلَ : إنَّهُ لم يعتقلْ غريماً قطُّ على دينارَينِ فما دونَهُما ، بل يُوفِّي ذلكَ عنهُ مِنْ مالِهِ[2] ، **وقيلَ** : إنَّهُ فرَّقَ في سَفْرةٍ سافرَها إلى بغدادَ عشرةَ آلافِ دينارٍ أميريَّةٍ على المحاويجِ والفقراءِ والفقهاءِ والأدباءِ والشعراءِ[3]

وكانَ يقولُ الشعرَ الحسنَ ؛ **فمِنْ ذلكَ** : ما قالَهُ في وصفِ جرادةٍ[4] : [من الطويل]

---

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٤٦_٢٤٧) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٤٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ١٨٦) .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٤٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ١٨٦) .

(٤) أوردهما ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٤٧) ، وابن السبكي في « الطبقات » (٦/ ١٨٦) ، **ومن ذلك أيضاً** ـ كما أورده ابن السبكي في « الطبقات » (٦/ ١٨٦) وهو مناسب لكتابنا هـٰذا ـ : (من الكامل) =

لَهَا فَخِذَا بَكْرٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَقَادِمَتَا نَسْرٍ وَجُؤْجُؤُ ضَيْغَمِ
حَبَتْهَا أَفَاعِي ٱلرَّمْلِ بَطْناً وَأَنْعَمَتْ عَلَيْهَا جِيَادُ ٱلْخَيْلِ بِٱلرَّأْسِ وَٱلْفَمِ

قالَ ابنُ خَلِّكانَ : (وُلِدَ سنةَ عشرٍ وخمسِ مئةٍ تقريباً ، وتُوفِّيَ سُحْرةَ يومِ الأربعاءِ رابعَ عشرَ جمادى الأولىٰ سنةَ ستٍّ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، [ودُفِنَ بدارِهِ بمحلةِ القلعةِ] ، ثمَّ نُقِلَ إلىٰ مدينةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[1] .

قالَ الشيخُ رشيدُ الدينِ عبدُ اللهِ بنُ نصرِ بنِ سعيدٍ القُوصيُّ رحمَهُ اللهُ : ونُقِلَ نعشُهُ على الرقابِ مِنْ موضعِ وفاتِهِ إلى المدينةِ ، وفيهِ يقولُ بعضُهُم[2] : [من الطويل]

سَرَىٰ نَعْشُهُ فَوْقَ ٱلرِّقَابِ وَطَالَمَا سَرَىٰ بِرُّهُ فَوْقَ ٱلرِّكَابِ وَنَائِلُهْ
يَمُرُّ عَلَى ٱلْوَادِي فَتُثْنِي رِمَالُهُ عَلَيْهِ وَبِٱلنَّادِي فَتُثْنِي أَرَامِلُهْ

* * *

= قامَتْ بإثباتِ الصفاتِ أدلَّةٌ قصمَتْ ظهورَ جماعةِ التعطيلِ
وطلائعُ التنزيهِ لمَّا أقبلَتْ هزمَتْ ذوي التشبيهِ والتمثيلِ
فالحقُّ ما صِرْنا إليهِ جميعُنا بأدلَّةِ الأخبارِ والتنزيلِ
مَنْ لم يكنْ بالشرعِ مقتدياً فقد ألقاهُ فرطُ الجهلِ بالتضليلِ

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٤٦ـ ٢٤٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ١٨٥ـ١٨٦) .

(٢) المشهور في المصادر : أن هـٰذه الأبيات قيلت في الوزير جمال الدين أبي جعفر محمد بن علي الأصفهاني وقتَ الصلاة عليه . انظر « الكامل في التاريخ » (٩/ ٣١٣) ، و« وفيات الأعيان » (٥/ ١٤٦) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ عبدِ الرحمٰنِ بنِ وَهْبانَ المعروفُ بـ (ابنِ أفضلِ [الزمانِ])

أثنىٰ عليهِ الشيخُ الإمامُ أبو الحسنِ عليُّ ابنُ عبدِ الكريمِ الجَزَريُّ المعروفُ بـ (ابنِ الأثيرِ الجزريِّ) في « تاريخِهِ » فقالَ : (كانَ رحمَهُ اللهُ عالماً مُتبحِّراً في علومٍ كثيرةٍ ، خلافِ الفقهِ ومذهبِهِ[1] ، والأصولَينِ والحسابِ والفرائضِ والمنطقِ والهيئةِ وغيرِ ذلكَ ، وختمَ أعمالَهُ بالزهدِ ولُبْسِ الخشنِ ، وأقامَ بمكَّةَ حرسَها اللهُ تعالىٰ مُجاوِراً ، وتُوفِّيَ بها ، وكانَ مِنْ أحسنِ الناسِ صُحبةً وخُلُقاً)[2]

ويكفي أنَّ مِنْ طلبتِهِ [. . .][3]

وتُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ في صفرٍ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ[4]

* * *

(١) في « الكامل في التاريخ » (١٠/ ٧٧) : (خلافَ فقه مذهبه) .

(٢) الكامل في التاريخ (١٠/ ٧٧) ، وابنُ الأثير يعتبر من تلامذة المُترجَم .

(٣) بياض في (أ ، ب) ، ولعله أراد أن يقول ما مؤدَّاه : (ويكفي أن من طلبته الإمامَ المؤرِّخَ علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري) ، وهو صاحب « الكامل في التاريخ » .

(٤) انظر « الكامل في التاريخ » (١٠/ ٧٧) ، و« البداية والنهاية » (١٢/ ٣٣٤) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ الأوحدُ نجمُ الدينِ أبو البركاتِ محمدُ بنُ المُوفَّقِ بنِ سعيدِ بنِ عليٍّ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ الله الخُبُوشانيُّ الصوفيُّ الشافعيُّ[1]

كانَ مُقيماً بمسجدِهِ المعروفِ بهِ علىٰ بابِ الجَوَّانيَّةِ بالقاهرةِ ، ثمَّ تحوَّلَ إلىٰ تربةِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وتبتَّلَ لعمارةِ التربةِ والمدرسةِ المجاورةِ للضريحِ[2] ، ودرَّسَ بها ، ووضعَ في المذهبِ كتاباً[3] .

وكانَ سيفاً سلَّهُ اللهُ على المبتدعةِ ، لا تُفَلُّ مضاربُهُ ، ولا يخافُ نَبْوتَهُ ضاربُهُ ، بيدِ السلطانِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ ، وكانَ يرجعُ إليهِ في جليلِ الأمرِ وحقيرِهِ ، ويستشيرُهُ فيما يعتمدُهُ في تدبيرِهِ .

ويُقالُ : إنَّهُ أشارَ على السلطانِ صلاحِ الدينِ أنْ يشرطَ في أوقافِهِ أنَّهُ لا يتناولُ ريعَها مبتدعٌ ، ولا يتولَّىٰ تدريسَها مبتدعٌ ، وهوَ الذي نبشَ قبرَ الكِيزانيِّ ونقلَهُ إلىٰ مكانِهِ الآنَ بالقربِ مِنْ ساريةَ ، وكانَ قبرُهُ في تربةِ الإمامِ الشافعيِّ ، فنقلَهُ الخُبُوشانيُّ[4] .

---

(١) والخُبُوشاني : نسبة إلىٰ (خُبُوشان) بُليدة بناحية نيسابور .

(٢) وهي المدرسة الصلاحية التي بناها بأمر من السلطان صلاح الدين ، وقد وصف هـٰذه المدرسةَ ابنُ جبير في « رحلته » (ص٢١) فقال : (لم يعمر بهـٰذه البلاد مثلها ؛ لا أوسع مساحة ، ولا أحفل بناء ، يُخيَّل لمن يطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته ، بإزائها الحمام . . . إلىٰ غير ذلك من مرافقها) .

(٣) سماه : « تحقيق المحيط » ، وهو كبير في ستة عشر مجلداً .

(٤) قال الإمام ابن السبكي في « الطبقات » (٧/ ١٥) : (وكان ابن الكيزاني ـ وهو رجلٌ من =

ويُقالُ : إنَّهُ الذي أفتى السلطانَ الملكَ الناصرَ صلاحَ الدينِ رحمَهُ اللهُ بقتلِ كبيرِ الكركِ وأسراهُم[1] ، وكانَ هـٰذا قد نَجَرَ مراكبَ ، وأرادَ أنْ ينقلَها على الظهرِ إلى البحرِ مِنْ جهةِ الطورِ ويقصدَ الحرمينِ الشريفينِ ، فسابقَهُ صلاحُ الدينِ ، وبعثَ سريَّةً كانَ مُقدَّمَها الحاجبُ لؤلؤٌ العادليُّ ، واحتالَ علىٰ أخذِهم بأمانٍ[2]

فقالَ : كانَ هـٰذا لا يجوزُ لهُ أنْ يُؤمِّنَ مثلَ هـٰؤلاءِ ، ولا يجوزُ لكَ أنْ تأذنَ في مثلِ هـٰذا الأمانِ ، اقتلْ هـٰؤلاءِ وأنا أتقلَّدُ دمَهُم عندَ اللهِ يومَ القيامةِ[3]

= المشبهة ـ مدفوناً عند الشافعي رضي الله عنه ، فقال الخُبُوشاني : لا يكون صدِّيق وزنديق في موضع واحد) .

(١) **قوله** : (كبير) غير واضحة في الأصل ، فاجتهدت في ضبطها ، **ولعل المراد بكبير الكرك** : رئيسهم الفاجر البرنس أرناط الذي قتله الملك صلاح الدين فيما بعد أثناء فتح بيت المقدس .

(٢) انظر تفصيل هـٰذه الحادثة في « الروضتين من أخبار الدولتين » (٣/ ١٣٣ـ١٤١) .

(٣) وحسنات هـٰذا الإمام الأشعري الصوفي لا تنتهي ، ويكفيه فخراً زوالُ دولة العبيديين علىٰ يديه من مصر ، وعودةُ مصر إلىٰ عقيدة أهل السنة ، وكان يقول رحمه الله بملء فيه : (أصعد إلىٰ مصر ، وأزيل ملك بني عبيد اليهودي ، فصعدها وصرَّح بلعنهم) ، وهو الذي قطع الخطبة للعبيديين وجعلها لبني العباس ، وله في ذلك قصة مشهورة ، وهو أيضاً الذي تشدَّد في الفتيا بزوال أمر العاضد آخر ملوك العبيديين ، وهـٰذه منقبة عظيمة في حقه إلىٰ قيام الساعة ، وقد وصفه كثير من المؤرخين الكبار بالورع والزهد ، وذكروا من أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وقول الحق . . الشيء الكثير .
وذكر سبط ابن الجوزي في « مرآة الزمان » (٢١/ ٤٠١) : أنه كان طائشاً متهوِّراً ، وأنه كان يصوم ويفطر علىٰ خبز الشعير ، فلما مات وجدوا له ألوف الدنانير ، وبلغ صلاح الدين ، فقال : يا خيبة المسعىٰ !! وكان يبعث إليه بالصدقات ، فيأخذها لنفسه .
قلت: وهـٰذا كلام عجيب ومتهوِّر في حق هـٰذا الإمام الكبير الذي ملأ مصر بل الدنيا زهداً وورعاً ، والذي يميت البدعة ، ويفضح رجالها ، ويأمر بالمعروف ، وينهىٰ عن المنكر ، وخصوصاً إذا امتلك زمام ذلك وشروطه . . لا يوصف بالطيش والتهور ، **وقوله** : (**إنه كان يصوم ويفطر** . . .) إلىٰ آخر هـٰذا الكلام المتهور والمتخبط . . هو طمس لمرآة الزمان =

وُلِد بأُسْتُوا خُبُوشانَ في الثالثِ والعشرينَ مِنْ رجبٍ سنةَ عشرٍ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ يومَ الأربعاءِ الثاني والعشرينَ مِنْ ذي القعدةِ سنةَ سبعٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، وكانَ أوصىٰ أنْ يُدفَنَ عندَ رِجلَيِ الإمامِ الشافعيِّ ، فدُفِنَ هناكَ ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ[1] .

* * *

= وأكذوبة ظاهرة ، وكلام متناقض ؛ إذا قرأنا ما قاله كبار المؤرخين في حقه ، وسبرنا محطات حياته المضيئة .

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٣٩ـ٢٤٠) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٤ـ ١٨)، وفي الترجمة هنا زيادات ليست فيهما وفي كتب المصادر .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ أبو البركاتِ هبةُ اللهِ بنُ عبدِ المحسنِ بنِ عليٍّ بنِ ثعلبٍ الأنصاريُّ المالكيُّ

درَّسَ بالمدرسةِ الناصريَّةِ ، وهوَ أحدُ الأئمَّةِ الذينَ وُضِعَتِ المدرسةُ الناصريَّةُ المالكيَّةُ لأجلِهِم[١] ، كانَ مشهوراً بالخيرِ والصلاحِ والعلمِ .

تُوفِّيَ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ في ذي القَعدةِ منها[٢] .

* * *

---

(١) وهي أول مدرسة للمالكية أُحدثت بالديار المصرية ، وكانت أجلَّ مدرسة لهم ، وتخرج منها كبار الأئمة ، وتسمىٰ بـ (المدرسة القمحية) للقمح الذي كان يوزع علىٰ فقهائها من الضيعة الموقوفة عليهم بالفيوم . انظر « المواعظ والاعتبار » (٤/ ٢٠٠ـ٢٠١) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (١/ ١٩٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٤١/ ٣٥٠ـ٣٥١) ، وفيهما وفاته سنة (٥٨٩هـ) .

ومنهُم :

قاضي القضاةِ محيي الدينِ أبو المعالي محمدُ بنُ أبي الحسنِ عليٍّ المعروفُ بـ (ابنِ زكيِّ الدينِ) الدمشقيُّ الشافعيُّ

كانَ ذا فضائلَ عديدةٍ ؛ مِنَ الفقهِ والأدبِ وغيرِهِما مِنَ العلومِ .

تولَّى القضاءَ بدمشقَ ، وكانَتْ لهُ عندَ السلطانِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ المنزلةُ العَلِيَّةُ ، وهـٰذا يدُلُّ علىٰ أنَّ القاضيَ محيي الدينِ لم يكنْ علىٰ شيءٍ مِنْ بدعةٍ أصلاً ؛ فإنَّ السلطانَ الملكَ الناصرَ لم يكنْ يُقرِّبُ مُبتدِعاً .

ولهُ النظمُ الحسنُ ، ولمَّا فتحَ الملكُ الناصرُ حلبَ في صفرٍ أنشدَ سنةَ ثمانينَ وخمسِ مئةٍ : [من البسيط]

وَفَتْحُكُمْ حَلَباً بِٱلسَّيْفِ فِي صَفَرٍ ... مُبَشِّرٌ بِفُتُوحِ ٱلْقُدْسِ فِي رَجَبِ

فكانَ كما قالَ ، واستنباطُهُ لذلكَ يطولُ شرحُهُ[1] .

ولهُ الخُطَبُ والرسائلُ ، وهوَ أولُ مَنْ خطبَ يومَ الجمعةِ في بيتِ المقدسِ لمَّا فتحَهُ السلطانُ صلاحُ الدينِ[2] ، واشتهارُهُ يُغني عنِ الإطالةِ في وصفِهِ .

تُوفِّيَ في رجبٍ سنةَ تسعٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ بدمشقَ[3] .

* * *

---

(١) انظر « مرآة الجنان » لليافعي (٣/ ٣٧٥) .

(٢) انظر هـٰذه الخطبة في « الروضتين في أخبار الدولتين » (٣/ ٣٧٥ـ٣٧٧) ، و« وفيات الأعيان » (٤/ ٢٣٠ـ٢٣٦) .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٢٩ـ٢٣٦) ، و« مرآة الجنان » (٣/ ٣٧٤ـ٣٧٧) ، ووفاته في المصادر والمراجع التي وقفت عليها : سنة (٥٩٨هـ) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ رضيُّ الدينِ أبو الخيرِ أحمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ [يوسفَ] بنِ محمدِ بنِ العباسِ الطَّالْقانيُّ القَزْوينيُّ

تفقَّهَ : على الإمامِ أبي بكرِ بنِ ملكدادَ(١) ، ورحلَ إلىٰ نيسابورَ ، ولزمَ أبا سعدٍ محمدَ بنَ يحيى النيسابوريَّ حتىٰ برعَ ، فصارَ مِنْ وجوهِ أصحابِهِ .

وسمعَ : مِنْ أبي عبدِ اللهِ الفَراويِّ ، ومِنْ أبي [القاسمِ زاهرِ بنِ] طاهرٍ الشَّحَّاميِّ ، ومِنْ عبدِ المنعمِ بنِ القشيريِّ .

ودرَّسَ ببلدِهِ ، ثمَّ بالمدرسةِ النِّظاميَّةِ ببغدادَ ، وكانَ جامعاً للعلومِ ، ولم يزلْ يُفتي ويُدرِّسُ إلىٰ أنْ عَنَّ لهُ الانقطاعُ ، فاستأذنَ في العودِ إلىٰ قزوينَ وتركِ التدريسِ ، ولم يزلْ مُقيماً ببلدِهِ مُشتغِلاً بالعبادةِ إلىٰ أنْ تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ(٢) .

---

(١) كذا في نسختينا و« تاريخ الإسلام » (٤١/٣٦٨) ، والمشهور : أن (ملكداد) هو اسمه ، واسم أبيه : علي . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٣٠٢) .

(٢) وقال فيه الإمام الرافعي في « أماليه » ـ كما في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٨) نقلاً عن ابن النجار ـ : (إمام كثير الخير ، موفر الحظ من علوم الشرع ؛ حفظاً وجمعاً ونشراً ، بالتعليم والتذكير والتصنيف ، وكان لسانه لا يزال رَطْباً من ذكر الله ، ومن تلاوة القرآن ، وربما قُرِىء عليه الحديث وهو يصلي ، ويصغي إلىٰ ما يقول القارئ ، ويُنبِّهه إذا زلَّ) .
وقال أيضاً (٦/ ٩) : (وروىٰ بإسناده ـ أي : ابنُ النجار ـ حكايةً مبسوطة ، ذكر أنه عرَّبها من العجمي إلى العربية ، حاصلها : أن الطالْقانيَّ حكىٰ عن نفسه : أنه كان بليدَ الذهن في الحفظ ، وأنه كان عند الإمام محمد بن يحيىٰ في المدرسة ، وكان من عادة ابن يحيىٰ أن يستعرض الفقهاء كل جمعة ، ويأخذَ عليهم ما حفظوه ، فمن وجده مُقصِّراً أخرجه ، فوجد الطالْقانيَّ مقصِّراً ، فأخرجه ، فخرج في الليل وهو لا يدري إلىٰ أين يذهب ، فنام في أتُّون حمَّام ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ، فتَفَلَ في فمه مرتين ، وأمره بالعود إلى =

وُلِدَ بقزوينَ في شهرِ رمضانَ سنةَ اثنتي عشرةَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثالثَ عشرَ مِنْ محرمٍ سنةَ تسعينَ وخمسِ مئةٍ[1]

* * *

= المدرسة ، فعاد ، ووجد الماضي محفوظاً ، واحتدَّ ذهنه جداً .

قال : فلمّا كان يوم الجمعة وكان من عادة الإمام محمد بن يحيىٰ أن يمضي إلىٰ صلاة الجمعة في جمع من طلبته ، فيصلي عند الشيخ عبد الرحمـٰن الأكّاف الزاهد .

قال : فمضيت معه ، فلمّا جلس مع الشيخ عبد الرحمـٰن تكلَّم الشيخ عبد الرحمـٰن في شيء من مسائل الخلاف ، والجماعة ساكتون تأدُّباً معه ، وأنا لصغر سِنِّي وحِدَّة ذهني أعترض عليه وأنازعه ، والفقهاء يشيرون إليَّ بالإمساك ، وأنا لا ألتفت ، فقال لهم الشيخ عبد الرحمـٰن : دعوه ؛ فإنَّ هـٰذا الكلامَ الذي يقوله ليس هو منه ، إنما هو من الذي علَّمه .

قال : ولم يعلم الجماعة ما أراد ، وفهمت أنا ، وعلمت أنه مُكاشِف) .

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (١/ ٢٠٠ـ٢٠٢) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٧ـ١٣) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ الأستاذُ العلامةُ الحُفَظَةُ أبو القاسمِ[(١)] قاسمُ بنُ فِيرُّهْ ـ وتفسيرُهُ : حديدٌ ـ ابنِ أبي القاسمِ خلفِ بنِ أحمدَ الرُّعَينيُّ الأندلسيُّ ثمَّ الشاطبيُّ المقرئُ الضريرُ

قرأَ القرآنَ العظيمَ بالرواياتِ السبعِ على الفقيهِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ محمدِ ابنِ هُذيلٍ ، وسمعَ عليهِ الحديثَ ، وممَّا سمعَهُ عليهِ ورواهُ عنهُ ، وعلىٰ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عبدِ الرحيمِ الخَزْرجيِّ ، وأبي الحسنِ عليِّ بنِ النعمةِ . . « كتابُ المناهي » ، و« موطأُ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ » رضيَ اللهُ عنهُ ، وتصدَّرَ للإقراءِ بالمدرسةِ الفاضليَّةِ إلىٰ حينِ وفاتِهِ[(٢)] .

وُلِدَ في آخرِ سنةِ ثمانٍ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثامنِ والعشرينَ مِنْ جمادى الآخرةِ سنةَ تسعينَ وخمسِ مئةٍ ، ودُفِنَ مِنَ الغدِ بالتربةِ الفاضليَّةِ بسَفْحِ المُقطَّمِ ، رحمَهُ اللهُ[(٣)] .

* * *

---

(١) ويقال : أبو محمد أيضاً . انظر « سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٢٦١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٧٠ـ٢٧١) .

(٢) وله رحمه الله المنظومة النفيسة المباركة في علم القراءات التي سارت بها الركبان المسماةُ بـ « حرز الأماني ووجه التهاني » قال ابن خلكان في « وفيان الأعيان » (٤/ ٧١) : (ولقد أبدع فيها كلَّ الإبداع ، وهي عمدة قُرَّاء هـٰذا الزمان في نقلهم ، فقلَّ من يشتغل بالقراءات إلا ويُقدِّم حفظها ومعرفتها ، وهي مشتملة علىٰ رموز عجيبة ، وإشارات خفية لطيفة ، وما أظنه سُبق إلىٰ أسلوبها ، وقد روي عنه أنه كان يقول : « لا يقرأ أحد قصيدتي هـٰذه إلا وينفعه الله عز وجل بها ؛ لأني نَظَمتها لله تعالىٰ مخلصاً في ذلك ») .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٧١ـ٧٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٧٠ـ٢٧٢) ، =

ومنهُمْ :

الشيخُ العارفُ أبو مَدْينٍ شعيبُ بنُ الحسينِ

ذكرَهُ أبو جعفرٍ الأندلسيُّ في « صلةِ الصلةِ » فقال : (شعيبُ بنُ الحسينِ الأندلسيُّ ، يُكنىٰ : أبا مدينَ)[١] .

نشأَ بفاسٍ ، واشتغلَ بالعلومِ الشرعيَّةِ على الشيخِ أبي الحسنِ بنِ حْرَازْمَ[٢] ، فذُكِرَ الشيخُ أبو يعزىٰ في مجلسِ ابنِ حْرَازْمَ بأحوالٍ أنكرَها الفقهاءُ لضعفِهِم[٣] ، فانتصرَ لهُ الشيخُ أبو مَدْينٍ ، ثمَّ ارتحلَ إليهِ ، فعندَما وقعَ نظرُهُ عليهِ قالَ : أهلاً بكَ يا شعيبُ ، تنتصرُ لي بظاهرِ الغيبِ ؟! اذهبْ ؛ فقد جعلتُكَ إماماً[٤] .

= وهو من جملة الأضرَّاء الذين ترجم لهم الصلاح الصفدي في « نكت الهميان » (ص٢١٣ـ٢١٤) ، وأفرده بالترجمة الإمام شهاب الدين القسطلاني بمؤلف نفيس ماتع ، وسمَّاه : « الفتح المواهبي في ترجمة الإمام أبي القاسم الشاطبي » .

(١) صلة الصلة (٣/ ٣٧٦) .

(٢) قوله : (ابن حرازم) ، وفي « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٢٥٨) : (ابن حِرْزهم : بكسر الحاء المهملة وسكون الراء بعدها زاي ، وربما قيل : ابن حرازهم) .
هـٰذا ؛ وقد ذهب سيدي أبو مدين إلى الشرق ، وهناك التقىٰ بالولي الكبير سيدي عبد القادر الجيلاني ، وأخذ عنه علوماً وأسراراً ، وكان سيدي أبو مدين يفتخر بصحبته له ويعدُّهُ من كبار شيوخه .

(٣) وعلىٰ جلالة قدر ابن حرازم إلا أنه لمَّا وقف على « الإحياء » للإمام الغزالي . . تأمَّل فيه ثم قال : (هـٰذا بدعة مخالف للسنة) ، ثم أمر بإحراق جميع نسخه وتشدَّد في ذلك ، ثم رأىٰ بعد ذلك رؤيا مفادُها : أن الإمام الغزالي حاكمه إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتجريده من ثيابه وضربه حدَّ المفتري ، ثم استيقظ ووجد ألم الضرب قريباً من شهر ، ثم صار يعظم « الإحياء » ويبجله . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٢٥٩ـ٢٦٠) .

(٤) وكان سيدي أبو مدين رضي الله عنه يقول في أبي يعزىٰ : (طالعت أخبار الصالحين من زمن=

وذُكِرَ أنَّهُ دخلَ إلىٰ تونسَ ، فأقامَ بها مدَّةً ، وانتفعَ بهِ جماعةٌ صحبُوهُ منها ، ثمَّ انتقلَ إلىٰ بلادِ المهديَّةِ .

ذكرَهُ الشيخُ محيي الدينِ ابنُ العربيِّ لمَّا ذكرَ مَنْ لقيَهُ مِنْ علماءِ الآخرةِ في كتابِهِ المُسمَّىٰ بـ « الدُّرَّةِ الفاخرةِ » فقالَ في ترجمتِهِ : (هٰذا الشيخُ مِنْ أعيانِ مشايخِ المغربِ ، وصدورِ المقرَّبينَ ، وعظماءِ العارفينَ ، صاحبُ الكراماتِ الخارقةِ ، والأفعالِ الظاهرةِ ، والأحوالِ العزيزةِ[1] ، والمقاماتِ العليَّةِ ، والهممِ الساميةِ ، صاحبُ الفتحِ السَّنِيِّ ، والكشفِ الجَلِيِّ ، والحقائقِ النفيسةِ ، والمعارفِ الجليلةِ .

لهُ التصدُّرُ في مراتبِ القُرْبِ ، والتقدُّمُ في منازلِ القُدْسِ ، والسبقُ في طرقِ الملكوتِ ، والترقِّي في معارجِ الوصلِ ، والتعالي في درجِ المعالي ، والنظرُ الجليُّ في عوالمِ الغيبِ[2] ، ولهُ القدمُ الراسخُ في التمكينِ المُوطَّدِ ، والباعُ الطويلُ في التصريفِ النافذِ ، واليدُ البيضاءُ في أحكامِ الولايةِ ، والقوَّةُ السديدةُ في أحوالِ النهايةِ ، والمظهرُ العظيمُ بخرقِ العوائدِ وقلبِ الأعيانِ

وهوَ أحدُ أوتادِ المغربِ ، وأحدُ أركانِ هٰذا الشأنِ ، وأجلُّ أئمَّتِهِ البارعينَ ، وساداتِهِ المُحقِّقينَ ، وأعلامِ العلماءِ بأحكامِهِ ، وأُولي الأيدي والأبصارِ بمناهجِهِ .

وهوَ أحدُ مَنْ أظهرَهُ اللهُ تعالىٰ إلى الوجودِ ، وصرَّفَهُ في العلمِ ، ومكَّنَهُ في الأحوالِ ، وملَّكَهُ الأسرارَ ، وأظهرَ علىٰ يديهِ العجائبَ ، ونطَّقَهُ بعيونِ

= أويس القرني إلىٰ زماننا فما رأيت أعجب من أبي يعزى) انظر « أنس الفقير » (ص٢١) ، و« التشوف إلىٰ رجال التصوف » (ص٣٢٣) .

(١) في (ب) : (الغزيرة) ، ولم تعجم في (أ) .

(٢) في (ب) : (علوم) بدل (عوالم) .

الحِكَمِ[1] ، وأجرىٰ علىٰ لسانِهِ لطائفَ الأسرارِ ، وأوقعَ لهُ القَبولَ العظيمَ والهيبةَ الوافرةَ في قلوبِ الخلقِ ، وقُصِدَ بالزياراتِ مِنْ كلِّ قُطْرٍ ، واشتَهرَ ذكرُهُ في الآفاقِ شرقاً وغرباً .

وهوَ أحدُ مَنْ جمعَ اللهُ لهُ بينَ علمَي الشريعةِ والحقيقةِ ، فأفتىٰ ببلادِ المغربِ علىٰ مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ[2] ، وناظرَ وأملىٰ ، وقصدَهُ طلبةُ العلمِ وأخذُوا عنهُ ، واجتمعَ عندَهُ جماعةٌ مِنَ الفقهاءِ والصُّلَحاءِ ، وانتفعُوا بكلامِهِ وصحبتِهِ .

انتهَتْ إليهِ رئاسةُ هـٰذا الشأنِ ببلادِ المغربِ ، وتخرَّجَ بصحبتِهِ غيرُ واحدٍ مِنْ أكابرِ مشايخِها) .

ثمَّ عدَّ جماعةً سيأتي ذكرُهُم إنْ شاءَ اللهُ ، ثمَّ ذكرَ مِنْ كلامِهِ شيئاً ، وسيأتي كلامُهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، ويكفيهِ أنَّهُ شمسٌ ظهرَتْ فأضاءَتْ على المشرقِ والمغربِ .

أمَّا مشايخُ الديارِ المصريَّةِ فأكثرُهُم تنتمي خرقتُهُ في التصوُّفِ إليهِ ؛ خصوصاً بلادَ الصعيدِ إلى الملحِ .

ظهرَتْ لهُ الكراماتُ والخوارقُ ؛ فمِنْ كراماتِهِ : ما ذكرَهُ الشيخُ عبدُ الرحيمِ قالَ[3] : سمعتُ شيخَنا أبا مدينٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : أوقفَني ربِّي عزَّ وجلَّ بينَ يديهِ وقالَ : يا شعيبُ ؛ ماذا عن يمينِكَ ؟ قلتُ : يا ربِّ عطاؤُكَ ، قالَ : وماذا عن شمالِكَ ؟ قلتُ : يا ربِّ قضاؤُكَ ، قالَ : يا شعيبُ ؛ ضاعفتُ لكَ

---

(١) في (ب) : (بفنون الحكم) ، ويحتمله في (أ) .

(٢) وذكر المقّري في « نفح الطيب » (٧/ ١٣٩) : أنه كان تَرِدُ إليه الفتاوىٰ في مذهب مالك ، فيجيب عنها في الوقت .

(٣) عبد الرحيم : هو ابن حجون ، وستأتي ترجمته في (١/ ٥١٥ـ٥١٧) .

هـٰذا ، وقد غفرتُ لكَ هـٰذا ، طُوبىٰ لمَنْ رآكَ ، أو رأىٰ مَنْ رآكَ !![1]

ومنها : ما حكاهُ أبو محمدٍ صالحٌ الدَّكَّاليُّ قالَ : قامَتِ الحربُ بينَ المسلمينَ وبينَ الإفرنجِ مرَّةً بالمغربِ في حياةِ الشيخِ ، وكانَ الإفرنجُ قد ظهرُوا فيها على المسلمينَ ، فأخذَ الشيخُ سيفَهُ وخرجَ إلى الصحراءِ معَ نفرٍ يسيرٍ مِنْ أصحابِهِ وأنا معَهُم ، وجلسَ علىٰ كثيبٍ مِنْ رملٍ ، فإذا بينَ يديهِ خنازيرُ قد ملؤُوا البَرِّيَّةَ مِنْ كثرتِهِم ، فوثبَ الشيخُ حتىٰ صارَ بينَهُم ، واستلَّ سيفَهُ وعلا بهِ رؤوسَ الخنازيرِ ، حتىٰ صرعَ منهُم كثيراً ، وولَّوا بينَ يديهِ هاربينَ ورجعَ ، فسألْناهُ ، فقالَ : هـٰؤلاءِ الإفرنجُ قد خذلَهُمُ اللهُ ، وأرضى المؤمنينَ ، فجاءَ الخبرُ بكسرِ الإفرنجِ في الوقتِ .

فلمَّا قدمَ المجاهدُونَ أكبُّوا علىٰ أقدامِ الشيخِ يُقبِّلُونَها ، وأقسمُوا باللهِ العظيمِ أنَّهُ لو لم يكنْ معَهُم بينَ الصفَّينِ لهلكُوا ، وأخبرُوا أنَّهُ كانَ يعلو بسيفِهِ رأسَ الفارسِ مِنَ الإفرنجِ ، وأنَّهُ قتلَ كثيراً وولَّوا هاربينَ[2]

ومنها : ما ذكرَهُ الشيخُ عبدُ الرزاقِ قالَ : مرَّ شيخُنا أبو مدينٍ في بعضِ قرى المغربِ ، فرأىٰ أسداً قدِ افترسَ حماراً وهوَ يأكلُ فيهِ ، وصاحبُهُ بالبعدِ منهُ يندُبُ بالويلِ مِنَ الفاقةِ .

فجاءَ الشيخُ وأمسكَ بناصيةِ الأسدِ فقادَهُ ذليلاً ، ونادىٰ صاحبَ الحمارِ : اقرُبْ اقرُبْ ، فدنا حتىٰ لَصِقَ بالأسدِ ، فقالَ لهُ الشيخُ : أمسكِ الأسدَ ، فاذهبْ بهِ واستعملْهُ موضعَ حمارِكَ ، قالَ : يا سيِّدي ؛ إنِّي أخافُ منهُ ، قالَ : لا تخفْ منهُ ؛ فإنَّهُ لا يستطيعُ أنْ يُؤذيَكَ ، فمرَّ الرجلُ يقودُ الأسدَ والناسُ ينظرُونَ إليهِ .

---

(١) أورد هـٰذه الكرامة المقَّري في « نفح الطيب » (٧/ ١٣٩) .

(٢) أوردها التادلي في « المعزىٰ في مناقب الشيخ أبي يعزىٰ » (ص١٥١)

فلمَّا كانَ في آخرِ النهارِ أتىٰ بهِ إلى الشيخِ ، وقالَ : يا سيِّدي ؛ إنِّي شديدُ الخوفِ منهُ ، وإنَّهُ يتبعُني أينَما ذهبتُ ، قالَ : لا بأسَ عليكَ ، قالَ : ما هوَ إلا ذاكَ ، فقالَ الشيخُ للأسدِ : اذهبْ ، ومتىٰ آذَيتُم بني آدمَ سلطتُهْم عليكُم[١] .

ومنها : أنَّهُ كانَ مارّاً يوماً بالساحلِ ، فتعرَّضَ لهُ طائفةٌ مِنَ الإفرنجِ ، وحملُوهُ معَهُم أسيراً إلىٰ سفينةٍ عظيمةٍ ، فإذا فيها جماعةٌ مِنَ المسلمينَ أَسْرىٰ ، فلمَّا استقرَّ الشيخُ فيها مدُّوا قُلُوعَها وعوَّلُوا على السيرِ[٢] ، فلم تذهبْ بهِمُ السفينةُ يميناً ولا شمالاً ، ولا تحرَّكَتْ مِنْ مكانِها معَ قوَّةِ الريحِ .

فلمَّا أيقنُوا أنَّهُم لا يقدِرُونَ على المسيرِ ، وخافُوا أنْ يُدرِكَهُمُ المسلمُونَ . . قالَ بعضُهُم لبعضٍ : هٰذا بسببِ هٰذا المسلمِ ، ولعلَّهُ مِنْ أصحابِ السرائرِ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فأشارُوا إلى الشيخِ فأمرُوهُ بالنزولِ ، فقالَ : لا أفعلُ إلا إنْ أطلقتُم كلَّ مَنْ في سفينتِكُم مِنَ المسلمينَ ، فلمَّا علموا أنَّهُم لا بدَّ لهُم مِنْ ذلكَ فعلُوا ، فلمَّا أطلقُوهُم سارَتْ بهِمُ السفينةُ في الحالِ[٣]

ومنها : أنَّهُ كانَ يوماً على الساحلِ يتوضَّأُ وفي إصبَعِهِ خاتَمٌ ، فسقطَ في الماءِ ، فقالَ : يا ربِّ ؛ أريدُ خاتَمي ، فطلعَتْ سمكةٌ في الحالِ وفي فمِها الخاتَمُ فأخذَهُ .

وكراماتُ الشيخِ أكثرُ مِنْ أنْ تُعَدَّ .

قلتُ : وقد ظهرَتْ ينابيعُ الحكمةِ علىٰ لسانِهِ ، ونُقِلَ عنهُ الكلامُ في الطريقِ

---

(١) أوردها ابن صعد في « النجم الثاقب » (٣/ق٣٢٣) ، والمقري في « نفح الطيب » (٧/ ١٤٠) .

(٢) القُلُوع : جمع قِلْع ؛ وهو شراع السفينة .

(٣) أوردها ابن صعد في « النجم الثاقب » (٣/ق٣٢٣) ، والمقري في « نفح الطيب » (٧/ ١٤٠ـ١٤١) .

والمعارفِ نظماً ونثراً ؛ فمِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ :

ـ مَنْ سكنَ إلىٰ غيرِ اللهِ بسرِّهِ نزعَ اللهُ الرحمةَ مِنْ قلوبِهِم عليهِ ، وألبسَهُ لباسَ الطمعِ فيهِم[١]

ـ علامةُ الإخلاصِ : أنْ يغيبَ عنكَ الخلقُ في مشاهدةِ الحقِّ[٢]

ـ بقاءُ الأبدِ في فَنائِكَ عنكَ[٣]

ـ ثمنُ التصوُّفِ تسليمُ كُلِّكَ[٤]

ـ الأحوالُ مالكةٌ لأهلِ البداياتِ ؛ فهيَ تُصرِّفُهُم ، ومملوكةٌ لأهلِ النهاياتِ ؛ فهُم يُصرِّفُونَها[٥]

ـ التعظيمُ : امتلاءُ القلبِ بإجلالِ الربِّ[٦]

ـ هِمَمُ العارفينَ عاكفةٌ علىٰ مولاها[٧]

ـ لا تكنْ لهُ عبداً ولغيرِهِ فيكَ بقيَّةٌ[٨] .

ـ مَنْ عرفَ أحداً لم يعرفِ الأحدَ ، ما بانَ عنهُ أحدٌ ، ولا اتَّصلَ بهِ أحدٌ ؛ ما بانَ عنهُ مِنْ حيثُ العلمُ ، ولا اتَّصلَ بهِ مِنْ حيثُ الذاتُ[٩]

---

(١) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٢٥) ، وهـٰذا الشرح لابن علان الصديقي ، وهو ابن عم شارح « الأذكار » و« رياض الصالحين » .
(٢) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٢٦) .
(٣) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٢٩) .
(٤) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٢٩) .
(٥) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٣٢) .
(٦) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٣٦) .
(٧) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٣٧) ، وفيه : (علامة) بدل (عاكفة) .
(٨) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٧١) .
(٩) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٧٢) .

ـ شاهدْهُ بمُشاهدتِهِ لكَ ، ولا تشاهدْهُ بمشاهدتِكَ لهُ[1] .

ـ الجمعُ ما أسقطَ تفرقتَكَ ، ومحا إشارتَكَ ، الجمعُ استغراقُ أوصافِكَ ، وتلاشي نعوتِكَ[2] .

وكلامُهُ في المعارفِ كثيرٌ ، وشرابُهُ منها عذبٌ نَميرٌ ، وإنَّما ذكرْنا هٰذهِ النبذةَ منهُ علىٰ وجهِ التبرُّكِ .

ومِنْ نظمِهِ : [من الطويل]

عَجِبْتُ لِأَمْرِي إِذْ تَلَطَّفْتَ فِي أَمْرِي ... وَأَغْنَيْتَنِي بِـالأَمْـرِ مِنْـكَ عَـنِ ٱلأَمْـرِ
إِذَا قُلْتَ لِي كَيْ لا أَقُولَ فَمَا ٱلَّذِي ... أَقُولُ وَقَدْ أَوْضَحْتَ يَا سَيِّدِي أَمْرِي
ظَهَرْتَ لِكَيْ تَخْفَىٰ وَغِبْتَ فَلَمْ تَزَلْ ... عَلِيماً حَلِيمـاً خَـالِـقَ ٱلنَّفْـعِ وَٱلضَّـرِّ
فَإِنْ قُلْتَ تَدْرِي يَا شُعَيْبُ أَقُولُ لَا ... سِـوَىٰ أَنَّنِـي أَدْرِي بِـأَنِّـيَ لا أَدْرِي
فَهَـٰأَنَـا صَـبٌّ حَـاضِـرٌ غَـائِـبٌ مَعـاً ... صَمُوتٌ نَطُوقٌ عَاجِزٌ عَارِفٌ قَدْرِي
تُـؤَيِّـدُنِـي فِـي كُـلِّ حِيـنٍ وَلَحْظَـةٍ ... فَمِنْ أَلِفِ ٱلتَّأْيِيدِ سِرُّكَ لِي يَسْرِي
وَبَـاؤُكَ فِـي تَبْعِيـضِ بَعْضِـي مُمَـدَّةٌ ... فَسِرُّكَ فِي سِرِّي وَجَهْرُكَ فِي جَهْرِي
فَـأَنْـتَ لِفَقْـرِي يَـا غَنِيّـاً عَـنِ ٱلْـوَرَىٰ ... فَقَدْ بَانَ مِنْ فَقْرِي لِفَضْلِكُمُ فَقْرِي
بَعَثْـتَ لِقَلْبِـي مِـنْ هَـوَاكَ مُنَـادِيـاً ... فَلَمَّـا دَعَـا لَبَّـىٰ وَعِيـلَ بِـهِ صَبْـرِي
تَرَاءَيْتَ لِي فِي سِرِّ حُبِّكَ لِي فَقَدْ ... تَشَاغَلْتُ عن حُبِّي بِحُبِّكَ لِي دَهْرِي

وقالَ أيضاً[3] : [من البسيط]

يَا مَنْ عَلاَ فَرَأَىٰ مَا فِي ٱلْغُيُوبِ وَمَا ... تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ وَظَلاَمُ ٱللَّيْلِ مُنْسَدِلُ
أَنْتَ ٱلْغِيَاثُ لِمَنْ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ ... أَنْتَ ٱلدَّلِيلُ لِمَنْ حَارَتْ بِهِ ٱلْحِيَلُ

---

(١) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص١٧١) .
(٢) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص١٥٢) .
(٣) أورد الأبيات اليافعي في « خلاصة المفاخر » (ص١٣٧) .

إِنَّـا قَصَـدْنَـاكَ وَٱلآمَـالُ وَاثِقَـةٌ   وَٱلْكُـلُّ يَـدْعُـوكَ مَلْهُـوفٌ وَمُبْتَهِـلُ
فَـإِنْ عَفَـوْتَ فَـذُو فَضْـلٍ وَذُو كَـرَمٍ   وَإِنْ سَطَوْتَ فَأَنْتَ ٱلْحَاكِمُ ٱلْعَدِلُ

تشرَّفَ بمدحِهِ جماعةٌ مِنَ الأكابرِ ؛ فمِنْ ذلكَ : هـٰذهِ القصيدةُ التي أنا ذاكرُها ، ويُقالُ : إنَّها لأبي أحمدَ الأندلسيِّ[1] :   [من الطويل]

تَبَدَّتْ لَنَا أَعْلاَمُ عِلْمِ ٱلْهُدَىٰ صِدْقَا   فَصَارَ بِشَمْسِ ٱلدِّينِ مَغْرِبُنَا شَرْقَا
وَأَشْـرَقَ مِنْهَـا كُـلُّ مَـا كَـانَ آفِـلاً   فَأَصْبَحَ نُورُ ٱلسَّعْدِ قَدْ مَلأَ ٱلأُفْقَا
سَقَـى ٱللهُ مِـنْ مَـاءِ ٱلْمَحَبَّـةِ وَابِـلاً   قُلُوباً بِهِ هَامَتْ وَقُلْ كَيْفَ لاَ تُسْقَىٰ
لَقَـدْ زَهِـدُوا فِيمَـا سِـوَاهُ فَـأَصْبَحَـتْ   نُفُـوسُهُـمُ طُـرّاً تُنَـادِي ٱلـدُّنَـا سُحْقَـا
لَقَدْ غَرِقُوا فِي بَحْرِ حُبِّ إِلَـٰهِهِمْ   فَنَاهِيكَ مِنْ بَحْرٍ وَنَاهِيكَ مِنْ غَرْقَىٰ
إِذَا مَا سَرَتْ لِلسِّرِّ أَسْرَارُ شَوْقِهِمْ   لِسَيِّـدِهِـمْ زَادُوا لِـرُؤْيَتِـهِ شَـوْقَـا
قُلُوبٌ سَرَتْ نَحْوَ ٱلْهُدَىٰ بِمُعَسْكَرٍ   فَعَادَتْ سِهَامُ ٱلْحُبِّ تَرْشُقُهَا رَشْقَا
وَجَاءَ مِنَ ٱلتَّوْحِيدِ جَيْشٌ عَرَمْرَمٌ   فَأَفْـنَى ٱلَّذِي يَفْـنَىٰ وَأَبْقَى ٱلَّذِي يَبْقَىٰ
هُمُ ٱلْقَوْمُ لاَ يَشْقَىٰ لَدَيْهِمْ جَلِيسُهُمْ   وَهَلْ أَحَدٌ يَحْظَىٰ بِرُؤْيَتِهِمْ يَشْقَىٰ
أَبَـا مَـدْيَـنٍ دَانَـتْ لِـدِينِـكَ عُصْبَـةٌ   فَـوَالَيْتَهُـمْ حُبّـاً وَأَدْنَيْتَهُـمْ رِفْقَـا
لَـكَ ٱللهُ يَـا شَمْسـاً أَضَـاءَ بِنُـورِهَـا   مِنَ ٱلدِّينِ مَا قد كَانَ أَظْلَمَ إِذْ رَقَّا
شَفَيْتَ قُلُـوباً طَـالَمَـا شَفَّهَـا ٱلظَّمَـا   فَأَمْطَرْتَهَا مِنْ مَاءِ عِلْمِ ٱلْهَوَىٰ وَدْقَا
وَأَخْـرَجْتَهَـا مِـنْ كُـلِّ جَهْـلٍ وَظُلْمَـةٍ   فَمَهْمَـا دَجَـا لَيْـلٌ أَلَحْـتَ لَـهُ بَـرْقَـا
وَأَدْخَلْتَهَـا حِصْـنَ ٱلتَّـوَكُّـلِ فَـٱنْثَنَـتْ   فَأَمْسَكَهَا ذُو ٱلْعِزِّ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ
شَفَيْـتَ بِعِلْـمٍ يَـا شُعَيْـبُ قُلُـوبَنَـا   فَإِسْمُكَ مِنْ شَعْبِ ٱلْقُلُوبِ قَدِ ٱشْتُقَّا
وَقَدْ كَانَ سُلْطَانُ ٱلْهَوَىٰ قَادَ أَنْفُساً   فَـأَوْسَعَهَـا ذُلاًّ وَعَبَّـدَهَـا رِقَّـا

(١) أورد بعضَ هـٰذه القصيدة اليافعيُّ في « خلاصة المفاخر » (ص١٣٧ـ١٣٨) دون نسبة .

فَـأَعْتَقَهَـا مِـنْ رِقِّـهِ بِتَلَطُّـفٍ ... فَجُوزِيتَ مِنْ حَبْرٍ مَنَحْتَ ٱلْوَرَىٰ عِتْقَا
إِذَا سَبَقَـتْ بِـٱلْعَـارِفِيـنَ خُيُـولُهُـمْ ... فَخَيْلُكَ فِي ٱلتَّوْحِيدِ قَدْ حازَتِ ٱلسَّبْقَا(١)
وَإِنْ رَكِبُـوا نَحْـوَ ٱلْمَعَـارِفِ مَـرْكَبـاً ... رَكِبْتَ إِلَيْهَا فِي بِحَارِ ٱلْهُدَىٰ شَقَّا
سَمَـوْتَ بِنُـورِ ٱللهِ عَـنْ كُـلِّ نَـاظِـرٍ ... فَصِرْتَ تَرَىٰ فِي ٱلْغَيْبِ مَا لاَ تَرَى ٱلزَّرْقَا(٢)
فَـأَنْـتَ إِمَـامُ ٱلْعَـارِفِيـنَ وَنُـورُهُـمْ ... وَمَنْطِقُهُـمْ مَهْمَـا أَرَدْتَ بِهِـمْ نُطْقَـا
عَلَيْـكَ سَـلاَمُ ٱللهِ مَـا ذَرَّ شَـارِقٌ ... وَمَا صَدَحَتْ فِي ٱلأَيْكِ فِي سَحَرٍ وَرْقَا
وَصَلَّىٰ عَلَى ٱلْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... كَمَا جَاءَ بِٱلْحَقِّ ٱلَّذِي أَظْهَرَ ٱلْحَقَّا

وجدتُ بخطِّ بعضِ الأكابرِ : (قالَ يعقوبُ بنُ يوسفَ بنِ عبدِ الرحيمِ : حدَّثَنا الفقيهُ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ عبدِ الواسعِ الدَّكَّاليُّ ، حدَّثَنا الشيخُ الصالحُ عليٌّ الشتوليُّ المَرَّاكُشِيُّ بالإسكندريَّةِ قالَ : قالَ لي بعضُ الصالحينَ : رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في النومِ ، فأردتُ أنْ أسألَهُ عن بعضِ المشايخِ ، فقلتُ : يا رسولَ الله ؛ ما تقولُ في الشيخِ أبي زيدِ بنِ هبةَ ؟ فقالَ لي : هوَ قابضٌ علىٰ سُنَّتي .

قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما تقولُ في أبي زكريا يحيى الزَّوَاويِّ ؟ قالَ : فقالَ لي : هوَ مُتمسِّكٌ بسُنَّتي .

قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما تقولُ في الشيخِ عليِّ بنِ حْرَازْمَ ؟ قالَ : فقالَ لي : هوَ مِنَ المجتهدينَ .

قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما تقولُ في الشيخِ أبي يعزىٰ ؟ قالَ : فقالَ لي : هوَ خادمُ الصالحينَ .

---

(١) قوله : (حازت) أشار في الأصل إلىٰ جواز ضبطها بالحاء والجيم .
(٢) الزرقا : هي زرقاء اليمامة ، قيل : إنها تبصر الشيء من ثلاثة أيام ، وفي المثل : (أبصرُ من زرقاء اليمامة) ، وأخبارها في كتب الأدب كثيرة .

قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما تقولُ في الشيخِ أبي مَدْينٍ ؟ قالَ : فقالَ لي : هوَ شيخُ الشيوخِ .

قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما تقولُ في الشيخِ أبي محمدٍ صالحٍ الدَّكَّاليِّ ؟ قالَ : فقالَ لي : هوَ شيخُ الواصلينَ إلينا ، جزاهُ اللهُ عنَّا خيراً)[١] .

بعثَ إليهِ أميرُ المؤمنينَ بالمغربِ في ذلكَ الوقتِ يسألُهُ الحضورَ إليهِ ليتبرَّكَ بهِ ويجتمعَ بهِ ويأخذَ عنهُ ، فلمَّا وصلَ إلىٰ تِلِمْسانَ قالَ : ما لنا وللسلطانِ ؟! الليلةَ نزورُ الإخوانَ ، ثمَّ نزلَ واستقبلَ القبلةَ ، وقالَ : ها قد جئتُ ، ها قد جئتُ ، وعجلتُ إليكَ ربِّ لترضىٰ .

وقيلَ : إنَّهُ كانَ يقولُ قبلَ وفاتِهِ : اللهُ الحيُّ ، اللهُ الحيُّ .

وتُوفِّيَ بتِلِمْسانَ سنةَ تسعينَ وخمسِ مئةٍ[٢]

* * *

---

(١) انظر « المعزىٰ في مناقب الشيخ أبي يعزىٰ » (ص١٦٠) .

(٢) انظر ترجمته في « التشوف لمعرفة رجال التصوف » (ص٣١٩) ، و« نفح الطيب » (٧/١٣٦ـ١٤٤) ، وأفرده بالترجمة ابن قنفذ في « أنس الفقير وعز الحقير » ، وذكر في « وفياته » (ص٢٩٧) أنه توفي سنة (٥٩٤هـ) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ الشريفُ العارفُ أبو محمدٍ عبدُ الرحيمِ بنُ أحمدَ بنِ حَجُّونَ القِنائيُّ الحسينيُّ]

الشريفُ أبو محمدٍ عبدُ الرحيمِ بنُ أحمدَ بنِ حَجُّونَ بنِ محمدِ بنِ حمزةَ بنِ جعفرِ بنِ إسماعيلَ بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ بنِ محمدٍ ـ المأمونِ المعروفِ بـ (الديباجِ) ـ ابنِ جعفرٍ الصادقِ بنِ محمدٍ الباقرِ بنِ عليٍّ زينِ العابدينَ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

هكذا نقلَها لي عزُّ الدينِ حفيدُ حفيدِهِ ضياءِ الدينِ[1]

صحبَ الشيخَ أبا مدينٍ ، وكانَ صحبَ الشيخَ أبا النَّجا وغيرَهُما مِنَ الصلحاءِ والعلماءِ[2] ، فأمرَهُ الشيخُ أبو مدينٍ أنْ يسافرَ إلىٰ بلادِ المشرقِ لينفعَ الناسَ ، فقدمَ الديارَ المصريَّةَ واستقرَّ بقِنا ، وانتفعَ بهِ جماعةٌ مِنَ الصلحاءِ ، ويكفيهِ أنَّ مِنْ جملةِ أصحابِهِ الشيخَ أبا الحسنِ ابنَ الصبَّاغِ .

وكانَ مُنطَّقاً بالحكمةِ ، ولهُ كلامٌ في المعارفِ ؛ فمنها : قولُهُ : (وجدْنا الدُّنيا كلَّها ظُلْمةً ليسَ فيها طريقٌ إلا العلمُ) .

---

(١) وذكر بعضَ هـٰذا النسب الإمامُ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٤٢/ ٩٧) ، ثم قال : (كذا في نسب حفيده شيخنا ضياء الدين بن عبد الرحيم الشافعي ، فالله أعلم بصحَّة ذلك ، فكأنه قد سقط منه جماعة) ، وهو كما قال ، وجاء هنا وفي « الوافي بالوفيات » (١٨/ ١٩٣) على التمام .

(٢) كسيدي أبي يعزىٰ رحمه الله تعالى . انظر « المعزىٰ في مناقب الشيخ أبي يعزىٰ » (ص١٨٩) .

وقالَ بعضُ أصحابِهِ : سمعتُهُ يقولُ فيما يُروىٰ عنِ الرسولِ : « فَقِيهٌ أَشَدُّ عَلَى ٱلشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ »[1] : الفقيهُ هوَ الذي لا ينالُ منهُ الشيطانُ شيئاً .

وقالَ : (وقتُكَ أعزُّ الأشياءِ ، فاشغَلْهُ بأعزِّ الأشياءِ ؛ وهوَ اللهُ سبحانَـهُ وتعالىٰ) .

وقالَ : (لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يُحصِيَ ما يقعُ عليهِ نظرُ القلبِ عندَ الكشفِ) .

وقالَ : (الوليُّ قد يكونُ في السوقِ معَ الناسِ مِنْ قبلِ أنْ يُفتَحَ لهُ وهوَ لا يدري ما لهُ ، وما مثالُهُ إلا كاليتيمِ لهُ مالٌ عندَ الوصيِّ لا يشعرُ بهِ ، فتراهُ مُنكسِراً ذليلاً ، ولو علمَ ما لهُ لم يحزنْ ، فإذا بلغَ وقتَ ذلكَ أُعطِيَهُ ، فكذلكَ الوليُّ) ، وقالَ : (وقد يكونُ الوليُّ أيضاً مُخلِّطاً ، ثمَّ ينتقلُ عن ذلكَ) .

وقالَ : (أدبُ الباطنِ يحصلُ في لحظةٍ ، وأدبُ الظاهرِ يحتاجُ إلىٰ زمانٍ طويلٍ) .

وقيلَ : إنَّهُ لمَّا قرُبَتْ نقلتُهُ قرأَ القارئُ بينَ يديهِ يومَ الجمعةِ في الميعادِ آيةً فيها ذكرُ الجنةِ ، فقالَ الشيخُ : (إنَّ داراً يقدَمُ إليها الأنبياءُ والأولياءُ لا يُكرَهُ القدومُ عليها) ، فما صلَّىٰ بعدَها جمعةً ثانيةً .

وقيلَ : إنَّهُ لمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ كانَ بعضُ أصحابِهِ حاضراً ، فقالَ لهُ الشيخُ : اخرجِ ارقُبِ الفجرَ ، فخرجَ فنظرَ ، ورجعَ إلى الشيخِ فأخبرَهُ بطلوعِ الفجرِ ، فصلَّىٰ ركعتَيِ الفجرِ وصلَّى الصبحَ ، ثمَّ قالَ : (لا إلـٰهَ إلا اللهُ الملِكُ الحقُّ المبينُ) .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٦١٦٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/١٩٢) ، والبيهقي في « الشعب » (١٥٨٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

تُوفِّيَ في شهرِ ربيعِ الأوَّلِ سنةَ اثنتينِ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ ، هٰكذا ذكرَ الشيخُ زكيُّ الدينِ[1] ، وذكرَ علمُ الدينِ المنفلوطيُّ في « رسالتِهِ »[2] : أنَّهُ ماتَ يومَ الجمعةِ تاسعِ صفرٍ مِنَ السنةِ المذكورةِ[3] ، ودُفِنَ بقِنا ، وقبرُهُ ثَمَّ يُزارُ ويُتبرَّكُ بهِ[4] .

* * *

---

(١) التكملة لوفيات النقلة (١/ ٢٤٩) ، وفيه : أنه مات في أحد الربيعين دون تعيين .

(٢) انظر ما كتبناه عن علم الدين المنفلوطي و« رسالته » هٰذه في (١/ ٥٥٢) ، وعلم الدين ستأتي ترجمته في (٢/ ٣٧) .

(٣) وذكر صاحب « الطالع السعيد » (ص١٥٨) أنَّ قول المنفلوطي هو الصواب .

(٤) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (١/ ٢٤٩) ، و« المعزىٰ في مناقب الشيخ أبي يعزىٰ » (ص١٨٩ـ١٩٢) ، و« الطالع السعيد » (ص١٥٦ـ١٥٩) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ قاضي القضاةِ أبو العباسِ وأبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ محمدِ بنِ سعيدِ[1] بنِ مَضَاءِ بنِ مهنَّدِ بنِ عميرٍ اللَّخْميُّ

سمعَ : مِن ابنِ أَصْبَغَ المعروفِ بـ (ابنِ المناصفِ) ، وأبي بكر المَعافِرِيِّ[2] ، والرَّشاطيِّ، وأبي القاسمِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ أحمدَ بنِ خلفِ بنِ رضاً القرطبيِّ، وأقرانِهم.

وكانَ ماهراً في علمِ النحوِ والأصلَينِ والحسابِ والهندسةِ ، ولي القضاءَ بمدينةِ فاسٍ ، ثم ببِجَايةَ ، ثمَّ بتونسَ ، ثمَّ وليَ قضاءَ الجماعةِ بمَرَّاكُشَ ، ثمَّ أُعفِيَ عن ذلكَ لعُلُوِّ سِنِّهِ ، وأقبلَ علىٰ نشرِ العلمِ .

ولهُ مِنَ التصانيفِ الكثيرُ الممتعُ : « المشرقُ في إصلاحِ المنطقِ » ، وهوَ لبابُ « كتابِ سيبويهِ » ، وكتابُ « تنزيهِ القرآنِ عمَّا لا يليقُ بالبيانِ » ، وغيرُ ذلكَ مِنَ الكتبِ .

وجدُّهُ مَضاءُ بنُ المهنَّدِ ذكرَ بعضُهُم أنَّهُ كانَ رئيسَ جيَّانَ وأحدَ عبادِ اللهِ الصالحينَ.

وُلِدَ بقرطبةَ ليلةَ عيدِ الفطرِ سنةَ ثلاثَ عشرةَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثاني والعشرينَ مِنْ جمادى الآخرةِ[3] سنةَ اثنتينِ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ بإشبيليةَ ، ودُفِنَ بمقابرِ السادةِ[4] .

---

(١) زاد الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٤٢/ ٨٢) : (ابن حريث) ، وفي « تكملة الصلة » لابن الأبار (١/ ٧٩) : (سعيد بن حريث بن عاصم) .

(٢) هو القاضي أبو بكر ابن العربي .

(٣) وفي « تكملة الصلة » (١/ ٨٠) : (الأولىٰ) ، وذكر ما أثبته المؤلف قولاً ثانياً .

(٤) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (١/ ٢٥٤) ، و« تكملة الصلة » (١/ ٧٩ـ٨٠) ، و« الديباج المذهب » (ص٤٧) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ الخطيبُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ منصورِ بنِ مُسلَّمٍ الشافعيُّ المصريُّ المعروفُ بـ (العراقيِّ)

إمامُ تاجِ الجوامعِ مسجدِ عمرِو بنِ العاصِ بمصرَ والخطيبُ بهِ ، كانَ أحدَ الفقهاءِ المُدرِّسينَ ، والصلحاءِ المعتبرينَ ، والأكابرِ الورعينَ .

رحلَ إلىٰ بغدادَ ، ودَرَسَ علىٰ جماعةٍ ؛ منهُم : محمدُ بنُ الحسينِ بنِ عمرَ الأُرْمَوِيُّ أحدُ أصحابِ الشيخِ أبي إسحاقَ الشِّيرازيِّ ، وأبو الحسنِ محمدُ بنُ المباركِ ابنِ الخَلِّ البغداديُّ[(١)] ، وتفقَّهَ أيضاً بمصرَ : على القاضي أبي المعالي مُجلِّي بنِ جُميعٍ الشافعيِّ صاحبِ « الذخائرِ » .

وكانَ ببغدادَ يُسمَّى : المصريَّ ، فلمَّا قدمَ إلىٰ مصرَ سُمِّيَ : العراقيَّ .

صنَّفَ التصانيفَ ، ولهُ « التعليقةُ » المفيدةُ[(٢)] .

ومِنْ مناقبِهِ : أنَّهُ شهرَ سيفَ الحقِّ ، وأطلقَ لسانَهُ بكلامِ الصدقِ ، حينَ أفتىٰ في المبتدعةِ مِنَ المَرازقةِ والكِيزانيِّينَ بالفتاوى الآتي ذكرُها ، رحمَهُ اللهُ[(٣)] .

وُلِدَ سنةَ عشرٍ وخمسِ مئةٍ ، ولم يزلْ خطيباً وإماماً بجامعِ مصرَ إلىٰ أنْ ماتَ

---

(١) وهو أول من شرح كتاب « التنبيه » لأبي إسحاق الشيرازي .

(٢) لعله يقصد « شرحه على المهذب » للإمام الشيرازي ، وهو شرح حسن مفيد في حدود عشرة أجزاء .

(٣) انظر (٢/٤٦٦ـ ٤٧٤) .

رحمَهُ اللهُ ، وتُوفِّيَ في جُمادى الآخرةِ سنةَ ستٍّ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ[(١)]

* * *

---

(١) ذكر ابن السبكي في « الطبقات » أنه توفي في أحد الجمادين ، وفي المصادر التي وقفت عليها ـ ما عدا « مشيخة ابن الجميزي » ـ أنه توفي في جمادى الأولىٰ من السنة المذكورة ، وانظر « وفيات الأعيان » (١/ ٣٣ـ٣٤) ، و« مشيخة ابن الجميزي » (ق/ ١٩ـ٢٠) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٣٧ـ٣٩) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ شيخُ الفقهاءِ وإمامُ العلماءِ فريدُ دهرِهِ ووحيدُ عصرِهِ شهابُ الدينِ أبو الفتحِ محمدُ بنُ محمودِ بنِ محمدٍ الطُّوسيُّ الشافعيُّ

تفقَّهَ علىٰ جماعةٍ مِنْ أصحابِ أبي حامدٍ الغزاليِّ ؛ منهُمْ : الإمامانِ أبو سعدٍ محمدُ بنُ يحيى النيسابوريُّ ، وأبو الفتحِ محمدُ بنُ الفضلِ الطُّوسيُّ ، وغيرُهُما .

قدمَ مصرَ فنشرَ العلمَ بها ، ودرَّسَ بمنازلِ العزِّ[1] ، وكانَ مُعظَّماً عندَ الخاصَّةِ والعامَّةِ ، ومُبجَّلاً بدارِ السلامِ ، وعندَ خلفاءِ الإسلامِ ، وعليهِ مدارُ الفتوىٰ في الآفاقِ ، معمولٌ بها في مصرَ والعراقِ .

انتفعَ بهِ جماعةٌ وتخرَّجُوا بهِ ؛ منهُمْ : الشيخُ الإمامُ بهاءُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الجُمَّيزيِّ[2] ، والقاضي الإمامُ عمادُ الدينِ بنُ السُّكَّريِّ .

وكانَ يعظُ الناسَ ، ويجلسُ علىٰ كرسيِّ التذكيرِ .

ومِنْ مناقبِهِ : ما أفتىٰ بهِ في أهلِ البدعِ مِنَ المرازقةِ والكِيزانِيِّينَ ، وسيأتي ذكرُ ذلكَ في موضعِهِ إنْ شاءَ اللهُ[3] .

ويُقالُ : إنَّهُ وعظَ الناسَ يوماً فطابَ وقتُهُ ، فقالَ : هٰذا وقتٌ لو أذنَ اللهُ

---

(١) من أحسن مدارس مصر في الزمن الغابر ، وكانت مطلة على النيل . انظر الكلام عن هٰذه المدرسة في « المواعظ والاعتبار » (٢/٤٢٦) .

(٢) انظر « مشيخة ابن الجميزي » (ق/ ٢٤ـ٢٥) .

(٣) انظر (٢/٤٦٧) .

للطيرِ أنْ تسمعَ فيهِ لاستمعَتْ ، فطارَتْ حمامةٌ ووقعَتْ بينَ يديهِ ، فتقلَّبَتْ وماتَتْ .

كانَ لهُ النظمُ الحسنُ ، والنثرُ الذي حُلَّتُهُ الفصاحةُ واللَّسَنُ[1] ، وحَلَّتَهُ رياضٌ جادَتْها سحائبُ الفِطَنِ .

فمِنْ نظمِهِ : ما قالَهُ في الخليفةِ الناصرِ لدينِ اللهِ[2] : [من الطويل]

لَقَدْ صِيغَ فِي صَدْرِ ٱلْخِلاَفَةِ سَيِّدٌ ... مِنَ ٱلْحِلْمِ وَٱلإِفْضَالِ وَٱلْعِلْمِ وَٱلنُّهَىٰ
لَـهُ عِنْـدَ بَـثِّ ٱلْمَكْـرُمَـاتِ لَطَـائِـفٌ ... تُرِيكَ ضِيَاءَ ٱلشَّمْسِ أَخْفَىٰ مِنَ ٱلسُّهَا

ولهُ أيضاً[3] : [من الطويل]

طَلَعْـتُ عَلَـىٰ بَغْـدَادَ وَٱلْعِلْـمُ طَـالِـعٌ ... كَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ مِنَ ٱلسَّرَطَانِ
وَمِصْــرُ كَجَـدْيٍ مَنْــزِلٌ لِهُبُــوطِــهِ ... كَذَا ٱلْحُرُّ فِي ٱلْحَالَيْنِ لِلْحَدَثَانِ[4]

وُلِدَ سنةَ اثنتينِ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في ذي القَعْدةِ سنةَ ستٍّ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ[5] .

* * *

---

(١) **اللَّسَن** : الفصاحة والبيان .

(٢) أورد البيتين ابن الجميزي في « مشيخته » (ق/ ٢٤) ، وفيها : (من الحكم) بدل (من الحلم) .

(٣) أورد البيتين ابن الجميزي في « مشيخته » (ق/ ٢٤) ، وابن السبكي في « طبقاته » (٦/ ٤٠٠) .

(٤) في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » : (كجديي ، الحوت) بدل (كجدي ، الحر) .

(٥) انظر « مشيخة ابن الجميزي » (ق/ ٢٤ـ٢٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٣٩٦ـ٤٠٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٣٨٧ـ٣٨٩) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ أبو المنصورِ ظافرُ بنُ الحسينِ الأَزْديُّ والأَسْديُّ ـ بالسينِ والزايِ ـ الإسْكَندرانيُّ المولدِ المصريُّ الوفاةِ والدارِ

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ على الإمامِ أبي طالبٍ المعروفِ بـ (ابنِ بنتِ مُعافىٰ) ، وتولَّى التدريسَ بالمدرسةِ الناصريَّةِ الصلاحيَّةِ المجاورةِ للجامعِ [العتيقِ] بمصرَ ، وهوَ ممَّنْ وُضِعَتِ المدرسةُ على اسمِهِ ، ولم يزلْ بها إلىٰ حينِ وفاتِهِ .

انتفعَ بهِ خلقٌ كثيرٌ ، ونشرَ اللهُ بهِ علماً جمّاً ، وتخرَّجَ بهِ جماعةٌ مِنَ الشافعيَّةِ والمالكيَّةِ ، وكانَ يُدرِّسُ في أوَّلِ النهارِ ، ثمَّ يجيءُ بعدَ الظهرِ للمناظرةِ إلى العصرِ ، ويأخذُ درساً بعدَ العصرِ ، ثمَّ يجلسُ بالجامعِ للمناظرةِ بينَ العشاءَينِ ، أوقاتُهُ معمورةٌ بالاشتغالِ ولهُ أشغالٌ .

ومِنْ مناقبِهِ : فُتياهُ التي أذكرُها في المرازقةِ والكِيزانيِّينَ ، وإظهارُهُ ما يجبُ عليهِم(١) .

وُلِدَ في جمادى الآخرةِ سنةَ سبعَ عشرةَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ ليلةَ الخامسَ عشرَ في جمادى الآخرةِ سنةَ سبعٍ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ(٢) .

* * *

---

(١) انظر (٢/ ٤٦٨) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (١/ ٣٨٧ـ ٣٨٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٢/ ٢٨٤) .

ومنهُمْ :

الفقيهُ الإمامُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ خلفِ بنِ معزوزِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ الكُوميُّ المحموديُّ اليَشْرُوسيُّ التِّلِمْسانيُّ المالكيُّ[1]

كانَ مُدرِّساً بمِنْيةِ بني خَصِيبٍ مِنْ صعيدِ مصرَ ، وعارفاً بالأصولَينِ والحديثِ ، وكانَتْ تقدَّمَتْ لهُ وجاهةٌ عندَ صاحبِ المغربِ ، فآثرَ الزهدَ على الدنيا ، ورحلَ إلىٰ مصرَ ، فاشتغلَ بالإسكندريَّةِ على ابنِ بنتِ مُعافىٰ ، وحجَّ وجاورَ بمكَّةَ سنينَ ، وحدَّثَ عن شُهْدةَ وطبقتِها ، وأقامَ بمِنْيةِ بني خَصيبٍ ، ولم يزلْ مُدرِّساً بها إلىٰ حينِ وفاتِهِ .

المحموديُّ : نسبةٌ إلىٰ بني محمودٍ مِنْ كُوميةَ ، واليشروسيُّ : فخذٌ مِنْ بني محمودٍ .

مولدُهُ علىٰ ما أخبرَ بهِ ولدُهُ أبو القاسمِ سنةَ اثنتينِ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الرابعِ والعشرينَ مِنْ رجبٍ سنةَ تسعٍ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ[2] .

* * *

(١) في « التكملة لوفيات النقلة » (١/ ٤٥٩) : (الفَتْـنَروسي) بدل (اليشروسي) ، ومثل ذلك في الموضع الآتي .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (١/ ٤٥٩ـ٤٦٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٢/ ٤٠٢ـ٤٠٣) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ الوليُّ والقطبُ العارفُ الزكيُّ
أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ القرشيُّ

مِنْ أقرانِ الشيخِ أبي مَدينٍ وأصحابِهِ .

صحبَ جماعةً مِنَ الأكابرِ ، ورأىٰ جماعةً مِنَ المشايخِ ، قالَ الشيخُ أبو عبدِ اللهِ القرشيُّ : (صحبتُ جماعةً مِنَ المشايخِ نحوَ ستِّ مئةِ شيخٍ ، اقتديتُ منهُم بأربعةٍ : أبي الربيعِ المالَقيِّ ، وأبي العباسِ الجُوريِّ ، والشيخِ أبي زيدٍ ، والشيخِ أبي عبدِ اللهِ بنِ طريفٍ)[(١)] .

ذكرَ الشيخُ أبو العبَّاسِ القَسْطَلانيُّ[(٢)] : أنَّ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ ممَّنْ صحبَ الشيخَ أبا مدينٍ ، قالَ : قالَ الشيخُ أبو عبدِ اللهِ القرشيُّ : دخلتُ على الشيخِ أبي مدينٍ ببِجَايةَ ، قالَ : وانتفعتُ بهِ ، وكانَ يَصِلُني ببِرِّهِ ، وكانَتْ لهُ العبارةُ في العلمِ ، والهمَّةُ في الحالِ ، فقالَ يوماً : بمَنْ تجتمعُ مِنْ أصحابِنا ؟ فقلتُ لهُ : أنا وحدي ما فيَّ وُسْعٌ لغيري ، وكانَ أصحابُ الشيخِ أبي مدينٍ يجتمعُونَ ويتباينُونَ ، وكنتُ أنا ضعيفاً آوي بالليلِ إلىٰ سورِ المدينةِ .

وحُكِيَ مِنْ جملةِ أخبارِ الشيخِ أبي عبدِ اللهِ وإنجادِهِ معَ الشيخِ أبي مَدينٍ :

---

(١) أورده التادلي في « المعزىٰ في مناقب الشيخ أبي يعزىٰ » (ص١٩٣) ، واللفظ فيه : (اقتديت منهم بأربعة : أبو يزيد القرطبي ، وأبو الربيع سليمان بن عمر المالقي ، وأبو العباس أحمد ابن عطاء الله بن العريف الطنجي المري الخزرجي ، وأبو إسحاق إبراهيم بن طريف) ، وأورده المقَّري في « نفح الطيب » (٢/ ٥٤) مع اختلاف يسير في الأسماء .

(٢) ستأتي ترجمته في (١/ ٦١٠ـ ٦١١) .

أنَّ الشيخَ أبا مدينٍ قَلِقَ ذاتَ ليلةٍ مِنْ حجرٍ أحسَّ بهِ تحتَ جنبِهِ قد أقلقَهُ ، فقامَ فلم يجدْ شيئاً ، فأرسلَ إلى الشيخِ أبي عبدِ اللهِ القرشيِّ : هل تجدُ تحتَ جنبِكَ حجراً ؟ فإذا الشيخُ أبو عبدِ اللهِ القرشيُّ نائمٌ وتحتَ جنبِهِ حجرٌ قد أقلقَهُ ، فبعثَ بهِ إلى الشيخِ .

ومِنْ كلامِهِ : (كيفَ يفلحُ مَنْ يُقيمُ الأيامَ بلِ الأعوامَ لا يخطرُ ببالِهِ أنَّ اللهَ يراهُ ؟!) .

وقالَ : (مَنْ أدركَ حالاً مِنْ مقامٍ أُعطِيَ مِنْ جميعِ المقاماتِ ، ومِنْ لم يأنفْ مِنْ مشاركةِ الأضدادِ في الانتسابِ فهوَ خسيسُ الهمَّةِ) .

ـ الفقيرُ الصادقُ رحمةٌ للخلقِ .

ـ مَنْ لم يكنْ في قلبِهِ شاهدٌ يستحي منهُ في حركاتِهِ . . لم يتمَّ لهُ أمرٌ .

ـ العالِمُ يدعوكَ مِنَ الجهلِ إلى العلمِ ، ومِنَ الغفلةِ إلى الذكرِ ، ومِنَ المعصيةِ إلى الطاعةِ .

ـ العاقلُ كلَّما اختبرتَهُ زادَ حُسنُهُ وجمالُهُ ، والجاهلُ كلَّما اختبرتَهُ ظهرَ نقصُهُ واختلالُهُ .

ـ مَنْ لم يُصفِهِ القرآنُ بحسنِ الخُلُقِ لم تأمنْ عليهِ التغيُّرَ .

ـ مَنْ جرىٰ في توحيدِهِ علىٰ مُعتادِ العرفِ لم يثبتْ لهُ إيمانٌ(١)

ومِنْ كراماتِهِ : أنَّهُ كانَ يُلقِّبُ أصحابَهُ في بدايتِهِم ؛ فيقولُ لأبي الطاهرِ : يا خطيبُ ، ويقولُ للقاضي عمادِ الدينِ بنِ السُّكَّريِّ : يا قاضي ، ويقولُ لأبي العباسِ بنِ القَسْطَلانيِّ : يا مُدرِّسُ ، وكلٌّ منهُم حصلَ لهُ ما كانَ الشيخُ يُلقِّبُهُ بهِ .

ويُحكىٰ : أنَّهُ تزوَّجَ بنتَ رئيسٍ مِنْ رؤساءِ العصرِ رغبَتْ فيهِ ، فلمَّا كانَ الليلُ دخلَتْ عليهِ وحدَها ، فنظرَتِ المكانَ الذي هوَ فيهِ ، فرأَتْ مجلساً

---

(١) ذكر كثيراً من كلامه التقي المقريزي في « المقفى الكبير » (٥/ ٧١ـ ٧٥) .

مفروشاً بأنواعِ الفُرُشِ ، وشُموعاً مُوقدةً ، وفواكهَ كثيرةً ، ورجلاً كأحسنِ ما يُرىٰ مِنَ الرجالِ صورةً وبهاءً وجمالاً ؛ ليسَ بهِ داءٌ ولا ابتلاءٌ[1] .

فرجعَتْ خارجةً مِنَ القاعةِ ، وأرسلَتْ إليهِ : ما هـٰذهِ الحالُ ؟! فقالَ : إنَّكِ رغبتِ فيَّ ، وإنِّي خشيتُ أنْ تجتمعي بي علىٰ تلكَ الحالِ فتنفري .

فأرسلَتْ إليهِ : إنِّي لم أرغبْ في القربِ منكَ إلا لما كنتَ عليهِ مِنَ الحالِ الأولىٰ ، فأرسلَ إليها : أنِ احضُري تجدي ما طلبتِ ، فحضرَتْ فوجدَتِ الشيخَ علىٰ حالِهِ .

وهـٰذهِ نظيرُ حكايةِ ذي النونِ المصريِّ رضيَ اللهُ عنهُ التي ذكرَها القشيريُّ[2] .

وحكىٰ بعضُ خُدَّامِهِ قالَ : سافرتُ معَهُ في طريقِ الحجازِ ، فطالَتِ الطريقُ عليَّ ، فعارضَني الشيطانُ ، فقلتُ في نفسي : هـٰذا الشيخُ قادرٌ علىٰ أنْ يصلَ إلىٰ مكَّةَ مِنْ غيرِ أنْ أكونَ معَهُ إنْ كانَتْ لهُ حالٌ معَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فأنا أُفارِقُهُ ، فإنْ كانَتْ لهُ حالةٌ فهيَ تُوصِلُهُ ، وإنْ لم تكنْ فقدِ استرحتُ مِنْ خدمتِهِ .

فتركتُهُ حتىٰ نامَ تحتَ شجرةٍ ، فهربتُ ولم أستأذنْهُ ، فلمَّا دخلتُ إلىٰ مكَّةَ كانَ في جملةِ مَنْ خرجَ وتلقَّى الركبَ مِنَ المقيمينَ بمكَّةَ ، فسألتُ مَنْ حولَهُ ، فقالَ : إنَّ الشيخَ لهُ أيامٌ بمكَّةَ ، وعدُّوا أياماً أوَّلُها يومُ مفارقتي لهُ ، فجئتُ إليهِ مُستغفِراً ، فقالَ : يا ولدي ؛ أُمِرْنا بسلوكِ الأدبِ في لزومِ العاداتِ ، واللهُ الحاملُ لي ولكَ .

ومِنْ كراماتِهِ : أنَّهُ مرَّ يوماً في الجامعِ ومعَهُ أصحابُهُ ، وكانَ دخلَ مِنْ بابِ المعزولتينِ[3] ، فقالَ : إنِّي أجدُ رائحةَ الحشوِ مِنْ هنا ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ

---

(١) وكان رحمه الله أعمىٰ وأجذمَ وأبرصَ لا ترضىٰ بمثله النساء .

(٢) انظر « لواقح الأنوار في طبقات الأخيار » (١/ ١٥٩-١٦٠) .

(٣) كذا رُسمت الكلمة وعُجمت في (أ) ، وفي (ب) : (المعزولين) .

مكفوفَ البصرِ ، فنبشَ أصحابُهُ في الجهةِ التي أشارَ إليها الشيخُ ، فوجدُوا شخصاً كانَ معروفاً بذلكَ جالساً في زاويةِ عمرٍو .

وحُكِيَ : أنَّهُ مالَ جدارٌ في دارِهِ التي بمصرَ بزُقاقِ الطبَّاخِ ، ويُعرَفُ قديماً ببني عبدِ الحكمِ ، فحضرَ إليهِ مهندسٌ ، فذكرَ أنَّ الجدارَ يُخشىٰ سقوطُهُ ، وقالَ : واللهِ يا سيِّدي ؛ ما يمسكُهُ إلا اللهُ تعالىٰ ، فقالَ الشيخُ : لا نهدمُ شيئاً يمسكُهُ اللهُ تعالىٰ[1] ، فلم يَزَلِ الجدارُ في الدارِ مائلاً على الحالةِ التي تركَهُ الشيخُ عليها مُستمسِكاً إلىٰ زمانِنا ، وانهدمَ جميعُ ما حولَ الدارِ وبقيَتْ إلى الآنَ ، وذلكَ ببركةِ آثارِهِ رضيَ اللهُ عنهُ .

وذكرَتْ زوجةُ الشيخِ أبي عبدِ اللهِ قالَتْ : سمعتُهُ يردُّ السلامَ سبعَ مراتٍ لم أرَ مَنْ يرُدُّ عليهِ ، كلَّ مرَّةٍ يقولُ : عليكُمُ السلامُ ، فقلتُ : يا سيِّدي ؛ مَنْ هٰؤلاءِ ؟ فقالَ : أحدُهُمُ الخضرُ ، ثمَّ سكتَ .

وسُئِلَ عن حالِهِ في مرضِ موتِهِ وقدِ اشتدَّ بِهِ القلقُ ، فقالَ : بنعمةٍ مِنَ اللهِ ، ثمَّ فاضَتْ عيناهُ ، فلمَّا قرُبَتْ وفاتُهُ قالَ : حوِّلُوني إلى القبلةِ ، فحوَّلُوهُ إلى القبلةِ ، ولم يزلْ لسانُهُ يذكرُ اللهَ حتىٰ خرجَتْ روحُهُ .

تُوفِّيَ في سادسِ ذي الحجَّةِ سنةَ تسعٍ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ ، وصُلِّيَ عليهِ بالمسجدِ الأقصىٰ ، رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ[2] .

* * *

---

(١) كتب أسفل (شيئاً) في (أ) : (جداراً) ، وفي (ب) : (لا يُهدمُ جدار) .

(٢) انظر « المعزىٰ في مناقب الشيخ أبي يعزىٰ » (ص١٩٢ـ١٩٧) ، و« مرآة الجنان » (٣/ ٤٩٧) ، و« نفح الطيب » (٢/ ٥٤ـ٥٧) ، وذكر ابن خلكان في « الوفيات » (١/ ١٩٠) أنَّ تلميذه أبا العباس القسطلاني جمع جميع كلامه وما كان يصدر منه في مجلد كبير ، وأورد له اليافعي في « روض الرياحين » (ص٥٧٧ـ٥٧٨) عقيدة مختصرة متينة .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ وحيدُ الدينِ محمدُ بنُ محمودٍ المَرْورُّوذيُّ الفقيهُ الشافعيُّ

كانَ إماماً عالماً فاضلاً ورعاً ، قالَ ابنُ الأثيرِ : (وهوَ الذي كانَ سبباً في عودِ غياثِ الدينِ شافعيّاً ، وكانَ غياثُ الدينِ مِنَ الفزاريَّةِ)[1] .

* * *

(١) الكامل في التاريخ (١٠/١٦٨) ، وقوله : (من الفزارية) كذا في نسختينا ، وفي « الكامل » أنه كان من الكرامية ، وكانت وفاته في رجب سنة (٥٩٩هـ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٢/ ٤١٤ـ٤١٥) ، و« التكملة لوفيات النقلة » (١/ ٤٦١) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ ركنُ الدينِ أبو الفضلِ بنُ محمدِ بنِ العراقيِّ القَزْوينيُّ المعروفُ بـ (الطاوُسيِّ)

كانَ إماماً عالماً مُناظِراً مِحْجاجاً ، قيِّماً بعلمِ الخلافِ ماهراً فيهِ ، اشتغلَ بهِ على الشيخِ رضيِّ الدينِ النيسابوريِّ ، وصنَّفَ ثلاثَ تعاليقَ في الخلافِ ؛ مختصرةً ، وثانيةً ، وثالثةً مبسوطةً .

واجتمعَ عليهِ الطلبةُ بهَمَذَانَ ، وقُصِدَ مِنَ البلادِ البعيدةِ والقريبةِ للاستفادةِ ، وبنىٰ لهُ الحاجبُ جمالُ الدينِ مدرسةً بهَمَذَانَ تُعرَفُ بـ (الحاجبيَّةِ) .

تُوفِّيَ بهمذانَ في رابعَ عشرَ جمادى الآخرةِ سنةَ ستٍّ مئةٍ[1]

* * *

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٢٥٨ـ ٢٥٩) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٤٦)

ومنهُمُ :

الفقيهُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ عليِّ بنِ سعادةَ[(١)] بنِ الجُنَيسِ الشافعيُّ الفارِقيُّ

وُلِدَ بمَيَّافارِقِينَ ، وتفقَّهَ بتِبْرِيزَ ، سمعَ ببغدادَ : مِنْ أبي زرعةَ طاهرِ وطبقتِهِ ، وصحبَ أبا النَّجيبِ السُّهْرَوَرْديَّ ، وتفقَّهَ ببغدادَ : علىٰ أبي المحاسنِ يوسفَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الدمشقيِّ ، وعلَّقَ عنهُ الخلافَ ، وكانَ عارفاً بالمذهبِ والأصولِ ، وأعادَ في المدرسةِ النِّظَاميَّةِ سنينَ ، ونابَ في الحكمِ ، ثمَّ عزلَ نفسَهُ ، وتوفَّرَ على الإعادةِ في النِّظَاميَّةِ ، ثمَّ نابَ في التدريسِ بها إلىٰ أنْ وليَ التدريسَ بمدرسةِ الجهةِ الشريفةِ والدةِ الإمامِ الناصرِ لدينِ اللهِ .

والجُنَيْسُ : بضمِّ الجيمِ وفتحِ النونِ وسكونِ الياءِ آخرِ الحروفِ وبعدَها سينٌ مهملةٌ .

تُوفِّيَ ليلةَ يومِ عرفةَ سنةَ اثنتينِ وستِّ مئةٍ ، ودُفِنَ بمقبرةِ معروفٍ الكَرْخيِّ رحمَهُ اللهُ[(٢)] .

* * *

(١) في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٩٥) : (سعيد) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٣/ ٩٩) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٩٥-٢٩٦) ، و« طبقات الشافعية » للإسنوي (٢/ ١٣٩) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ الزاهدُ أبو القاسمِ[1] بنُ منصورٍ الإِسْكَنْدرانيُّ المعروفُ بـ(القَبَّاريِّ)

كانَ وَرِعاً مُتحرِّزاً مُتقشِّفاً ، مُتقلِّلاً مِنَ الدنيا زاهداً فيها ، حسنَ الاعتقادِ ، مالكيَّ المذهبِ ، لهُ الكراماتُ الجليَّةُ ، والمقاماتُ العليَّةُ ، والأحوالُ السَّنيَّةُ ، وشهرتُهُ تُغني عنِ الإطنابِ في وصفِهِ ، لم يحضرْني لهُ كلامٌ فأذكرَهُ[2]

تُوفِّيَ في سادسِ شعبانَ سنةَ اثنتينِ وستِّ مئةٍ[3]

* * *

---

(١) وسماه أبو شامة : محمداً . انظر « تاريخ الإسلام » (٤٩/ ١٢٣) .

(٢) ومن كلامه رضي الله عنه : (إذا كان لا بدَّ من اللقاء ، فالتواني من علامات الشقاء ، فاعمل لدار البقاء ، وليوم يُنادىٰ عليك : عبدٌ أطاع ، أو عبد طغىٰ) ، وكان يقول : (لا آكل شيئاً بشهوة ، وإنما آكله ضرورةً ، ولو جاز لي لتركته) ، وكان يقول : (الدنيا دار أسباب ، من زعم أن التوكل إسقاط السبب بالكلية فهو غالط) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٩/ ١٣٥ ، ١٣١).

(٣) أفاض في ترجمته الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٤٩/ ١٢٣ـ ١٤٠) ، ونقل غالب الترجمة عن كتاب « مناقب القباري » للناصر ابن المُنَيِّر الإسكندراني ، وفي « تاريخ الإسلام » وفاته سنة (٦٦٢هـ) ، ومثله في « مرآة الجنان » (٤/ ١٦٠) ، وعليه : فحق الترجمة أن تكون متأخرة عن هـٰذا المكان .

ومنهُم :

قاضي القضاةِ صدرُ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ الملكِ بنُ عيسى بنِ دِرْباسِ بنِ فِيرِ بنِ جهمِ بنِ عَبْدوسٍ المَارَانيُّ الشافعيُّ

قاضي القضاةِ بالديار المصريَّةِ في أوائل الدولةِ الأيوبيَّةِ .

سمعَ : مِنَ الشيخِ الزاهدِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ إبراهيمَ بنِ المُسلَّمِ الأنصاريِّ المعروفِ بـ (ابنِ بنتِ أبي سعدٍ) ، وكانَ تفقَّهَ في مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ : علىٰ أبي الحسنِ عليِّ بنِ سليمانَ المُراديِّ بحلبَ ، وسمعَ بدمشقَ : مِنِ ابنِ البُنِّ وطبقتِهِ ، وكانَ زوَّجَهُ ابنتَهُ بحلبَ .

وكانَ مُتوفِّرَ الدِّيانةِ صحيحَ الاعتقادِ ؛ حتىٰ إنَّهُ باينَ أخاهُ ضياءَ الدينِ أبا عمرٍو عثمانَ لمَّا أبىٰ أنْ يرجعَ عمَّا يعتقدُهُ ، ويُقالُ : إنَّهُ لم يُصَلِّ عليهِ حينَ ماتَ ، ولم يُمكِّنْ مِنْ دفنِهِ في مقبرتِهِ ، ولم يأذنْ في ذلكَ ، وكانَ لا تأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائمٍ ، وكانَ رحمَهُ اللهُ إذا ذُكِرَ لهُ أخوهُ يقولُ : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ . . .﴾ إلىٰ آخرِها [المجادلة : ٢٢] ، ويقولُ بعدَ ذلكَ : لم يُبقِ ليَ الحقُّ أخاً(١) .

وُلِدَ سنةَ ستَّ عشرةَ أو سبعَ عشرةَ ـ شكَّ الحافظُ(٢) ـ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ

---

(١) انظر « رفع الإصر » (١/٢٥٣) ، وأخوه ضياء الدين هو صاحب المؤلفات العديدة ؛ ومنها : « الاستقصاء لمذاهب الفقهاء » شرح به « المهذب » للإمام الشيرازي ، وكان من كبار الشافعية في زمانه ، ومع ذلك فإن سلامة المعتقد عند الأئمة الراسخين فوق الألقاب وكثرة المؤلفات .

(٢) أي : زكي الدين المنذري .

ليلةَ الخامسِ مِنْ شهرِ رجبٍ سنةَ خمسٍ وستِّ مئةٍ ، ودُفِنَ بتربتِهِ بسفحِ المُقطَّمِ بقَرافةِ مصرَ[1]

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/١٥٦) ، و« مشيخة ابن الجميزي » (ق/٢١ـ٢٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٣/١٧٩) ، و« رفع الإصر » (١/٢٥٢ـ٢٥٤) .

ومنهُمْ :

الشيخُ أبو منصورٍ فتحُ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ بنِ خلفٍ السعديُّ الدِّمْياطيُّ

سمعَ الفقهَ : مِنْ أبي سعيدِ بنِ أبي عبدِ الرحمـٰنِ الفَنْجَديهيِّ ، وأبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ حامدٍ الأصفهانيِّ ، وأبي القاسمِ هبةِ اللهِ بنِ عليٍّ بنِ سعودٍ الأنصاريِّ ، وأبي الفضلِ محمدِ بنِ يوسفَ الغَزْنَويِّ ، وأبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ حمدِ بنِ حامدٍ الأَرْتاحيِّ ، وجماعةٍ .

ورحلَ إلى الإسكندريَّةِ ، **فسمعَ بها** : مِنْ أَبَوَيِ الطاهرِ : أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ الحافظِ ، وإسماعيلَ بنِ مكِّيِّ بنِ عوفٍ الفقيهِ ، وأبي القاسمِ مخلوفِ بنِ عليٍّ المعروفِ بـ (ابنِ جارةَ) ، وأبي طالبٍ أحمدَ بنِ المُسلَّمِ اللَّخْميِّ ، وأبي الغنائمِ المُطهَّرِ بنِ أحمدَ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الكريمِ الشَّحَّاميِّ[1] ، والحاكمِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ منصورٍ الحَضْرميِّ ، وأبي المُفضَّلِ عبدِ المجيدِ بنِ الحسينِ بنِ يوسفَ ابنِ دليلٍ الكنديِّ ، وأبي عليٍّ الحسنِ بنِ الفقيهِ أبي الطاهرِ إسماعيلَ بنِ الحسنِ اللُّكِّيِّ .

وسمعَ مَنْ بالراهبَينِ[2] ؛ مثلَ الشريفِ أبي المفاخرِ سعيدِ بنِ الحسينِ المأمونيِّ ، **وسمعَ بمكَّةَ شرَّفَها اللهُ تعالىٰ** : مِنَ الفقيهِ [أبي محمدٍ عبدِ الدائمِ بنِ عمرَ العسقلانيِّ ، **وببيتِ المقدسِ شرَّفَهُ اللهُ تعالىٰ** : مِنَ الحافظِ] أبي [محمدٍ] القاسمِ [بنِ] عليٍّ الشافعيِّ .

---

(١) جاء (بن أحمد) في « التكملة » (٢/ ١٧٠) مرةً واحدة دون تكرار .

(٢) الراهبَينِ : قرية في إقليم الغربية بمصر .

وحدَّثَ بمصرَ ودِمْياطَ وغيرِهما .

وكانَتْ عندَهُ معارفُ كثيرةٌ ، ولهُ شعرٌ رائقٌ حسنٌ ، وصنَّفَ تصانيفَ مفيدةً في فنونٍ عديدةٍ .

[وهوَ] والدُ الزينِ الدِّمْياطيِّ الكاتبِ المشهورِ محمدِ بنِ فتحٍ ، ويأتي ذكرُهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[1] .

انتهىٰ كلامُ الشيخِ زكيِّ الدينِ[2] .

قلتُ : قد وقفتُ علىٰ كلامِهِ نثراً ونظماً ؛ إنَّهُ كانَ بحراً في كلِّ فنٍّ ، جمعَ بينَ الأصلَينِ ، والحديثِ ودرايتِهِ ، وعلمِ التصوُّفِ .

ولهُ كتابٌ مُفرَدٌ في الردِّ على المُشبِّهةِ لم يتيسَّرْ ليَ النقلُ منهُ ؛ لأنِّي لم أجد أصلاً منهُ ، ولهُ النظمُ في الرَّدِّ على المُشبِّهةِ ، والنظمُ أيضاً في الزهدِ .

تُوفِّيَ فتحٌ المذكورُ في مُستهَلِّ شهرِ اللهِ المُحرَّمِ سنةَ ستٍّ وستٍّ مئةٍ .

* * *

---

(١) انظر (٢/ ٢٨٧) .

(٢) التكملة لوفيات النقلة (٢/ ١٧٠ـ١٧١) ، ولعله بداية الترجمة صرَّح بالنقل عنه ، ولكنه لم يظهر لنا بسبب رداءة التصوير .

ومنهُمْ :

[الإمامُ ناصرُ الحقِّ فخرُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عمرَ بنِ حسينٍ الرازيُّ البكريُّ الشافعيُّ]

الشيخُ الإمامُ ناصرُ الحقِّ ، قُدوةُ الفرقِ ، حُجَّةُ اللهِ على الخلقِ ، القائمُ بفرضِ التنزيهِ والتوحيدِ ، والراقمُ حُلَلَ الإيمانِ بأعلامِ التقديسِ والتمجيدِ

فخرُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ الإمامِ الخطيبِ ضياءِ الدينِ أبي [القاسمِ] عمرَ بنِ حسينِ بنِ الحسنِ بنِ عليٍّ التيميُّ البكريُّ الشافعيُّ الرازيُّ ، الفقيهُ المُتكلِّمُ المعروفُ بـ (ابنِ خطيبِ الرَّيِّ) ، الطَّبَرِسْتانيُّ الأصلِ الرازيُّ المولدِ .

فريدُ دهرِهِ ، ووحيدُ عصرِهِ ، ونسيجُ وحدِهِ ، فاقَ أهلَ زمانِهِ في علمِ الكلامِ والدلائلِ ، والمعقولاتِ وعلمِ الأوائلِ .

كانَ مبدأُ اشتغالِهِ علىٰ والدِهِ إلىٰ أنْ ماتَ(١) ، ثمَّ قصدَ الكمالَ السِّمْنانيَّ واشتغلَ عليهِ مُدَّةً ، ثمَّ عادَ إلى الرَّيِّ واشتغلَ على المجدِ الجِيليِّ أحدِ أصحابِ ابنِ يحيىٰ ، ولمَّا طُلِبَ مجدُ الدينِ إلىٰ مَرَاغةَ ليُدرِّسَ بها صحبَهُ فخرُ الدينِ المذكورُ إليها ، وقرأَ عليهِ مدَّةً علمَ الكلامِ والحكمةِ ، ويُقالُ : إنَّهُ كانَ يحفظُ « الشاملَ » لإمامِ الحرمَينِ في علمِ الكلامِ .

ثمَّ قصدَ خُوارَزْمَ وقد مهرَ في العلومِ ، فجرىٰ بينَهُ وبينَ أهلِها كلامٌ فيما

---

(١) ووالده ضياء الدين صاحب « نهاية المرام في دراية الكلام » . . يعد من كبار أئمة الأشاعرة في عصره .

يرجعُ إلى الاعتقادِ ، فخرجَ مِنَ البلدِ ، فقصدَ ما وراءَ النهرِ ، فأقامَ بها مُدَّةً ، ثمَّ عادَ إلى الرَّيِّ ، وكانَ بها طبيبٌ حاذقٌ لهُ ثروةٌ ونعمةٌ ، وكانَ الطبيبُ لهُ ابنتانِ ولفخرِ الدينِ ابنانِ ، فمرضَ الطبيبُ وأيقنَ بالموتِ ، فزوَّجَ ابنتيهِ لولدَي الإمامِ فخرِ الدينِ ، وماتَ الطبيبُ ، فاستولى الإمامُ علىٰ ما يخصُّهُما مِنْ ذلكَ ، فكانَ ذلكَ مبدأَ ثروتِهِ[1] .

ولزمَ الأسفارَ ، وعاملَ شهابَ الدينِ الغُوريَّ صاحبَ غَزْنَةَ في جملةٍ مِنَ المالِ ، ثمَّ مضىٰ إليهِ لاستيفاءِ حقِّهِ منهُ ، فبالغَ في إكرامِهِ ، وحصلَ لهُ منهُ مالٌ طائلٌ ، وعادَ إلىٰ خُراسانَ ، فاتَّصلَ بالسلطانِ محمدِ بنِ تُكَشَ المعروفِ بـ (خُوارَزْم شاه) ، وحظيَ عندَهُ ، ولم يبلغْ أحدٌ منزلتَهُ .

سمعتُ الشيخَ الإمامَ السيِّدَ الشريفَ شرفَ الدينِ الكركيَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (سمعتُ الشيخَ الإمامَ شمسَ الدينِ الخُسْرَوشاهيَّ يقولُ[2] : كانَ مِنْ منزلتِهِ عندَ السلطانِ محمَّد شاه رحمَهُما اللهُ : أنَّهُ أمرَ أنْ يكونَ في ركابِ الإمامِ فخرِ الدينِ جماعةٌ مِنَ الحُجَّابِ الذينَ كانُوا لمحمَّد شاه بالنوبةِ حينَ ركوبِ الإمامِ فخرِ الدينِ ، بأيديهِمُ السيوفُ مسلولةً مِنْ أغمادِها ، والغاشيةُ تُحمَلُ أمامَهُم ، والشاويشُ أمامَ ذلكَ كلِّهِ ؛ احتراماً لهُ ، ولم أسمعْ عن أحدٍ مِنَ العلماءِ أنَّهُ عاملَهُ ملكٌ بمثلِ ما عاملَهُ بهِ محمَّد شاه .

وكانَ الإمامُ فخرُ الدينِ في يومِ عيدِ الأضحىٰ ينصرفُ مِنْ مُصلَّى العيدِ وبينَ يديهِ وزراءُ السلطانِ وقُوَّادُ المملكةِ والأمراءُ والحُجَّابُ على اختلافِ أحوالِهِم ،

---

(١) كذا في « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥٠) ، وعلَّق عليه اليافعي في « مرآة الجنان » (٤/ ٩) بقوله : (قلت : وعلىٰ تقدير صحة ذلك : يحمل على استيلاء شرعي ؛ من نحو وصاية أو وكالة) .

(٢) والخسروشاهي من تلاميذ الفخر الرازي . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٦١) .

كلٌّ منهُم في منزلةٍ مثلِ منزلتِهِ إذا ركبَ معَ السلطانِ والشاويشِ والغاشيةِ والسيوفِ المحذويةِ[1] .

ولا يزالُونَ كذلكَ معَ الإمامِ إلىٰ أنْ يأتيَ بابَ دارِهِ ، فيصطفُّونَ سُرادقَينِ مُترجِّلينَ ، والإمامُ يشقُّ راكباً مِنْ بينِهِم ، ويدخلُ رئيسُ الوزراءِ معَهُ يحجبُهُ إلىٰ دارِهِ ، ويصعَدُ معَهُ إيوانَ العيدِ ، فيجلسُ الإمامُ في الصدرِ ليسَ معَهُ أحدٌ في صدرِ الإيوانِ علىٰ مرتبةٍ عاليةٍ ، وعن يمينِهِ نقيبُ الأشرافِ نائبُ نقيبِ النقباءِ ، وعن يسارِهِ رئيسُ وزراءِ محمَّد شاه ، والإيوانُ عالٍ يُصعَدُ إليهِ مِنْ علىٰ منبرٍ تقديرِ سبعِ دَرَجٍ ، وفي الصحنِ ضحايا يبعثُها إليهِ السلطانُ ، وضحايا مِلْكِهِ مِنْ أنواعِ بهيمةِ الأنعامِ ، فيأمرُ الإمامُ بالضحايا فتُفرَّقُ علىٰ طلبتِهِ ومُعيديهِ على اختلافِ منازلِهِم ، ولا يُتصوَّرُ أنْ يُضحِّيَ السلطانُ محمَّد شاه حتىٰ يأتيَهُ الوزيرُ ويقولَ : قد ضحَّى الإمامُ فخرُ الدينِ)[2] .

التمسَ منهُ الديوانُ العزيزُ كتاباً مِنْ تصنيفِهِ ، فبعثَ إليهِ كتابَ [. . .][3] ، وكتبَ علىٰ ترجمتِهِ : (الداعي لهُم وإليهِم وعلىٰ أعدائِهِم) ، فبعثَ إليهِ بتشريفٍ وذهبٍ ومِشَدَّةٍ وكتابٍ فيهِ ألقابٌ كثيرةٌ ؛ مِنْ جملتِها : (الداعي للخلقِ إلى الحقِّ) .

تعلَّمَ الأصولَ علىٰ والدِهِ ضياءِ الدينِ عمرَ ، وهوَ علىٰ أبي القاسمِ الأنصاريِّ ، وهوَ علىٰ إمامِ الحرمَينِ ، وهو علىٰ أبي إسحاقَ الإسفرايينيِّ[4] ،

---

(١) جاءت الذال فقط معجمة في الأصل ، ويحتمل أن الكلمة تحرفت عن (المشحوذة) ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) انظر « عيون الأنباء » (ص٤٦٢ـ٤٦٣) .

(٣) بياض في (أ ، ب) بمقدار كلمة ، وذكر ابن أبي أصيبعة في « عيون الأنباء » (ص٤٧٠) : أن الفخر الرازي ألَّف كتابه « تأسيس التقديس » للملك العادل أبي بكر بن أيوب ، فبعث له عنه ألفَ دينار .

(٤) كذا في نسختينا و« وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥٢) ، ولعله سقط أبو القاسم الإسْكاف بين =

وهوَ علىٰ أبي الحسنِ الباهليِّ ، وهوَ علىٰ شيخِ السنَّةِ أبي الحسنِ الأشعريِّ ، ذكرَ ذلكَ الإمامُ فخرُ الدينِ في كتابِهِ المُسمَّىٰ : « تحصيلَ الحقِّ »[1]

كانَ لهُ حظٌّ في التصنيفِ ، وحذا طريقةً غيرَ طريقةِ الأوائلِ مُحرَّرةً علىٰ علمِ المنطقِ .

وصنَّفَ كتباً مفيدةً في فنونٍ عديدةٍ ؛ فمِنْ ذلكَ : « تفسيرُ القرآنِ الكريمِ » ، جمعَ فيهِ كلَّ غريبٍ وغريبةٍ[2] ، وهوَ كبيرٌ جدّاً لـٰكنَّهُ لم يُكملْهُ[3] ، وكتابُ « المطالبِ العاليةِ »، و« نهايةِ العقولِ » ، و« الأربعينَ » و« المُحصَّلِ » في أصولِ الدينِ ، وفي أصولِ الفقهِ « المحصولُ » و« المنتخبُ » ، ولهُ « شرحُ أسماءِ اللهِ الحسنىٰ » ، **ويُقال** : إنَّهُ شرحَ « المُفصَّلَ » للزمخشريِّ[4] ، وشرحَ « الوجيزَ » للغزاليِّ[4] ، وصنَّفَ في عدَّةِ علومٍ تصانيفَ هيَ مشهورةٌ ، فلا حاجةَ إلى الإطالةِ بها ، وقدِ اشتغلَ الناسُ بها ، ونسُوا طريقةَ الأوائلِ وهجرُوها[5]

= إمام الحرمين وأبي إسحاق الإسفرايني ، وتوفي أبو إسحاق سنة (٤١٨هـ) قبل ولادة إمام الحرمين بسنة .

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥٢) ، وفيه أيضاً ذكر لسنده في الفروع ؛ وهو : أنه اشتغل علىٰ والده الضياء ، ووالده على البغويْ صاحب « التهذيب » ، وهو على القاضي حسين ، وهو على القفال الصغير المروزي صاحب الطريقة ، وهو علىٰ أبي زيد المروزي ، وهو علىٰ أبي إسحاق المروزي ، وهو علىٰ أبي العباس ابن سريج ، وهو علىٰ أبي القاسم الأنماطي ، وهو علىٰ أبي إبراهيم المزني ، وهو على الإمام الشافعي ، رضي الله عنهم أجمعين .

(٢) قال الصلاح الصفدي في « الوافي بالوفيات » (٤/ ١٧٩) : (وقلت يوماً للشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة أبي الحسن علي ـ أي : السبكي ـ : قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية وقد ذكر « تفسير الإمام » : « فيه كل شيء إلا التفسير » ، فقال قاضي القضاة : « ما الأمر كذا ، إنما فيه مع التفسير كلُّ شيء ») .

(٣) وذكر ياقوت الحموي في « معجم الأدباء » (٦/ ٢٥٨٩) أنه أكمله إملاءً على المنبر

(٤) وذكر ابن أبي أصيبعة في « عيون الأنباء » (ص٤٧٠) أنه لم يتمه .

(٥) انظر مؤلفاته في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٨٧) ، و« عيون الأنباء » (ص٤٧٠) ، =

وكانَ يجلسُ للتذكيرِ ، وكانَتْ لهُ في الوعظِ اليدُ الطُّولىٰ ، وكانَ يحضرُ مجلسَهُ بمدينةِ هَراةَ أربابُ المذاهبِ والمقالاتِ ، فيسألونَهُ فيُجيبُ كلاً منهُم أحسنَ إجابةٍ ، ورجعَ بسببِهِ خلقٌ كثيرٌ مِنَ الكراميَّةِ وغيرِهِم مِنَ المبتدعةِ إلىٰ مذهبِ أهلِ السنَّةِ[1] ، وكانَ يُلقَّبُ بهَراةَ (شيخَ السنَّةِ) .

ولهُ النظمُ الحسنُ[2] ؛ فمِنْ ذلكَ[3] : [من الطويل]

نِهَـايَـةُ أَقْـدَامِ ٱلْعُقُـولِ عِقَـالُ ... وَأَكْثَرُ سَعْيِ ٱلْعَالِمِينَ ضَلاَلُ[4]
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَحَـاصِـلُ دُنْيَـانَـا أَذىً وَوَبَـالُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ ... فَبَـادُوا جَمِيعـاً مُسْـرِعِيـنَ وَزَالُـوا
وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ قَدْ عَلَتْ شُرُفَاتِهَا ... رِجَـالٌ فَـزَالُـوا وَٱلْجِبَـالُ جِبَـالُ

= وقد أفاض في ذكرها صالح الزركان في كتابه « فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية » (ص٥٦ـ١٦٤) .

(١) ولٰكنه تأذّىٰ من بعضهم كالحشويةِ تأذِّياً شديداً ؛ حتىٰ إنهم كانوا يكتبون له رقاعاً فيها أنواع السيئات ، وصاروا يضعونها علىٰ منبره ، فقرأ يوماً رُقْعة ، ثم استغاث : في هٰذه الرقعة **أنَّ ابني يفعل كذا !!** فإن صحَّ هٰذا فهو شابٌّ أرجو له التوبة ، **وأنَّ امرأتي تفعل كذا !!** فإن صحَّ هٰذا فهي امرأةٌ لا أمانة لها ، **وأنَّ غلامي يفعل كذا !!** وجديرٌ بالغلمان كلُّ سوء إلا من حفظ الله ، **وليس في شيء من الرقاع ـ ولله الحمد ـ أنَّ ابني يقول** : إنَّ الله جسم ، **ولا يُشبِّه به خلقه** ، **ولا أنَّ زوجتي تعتقد ذلك** ، **ولا غلامي** ، فأيُّ الفريقين أوضح سبيلاً ؟! وقد ذكر ابن الأثير في « الكامل » (١٠/ ١٦٥ـ١٦٦) بعض فتن المشبهة التي أثاروها ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٨٩) .

(٢) انظر « عيون الأنباء » (ص٤٦٨ـ٤٧٠) .

(٣) أورد الأبيات ابن أبي أصيبعة في « عيون الأنباء » (ص٤٦٨) ، وابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥٠ـ٢٥١) ، وابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٩٦) ، وزادوا جميعاً بعد البيت الثاني :

ولم نستفدْ مِنْ بحثِنا طولَ عُمْرنا ... سوىٰ أنْ جمعْنا فيه قيل وقالوا

(٤) **قوله : (نهاية أقدام العقول)** يقرأ (أقدام) بفتح الهمزة جمع قدم ، وبكسرها مصدراً . انظر « حاشية العكاري علىٰ شرح السنوسية الكبرىٰ » (ق/ ٣٩) .

وقيلَ : إنَّهُ أنشدَ مرَّةً بهَراةَ على المنبرِ عقيبَ كلامٍ عاتبَ فيهِ أهلَ البلدِ(١) : [من البسيط]

اَلْمَـرْءُ مَـا دَامَ حَيّـاً يُسْتَهَـانُ بِـهِ   وَيَعْظُـمُ ٱلـرُّزْءُ فِيـهِ حِيـنَ يُفْتَقَـدُ

ويُقالُ : إنَّ شرفَ الدينِ ابنَ عُنينٍ الشاعرَ حضرَ مجلسَهُ يوماً شاتياً ، فسقطَتْ بالقربِ منهُ حمامةٌ وقد طردَها جارحٌ ، فوقعَتْ بالقربِ منهُ ، فقامَ وأخذَها ورقَّ لها ، فأنشدَ ابنُ عنينٍ أبياتاً ؛ منها(٢) : [من الكامل]

يَا بْنَ ٱلْكِرَامِ ٱلْمُطْعِمِينَ إِذَا شَتَوْا   فِي كُلِّ مَسْغَبَةٍ وَثَلْجٍ خَاشِفِ(٣)
اَلْعَاصِمِينَ إِذَا ٱلنُّفُوسُ تَطَايَرَتْ   بَيْنَ ٱلصَّوَارِمِ وَٱلْوَشِيجِ ٱلرَّاعِفِ(٤)
مَـنْ نَـبَّـأَ ٱلْـوَرْقَـاءَ أَنَّ مَحَلَّكُـمْ   حَـرَمٌ وَأَنَّـكَ مَلْجَـأٌ لِلْخَـائِـفِ
وَفَدَتْ عَلَيْكَ وَقَدْ تَدَانَىٰ حَتْفُهَا   فَحَبَـوْتَهَـا بِبَقَـائِهَـا ٱلْمُسْتَـأْنِـفِ
وَلَوَ ٱنَّـهَا تُحْبَىٰ بِمَالٍ لَانْـثَنَتْ   مِـنْ رَاحَتَيْـكَ بِنَـائِـلٍ مُتَضَـاعِـفِ
جَاءَتْ سُلَيْمَانَ ٱلزَّمَانِ بِشَجْوِهَا   وَٱلْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحَيْ خَاطِفِ
قَـرِمٍ لَـوَاهُ ٱلْفَـوْتُ حَتَّـىٰ ظِلُّـهُ   بِـإِزَائِـهِ يَجْـرِي بِقَلْـبٍ رَاجِـفِ(٥)

وُلِدَ الإمامُ فخرُ الدينِ سنةَ ثلاثٍ ـ وقيلَ : أربعٍ ـ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ

---

(١) أورده ياقوت الحموي في « معجمه » (٦/ ٢٥٩٠) ، وابن خلكان في « وفياته » (٤/ ٢٥٢) .

(٢) القصة مع الأبيات في « ديوانه » (ص٩٤-٩٥) ، وانظر « عيون الأنباء » (ص٤٦٢-٤٦٣) ، و« وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥١) .

(٣) الخاشف : الخشن ، والثلج الخَشَف : الذي تسمع له خشفة عند المشي .

(٤) الوشيج : الرمح .

(٥) في « الديوان » : (القُوت) بدل (الفوت) ، و(واجف) بدل (راجف) ، والأخيران بمعنىً .

بالرَّيِّ ، وتُوفِّيَ يومَ عيدِ الفطرِ سنةَ ستٌّ وستٌّ مئةٍ بهَراةَ ، ودُفِنَ آخرَ النهارِ في الجبلِ المُصاقِبِ لقريةِ مُزْداخانَ[1] ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ وأرضاهُ ، وجزاهُ خيراً[2] .

* * *

(١) وقد أوصىٰ رحمه الله تعالىٰ أن يدفن في المكان المذكور . انظر « عيون الأنباء » (ص٤٦٨) .

(٢) انظر « عيون الأنباء » (ص٤٦٢ـ٤٧٠) ، و« وفيات الأعيان » (٤/ ٢٤٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٨١ ـ ٩٦) ، وجاء ضمن ترجمته في ورقتين مرفقتين ترجمةُ الإمام تقي الدين الحسين بن عبد الرحيم السعدي المالكي المتوفىٰ سنة (٦٨٥هـ) ، وقد وضعتها في مكانها المناسب في (٢/ ١٩٠ـ١٩١) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ مجدُ الدينِ أبو عليٍّ يحيى بنُ الشيخِ الفقيهِ أبي الفضلِ الربيعِ بنِ سليمانَ بنِ حرازِ بنِ سليمانَ الواسطيُّ الشافعيُّ

تفقَّهَ بالنِّظَاميَّةِ على الشيخِ أبي النَّجيبِ عبدِ القاهرِ السُّهْرَوَرْدِيِّ ، ثمَّ رحلَ إلىٰ خُراسانَ قاصداً للإمامِ أبي سعدٍ محمدِ بنِ يحيىٰ صاحبِ الغزاليِّ ، وسمعَ مِنْ أبي الوقتِ وأضرابِهِ ومِنَ الحُفَّاظِ ، وعلَّقَ الخلافَ عنِ القاضي أبي يعلىٰ[1] ، وأعادَ لأبي القاسمِ بنِ فَضْلانَ ، ونابَ في الحكمِ ، ودرَّسَ بالنِّظَاميَّةِ ، وكانَ عالماً بمذهبِ الإمامِ الشافعيِّ والخلافِ والأصولِ والفرائضِ والأدبِ والتفسيرِ والحديثِ ، جامعاً لفنونٍ لم تجتمعْ لغيرِهِ .

وُلِدَ بواسطٍ في سابعَ عشرَ شهرِ رمضانَ سنةَ ثمانٍ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ[2] ، وتُوفِّيَ في السابعِ والعشرينَ مِنْ ذي القَعْدةِ سنةَ ستٍّ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[3].

* * *

(١) هو القاضي أبو يعلى الصغير محمد بن أبي خازم بن أبي يعلى الفراء الحنبلي .

(٢) في « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ١٩٠) : (ومولده بواسط في ليلة السابع من شهر رمضان . . .) .

(٣) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ١٩٠) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٩٣-٣٩٥) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ عمادُ الدينِ أبو حامدٍ محمدُ بنُ يونسَ بنِ محمدِ بنِ مَنَعَةَ بنِ مالكِ بنِ [محمدٍ] الفقيهُ الشافعيُّ[1]

كانَ إمامَ وقتِهِ في المذهبِ والأصولِ والخلافِ ، وكانَ لهُ صيتٌ عظيمٌ في زمانِهِ ، وقصدَهُ الفقهاءُ الشافعيَّةُ وغيرُهُم مِنَ البلادِ الشاسعةِ ، وتخرَّجَ عليهِ خلقٌ كثيرٌ صارُوا كلُّهُم مُدرِّسينَ يُشارُ إليهِم .

اشتغلَ علىٰ أبيهِ بالموصلِ ، وتوجَّهَ إلىٰ بغدادَ ، وتفقَّهَ بالمدرسةِ النِّظاميَّةِ على السَّديدِ السَّلَماسيِّ[2] ، وعادَ إلى الموصلِ ودرَّسَ بها في عدَّةِ مدارسَ ، وصنَّفَ كتباً في المذهبِ ؛ منها : كتابُ « المحيطِ في الجمعِ بينَ المهذَّبِ والوسيطِ » ، و« شرحِ الوجيزِ » للغزاليِّ ، وصنَّفَ جدلاً[3] ، وعقيدةً ، وتعليقةً في الخلافِ لـٰكنَّهُ لم يتمَّها .

وكانَتْ إليهِ الخطابةُ في الجامعِ المُجاهديِّ معَ التدريسِ في المدرسةِ النوريَّةِ والعِزِّيَّةِ والزينيَّةِ والعلائيَّةِ .

وتقدَّمَ في دولةِ نورِ الدينِ رسلان شاه صاحبِ الموصلِ ، ووجَّهَهُ رسولاً إلىٰ بغدادَ ، فناظرَ في ديوانِ الخلافةِ ، واستدلَّ في مسألةِ شراءِ الكافرِ العبدَ المسلمَ سنةَ ستٍّ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتولَّى القضاءَ بالموصلِ مدَّةً يسيرةً ، ثمَّ انفصلَ عنهُ إلىٰ أبي الفضائلِ القاسمِ بنِ يحيى بنِ عبدِ اللهِ بنِ القاسمِ

---

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) .

(٢) والسَّلَماسي سبقت ترجمته في (١/ ٤٨٤) .

(٣) وسمَّاه : « التحصيل » انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١١٠) .

الشَّهْرَزُورِيِّ المُلقَّبِ (ضياءَ الدينِ) ، وانتهَتْ إليهِ رئاسةُ أصحابِ الشافعيِّ بالموصلِ .

وكانَ شديدَ الورعِ ، كثيرَ التقشُّفِ ؛ لا يلبَسُ ثوباً جديداً حتىٰ يغسلَهُ ، ولا يمَسُّ القلمَ للكتابةِ إلا ويغسلُ يدَهُ ، وكانَ دَمِثَ الأخلاقِ لطيفَ الخلوةِ ، وكانَ كثيرَ المُباطَنةِ لنورِ الدينِ صاحبِ الموصلِ ؛ يرجعُ إليهِ في الفتاوىٰ ، ويُشاوِرُهُ في الأمورِ ، ولهُ صنَّفَ « العقيدةَ » ، ولم يزلْ بهِ حتى انتقلَ عن مذهبِ أبي حنيفةَ إلىٰ مذهبِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُما ، ولم يُوجَدْ في بيتِ أتابِكَ علىٰ كثرتِهِم شافعيٌّ سواهُ .

وتوجَّهَ إلىٰ بغدادَ لمَّا ماتَ نورُ الدينِ ، وعادَ إلىٰ ولدِهِ الملكِ القاهرِ مسعودٍ بالخلعةِ والتقليدِ ، فقويَتْ حرمتُهُ عندَهُ ، وازدادَتْ منزلتُهُ أكثرَ ما كانَتْ عندَ أبيهِ .

وُلِدَ عمادُ الدينِ بإِرْبِلَ سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ يومَ الخميسِ التاسعِ والعشرينَ مِنْ جمادى الآخرةِ سنةَ ثمانٍ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

---

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٠٩ـ١١٣) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ الحافظُ سيفُ السنةِ شرفُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ المُفضَّلِ المقدسيُّ اللخميُّ المالكيُّ]

الشيخُ الإمامُ الحافظُ شيخُ الإسلامِ ناصرُ السنَّةِ سيفُ المِلَّةِ ؛ شرفُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي المكارمِ المُفضَّلِ بنِ عليِّ بنِ [مُفَرِّجِ] بنِ حاتِمِ بنِ الحسنِ بنِ جعفرِ بنِ إبراهيمَ بنِ الحسنِ ، المقدسيُّ ثمَّ الإِسْكَندرانيُّ المالكيُّ اللَّخْميُّ ، الفقيهُ المفتي ، قدَّسَ اللهُ روحَهُ ونوَّرَ ضريحَهُ .

كانَ رحمَهُ اللهُ علمَ عصرِهِ في العلمِ ، جامعاً لفنونٍ مُتعدِّدةٍ منهُ ، ثقةً ثبتاً ، عارفاً بالأصولِ والفروعِ والحديثِ ، حسنَ التصنيفِ ، جيِّدَ النظمِ ، مُوفَّقاً للصوابِ في فتاويهِ ، بارعاً في علمِ الروايةِ وطرقِ الأحاديثِ وعللِها ومعانيها ، وأحوالِ الرجالِ وطبقاتِهِم وبلدانِهِم . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنْ علومِ الحديثِ .

تفقَّهَ علىٰ جماعةٍ ، وتفقَّهَ عليهِ جماعةٌ ، ودرَّسَ إلىٰ حينِ وفاتِهِ وأفتىٰ ، وهوَ شيخُ الحفَّاظِ .

قالَ الحافظُ رشيدُ الدينِ(١) : (سألتُهُ عن نسبتِهِ ، فقال : كانَتْ أمِّي ـ أو قالَ : كانَتْ جدَّتي ـ تقولُ : نحنُ مِنْ بني ريحانةَ ، فإنْ كانَ كذلكَ فنحنُ مِنْ لخمٍ) ، هـٰذا لفظُهُ أو معناهُ .

ذكرَهُ الحافظانِ ؛ زكيُّ الدينِ عبدُ العظيمِ المنذريُّ(٢) ، والحافظُ رشيدُ

---

(١) هو الحافظ أبو الحسين يحيى بن علي القرشي العطار ، من تلاميذ المترجم ، وسيترجم له المؤلف ترجمة حافلة في (٢/ ٨٦ـ ٩٠) .

(٢) والزكي المنذري من تلاميذ المترجم ، قال في « التكملة » (٢/ ٣٠٧) : (قرأت عليه =

الدينِ أبو الحسينِ يحيى القرشيُّ [وقالَ][1] : لم نرَ مثلَهُ ، كانَ صحيحَ الاعتقادِ ، مخالفاً للطائفةِ التي تزعُمُ أنَّها أثريَّةٌ ، صنَّفَ كتابَهُ المعروفَ بـ « كتابِ الأصواتِ » ، أظهرَ فيها[2] تضعيفَ رواةِ أحاديثِ الأصواتِ وأوهامَهُم .

وحكى الشيخُ تقيُّ الدينِ شرفُ الحُفَّاظِ[3] ـ يحكي عن والدِهِ مجدِ الدينِ ـ قالَ : إنَّهُ بلغَ رتبةَ المجتهدينَ .

وُلِدَ في الرابعِ والعشرينَ مِنْ ذي القَعْدةِ سنةَ أربعٍ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ صبيحةَ يومِ الجمعةِ مُستهَلَّ شعبانَ سنةَ إحدىٰ عشرةَ وستِّ مئةٍ[4] .

* * *

= الكثير ، وكتبت عنه جملة صالحة ، وانتفعت به انتفاعاً كثيراً) ، ولم يُقرئه المترجم حتىٰ أعلن أنه علىٰ معتقد الإمام الأشعري ، وأنه بريء من معتقد أهل التشبيه والتجسيم ، كما سيذكره المؤلف ضمن ترجمة الإمام المنذري في (٢/ ٥٧) .

(١) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السياق .

(٢) كذا في (أ ، ب) ، والأولىٰ : (فيه) .

(٣) هو الإمام الكبير ابن دقيق العيد رضي الله عنه ، وستأتي ترجمته في (٢/ ٢٥٣ـ ٢٧٢) .

(٤) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٣٠٦ـ٣٠٧) ، و« وفيات الأعيان » (٣/ ٢٩٠ـ٢٩٢) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ أبو القاسمِ عبدُ القاهرِ بنُ الشيخِ الفقيهِ أبي طاهرٍ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ مهرانَ الجَزَريُّ الشافعيُّ

تفقَّهَ ببغدادَ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وحصَّلَ طَرَفاً حسناً مِنَ المذهبِ والأصولِ والخلافِ ، وصحبَ الحافظَ أبا بكرٍ الحازميَّ .

تُوفِّيَ في الثامنِ والعشرينَ مِنْ شعبانَ سنةَ تسعٍ وستٍّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ [. . .][١] ، وقيلَ : إنَّهُ يُعرَفُ بـ(ابنِ البَزْريِّ)[٢]

* * *

---

(١) بياض في (أ) بمقدار كلمتين .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٢٥٧) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العارفُ القطبُ أبو الحسنِ عليُّ ابنُ إسماعيلَ المعروفُ بـ (ابنِ الصبَّاغِ)

صحبَ الشيخينِ عبدَ الرزاقِ بنَ [محمدٍ][١] ، والشيخَ عبدَ الرحيمِ ابنَ حجُّونَ[٢] ، وكانَ يقولُ رضيَ اللهُ عنهُ : (شيخي في الأحوالِ والمقاماتِ الشيخُ عبدُ الرزاقِ) .

انتهتْ إلى الشيخِ أبي الحسنِ التربيةُ في زمانِهِ ؛ حتىٰ يُقالُ : إنَّهُ آخرُ المُربِّينَ ، لهُ العلومُ الربَّانيَّةُ .

سُئِلَ الشيخُ أبو الحسنِ الشاذليُّ رضيَ اللهُ عنهُ عن حالِ أبي الحسنِ وأصحابِهِ ، فأطرقَ ثمَّ رفعَ رأسَهُ فقالَ : اطَّلعتُ علىٰ حالِ أهلِ هـٰذا البيتِ ، فما رأيتُ لصغيرِهِم ولا لكبيرِهِم همَّةً إلا معرفةَ اللهِ ، وهـٰذا يدُلُّ علىٰ عُلُوِّ همَّةِ صاحبِهِم .

سُئِلَ الشيخُ أبو الحسنِ ابنُ الصبَّاغِ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ التوحيدِ ، فقالَ : إثباتُ الذاتِ بنفيِ الجهةِ ، وإثباتُ الصفاتِ بنفيِ التشبيهِ[٣]

وكانَ يقولُ : (المرادُ بقولِهِ : « نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ : ٱلصِّحَّةُ ، وَٱلْفَرَاغُ »[٤] ؛ **المرادُ بالصحَّةِ** : صحَّةُ القلبِ وصفاؤُهُ وتحقُّقُهُ

---

(١) ما بين معقوفين بياض في الأصل بمقدار كلمة .

(٢) وتقدم في ترجمة ابن حجُّون (١/ ٥١٥) أنه يكفيه أن من جملة أصحابه الشيخ أبا الحسن ابن الصباغ .

(٣) انظر « الطالع السعيد » (ص٢٠٧) .

(٤) أخرجه البخاري (٦٤١٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

بالتوحيدِ ، وبالفراغِ : فراغُهُ ممَّا سوى اللهِ عزَّ وجلَّ) .

وقالَ لجماعةٍ مِنَ الفقراءِ المُعتبَرِينَ : بمَ يأمرُكُم مشايخُكُم ؟ فقالُوا : بإيصالِ الراحةِ للإخوانِ ، فقالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : الخادمُ يخدمُ أهلَ السماءِ قبلَ أهلِ الأرضِ ، فقالُوا : وكيفَ ؟! فقالَ : يمنعُ البلاءَ النازلَ مِنَ السماءِ علىٰ أهلِ الأرضِ ، ويمنعُ الأفعالَ القِباحَ مِنْ أهلِ الأرضِ تصعدُ إلى السماءِ ، فتؤذي أهلَ السماءِ روائحُها .

وكانَ يقولُ : (ما يُعرَفُ الرجلُ مِنْ هنا ، وإنَّما يُعرَفُ مِنْ هناكَ) ، يُشيرُ إلى الدارِ الآخرةِ .

وقالَ : (لا يَحِلُّ لأحدٍ أنْ يتكلَّمَ في هـٰذا العلمِ إلا مَنْ غابَ عن حسِّهِ في حضورِهِ ، وعادَ إلىٰ حسِّهِ بعدَ ظهورِهِ) .

وقالَ في قولِهِ : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ ٱلْعَبْدُ مِنْ ربِّهِ فِي ٱلسُّجُودِ »[1] : (هوَ موضعُ تحقيقِ العبوديَّةِ) .

وسُئِلَ عنِ علمِ القومِ ، فقالَ : أوَّلُهُ الذهابُ ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ في قصَّةِ إبراهيمَ : ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات : ٩٩] .

وقالَ : (العلمُ هوَ الحُجَّةُ ، والمُعلِّمُ هوَ المَحَجَّةُ) .

وقالَ : (كنتُ أمشي في الطريقِ ، فيُكشَفُ لي عمَّا يفعلُ الناسُ في منازِلِهِم ، فسألتُ اللهَ أنْ يسترَ عنِّي مساويَهُم ، ففعلَ) .

ومِنْ كراماتِهِ : أنَّهُ قالَ : (ما يقدَمُ عليَّ أحدٌ إلا وتبدو لي صورتُهُ قبلَ أنْ يقدَمَ عليَّ) .

وقالَ بعضُ أصحابِهِ : (سمعتُهُ يقولُ في السفرةِ التي انتقلَ عقيبَها : أُمِرْتُ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

السَّاعةَ بأمرٍ مِنْ أجلِ النِّيلِ ، وكانَ النيلُ قد طلعَ ، وجاءَ أوانُ نزولِهِ فلم ينزلْ ، ولم يُسمَعْ منهُ قبلَ ذلكَ في أمرِ النيلِ شيءٌ ، فقالَ : نخرجُ إلىٰ شاطئِ النيلِ ونُصلِّي ، فخرجَ والجماعةُ معَهُ ، وصلَّىٰ صلاةَ العصرِ علىٰ جانبِ البحرِ ، ثمَّ دعا بأسماءٍ سُمِعَتْ منهُ ، فتناقصَ النيلُ ، ثمَّ تمَّ نقصُهُ حتى انتفعَ الناسُ بالأرضِ) .

وحكى الشيخُ علمُ الدينِ في « مجموعِهِ »[1] ، قالَ : (حكىٰ لي بعضُ الفقراءِ ، قالَ : نزلَ بنا سيلٌ بقِنا ، فأحاطَ بالرباطِ الذي نحنُ فيهِ ، فأيقنَّا بتلافِ الرباطِ ، فخرجتُ إلى الشيخِ الإمامِ وقلتُ : يا سيِّدي ؛ فرغَ تدبيرُ الخلقِ ، ما بقيَ إلا تدبيرُ الحقِّ ، فقالَ : نعم ، وخرَّ ساجداً ثمَّ رفعَ رأسَهُ ، فقالَ : أنتم سالمونَ ، فقالَ الفقيرُ : فنقصَ الماءُ وسَلِمَ المكانُ ، فقالَ الشيخُ : مَنْ كانَ قطبَ الوجودِ كانَ مُتصرِّفاً بأمرِ المعبودِ) .

وقالَ الشيخُ : (كنتُ مرَّةً أسيحُ ، فوصلتُ مُقطَّمَ مصرَ ، وكنَّا ثلاثةَ نفرٍ ، فحانَ وقتُ الزوالِ ولم يكنْ ماءٌ نتوضَّأُ بهِ ، فقالَ أحدُنا : ما أتوضَّأُ إلا بماءِ المطرِ ، فمُطِرْنا ، فتوضَّأَ مِنْ ذلكَ المطرِ .

وقالَ الآخَرُ : ما أتوضَّأُ إلا أنْ تنبعَ لي عينُ ماءٍ ، فنبعَتْ عينُ ماءٍ فتوضَّأَ .

ثمَّ قالَ الآخَرُ : ما أتوضَّأُ إلا مِنَ النيلِ ، فالتقى البحرُ معَ الجبلِ فتوضَّأَ ، ولم يكنْ منَّا حركةٌ) .

---

(١) علم الدين : هو أبو الطاهر إسماعيل بن إبراهيم بن جعفر المنفلوطي القِنائي ، أحد تلاميذ سيدي ابن الصباغ ، وكان رحمه الله مالكياً جمع بين الشريعة والحقيقة ، وستأتي ترجمته في (٢/ ٣٧) ، وهـٰذا المجموع المشار إليه ذكر فيه نبذة من أحوال وكلام شيخه ابن الصباغ ، وشيخ شيخه عبد الرحيم القناوي ، وفيه أحاديث واستدلالات دلَّت علىٰ فهم وعلم ، وفيه مسائل فقهية ، ومقالات صوفية . انظر « الطالع السعيد » (ص٨٠) .

ثمَّ قالَ : (وحينَ رجوعي سرتُ في الجانبِ الغربيِّ ، ولم آكلْ ولم أشربْ إلىٰ قوصَ) .

وكراماتُهُ كثيرةٌ لا تُعدُّ ولا تُحصَرُ .

قالَ أبو الطاهرِ إسماعيلُ ابنُ جعفرٍ في « كتابِهِ » : (دخلتُ على الشيخِ أبي الحسنِ في مرضِهِ ، فسألتُهُ عن حالِهِ ، فسمعتُهُ يقولُ : سألتُ ما الذي بي ؟ فقيلَ لي : ابتلَيْناكَ بالفقرِ فلم تشكُ ، وأَفَضْنا عليكَ النِّعَمَ فلم تشغلْكَ عنَّا ، وما بقيَ إلا مقامُ الابتلاءِ ؛ لتكونَ حُجَّةً علىٰ أهلِ البلاءِ)[1] .

وقالَ : (دخلتُ عليهِ يوماً في مرضِهِ ، فسمعتُهُ يقولُ : مُنِعتُ مِنَ الطعامِ والشرابِ ، فسألتُ اللهَ أنْ يُطِيبَ ليَ الماءَ ، ففعلَ) .

قالَ : (وسمعتُ زوجتَهُ عائشةَ بنتَ الشيخِ عبدِ الرحيمِ رضيَ اللهُ عنهُم تقولُ : دخلتُ عليهِ يوماً في مرضِهِ ، فسمعتُهُ يقولُ هاتَينِ الكلمتَينِ يُردِّدُهُما وحدَهُ مراتٍ : السلامُ عليكُمُ ، السلامُ علىٰ مَنِ اتَّبعَ الهدىٰ ، ثمَّ ردَّ السلامَ بقولِ : وعليكُمُ السلامُ ، ولم يزلْ يُكرِّرُ الشهادتَينِ حتى انتقلَ إلى اللهِ تعالىٰ)[2] .

تُوفِّيَ بقِنا في نصفِ شعبانَ سنةَ اثنتي عشرةَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ ورحمَنا بهِ[3] .

* * *

(١) انظر « الطالع السعيد » (ص٢٠٦) .

(٢) انظر « الطالع السعيد » (ص٢٠٦) .

(٣) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٣٤٠) ، و« الطالع السعيد » (ص٢٠٥ـ٢٠٨) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ تقيُّ الدينِ أبو العزِّ مُظفَّرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عليٍّ الشافعيُّ المعروفُ بـ (المُقترَحِ)[1]

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وبرعَ في علمِ الأصولَينِ والخلافِ والفقهِ وتقدَّمَ فيهِ .

وسمعَ مِنْ أبي الطاهرِ ابنِ عوفٍ وطبقتِهِ ، ودرَّسَ بمدرسةِ الحافظِ السِّلَفيِّ بالإسكندريَّةِ ، ثمَّ حضرَ إلىٰ مصرَ ، وتولَّى التدريسَ بمدرسةِ الشريفِ بنِ ثعلبٍ بالقاهرةِ بخطِّ المُلَحيِّينَ[2] ، وكانَ يجلسُ أيضاً بجامعِ مصرَ للاستدلالِ ، ولهُ تصانيفُ مفيدةٌ .

سمعتُ الشيخَ الإمامَ العلامةَ وجيهَ الدينِ عبدَ الوهابِ بنَ حسينٍ البَهْنسيَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ[3] : (جلسَ التقيُّ المُقترَحُ للاستدلالِ ، وكانَ المصريُّونَ يومَئذٍ مُطبِقينَ على الاشتغالِ بعلمِ الجدلِ والخلافِ مُكبِّينَ عليهِ ، فانتصبَ للاستدلالِ ، فأوردَ عليهِ مَنْ حضرَ نيِّفاً وثلاثينَ سُوَالاً[4] : لواحدٍ اثنانِ ، ولآخرَ أربعةٌ ، ولآخرَ كذا ، ولآخرَ كذلكَ ، وهوَ مُنصِتٌ يسمعُ الجميعَ .

---

(١) ولقب بذلك ؛ لأنه كان يحفظ « المقترح في المصطلح » لأبي منصور البروي ، وهو كتاب في الجدل ، وقد شرحه بشرح مستوفىً ، وهـٰذا الإمام الكبير هو جدُّ الإمام المجدد المجتهد تقي الدين ابن دقيق العيد لأمه ، وانظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٢٥) .

(٢) **والشريف بن ثعلب** : هو الأمير فخر الدين إسماعيل الجعفري الزينبي ، أحد أمراء مصر في أيام الملك العادل . انظر « المواعظ والاعتبار » (٣/ ٢١٢ ، ٤/ ٢١٦) .

(٣) ستأتي ترجمة البهنسي في (٢/ ١٩٤ـ ١٩٧) .

(٤) وجمع (سُوَال) : (أَسْولة) ، كما يستخدمه المؤلف بعد قليل ، وانظر (١/ ١٨١ـ ١٨٢) .

فلمَّا فرغُوا مِنْ إيرادِ أسولتِهِم قالَ التقيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : هـٰذا لهُ سُوَالانِ ؛ الأولُ كذا والثاني كذا ، وقال : هـٰذا [لهُ] ثلاثةُ أَسْوِلةٍ ؛ الأولُ كذا والثاني كذا والثالثُ كذا ، وشرعَ يُعيدُ الأَسْوِلةَ على الترتيبِ الواقعِ إلىٰ أنْ أكملَ أسولةَ الجميعِ ، فأقسمَ عليهِ بعضُ مَنْ حضرَ مَحفِلَ الاستدلالِ مِنَ الأكابرِ ألا يُجيبَ عنها خوفاً عليهِ مِنَ العينِ ، فنهضُوا وتفرَّقُوا مُعترِفينَ بفضلِهِ ، مُقرِّينَ بنباهتِهِ ونُبلِهِ) .

سمعتُ الشيخَ وجيهَ الدينِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لم يكنْ في عصرِ المُقترَحِ مثلُهُ) .

وقالَ الحافظُ زكيُّ الدينِ رحمَهُ اللهُ في الثناءِ عليهِ : (لهُ تصانيفُ مفيدةٌ ، انتفعَ بهِ جماعةٌ كثيرةٌ ، وحدَّثَ بمكَّةَ ومصرَ ، سمعتُ منهُ ، وكانَ كثيرَ الإفادةِ ، مُنتصِباً لمَنْ يقرأُ عليهِ ، كثيرَ التواضعِ ، حسنَ الأخلاقِ ، جميلَ العِشْرةِ لأصحابِهِ ، ديِّناً ورعاً)(١)

وُلِدَ سنةَ ستينَ ـ أو إحدىٰ وستينَ ـ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في شعبانَ سنةَ اثنتي عشرةَ وستِّ مئةٍ(٢)

* * *

---

(١) التكملة لوفيات النقلة (٢/ ٣٤٣) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٣٤٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٧٢) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ الفاضلُ البارعُ الوزيرُ ، جمالُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الإمامِ العالمِ أبي المنصورِ ظافرِ بنِ الحسينِ ، الأَزْديُّ المالكيُّ العدلُ

تفقَّهَ علىٰ والدِهِ الإمامِ أبي المنصورِ في المذهبِ والأصولَينِ والخلافِ[1] ، وقرأَ الأدبَ ، ونظرَ في تواريخِ الملوكِ والوزراءِ مِنَ العربِ والعجمِ وحفظَ منها جملةً كثيرةً ، خصوصاً ملوكَ الأعاجمِ ، ودرَّسَ بالمدرسةِ المالكيَّةِ الصَّلاحيَّةِ بمصرَ بعدَ وفاةِ والدِهِ ، وترسَّلَ للديوانِ العزيزِ وملوكِ الأطرافِ ، ووليَ الوزارةَ للملكِ الأشرفِ موسى بنِ الملكِ العادلِ ، ثمَّ انفصلَ عنهُ ، وقدمَ مصرَ ، وتولَّى الوكالةَ السلطانيَّةَ ، ثمَّ توجَّهَ للحجازِ ، وعادَ .

وكانَ مُتوقِّدَ الخاطرِ ، طلقَ العبارةِ ، وكانَ معَ تعلُّقِهِ بالدنيا لهُ ميلٌ كبيرٌ إلىٰ أهلِ الآخرةِ ، مُحِبّاً لأهلِ الخيرِ والصلاحِ[2] ، وكانَتْ نتيجةُ ذلكَ وثمرتُهُ ظهرَتْ في سيِّدِنا قطبِ العبادِ صفيِّ الدينِ الحسينِ ؛ فإنَّ الولدَ سرُّ أبيهِ[3]

وكانَتْ للشيخِ جمالِ الدينِ مُصنَّفاتٌ حسنةٌ مفيدةٌ[4]

---

(١) وأبو المنصور تقدمت ترجمته في (١/ ٥٢٣) .

(٢) وقال المنذري في « التكملة » (٢/ ٣٧٧) : (وأقبل في آخر عمره على السنة النبوية ومطالعتها ، وإدمان النظر فيها) .

(٣) وسيترجم المؤلف للإمام صفي الدين ترجمة حافلة في (٢/ ١٥٢ـ ١٦٠) .

(٤) ومن هـٰذه الكتب : كتاب « الدول المنقطعة » قال الذهبي في « السير » (٢٢/ ٦١) : (أتىٰ فيه بنفائس) ، ومنها أيضاً : كتاب « بدائع البدائه » ، وغير ذلك .

وُلِدَ بمصرَ سنةَ سبعٍ وستينَ وخمسٍ مئةٍ ، وتُوفِّيَ ليلةَ النصفِ مِنْ شعبانَ سنةَ ثلاثَ عشرةَ وستٍّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[1] .

---

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/٣٧٦_٣٧٧) وفيها ولادته سنة (٥٦٩هـ) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٢/٦٠_٦١) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ معينُ الدينِ أبو حامدٍ محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ أبي الفضلِ السُّهَيليُّ الجاجَرْميُّ الفقيهُ الشافعيُّ[1]

كانَ إماماً فاضلاً مُفتياً مُبرِّزاً ، سكنَ نيسابورَ ودرَّسَ بها ، وصنَّفَ في الفقهِ كتباً ؛ **منها** : « الكفايةُ » في مجلَّدٍ واحدٍ[2] ، **ومنها** : « إيضاحُ الوجيزِ » في مجلَّدَينِ ، **ومنها** : « القواعدُ » ، ولهُ طريقةٌ مشهورةٌ في الخلافِ .

تُوفِّيَ بكرةَ نهارِ الجمعةِ الحادي والعشرينَ مِنْ رجبٍ سنةَ ثلاثَ عشرةَ وستِّ مئةٍ[3] .

* * *

(١) في المصادر والمراجع التي وقفت عليها : (السهلي) بدل (السهيلي) .

(٢) وهو قريب من حجم « التنبيه » للإمام الشيرازي ، قال ابن خلكان في « وفياته » (٤/ ٢٥٦) : (وهو في غاية الإيجاز مع اشتماله علىٰ أكثر المسائل التي تقع في الفتوىٰ) .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٢/ ٦٢ـ٦٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٤٤ـ٤٥) .

ومنهُمْ :

الإمامُ ركنُ الدينِ أبو حامدٍ محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدٍ العَمِيديُّ الفقيهُ الحنفيُّ السمرقنديُّ

كانَ إماماً في فنِّ الخلافِ ؛ خصوصاً الجُسْتَ[1] ، وهوَ أوَّلُ مَنْ أفردَهُ بالتصنيفِ ، وكانَ اشتغالُهُ بهِ على الشيخِ رضيِّ الدينِ النيسابوريِّ .

وصنَّفَ « طريقتَهُ » ، وصنَّفَ « الإرشادَ » ، واعتنىٰ بشرحِها جماعةٌ مِنَ العلماءِ ؛ **منهُمْ** : القاضي شمسُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ الخليلِ بنِ سعادةَ الخُوَيِّيُّ قاضي دمشقَ[2] ، وصنَّفَ أيضاً كتابَ « النفائسِ » ، واختصرَهُ الخُوَيِّيُّ أيضاً وسمَّىٰ مختصرَهُ : « عرائسَ النفائسِ » ، **وانتفعَ بهِ جماعةٌ ؛ منهُم** : أوحدُ الدينِ الدُّونيُّ قاضي منبجَ ، ونجمُ الدينِ ٱلمَرَنْديُّ ، وبدرُ الدين المَراغيُّ[3] .

وانتفعَ بهِ : الشيخُ نظامُ الدينِ أحمدُ بنُ الشيخِ جمالِ الدينِ الحَصيريُّ الذي قتلَهُ التتارُ بنيسابورَ عندَ خروجِهِم سنةَ ستَّ عشرةَ وستِّ مئةٍ .

تُوفِّيَ ركنُ الدينِ سنةَ أربعَ عشرةَ وستِّ مئةٍ[4] .

* * *

---

(١) **الجُسْت** : لفظة فارسية معناها : البحث ، ثم صارت تطلق علىٰ فرع من فن الخلاف .

(٢) **الخُوَيِّيُّ** : نسبة إلىٰ (خُوَي) من بلاد أذربيجان ، وتحرَّفت في كثير من المصادر والمراجع ، وستأتي ترجمته في (١/ ٦١٧) .

(٣) قوله : (وانتفع به . . .) إلىٰ آخره : سياق العبارة في هـٰذا المكان موهم ، والعبارة في « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥٧) : (وصنف « الإرشاد » ، واعتنىٰ بشرحها جماعة من أرباب هـٰذا الشأن ؛ منهم : القاضي شمس الدين الخويي ، والقاضي أوحد الدين الدوني ، ونجم الدين المرندي ، وبدر الدين المراغي ، وغيرهم) .

(٤) انظر «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٥٧ـ ٢٥٨)، و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ١٢٨).

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ القدوةُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ أبي بكرٍ التُّجِيبيُّ الحرَّارُ[1]
شيخُ شيخِنا الإمامِ العارفِ القدوةِ صفيِّ الدينِ
يُعرَفُ أبو العباسِ بـ (ابنِ الفصَّادِ)

ذكرَهُ ابنُ العربيِّ فقالَ : كانَ صُلْباً في دينِ اللهِ ، كانَ الغيبُ لهُ شهادةً ، صحبَ الشيخَ أبا أحمدَ مِنْ أصحابِ أبي مَدْينٍ وانتفعَ بهِ ، ورغبَ في رؤيةِ الصالحينَ .

ومِنْ كلامِهِ : (إنِّي لأَجهدُ أنْ أرىٰ سواهُ ، فلا أستطيعُ) .

وكانَ كثيراً ما ينشدُ[2] : [من الكامل]

يَا مُؤْنِسِي بِٱللَّيْلِ إِنْ هَجَعَ ٱلْوَرَىٰ وَمُحَدِّثِي مِنْ بَيْنِهِمْ بِنَهَارِ

كانَ مُقيماً بمسجدِ زُقاقِ القناديلِ المعروفِ بـ (ابنِ البَلَّانِ) ، وجاورَ بمكَّةَ مدَّةً .

ولهُ كراماتٌ كثيرةٌ ؛ ومِنْ كراماتِهِ : أنَّ مِنْ أصحابِهِ شيخَنا صفيَّ الدينِ الحسينَ رضيَ اللهُ عنهُما[3]

تُوفِّيَ في الخامسَ عشرَ مِنْ جمادى الآخرةِ سنةَ ستَّ عشرةَ وستِّ مئةٍ[4]

* * *

(١) الحرَّار : نسبة إلىٰ عمل الحرير .

(٢) أورده ابن عربي في « الفتوحات المكية » (١/ ٢٣٩) .

(٣) وذكر له سيدي العفيف اليافعي كراماتٍ عديدةً في كتابه الماتع « روض الرياحين » انظره (ص٤٧٤ـ٤٧٧) ، وبعضها منقول عن تلميذه سيدي صفي الدين ، وأفرده بالترجمة الحافظ الشهاب القسطلاني بمؤلف سمَّاه : « نزهة الأبرار في مناقب الشيخ أبي العباس الحرَّار » .

(٤) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٤٦٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٤/ ٢٨٢) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ ضياءُ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ الشيخِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ إسماعيلَ بنِ خالدِ بنِ الحسنِ القرشيُّ الشافعيُّ المعروفُ بـ (ابنِ الورَّاقِ)

تفقَّهَ : على الإمامِ شهابِ الدينِ الطُّوسيِّ ، وانقطعَ إليهِ مدَّةً ، وكانَ أحدَ المُعيدينَ لهُ بالمدرسةِ المعروفةِ بمنازلِ العزِّ[1] ، وقرأَ الأصولَ على الإمامِ أبي المنصورِ ظافرِ بنِ الحسينِ المالكيِّ ، وسمعَ مِنْ عمرَ بنِ محمدٍ المقدسيِّ ، وشُهْدَةَ الأثريَّةِ ، وأضرابِهِما .

وشهدَ عندَ قاضي القضاةِ صدرِ الدينِ أبي القاسمِ ابنِ دِرْباسٍ[2] ، وتولَّى الحكمَ بجيزةِ مصرَ وأعمالِها ، ووليَ التدريسَ بالمدرسةِ الناصريَّةِ الصلاحيَّةِ بمصرَ المجاورةِ للجامعِ العتيقِ ، وكانَ يصحبُ الشيخَ الزاهدَ أبا الحسنِ عليَّ بنَ إبراهيمَ بنِ المُسلَّمِ المعروفَ بـ (ابنِ بنتِ أبي سعدٍ) .

وكانَ مُتأدِّباً ، حسنَ الأخلاقِ ، كريمَ النفسِ ، وكانَ يكتبُ خطّاً حسناً ، وقيلَ : إنَّهُ كتبَ قريباً مِنْ أربعِ مئةِ سِفْرٍ .

وكانَ يصنعُ للطلبةِ الطعامَ والألوانَ التي لا يقدِرُونَ عليها ، ويستعيرُ منهُمُ الكتبَ اليومَ واليومَينِ ، فيردُّها إليهِم وفيها في رسِّها[3] بينَ الأوراقِ الدنانيرُ ،

---

(١) سبق التعريف بهـٰذه المدرسة في (١/ ٥٢١) .

(٢) هو عبد الملك الماراني ، وقد سبقت ترجمته في (١/ ٥٣٣ـ ٥٣٤) .

(٣) الرسُّ : الدسُّ أو الطي ، وفي (ب) : (في رتبها) .

بحيثُ لا يلحقُهُم [ذِلَّةُ] المناولةِ[١] ، ولا ذِلَّةُ الرجاءِ والتأميلِ .

تخرَّجَ بهِ جماعةٌ وانتفعُوا عليهِ ، ويكفيهِ قاضي القضاةِ تاجُ الدينِ عبدُ الوهابِ بنُ خلفٍ[٢] .

وُلِدَ يومَ الخميسِ ثاني عشرَ ذي الحجَّةِ سنةَ ستٍّ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في سابعَ عشرَ جمادى الآخرةِ سنةَ ستَّ عشرةَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[٣] .

* * *

---

(١) في (أ ، ب) : (بذلة) ، والأولىٰ والأوضح ما أثبت ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) وممَّن تفقه علىٰ يديه : الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٤٦٧ـ ٤٦٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٧٦) .

ومنهُم :

الشيخُ الإمامُ العالمُ جلالُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ نجمِ بنِ شاسِ بنِ نزارِ بنِ عشائرَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ شاسٍ الجُذاميُّ السعديُّ المالكيُّ المصريُّ

تفقَّهَ في مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : على الفقيهِ أبي يوسفَ يعقوبَ بنِ يوسفَ المالكيِّ وغيرِهِ بمصرَ ، وسمعَ مِنِ ابنِ برِّيٍّ ، ودرَّسَ بالمدرسةِ الناصريَّةِ المجاورةِ لجامعِ مصرَ .

وصنَّفَ في مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ كتابَ « الجواهرِ الثمينةِ في مذهبِ عالمِ المدينةِ » حذا فيها حذوَ الغزاليِّ في « الوسيطِ »[١]

وحجَّ ، وكانَ بعدَ عودِهِ مِنَ الحجِّ قدِ امتنعَ مِنَ الفُتيا إلىٰ حينِ وفاتِهِ ، ولمَّا استُفتيَ في الحشويَّةِ مِنَ المرازقةِ والكِيزانيِّينَ ، ورأىٰ أنَّ ذلكَ مِنْ فروضِ الأعيانِ . . بسطَ قلمَهُ ، ومدَّ مُنتهكاً لحرمةِ حَرَمِهِم يدَهُ وقدمَهُ[٢]

وتُوفِّيَ غازياً بثغرِ دِمياطَ في أحدِ الشهرينِ رجبٍ أو جمادى الآخرةِ سنةَ ستَّ عشرةَ وستِّ مئةٍ مُرابِطاً قبلَ دخولِ الفرنجِ إليها[٣]

* * *

(١) الذي وقفت عليه في المصادر والمراجع : (الوجيز) بدل (الوسيط) ، والإمام الغزالي اختصر « الوجيزَ » من « الوسيط » ، و« الوسيطَ » من « البسيط » ، و« البسيطَ » من « نهاية المطلب » لشيخه أبي المعالي الجويني .

(٢) تحتمل في (أ) : المثبتَ و(قلمه) .

(٣) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/٤٦٨ـ٤٦٩) ، و« وفيات الأعيان » (٣/ ٦١) ، و« الديباج المذهب » (ص١٤١) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ أبو عليٍّ الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحسينِ[1] التونسيُّ المعروفُ بـ (الطويلِ) المالكيُّ

كانَ مِنْ أكابرِ الصالحينَ ، وأعيانِ المشايخِ المُحقِّقينَ ، مشهورٌ بالصلاحِ والزهدِ والتقلُّلِ مِنَ الدنيا ، وقفَ أكثرَ كتبِهِ على الفقهاءِ المشتغلينَ بالعلمِ عندَ خروجِهِ إلىٰ ثغرِ دِمياطَ في النوبةِ الأولىٰ ، وخرجَ طالباً للجهادِ والشهادةِ في سبيلِ اللهِ فلم يُقدَّرْ لهُ ذلكَ ، وتُوفِّيَ بثغرِ دِمياطَ والعدوُّ محيطٌ بها لم يدخلْها بعدُ .

وكانَ مُتقِناً لأصولِ الدينِ ، ورأيتُ بخطِّهِ مباحثَ علىٰ قواعدِ أبي الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ .

تُوفِّيَ في شعبانَ سنةَ ستَّ عشرةَ وستِّ مئةٍ[2] .

*

---

(١) في « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٤٧٦) : (الخير) بدل (الحسين) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٤٧٦-٤٧٧) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ نظامُ الدينِ أحمدُ بنُ الشيخِ جمالِ الدينِ أبي المحامدِ محمودِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ السيِّدِ ، البخاريُّ التاجريُّ الحَصيريُّ

تأخَّرَتْ وفاةُ والدِهِ إلىٰ سنةِ ستٍّ وثلاثينَ ، الحَصيريُّ أحدُ طلبةِ ركنِ الدينِ أبي حامدٍ العَميديِّ[(١)] .

قتلَهُ التتارُ عندَ أوَّلِ خروجِهِم بنيسابورَ سنةَ ستَّ عشرةَ وستٍّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[(٢)] .

(١) وسبق في (١/ ٥٥٩) أنه أحد المنتفعين بالركن العميدي .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥٨ـ٢٥٩) ، و« الجواهر المضية » (١/ ١٢٤) .

ومنهُمْ :

الفقيهُ الصالحُ أبو القاسمِ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ أبي عبدِ اللهِ القاسمِ الجُزُوليُّ العَقيليُّ المالكيُّ النُّوَيريُّ ، المشهورُ بعدَ وفاتِهِ بـ (الناطقِ)

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وصحبَ جماعةً مِنَ الأولياءِ والصُّلحاءِ ، وتولَّى القضاءَ بالبَهْنَسا مِنَ الصعيدِ الأدنىٰ بإشارةِ بعضِ الصُّلحاءِ .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ شهيداً بيدِ الفرنجِ في ذي القَعْدةِ سنةَ ستَّ عشرةَ وستِّ مئةٍ بظاهرِ دِمْياطَ ، وزُرتُ قبرَهُ في قبورِ الشهداءِ .

وسمعتُ غيرَ واحدٍ مِنْ أهلِ النُّوَيرِ وأهلِ دِمْياطَ يحكُونَ : أنَّهُ بعدَ أنْ قُتِلَ مرَّ عليهِ عِلْجٌ مِنْ علوجِ الفرنجِ ، فناداهُ : يا مسلمُ ؛ نبيُّكُم وكتابُكُم يُخبِرُ أنَّكُم أحياءٌ ، وأينَ حياتُكَ ؟! فاستوى الشيخُ عبدُ الرحمـٰنِ قاعداً ، وقالَ لهُ : نعم يا علجُ ؛ نحنُ أحياءٌ عندَ ربِّنا نُرزَقُ فَرِحينَ .

وأخبرَني أيضاً بهـٰذهِ الحكايةِ عنِ الشيخِ عبدِ الرحمـٰنِ شيخي أبو محمدٍ عبدُ الرحيمِ بنُ أبي زيدٍ المهونيُّ .

ومِنْ كراماتِهِ أيضاً في حياتِهِ : ما أخبرَني بهِ الفقيهُ العالمُ أبو محمدٍ عبدُ المهيمنِ بنُ زكريا النُّوَيريُّ قالَ : كانَ والدي لا يعيشُ لهُ ولدٌ ، فأتىٰ إلى الشيخِ عبدِ الرحمـٰنِ الناطقِ ، فقالَ لهُ : يا سيِّدي ؛ ادعُ اللهَ لي أنْ يرزقَني ولداً ذكراً ، فقالَ : اللهمَّ ؛ ارزقْهُ أولاداً ذكوراً ، وبارِكْ لهُ فيهِم وأولادِهِم وأولادِ أولادِهِم ، قالَ : فنحنُ أكثرُ أهلِ النُّوَيرةِ أولاداً وأولادَ أولادٍ ذكوراً[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٤٨٥ـ ٤٨٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٤/ ٢٩٨) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ صدرُ الدينِ أبو الحسنِ محمدُ بنُ عمرَ الحمُّوييُّ الخراسانيُّ الجُوينيُّ الشافعيُّ]

الشيخُ الإمامُ العلامةُ شيخُ الشيوخِ صدرُ الدينِ أبو الحسنِ محمدُ بنُ شيخِ الشيوخِ عمادِ الدينِ أبي الفتحِ عمرَ بنِ أصيلِ خراسانَ أبي [الحسنِ] عليِّ بنِ الإمامِ الزاهدِ عَلَمِ الزُّهَّادِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ حمُّويه بنِ محمدِ بنِ حمُّويه الحمُّوييُّ الخراسانيُّ النيسابوريُّ الجُوينيُّ البحيراباذيُّ الشافعيُّ .

تفقَّهَ : على الإمامِ أبي طالبٍ محمودِ بنِ عليِّ بنِ [أبي] طالبٍ الأصفهانيِّ صاحبِ « التعليقةِ » المشهورةِ ، وقدمَ الشامَ وتفقَّهَ بها ، **وقرأَ** : على الإمامِ قطبِ الدينِ النيسابوريِّ ، **وسمعَ بهمَذانَ** : مِنْ والدِهِ شيخِ الشيوخِ وغيرِهِ ، **وسمعَ بدمشقَ** : مِنْ أبي الفرجِ يحيى بنِ محمودِ الثقفيِّ وغيرِهِ ، وولِيَ المناصبَ الجليلةَ بالديارِ المصريَّةِ وغيرِها .

وهوَ مِنْ بيتِ علمٍ ودينٍ وفضلٍ .

والدُهُ : أبو الفتحِ عمرُ ، سمعَ مِنْ غيرِ واحدٍ ، وحدَّثَ ، وقدمَ دمشقَ وسكنَ بها إلىٰ أنْ تُوفِّيَ بها .

وجدُّهُ : أبو [الحسنِ] عليٌّ خرجَ إلىٰ طُوسَ ، وأقامَ بها عندَ الإمامِ أبي حامدٍ الغزاليِّ رضيَ اللهُ عنهُ مدَّةً ، وصحبَهُ ، وسمعَ [بنيسابورَ] .

وجدُّ أبيه : عَلَمُ الزُّهادِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ حمُّويه ممَّنْ يُضرَبُ بهِ المثلُ في الزهدِ والورعِ ، صاحبُ كراماتٍ ، ولهُ تصانيفُ في علومِ القومِ ، ولهُ مريدُونَ تخرَّجُوا بهِ وبعدُوا في الطريقِ .

وُلِدَ صدرُ الدينِ بجُوينَ في شوَّالِ سنةَ ثلاثٍ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بالموصلِ في جمادى الأولىٰ سنةَ سبعَ عشرةَ وستٍّ مئةٍ ، ودُفِنَ في صحراءِ المعافى بنِ عمرانَ في تربةِ قضيبِ البانِ إلىٰ جانبِ قبرِهِ ، رحمَهُ اللهُ[1] .

* * *

---

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ١٥ـ ١٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٤/ ٣٧٦ـ٣٧٧) .

ومنهُمْ :

[الإمامُ الصالحُ مُوفَّقُ الدينِ عَقيلُ بنُ مُهلَّبٍ المُهلَّبيُّ البَهْنَسيُّ الشافعيُّ]

الشيخُ الإمامُ الفاضلُ الصالحُ مُوفَّقُ الدينِ عَقيلُ بنُ الشيخِ الفاضلِ أبي المحاسنِ مُهلَّبِ بنِ حسنِ بنِ بركاتِ بنِ عليِّ بنِ غياثِ بنِ قاسمِ بنِ مُهلَّبِ بنِ أبي صُفْرةَ المُهلَّبيُّ البَهْنَسيُّ الشافعيُّ .

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ ، واشتغلَ بالأصولِ ، وصحبَ جماعةً مِنَ الصالحينَ ، وأقرأَ بالجامعِ العتيقِ بمصرَ ، وكانَ مِنْ أعيانِ الفُضَلاءِ .

تُوفِّيَ ثامنَ عشرَ صفرِ سنةَ ثمانِ عشرةَ وستٍّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٣٦) ، وفيها : أنَّ وفاته في الخامس عشر من الشهر المذكور .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ سَديدُ الدينِ أبو عليٍّ الحسينُ بنُ أبي القاسمِ عبدِ الوهابِ بنِ حسنِ بنِ بركاتِ بنِ عليِّ بنِ غياثِ بنِ قاسمِ بنِ مُهلَّبِ بنِ أبي صُفْرةَ

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، ووَلِيَ التدريسَ والإمامةَ بجامعِ السرَّاجينَ بالقاهرةِ إلىٰ حينِ وفاتِهِ ، ونابَ في الحكمِ عن قاضي القضاةِ أبي القاسمِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ عبدِ العليِّ ابن السُّكَّريِّ مدَّةً ، ثمَّ تركَ ذلكَ ، وكانَ ورعاً زاهداً وَقوراً ، وهوَ والدُ شيخِنا الإمامِ وجيهِ الدينِ عبدِ الوهابِ[1]

تُوفِّيَ غرَّةَ شعبانَ سنةَ ثمانِ عشرةَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ[2]

* * *

(١) والمؤلف ينقل عن الوجيه كثيراً نقولاتٍ نفيسةً، وسيذكر له ترجمة حافلة في (٢/ ١٩٤ـ ١٩٧).
(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٣ـ٥٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٤/ ٣٩٩) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ الحافظُ أبو الفتوحِ برهانُ الدينِ ابنُ الحُصْريِّ الحنبليُّ نزيلُ مكَّةَ شرَّفَها اللهُ تعالىٰ وإمامُ الحنابلةِ بها(١)

ذكرَ الحافظُ رشيدُ الدينِ أبو الحسينِ يحيى بنُ عليٍّ العطَّارُ في « معجمِهِ » فقالَ : (سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ لبِّ بنِ أحمدَ الأنصاريَّ الأندلسيَّ الشاطبيَّ أحدَ أصحابِ الشيخِ أبي الحسنِ ابنِ الصبَّاغِ رضيَ اللهُ عنهُما يقول : سألتُ صاحباً لي بمكَّةَ شرَّفَها اللهُ تعالىٰ مِنْ أهلِ المغربِ ؛ فقلتُ : أنتَ إذا فاتَتْكَ الصلاةُ خلفَ إمامِ العامَّةِ . . تُصلِّي خلفَ البرهانِ إمامِ الحنابلةِ ؟

فقالَ : قد كنتُ أتوقَّفُ في ذلكَ حتىٰ رأيتُ في المنامِ كأنِّي علىٰ شاطئِ نيلِ مصرَ وقد حضرَتْ جنازةٌ ، فقالَ لي مَنْ حضرَ : صلِّ عليهِ ، فقلتُ : لا أُصلِّي علىٰ مَنْ لا أعرفُهُ ، فقيلَ لي : رجلٌ مِنَ المسلمينَ ، وما عليكَ ألا تعرفَهُ ؟! تقدَّمْ فصلِّ عليهِ ، فقلتُ : لا أُصلِّي علىٰ مَنْ لا أعرفُهُ ، فكشفُوا لي عن وجهِهِ ؛ فإذا هوَ البرهانُ إمامُ الحنابلةِ ، فقلتُ : لا أُصلِّي عليهِ .

قالَ : فبينا نحنُ كذلكَ ؛ إذْ أقبلَتْ جماعةٌ عليهِم نورٌ عظيمٌ ، فإذا فيهِمُ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ لي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : تقدَّمْ فصلِّ عليهِ ؛ فإنَّهُ ليسَ منهُم ، فصلَّيتُ عليهِ وزالَ ما كانَ في قلبي منهُ) ، هٰكذا ذكرَها الشيخُ رشيدٌ .

---

(١) وهو : الإمام المقرئ المحدث الحافظ الزاهد نصر بن محمد الهَمْداني البغدادي . انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٦٩) .

وكنتُ سمعتُ قبلَ الوقوفِ عليها في « المعجمِ » : أنَّ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ ذهبَ إليهِ ليتحلَّلَ منهُ ، فحينَ وقعَ بصرُهُ عليهِ قالَ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ صلِّ عليَّ وورائي وأنتَ آمنٌ ، صدقَ اللهُ ورسولُهُ ، لستُ أعتقدُ اعتقادَ هٰؤلاءِ المُتأخِّرينَ .

لم يذكرِ الشيخُ لهُ وفاةً[1]

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٦٩ـ٧٠) ، وذكر ولادته في شهر رمضان سنة (٥٣٦هـ) ، ووفاته في المحرم ـ وقيل : في ربيع الأول ـ سنة (٦١٩هـ) ، وقيل : في ربيع الآخر ، وقيل : في ذي القعدة سنة (٦١٨هـ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٤/ ٤٦٦ـ٤٦٨) .

ومنهُم :

قاضي القضاةِ تاجُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ السلامِ بنُ عليٍّ بنِ منصورٍ الدِّمْياطيُّ المعروفُ بـ (ابنِ الخرَّاطِ) الشافعيُّ

رحلَ إلىٰ بغدادَ وقرأَ القرآنَ على ابنِ المقرونِ ، ثمَّ رحلَ إلىٰ واسطِ فقرأَ علىٰ [أبي] بكرِ بنِ الباقلانيِّ المقرئِ .

وسمعَ : على ابنِ المعطوشِ ، وأبي عليٍّ الحسنِ بنِ عبدِ [الرحمٰنِ] بنِ الحسنِ الفارسيِّ .

ووليَ القضاءَ والتدريسَ بدِمْياطَ ، ثمَّ وليَ القضاءَ بمصرَ .

وُلِدَ سابعَ رمضانَ سنةَ إحدىٰ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بثغرِ دِمْياطَ سنةَ تسعَ عشرةَ وستِّ مئةٍ في ثالثَ عشرَ ربيعِ الأوَّلِ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٧١-٧٢) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٩٥-١٩٦) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ أمينُ الدينِ أبو الأسعدِ ـ ويُقالُ : أبو الخيرِ ـ مُظفَّرُ بنُ أبي الخيرِ بنِ إسماعيلَ بنِ عليٍّ ، التِّبْريزيُّ الوارانيُّ الشافعيُّ

تفقَّهَ ببغدادَ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ : علىٰ أبي القاسمِ بنِ فَضْلانَ ، وأعادَ بالنِّظَاميَّةِ مدَّةً ، وأمَّ بالناسِ بمسجدِ عزِّ الدينِ نجاحٍ الشَّرَابيِّ .

سمعَ : مِنْ أبي الفرجِ ابنِ كليبٍ الحرَّانيِّ ، وابنِ سُكينةَ .

وحجَّ ، وقدمَ مصرَ ، فدرَّس بالمدرسةِ الناصريَّةِ المُجاورةِ لجامعِ مصرَ مدَّةً ، ثمَّ توجَّهَ إلى العراقِ ، ومضىٰ إلىٰ شيرازَ ، وصنَّفَ في المذهبِ والأصولِ .

وُلِدَ سنةَ ثمانٍ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بشيرازَ سنةَ إحدىٰ وعشرينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ[1]

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ١٣٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٧٣ـ٣٧٤) .

ومنهُم :

الشيخُ الفقيهُ أبو محمدٍ عطاءُ اللهِ بنُ أبي عليٍّ منصورِ بنِ نَصَرٍ الإِسْكَنْدرانيُّ المالكيُّ[1]

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، ونابَ في الحكمِ بثغرِ الإسكندريَّةِ ، روىٰ بالإجازةِ : عنِ السِّلَفِيِّ ، وعنِ الشريفِ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ العثمانيِّ .

وُلِدَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في ليلةِ الثاني مِنْ رجبٍ سنةَ اثنتينِ وعشرينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[2] .

* * *

(١) قوله : (نَصَر) قال المنذري في « التكملة » (٣/ ١٥١) : (بالنون وفتح الصاد المهملة ، ويقال : نَصْر ؛ بإسكان الصاد ، والمشهور الأول) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ١٥١) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٥/ ١١٩) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ العارفُ القدوةُ فخرُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ إبراهيمَ ابنِ الطاهرِ بنِ محمدِ بنِ طاهرِ بنِ أحمدَ بنِ أبي الفوارسِ الشِّيرازيُّ الخَبْريُّ الشافعيُّ الصوفيُّ

تفقَّهَ بالبلادِ ، ورحلَ قاصداً الديارَ المصريَّةَ ، فاشتغلَ على الحافظِ ثقةِ الدينِ ابنِ عساكرَ[1] ، وكانَ قرأَ علىٰ أبي الغنائمِ المُطهَّرِ بنِ خلفِ بنِ عبدِ الكريمِ النيسابوريِّ ، ثمَّ رحلَ إلى الإسكندريَّةِ ، فسمعَ بها مِنْ أبي طاهرٍ السِّلَفِيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وصنَّفَ وأفتىٰ ، وجاورَ بمكَّةَ شرَّفَها اللهُ تعالىٰ مدَّةَ سنينَ ، وانقطعَ بعدَ ذلكَ بمعبدِ ذي النونِ المصريِّ رضيَ اللهُ عنهُ .

لهُ كلامٌ حسنٌ ضمَّنَهُ كتبَهُ الآتيَ ذكرُها وتَعدادُها ؛ فمِنْ ذلكَ : ما ذكرَهُ في أوَّلِ كتابِهِ المُسمَّىٰ : « دَلالةَ المستنهجِ إلىٰ معالمِ المعارفِ ، ورسالةَ المستبهجِ إلىٰ عوالمِ العوارفِ » قالَ بعدَ الخطبةِ :

(أمَّا عقيدتُهُم : فقد أجمعَ أئمَّةُ هـٰذهِ الطريقةِ ، وساداتُ شيوخِ الصوفيَّةِ أُولي الحقيقةِ ـ علىٰ ما دلَّتْ عليهِ مُتفرِّقاتُ كلامِهِم ، ومجموعاتُ أنفاسِهِم ، في [مُصنَّفاتِهِم] في التوحيدِ ، وتأسيسِهِم قواعدَ العقائدِ علىٰ أصحِّ الأصولِ وأوضحِ السبيلِ ، المصونِ عنِ التشبيهِ والتمثيلِ والتعطيلِ ، لمَّا عرفُوا ما هوَ

(١) كذا في (أ ، ب) ، وظاهر العبارة : أنه سمع من ابن عساكر في مصر ، وفي « تاريخ الإسلام » (٤٥/١٢٨) : أنه قدم دمشق سنة ست وستين وخمس مئة وعمره سبع وثلاثون سنة ، فسمع من الحافظ ابن عساكر ، ثم رحل إلى الإسكندرية فسمع من السِّلَفي .

حقُّ القديمِ[1] ، وتحقَّقُوا بما هوَ نعتُ الحادثِ عنِ العَدَمِ ـ علىٰ أنَّ العالَمَ بأسرِهِ ؛ جواهرِهِ وأعراضِهِ وأجسامِهِ ، لطيفِهِ وكثيفِهِ . . حادثٌ ؛ ومعنى العالَمِ : كلُّ موجودٍ سوى اللهِ .

والعالَمُ في وجودِهِ مُفتقِرٌ إلىٰ مُحدِثٍ مُخصِّصٍ أحدثَهُ وخصَّصَهُ بالوجودِ الجائزِ ، وأنَّ مُحدِثَهُ هوَ اللهُ الذي لا إلـٰهَ غيرُهُ ، الموصوفُ بالصفاتِ الواجبةِ لهُ أزلاً وأبداً ، وأنَّ صفاتِهِ علىٰ ثلاثِ مراتبَ : المرتبةِ الأولىٰ . . .) ، وذكرَ صفاتِ الذاتِ إلىٰ أنْ قالَ : (وجهُ تحقيقِ الإشارةِ في وصفِهِ : بأنَّهُ لا يُشبِهُ شيئاً ، ولا يُشبِهُهُ شيءٌ ؛ أي : لا يتقدَّرُ بالعقولِ ، ولا يُتصوَّرُ في الأوهامِ ، وما سواهُ قابلٌ لهـٰذهِ الصفةِ) .

ثمَّ قالَ في المرتبةِ الثانيةِ في الصفاتِ المعنويَّةِ : (وجهُ تحقيقِ الإشارةِ أنَّهُ مُتكلِّمٌ بكلامٍ قديمٍ : أنَّ كلامَهُ القديمَ [مِنَ المعاني القائمةِ بهِ المُتعلِّقةِ] بمُتعلِّقاتِها[2] ، لا يُشبِهُ كلامَ مَنْ سواهُ ، يستحيلُ عليهِ الانفصالُ عن ذاتِهِ ، والحلولُ بغيرِهِ) .

ثمَّ قالَ في المرتبةِ الثالثةِ في صفاتِ الأفعالِ : (وجهُ التقريرِ : أنَّهُ تعالىٰ معلومُ الوجودِ ، مرئيُّ الذاتِ بالأبصارِ ، وعداً منهُ في دارِ القرارِ ، قريبٌ ممَّا سواهُ لا بالذاتِ ، بعيدٌ عمَّا سواهُ لا بالصفاتِ ، قربُهُ مِنَ الخلقِ خلقُ الهدايةِ لهُم والإيمانِ ، وبُعْدُهُ خلقُ الشَّقاوةِ لهُم والخِذْلانِ)[3] .

صنَّفَ تصانيفَ في طريقِ الصوفيَّةِ وغيرِها مفيدةً ممتعةً ؛ فمنها : « دَلالةُ

---

(١) في « دلالة المستنهج » : (القدم) ، وهو أنسب بالسجعة .

(٢) في الأصل : (فإن كلامه القديم صفة قائمة به المتعلق بمتعلقاتها) انظر « دلالة المستنهج » (ق/ ٩) .

(٣) دلالة المستنهج (ق/ ٧ ـ ١٠) .

المستنهجِ » التي ذكرنا منها كلامَهُ ، وهيَ مُجلَّدانِ ، ومنها : « مطيَّةُ النقلِ وعطيَّةُ العقلِ » ، « الإعانةُ على دفعِ الإغانةِ » ، « سرُّ السيرِ منكَ إليهِ » ، « تحليةُ الذاهبِ بالواهبِ عنِ المواهبِ » ، « نسلُ الأسرارِ وسرُّ الإسكارِ » ، « المنتقى لأهلِ التقى » ، « جمحةُ النُّهى عن لمحةِ المَها » ، « الفارقُ بينَ الشوقِ والاشتياقِ » ، « الأجوبةُ الفارسيَّةُ عنِ الأسولةِ المصريَّةِ » ، « سلامةُ المِلَلِ مِنَ الزَّلَلِ » ، « تلقيحُ القرائحِ وتنقيحُ الفوادحِ » ، « قطعُ النفسِ للمفاوزِ في طلبِ الواجبِ والجائزِ » ، « برقُ التقى وصبحُ النَّقا عن شمسِ اللِّقا » ، « الرسالةُ الفاغيَةُ » ، « صبوةُ العقولِ والأسماعِ » ، « أستارُ المحرميةِ وأسرارُ المحرميَّةِ » ، « تصحيحُ الأسبابِ المُحقِّقةِ للأنسابِ والانتسابِ » ، « التذكرةُ والتبصرةُ » ، « بلغةُ الفاصل وعروةُ الواصلِ » .

لهُ كراماتٌ كثيرةٌ مشهورةٌ ، انتفعَ بهِ جماعةٌ مِنَ الصُّلَحاءِ والأكابرِ ، وتفقَّهَ على يديهِ المشايخُ والمريدُونَ .

ومِنْ مناقبِهِ : ما أفتى بهِ في واقعةِ المَرازقةِ والكِيزانيِّينَ ومَنْ يعتقدُ اعتقادَهُم ، وسيأتي ذكرُها[1]

قيلَ : إنَّهُ كانَ مالكيَّ المذهبِ .

وُلِدَ تخميناً سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ سادسَ عشرَ ذي الحجَّةِ سنةَ اثنتينِ وعشرينَ وستٍّ مئةٍ ، ودُفِنَ أمامَ معبدِ ذي النونِ في الموضعِ الذي عمرَهُ ، رحمَهُ اللهُ[2] .

* * *

---

(١) انظر (٢/ ٤٧٠) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ١٦٤ـ١٦٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٥/ ١٢٨ـ١٣٠) .

ومنهُم :

أبو المحاسنِ يوسفُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ بُندارَ الدمشقيُّ الشافعيُّ

كانَ عالماً بالأصولِ والفروعِ ، استوطنَ بغدادَ ، ودرَّسَ بالمدرسةِ النِّظَاميَّةِ بها ، وولدُهُ قاضي القضاةِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي المحاسنِ المذكورِ وليَ قضاءَ القضاةِ بالديارِ المصريَّةِ .

تُوفِّيَ ولدُهُ المذكورُ في جمادى الآخرةِ سنةَ اثنتينِ وعشرينَ وستِّ مئةٍ[(١)]

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/١٤٩ـ١٥٠)، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/٥١٣ـ٥١٤، ٢٢/٢٩٦) ، وأبو المحاسن توفي سنة (٥٦٣هـ) .

ومنهُمْ :

الشيخُ أبو أحمدَ وأبو جعفرِ[1] بنُ عبدِ اللهِ بنِ سَيِّد بُونَه الخُزاعيُّ

مِنْ أهلِ وادي ياشَ ، وأصلُهُ مِنْ قُطرِ دانيةَ ، صحبَ الشيخَ أبا مدينٍ وائتمَّ بهِ ، وكانَ معاصراً للشيخِ أحمدَ الرفاعيِّ كأنَّهُما كِفَّتا الميزانِ .

ذكرَهُ أبو جعفرِ ابنُ الزبيرِ في « صلةِ الصلةِ » قالَ : (كانَ ذا فضلٍ وصلاحٍ ، قرأَ ببلنسيَةَ وتفقَّهَ ، وكانَ يحفظُ نصفَ « المدوَّنةِ » أو أكثرَها[2] ، ويُؤثِرُ الحديثَ والتفسيرَ والفقهَ على غيرِ ذلكَ مِنَ العلومِ ، قرأَ القرآنَ : على أبي الحسنِ بنِ هذيلٍ ، وابنِ نعمةَ .

ورحلَ إلى المشرقِ ، فلقيَ في رحلتِهِ جملةً مِنَ الأعيانِ ، **أشهرُهُم وأكبرُهُم في بابِ الزهدِ والورعِ وسَنِيِّ المقاماتِ** : الشيخُ أبو مدينٍ شعيبُ بنُ الحسينِ المقيمُ بِبجايةَ ، صحبَهُ كثيراً ، وارتوىٰ مِنْ زُلالِهِ عذباً نميراً ، وغلبَتْ عليهِ العبادةُ وحسنُ التوجُّهِ إلى اللهِ تعالىٰ ، فعُرِفَ بهِ وشُهِرَ ، ورحلَ إليهِ عالَـمٌ للتيمُّـنِ برؤيتِهِ ، فظهرَتْ بركتُهُ عليهِم ، وحظُّهُ مِنَ العملِ معَ علمِهِ الجليلِ موفورٌ[3] ، فعملُهُ وعلمُهُ نورٌ علىٰ نورٍ .

صحبتُ قريبَهُ الشيخَ أبا تمَّامٍ غالبَ بنَ حسنِ بنِ سيِّد بُونَه حينَ وردَ حضرةَ

---

(١) جاء اسمه في المصادر والمراجع التي وقفت عليها : أن اسمه (جعفر) ، وكنيته (أبو أحمد) فقط .

(٢) في « الإحاطة في أخبار غرناطة » : (وأقرأها) بدل (أو أكثرها) .

(٣) في « الإحاطة بأخبار غرناطة » : (من العلم مع عمله) بدل (من العمل مع علمه) .

غرناطةَ ، وقصدتُ موضعَهُ لآخذَ عنهُ فلم يُقضَ بذلكَ)[1] .

وكانَ الشيخُ أبو مدينٍ يُعظِّمُهُ ، قيلَ : إنَّهُ أقامَ في خلوةٍ عشرَ سنينَ ، وخدمَ أهلَ الابتلاءِ مِنَ الفقراءِ والمساكينِ عشرَ سنينَ ، وكانَ الشيخُ أبو مدينٍ إذا كاتبَهُ يكتبُ : (مِنَ الوالدِ الراضي إلى الولدِ المرضيِّ) .

نُقِلَ عنِ الشيخِ أبي العبَّاسِ الحرَّارِ أنَّهُ قالَ[2] : (لمَّا وردتُ على الشيخِ أبي أحمدَ وجدتُ عندَهُ في موضعٍ واحدٍ أربعَ مئةِ شابٍّ ، كلُّ مَنْ جئتُ إليهِ منهُم كاشفَني) .

وُلِدَ سنةَ أربعٍ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في شوَّالٍ سنةَ أربعٍ وعشرينَ وستِّ مئةٍ ، تأخَّرَتْ وفاتُهُ عن وفاةِ أبي العبَّاسِ الحرَّارِ[3] .

* * *

---

(١) انظر « الإحاطة في أخبار غرناطة » (١/ ٤٦٢ـ٤٦٣) .

(٢) وقد سبقت ترجمة أبي العباس الحرّار في (١/ ٥٦٠) .

(٣) انظر « تاريخ قضاة الأندلس » (ص١٣٧) ، و« الإحاطة في أخبار غرناطة » (٤٦١ـ٤٦٣) ، ولم يذكر مولده ، بل ذكر وفاته وقال : (إنه نيّف على الثمانين) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ أبو حفصٍ عمرُ بنُ الشيخِ الإمامِ أبي الحارثِ أعزِّ بنِ الشيخِ أبي حفصٍ عمرَ ابنِ عَمُّويه ، القرشيُّ التيميُّ البكريُّ السُّهْرَوَرْديُّ الأصلِ ، البغداديُّ المولدِ والدارِ

وهوَ ابنُ أخي الشيخِ أبي النَّجيبِ ، تفقَّهَ علىٰ عمِّهِ المذكورِ ، وأخذَ عنهُ الفقهَ والوعظَ والتصوُّفَ ، وسمعَ مِنْ أبي الوقتِ وأضرابِهِ ، وكانَتْ لهُ قدمٌ ثابتةٌ في طريقةِ التصوُّفِ .

وُلِدَ في رجبٍ سنةَ اثنتينِ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثالثَ عشرَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ أربعٍ وعشرينَ وستِّ مئةٍ[١]

* * *

---

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٢٠٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٥/ ٢٠٢ـ٢٠٣) ، ونبَّه في هامش (أ) أن المترجَم ها هنا غير شهاب الدين أبي حفص السهروردي الآتي في (١/ ٥٩٥ـ٥٩٦) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ قاضي القضاةِ شيخُ العلماءِ شرفُ الخطباءِ
عمادُ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ عبدِ العليِّ بنِ عليٍّ
المعروفُ بـ (ابنِ السُّكَّريِّ) رحمَهُ اللهُ

صحبَ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ القرشيَّ ، وتفقَّهَ على الإمامِ شهابِ الدينِ الطُّوسيِّ ، وقرأَ عليهِ وعلىٰ أبي المنصورِ ظافرٍ علمَ الأصولِ ، وانقطعَ إلى الصالحينَ خصوصاً الشيخَ أبا عبدِ اللهِ القرشيَّ .

وليَ التدريسَ بمنازلِ العزِّ ، والخطابةَ بجامعِ الحاكمِ بالقاهرةِ المُعزِّيَّةِ ، وقضاءَ القضاةِ بالديارِ المصريةِ ، وكانَ ملازماً للخيرِ بظاهرِهِ وباطنِهِ ، لهُ كراماتٌ وأحوالٌ .

ولهُ « حواشٍ على الوسيطِ » ، وكتابٌ أجابَ فيهِ عن أسئلةٍ أوردَها بعضُ الحنابلةِ سمَّاهُ : « الكشفَ عمَّا التبسَ علىٰ بعضِ مَنِ التمسَ » ، قالَ في خُطبتِهِ :

(الحمدُ للهِ الذي أرشدَ العقولَ لمعرفتِهِ ، وهداها بنورِ هدايتِهِ ، ومكَّنَها مِنَ النظرِ في أسرارِ مملكتِهِ ، ثمَّ زجرَها عنِ التجاوزِ عن مَطْرحِ شُعاعِها ، ومنتهىٰ كمالِها ، وميدانِ مجالِها ، فوقفَ في مقامِ الاعترافِ بالقصورِ عن إدراكِ الغايةِ ، والإحاطةِ بأقصى النهايةِ ؛ فالعقولُ عن وصفِ جلالِهِ معقولةٌ ، ومعاقدُ العقودِ في نعتِ جلالِهِ محلولةٌ ، ومطايا الواجدينَ مشكولةٌ ، وأيدي المريدينَ إلى الأعناقِ مغلولةٌ ؛ فالأوهامُ مقهورةٌ ، والخيالاتُ مزجورةٌ ، غرقَتْ في بحورِ سرمديَّتِهِ عقولُ العقلاءِ .

فالعجبُ كلُّ العجبِ ممَّنْ يعزلُ نظرَ عقلِهِ ، ويقولُ [. . .][1] موافقاً للخاصَّةِ التي بها يمتازُ نوعُ الإنسانِ عمَّا سواهُ مِنَ الحيوانِ أنَّهُم عاملونَ لفعالِها !! فهـٰذا مسكينٌ لا يتجاوزُ حكمَ حواسِّهِ ، فلا يعلمُ إلا ما تسمعُهُ أُذُناهُ ، أو تبصرُهُ عيناهُ ، أو يتذوَّقُهُ لسانُهُ ، أو يُدرِكُهُ إحساسُهُ ، إنْ هم إلا كالأنعامِ بل هم أضلُّ سبيلاً

ثمَّ ليتَ شعري !! هل هوَ معَ هـٰذا أصمُّ ؟! أمَا سمعَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ١٨٥]) ، وسردَ الآياتِ التي تدلُّ على اعتبارِ شاهدِ العقلِ [. . .][2] في آياتِ الذاتِ والصفاتِ ، إلىٰ أنْ أكملَهُ .

ولمَّا وقفتُ عليهِ وتبرَّكتُ واستفدتُ منهُ [. . .][3] يصدعُ بالحقِّ ويهدي إلى الطريقِ الحريِّ ، هو سيفٌ يَقُدُّ قدَّ المناوئِ ببراهينِ عالمٍ أشعريٍّ ، أبرزَ البحرُ درَّهُ فهوَ يُزري في صفاءٍ بجوهرِ الجوهريِّ [. . .][4]

سمعَ : مِنِ ابنِ معزوزٍ الكوميِّ ، وابنِ سُمَّاقا ، ونظرائِهِما ، وظهرَتْ لهُ مكاشفاتٌ وكراماتٌ .

وُلِدَ بمصرَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في ثامنَ عشرَ شوَّالٍ سنةَ أربعٍ وعشرينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ .

وكانَ قد تزوَّجَ ابنةَ الشيخِ شهابِ الدينِ الطوسيِّ[5]

* * *

---

(١) ثلاث كلمات غير واضحات في (أ) بسبب رداءة التصوير .

(٢) ما بين معقوفين كلام غير واضح بسبب رداءة التصوير .

(٣) ما بين معقوفين كلام غير واضح بسبب رداءة التصوير .

(٤) ما بين معقوفين كلام غير واضح بسبب رداءة التصوير ، وعموماً : فهـٰذه الخطبة كتبت علىٰ هامش (أ) ، واختلطت وذهب قسم منها بسبب رداءة التصوير .

(٥) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٢١٠ـ٢١١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٧٠ـ١٧٢).

ومنهُمْ :

الفقيهُ ثابتُ بنُ حسنِ بنِ خليفةَ بنِ عبدِ الكريمِ اللخميُّ النَّحْويُّ الإِسْكندريُّ الكَرْيُونيُّ[١]

كانَ حسنَ الديانةِ ، صحيحَ الاعتقادِ ، مالكيَّ المذهبِ ، أشعريَّ الاعتقادِ ، جيِّدَ النظمِ ، سمعَ السِّلَفيَّ وأضرابَهُ .

نقلَ الحافظُ رشيدُ الدينِ يحيى العطارُ عنهُ قالَ : كتبَ إليَّ الحافظُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ المُفضَّلِ المقدسيُّ وأنا بالقاهرةِ : [من الكامل]

إنَّ ٱلفَقِيـهَ أَبَـا رَزِيـنٍ ثَـابِتـاً ... فِي ٱلْفَضْلِ مَعْدُودٌ بِعَقْدِ ٱلْخِنْصِرِ
صَحَّـتْ عَقِيـدَتُـهُ وَجَـادَ قَـرِيضُـهُ ... فَلأَجْلِ ذَلِكَ كَانَ أَشْعَرَ أَشْعَرِيّ[٢]

وُلِدَ حادي عشرَ شعبانَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في جمادى الأولىٰ سنةَ خمسٍ وعشرينَ وستِّ مئةٍ[٣] .

* * *

(١) ويكنىٰ : (أبا الحسن) ، وقيل : (أبا رزين) .

(٢) وأورد له السيوطي في « بغية الوعاة » (١/ ٤٨١) من شعره : (من الكامل)

العلـمُ يمنـعُ أهلَـهُ أنْ يُمنعـا ... فـاسمحْ بـهِ تنـلِ المحـلَّ الأرفعـا
واجعلْـهُ عنـدَ المستحِـقِّ وديعـةً ... فهـو الـذي مِـنْ حقِّـهِ أنْ يُـودَعـا
والمستحِـقُّ هـو الـذي إنْ حـازَهُ ... يعمـلْ بـهِ وإذا تلقَّفَـهُ وعـىٰ

(٣) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٢٢٣) ، و« بغية الوعاة » (١/ ٤٨٠ـ٤٨١) .

ومنهُمْ :

الإمامُ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ الشيخِ [أبي حفصٍ عمرَ بنِ الشيخِ] أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عمرَ بنِ جعفرٍ الأَزْديُّ الغسَّانيُّ المالكيُّ المعروفُ بـ (ابنِ اللَّهيبِ)

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : علىٰ أبي المنصورِ ظافرٍ ، وعلىٰ أبي البركاتِ ابنِ ثعلبٍ ، وعلى المرتضىٰ أبي عليٍّ الحسنِ بنِ عتيقٍ القَسْطلانيِّ ، واشتغلَ أيضاً على الفقيهِ أبي إسحاقَ العراقيِّ الشافعيِّ خطيبِ الجامعِ بالأصولِ ، وأخذَ نُكَتاً عنِ الظهيرِ الفارسيِّ الحنفيِّ وناظرَ عندَهُ ، وتصدَّرَ بالجامعِ ، وخطبَ بجيزةِ مصرَ ، وتولَّىٰ تدريسَ المدرسةِ الصاحبيَّةِ بالقاهرةِ .

وكانَ مُفرِطَ الذكاءِ ، سابقاً إلىٰ مداركِ العلمِ ، مُتوقِّدَ الفطنةِ .

وهوَ مِنْ أهلِ بيتِ علمٍ وصلاحٍ وكرمٍ ؛ كانَ أبو العباسِ ابنُ اللَّهيبِ كثيرَ المعروفِ والبِرِّ ، مُجتهِداً في إغاثةِ الملهوفِ ، معَ صلاحٍ وعبادةٍ ، والفقيهُ أبو محمدٍ ابنُ اللَّهيبِ كانَ المُتميِّزَ في وقتِهِ في المعارفِ .

تُوفِّيَ أبو عبدِ اللهِ شرفُ الدينِ في عشرِ رجبٍ سنةَ سبعٍ وعشرينَ وستِّ مئةٍ[(١)] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٢٦٦ـ٢٦٧) ، وفيها أنه سأله عن مولده ، فقال : سنة إحدىٰ وسبعين وخمس مئة ، و« تاريخ الإسلام » (٤/ ١٨٣) ، وجاءت هـٰذه الترجمة ضمن ورقة مرفقة ، ولعله سقط بعدها ترجمة الإمام همام بن راجي الله . انظر ما سيأتي تعليقاً (٢/ ١١٥) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ الأوحدُ العلامةُ سيفُ المناظرينَ حُجَّةُ العلماءِ والمُتكلِّمينَ سيفُ الدينِ أبو الحسينِ عليُّ بنُ أبي عليٍّ بنِ محمدِ بنِ سالمِ بنِ محمدٍ الآمديُّ الفقيهُ الشافعيُّ المُتكلِّمُ

وجدتُ بخطٍّ ذُكِرَ أنَّهُ خطُّ ابنِ هشامٍ ، وذكرَ نسبَهُ إلىٰ (محمدٍ) فقالَ : الآمديُّ المولدِ ، البلديُّ الأصلِ ، التغلبيُّ النسبةِ ، الشافعيُّ المذهبِ .

وشهرتُهُ تُغني عن وصفِهِ ، وما عسىٰ أنْ يُقالَ في أُعجوبةِ الدهرِ ، وإمامِ أهلِ العصرِ ؟! مَنْ قد ملأَتْ فضائلُهُ الأسماعَ ، ووقعَ علىٰ تقدُّمِهِ وفضلِهِ الإجماعُ ، إمامُ علمِ الكلامِ ، ومَنْ أقرَّ لهُ فيهِ الخاصُّ والعامُّ ، صاحبُ المُصنَّفاتِ المشهورةِ ، والتعاليقِ المذكورةِ ، مِنْ أكبرِ جهابذةِ الإسلامِ ، ومَنْ يُرجَعُ إلىٰ قولِهِ في الحَلِّ والإبرامِ ، والحلالِ والحرامِ .

إِذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا ... فَإِنَّ ٱلْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ[1]

وُلِدَ في سنةِ إحدىٰ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، ولمَّا بلغَ أربعَ عشرةَ سنةً انحدرَ إلىٰ بغدادَ ، واشتغلَ على الإمامِ أبي الفتحِ نصرِ بنِ فتيانَ بنِ المَنِيِّ الحنبليِّ بالخلافِ علىٰ مذهبِهِ مدَّةً ، ثمَّ صحبَ الإمامَ العلامةَ أبا القاسمِ يحيى بنَ أبي الحسنِ عليِّ بنِ الفضلِ بنِ هبةِ اللهِ بنِ بركةَ البغداديَّ ، المعروفَ بـ (ابنِ فَضْلانَ) ، الشافعيَّ ، وأخذَ عنهُ الخلافَ ، وتميَّزَ ، وحفظَ « طريقةَ

(١) بيت شهير ينسب للجيم بن صعب زوج حذام ، وهو من الوافر ، وانظر « جمهرة الأمثال » (١١٦/٢) ، و« مجمع الأمثال » (١٠٦/٢) .

الشريفِ » ، و« الزوائدَ » لأبي [سعيدٍ] المِيهَنيِّ ، وحفظَ أربعينَ جدلاً علىٰ ما قيلَ ، وقدمَ إلىٰ حلبَ واجتمعَ بالشهابِ أبي الفتوحِ يحيى بنِ حبشِ بنِ أمِيرَكَ السُّهْرَورديِّ الحكيمِ المقتولِ .

وحكىٰ عنهُ[1] أنَّهُ قالَ : رأيتُ كأنِّي شربتُ البحرَ ، وهـٰذا منامٌ رآهُ أيضاً أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ تومرتَ .

وعزمَ على الدخولِ إلى الديارِ المصريَّةِ ، روىٰ عنهُ بعضُ أصحابِهِ أنَّهُ سمعَهُ يقولُ : لمَّا أردتُ الدخولَ إلى الديارِ المصريَّةِ كررتُ علىٰ « طريقةِ الشريفِ » ، ثمَّ دخلَ مصرَ والإسكندريَّةَ ، واشتغلَ عليهِ الطلبةُ ، وعُقِدَ لهُ مجلسُ المناظرةِ ، واستدلَّ بالتعيينِ ، ثمَّ خرجَ منها فاجتازَ بحماةَ ، فأرغبَهُ صاحبُها وأحسنَ إليهِ ، وأعطاهُ مدرسةً ، فأقامَ بها مدَّةً[2] .

ثمَّ إنَّ الملكَ المُعظَّمَ عيسى بنَ الملكِ العادلِ بنِ أيوبَ كتبَ إليهِ إلىٰ حماةَ ووعدَهُ إنْ قدمَ عليهِ أنْ يُحسِنَ إليهِ ، وحَبَّبَ إليهِ سكنىٰ دمشقَ ، وكانَ سيفُ الدينِ يُحبُّها ويُؤثِرُ المُقامَ بها ، فخرجَ مِنْ حماةَ ليلاً ولم يعلمْ بهِ صاحبُها ، ودخلَ دمشقَ ، فأحسنَ إليهِ الملكُ المُعظَّمُ ، وولاهُ المدرسةَ العزيزيَّةَ المجاورةَ لتربةِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ رحمَهُ اللهُ .

وأقبلَ على الاشتغالِ والإشغالِ والتصنيفِ ، وعُقِدَ لهُ مجلسُ المناظرةِ ليلةَ الجمعةِ وليلةَ الثّلاثاءِ بالحائطِ الشماليِّ مِنْ جامعِ دمشقَ ، وكانَ يحضرُهُ الأكابرُ مِنْ كلِّ مذهبٍ ، ورحلَ إليهِ الطلبةُ مِنْ جميعِ الآفاقِ مِنْ سائرِ الطوائفِ لطلبِ العلمِ .

وكانَ خيِّرَ الطباعِ ، سليمَ القلبِ ، حسنَ الاعتقادِ ، قليلَ التعصُّبِ ، وكانَ

---

(١) أي : حكى الآمدي عن السهروردي . انظر « سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٢١١) .
(٢) في (أ ، ب) : (بها فأقام) بدل (فأقام بها) .

عندَهُ جماعةٌ مِنْ فقهاءِ أصحابِ الإمامِ أبي حنيفةَ ومالكٍ وأحمدَ رضيَ اللهُ عنهُم يشتغلُونَ عليهِ ، وهوَ في غايةِ الإكرامِ لهُم والإحسانِ إليهِم .

حكىٰ تلميذُهُ القاضي ضياءُ الدينِ أبو الروحِ عيسى بنُ القاضي أبي العباسِ أحمدَ بنِ داودَ الدَّشْتيُّ المعروفُ بـ (ابنِ قاضي تلِّ باشرٍ) ، قالَ : (سمعتُ شيخَنا الإمامَ سيفَ الدينِ يقولُ : رأيتُ في المنامِ كأنَّ قائلاً يقولُ لي : في هـٰذا البيتِ الإمامُ الغزاليُّ[1] ، قالَ : فدخلتُ فوجدتُ تابوتاً ، فكشفتُهُ فوجدتُ الغزاليَّ فيهِ ، وعليهِ كفنُهُ وهوَ في القطنِ ، قالَ : فكشفتُ عن وجهِهِ وقبَّلتُهُ ، فلمَّا انتبهتُ قلتُ في نفسي : يليقُ أنْ أحفظَ مِنْ كلامِ الغزاليِّ شيئاً ، فأخذتُ في كتابِهِ المُسمَّىٰ بـ « المستصفىٰ » في أصولِ الفقهِ)[2] .

سمعَ الحديثَ ببغدادَ مِنَ الشيخِ أبي الفتحِ عبيدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ ابنِ نجا بنِ محمدِ بنِ عليٍّ[3] بنِ شاتيلَ الدبَّاسِ البغداديِّ بدمشقَ .

أنشدَ الأديبُ الكاتبُ الشاعرُ فخرُ القضاةِ أبو الفتحِ نصرُ اللهِ بنُ هبةِ اللهِ ابنِ عبدِ الباقي بنِ أبي البركاتِ المصريُّ المعروفُ بـ (ابنِ بُصَاقةَ) لنفسِهِ ، وكتبَ بها إلى السيفِ الآمديِّ في حقِّ عمادِ الدينِ أبي بكرٍ محمدِ بنِ عثمانَ بنِ إسماعيلَ بنِ خليلٍ السَّلَماسيِّ الكاتبِ ، وقد عزمَ علىٰ أنْ يقرأَ على الشيخِ سيفِ الدينِ شيئاً مِنْ تصانيفِهِ ؛ يُوصيهِ بهِ ويُنبِّهُهُ علىٰ مكانتِهِ : [من البسيط]

يَـا سَيِّـداً جَمَّـلَ ٱللهُ ٱلـزَّمَـانَ بِـهِ ... وَأَهْلَهُ مِنْ جَمِيعِ ٱلْعُجْمِ وَٱلْعَرَبِ
ٱلْعَبْدُ يُذْكِرُ مَوْلَانَا بِمَا سَبَقَتْ ... وُعُودُهُ لِعِمَادِ ٱلدِّينِ عَنْ كَثَبِ

(١) في « الوافي بالوفيات » : (هـٰذا البيت للإمام الغزالي) .
(٢) العبارة في « الوافي بالوفيات » : (فأخذت كتابه « المستصفىٰ » في أصول الفقه ، فحفظته في مدة يسيرة) .
(٣) قوله : (بن علي) ليس موجوداً في « الوافي بالوفيات » .

وَمِثْلُ مَوْلاَيَ مَنْ جاءَتْ مَوَاهِبُهُ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ وَجَدْوَاهُ بِلاَ طَلَبِ
فَأَصْفِ مِنْ بَحْرِكَ ٱلْفَيَّاضِ مَوْرِدَهُ وَأَغْنِهِ مِنْ كُنُوزِ ٱلْعِلْمِ لا ٱلذَّهَبِ
وَٱجْعَلْ لَهُ نَسَباً يُدْلِي إِلَيْكَ بِهِ فَلُحْمَةُ ٱلْعِلْمِ تَعْلُو لُحْمَةَ ٱلنَّسَبِ
وَلاَ تَكِلْـهُ إِلَـىٰ كُتْـبٍ يُطَـالِعُهَـا فَٱلسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ ٱلْكُتُبِ

قالَ : فوقعَتْ هـٰذهِ الأبياتُ مِنَ الإمامِ سيفِ الدينِ أحسنَ موقعٍ ، وأقبلَ على العمادِ وأحسنَ إليهِ ، وقرأَ بعدَ ذلكَ عليهِ .

ولقد حضرَ مجلسَهُ بعضُ الفضلاءِ المشهورينَ ، والأئمَّةِ المذكورينَ ، فلزمَ معَهُ الأدبَ ، وجعلَ دأبَهُ الاستماعَ والانتفاعَ دونَ الجدالِ ، وتركَ القيلِ والقالِ ، فقالَ لهُ الإمامُ سيفُ الدينِ : يا فلانَ الدينِ ؛ لمَ لا تُشرِّفُنا وتُشنِّفُ أسماعَنا بفوائدِكَ وفرائدِكَ ؟ فكانَ جوابُهُ أنْ أنشدَ : [من الطويل]

وَفِي أَرْضِنَا نَحْنُ ٱلْمَوَالِي لِأَهْلِهَا وَفِي أَرْضِ لَيْلَىٰ نَحْنُ بَعْضُ عَبِيدِهَا

فدعا لهُ سيفُ الدينِ ، وأكرمَهُ وبجَّلَهُ .

سُئِلَ الإمامُ عزُّ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ رضيَ اللهُ عنهُ عن درسِ الإمامِ سيفِ الدينِ ، فقالَ : (ما سمعتُ أحداً يُلقي الدرسَ أحسنَ منهُ ، كأنَّهُ يخطُبُ ، وإذا غيَّرَ لفظاً مِنَ « الوسيطِ » كانَ لفظُهُ أمَسَّ للمعنىٰ مِنْ لفظِ صاحبِهِ) ، أو كما قالَ رضيَ اللهُ عنهُ .

قالَ ابنُ هشامٍ : وكفاكَ بهِ جلالةً ونبلاً ، وصحَّةَ اعتقادٍ ، وحسنَ حالٍ ، وإصابةً في الكلامِ ، وسلامةً عمَّا يرميهِ بهِ الكذبةُ مِنَ الحنابلةِ . . أنَّ الإمامَ عزَّ الدينِ مِنْ أصحابِهِ ، ومِنْ كبارِ طُلابِهِ ، مُلازِماً لدرسِهِ ، راضياً طريقتَهُ ، معَ خُبْرِهِ علانيتَهُ وسريرتَهُ ، ولم يكنِ الشيخُ عزُّ الدينِ رضيَ اللهُ عنهُ يُغضي علىٰ حالةٍ لا تُرضىٰ ، ولم تكنْ تأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائمٍ ، ولقد سُمِعَ وهوَ يقولُ :

(ما عرَفْنا قواعدَ البحثِ إلا مِنَ الإمامِ سيفِ الدينِ) ، وكانَ يُعظِّمُهُ ويُجِلُّهُ ويُبجِّلُهُ .

وكانَ الشيخُ عزُّ الدينِ يقولُ : (لو وردَ على الإسلامِ مُتكلِّمٌ أو مُشكِّكٌ . . لتعيَّنَ الإمامُ سيفُ الدينِ الآمديُّ لمناظرتِهِ ؛ لاجتماعِ أهليَّةِ ذلكَ فيهِ) .

وقالَ : سمعتُ الإمامَ جمالَ الدينِ أبا عمرٍو عثمانَ بنَ عمرَ بنِ أبي بكرٍ المالكيَّ المعروفَ بـ (ابنِ الحاجبِ) رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما صُنِّفَ في أصولِ الفقهِ مثلُ كتابِ سيفِ الدينِ الآمديِّ « الإحكامِ في أصولِ الأحكامِ ») ، ومِنْ محبَّتِهِ لهُ اختصرَهُ .

ولمَّا ماتَ الشيخُ سيفُ الدينِ ذكرَ زينُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ الحسنِ[1] بنِ عليِّ بنِ أبي المحاسنِ بنِ طاهرِ الأنصاريُّ المقدسيُّ قالَ : أخبرَني بعضُ الفضلاءِ : أنَّهُ رأى الشيخَ سيفَ الدينِ في المنامِ بعدَ موتِهِ ، فقلتُ لهُ[2] : يا مولانا ؛ ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : أجلسَني بينَ يديهِ ، وقالَ لي : استدِلَّ على وَحْدانيَّتي بينَ ملائكتي ، فقلتُ : الحوادثُ اقتضتْ تعلُّقاً بمُحدِثٍ ؛ لتخرجَ عن حدِّ الاستحالةِ ، فكانَ لا بدَّ مِنْ مُحدِثٍ ، ثمَّ كانَ القولُ بالاثنينِ كالقولِ بالثلاثةِ والأربعةِ إلى ما لا يتناهى ، فلم يترجَّحْ منها شيءٌ ، فسقطَ ما وراءَ الواحدِ ، وبقيَ الواحدُ ، فقالَ : صدقتَ ، وأدخلَني الجنةَ .

وكانَ صاحبُ مدينةِ آمِدَ الملكُ المسعودُ ركنُ الدينِ مودودُ بنُ الملكِ الصالحِ بنِ نورِ الدينِ محمدٍ . قد رغبَ في أنْ يكونَ الشيخُ سيفُ الدينِ الآمديُّ في آمِدَ ، وكاتبَهُ ووعدَهُ أنْ يجعلَهُ قاضيَ القضاةِ ، ويُقطِعَهُ جارياً

---

(١) في « الوافي بالوفيات » : (بن الحسن) مرة واحدة .

(٢) في الكلام التفات ، والأصل أن يقول : (فقال له) .

كبيراً ، وجهدَ في ذلكَ ، وكانَ أصحابُ الشيخِ يُؤثِرُونَ ذلكَ ؛ ليتَّسعَ عليهِمُ الرزقُ ؛ فإنَّ الشيخَ كانَ يُؤثِرُ الراحةَ والقناعةَ ، وكانَ يُحبُّ سكنىٰ دمشقَ ، ولمَّا تكرَّرَ طلبُهُ وعدَ بالإجابةِ ، وجعلَ يُدافِعُ عن ذلكَ مِنْ وقتٍ إلىٰ وقتٍ .

فلمَّا أخذَ الملكُ الكاملُ آمِدَ مِنْ صاحبِها ، ورتَّبَ فيها النُّوَّابَ . . أرادَ أنْ يُولِّيَ فيها قاضياً مِنْ جهتِهِ ، فأُجريَ الحديثُ في ذلكَ والسلطانُ الملكُ الأشرفُ موسى بنُ الملكِ العادلِ حاضرٌ ، وصاحبُ آمِدَ يسمعُ ، فقالَ صاحبُ آمِدَ : يا مولانا ؛ كانَ المملوكُ قد كاتبَ الشيخَ سيفَ الدينِ الآمديَّ في أنْ يجعلَهُ قاضياً في آمِدَ ، وأجابَ إلىٰ ذلكَ ، وأرادَ نفعَ الشيخِ سيفِ الدينِ بهٰذا القولِ ، فنظرَ السلطانُ الملكُ الكاملُ إلى الملكِ الأشرفِ ـ كالمُنكِرِ عليهِ أنْ يكونَ في بلدِهِ مثلُ هٰذا الرجلِ قد عزمَ علىٰ مُفارقتِها ، وهوَ يُكاتِبُ ملكاً آخَرَ ـ وأنتَ ما تعلمُ ذلكَ ؟!

فبقيَتْ في نفسِ الأشرفِ إلىٰ أنْ وردَ دمشقَ ، فأخذَ المدرسةَ العزيزيَّةَ منهُ ، ووقَّعَ بها لمحيي الدينِ بنِ الزكيِّ ، وقطعَ جاريَهُ ، وأمرَهُ أنْ يلزمَ دارَهُ ، فبقيَ علىٰ هٰذهِ الحالِ إلىٰ أنْ ماتَ رحمَهُ اللهُ .

تُوفِّيَ ليلةَ الاثنينِ وقتَ صلاةِ المغربِ ثانيَ صفرٍ سنةَ إحدىٰ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ بدمشقَ ، ودُفِنَ يومَ الاثنينِ بسفحِ جبلِ قاسيونَ .

ولمَّا ماتَ توقَّفَ أكابرُ دمشقَ عن حضورِ جنازتِهِ خوفاً مِنَ الملكِ الأشرفِ ؛ إذْ كانَ مُتغيِّراً عليهِ ، فخرجَ الشيخُ الإمامُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ في جنازتِهِ ، وجلسَ تحتَ قُبَّةِ النسرِ حتىٰ صلَّىٰ عليهِ ، فلمَّا رأى الناسُ ذلكَ بادرُوا إليهِ وصلَّوْا عليهِ أجمعونَ ، رحمَهُمُ اللهُ تعالىٰ .

وأنشدَ الشيخُ الأديبُ العارفُ نجمُ الدينِ أبو المعالي محمدُ بنُ سَوَّارِ بنِ إسرائيلَ في عزلِهِ : [من السريع]

قَدْ عَزَلَ ٱلسَّيْفَ وَوَلَّى ٱلْقِرَابْ ... دَهْرٌ قَضَىٰ فِينَا بِغَيْرِ ٱلصَّوَابْ
فَٱضْحَكْ عَلَى ٱلْجَهْلِ وَأَرْبَابِهِ ... وَٱبْكِ عَلَى ٱلْفَضْلِ وَفَصْلِ ٱلْخِطَابْ

وللشيخِ نجمِ الدينِ ابنِ إسرائيلَ يرثي الإمامَ سيفَ الدينِ ، وكانَ وافقَ يومَ وفاتِهِ مطرٌ كثيرٌ عندَ دفنِهِ : [من الكامل]

بَكَتِ ٱلسَّمَاءُ عَلَيْهِ عِنْدَ وَفَاتِهِ ... بِمَدَامِعٍ كَٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَمْطُورِ(١)
وَأَظُنُّهَا فَرِحَتْ بِمَصْعَدِ رُوحِهِ ... لَمَّا سَمَتْ وَتَعَلَّقَتْ بِٱلنُّورِ
أَوَلَيْسَ دَمْعُ ٱلْغَيْثِ يَهْمِي بَارِداً ... وَكَذَا تَكُونُ مَدَامِعُ ٱلْمَسْرُورِ

وحضرَ نجمُ الدينِ في بستانِ الشيخِ سيفِ الدينِ بعدَ وفاتِهِ بأرضِ المِزَّةِ معَ جماعةٍ مِنْ أصحابِهِ ، فكتبَ علىٰ ساريةٍ تحتَ عريشٍ كانَ كثيراً ما يجلسُ الشيخُ سيفُ الدينِ إليها حينَ يُقرَأُ عليهِ العلمُ ؛ وهيَ : [من السريع]

يَا مَرْبَعاً قَلْبِي لَهُ مَرْبَعُ ... جَادَكَ غَيْثٌ أَبَداً يَهْمَعُ
عَهْدِي بِمَغْنَاكَ وَفِي أُفْقِهِ ... شَمْسُ ٱلْمَعَالِي وَٱلْحِجَا تَطْلُعُ
وَكُنْتَ غِمْدَ ٱلسَّيْفِ حَتَّىٰ قَضَىٰ ... وَٱلْغِمْدُ بَعْدَ ٱلسَّيْفِ لاَ يَنْفَعُ(٢)

ذكرُ تصانيفِهِ التي اشتَهرَتْ :

وهيَ : « أبكارُ الأفكارِ » ، « منائحُ القرائحِ » مُختصرُهُ مُجرَّدُ عقيدةٍ ، في أصولِ الفقهِ كتابٌ لطيفٌ ، « الإحكامُ في أصولِ الأحكامِ » ، مختصرُهُ :

---

(١) في « الوافي بالوفيات » : (المنثور) .
(٢) في « الوافي بالوفيات » : (لا يقطع) ، وأورد هـٰذه الترجمة بتمامها مع تغيير يسير الصفدي في « الوافي بالوفيات » (٢١/ ٢٢٥ـ ٢٢٩) نقلاً عن ابن خلكان في بعض تعاليقه ، وذكر المؤلف أنه وجدها بخط رجل اسمه ابن هشام ، ولعلَّ ابن هشام هـٰذا أخذها من تعليقات ابن خلكان ، والله تعالىٰ أعلم .

« منتهى السولِ في علمِ الأصولِ » ، « دقائقُ الحقائقِ » في العلومِ الثلاثةِ ، « رموزُ الكنوزِ » ، « لبابُ الألبابِ » ، « فرائدُ الفوائدِ » في العلومِ الثلاثةِ[1] ، « الغرائبُ وكشفُ العجائبِ » ، « شرحُ جدلِ الشريفِ » ، « غايةُ الأملِ في علمِ الجدلِ » ، « الباهرُ في الحكمِ الزواهرِ » ، « غايةُ المرامِ في علمِ الكلامِ » في أصولِ الدينِ ، « كشفُ التمويهاتِ علىٰ شرحِ [الإشاراتِ والتنبيهاتِ] »[2] ، « ثلاثُ تعاليقِ خلافٍ » ، « مآخذُ على المحصولِ » ، « المآخذُ الجليَّةُ في المؤاخذاتِ الجدليَّةِ » .

* * *

---

(١) في « الوافي بالوفيات » (٢١/ ٢٢٩) : (« فرائد الفوائد » في الحكمة) .

(٢) في (أ ، ب) : (التنبيهات الترجيحات) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العارفُ القدوةُ شهابُ الدينِ أبو حفصٍ ـ ويُقالُ : أبو عبدِ اللهِ ـ[1] عمرُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ عَمُّويه القرشيُّ التيميُّ البكريُّ المعروفُ بـ (السُّهْرَوَرْديِّ) الصوفيُّ الواعظُ

شيخُ شيخِنا محيي الدينِ بنِ الدَّميريِّ[2] ، وعمُّويه قد تقدَّمَ نسبُهُ[3] .

صحبَ عمَّهُ أبا النَّجيبِ وأقرانَـهُ مِنَ الصوفيَّةِ ، وتفقَّهَ علىٰ عمِّهِ المذكورِ ، وحصَّلَ طرفاً مِنَ الفقهِ والخلافِ .

ولهُ تصانيفُ كثيرةٌ مشهورةٌ؛ **فمنها** : كتابُهُ « عوارفُ المعارفِ » في الطريقِ .

فمِنْ كلامِهِ فيهِ في خُطبتِهِ : (نطقَتِ الكائناتُ بأنَّهُ الصانعُ المُبتدِعُ ، ولاحَ مِنْ صفحاتِ ذرَّاتِ الوجودِ بأنَّهُ الخالقُ المُخترِعُ ، وَسَمَ عقلَ الإنسانِ بالعجزِ والنقصانِ ، وألزمَ فصحاءَ الألسنِ وصفَ الحَصَرِ في حَلْبَةِ البيانِ ، وأحرقَتْ سُبُحاتُ وجهِهِ أجنحةَ طائرِ الفهمِ ، وسدَّتْ تعزُّزاً وإجلالاً مسالكَ الوهمِ ، وأطرقَ طامحُ البصيرةِ تعظيماً وإجلالاً ، ولم يجدْ مِنْ فَرْطِ الهيبةِ في فضاءِ الجبروتِ مجالاً ، فعادَ البصرُ كليلاً ، والعقلُ عليلاً ، ولم ينتهِجْ إلىٰ كُنْهِ الكبرياءِ سبيلاً ، فسبحانَ مَنْ عزَّتْ معرفتُهُ لولا تعريفُهُ ، وتعذَّرَ على العقولِ تحديدُهُ وتكييفُهُ !!)[4]

---

(١) وقيل : أبو القاسم . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٣٨) .

(٢) وقد لبس منه خرقة التصوف ، كما في « الوافي بالوفيات » (١٨/ ١٩٩) .

(٣) انظر (١/ ٤٧٨) .

(٤) عوارف المعارف (١/ ٩٣) .

ومِنْ كلامِهِ : (قد دلَّتْنا عقولُنا علىٰ ما يجوزُ وصفُ اللهِ تعالىٰ بهِ وما لا يجوزُ ، واللهُ تعالىٰ مُنزَّهٌ أنْ يَحُلَّ بهِ شيءٌ أو يَحُلَّ بشيءٍ ، حتىٰ لعلَّ بعضَ المفتونينَ يكونُ عندَهُ ذكاءٌ وفطنةٌ غريزيَّةٌ ، ويكونُ قد سمعَ كلماتٍ تعلَّقَتْ بباطنِهِ ، فيتألَّفُ لهُ في فكرِهِ كلماتٌ ينسبُها إلى اللهِ تعالىٰ بأنَّها مكالمةُ اللهِ إيَّاهُ ؛ مثلُ أنْ يقولَ : « قالَ لي » ، و« قلتُ لهُ » ، وهـٰذا رجلٌ [إمَّا] جاهلٌ بنفسِهِ وحديثِها ، جاهلٌ بربِّهِ وبكيفيَّةِ المكالمةِ ، وإمَّا عالمٌ ببطلانِ ما يقولُ ، يحملُهُ هواهُ على الدعوىٰ بذلكَ ؛ يتوهَّمُ أنَّهُ ظَفِرَ بشيءٍ[1] ، وكلُّ هـٰذا ضلالٌ)[2]

ثمَّ شرعَ في شرحِ معنى المخاطباتِ الواردةِ التي وقعَ إطلاقُها علىٰ ألسنةِ الأوائلِ ، ممَّا يطولُ شرحُهُ[3] .

وُلِدَ في أواخرِ رجبٍ ـ وقيلَ : شعبانَ ـ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ مُستهَلَّ محرمٍ سنةَ اثنتينِ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[4]

* * *

---

(١) في « العوارف » : (ليوهم) بدل (يتوهم) .

(٢) عوارف المعارف (١/ ١٦٠) .

(٣) انظر « عوارف المعارف » (١/ ١٦٠ ـ ١٦١) .

(٤) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٣٨٠ـ٣٨١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٣٨ـ٣٤١) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ قاضي القضاةِ بهاءُ الدينِ أبو المحاسنِ يوسفُ بنُ رافعِ بنِ تميمِ ابنِ محمدِ بنِ عتَّابٍ الأسديُّ الشافعيُّ الموصليُّ المعروفُ بـ (ابنِ شدَّادٍ)

تفقَّهَ : على القاضي أبي الرضا سعيدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ القاسمِ الشَّهْرَزُوريِّ ، وعلى الخطيبِ أبي الفضلِ الطوسيِّ ، ورحلَ إلى البلادِ ، وسمعَ مِنْ شُهْدةَ بنتِ الإِبْريِّ وأقرانِها .

ودرَّسَ ، ووليَ قضاءَ القضاةِ بالعساكرِ في الأيامِ الناصريَّةِ مدَّةً ، ووليَ قضاءَ القضاةِ بمدينةِ حلبَ .

ولهُ تصانيفُ حسنةٌ ممتعةٌ في الحديثِ وغيرِهِ ، وحدَّثَ بحلبَ ودمشقَ ومصرَ ، وقفتُ لهُ على مجلسٍ ألقاهُ حينَ درَّسَ بحلبَ تقديرَ عشرِ كراريسَ في ربعِ المصريِّ ، ضمَّنَها مِنْ فنونِ العلومِ ما يدُلُّ على تمكُّنِهِ في كلِّ علمٍ .

وُلِدَ في شهرِ رمضانَ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في صفرٍ سنةَ اثنتينِ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ في العشرِ الأولِ مِنَ الشهرِ المذكورِ ، وقالَ ابنُ أبي جرادةَ : في رابعَ عشرَ بعدَ صلاةِ العصرِ ، ودُفِنَ بتربتِهِ مِنَ المدرسةِ في دارِ الحديثِ بحلبَ(١) .

* * *

---

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٧/ ٨٤ ـ ١٠٠) وترجمه ترجمةً حافلة ، و« التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٣٨٤ـ٣٨٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٨/ ٣٦٠ـ٣٦٢) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ جمالُ الدينِ أبو عليٍّ الحسينُ بنُ الفقيهِ الإمامِ أبي الفضائلِ عَتيقِ بنِ الحسينِ بنِ عتيقِ ابنِ رَشيقٍ ، الرَّبَعيُّ المالكيُّ الإِسْكَندرانيُّ المولدِ ، المصريُّ الدارِ والوفاةِ

وُلِدَ بالإسكندريَّةِ ونشأَ بها ، وتفقَّهَ علىٰ أبي الطاهرِ ابنِ عوفٍ ، واشتغلَ عليهِ وعلىٰ والدِهِ أبي الفضائلِ بالأصولَينِ والمذهبِ ، ودرَّسَ بالمسجدِ المعروفِ بهِ بفُسطاطِ مصرَ ، وأفتىٰ ، وصنَّفَ كتابَ « المحصولِ في علمِ الأصولِ » ، « وتفسيرَ القرآنِ » ، و« ترتيبَ [. . .] في مذهبِ مالكٍ »[1] ، و« المختارَ في المذهبِ » أيضاً .

وهوَ [مِنْ] بيتِ علمٍ وديانةٍ وصلاحٍ وولايةٍ ، ويكفيهِ فخراً ولدُهُ الشيخُ بهاءُ الدينِ عبدُ العزيزِ ، وسيأتي ذكرُهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[2] .

وُلِدَ بالإسكندريَّةِ في ثالثِ شعبانَ سنةَ تسعٍ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثالثِ والعشرينَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ اثنتينِ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[3] .

* * *

---

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) .

(٢) انظر (٢/ ١٧) .

(٣) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٣٨٧ـ٣٨٨) ، و« الديباج المذهب » (ص١٠٥) .

ومنهُم :

جدِّي الشيخُ الإمامُ العالمُ الصالحُ الناسكُ جمالُ الدينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ عبدِ الخالقِ بنِ حسنِ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ ، القرشيُّ المالكيُّ المقرئُ المغربيُّ الأصلِ ، المصريُّ المولدِ والدارِ والوفاةِ

وُلِدَ بمصرَ ، وقرأَ القرآنَ بالرواياتِ السبعِ : على الإمامِ أبي القاسمِ بنِ فِيرُّه الشاطبيِّ ، وتفقَّهَ في مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ : على أبي البركاتِ ابنِ ثعلبٍ ، وعلى الشيخِ أبي المنصورِ وأقرانِهما ، واشتغلَ عليهما وعلى التقيِّ المُقترَحِ بعدَ كِبَرِ سنِّهِ ، وعلَّقَ عنهُ تعاليقَ ، وكانَ يدري النحوَ درايةً جيِّدةً ، وقفتُ على مسائلَ فيهِ وفي الأصولِ علَّقَها بخطِّهِ ، انتقلَتْ إلينا إرثاً عن عبدِ العظيمِ ولدِهِ .

وكانَ مُؤدِّباً ، يُعلِّمُ أولادَ الأكابرِ والرؤساءِ بمكتبِهِ بمصرَ بالفندقِ المقابلِ لدربِ ابنِ القَسْطلانيِّ ، المجاورِ لحمَّامِ ابنِ سليمٍ بزُقاقِ القناديلِ ، ثمَّ نقلَهُ السلطانُ الملكُ الكاملُ إلى مكتبِهِ حينَ بنى القُبَّةَ على الإمامِ الشافعيِّ ، والمسجدَ الذي تُقامُ فيهِ الجمعةُ بالقَرافةِ الآنَ ، فانقطعَ بهِ .

وكانَ لهُ خطٌّ جيِّدٌ صحيحٌ وطريقةٌ في الكتابةِ تُعرَفُ بهِ ، كتبَ الكثيرَ في أنواعِ العلومِ .

ولم يزلْ مُواظِباً على الاشتغالِ بالعلومِ والإشغالِ ، مُستغرِقَ الأوقاتِ في التلاوةِ والتعليقِ والكتابةِ إلى حينِ وفاتِهِ ، وكانَ أدركَهُ مرضٌ وهوَ مقيمٌ بالقَرافةِ ، فطلعَ إليهِ ولدُهُ جدِّي عثمانُ ونقلَهُ إلى مصرَ ؛ خيفةَ أنْ يشتدَّ بهِ

المرضُ ولا يجدَ مَنْ يقومُ بمصالحِهِ ، فلمَّا دخلُوا مِنْ سورِ البلدِ قالَ الحمَّالُ الذي كانَ علىٰ رأسِهِ : الشيخُ قد ثقُلَ عليَّ ، وما أظنُّهُ إلا قد تُوفِّيَ ، فوضعُوهُ مِنْ علىٰ رأسِهِ ، فوجدُوهُ قدِ انتقلَ إلى اللهِ تعالىٰ .

وكانَ بحكمِ تيسيرِ اللهِ مستقبلَ القبلةِ ، فطلعُوا بهِ إلىٰ منزلِ ولدِهِ بدارِ الزعفرانِ ، وكانَ لهُ مشهدٌ عظيمٌ ، وصُلِّيَ عليهِ بالمصلَّىٰ ، ودُفِنَ بالقَرافةِ .

تُوفِّيَ في شهورِ سنةِ ثلاثِ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ ، وهوَ المُعلِّمُ الذي اشتَهرَ بهِ أولادُهُ .

* * *

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ الوليُّ الصالحُ الخطيبُ أبو الطاهرِ محمدٌ ـ ويُقالُ : إسماعيلُ أيضاً ـ ابنُ أبي عبدِ اللهِ الحسينِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ الأنصاريُّ الجابريُّ الشافعيُّ المعروفُ بـ (المحلِّيِّ)

مِنْ ولدِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ حرامٍ .

وُلِدَ بِجَوْجَرَ ، ونُقِلَ إلى المحلَّةِ ونشأَ بها ، وتفقَّهَ على الخطيبِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ هبةِ اللهِ الحمَويِّ وطبقتِهِ ، وصحبَ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ القرشيَّ ، وكانَ مِنْ خواصِّ أصحابِهِ .

وتولَّى الخطابةَ والإمامةَ بتاجِ الجوامعِ بمصرَ إلىٰ حينِ وفاتِهِ(١) ، وانتفعَ بهِ جماعةٌ ممَّنْ أدركناهُم .

وكانَتْ لهُ يدٌ باسطةٌ في التوحيدِ وفنونِ المعارفِ ، وأمَّا الورعُ التامُّ فحكاياتُهُ في ذلكَ أشهرُ مِنْ أنْ تُذكَرَ ، وأكثرُ مِنْ أنْ تُحصَرَ .

وحصَّلَ مِنَ الكتبِ شيئاً كثيراً ، وكانَ الذي يتولَّىٰ خدمتَها ورصَّها وقراءتَها لهُ والمطالعةَ جدِّي عثمانَ دفترخوانَ(٢) ، وقيَّدَ عنهُ حكاياتٍ نقلَها عنهُ في زهدِهِ وورعِهِ ، وكانَ لا يمنعُ كتبَهُ ، وربَّما أعارَها لمَنْ لا يعرفُهُ .

---

(١) تاج الجوامع : هو نفسه جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه ، ويقال له أيضاً : الجامع العتيق ، وهو أول مسجد أسس في مصر بعد الفتح الإسلامي لها . انظر « المواعظ والاعتبار » (٤/٥) .

(٢) الدفترخوان : هو الذي يقرأ الدفاتر بين أيدي الملوك والعلماء والأكابر . انظر « نفح الطيب » (٢/٣٠٠) .

وكانَ رحمَهُ اللهُ ينهضُ في إنكارِ المنكرِ كثيراً ، وقد وضعَ اللهُ لهُ القَبولَ في الأرضِ ؛ خصوصاً عندَ الملكِ الكاملِ ؛ فإنَّهُ كانَ يُعظِّمُهُ ويُبجِّلُهُ ، ويتلقَّاهُ ماشياً حينَ يقعُ بصرُهُ عليهِ ، وهـٰذهِ بركةُ خدمتِهِ للشيخِ أبي عبدِ اللهِ القرشيِّ ، إمامِ الهدىٰ والحقِّ في زمانِهِ ، وكانَ مُدرِّساً بمدرسةِ يازكوجَ بمصرَ بسوقِ الغزلِ[1]

سمعتُ والدي صانَـهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : سمعتُ والدي عثمانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : لمَّا تُوفِّيَ شيخي أبو الطاهرِ رضيَ اللهُ عنهُ بِتُّ عندَ قبرِهِ ، وتلوتُ تلكَ الليلةَ ختمةً ، ثمَّ أدركَتْني سِنَةٌ بعدَ فراغِ الخَتمةِ ، فرأيتُ الشيخَ أبا الطاهرِ علىٰ هيئةٍ حسنةٍ ، فقالَ لي : يا عثمانُ ؛ اقرأْ وأَعِدْ قراءتَكَ ؛ فإنَّ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ القرشيَّ حضرَ لاستماعِ قراءتِكَ .

وكانَتْ جدَّتي لأمِّي ربيبتَهُ ، فكانَتْ تحكي لنا مِنْ ورعِهِ وتقشُّفِهِ أموراً عظيمةً يطولُ شرحُها :

فمنها : أنَّهُ كانَ لا يأكلُ المسموطَ حتىٰ يُذهَبَ بهِ في شختورٍ إلىٰ وسَطِ البحرِ ، ويُغسَلَ تغطيساً في الماءِ[2]

ومنها : أنَّهُ رأىٰ قشورَ البيضِ في مطبخِهِ ، وقد طُبِخَ لهُ في ذلكِ اليومِ فقاعيةٌ ، فرأىٰ بعضَها وسخاً مِنْ آثارِ بطنِ الدجاجةِ ، فقالَ : أظنُّكِ لم تغسلي البيضَ قبلَ وضعِهِ في القِدْرِ ؟ فقالَتْ : أُنسِيتُ يا سيِّدي ، فقالَ : اذهبُوا بهِ وألقُوهُ في البحرِ .

---

(١) مدرسة يازكوج : بناها الأمير سيف الدين يازكوج بن عبد الله الأسدي . انظر « المقفّى الكبير » (٥/ ٣١٤) .

(٢) المسموط : الشاة المنتوفة الصوف ، أو المنظفة بالماء الحار لأجل الشواء ، والشختور : السفينة الصغيرة .

ومنها : أنَّهُ أحضرَ لهُ بيَّاعٌ ـ يُقالُ لهُ : ابنُ السندانِ ـ بمصرَ عيناً مِنْ عسلِ نحلٍ علىٰ صدفٍ ليشتريَهُ ، فذاقَ منهُ بطرفِ إصبَعِهِ ، فقالَ : أُريدُ غيرَ هـٰذا ، فقلَّبَ لهُ مِنْ وعاءٍ آخرَ ، فلم يزلْ إلىٰ أنْ أراهُ ما يعجبُهُ ، فحينَ رآهُ قالَ : لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ ، يا فلانُ ؛ كم عندَكَ مِنْ وعاءٍ ؟ فذكرَ لهُ أنَّها عشرةُ أوعيةٍ ، فقالَ : خذْ ثمنَها ، فأخذَ منهُ ثمنَ عشرِ قناطيرِ عسلِ نحلٍ ، وأمرَ غلامَهُ خطلو[1] أنْ يذهبَ بها إلى البحرِ في شختورٍ ، ويقلبَها في وسطِهِ ، ففعلَ .

فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : كانَتْ علىٰ رأسِ إصبَعي نجاسةٌ أُنسِيتُ غسلَها ، فتنجَّستْ كلُّ عينٍ أخرجَها لي ثمَّ أعادَها إلىٰ وعائِها ، فتنجَّسَ كلُّ ما في الوعاءِ مِنْ تلكِ العينِ النجسةِ .

ومنها : أنَّهُ كانَتْ لهُ حانوتُ شرابٍ ، فيها ابنُ أختِهِ عبدُ العظيمِ بنُ خليلٍ ، فاحتاجُوا إلىٰ أقراصِ راوندٍ ، فجمعَ عبدُ العظيمِ حوائجَ الأقراصِ ، فأرسلَها إلىٰ قاعةِ الشرابِ ، فعُرِضَتْ على الشيخِ ، فقالَ : أرُوني الراوندَ ، فكشفَهُ فوجدَهُ مُسوِّساً غيرَ أنَّهُ صينيٌّ ، فقالَ : عليَّ بعبدِ العظيمِ ، فأُحضِرَ إليهِ ، فقالَ : ما هـٰذا الذي صنعتَ ؟! تغشُّ المسلمينَ ، وتجعلُ في أدويتِهِمُ العقاقيرَ الرديئةَ ؟!

فقالَ : يا سيِّدي ؛ كانَ عندَنا راوندٌ صحيحٌ غيرُ دُهْنٍ بغيرِ سوسٍ ، وراوندٌ غيرُ صحيحٍ لـٰكنَّهُ قد دُهِنَ ، فأردتُ أنْ يُطحَنَ ويبقىٰ هـٰذا للاستعمالِ .

فأقسمَ ألا يُكلِّمَهُ مدَّةً ، ومنعَهُ مِنْ طلوعِ الحانوتِ حتىٰ تابَ ممَّا صدرَ منهُ ، وقالَ : الناسُ لا يدرُونَ في المخلوطاتِ هل صنعتَ طيباً أو مقارباً ، فاصنعِ

---

(١) جاء اسمه في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٥١) : (حطلح) .

الطيبَ فيها ، وبعِ المسوّسَ لِمَنْ يشتريهِ بمفردِهِ ، فينظرَ إلىٰ عينِهِ قبلَ أنْ يُقدِمَ عليهِ .

ومنها : أنَّهُ وَلَغَ كلبٌ في ماءٍ ، ثمَّ لم يشعرُوا بذلكَ إلا بعدَ أنْ طبخُوا شرابَ حُمَّاضٍ ، وكملُوا بهِ برانيَ كانَتْ عندَهُ مِنْ حُمَّاضٍ[1] ، وذكرُوا ذلكَ لهُ ، فأمرَ بإلقاءِ تلكَ البراني في بحرِ النيلِ .

ويُقالُ : سببُ مرضِهِ : أنَّ امرأةً وقفَتْ لهُ في الطريقِ ، فقالَتْ لهُ : يا سيِّدي ؛ هل يَحِلُّ شربُ الماءِ أم لا ؟ فقالَ : يا أمةَ اللهِ ؛ وما يمنعُ مِنْ شربِ الماءِ ؟! فقالَتْ : السلطانُ ضربَ هـٰذهِ الورقَ ، وإنِّي آتي إلى السقَّاءِ فأشتري منهُ القِرْبَةَ بنصفِ درهمٍ ورِقاً ، ومعي درهمٌ ، فيردُّ عليَّ نصف درهمٍ ورِقاً ، فكأنَّني قَدِ اشتريتُ منهُ ماءً ونصفَ درهمٍ بدرهمٍ ، فقالَ : لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ ، وأيضاً مغشوشٌ بمغشوشٍ ، ثمَّ نظرَ إلىٰ أصحابِهِ وقالَ : أكلُّ الناسِ يفعلُونَ ذلكَ ؟! مُستغرِباً لهـٰذا الأمرِ ؛ فإنَّهُ كانَ يُسكَبُ لهُ بالمئةِ ، فقالُوا : نعم ، فقالَ : يفعلونَ ذلكَ ويشترُونَ مِنْ عبدِ العظيمِ ؟![2] ، أكلْنا الحرامَ عُمُرَنا ، وجعلَ يُكرِّرُها ويبكي ، ويقولُ : أكلْنا الحرامَ مِنْ حيثُ لا نشعرُ ، ثمَّ طلعَ مِنْ وقتِهِ إلى السلطانِ ، فتكلَّمَ معَهُ ، فأمرَ بضربِ الفلوسِ ، ولم يزلْ مهموماً ، كلَّما ذكرَ هـٰذهِ القصَّةَ يتنفَّسُ الصُّعَداءَ ، ويقولُ : أجدُ ألماً في فؤادي منها ، وأجدُ كبدي تنفطِرُ منها ، ولم يزلْ ضَمِناً إلىٰ أنْ ماتَ[3]

وقيلَ : سببُ موتِهِ : أنَّهُ كانَ بمصرَ فَناءٌ ووباءٌ كبيرٌ ، فصلَّى الجمعةَ وخرجَ

---

(١) البراني : أوعية الخزف .

(٢) في هامش (أ) : (فقال : ويشترون منه كذلك ، يرد عليهم ، فقال) ، ولم يرمز إلىٰ تصحيحه .

(٣) الضَّمِن : المريض .

ليُصلِّيَ على الجنائزِ ، فوجدَها مرصوصةً مِنْ بينِ المصحفينِ إلى القربِ مِنْ درابزينِ التسقيةِ بحريِّ الجامعِ[1]

فقالَ ابنُ النقَّاشِ ـ وكانَ مديرَ الأمواتِ ـ : الصلاةَ على الجنائزِ وهم خمسةٌ وتسعونَ ، فقالَ : اسكتْ ؛ قطعتَ قلوبَ المسلمينَ ، وقطعتَ قلبي قبلَهُم ، فلم يخرجْ إلى الجمعةِ الأخرىٰ .

وُلِدَ بِجَوْجَرَ سنةَ أربعٍ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ تخميناً ، وتُوفِّيَ في سحرِ السابعِ مِنْ ذي القَعْدةِ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[2]

* * *

(١) تحتمل في (أ) : (إلى الغرب) بدل (إلى القرب) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٤٢١ـ٤٢٢) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٤٨ـ٦٠) ، وترجمه ترجمة حافلة ، وأورد فوائد وقصصاً في ورعه وكراماته رحمه الله تعالىٰ .

ومنهُمْ :

الشيخُ شرفُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ القادرِ بنُ الشيخِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ الحسنِ ، البغداديُّ الأصلِ ، الدمشقيُّ المولدِ ، المصريُّ الدارِ والوفاةِ الشافعيُّ المعروفُ بـ (ابنِ البغداديِّ)

تفقَّهَ بدمشقَ : علىٰ أبي المعالي مسعودِ بنِ محمدٍ المنعوتِ بـ (القطبِ النيسابوريِّ) ، واشتغلَ عليهِ بعلومِهِ ، وتفقَّهَ بمصرَ : على الشيخِ شهابِ الدينِ الطُّوسيِّ ، ودرَّسَ بجامعِ السَّرَّاجينَ بالقاهرةِ ، ثمَّ درَّسَ بالمدرسةِ القطبيَّةِ إلىٰ حينِ وفاتِهِ .

وُلِدَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثاني والعشرينَ مِنْ شعبانَ سنةَ أربعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[١]

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٤٥٥ـ٤٥٦) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٧٩)

ومنهُمْ :

الشيخُ مرهفُ بنُ صارمِ بنِ فلاحِ بنِ راشدِ بنِ عَليقةَ بنِ مُنبِّهِ بنِ جوشنِ بنِ عمرانَ ، أبو عبدِ الرحمـٰنِ وأبو المهندِ الجُذاميُّ المنظوريُّ النَّصْريُّ الشافعيُّ السَّفْطيُّ

سَفْطُ نَهْيَا مِنَ الجِيزةِ .

صحبَ : أبا عبدِ اللهِ القرشيَّ ولازمَهُ مدَّةً ، وأمَّ بمسجدِهِ بزُقاقِ الطبَّاخِ ، ثمَّ أقامَ بمسجدِ الأندلسِ[(١)] .

وممَّا أوردَهُ الشيخُ وليُّ الدينِ مِنْ شعرِهِ : [من الوافر]

إِذَا صُـرِفَ ٱلْجُنُـونُ فَمَـنْ يُجَـنُّ ... وَإِنْ ضَحِـكَ ٱلْحَـزِيـنُ فَمَـنْ يَئِـنُّ
وَإِنْ لَـمْ يَعْتَـرِ ٱلْمُشْتَـاقَ جِـنٌّ ... إِذَا جَـنَّ ٱلظَّـلَامُ فَمَـنْ يُجَـنُّ[(٢)]

وُلِدَ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ تخميناً ، وتُوفِّيَ سنةَ أربعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[(٣)] .

* * *

---

(١) وكان هـٰذا المسجد بالقرافة .

(٢) كذا في (أ) بالجيم المعجمة في (جن) ، ولم تعجم في (يجن) ، ولعلها : (حَنٌّ) و(يحنُّ) ، والحَنُّ : الجنون ، والله تعالىٰ أعلم .

(٣) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/٤٦٣-٤٦٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٦/٢٢٠-٢٢١) .

ومنهُم :

أبو العباسِ أحمدُ بنُ سليمانَ بنِ حميدِ بنِ إبراهيمَ بنِ مُهَلهِلٍ القرشيُّ المخزوميُّ الشافعيُّ البِلْبِيسيُّ المعروفُ بـ (ابنِ كِسَا)

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وسافرَ البلادَ على هيئةِ التصوُّفِ ، وتفقَّهَ بدمشقَ واشتغلَ بها ، وبالموصلِ وبغدادَ وخراسانَ ، واجتمعَ بالإمامِ فخرِ الدينِ بنِ الخطيبِ الرازيِّ وأخذَ عنهُ ، وكانَتْ لهُ خبرةٌ بالنظريَّاتِ والخلافيَّاتِ ، ولهُ كلامٌ حسنٌ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ ابنَ النعمانِ كثيراً ما يُثني عليهِ[1]

وسمعتُ غيرَهُ يحكي عنهُ : أنَّهُ حضرَ عندَ بعضِ مشايخِ العراقِ ـ وكانَ قد بلغَهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : لم يأتِنا مِنْ مصرَ فقيرٌ ـ فقالَ لهُ الشيخُ : ما صنعتُكَ ؟ قالَ : يا سيِّدي ؛ مَشاعليٌّ مِنْ أربابِ الضوءِ ، فقالَ : ونحنُ عازمُونَ على السفرِ إلى الحجازِ .

فلم يزلْ يحملُ معَ الشيخِ المشعلَ ذاهباً وعائداً ، فحينَ وافى بابَ الزاويةِ قبَّلَ الشيخَ وقالَ لهُ : يا سيِّدي ؛ أشتهي إذنَكَ في العودِ إلى بلدي ، قالَ : ومِنْ أيِّ البلادِ أنتَ ؟ قالَ : مِنْ مصرَ ، قالَ : بلغَنا أنَّ بها فقيراً يُقالُ لهُ : ابنُ كِسَا ، سلِّمْ لنا عليهِ ، فقالَ : يا سيِّدي ؛ وعليكَ السلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ ، فتيقَّظَ الشيخُ وقامَ موقفَ الاعتذارِ واستغفرَ ، فأقبلَ عليهِ الشيخُ أبو العباسِ بنُ كِسَا ، ومنعَهُ الشيخُ مِنَ السفرِ حتى قامَ بحقِّهِ مِنَ الضيافةِ والإكرامِ .

---

(١) ابن النعمان ستأتي ترجمته في (٢/ ١٦٣ـ ١٧٩) ، وهي ترجمة حافلة نفيسة .

وسمعتُ : أنَّ هـٰذا الشيخَ كانَ يجتمعُ بهِ الأولياءُ ويراهُم ، ويزورُونَ مكانَـهُ .

وُلِدَ ببِلْبِيسَ سنةَ سبعٍ وستينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بالقاهرةِ سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ في ربيعٍ الآخرِ[1]

* *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٤٧٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٦/ ٢٢٩ـ٢٣٠) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ الزاهدُ الأصيلُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ الشيخِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ ، القَسْطلانيُّ الأصلِ ، المصريُّ الدارِ المالكيُّ

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، وصحبَ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ أحمدَ[1] مدَّةً طويلةً ، وأخذَ عنهُ التصوُّفَ والطريقَ ، وجمعَ مِنْ كلامِ الشيخِ كتاباً ممتعاً نافعاً ، ووليَ التدريسَ بالمدرسةِ المالكيَّةِ الصلاحيَّةِ بمصرَ ، وهوَ في خلالِ ذلكِ يجتمعُ إليهِ الصالحونَ والأولياءُ مِنْ أصحابِ القرشيِّ وغيرِهِم ، ودارُهُ المعروفةُ بسكنةَ نَمَتْ عليها بركةُ الصالحينَ ، فلم تزلْ محطَّ رحالِ الأولياءِ ، ومجتمعَ الزهَّادِ والأصفياءِ ، إلىٰ يومِنا هٰذا ، وهيَ التي اجتمعَ فيها عندَهُ الجماعةُ أصحابُ سيِّدي أبي عبدِ اللهِ القرشيِّ وفيهِمُ الشيخُ أبو يوسفَ الدُّهْمانيُّ ، فأمرُوا قوَّالاً أنْ يقولَ لهُم شيئاً ، فغنَّى المُوشَّحَ الذي في آخرِهِ[2] :

أَمَــا تَــرَىٰ أَحْمَــدْ   فِــي مَجْـدِهِ ٱلْعَـالِـي   لاَ يُلْحَــقُ
أَطْلَعَــهُ ٱلْمَغْــرِبْ   فَــأَرِنَــا مِثْلَــهُ   يَــا مَشْــرِقُ

فطَرِبَ الشيخُ أبو يوسفَ الدُّهْمانيُّ ، ثمَّ جمعَ نفسَهُ وصعِدَ إلىٰ أنْ دارَ في الهواءِ مُقابِلَ الإنبذاريَّةِ في المجلسِ الذي هم فيهِ إلىٰ أنْ وصلَ إلىٰ مكانِهِ[3] ،

---

(١) هو سيدي القرشي رحمه الله تعالىٰ .
(٢) قطعة من موشح ليحيى بن بقيٍّ الأندلسي . انظر « نفح الطيب » (٦/٧) .
(٣) الإنبذارية : خزانة تكون في عرض الحائط .

فحطَّ نفسَهُ فيهِ وجلسَ ، فطالبَهُ الحاضرُونَ بشُكرانِ ذلكَ ، ففعلَ[1] .

وكانَ الشيخُ أبو العباسِ كثيرَ الإيثارِ معَ الإقتارِ[2] .

وُلِدَ بمصرَ في ربيعِ الآخرِ سنةَ تسعٍ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بمكَّةَ شرَّفَها اللهُ تعالىٰ في مُستهَلِّ جمادى الآخرِ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[3] .

* * *

(١) وكان سيدي الدُّهماني صاحبَ كرامات عجيبة ، ومنها كرامة شهيرة أوردها ابن السبكي في « طبقاته » (٢/٣٣٨) ، وله ترجمة حافلة في « نزهة الأنظار » لمقديش (٢/٢٩٣ـ٢٩٦) .

(٢) في (ب) : (مع الافتقار) .

(٣) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/٥٠٨ـ٥٠٩) ، و« الديباج المذهب » (ص٦٧ـ٦٨) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ جمالُ الدينِ أبو المحامدِ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ السيدِ البخاريُّ التاجريُّ المعروفُ بـ (الحَصِيريِّ)

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ ببخارىٰ وغيرِها علىٰ جماعةٍ ، وسمعَ : مِنْ أبي الفتحِ منصورِ بنِ عبدِ المنعمِ الفَراويِّ ، والمُؤيَّدِ الطوسيِّ ، وحدَّثَ ودرَّسَ ، وانتفعَ بهِ جماعةٌ .

وكانَ أحدَ أئمَّةِ أصحابِ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، والمُتقدِّمينَ في مذهبِهِ ، جامعاً للعلمِ والعملِ ، كثيرَ التواضعِ ، مُبجَّلاً عندَ الملوكِ ، وكانَ يدخلُ دارَ السعادةِ راكباً وابنُهُ معَهُ ، وهوَ الذي قامَ على الملكِ الأشرفِ في نوبةِ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ حينَ استمالَهُ بعضُ الحنابلةِ إلىٰ رأيِهِم ، والقصَّةُ مشهورةٌ(١) .

التاجريُّ : مَحَلَّةٌ ببخارىٰ يُصنَعُ فيها الحُصُرُ ؛ فلذلكَ قيلَ : التاجريُّ الحَصِيريُّ .

وُلِدَ رضيَ اللهُ عنهُ سنةَ ستٍّ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ ليلةَ الثامنِ مِنْ صفرٍ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ(٢) .

* * *

---

(١) وكان من القائمين معه أيضاً شيخ المالكية أبو عمرو ابن الحاجب ، وقد أفاض ابن السبكي في ذكر محنة الشيخ ابن عبد السلام في « طبقاته » (٨/ ٢١٨ـ ٢٣٩) ، وستأتي القصة في (٢/ ٥٠٠ـ٥١٩) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٤٩٩) ، و« الجواهر المضية » (٢/ ١٥٥) .

ومنهُمْ :

الفقيهُ الإمامُ العالمُ أبو عليٍّ حسانُ بنُ أبي القاسمِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ حسانَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ الجُهَنيُّ المهدويُّ الأصلِ ، الإسْكَندرانيُّ المولدِ والدارِ

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ أبي عبدِ اللهِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وقرأَ الأصولَ والطبَّ وبرعَ في ذلكَ ، وسمعَ بالإسكندريةِ مِنَ الحافظِ أبي طاهرٍ أحمدَ بنِ محمدِ ابنِ سِلَفَةَ الأصبهانيِّ .

تُوفِّيَ في أواخرِ رجبٍ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[١]

* * *

---

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥١١) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٦/ ٢٨٧) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العلامةُ سعيدُ الدولةِ[1] أبو محمدٍ عبدُ المعطي بنُ منصورِ بنِ نجا بنِ منصورِ بنِ نجا ، المَخِيليُّ الأصلِ ، الإسكندرانيُّ المولدِ المالكيُّ

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، واشتغلَ بالعلومِ وعلومِ النظرِ والاستدلالِ ، وسمعَ مِنْ أبي طاهرٍ السِّلَفيِّ ، وتصدَّرَ بجامعِ العطَّارينَ بثغرِ الإسكندريَّةِ .

وولدُهُ : جمالُ الدينِ أبو الفضلِ [يوسفُ] ، كانَ مِنَ الأكابرِ الصُّلحاءِ العلماءِ المُتورِّعينَ[2] .

وولدُ ولدِهِ : تاجُ الدينِ أبو المعالي محمدُ بنُ أبي الفضلِ ، تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، وتصدَّرَ بثغرِ الإسكندريَّةِ ، ودرَّسَ مدَّةً بها وأفتىٰ ، وتوجَّهَ رسولاً ، فأدركَهُ أجلُهُ بحمصَ [. . .][3]

* * *

---

(١) في « التكملة لوفيات النقلة » : (٣/ ٥٢٩) : (سعد الدولة) .

(٢) في نسختينا : (عتيق) بدل (يوسف) ، والمثبت من المصادر والمراجع التي وقفت عليها .

(٣) بياض في (أ ، ب) ها هنا بمقدار سطر ، وفي هامش (أ) : (تُذكَر وفاتهم) ، وتوفي التاج : في حياة والده في السابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة (٦٣٧هـ) ، وتوفي الجمال : في سابع جمادى الآخرة سنة (٦٤٢هـ) ، وانظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٢٩ـ٥٣٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٣/ ١١٦ـ ١١٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٦/ ٣٤٩) .

ومنهُمْ :

الشيخُ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ بنِ عيسى بنِ مغنينَ بنِ عليِّ بنِ يوسفَ العَجِيسيُّ المَتِّيجيُّ

مِنْ مَتِّيجةَ قريةٍ مِنْ أعمالِ بِجايةَ ، صحبَ الشيخَ أبا محمدٍ عبدَ الرحيمِ بقِنا ، ثمَّ دخلَ الإسكندريَّةَ فاشتغلَ فيها بأصولِ الدينِ والفروعِ ، ثمَّ تزهَّدَ ولزمَ المحرسَ .

تُوفِّيَ ثامنَ شعبانَ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥١٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٦/ ٢٩٠) .

ومنهُمْ :

الشيخُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ خلفِ بنِ وهبِ بنِ أحمدَ القرشيُّ المخزوميُّ البُوشيُّ

لهُ رحلةٌ إلىٰ بغدادَ ، سمعَ مِنِ ابنِ سُكَينةَ ، وحدَّثَ عن أبي الطاهرِ ابنِ عوفٍ ، وهوَ أحدُ المُعدِّلينَ بمصرَ ، وكانَ لهُ تصدُّرٌ بالجامعِ العتيقِ بمصرَ لإقراءِ الأصولَينِ ، وإفادةِ ما علمَهُ مِنَ العلومِ .

تُوفِّيَ سنةَ سبعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[١]

* * *

(١) في الحادي والعشرين من جمادى الآخرة . انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٣٤) ، و« توضيح المشتبه » (١/ ٦٥١) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ شمسُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ الخليلِ بنِ سعادةَ بنِ جعفرِ بنِ عيسى الخُوَيِّيُّ

قرأَ الأصولَ والفقهَ ، ووليَ نيابةَ الحكمِ بالحسينيةِ ظاهرَ القاهرةِ ، وبالمقسمِ[1] ، وصنَّفَ في الأصولِ مختصراً[2] ، ثمَّ وليَ قضاءَ قضاةِ الشامِ ، وكانَ مشهوراً بالخيرِ ، حدَّثَ عنِ المُؤيَّدِ الطوسيِّ[3] .

تُوفِّيَ سنةَ سبعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[4] .

* * *

---

(١) في المصادر والمراجع التي وقفت عليها : أنه ولي قضاء الشام فقط ، ولعل المثبت زيادة انفرد بها المؤلف ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) وهـٰذا المختصر اسمه : « عرائس النفائس » ، وكان قد اختصر به « النفائس » لركن الدين العميدي ، كما ذكر ذلك ابن المعلم في (١/ ٥٥٩) ، وذكر أيضاً أنه شرح « الإرشاد » للركن العميدي ، وذكر ابن أبي أصيبعة أنه أكمل تفسير شيخه الإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) وقرأ العقليات علىٰ قطب الدين المصري ، وقيل : علىٰ الإمام الفخر الرازي ، والجدل علىٰ العلاء الطاوسي .

(٤) في السابع من شعبان . انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٣٧) ، و« عيون الأنباء » (ص٦٤٦ـ٦٤٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٦ـ١٧) .

ومنهُمْ :

الإمامُ شرفُ الدينِ أبو البركاتِ المباركُ بنُ أبي الفتحِ أحمدَ ابنِ موهوبِ بنِ غنيمةَ بنِ غالبٍ ، اللَّخْميُّ المعروفُ بـ (ابنِ المستوفي) الإِرْبِليُّ

كانَ رئيساً جليلَ القدرِ ، كثيرَ التواضعِ ، وكانَ جمَّ الفضائلِ ، عارفاً بعدَّةِ فنونٍ ؛ منها : الحديثُ وعلومُهُ ، وأسماءُ رجالِهِ ، وكانَ ماهراً في فنونِ الأدبِ ؛ مِنَ النحوِ ، واللغةِ ، والعَروضِ ، والقوافي ، وعلمِ البيانِ ، وأشعارِ العربِ ، وكانَ بارعاً في علمِ الديوانِ وحسابِهِ ، وضبطِ قوانينِهِ على الأوضاعِ المُعتبَرَةِ عندَهُم .

وجمعَ لإربلَ تاريخاً في أربعِ مجلَّداتٍ ، ولهُ كتابٌ سمَّاهُ « أبا قماشٍ » جمعَ فيهِ أدباً كثيراً ، ولهُ كتابٌ في الوعظِ والتنزيهِ رتَّبَهُ أسولةً وأجوبةً ، ردَّ فيهِ على المُجسِّمةِ والحشويةِ والقائلينَ بالحرفِ والصوتِ .

وكانَ تولَّى الاستيفاءَ ؛ وهوَ منصبٌ في البلادِ الشاميَّةِ وبلادِ الشرقِ ليسَ بعدَهُ إلا الوزارةُ ، ثمَّ تولَّى الوزارةَ لمظفَّرِ الدينِ إلىٰ أنْ ماتَ ، فبطلَ شرفُ الدينِ وبقيَ في بيتِهِ بإربلَ إلىٰ أنِ استولى التتارُ ـ خذلَهُمُ اللهُ ـ عليها سنةَ أربعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ ، فاعتصمَ بالقلعةِ ، ثمَّ انتقلَ بعدَ انتزاحِ التتارِ عنها إلى الموصلِ ، وأقامَ بها إلىٰ أنْ ماتَ .

وُلِدَ في نصفِ شوَّالٍ سنةَ أربعٍ وستينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ يومَ الأحدِ لخمسٍ خلونَ مِنْ محرمٍ سنةَ سبعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ .

وممَّا ذُكِرَ أنَّهُ نَظَمَهُ في نومِهِ[1] : [من المتقارب]

وَبِتْنَـا جَمِيعـاً وَبَـاتَ ٱلْغَيُـورُ يَعَـضُّ يَـدَيْـهِ عَلَيْنَـا حَنَـقْ
نَـوَدُّ غَـرَامـاً لَـوَ ٱنَّـا نُبَـاعُ سَـوَادَ ٱلـدُّجَا بِسَـوَادِ ٱلْحَـدَقْ[2]

* * *

---

(١) أورد البيتين ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٤/ ١٤٩ـ١٥٠) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ١٤٧ـ١٥٢) ، و« التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٢٢) .

ومنهُمْ :

الشيخُ الصالحُ أبو محمدٍ عبدُ المعطي بنُ محمودِ بنِ عبدِ المعطي اللَّخْميُّ الإِسْكَنْدرانيُّ

قالَ الشيخُ رشيدُ الدينِ العطَّارُ : (عبدُ المعطي هـٰذا مِنْ أعيانِ مشايخِ الإسكندريَّةِ ، مشهورٌ بالزهدِ والصلاحِ ، لهُ معرفةٌ بأصولِ الدينِ ومذهبِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، صنَّفَ كتباً في الرقائقِ وعلمِ الباطنِ ، وشرحَ « الرعايةَ » للمحاسبيِّ ، و« رسالةَ القشيريِّ ») .

تُوفِّيَ بمكَّةَ ليلةَ الجمعةِ الثالثِ والعشرينَ مِنْ ذي الحجَّةِ سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[1]

*

---

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٦٦) ، « وتاريخ الإسلام » (٤٦/ ٣٧٠) .

محتوى الجزء الأوّل

الباب الثامن

في ذكر اتباع أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه وعنهم في معتقده

* * *